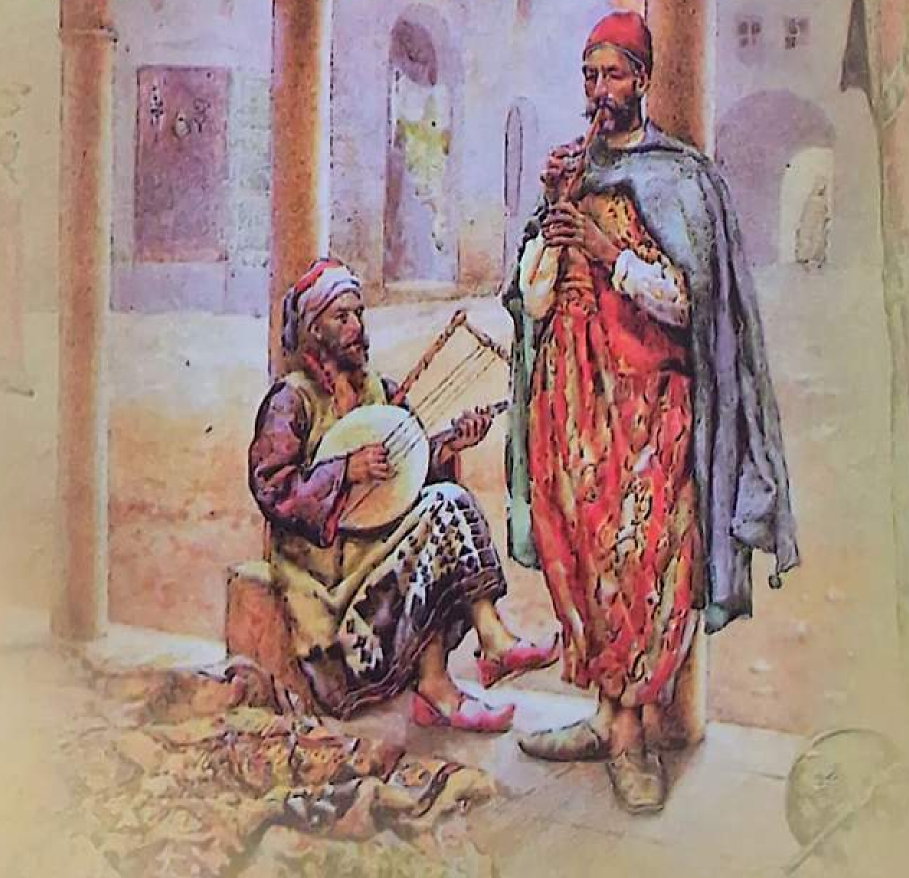
أغاني الأغاني

مختصر أغاني الأصفهاني



تخيّرها وتنخلها وجمعها

الخوري يوسف عون

صحح شرح الحواشي

الشيخ عبد الله العلايلي

أغاني الأغاني

مختصر أغاني الأصفهاني

تخيّرها وتنخّلها وجمعها
الخوري يوسف عون

صحّح شرح الحواشي
الشيخ عبد الله العلايلي

ملتزم الطبع والنشر
مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

كلمة تقدير

مكتبة في كتاب ، ذلك هو الأغاني .

وناهيك بها شهادة أجمع عليها الرأي في قديم الناس ، وظلّت حيث هي من إجماع الرأي في حديثهم ، وقد لا يُقَدَّر لها أن تَحُولَ عن وجهها في ما يباكر به النقد .

فالصاحب بن عَبَّاد — وكان قمة من قمم الادب العربي تميَّزت بمحلّها السّامق — نراه لا يفتأ مصطحباً خزانة كتبه في حِلٍّ وتَرحال ؛ حتى كان الأغاني ، وكان يومُه . واذا هو مدفوع منه الى حديقة غَنِيت بالأفياء والاضواء ، فلم يلبث ان استبدل بالمكتبة كتابا كان الرفيق المصاحب . فالأغاني ، اذاً ، هو في الحاجة اليه دوماً ، فمن كان في منزلةٍ — شَرَعاً سَواءً — مع الصاحب بن عباد فتلك حاجته اليه . . ومَن هبط عن محلِّه ، فكم تكون حاجته اليه ؟ !

ولا بِدعَ فهو سجل ضخم ، إن للحضارة وصورها أو للأدب وفنونه . . كما هو للمُتعة وتلاوينها مثلما هو للدقة وأساليبها .

الأغاني ، ذاك الكتاب الذي نعرف ، حصاد بيدر . . وهذا المستخلص « اغاني الاغاني » نُقَاوة بيدر ، جالته يدٌ صَناعٌ لا يَعلَق بين اناملها الابعض ما هو فَنَن على بعض ما هو جمال . . وكم يبهجنا في معرض التراث هذا القُطاف الأنيق .

° ° °

هذه قالةٌ سبق لي أني أزجيتُها في الناس ، وكان الكتاب لَمَّا يزل جنينا بين مَخاضٍ لا أقول كان عسيرًا بقدر ما اقول إنه شاقٌ عرف مثلَه ، من قبلُ ، صاحبنا القديم العِماد الاصفهاني : « لو غُيِّر هذا لكان أحسنَ ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستحسن . » (١)

ولكن ، أمّا وقد أُسلِم اليَّ كائناً سوياً ، فليس لي إلا أن أُجاريَ ابن عبد ربه في التعريف بكتابه « العقد » :

« قد عرفناك باختيارك اذ كا   نَ دليلا على اللبيبِ اختيارُهْ » .

---

(١) من رسالته الى القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني حيث قال : « انه وقع لي شيء وما أدري أوقع لك أم لا ، وها أنا اخبرك به . وذلك اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده : لو غُير هذا لكان أحسن ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستحسن ، ولو قُدّم هذا لكان أفضل ، ولو تُرِك ذاك لكان أجمل . وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر . » .

وادا كان هذا معيارَ اللَّبابة عند صاحب العقد ، فالأب المحترم – وقد اجتمع له الحسُّ الجمالي أكملَ ما يكون هذا الحسُّ ، والتذوُّقُ الغنيُّ أغنى ما يكون هذا التذوُّق ، ناهيك عن أصالة الأديب فيه – يجيء الألبَّ في هذا المضمار ، والمجلّي في حلبة الاختيار .

ولقد لفت نظري حقا في عمق حسِّه الجمالي ، انه أبرز شيئاً جديداً عندنا ، وهو ما يُعرف « بفن جمال القبح » الذي عولج كثيرًا عند غيرنا ، امّا نحن فلم نَحْبُ حتى قريبا من عتبته ، ولم نَدنُ حتى المسِّ الرفيق . . ولكن الاب المحترم لم يفته هذا اللون من الجمال فتخيَّر الكثير الكثير من بابتِه .

ولعل جمالَ القبح في مضمونه اعمقُ الجمال لانه لا يُريك الصورة الزاهية بل ما وراءها ، ولا الابعادَ بل المِهادَ « الخلفية » ، ولا الجمالَ في معنى الفِتنةِ ، الاستهواء، بل في معنى انسجام النقائِض حيث تذوب ، في الجوهر ، التُخوم المصطنعة .

وكم كان ابو الطيِّب لمّاحاً في الفرق بين الجمالين :

« حُسنُ الحضـارة مجلـوبٌ بتطريـةٍ   وفي البـداوةِ حُسنٌ غيـرُ مجـلوبِ »

واذا اردت ان تدرك عمق الحس الجمالي عند مؤلِّفنا ، فتوقف معي قليلاً عند التسمية التي تبدو غريبة للوهلة الاولى ، ولكنَّك مع التأمل البصير تُدرك ايَّ لُجيٍّ يدفعك اليه . .

« اغاني الاغاني » تسمية تخالها تلاعبا لفظيا عذب الجَرْس ولا تزيد ، ثم لا تلبث حتى تشعر بإيحائها الذي هو « وَحدة الأسر» على حد تعبير ارسطو في لغة مترجميه العرب .

فأيسر مسَّاتها الإيحائية انها ليست الأغاني بل الوقع ، وليست الدائرة بل نقطتها ، وان مسمّاها بالنسبة الى الكتاب الاصلِ كلحنِه المصفّى الذي تعلّى و « تأوَّج » ، فلا نشاز ولا وَهَن .

ولهذا الكتاب النفيس من بعدُ ، حسنةٌ عملية تعدو الحَسنات الاخرى ، ومازيةٌ تَرجِح المزايا ، وهي ان المكتبة العربية – ولا سيَّما المدرسيةُ منها – تَفقِدُ كتاب المطالعة الجيد الخالي من الشوائب . . فجاء هذا الكتاب نَسَقاً مع الحاجة ، وقَدْرًا مع الداعية . فأية دولة تكون السبَّاقة الى اعتماده في منهجها الرسمي ، لن تكون الثانية في قيادة هذا الشرق نحو ماضيه المشرق . واقولها صادقا مع كل الغُيُر على هذا الشامخ من العطاء الفنيِّ في الحيِّ من ادبنا القديم .

وانا ، بعيدًا عن كل ما يجمعني بمؤلِّفه من صداقة كان حسيسُها عند اخوان الصفاء ، اعرف كم كابد وعانى حتى بسط يده للنشء بهذا العطاء الجَنى .

فأبو الفرج ، ان كان أغنى العربية التُراثَ ، فالاب عون أحال التراث حياةً تنبض بالنضرة ، بالجمال .

الشيخ عبدالله العلايلي

كلمة المؤلف

كتاب « الاغاني » ، هذه الدرة الغالية في جيد العربيّة، هو مرجع يُرتجى ومتعة تُشتهى . فيه التاريخ والقصة والسيرة والعبرة والطُرفة والمُلحة والشعر والنثر واللغة ، كل هذا بعبارة فصيحة تحبب الينا صفاء لغة القرآن وتشدنا الى استشفافها وتذوقها .

ولكن « الاغاني » ، وهو مجموعة ثلاثة وعشرين مجلدا ، اصبح اليوم كتاب خزانة لا كتاب مطالعة لضيق وقت الاكثرين عن الانصراف اليه ، ناهيك بما حوى من قصص وحوادث تخطّاها الزمن فتفهت ، ومن احاديث تكررت احيانا فثقلت ، ومن عبارات فحُشت فسَمُجَت حتى لنربأ بابنتنا او اختنا الطالبة عن الوقوع عليها وقد كتبت في عصر لم يكن للمرأة نصيب في القراءة والمطالعة ، ومن أسانيد من مثل : « حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن اخيه عن ابيه عن جده . . » الخ . . وهذه لو جمعت لما اتسعت لها مجلدات ثلاثة .

ولما كان ثمن هذه المجموعة حفنةً ، والذين يسخون به قلةً ، والذين يقرأونها إن سخَوا ندرةً ،

ولما كان طلابنا ، ابناؤنا وبناتنا ، الجامعيون ودونهم ، أصبحوا في جوع شديد الى اللغة الاصيلة والتعبير الفصيح ،

ولما كان وقت هؤلاء بالغاً في القصر لكثرة المواد الملقاة على عاتقهم حتى لم يبقَ لهم متسع ليطالعوا المطوّلات ، هذا اذا استطاعوها شراءً ،

كل هذا دفعني الى مغامرة ادبية سلخت من عمري خمساً ما ندمت عليها ، قضيتها في اختصار المجلدات الثلاثة والعشرين بمجلد واحد ضمَّ ما يُشتهى ضمُّه وأهمل ما لا يُؤسف عليه .

يومَ فتحت عيني على كتاب الاغاني ما أطبقتها عنه إلا وفي نفسي شيء للاصفهاني . ذاك القاضي العالم الذي سكب من عمره خمسين عاما وسبكها حروفا وكلمات استودعها بطون القراطيس وتركها لنا جنات وفراديس ،

ذاك الاديب الفنان الذي وعى فروى ، وقصَّ فابدع ، ونوّع فأدهش ، ضنَنت به ان يصير خدين النسيان ورميم الغبائر ، « فعصرنته » وجلوته فتى شهيَّ الطلعة ، حلو الحديث ، مهذب العبارات ، اذا نطق سكتوا له ، واذا صمت ضرعوا اليه ، وأعدته الى عِشرة الادباء ، وآباط الشباب ، وأخدار العذارى .

فكتابي « اغاني الاغاني » واسمه يدل عليه ، هو ابو الفرج الاصفهاني يبعث حيا بعد الف سنة ونيف ، ولكن بحلة جديدة وثوب قشيب . فأهملت الاسانيد والقصص التافهة ، والشعر الغث ، والتراجم المملة غير المجدية ، والبذاءات الفاحشة ، وابقيت على التاريخ المفيد ، والقصة الطريفة ، والمُلحة الماتعة ، والشعر الشرود ، والنثر السهل الممتنع من التراجم المشوّقة البناءة . وقد حافظت على ترتيب

الاجزاء حسب ورودها ، على أني جمعت في ترجمة كل شاعر ما وجدته شتاتاً في عدة اجزاء مع الاشارة الى الجزء والصفحة ، مع بعض تصرف في التّرتيب تقديما او تأخيرًا مراعاة أحيانا لأسبقية الزمن . وقد جعلت تحت كل تعبير فصيح خطّاً لألفت القارىء والطالب خصيصًا الى هذا التعبير ليعيه ويختزنه لأوان الكتابة او الخطابة . وكل هذا بكلام الاصفهاني نفسه دون ان ازيد من قلمي كلمة ، اللهم سوى بعض كليمات جعلتها بين معقفين وبحرف اسود لتعرف ، بدلاً من كلمة فاحشة مبتذلة ، حيث يضطرني السرد الفنّي الى اثبات القصة التي هي من دنيا جمالات القبح ، ليبقى الكتاب وكأنه من اختصار الاصفهاني نفسه بعد هذا التشذيب والتهذيب و« العصرنة » .

قلت جمالات القبح لأشير الى أني ما توخّيت جعل الكتاب كتاب صلاة وعبادة ، ولا كتاب سفاهات وفواحش ، فالاديب الفنان ينظر الى قدسية الفن ، لا من حيث هو كلمة وحسب ، أو تمثال وحسب ، بل الى ما هو وراء السمع واللحظ واللمس ، الى الخلق والابداع . من هنا كان للمنظر الوحشي ، وللطبيعة الشرسة ، جمال القبح ، اذا صح ان نسميه قبحا ، كما ان للوسامة الحضرية الانيقة جمال الحسن والرُواء .

وليكون كتابي هذا قريبا من المبتغى ، والكمال لله ، استعنت الصديق الذي افاخر بصداقته العلامة الشيخ عبد الله العلايلي على ضبط الحواشي وتصحيح شرحها ، فكان حيث اشتهى القلب وقدر الحجى .

فهذا العمل الذي وقفت عليه تلك السنين من الجهد والتمحيص والتنخّل والتّرجيح في ميزان الذائقة الفنية ، لم يدفعني اليه سوى رسالة الخدمة المخلصة لابناء الضاد، اخواني العرب ،حتّى لا يقفوا على مفترق لغات الشعوب مأخوذين بلغات الناس ووراءهم مثل هذه اللغة الصافية الجِرْس ، ومثل هذا التُراث المترَف وهم عنهما غافلون .

واني، اذ أحمد الله على ما قدرني ونهض بي ، لا انسى ان اشكر الصديق الجليل الشيخ عبد الله العلايلي مرجع الادباء واللغويين ، الذي مد الي يد المعونة فولد هذا الكتاب على يده ، وزينه بمقدمة أصرّ على ان يكون عنوانها : «كلمة تقدير » ، كان هو بها اولى .

واشكر دار بدران للنشر التي احتضنت الكتاب وأخرجته هذا الاخراج الفني ، غير عابئة بالتكاليف الباهظة في سبيل خدمة الادب والادباء ودنيا العرب .

وكلمة شكر اخيرة لمكتبة الجامعة العربية في بيروت التي مكنتني من تصوير الخرائط الثلاث المنشورة في آخر الكتاب نقلاً عن كتب فريدة من خزائنها .

وعسَاي أكون قد أديت للعرب والعربية قسطا !

المؤلف

بيروت – صندوق البريد : ٤٦٤٤

الخوري يوسف عون

فهرست الأجزاء والأسماء والعصور

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
الجزء الاول			
ابو قطيفة	شاعر	جاهلي ، اسلامي	١
معبد	مغن	اسلامي ، اموي	٤
عمر بن ابي ربيعة	شاعر	اسلامي ، اموي	١٠
ابن سريج	مغن	اسلامي ، اموي	٢٢
نصيب	شاعر	اسلامي ، اموي	٢٧
ابن محرز	مغن	اسلامي ، اموي	٣٢
العرجي	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٣
الجزء الثاني			
مجنون بني عامر	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٧
عدي بن زيد	شاعر	جاهلي	٤٤
زرقاء اليمامة		جاهلي	٤٩
الحطيئة	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٥٢
ابن عائشة	مغن	اسلامي ، اموي	٥٦
ابن ارطاة	شاعر	اسلامي ، اموي	٥٩
ابن ميّادة	شاعر	اموي ، عباسي	٦٠
حُنين	مغن	اسلامي ، اموي	٦٣
الغريض	مغن	اسلامي ، اموي	٦٦
الحكم بن عبدل	شاعر	اموي	٦٨
الجزء الثالث			
طُوَيس	مغن	اسلامي ، اموي	٧١
الدارمي	شاعر	اسلامي ، اموي	٧٣
هلال	شاعر	اسلامي ، اموي	٧٥
عروة بن الورد	شاعر	جاهلي	٧٦
ذو الاصبع العدواني	شاعر	جاهلي	٧٨
بشار بن برد	شاعر	اموي ، عباسي	٨١
ابن مِسجح	مغن	اسلامي ، اموي	٩٢
ابن المولى	شاعر	اموي ، عباسي	٩٤
عطرّد	مغن	اموي ، عباسي	٩٦
الحارث المخزومي	شاعر	اسلامي ، اموي	٩٨

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
الابجر	مغن	اسلامي ، اموي	١٠١
موسى شهوات	شاعر	اسلامي ، اموي	١٠٣
الجزء الرابع			
ابو العتاهية	شاعر	عباسي	١٠٤
فريدة	مغنية	عباسي	١١٥
امية بن ابي الصلت	شاعر	جاهلي ، اسلامي	١١٧
حسان بن ثابت	شاعر	جاهلي ، اسلامي	١٢٠
جبلة وعمر		جاهلي . اسلامي	١٢٤
الأحوص	شاعر	اموي	١٢٤
الدلال	مغن	اموي	١٣٠
طريح	شاعر	اموي	١٣٢
ابو سعيد	مغن	اموي ، عباسي	١٣٦
السفاح وبنو أمية		عباسي	١٣٨
فليح بن ابي العوراء	مغن	عباسي	١٣٩
ابن هرمة	شاعر	اموي ، عباسي	١٤٠
اسماعيل بن يسار	شاعر	اسلامي ، اموي	١٤٤
الجزء الخامس			
النابغة الجعدي	شاعر	جاهلي ، اموي	١٤٦
حرب البسوس		جاهلي	١٤٨
المهلهل	شاعر	جاهلي	١٥٠
عبد الله بن قيس الرقيات	شاعر	اسلامي ، اموي	١٥٢
مالك بن ابي السمح	مغن	اسلامي ، اموي	١٥٤
الوليد بن عُقبة	شاعر	اسلامي ، اموي	١٥٦
ابراهيم الموصلي	مغن	عباسي	١٥٨
اسحاق الموصلي	مغن	عباسي	١٦٧
الجزء السادس			
الصمة القشيري	شاعر	اسلامي ، اموي	١٧٦
داود بن سلم	شاعر	اموي ، عباسي	١٧٨
دَحمان	مغن	اموي ، عباسي	١٧٩
أعشى همدان	شاعر	اموي	١٨١
حماد الراوية		اموي ، عباسي	١٨٣

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
المرقّش الاكبر	شاعر	جاهلي	١٨٧
المرقّش الاصغر	شاعر	جاهلي	١٨٩
سياط	مغن	اموي ، عباسي	١٩٠
يحيى المكي	مغن	عباسي	١٩١
محمد النميري	شاعر	اموي	١٩٢
وضاح اليمن	شاعر	اموي	١٩٤
أبو ذُؤيب	شاعر	جاهلي ، اسلامي	١٩٧
حكم الوادي	مغن	اموي	١٩٩
ابن جامع	مغن	عباسي .	٢٠٠
الجزء السابع			
الوليد بن يزيد	شاعر	اموي	٢٠٥
عمر الوادي	مغن	اموي	٢١٢
يزيد بن ضبة	شاعر	اموي	٢١٣
نابغة بني شيبان	«	«	٢١٥
ابو دهبل	شاعر	اموي	٢١٦
حسين بن الضحاك	شاعر	عباسي	٢١٩
السيد الحميري	شاعر	اموي	٢٢٤
متيّم الهشامية	مغنية	عباسي	٢٢٨
الجزء الثامن			
جرير	شاعر	اموي	٢٢٩
جميل	شاعر	اسلامي ، اموي	٢٤٠
يزيد بن الطّثرية	شاعر	اموي	٢٤٥
جميلة	مغنية	اسلامي ، اموي	٢٤٨
عنترة	شاعر	جاهلي	٢٥١
أبو دُلف	شاعر	اموي ، عباسي	٢٥٨
الاخطل	شاعر	اموي	٢٦٠
سائب خاثر	مغن	اموي	٢٧٠
سلاّمة القس	مغنية	اموي	٢٧٠
العباس بن الاحنف	شاعر	عباسي	٢٧٣
الجزء التاسع			
كثيّر	شاعر	اسلامي، اموي	٢٧٦
امرؤالقيس	شاعر	جاهلي	٢٨٥
الاعشى الكبير	شاعر	جاهلي	٢٩٣
الشماخ	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٢٩٨
قيس بن ذَريح	شاعر	اسلامي، اموي	٢٩٩
عمر بن عبد العزيز		اموي	٣٠٤
عدي بن الرقاع	شاعر	اموي	٣٠٦
الجزء العاشر			
دريد بن الصمة	شاعر	جاهلي	٣٠٨
ابراهيم بن الصولي	شاعر	عباسي	٣١١
مروان بن ابي حفصة	شاعر	اموي ، عباسي	٣١٣
ابراهيم بن المهدي	مغن	عباسي	٣١٧
ابو النجم	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٢٠
عُليّة بنت المهدي	مغنية	عباسي	٣٢٢
ابو عيسى بن الرشيد		عباسي	٣٢٤
علي بن الجهم	شاعر	عباسي	٣٢٥
ابو دُلامة	شاعر	عباسي	٣٢٧
زهير بن ابي سلمى		جاهلي	٣٣٠
الجزء الحادي عشر			
النابغة الذبياني	شاعر	جاهلي	٣٣٤
الحارث بن حِلِّزة	شاعر	جاهلي	٣٤١
عمرو بن كلثوم	شاعر	جاهلي	٣٤٣
عُفيرة بنت عبّاد		جاهلي	٣٤٥
ابن مهجع العذري		اموي	٣٤٧
ليلى الاخيلية	شاعرة	اموية	٣٥٠
عَلُّويَة	مغن	عباسي	٣٥٣
الجزء الثاني عشر			
عبد الله بن الحشرج	شاعر	اموي	٣٥٥
الطِرِمّاح	شاعر	اموي	٣٥٦
محمد بن بُسخُنَّر	مغن	عباسي	٣٥٨
معن بن أوس	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٥٩

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
مَروان الاصغر	شاعر	عباسي	٣٦٠
ابراهيم بن سَيَّابة	شاعر	عباسي	٣٦٢
يزيد بن مزيد وابن طريف		عباسي	٣٦٣
عبد الله بن طاهر	شاعر	عباسي	٣٦٥
ابو زبيد الطائي	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٦٧
محمد بن امية	شاعر	عباسي	٣٦٩
المتوكل الليثي	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٧٠
مقتل جعفر البرمكي		عباسي	٣٧٢
منظور بن زَبّان		اسلامي ، اموي	٣٧٣
عبد الله بن معاوية	شاعر	اسلامي	٣٧٤
ابو وجزة واستسقاء المطر	شاعر	اسلامي	٣٧٥
عَقيل بن عُلَّفة	شاعر	اموي	٣٧٦
يزيد بن الحكم	شاعر	اموي	٣٧٨
ابو الاسود الدُؤلي	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٨٠

الجزء الثالث عشر

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
ابو الطمحان القَيْني	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٣٨٢
أرطاة بن سُهَيّة	شاعر	اموي	٣٨٤
جعفر بن عُلبة الحارثي	شاعر	اموي ، عباسي	٣٨٦
العُجَير السلولي	شاعر	اموي	٣٨٨
المُغيرة بن حبناء	شاعر	اسلامي ، اموي	٣٨٩
سويد اليشكري	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٣٩١
العتّابي	شاعر	عباسي	٣٩٢
منصور النمري	شاعر	عباسي	٣٩٤
عبد الله بن الحجّاج	شاعر	اموي	٣٩٦
ناهض بن ثُومة	شاعر	عباسي	٣٩٨
غَيلان بن سَلَمة الثقفي	شاعر	اسلامي	٤٠٠
عبد الصمد بن المُعذّل	شاعر	عباسي	٤٠٢
عبد الرحمن بن الحكم	شاعر	اموي	٤٠٣
مطيع بن إياس الكناني	شاعر	اموي ، عباسي	٤٠٦
محمد بن كُناسة الاسدي	شاعر	عباسي	٤١٠
الشَمَرْدَل	شاعر	اموي	٤١١

الجزء الرابع عشر

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
الحُصين بن الحُمام	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٤١٣
محمد بن يسير الرياشي	شاعر	عباسي	٤١٣
ديك الجن	شاعر	عباسي	٤١٥
قيس بن عاصم المنقري	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٤١٦
محمد بن حازم الباهلي	شاعر	عباسي	٤١٨
الحَكَم بن قُنبر	شاعر	عباسي	٤٢٠
علي بن الخليل	شاعر	عباسي	٤٢١
محمد بن الزَفّ	مغن	عباسي	٤٢٢
ابو الشبل البُرجُمي	شاعر	عباسي	٤٢٣
عبد الله بن الزبير الاسدي	شاعر	اموي	٤٢٤
ثابت قُطنة	شاعر	اموي	٤٢٦
كعب الاشقري	شاعر	اموي	٤٢٧
حَمّاد عجرد	شاعر	عباسي	٤٢٩

الجزء الخامس عشر

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
مُضاض الجُرهُمي	شاعر	جاهلي	٤٣١
بصبص	مغنية	عباسي	٤٣٣
سلاّمة الزرقاء وابن الأشعث		عباسي	٤٣٦
الخَنساء	شاعرة	جاهلي ، اسلامي	٤٣٧
حَبابَة	مغنية	اموي	٤٣٩
ابو الطفيل	شاعر	اسلامي	٤٤١
عمرو بن مَعد يكَرِب	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٤٤٢
قس بن ساعدة الإيادي	شاعر	جاهلي	٤٤٤
مُتمِّم بن نُويرة	شاعر	اسلامي	٤٤٤
جَذيمة الابرش		جاهلي	٤٤٦
جذيمة والزباء		جاهلي	٤٤٧
الحزين الدِّيلي	شاعر	اسلامي ، اموي	٤٤٩
لبيد	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٤٥١
زياد الأعجم	شاعر	اموي	٤٥٦

الجزء السادس عشر

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
شارية	مغنية	عباسي	٤٥٨

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
الحُسين بن مُطَيّر	شاعر	اموي ، عباسي	٤٦٠
النعمان بن بشير	شاعر	اسلامي ، اموي	٤٦١
المُغيرة بن شُعبة		اموي	٤٦٤
الحسين بن علي وسُكينة		اسلامي	٤٦٦
الفضل بن العباس اللهبيّ	شاعر	اموي	٤٧٠
حمزة بن بِيض	شاعر	اموي	٤٧٣
ربيعة الرَّقّيّ	شاعر	عباسي	٤٧٧
نائلة بنت الفَرَافِصة		اسلامي	٤٧٩
ذات الخال	مغنية	عباسي	٤٨٢
ابو دوُاد الإيادي	شاعر	جاهلي	٤٨٣
ابو تمام	شاعر	عباسي	٤٨٥
ابو الشِيص	شاعر	عباسي	٤٨٩

الجزء السابع عشر

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
بذل	مغنية	عباسي	٤٩٠
كعب بن زهير	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٤٩١
ابن الدُمينة	شاعر	عباسي	٤٩٣
المقنع الكندي	«	اموي	٤٩٤
ابو قيس بن الأسلت	«	جاهلي	٤٩٥
عزة الميلاء	مغنية	جاهلية	٤٩٦
الربيع بن زياد العبسي		جاهلي	٤٩٧
حرب داحس والغبراء		جاهلي	٤٩٨
يزيد بن معاوية		اموي	٤٩٩
شُرَيح القاضي		اسلامي	٥٠١
مالك بن اسماء		اموي	٥٠٣
حلف الفضول		جاهلي	٥٠٥
ابو عَطاء السندي	شاعر	اموي ، عباسي	٥٠٥
خالدبن يزيد بن معاوية		اموي	٥٠٦
حاتم طيّ	شاعر	جاهلي	٥٠٧
ذو الرُمّة	شاعر	اموي	٥١١

الجزء الثامن عشر

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
عاتكة		اسلامي	٥١٤
دنانير	مغنية	عباسي	٥١٦
والبة بن الحُباب	شاعر	عباسي	٥١٧
عمران بن حطّان	شاعر	اسلامي ، اموي	٥١٧
عمرو بن قميئة	شاعر	جاهلي	٥٢٠
محمد بن مناذر	شاعر	عباسي	٥٢١
أشجع	شاعر	عباسي	٥٢٤
ابن مفرّغ	شاعر	اموي	٥٢٦
الزبير بن دحمان	مغنّ	عباسي	٥٣٠
العماني	شاعر	عباسي	٥٣١
عروة بن أذينة	شاعر	اموي	٥٣٢
مخارق	مغن	عباسي	٥٣٥
ابو مِحجَن الثقفي	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٥٣٨
زهير بن جَناب	شاعر	جاهلي	٥٤٠
مسلم بن الوليد	شاعر	عباسي	٥٤٢

الجزء التاسع عشر

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
محمد بن وهيب	شاعر	عباسي	٥٤٧
بكر بن النطاح	شاعر	عباسي	٥٤٩
مقتل مصعب بن الزبير		اموي	٥٥١
أشعب	مغن	اموي	٥٥٤
عبد الله بن العباس	شاعر	عباسي	٥٥٧
سلم الخاسر	شاعر	عباسي	٥٥٩
فضل الشاعرة	شاعرة	عباسي	٥٦١
ابن الخياط	شاعر	اموي ، عباسي	٥٦٣
علي بن جبلة	شاعر	عباسي	٥٦٤
التيمي	شاعر	عباسي	٥٦٨

الجزء العشرون

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
جنان وابو نواس	شاعرة	عباسي	٥٧٠
ابن ابي عيينة	شاعر	عباسي	٥٧١

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
دعبل بن علي	شاعر	عباسي	٥٧٣
مسكين الدارمي	شاعر	اموي	٥٨١
ابو محمد اليزيدي	شاعر	عباسي	٥٨٣
محمد بن أبي محمد	»	»	٥٨٥
ايمن بن خريم	شاعر	أموي	٥٨٥
عمرو بن ابي الكنات	مغن	عباسي	٥٨٧
اسماء بن خارجة وابنته هند		اموي	٥٨٨
السليكو بن السلكة	شاعر	جاهلي	٥٨٩

الجزء الواحد والعشرون

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
المنخل اليشكري	شاعر	جاهلي	٥٩١
امية بن الاسكر	شاعر	اسلامي	٥٩٢
عبدة بن الطبيب	شاعر	جاهلي اسلامي	٥٩٣
الاغلب العجلي	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٥٩٤
مسيلمة وسجاح		اسلامي	٥٩٥
البحتري	شاعر	عباسي	٥٩٦
عريب	مغنية	عباسي	٦٠٢
تأبط شراً	شاعر	جاهلي	٦٠٥
الشنفرى	شاعر	جاهلي	٦٠٨
علقمة الفحل	شاعر	جاهلي	٦١٠
ابو خراش	شاعر	اسلامي	٦١١
هدبة بن خشرم	شاعر	اموي	٦١٣
الفرزدق	شاعر	اموي	٦١٥

الجزء الثاني والعشرون

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
خالد بن عبد الله القسري		اموي	٦٢٨
ابو حفص الشطرنجي	شاعر	عباسي	٦٣٠
ربيعة الضبي	شاعر	جاهلي ، اسلامي	٦٣٢
أوس ونسب اليهود		جاهلي	٦٣٣
السموءل	شاعر	جاهلي	٦٣٥
ابراهيم بن المدبر	شاعر	عباسي	٦٣٧
محبوبة	شاعرة	عباسي	٦٣٩
احمد بن صدقة	مغن	عباسي	٦٤١
عبد الله بن العجلان	شاعر	جاهلي	٦٤٢
المؤمل بن أميل	شاعر	عباسي	٦٤٤
عبد بني الحسحاس	شاعر	اسلامي	٦٤٥
العديل	شاعر	اموي	٦٤٧
نصيب الاصغر	شاعر	عباسي	٦٥٠
محمد بن عبد الملك الزيات	شاعر	عباسي	٦٥٢
عنان	شاعرة	عباسي	٦٥٥
الحسن بن وهب	شاعر	عباسي	٦٥٦
العطوي	شاعر	عباسي	٦٥٨

الجزء الثالث والعشرون

الاسم	شاعر	عصر	صفحة
ماني الموسوس	شاعر	عباسي	٦٥٩
عبد الله بن يحيى وابو حمزة		اموي	٦٦٠
القطامي	شاعر	اموي	٦٦٣
ابو صخر الهذلي	شاعر	اموي	٦٦٥
عروة بن حزام	شاعر	اموي	٦٦٦
الراعي	شاعر	اموي	٦٦٩
عبيد بن الابرص	شاعر	جاهلي	٦٧٠
المنذر والغريان		جاهلي	٦٧١
ذيل في الغريين			٦٧٣
حارثة بن بدر	شاعر	اموي	٦٧٥
المتلمس	شاعر	جاهلي	٦٧٨
طرفة بن العبد	شاعر	جاهلي	٦٨٠
تعابير جمالية واشعار شاردة			٦٨٢
سلسلة الخلفاء			٦٨٧
مصور مواقع القبائل العربية			٦٨٨
مصور حدود الدولة العباسية			٦٨٩
مصور حدود الدولة الاموية			٦٩٠

فهرست هجائي

تنبيه : وضعنا تحت حرف – ا – كل اسم فيه « ابن » أو « أبو »

اسم	جزء	صفحة
أ		
ابن		
« أبي عيينة	٢٠	٥٧١
« ارطاة	٢	٥٩
« الاسلت الوائلي	١٧	٤٩٥
« الخياط	١٩	٥٦٣
« الدمينة	١٧	٤٩٣
« المولى	٣	٩٤
« جامع	٦	٢٠٠
« سريج	١	٢٢
« عائشة	٢	٥٦
« محرز	١	٣٢
« مسجح	٣	٩٢
« مفرغ	١٨	٥٢٦
« مهجع العذري	١١	٣٤٧
« ميادة	٢	٦٠
« هرمة	٤	١٤٠
ابراهيم بن الصولي	١٠	٣١١
« « المدبر	٢٢	٦٣٧
« « المهدي	١٠	٣١٧
« « سيابة	١٢	٣٦٢
احمد « صدقة	٢٢	٦٤١
ارطاة « سهية	١٣	٣٨٤
اسماء « خارجة	٢٠	٥٨٨
اسماعيل « يسار	٤	١٤٤
الحارث « حلّزة	١	٣٤١
الحسن « وهب	٢٢	٦٥٦
الحسين « علي وسكينة	١٦	٤٦٦
الحسين « مُطير	١٦	٤٦٠
الحصين « الحُمام	١٤	٤١٣

اسم	جزء	صفحة
الحكم « عبدل	٢	٦٨
« « قنبر	١٤	٤٢٠
الربيع « زياد	١٧	٤٩٧
الزبير « دحمان	١٨	٥٣٠
السليك « السلكة	٢٠	٥٨٩
العباس « الاحنف	٨	٢٧٣
الفضل « العباس	١٦	٤٧٠
المغيرة « حبناء	١٣	٣٨٩
« « شعبة	١٦	٤٦٤
المؤمل « أميل	٢٢	٦٤٤
النعمان « بشير	١٦	٤٦١
الوليد « عقبة	٥	١٥٦
« « يزيد	٧	٢٠٥
امية « ابي الصلت	٤	١١٧
« « الاسكر	٢١	٥٩٢
أيمن « خُرَيم	٢٠	٥٨٥
بشار « برد	٣	٥١
بكر « النطاح	١٩	٥٤٩
جَبَلة « الايهم	٤	١٢٣
جعفر « علبة	١٣	٣٨٦
حارثة « بدر	٢٣	٦٧٥-
حسان « ثابت	٤	١٢٠
حسين « الضحاك	٧	٢١٩
حمزة « بيض	١٦	٤٧٣
خالد « القسري	٢٢	٦٢٨
« « يزيد	١٧	٥٠٦
داود « سلم	٦	١٧٨
دريد « الصمة	١٠	٣٠٨
زهير « ابي سلمى	١٠	٣٣٠
زهير « جناب	١٨	٥٤٠

اسم	جزء	صفحة
طرفة « العبد	٢٣	٦٨٠
عبد الرحمن « الحكم	١٣	٤٠٣
عبد الصمد « المعذل	١٣	٤٠٢
عبدالله « الحجاج	١٣	٣٩٦
« « الحشرج	١٢	٣٥٥
« « الزبير	١٤	٤٢٤
« « العباس	١٩	٥٥٧
« « العجلان	٢٢	٦٤٢
« « طاهر	١٢	٣٦٥
« « قيس الرقيات	٥	١٥٢
« « معاوية	١٢	٣٧٤
« « يحيى	٢٣	٦٦٠
عبدة « الطبيب	٢١	٥٩٣
عَبيد « الابرص	٢٣	٦٧٠
عدي « الرقاع	٩	٣٠٦
« « زيد	٢	٤٤
عروة « اذينة	١٨	٥٣٢
« « الورد	٣	٧٦
« « حزام	٢٣	٦٦٦
عقيل « علفة	١٢	٣٧٦
علي « الجهم	١٠	٣٢٥
« « الخليل	١٤	٤٢١
« « جبلة	١٩	٥٦٤
عمر « ابي ربيعة	١	١٠
« « عبدالعزيز	٩	٣٠٤
عمران « حطان	١٨	٥١٧
عمرو « ابي الكنات	٢٠	٥٨٧
« « قميئة	١٨	٥٢٠
« « كلثوم	١١	٣٤٣
« « معديكرب	١٥	٤٤٢

اسم	جزء	صفحة
غيلان « سلمة	١٣	٤٠٠
فليح « ابي العوراء	٤	١٣٩
قس « ساعدة	١٥	٤٤٤
قيس « ذريح	٩	٢٩٩
« «عاصم المنقري	١٤	٤١٦
كعب « زهير	١٧	٤٩١
مالك « ابي السمح	٥	١٥٤
« « اسماء	١٧	٥٠٣
متمم « نويرة	١٥	٤٤٤
محمد « ابي محمد	٢٠	٥٨٥
« « الزف	١٤	٤٢٢
« « امية	١٢	٣٦٩
« « بسختر	١٢	٣٥٨
« « حازم	١٤	٤١٨
« بن عبدالملك الزيات	٢٢	٦٥٢
« بن كناسة	١٣	٤١٠
« « مُناذر	١٨	٥٢١
« « وهيب	١٩	٥٤٧
« بن يسير الرياشي	١٤	٤١٣
مروان بن ابي حفصة	١٠	٣١٣
مسلم بن الوليد	١٨	٥٤٢
مطيع « إياس	١٣	٤٠٦
معن « اوس	١٢	٣٥٩
منظور « زبان	١٢	٣٧٣
ناهض « ثومة	١٣	٣٩٨
هدبة « خشرم	٢١	٦١٣
والبة « الحباب	١٨	٥١٧
يزيد « الحكم	١٢	٣٧٨
« « الطثرية	٨	٢٤٥
« « ضبة	٧	٢١٣
« « مزيد	١٢	٣٦٣
« « معاوية	١٧	٤٩٩
أبو		
ابو الاسود الدؤلي	١٢	٣٨٠
« الشبل البرجمي	١٤	٤٢٣
« الشيص	١٦	٤٨٩

اسم	جزء	صفحة
ابو الطفيل	١٥	٤٤١
« الطمحان القيني	١٣	٣٨٢
« العتاهية	٤	١٠٤
« النجم	١٠	٣٢٠
« تمام	١٦	٤٨٥
« حفص الشطرنجي	٢٢	٦٣٠
« خراش	٢١	٦١١
« دلامة	١٠	٣٢٧
« دلف	٨	٢٥٨
« دهبل	٧	٢١٦
« دواد الايادي	١٦	٤٨٣
« ذؤيب	٦	١٩٧
« زبيد الطائي	١٢	٣٦٧
« سعيد	٤	١٣٦
« صخر الهذلي	٢٣	٦٦٥
« عطاء السندي	١٧	٥٠٥
« عيسى بن الرشيد	١٠	٣٢٤
« قطيفة	١	١
« قيس ابن الاسلت	١٧	٤٩٥
« محجن الثقفي	١٨	٥٣٨
« محمد اليزيدي	٢٠	٥٨٣
« وجزة والاستسقاء	١٢	٣٧٥
ابراهيم الموصلي	٥	١٥٨
اسحاق «	٥	١٦٧
اشجع	١٨	٥٢٤
اشعب	١٩	٥٥٤
اعشى همدان	٦	١٨١
الأبجر	٣	١٠١
الاحوص	٤	١٢٤
الاخطل	٨	٢٦٠
الاعشى الكبير	٩	٣٩٣
الأغلب العجلي	٢١	٥٩٤
البحتري	٢١	٥٩٦
التيمي	١٩	٥٦٨
الحارث المخزومي	٣	٩٨
الحزين الديلي	١٥	٤٤٩

اسم	جزء	صفحة
الحطيئة	٢	٥٢
الخنساء	١٥	٤٣٧
الدارمي	٣	٧٣
الدلال	٤	١٣٠
الراعي	٢٣	٦٦٩
السفاح وبنو أمية	٤	١٣٨
السموءل	٢.٢	٦٣٥
السيد الحميري	٧	٢٢٤
الشماخ	٩	٢٩٨
الشمردل	١٣	٤١١
الشنفرى	٢١	٦٠٨
الصمة القشيري	٦	١٧٦
الطرماح	١٢	٣٥٦
العتابي	١٣	٣٩٢
العجير السلولي	١٣	٣٨٨
العديل	٢٢	٦٤٧
العرجي	١	٣٣
العطوي	٢٢	٦٥٨
العماني	١٨	٥٣١
الغريض	٢	٦٦
الفرزدق	٢١	٦١٥
القطامي	٢٣	٦٦٣
المتلمس	٢٣	٦٧٨
المتوكل الليثي	١٢	٣٧٠
المرقش الاكبر	٦	١٨٧
« الاصغر	٦	١٨٩
امرؤ القيس	٩	٢٨٥
المنخل اليشكري	٢١	٥٩١
المنذر والغريّان	٢٣	٦٧١
المهلهل	٥	١٥٠
النابغة الجعدي	٥	١٤٦
« الذبياني	١١	٣٣٤
النميري	٦	١٩٢
اوس ونسب اليهود	٢٢	٦٣٣

اسم	جزء	صفحة
ب		
بذل	١٧	٤٩٠
بصبص	١٤	٤٣٣
ت		
تابط شرا	٢١	٦٠٥
ث		
ثابت قطنة	١٤	٤٢٦
ج		
جبَلة وعمر	٤	١٢٤
جذيمة الابرش	١٥	٤٤٦
« والزباء	١٥	٤٤٧
جرير	٨	٢٢٩
جميل	٨	٢٤٠
جميلة	٨	٢٤٨
جنان وابو نواس	٢٠	٥٧٠
ح		
حاتم طي	١٧	٥٠٧
حبابة	١٥	٤٣٩
حرب البسوس	٥	١٤٨
« داحس والغبراء	١٧	٤٩٨
حكم الوادي	٦	١٩٩
حلف الفضول	١٧	٥٠٥
حماد الراوية	٦	١٨٣
« عجرد	١٤	٤٢٩
حنين الحيري	٢	٦٣
د		
دحمان	٦	١٧٩
دعبل	٢٠	٥٧٣
دنانير	١٨	٥١٦
ديك الجن	١٤	٤١٥
ذ		
ذات الخال	١٦	٤٨٢
ذو الاصبع العدواني	٣	٧٨
ذو الرمة	١٧	٥١١
ذيل في الغريين	٢٣	٦٧٣
ر		
ربيعة الرقي	١٦	٤٧٧
« الضبي	١٦	٤٧٧
ز		
زرقاء اليمامة	٢	٤٩
زياد الاعجم	١٥	٤٥٦
س		
سائب خاثر	٨	٢٧٠
سويدا اليشكري	١٣	٣٩١
سلامة الزرقاء	١٥	٤٣٦
« القس	٨	٢٧٠
سلم الخاسر	١٩	٥٥٩
سياط	٦	١٩٠
ش		
شارية	١٦	٤٥٨
شريح القاضي	١٧	٥٠١
ط		
طريح	٤	١٣٢
طويس	٣	٧١
ع		
عاتكة	١٨	٥١٤
عبد بني الحسحاس	٢٢	٦٤٥
عريب	٢١	٦٠٢
عزة الميلاء	١٧	٤٩٦
عطرد	٣	٩٦
عفيرة بنت عباد	١١	٣٤٥
علقمة الفحل	٢١	٦١٠
علوية	١١	٣٥٣
علية بنت المهدي	١٠	٣٢٢
عمر الوادي	٧	٢١٢
عنان	٢٢	٦٥٥
عنترة	٨	٢٥١
ف		
فريدة	٤	١١٥
فضل الشاعرة	١٩	٥٦١
ق		
قصر الحضر	٢	٥٠
« الخورنق	٢	٥١
ك		
كثير	٩	٢٧٦
كعب الاشقري	١٤	٤٢٧
ل		
لبيد	١٥	٤٥١
ليلى الاخيلية	١١	٣٥٠
م		
ماني الموسوس	٢٣	٦٥٩
متيم الهشامية	٧	٢٢٧
مجنون بني عامر	٢	٣٧
محبوبة	٢٢	٦٣٩
محمد النميري	٦	١٩٢
مخارق	١٨	٥٣٥
مروان الاصغر	١٢	٣٦٠
مسكين الدارمي	٢٠	٥٨١
مسيلمة وسجاح	٢١	٥٩٥
مضاض الجرهمي	١٥	٤٣١
مقتل جعفر البرمكي	١٢	٣٧٢
« مصعب بن الزبير	١٩	٥٥١
منصور النمري	١٣	٣٩٤
معبد	١	٤
موسى شهوات	٣	١٠٣
ن		
نابغة بني شيبان	٧	٢١٥
نائلة بنت الفرافصة	١٦	٤٧٩
نصيب	١	٢٧
« الاصغر	٢٢	٦٥٠
ه		
هلال	٣	٧٥
و		
وضاح اليمن	٦	١٩٤
ي		
يحيى المكي	٦	١٩١

تصحيح أخطاء

نعتذر الى القراء آسفين لوقوع أخطاء مطبعية رغم جهدنا في تلافيها . وداء الاخطاء في التنضيد قديم في المطابع . نرجو القراء اصلاح هذه الاخطاء الآتي ذكرها حسب الصفحات والأسطر قبل البدء بالمطالعة لئلا تقع العين في السرد على هذا الخطأ فيختل المعنى . وقد يجد المطالع بعض اخطاء مطبعية طفيفة سوى هذه لا تخفى على اللبيب وهي برهان على ان الكمال هو لله وحده سبحانه ، فعذرًا وشكرًا .

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤٣	الاول	بوابةِ	بوابهِ	٤٩٦	الاخير	تُصَفِّق	تُصَفَّق
١٥٩	في الحاشية	حاملت	حاملة	٤٩٧	٣	فرددتَها	فرددتُها
١٨٣	٤	تَصبك	تُصبك	٥١٨	٢٣	غشّاةُ	غشّاهُ
٢٣٠	١٧	السواءات	السوءات	٥٧١	١٧	يؤاتينني	يؤاتيني
٢٣٩	٧	باعٍ	باعِ	٥٨٧	١	سِواءٌ	سَواءٌ
»	٨	يسيف	بسيف	٥٩٢	٦	سَكَرَتُ	سَكِرتُ
»	١١	بِشَرًا	بِشْرًا	٥٩٩	١٦	الفضةَ البيضاءَ سائلةً	الفضةُ البيضاءُ سائلةٌ
٢٥٦	١٤	دواءُ داءَ	دواءَ داءٍ	٦٠١	١٨	يَبُلٌ	يَبُلُّ
٢٦٨	٩	يا جريرٌ	يا جريرُ	٦١٧	١٢	تُخفُقُ	تَخفُقُ
»	٢٣	شداءٌ	شِواءٌ	٦١٨	١	فرارِه	فرارُه
٢٦٩	١٥	طَيبُه	طيبُه	٦٢٤	١٧	يُنشق	يَنشق
»	١٩	فنبّهتَ	فنبّهتُ	٦٢٨	٩	المنونَ	المنونِ
٢٨٢	الاخير	يَطرِقُ	يَطرُقُ	٦٣٢	٩	يُصفق	تُصفّقُ
٢٩٦	الاخير	غرّاءَ فرعاءَ	غرّاءُ فرعاءُ	٦٤٨	٢٤	فأنني	فإنني
٣٠٢	٢٤	كأنيَّ	كأنيَ	٦٧٥	٨	صهباءُ	صهباءَ
٣٢٥	٣	المِتاع	المَتاع	٦٧٧	٦	وكابرُ	وكابرْ
٣٧١	١٩	فاربَعاً	فاربَعَا	٦٨٠	٨	ووجهٌ	ووجهٍ
٤٠٢	الاخير	أَسَرَّ	أسِرَّ	٦٨١	٥	بيُهكَنَةِ	بِبَهكَنَةٍ

ابو قطيفة

هو عمرو بنُ الوليدِ بن عقبةَ ابنِ اميةَ ، ويُكنّى ابا الوليدِ . وابو قَطيفةَ لقبٌ لُقِبَ به . وهو واهلُه من العنابسِ من بني اميةَ . كان لامية من الوَلَد احدَ عشرَ ذكرا : الاعياصُ والعنابسُ .

الاعياص : العاصُ ، وابو العاصِ ، والعيصُ وابو العيصِ ، والعُوَيصُ .

والعنابسُ : حربٌ، وابو حربٍ، وسُفيانُ، وابو سُفيانَ، وعمرو، وابو عمرو. وانما سُمُّوا العنابسَ لانهم ثَبَتوا مع اخيهم حربٍ بعُكاظَ وقاتلوا قتالا شديدا، فشُبِّهوا بالأسُد. والاسُدُ يقال لها العنابسُ ، واحدتُها عَنْبسةٌ .

وفي الاعياص يقول عبدُ الله بنُ فَضالةَ الأسَدي ، وكان اتى عبدَ الله بنَ الزُبَيرِ فقال له : نَفِدَت نفقتي ونَقِبت[1] راحلتي . قال : أحضِرها . فأحضرَها . فقال : أقبِل بها . أدبِر بها . ففعل . فقال : ارقَعها بسِبتٍ واخصفها بهُلب وانجِدْ بها يَبرُد خفُها وسِر البَردَين[2] تَصِح . فقال ابنُ فَضالةَ : إني اتيتُك مُستحمِلا[3] ولم آتِك مُستوصِفا . فلَعَنَ اللهُ ناقةً حملتني اليك . قال ابنُ الزبير : إنَّ[4] وراكبَها . فانصرفَ عنه ابنُ فَضالةَ وقال:

اری الحاجاتِ عندَ ابي خُبَيبٍ نُكِدنَ[5] ولا اميةَ بالبلادِ
منَ الاعياصِ أو من آل حربٍ أغرَّ[6] كغُرَّةِ الفرسِ الجوادِ

ابو خُبيبٍ : عبدُ الله بنُ الزُبيرِ . وخُبيبٌ هو اكبرُ وَلَدِه ولم يكن يُكنّيه به الا مَن ذمَّه .

فلما وَلِيَ عبدُ الملك بعثَ الى فَضالةَ يطلبُه فوجده قد مات فأمر لورثته بمئة ناقةٍ تَحمِل اوقارَها بُرًّا وتَمرا .

بعد موت معاويةَ بويع يزيدُ ابنُه . فخلعه عبدُ الله بنُ الزبير في مسجدِ المدينة ومالأه على ذلك اكثرُ الناس وخلعوا يزيدَ واظهروا البراءةَ منه . قال الاولُ : خلعتُ يزيدَ كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه . وقال آخر : خلعتُه كما خلعت نَعلي . وقال آخر: خلعتُه كما خلعتُ خُفّي.

---

(١) نقب البعير : رقت اخفافه . والخف من البعير كالحافر من الفرس. (٢) السبت : جلد البقر المدبوغ . اخصفها: اخرزها . الهلب : شعر الخنزير . انجد : خذ في بلاد نجد وهي موصوفة بالبرد . البردان: اول الليل واول النهار . تصح: تصير صحيحة . (٣) طالبا جائزة . (٤) ان : بمعنى نعم . اي نعم وراكبها . (٥) نكده حاجته : منعه اياها ولم يقضها . (٦) أغر : ذو الغرة من الخيل وهي رصيعة بياض في الجبين تدل على النجابة والأصالة ، والابيض المشرق من كل شيء ، والسيد الشريف المجيد ، وهو هنا بمعنى : الناصع الجبين بما له من فضل وسؤدد .

حتى كَثُرت العمائمُ والنعالُ والخفافُ ، وأجمعوا على إخراجِ بني امية عن المدينةِ .

وكان ابو قَطيفة من شعراءِ قريشٍ وكان ممن نفاه ابنُ الزبيرِ مع بني امية الى الشام . فقال في ذلك :

وما اخرجَتنا رغبــةٌ عن بــلادِنا ولكنَّه ما قَــدَّرَ اللهُ كائــنُ

أَحِنُّ الى تلك الوجــوهِ صَبابــةً كأني اسيرٌ في السلاسلِ راهِنُ (١)

اذا بَرقتْ نحو الحجــازِ سَحابــةٌ دعا الشوقَ مني برقُها المتباينُ (٢)

وقال ايضا :

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّــاءُ بينَهمــا أشهى الى القلبِ من أبواب جَيرُونِ

الى البَلاطِ بما حــازت قرائنُــه دُورٌ نَزحنَ عن الفَحشاءِ والهُونِ

قد يَكتُمُ الناسُ أسراراً فأَعلَمُها ولا ينالون حتى الموتِ مَكنوني

القصر الذي عناه : قصرُ سعيدِ بنِ العاص بالعَرصةِ . والنخلُ : نخلٌ كان لسعيدٍ بين قصرِه والجمَّاء ، وهي ارضٌ كانت له . وابوابُ جَيرونَ بدمشقَ . والقرائنُ : دُورٌ كانت لبَني سعيدِ بنِ العاصِ متلاصقةٌ سُمِّيت بذلك لاقترانها . نزحنَ : بَعُدنَ . والهُون : الهوان . المكنون : المستور .

قيل : إن ابنَ الزبير لما بَلَغَه شعرُ ابي قطيفةَ هذا قال : حَنَّ ، واللهِ ، ابو قطيفةَ : مَن لَقِيَه فليُخبِره أنه آمِنٌ ، فليرجِع . فأُخبِر بذلك . فانكفأ الى المدينة راجعا ، فلم يَصِل اليها حتى مات .

(١) الراهن : الدائم ، والمعد ، والمحبوس المقيد وهو هنا بالمعنى الثالث . (٢) المتباين : المتفارق ، ويعني : البرق المتقطع ومضاً إثر ومض .

قصر سعيد وبيعه من معاوية

إن سعيدَ بنَ العاصِ لما حضرته الوفاةُ وهو في قصره هذا ، قال له ابنُه عمرٌو : لو نزلتَ الى المدينة ! فقال : يا بُنَيَّ إن قومي لن يَضِنُّوا علي بان يَحملوني على رقابهم ساعةً من نهار . واذ انا مُتُّ فآذِنهم (١) . فاذا واريتَني فانطلق الى معاويةَ فانعَني له ، وانظُر في دَيني . واعلم أنه سيَعرِض عليك قَضاءه فلا تفعل . واعرِض عليه قصري هذا ، فإني إنما اتخذتُه نُزهةً وليسَ بمال .

فلما مات آذَنَ به الناسَ فحملوه من قصره حتى دُفِن بالبَقيع ، ورواحلُ عمرِو بنِ سعيد مُناخَةٌ (٢) . فعزّاه الناسُ على قبرِه وودَّعوه . فكان هو اولَ من نعاه لمعاويةَ . فتوَجَّع له وترحَّم عليه. ثم قال: هل ترك دَينا؟ قال: نعم. قال: كم هو؟ قال: ثلاثُمئةِ الفِ درهم . قال: هي عليّ. قال : قد ظنَّ ذلك وامرني ألاّ اقبلَه منك ، وأن أعرضَ عليك قصرَه بالعَرصَة . قال : قد اخذتُه بدَينه. فحملها وفرَّقها في غُرَمائه (٣) وكان اكثرُها عِدات (٤) . فاتاه شابٌ من قريشٍ بصكٍ فيه عشرون الفَ درهمٍ بشَهادةِ مَولىً له عليه. فأرسَلَ الى المولى فأقرأه الصكَّ. فلما قرأه بكى وقال: نعم هذا خطُّه وهذه شَهادتي عليه. فقال له عمرٌو: من اينَ يكونُ لهذا الفتى عليه عشرون الفَ درهمٍ، وانما هو صُعلوكٌ من صعاليكِ قريشٍ ؟ قال : أخبِرُك عنه : مرَّ سعيدٌ بعدَ عزلِه ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار الى منزلِه ، فوقف له سعيدٌ فقال : ألك حاجةٌ ؟ قال : لا . إلاّ أني رأيتُك تمشي وحدَك ، فأحببتُ ان أصِلَ جَناحَك . فقال لي : آتِني بصحيفةٍ . فأتيتُه بهذه . فكتب له على نفسه هذا الدَينَ وقال : إنك لم تُصادِف عندنا شيئاً فخُذ هذا . فاذا جاءنا شيءٌ فأتِنا . فقال عمرٌو : أعطِه إياها .

كان الرجلُ يأتي سعيدَ بنَ العاصِ يسألُه فلا يكون عنده فيقول : ما عندي ، ولكن اكتُبْ عليَّ به . فيكتُبُ عليه كتابا فيقول : أتَروني اخذتُ منه ثَمنَ هذا ؟ لا . ولكنه يجيء فيسألُني فينزو (٥) دمُ وجهِه في وجهي فأكرَهُ ردَّه .

---

(١) فأعلمهم . (٢) رواحل : جمع راحلة : النوق . مُناخة : باركة . (٣) غرماؤه : دائنوه . (٤) هبات وعد بها.
(٥) ينزو : يتحرك ويثب . وهذا التركيب من كنايات العرب المستملحة ومعناه : انه يطالبني بما يتوق اليه كأنه انبعاث الشهوة الضارعة فيختضب وجهي بحمرة وجهه ، كما لو كنت التائق السائل .

معبد

هو مَعبدُ بنُ وهبٍ مولى ابنِ قَطَن . كان ابوه اسودَ وكان هو خِلاسيًّا[١] مديدَ القامةِ أحولَ . وُلِدَ ونَشأ في المدينة. ويكنّى أبا عبّاد . مات في ايام الوليد بن يزيدَ بدمشقَ وهوَ عنده ، وقيل إنه أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطَل صوته.

قال كَرْدَمُ بنُ معبدٍ :

ماتَ ابي وهو في عسكرِ الوليدِ بن يزيدَ وانا معه . فنظرتُ ، حين أُخرِج نعشُهُ، الى سَلاّمةِ القسِّ (جاريةِ يزيدَ بنِ عبدِ الملك) وقد أضربَ الناسُ عنه يَنظُرون اليها وهي آخذةٌ بعَمودِ السريرِ وهي تبكي ابي وتقولُ :

قد لعمري بِتُّ ليلي كأخي الداءِ الوجيعِ
ونجيُّ[٢] الهمِّ مني باتَ أدنى من ضجيعي
كلّما ابصرتُ رَبعاً خالياً فاضت دُموعي
لا تَلُمنا إن خَشَعنا أو هَمَمنا بخُشوعِ

وكان يزيدُ امرَ ابي ان يُعَلِّمَها هذا الصوتَ ، فعلّمها اياه فندبته به . الشعرُ للأحوصِ والغِناءُ لمَعبدٍ .

قال اسحاقُ المَوصِلي :

كان معبدٌ من أحسنِ الناسِ غِناءً وأجودِهم صَنعةً وأحسنِهم خَلْقاً . وهو فَحلُ المغنين وإمامُ اهلِ المدينةِ في الغناء .

قال معبد : والله لقد صنعتُ ألحاناً لا يَقدرُ شَبعانُ ممتلئٌ ولا سَقّاءٌ يَحمِلُ قِربةً على التَرَنُّمِ بها . ولقد صنعتُ ألحانا لا يَقدرِ المُتَّكِئُ ان يترنَّمَ بها حتى يَقعُدَ مُستوفِزاً[٣] ولا القاعدُ حتى يَقومَ .

قيل لمعبد : كيف تَصنعُ اذا اردت ان تصوغَ الغِناء؟ قال : أرتَحِلُ قَعودي[٤] وأوقِعُ القضيبَ على رَحلي ، واترنمُ عليه بالشعرِ حتى يَستويَ لي الصوتُ .

---

(١) الولد من ابوين ابيض واسود . (٢) نجي: المسارو ، والسريع ، وهو هنا بمعنى : المخامر الملازم للقلب . (٣) لعدة المستوفز هي لعدة الجالس على هيئة كأنه يريد الوثوب . (٤) القعود: الجمل.

قال معبد : قَدِمتُ مكةَ فذهب بي بعضُ القُرَشيين الى الغريض (١) . فدخلنا عليه وهو مُتَصَبِّحٌ . فانتبهَ من صُبحته (٢) وقعدَ (٣) فسلّمَ عليه القرشيُّ وسأله فقال له : هذا معبدٌ قد أتيتُك به ، وانا أُحبُّ أن تَسمعَ منه . قال : هات . فغنيتُه اصواتاً . فقال (٤) بمدرى معه في رأسه ، ثم قال : إنك يا معبدُ لمليحُ الغناء . قال : فأحفَظَني (٥) ذلك . فجثوتُ على رُكبتيَّ ثم غنّيتُه من صَنعتي عشرين صوتا لم يُسمَعْ بمثلها قطُّ ، وهو مُطرِقٌ (٦) واجمٌ (٧) قد تغيرَ لونُه حسَداً وخجَلا .

قال معبد : بَعثَ الي بعضُ امراءِ الحجازِ أن اشخَص الى مكةَ ، فشَخَصتُ. فتقدمت غُلامي في بعض تلك الايام ، واشتد علي الحرُّ والعَطشُ ، فانتهيتُ الى خِباءٍ فيه أسودُ ، واذا حِبابُ ماءٍ قد بُرِّدَت (٨) ، فملتُ اليه فقلتُ : يا هذا ، اسقِني من هذا الماء . فقال : لا . فقلت : فأْذَن لي في الكِنِّ (٩) ساعةً . قال : لا . فأنختُ ناقتي ولجَأتُ الى ظلّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الامير شيئاً من الغناء أقدَمُ به عليه ، ولعلي إن حركتُ لساني أن يَبُلَّ حلقي ريقي فيُخفِّفَ عني بعضَ ما أجِدُه من العطش . فترنمت بصوتي :

« القصرُ فالنخلُ فالجماءُ بينهما »

فلما سمِعَني الاسودُ ، ما شعَرتُ به الا وقد احتملَني حتى أدخلَني خِباءَه ، ثم قال : أي ، بأبي انتَ وامي ، هل لك في سَويقِ السُلتِ (١٠) بهذا الماءِ البارد ؟ فقلت : قد منعتَني أقلَّ من ذلك ، وشَربَةُ ماءٍ تُجزِئُني (١١) . قال : فسقاني حتى رَويتُ . وجاء غُلامي فأقمتُ الى وقت الرَّواحِ . فلما اردتُ الرِحلةَ قال : أي ، بأبي انت وامي : الحرُّ شديدٌ ولا آمَنُ عليك مثلَ الذي أصابَك . فأْذَن لي أن احمِلَ معك قِربةً من ماءٍ على عُنُقي وأسعى بها معك ، فكلّما عَطِشتَ سقَيتُك صَحناً وغنيتَني صوتا .

قلت : ذاك لك . فوالله ما فارقني يَسقيني وأُغنيه حتى بَلَغتُ المَنزِلَ .

كان معبدٌ خارجا الى مكةَ في بعض اسفاره فسَمِعَ في طريقه غِناءً ، فقصد الموضِعَ ، فاذا رجلٌ جالسٌ على حَرفِ بِركةٍ فارقٌ شعرَه حسَنُ الوجهِ ، واذا هو يغني :

حنَّ قلبي من بعد ما قد أنابا (١٢) ودعا الهمَّ شَجوُه فأجابا

(١) من مشاهير المغنين ، ستأتي ترجمته. (٢) صُبحة : نومة الغداء والصباح. (٣) قعد في هذا الاستعمال من الخطأ الشائع وكان صوابه : جلس ، لان القعود هو الاستواء على الارض من قيام ، بينما الجلوس الاستواء المذكور من اضطجاع او مثله . (٤) قال ابن الاثير : العرب تجعل القول عبارة عن جميع الافعال وتطلقه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده ، اى اخذ. وقال برجله اى مشى.وقالت له العينان سمعا وطاعة ، اى اومأت . وكل ذلك على المجاز والاتساع فهو هنا من هذا القبيل. والمراد انه حك رأسه بهذه المدرى ، وهي حديدة تشبه المشط . (٥) فأغضبني . (٦) مطرق : خافض الرأس . (٧) واجم : ساكت على غيظ. (٨) حِباب جمع حُب وهي الجرة صغيرة كانت ام كبيرة. (٩) الكن ما وقاك من حر او برد . ويراد به هنا ، الظل . (١٠) السلت : شعير لا قشر له ، كانه الحنطة ، يتبردون بسويقه في الصيف . والسويق : طعام يتخذ من مدلوق الحنطة او الشعير . (١١) تغنيني . (١٢) أناب : ارعوى وتاب .

– الشعر لعمر بن ابي ربيعة – فقرع معبدٌ بعصاه وغنّى :

منعَ الحياةَ من الرجال ونَفعَها حَدَقٌ تُقلّبُها النساءُ مِراضُ
وكأنَّ افئدةَ الرجالِ اذا رأوا حدَقَ النساءِ لنَبلِها أغراضُ(١)

– الشعر للفرزدق – فقال له الرجل : بالله انتَ معبدٌ ؟ قال : نعم . وبالله انت ابنُ سُرَيجٍ(٢) ؟ قال : نعم . والله لو عرفتُك ما غنيتُ بين يديك .

كان معبدٌ قد علّم جاريةً من جواري الحجاز الغناءَ – تُدعى ظَبيةً – وعُنيَ بتخريجها . فاشتراها رجل من اهل العراق فأخرجها الى البصرة وباعها هناك . فاشتراها رجل من اهل الأهواز(٣) فأُعجِبَ بها وذهبت به كلَّ مذهبٍ وغلبت عليه(٤). ثم ماتت بعد ان اقامت عنده برهةً(٥) من الزمان ، واخذ جواريه اكثرَ غنائها عنها . فكان لمحبته اياها واسفه عليها لا يزال يسأل عن أخبار معبدٍ واينَ مُستقرُّه ويُظهر التعصُّبَ له والميلَ اليه والتقديمَ لغنائه على سائر اغاني اهل عصره . وبلغ معبداً خبرُه فخرج من مكة حتى اتى البصرة . فصادف الرجلَ قد خرج في اليوم الى الاهواز ، فلم يجد غيرَ سفينةِ الرجل ، وليسَ يَعرفُ احدٌ منهما صاحبَه . فأمر الرجلُ الملاّحَ ان يُجلِسَه معه في مُؤخَّر السفينة ، ففعل ، وانحدروا . فلما صاروا في نهر الأبُلّةِ تَغَدَّوا وشَربوا وامر جواريَه فغنَّين ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر ، وعليه فروٌ وخُفّان غليظان وزيٌّ جافٍ(٦) من زيِّ اهل الحجاز ، الى ان غنت احدى الجواري :

– بانت سعادُ وامسى حبلُها انصرما –

– الشعرُ للنابغة ، والغناءُ لمعبد – فلم تُجِد أداءه . فصاح بها معبدٌ : يا جاريةُ ، إن غناءَك هذ ليس بمُستقيمٍ . فقال له مولاها ، وقد غضب : وانت ما يُدريك الغناءُ ما هو ؟ ألا تُمسكُ وتَلزَم شأنَك . فأمسكَ . ثم غنت اصواتا من غناء غيره وهو ساكت لا يتكلمُ . حتى غنت :

– يا ابنةَ الأزديِّ قلبي كئيبُ –

– الشعرُ لعبدِ الرحمن بنِ ابي بَكرٍ ، والغناءُ لمعبد – فأخلّت ببعضه . فقال لها معبد : يا جاريةُ ، لقد أخلَلتِ بهذا الصوت إخلالا شديدا . فغضب الرجل وقال له : ويلَكَ ما انت والغناءُ ؟ ألا تَكُفُّ عن هذا الفَضولِ ؟ فأمسكَ معبد . ثم غنت إحداهن :

– خليليَّ عُوجا فابكيا ساعةً معي –

---

(١) أغراض : أهداف الرمي . (٢) من مشاهير المغنين ، ستأتي ترجمته . (٣) منطقة من ايران فيها مدينة عبادان .
(٤) اى خلبت لبه واستهوته . (٥) برهة : المدة الطويلة من الوقت ، وإن شاعت خطأً اليوم بمعنى الهنيهة . (٦) غليظ .

ـ الشعر لكثير ، والغناءُ لمعبد ـ فلم تَصنع فيه شيئا . فقال لها معبد : يا هذه ، اما تَقوَين على أداء صوت واحد ؟ فغضب الرجل وقال له : ما أراك تَدَعُ هذا الفَضولَ بوجه ولا حيلة . وأُقسِمُ بالله : لَئِن عاودتَ لأُخرِجنَّك من السفينة . فأمسكَ معبدٌ ، حتى اذا سكَتت الجواري سكتةً اندفع يُغني الصوتَ الأولَ حتى فرَغ منه . فصاح الجواري : أحسنتَ والله ، يا رجلُ ، فأعِده . فقال : لا ، والله ، ولا كرامةَ . ثم اندفع يغني الثاني . فقُلنَ لسيدهِنَّ : ويحَك[1] . هذا والله احسنُ الناسِ غناءً ، فسَله أن يُعيدَه علينا ولو مرةً واحدة لعلّنا نأخُذُه عنه ، فانه ان فاتَنا لم نَجِد مثلَه ابدا . فقال : قد سمِعتُنَّ سُوءَ ردِّه عليكُنَّ . وانا خائفٌ مثلَه منه ، وقد أسلفناه الإساءةَ ، فاصبِرن حتى نُدارِيَه . ثم غنى الثالثَ ، فزلزل عليهم الأرضَ . فوثب الرجلُ فخرج اليه وقبَّل رأسَه وقال : يا سيدي ، أخطأنا عليك ولم نعرف مَوضعك . فقال له : فهَبكَ لم تعرِف موضِعي ، قد كان ينبغي لك ان تتثبَّتَ ولا تُسرِعَ اليَّ بسُوءِ العِشرة وجَفاءِ القول . فقال له : قد اخطأتُ ، وانا اعتذر اليك مما جرى ، وأسألُكَ ان تَنزِلَ الي وتَختلطَ بي . فقال : أمَّا الانَ فلا . فلم يزل يَرفُقُ به حتى نزَل اليه . فقال له الرجل : ممن أخذتَ الغِناء ؟ . قال : من بعض اهل الحجاز . فمن اينَ اخذَه جواريك ؟ قال : اخذنَه من جارية كانت لي ابتاعَها رجل من اهـــل البَصرة من مكةَ وكانت قـد اخذت عن ابي عَبَّـاد معبد وعُنِي بتخريجهـا . فكانت تَحِلُّ مني مَحَلَّ الروحِ من الجسد . ثم استأثرَ اللهُ بهـا ، وبقي هؤلاءِ الجواري وهُنَّ من تعليمِها . فأنا الانَ أتعصَّبُ لمعبد وأُفضِّلُه على المغنين جميعا وأُفضِّلُ صَنعتَه على كل صَنعة . فقال له معبد : أوَأنك لأنت هو . أفتعرفُني ؟ قال : لا . فصَكَّ[2] معبدٌ بيده صَلعتَه وقال : فأنا ، والله ، معبد ، واليك قَدِمتُ من الحجاز ، ووافَيتُ البصرةَ ساعةَ نزَلتَ السفينةَ لأقصدَك بالأهواز . والله لا قَصَّرتُ في جواريك هؤلاء ولأَجعلَنَّ لك في كل واحدةٍ منهن خلَفا من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري علي يديه ورجليه يقبلونها ويقولون : كتمتَنا نفسَك طولَ هذا حتى جَفوناك في المُخاطبة ، وأسأنا عِشرتَك وانت سيدُنا ومَن نتمنى على الله أن نَلقاه . ثم غيَّر الرجلُ زيَّه وخلع[3] عليه عِدَّةَ خِلَع ، واعطاه في وقته ثلاثَمئةِ دينارٍ وطيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه الى الاهواز فأقام عنده حتى رضي حِذْقَ جواريه .

اشتاق الوليد بن يزيدَ الى معبد ، فوجَّهَ اليه الى المدينة فأُحضِرَ . فأمر ببِركةٍ بينَ يدي مجلِسه فمُلِئت ماءَ وردٍ وقد خُلِط بمِسكٍ وزَعفرانٍ . وبُسِط لمعبدٍ مُقابِلَه على حافَّة البِركة ، ليس معهما ثالثٌ . وجِيءَ بمعبد فرأى سِترا مُرخىً ومجلِسَ رجلٍ واحد . فقال له الحُجَّابُ : يا معبدُ ، سَلِّم على امير المؤمنين ، واجلِس في هذا الموضِع . فسَلَّم ، فردَّ عليه الوليدُ السلامَ من خَلفِ

(١) ويحك : كلمة تحذير تقال للصديق او الحبيب ، وتقابلها « ويلك » التي تقال للعدو او البغيض . (٢) صك : لطم تعجباً .
(٣) خلع عليه : أعطاه وكساه .

السترِ ، ثم قال له : حيّاكَ اللهُ يا معبدُ . ذكرتُكَ فأحببتُ ان اسمعَ منك . قال معبدٌ : أأغني ما حَضَرَ ام ما يقترحُه اميرُ المؤمنين ؟ قال : بل غنِّ :

ما زال يعدو عليهم رَيبُ[١] دهرِهِم ... حتى تفانَوا ورَيبُ الدهرِ عَدّاءُ

فغنّاه . فما فرغ منه حتى رفعَ الجواري السِجْفَ[٢] . ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبلَه الجواري بثيابٍ غيرِ الثيابِ الاولى ، ثم شَرِبَ وسقى معبداً ، ثم قال له : غنِّ يا معبد :

يا رَبعُ مالَكَ لا تُجيبُ مُتَيَّما[٣] ... قد عاج[٤] نحوَكَ زائراً ومُسلِّما

لو كنتَ تَدري مَن دعاك أجبتَهُ ... وبَكَيتَ مِن حُرَقٍ عليه إذاً دَما

فغناه . واقبل الجواري فرفعن السترَ . وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، ثم شرب وسقى معبدا ، ثم قال له : غنِّ .

عَجِبَتْ لَمّا رأتْني ... أندبُ الربعَ المُحيلا[٥]

واقفاً في الدار أبكي ... لا ارى إلا الطُلولا[٦]

كلّما قلتُ اطمأنّتْ ... دارُهم قالوا الرحيلا[٧]

فلما غناه رمى نفسه في البركة ثم خرج ، ثم شرب وسقى معبدا ، ثم اقبل عليه فقال له : يا معبدُ ، مَن أرادَ ان يَزدادَ عندَ الملوكِ حُظوةً فليكتُمْ اسرارَهم . ثم قال : يا غُلامُ ، احمِلِ الى معبدٍ عشرةَ آلافِ دينارٍ تُحَصَّلُ له في بلده ، وألفَي دينارٍ لنَفَقَةِ طريقِه . فحُمِلت اليه .

قال معبد : فبينا انا يوما في بعض حَمّامات الشام اذ دخل عليَّ رجل له هيبةٌ ومعه غِلمانٌ له. فاطّلى[٨] واشتغل به صاحبُ الحَمّام عن سائر الناس . فقُلت : والله لئِن لم أُطلِع هذا على بعض ما عندي لأكونَنَّ بمَزجَرِ الكلب[٩] . فاستدبرتُه[١٠] حيث يراني ويَسمعُ مني ، ثم ترنمتُ ، فالتفتَ اليَّ وقال للغلمان : قَدِّموا اليه ما ها هنا . فصار جميعُ ما كان بين يديه عندي . قال : ثم سألني أن أسيرَ معه الى منزِله ، فأجبته . فلم يَدَع من البِرِّ والإكرام شيئا الا فَعَلَه . ثم وُضع النبيذُ . فجعلتُ لا آتي بحَسَنٍ إلا خرجتُ الى ما هو احسنُ منه ، وهو لا يرتاح ولا يَحفَلُ لما يرى مني. فلما طال عليه امري قال: يا غُلامُ ، شيخَنا ، شيخَنا . فأُتيَ بشيخ . فلما رآه هشَّ اليه[١١] . فاخذ الشيخ العودَ ثم اندفع يغني :

سِنَّورُ في القِدر وَيلي عَلَوه[١٢] ... جاء القطُّ أكَلَه وَيلي عَلَوه

(١) ريب الدهر : المفجع من حوادثه. (٢) السجف : أحد شقي الستارة. (٣) متيم : الواله حباً المذهوب العقل هوى وغراماً.
(٤) عاج : عطف راجعاً. (٥) الذي اتت عليه احوال فغيرته. (٦) الطلول جمع طلل وهو الشاخص من الآثار.
(٧) أي كلما مثّت النفس ووطنتها على الاستقرار بادر قائلهم : هلم رحيلا. (٨) اطّلى : ادّهن.
(٩) زجر الكلب : ابعده. بمزجر الكلب : اى بمقدار ما يكون الكلب بعيداً عنك. (١٠) عكس استقبله، اي جلست وراءه.
(١١) هش اليه : انشرح سروراً. (١٢) لهجة شامية في كلمة «عليه».

– السلور : السمك الجِرِّيُّ بلُغة اهلِ الشامِ – قال : فجعل صاحبُ المنزلِ يصفّقُ ويَضربُ برجله طربا وسرورا . ثم غناه :

وتَرميني حَبيبةُ بالدُّراقِنْ وتَحسَبُني حَبيبةُ لا أراها

– الدُّراقن : الخوخ بلُغَة اهل الشام – قال : فكاد أن يَخرُجَ من جلده طربا . قال : وانسللتُ منهم فانصرفتُ ولم يَعلم بي . فما رأيتُ مثلَ ذلك اليومِ قطُّ غناءً أضيَعَ ولا شيخاً أجْهَلَ .

قال يزيدُ بنُ عبد الملك يوما لمعبد : يا ابا عَبَّادٍ إن الذي أجِدُه في غنائك لا أجده في غناء ابنِ سُرَيجٍ . اجد في غنائك مَتانةً وفي غنائه انخناثا ولِينا . أفتَقدِرُ ان تَحكيَ رقيقَ ابنِ سُرَيجٍ ؟ قال : نعم . فصنع من وقته لحنا من الخفيف في :

ألا للـــه قـــومٌ وَلدتْ اختُ بـــني سَهْمِ

فغناه . فصاح يزيد : احسنت، والله، يا مولاي . أعِد ، فِداك ابي وامي . فأعاد . فرد عليه مثلَ قوله الاول . فأعاد . ثم قال : اعد ، فِداك ابي وامي . فأعاد . فاستخفَّه الطربُ حتى وثب وقال لجواريه : إفعَلنَ كما أفعَلُ . وجعل يَدور في الدار ويَدُرنَ معه وهو يقول :

يـــا دارُ دَوِّريـــني يـــا قَرقَـــرُ امسُكيني

فلم يَزَل يدورُ كما يدور الصبيانُ ويدُرنَ معه حتى خرَّ مَغشِيّاً عليه ، ووقَعنَ فوقَه ما يَعقِلُ ولا يَعقِلنَ . فابتدرَه[١] الخدَمُ واقاموا مَن كان على ظهرِه من جواريه وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

(١) ابتدره الخدم : استبقوا اليه سراعاً .

عمر بن أَبي ربيعة

هو عُمَرُ بنُ عبدِ الله بنِ ابي ربيعةَ بنِ المُغيرَةِ – قُرَشيٌّ – يُكَنّى ابا الخَطّابِ .

وُلد عمر بن ابي ربيعة ليلةَ قُتِلَ عمر بن الخَطّاب. فقيل: ايُّ حقٍ رُفِع وايُّ باطلٍ وُضع .

كانت العربُ تُقِرُّ لقريشٍ بالتقدم في كل شيء عليها الا في الشِعر ، حتى كان عمرُ بنُ ابي ربيعةَ فأقرّت لها الشعراءُ بالشعر ايضا .

قال سليمانُ بن عبد الملك لعمرَ بنِ ابي ربيعةَ : ما يَمنعُك من مدحنا ؟ قال : إني لا امدَح الرجال ، انما امدح النِساء .

وكان ابن جُرَيجٍ يقول : ما دَخل على العواتِق (١) في حِجالِهنَّ شيءٌ اضرُّ عليهنَّ من شعر عمرَ بنِ ابي ربيعةَ .

وسُئِلَ حمادٌ الراويةُ عن شعر ابنِ ابي ربيعةَ فقال : ذاك الفُستُقُ المقشَّر .

لما مرض عمرُ مرضَه الذي مات فيه ، جَزِع اخوه جزَعا شديدا فقال له عمر : أحسَبُك إنما تَجزَع لِما تَظنُّه بي . والله ، ما أعلَم أني رَكِبتُ فاحشةً (٢) قط . قال : ما كنت أُشفِق عليك الا من ذلك وقد سلّيتَ عني .

قال مُصعَبُ بنُ عُروةَ بنِ الزبير : خرجتُ انا واخي عُثمانُ الى مكةَ حاجَّين . فلما طُفنا بالبيتِ مضَينا الى الحَجَرِ نُصلّي فيه . فاذا شيخٌ قد فرَّج (٣) بيني وبين اخي . فأوسَعنا له . فلما قضى صلاته أقبل علينا فقال : مَن انتما ؟ فاخبرناه . فرحَّب بنا وقال : يا ابنَي اخي ، إني مُوكَّلٌ بالجَمال اتبَعُه ، وإني رأيتكما فراقَني حسنُكما وجَمالُكما . فاستمتِعا بشبابِكُما قبلَ ان تَندَما عليه . ثم قام . فسألنا عنه ، فاذا هو عمرُ بنُ ابي ربيعة .

عاش عمرُ ثمانين سنةً . فتَكَ (٤) منها اربعين سنة ، ونَسَكَ اربعين سنة .

قَدِمت امرأة مكةَ وكانت من اجمل النساء . فبينا عمرُ يَطوف اذ نظر اليها فوقعت في قلبه. فدنا منها فكَلَّمَها ، فلم تَلتفِت اليه .

فلما كان في الليلة الثانية جعل يَطلُبها حتى أصابها . فقالت له : إليك عني يا هذا . فإنك في حرَمِ الله. فلما كانت في الليلة الأخرى قالت لاخيها : اخرُج معي ، يا اخي ، فأرِني المَناسِكَ

(١) العواتق : جمع عاتق وهي الفتاة التي لحقت سن البلوغ ولم تزف الى زوج بعد . (٢) فاحشة : منكر ، والتعبير هنا كناية عن أنه لم يأت مأثماً . (٣) فرج : شق ، والمعنى أزاح ما بينهما وجلس . (٤) فتك : ركب متن أهوائه غير مبال .

فانيَ لستُ اعرفها . فأقبلَت وهو معَها . فلما رآها عمرُ اراد ان يَعرِضَ لها ، فنظر الى اخيها معها فعدَل عنها فتمَثَّلت المرأة بقول النابغة :

تَعدو الذئابُ على مَن لا كِلابَ له وتَتَّقي صَولةَ المستأسِدِ الحامي .

قال الخليفةُ المنصور ، وقد حُدِّثَ بهذا الخبر : ودِدتُ أنه لم تَبقَ فتاة من قريشٍ في خِدرِها إلا سَمِعَت بهذا الحديثِ .

أتى عمرُ عبدَ الله بنَ عبّاسٍ وهو في المسجد فقال : متَّعَني اللهُ بك . إن نفسي قد تاقت الى قول الشعر ونازعَتْني [١] اليه ، وقد قلت منه شيئا احببتُ ان تَسمَعَه وتَستُرَه علي . فقال : أنشِدني . فأنشَدَه :

أمِن آلِ نُعْمٍ انتَ غادٍ فمُبكِرُ

فقال له : انت شاعر يا ابن اخي ، فقل ما شئت . وأنشد عمرُ هذه القصيدةَ طَلْحةَ بنَ عبد الله الزُهري وهو راكب فوقف وما زال شانقا[٢] ناقتَه حتى كُتِبَت له .

كان جريرٌ اذا أُنشِدَ شعرَ عُمرَ قال : هذا شعرٌ تِهاميٌّ اذا أنجدَ [٣] وجد البَردَ ، حتى أُنشِدَ قولَه :

رأت رجلا أمّا اذا الشمسُ عارضت فيَضحَى وأمّا بالعَشيِّ فيَخصَرُ [٤]
قليلا على ظَهرِ المَطيَّةِ ظِلُّه سِوى ما نفى عنه الرداءُ المُحَبَّرُ [٥]
وأعجبَها من عَيشها ظِلُّ غُرفةٍ ورَيّانُ [٦] مُلتَفُّ الحدائقِ اخضرُ
ووالٍ [٧] كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها فليست لشيءٍ آخرَ الليلِ تَسهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القرشي يَهذي حتى قال الشعر .

عرَض يزيدُ بنُ معاويةَ جيشَ اهلِ الحرَّة . فمرَّ به رجل من اهل الشام معه تُرسٌ خَلَقٌ [٨] سَمِجٌ . فنظر اليه يزيدُ وضَحِك وقال : ويحَك ، تُرسُ عمرَ بنِ ابي ربيعةَ كان أحسنَ من تُرسك . يُريد قولَ عمر :

فكان مِجَنّي [٩] دُونَ مَن كنتُ اتّقي ثلاثُ شُخوصٍ : كاعبانِ ومُعصِرُ

(١) نازعتني : جاذبتني واشتاقت اليه . (٢) شنق البعير : جذبه بالشناق حتى يرفع رأسه . والشناق : الزمام . (٣) انجد طلع جبال نجد الباردة . (٤) عارضت الشمس : قابلت ، اي قابلته . يَضحى : يعرق من تعرضه للشمس . يَخصَر : تتقبض أطرافه من شدة البرد . (٥) المحبَّر : الموشى المنمق . وهو يعني انه متعجل حتى في الهاجرة التي لا يبدو لشيء معها ظل الا هذا المتضائل الذي يضفيه عليه الرداء . (٦) ريان : الممتلىء مائية . (٧) والٍ : الكافل القائم بما يلزم من الأمر . (٨) الخلق : البالي . للمذكر والمؤنث . والسمج : القبيح . (٩) ترسي.قال : ثلاث ، ولم يقل : ثلاثة ، حملا على المعنى، لانه اراد بالشخص المرأة الكاعب التي نهد ثديها . والمعصر التي دخلت في عصر شبابها .

شَبَّب عمر بزينبَ ، وكان ابنُ عَتيقٍ (١) وَصَفَها له فقال :

لا تَلُمني وانت زَيَّنتَها لـي انت مثلُ الشيطانِ للانسانِ
لم تَدَعْ للنساء عنديَ حَظًّا غيرَ ما قلتُ مازحا بلِسَاني
حين قالت لأختها ولأخرى من قَطينٍ (٢) مُولَّدٍ حَدِّثاني
كيف لي اليومَ أن ارى عُمرَ المُرسِلَ سِرًّا في القول أن يلقاني ؟
قالتا : نبتغي رسولا اليه ونُميتُ الحديثَ بالكِتمانِ

وقال فيها :

مَن لِسقيمٍ يَكتُم الناسَ ما به لزينبَ نجوى (٣) صدرِه والوساوسُ (٤)
وما نِلتُ منها مَحرَما غيرَ أننا كِلانا من الثَوبِ المُورَّدِ لابسُ

فأتى ابنُ ابي عتيقٍ عمرَ فقال له : يا عمرُ ، ألم تُخبرني أنك ما اتيتَ حَراما قطُّ ؟ فأخبِرني عن قولك :
«كِلانا من الثوب المُورَّدِ لابِسُ »
ما معناه ؟ قال : والله لأُخبِرنَّك . خرجتُ أريد المسجِد ، وخرجَت زينبُ تريده . فالتقينا فاتَّعد نا لبعض الشعاب (٥) . فلما توسَّطنا الشِعْبَ اخذتنا السماءُ (٦) . فكَرِهتُ ان يُرى بثيابِها بَلَلُ المطر ، فيُقالُ لها : ألّا استترتِ بسقائفِ المسجِد إن كنتِ فيه . فأمرتُ غِلماني فستَروننا بكِساءِ خزٍ كان عليَّ . فذلك حين اقول :
كِلانا من الثوب المُورَّدِ لابسُ .
فقال له ابن ابي عتيق : يا عاهرُ ، هذا البيتُ يحتاج الى حاضنة .

ذُكِر شعرُ الحارث بنِ خالدٍ وشعرُ عمرَ بنِ ابي ربيعةَ عند ابن ابي عتيقٍ فقال احدُهم : صاحبُنا ، يعني الحارثَ ، أشعرُهما . فقال له ابن ابي عتيق : بعضَ قولِك يا ابنَ اخي . لِشعرِ عمرَ نَوطَةٌ (٧) في القلب وعُلوقٌ بالنفس ودَرَكٌ للحاجة ليست لشعرٍ . وما عُصِيَ اللهُ ، جَلَّ وعزَّ ، بشعرٍ اكثرَ مما عُصِيَ بشعر ابن ابي ربيعة .

فقال الرجل : اليس صاحبُنا الحارثُ الذي يقول :

لو بُدِّلَتْ أعلى مساكِنها سُفلاً واصبح سُفلُها يَعلو

(١) ابن ابي عتيق هو عبد الله بن محمد ابي عتيق ، بن عبد الرحمن بن ابي بكر . (٢) القطين : الخدم والحشم . والمولَّد من العبيد والإماء : من ولد بين العرب ونشأ مع اولادهم . (٣) نجوى : المسارة في الحديث . (٤) الوساوس : واحدها وسواس : الحديث الخفي ، الهمس إلخ . (٥) الشعاب : واحدها شِعب : منفرج بين جبلين . (٦) اخذتنا السماء : تعبير كنائي بمعنى أمطرتنا ، أو غلبنا المطر . (٧) النَوطة : التعلق . من ناط .

لعرفتُ مَغناهــا بمـا احتملتْ مني الضلوعُ لأهلِـها قبـلُ

فقال له ابن ابي عتيق : يا ابن اخي ، أستُر على نفسك ، واكتُم على صاحبك ولا تُشاهد المحافلَ بمثل هذا . أما تَطيَّرَ(١) الحارثُ عليها حينَ قَلَّبَ ربعَها فجعل عاليَه سافلَه . ابن ابي ربيعة كان احسنَ صُحبةً للرَّبع من صاحبك وأجملَ مخاطبةً حيث يقول :

سائِلاَ الرَّبعَ بالبُلَيِّ(٢) وقُولا هِجتَ شوقا ليَ الغَداةَ طويلا

اين حيٌّ حَلُّوك اذ انت محفوفٌ بهم آهلٌ اراك جميلا

قال ساروا فأمعَنوا واستَقَلُّوا(٣) وبرَغمي لو استطعتُ سبيلا

سَئِمونا وما سئِمنا مُقامـا وأحبُّوا دَماثةً(٤) وسُهولا

فانصرف الرجل خَجِلا مُذعِنا.

وسمع جريرٌ هذه الابياتَ فقال : هذا الذي كنا ندور عليه فأخطأناه ، وأصابه هذا القرشي .

قال الوليد بنُ يزيدَ بن عبدِ الملك لاصحابه ذاتَ ليلة : ايُّ بيت قالته العرب اغزلُ ؟ فقال بعضهم : قولُ جميل :

يَموتُ الهوى مني اذا ما لَقِيتُها ويَحيا اذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر : قولُ عمرَ بن ابي ربيعة :

كأنني حينَ أُمسي لا تُكلِّمُني ذو بُغيةٍ يَبتغي ما ليس موجودا

فقال الوليد : حسبُك ، والله ، بهذا .

قال مُصعَبٌ : راق عمرُ الناسَ وفاق نُظَراءه وبرَعَهم بسهولة الشعر وشدة الأسرِ(٥) وحُسنِ الوصف ودقةِ المعنى واستنطاقِ الرَّبعِ ومخاطبة النساء وعِفَّةِ المقالِ وطَلاوةِ الاعتذار. وكان ، بعدَ هذا ، فصيحا .

كان عمر يَهوى امرأةً اسمُها اسماءُ ، غَضِبت وحَلَفت لا تزوره حَولاً . فبعث اليها امرأةً كانت تَختَلِف(٦) بينه وبينَ معارفهِ ، وكانت جَزْلَةً(٧) من النساء ، فاستَرضَتها فرضيت . فقال عمر :

طال ليلي وتَعنَّاني(٨) الطَّرَبْ واعتراني طولُ همٍّ ووَصَبْ(٩)

ارسلتْ اسماءُ في مَعتَبةٍ عَتِبَتها وهي أهوى مَن عَتَبْ

(١) تشاءم . (٢) البلي : مكان . (٣) جدوا في الارتحال . (٤) دماثة : استعمال دخله مجاز الحذف أي أرضاً لينة خصبة . (٥) الأسر : الأخذ الوثيق وهو هنا بالمعنى المجازي : الاستحواذ على اللب كأنه أخذ برباط . (٦) تتردد . (٧) عاقلة اصيلة الرأى . (٨) اوقعني في العناء والتعب . (٩) المرض .

فأتَتها طَبَّـــةٌ (١) عالِمـــةٌ تَخلِطُ الجِدَّ مِـــراراً باللعِـــبْ
تَرفَعُ الصوتَ إذا لانـــت لهـــا وتُراخي عند سَوراتِ(٢) الغضـــبْ
لم تزل تَصرِفُهـــا عن رأيِهـــا وتَأَنَّـــاها (٣) بِرفـــقٍ وأدبْ

وأنشدَ عمرُ ابنَ عتيقٍ هذه القصيدةَ ، فقال له : الناسُ يطلبون خليفةً في صِفةِ قَوَّادَتِك هذه يُدبِّرُ امورَهم فما يجدونه .

حج ابو الأسودِ الدُؤَليُّ ومعه امرأته وكانت جميلة . فبينما هي تطوف بالبيت اذ عَرَّض لها عمر . فأتت ابا الاسودِ فأخبرته . فأتاه ابو الاسود فعاتبه . فقال عمر : ما فعلتُ شيئا . فلما عادت الى المسجد عاد فكلَّمها . فأخبرت ابا الاسود . فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له :

وإني لَيَثنيني عن الجَهلِ والخَنـــا (٤) وعن شَتـمِ أقوامٍ خَلائِقُ أربَعُ
حَياءٌ وإسلامٌ وبُقيا (٥) وإنـــني كريمٌ ومثلي قد يَضُرُ ويَنفـــعُ
فشَتَّـــانِ ما بيـــني وبينَك إنـــني على كل حالٍ أستقيمُ وتَظلَعُ (٦)

فقال له عمر : لست اعود يا عَمُّ لكلامها بعدَ هذا اليومِ . ثم عاد فكلَّمها. فأتت ابا الاسود فأخبرته . فجاء اليه فقال له :

وانت الفتى وابنُ الفتى واخو الفـتى وسَيِّدُنا لولا خلائِقُ اربَـــعُ
نُكولٌ عن الجُلَّى وقُربٌ من الخَنا وبُخلٌ عن الجدوى وأنك تُبَّعُ (٧)

ثم خرجت وخرج معها ابو الاسود مشتمِلا على سيف . فلما رآها عمر اعرض عنها فتمثَّل ابو الاسود :

تعدو الذئابُ على مَن لا كِلابَ له وتَتقي صَولةَ المستأسدِ الحـــامي

اجتمع الفرزوق في المدينة بعمرَ فأنشده قصيدته الّتي يقول فيها :

فقُمنَ لكي يُخلينَنـــا فترقرقـــت مدامعُ عينيها وظَلَّت تَدَفَّقُ (٨)
وقالت : اما ترحمنّي ، لا تَدَعنّي لدى غَزِلٍ جَمٍّ الصَبابةِ يَخرُقُ (٩)
فقُلن : اسكُتي عنا فلستِ مُطاعَـــةً وخلُّك منا — فاعلمي — بكِ أرفَقُ

(١) حاذقة . (٢) سورات : واحدها : سورة ، الحدة والفورة . (٣) اصلها تتأناها . . تتمهل عليها .
(٤) الخنا : الفحش . (٥) شفقة ورحمة . (٦) تعرج و تغمز في مشيك . (٧) نكول : مصدر. نكل : نكص وجبن . الجل : مؤنث الاجل . الامر الاعظم . الخنا : الفحش . تبع : يتبع النساء . (٨) تتدفق . (٩) يحمق ، يفسد رأيه .

فصاح الفرزدق : انت ، والله ، يا ابا الخطاب ، أغزلُ الناس .

قال مولى لعمر : كنت مع عمر وقد أسنّ وضعُفَ ، فخرج يوما يمشي متوكئا على يديّ حتى مرّ بعجوز جالسة ، فقال لي : هذه فُلانةُ وكانت إلفاً لي . وعدّل اليها فسلم عليها وجلس عندها وجعل يحادثها . فأطلعَت رأسها الى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا ابو الخطاب عمرُ بنُ ابي ربيعةَ عندي ، فان كُنتن تشتهين ان ترينه فتعالين . فجئن الى مضرب قد حُجزنَ به دونَ بابها فجعلن يثقُبنه ويضَعن أعينُهن عليه يبُصرن. فاستسقاها عمر. فأُتي بماء فشرب ثم مَلأ فمه فمجّه[1] عليهن في وجوههن من وراءِ الحاجز . فصاح الجواري وتهاربن وجعلن يضحكن . فقالت له العجوز : ويلك! لا تَدعُ مُجونَك وسفَهَك مع هذه السنِ . فقال: لا تلوميني ، فما ملكتُ نفسي لِما سمعتُ من حركاتهن أن فعلتُ ما رأيتِ .

كان عمر جالسا بمِنىً في فِناء مضربه وغلمانُه حولَه، اذ اقبلت امرأة برْزة[2] عليها أثرُ النعمة ، فسلّمت ، فردّ عليها عمر السلام . فقالت له: انت عمر بن ابي ربيعة ؟ فقال لها : انا هو ، فما حاجتُك ؟ قالت : حيّاك اللهُ وقرّبك ! هل لك في مُحادثة أحسنِ الناسِ وجهاً ، وأتمِّهم خَلقا ، وأكملِهم أدبا ، وأشرفِهم حسَبا . قال : ما أحبَّ اليَّ ذلك . قالت : على شرط . قال : قولي. قالت: تُمكّنُني من عينيك حتى أشُدَّهما وأقودَك، حتى اذا توسّطتَ الموضعَ الذي أُريد حللتُ الشدَّ ، ثم أفعلُ ذلك بك عند إخراجِك حتى انتهيَ بك الى مضربك . قال : شأنَك . ففعلت ذلك به . قال عمر : فلما انتهتِ بي الى المضرَب الذي ارادت كشفَتْ عن وجهي ، فاذا انا بامرأة على كُرسيٍّ لم أرَ مثلَها قطُ جمالا وكمالاً . فسلّمتُ وجلستُ . فقالت : أأنت عمرُ بن ابي ربيعة ؟ قلت : انا عمر . قالت : انت الفاضحُ للحرائرِ ؟ قلت : وما ذاك ، جعلني الله فِداءَك ؟ قالت ألست القائل :

قالت وعيشِ أخي ونعمةِ والـــدي ... لأُنبِّهَنّ الحيَّ إن لم تَخرُجِ
فخرجتُ خوفَ يمينِهـــا فتبسمـــتْ ... فعلمتُ أنّ يَمينَها لم تَحرَجِ[3]

ثم قالت : قُم فاخرج عني . ثم قامت من مجلسها . وجاءت المرأة فشدت عينيّ ثم اخرجتني حتى انتهت بي الى مضربي وانصرفَتْ وتركتني . فحللتُ عينيّ وقد دخلني من الكآبة والحُزنِ ما اللهُ به أعلمُ ، وبِتُّ ليلتي . فلما اصبحتُ ، اذا انا بها . فقالت : هل لك في العَود ؟ فقلت : شأنَك . ففعلتْ بي مثلَ فعلِها بالامسِ حتى انتهت بي الى الموضِع . فلما دخلتُ ، اذا بتلك الفتاةِ على كُرسيٍّ فقالت : إيهِ[4] يا فضّاحَ الحرائر . قلت : بماذا ، جعلني اللهُ فِداءَك ؟ قالت : بقولك :

وناهدةِ الثديين قلتُ لهـــا اتّكـــي ... على الرمل من جبّانةٍ[5] لم تُوسَّدِ

(١) مجه : لفظه من فمه . (٢) البرزة : البارزة الجمال او التي تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون معها . (٣) اى لم تكن جادة . فلم تأثم اذا لم تبرَّ فيها . (٤) كلمة استزادة واستنطاق . فاذا قلت : ايهِ يا رجل ، فانما تأمره بان يزيدك من الحديث المعهود بينكما . واذا قلت: ايهٍ – بتنوين الكسر – يا رجل ، فانما تطلب منه حديثا. (٥) الجبانة : هنا بمعنى الصحراء.

فقالت على اسم الله امرُك طاعـــةٌ وان كنتُ قد كُلِّفتُ ما لم أُعَوَّدِ
فلما دنا الإصباح قالت : فضحتَـني فقم غيرَ مطرودٍ وإن شئتَ فازدَدِ

ثم قالت : قم فاخرج عني . فقمت فخرجت ثم رُددتُ . فقالت لي : لولا وَشكُ الرحيلِ وخوفُ الفَوتِ ، ومحبتي لمناجاتك والاستكثارِ من محادثتك ، لأقصيتُك . هاتِ الآن كلّمني وحدّثني وأنشدني . فكلمتُ آدبَ الناسِ وأعلَمهم بكل شيء . ثم نهضَتْ وابطأت العجوزُ وخلا لي البيتُ . فأخذتُ انظرُ فاذا انا بتَورٍ (١) فيه خَلوقٌ (٢) فأدخلتُ يدي فيه ثم خبأتُها في ردني . وجاءت تلك العجوز فشدَّت عينيَّ ونهضَتْ بي تقودني ، حتى اذا صرتُ على باب المضرب أخرجتُ يدي فضربتُ بها على المضرَب ، ثم صرتُ الى مضربي . فدعوتُ غلماني فقلت : أيُّكم يقفُني على باب مضربٍ عليه خَلوقٌ كأنه أثرُ كفٍ ، فهو حرٌّ وله خمسُمئةِ درهم . فلم ألبَث أن جاء بعضُهم فقال : قم . فنهضت معه ، فاذا انا بالكف طريةً ، واذا المضربُ مضربُ فاطمةَ بنتِ عبد الملك بنِ مروانَ . فأخذتْ في أُهبَةِ الرحيل . فلما نفرَتْ نفرتُ معها . فبَصُرتْ في طريقها بقِبابٍ ومِضرَبٍ وهيئةٍ جميلة ، فسألت عن ذلك فقيل لها : هذا عمر بن ابي ربيعة . فساءها الامرُ وقالت للعجوز التي كانت تُرسلها : قولي له : نشدتُك اللهَ والرَحِمَ أن تَصحبَني (٣) ويحَك ! ما شأنُك ، وما الذي تريد ؟ انصرفْ ولا تفضحْني وتَشيطَ (٤) بدمك . فأدَّت العجوزُ ما قالت لها فاطمةُ . فقلت : لستُ بمنصرفٍ او تُوجِّهَ اليَّ بقميصها الذي يلي جلدَها . فأخبرتْها ففعلتْ .

كان عمر مُسهبًا (٥) بالثُريّا بنتِ علي ابنِ اميةَ الاصغرِ ، وكانت عُرضَةَ (٦) ذلك جمالا وتماما ، وكانت تَصيفُ بالطائف. وكان يسأل الرُكبانَ الذين يحملون الفاكهةَ من الطائف عن الاخبار قِبَلَهم . فلقِيَ يوما بعضَهم فسأله عن اخبارِهم فقال : ما استطرفنا خبرًا الا أنني سمعتُ عند رحيلنا صوتا وصياحا على امرأة من قريشٍ اسمُها اسمُ نجمٍ في السماء وقد سقط عني اسمُه . فقال عمر : الثريا ؟ قال : نعم . فوجَّه فرسَه على وَجهِهِ الى الطائف يَركُضُه مِلءَ فُروجِهِ (٧) وسلَكَ طريقَ كَدَاء ، وهي اخشنُ الطرق واقربُها ، حتى انتهى الى الثريا وقد توقَّعتْه وهي تتشوَّفُ له وتُشرِفُ ، فوجدها سليمة . فأخبرها الخبرَ فضحِكت وقالت : انا ، والله ، امرتُهم لِأَختبرَ ما لي عندكَ . فقال عمر في ذلك هذا الشعر :

تَشكَّى الكُميتُ الجريَ لما جَهدتُه وبَيَّنَ لو يَسطيعُ أن يَتكلما
فقلتُ له إن ألقَ للعينِ قُـــرَّةً فهانَ عليَّ أن تَكِلَّ وتَسأَمـا

(١) اناء صغير . والتور أيضاً هو الرسول الذي يتردد ويدور بين العشاق . وليس بمقصود هنا . (٢) نوع من الطيب اكثره من الزعفران . (٣) تريد : أن لا تصحبني . يقال : نشدتك الله ونشدتك بالله وناشدتك الله. اي سألتك به برفع نشيدي اى صوتي والمراد هنا : سألتك بالله الا تشهرني . وقد تحذف لا اذا وقعت قبل المضارع في جواب القسم . كما جاء : تالله تفتأ تذكر يوسف اى : لا تفتأ . (٤) منصوب بأن مضمرة بعد الواو الواقعة بعد الامر . شاط دمه : هدره وعرض نفسه للقتل. (٥) الذي اسقمه الحب . (٦) عرضة ذلك : أي أهلا لأن يشغف بها كأنها متصدية صائدة للناس بجمالها . (٧) ما بين قوائم الفرس .

لذلك أُدني دونَ خيلي رِباطَه وأُوصي به ألاّ يُهانَ ويُكرَما

نظر عمر في الطَواف الى امرأة شريفة فرأى احسنَ خلقِ الله صورةً فذهب عقله عليها وكلمها فلم تُجبه . فقال فيها قصيدة منها :

الريح تَسحَب اذيالا وتَنشُرها يا ليتني كنت ممَّن تسحب الريحُ .

فبلَغَها شعرُه فجزِعت منه . فقيل لها : اذكُريه لزوجك ، فانه سيُنكِر عليه قولَه ، فقالت : كلاّ ، والله ، لا اشكوه الا الى الله .

ثم قالت : اللهم ان كان نَوَّهَ باسمي ظالما فاجعَله طَعاما للريح .

فضرب الدهرُ من ضَربه [١] ، فغدا يوما على فرس فهبَّت ريحٌ فنزل فاستتر بسَلَمَة [٢] . فعصفت الريح فخدشه غصن منها فدَميَ ووَرِمَ به ومات من ذلك .

مختارات من ديوان عمر بن ابي ربيعة

قال في سَعدى بنتِ عبدِ الرحمن بنِ عَوفٍ :

أسُعَيدَ ما ماءُ الفُراتِ وطيبُه منّا على ظَمَإٍ وفقدِ شَرابِ
بألذَّ منك ، وإن نأيتِ ، وقلَّما تَرعى النساءُ أمانةَ الغُيَّابِ

° ° °

حَسَنٌ لديَّ حديثُ مَن أحبتُه وحديثُ مَن لا يُستَلَذُّ قبيحُ
الحبُ ابغضُه اليَّ أقلُّه صَرِّح بذاك وراحةٌ تَصريحُ

° ° °

إنها كالمَهاةِ مُشبعَةُ الخَلخالِ صِفرُ الحَشا تُجيعُ الوِشاحا [٣]
في مَحلٍّ النِساءِ طَيِّبَةُ النَشرِ يُرى عندَها الوِسامُ [٤] قِباحا

وقال في هند :

ليتَ هنداً أنجزَتنا ما تَعِدْ وشَفَتَ أنفُسَنا مما تَجِدْ [٥]

(١) ضرب الدهر من ضربه : تركيب يراد به مرت مدة وقع فيها بعض من حوادث الدهر . (٢) سلمة : شجرة يدبغ بورقها .
(٣) الخلخال : حلية كالسوار للارجل . صِفر : الخالي . الحشا : ما ضمت عليه الضلوع . الوشاح : نسيج عريض مرصع تشده المرأة بين عاتقها أي منكبها وكشحها أي خاصرتها . والبيت كناية عن أنها ممتلئة السُوق وما يتصل بها من قسمها الاسفل ، وعن ضمور خاصرتها وما يتصل بها من قسمها الاوسط. (٤) وِسام : واحدتها وسيمة : الجميلة . (٥) تجد : تعاني من الوجد والحب.

واستبــدّت مــرةً واحــــدةً إنما العــاجزُ مَن لا يَستبِــــدْ
زعمـــوها سألــت جاراتِهــــا وتَعَــرَّت ذاتَ يــومٍ تبتَــرِدْ
أكمــا يَنعتُنُــني تُبصِرنَـــني عمرَكُـــنَّ اللهَ (١) ام لا يَقتَصِــدْ
فتضاحكــنَ وقــد قُلــن لهــــا حَسَنٌ في كلِّ عينٍ مَن تَــوَدْ
حَسَدٌ حُمِّلنَه مــن أجلهــــا وقَديماً كان في الناس الحســـدْ
كلَّما قلــتُ متى ميعــادُنــــا ضحِكَت هِندٌ وقالت بعدَ غــدْ

وقال في نُعْم :

أَمِن آلِ نُعْمٍ أنت غــادٍ فمُبكِــرُ غَداةَ غدٍ ام رائــحٌ فمُهَجِّــرُ (٢)
تَهيمُ الى نعمٍ فــلا الشَملُ جــامــعٌ ولا الحَبلُ موصولٌ ولا القلب مُقصِرُ
ولا قربُ نعمٍ ان دنــت لك نافــعٌ ولا نَأيُها يُسلي ولا أنت تَصبِــرُ

• • •

رأت رجلاً أما اذا الشمسُ عــارضــت فيَضحَى وأما بالعَشيِّ فيَخصَــرُ (٣)
اخا سفرٍ جــوّابَ ارضٍ تَقــاذفــت به فَلَواتٌ فهو أشعَــثُ (٤) أغبــرُ
قليلاً عــلى ظهر المطيــةِ ظِلُّــه سوى ما نفــى عنه الرِداءُ المُحَبَّــرُ (٥)

• • •

وليلةِ ذي دَورانَ جَشَّمْتِني (٦) السُرى وقد يَجشَمُ الهولَ المُحِبُّ المُغَرَّرُ
وباتت قَلوصي (٧) في العَــراء ورَحلُها لطارقِ ليلٍ او لمن جــاءَ مُعوِرُ (٨)
وبتُّ اناجي النفسَ : ايــن خِبــاؤهــــا وكيف لِما آتي من الامر مَصــدَرُ
فدَلَّ عليها القَلبَ ريّـــا (٩) عرفتُها لها وهوى النفسِ الذي كاد يَظهَــرُ
فلما فقدتُ الصوتَ منهم وأُطفِئَــــت مصابيحُ شُبَّت في العشاء وأنوُرُ (١٠)

(١) عمركن الله : صيغة دعاء بطول العمر تضمن معنى القسم . (٢) رائح : الذاهب في الأصيل والعشي . . مهجر : السائر في منتصف النهار وحره ، الموثق الدابة ظاعناً وهو هنا بهذا المعنى . (٣) يضحى : يصاب بحر الشمس ، يعرق . يخصر : يشتد عليه البرد ، يؤلم أطرافه قرس البرد فتنقبض ، والمراد هنا المعنى الثاني . ورد شرح البيت صفحة ١١ . (٤) أشعث : المتلبد الشعر ، المتسخ . (٥) المحبر : الموشى المزين . راجع صفحة ١١ . (٦) جشمتني : كلفتني بمشقة .
(٧) قلوصي : الفتية القوية من الابل . (٨) معور : المخوف من الامكنة ، الذي لاحافظ له من الاشياء وهذا هو المقصود هنا
(٩) ريا : لها معان عديدة ، والمراد هنا : الريح الطيبة . القلب : هنا بمعنى السريرة . (١٠) أنور : مفردها : نار .

وغاب قُميرٌ كنت أرجو غيوبَه   وروّحَ رُعيانٌ ونَوّمَ سُمّرُ[1]
ونفّضتُ عني النومَ أقبلتُ مِشيةَ الـ   حَبابِ وركني خشيةَ القومِ أزوَرُ[2]
فحيّيتُ اذ فاجأتُها فتولّهت   وكادت بمَخفوضِ التحيةِ تَجهرُ
وقالت وعضّت بالبنان: فضحتَني   وانت امرؤٌ ميسورُ امرِك أعسرُ
فوالله ما أدري أتعجيلُ حاجةٍ   سرتْ بك ام قد نامَ مَن كنتَ تَحذَرُ
فقلتُ لها بل قادني الشوقُ والهوى   اليك وما عينٌ من الناس تنظُرُ
فقالت وقد لانت وأفرخ[3] رَوعُها   كَلاكَ[4] بحِفظٍ ربُّك المتكبِّرُ
فانت ابا الخَطابِ غيرُ مُدافَعٍ   عليَّ اميرٌ ما مكثتَ مُؤمَّرُ
فيا لكَ من ليل تَقاصرَ طولُه   وما كان ليلي قبلَ ذلكَ يَقصُرُ
فلما تقضىَّ الليلُ الا أقلَّه   وكادت تَوالي نجمِه تتغوّرُ[5]
اشارت بان الحيَّ قد حانَ منهمُ   هُبوبٌ ولكن موعدٌ لك عَزْوَرُ[6]
فما راعني الا مُنادٍ: تَرحّلوا   وقد لاح مفتوقٌ[7] من الصُبحِ أشقرُ
فلما رأت مَن قد تنبّهَ منهمُ   وأيقاظَهم قالت: أشِر كيف تأمُرُ
فقلت: أُباديهم فإمّا افوتُهم   وإما يَنالُ السيفُ ثأراً فيثأرُ
فقالت: أتحقيقاً لما قال كاشحٌ[8]   علينا وتصديقا لما كان يُؤثَرُ
فإن كان ما لا بُدَّ منه فغيرُهُ   من الامرِ أدنى للخفاءِ وأستَرُ
فقالت لأختَيها: أعينا على فتىً   أتى زائراً والأمرُ للأمرِ يُقدَرُ[9]
فقالت لها الصُغرى: سأُعطيه مِطرَفي   ودِرعي وهذا البُردَ إن كان يَحذَرُ[10]
يقومُ فيمشي بينَنا متنكِّرا   فلا سرُّنا يَفشو ولا هو يَظهَرُ
فكان مِجنّي دونَ مَن كنتُ أتّقي   ثلاثُ شخوصٍ كاعبانِ ومُعصِرُ[11]

(١) سمر: مفرده: سامر أي ساهر للحديث ليلا. (٢) الحباب: الطرائق يصنعها الريح عل سطح الماء، الفقاقيع عل وجه الماء او الشراب يشبه بها المشي الخفي.. أزور: المعوج، المائل الصدر من الخيل والنوق وهنا يقصد به السيف. (٣) أفرخ: انكشف وذهب.. روعها: خوفها وفزعها. (٤) كلاك: أصله مهموز أي كلأك وخفف للضرورة ومعناه: رعاك ووقاك. (٥) تغور: تغيب. توالي نجمه: اي الدُبَران، وهن خمس تكون آخر ما يشحب وينطفيء من نيرات الليل. (٦) هبوب: نهوض ويقظة من النوم.. عزور: اسم مكان عند ثنية الجحفة. (٧) مفتوق: مشقوق، وجعله كناية عن سطعة ضوء متضائل من فجر لم يفر ويمزق جلباب الليل بعد.. ويصح ان يكون مفعولا بمعنى فاعل وهو من النوادر. (٨) كاشح: مبغض (٩) يقدر: يُجعل بمقدار. (١٠) مطرف رداء من خز أي من نسيج صوف وحرير أو من حرير خالص.. درع: ثوب صغير تلبسه الفتاة. البرد: كساء مخطط يلتحف به، عرضته عليه زيادة في الحذر. (١١) المجن: الترس.. الكاعب: الناهدة الثدي لاول أوانه.. المعصر: البالغة الشباب. راجع الصفحة ١١.

وقلن أهذَا دأبُـــكَ الدهـــــرَ ســـادراً (١) اما تستحي ام ترعـوي ام تُفكِّــرُ
اذا جئتَ فامنَــح طَــرْفَ عينيك غيرَنـــا لكي يَحسَبوا أن الهـوى حيثُ تنظُرُ

• • •

قالت لتِربٍ لهـــا تُحَدِثُــها لنُفسِدَنَّ الطَوافَ في عُمَـــرِ
قُومـي تَصَـدَّي له ليُبصِـرَنـــا ثم اغمِزيه يـــا أختُ في خَفَـــرِ
قالت لهـــا : قد غمزتُـــه فأبـــى ثم اسبطرَّت تسعـى على أثَـــري (٢).

• • •

بينمـــــا يَذكُرنَـــــني أبصرنَـــــني دونَ قِيدِ الميلِ يَعدو بي الأغـــــرْ (٣)
قالـــت الكُبرى : أتعرفـــنَ الفتـــى ؟ قالـــت الوُسطى : نعم ، هذا عُمَـــرْ
قالت الصُغـــرى ، وقـد تيَّمتُهـــــا قـد عرَفنــاه وهــل يَخفَى القمـــرْ

ومنهـــا :

واذا مـــا عَثَرَت في مِرطهـــا (٤) نهضت باسمي وقالت : يـــا عمرْ

• • •

رأين الغواني الشيبَ لاح بعارضـــــي فأعرَضن عني بالخُـدود النواضــــرِ
وكُنَّ اذا أبصَرنَنـــي أو سمِعنَنـــي سَعَين فرقَّعـــنَ الكُوى بالمحاجرِ (٥)
فإنِيَّ من قـــوم كريمٍ نِجـــارُهـــم (٦) لأقدامِهـــم صِيغت رؤوسُ المنابـــرِ

• • •

اني امرؤ مولَـــعٌ بالحُسنِ أتبَعُـــــــه لا حـظَّ لي فيـه إلا لـذَّةُ النظـــرِ

• • •

أرسلتُ ، لمَّا عيـــلَ صبـــري ، إلـــى أسمـــاءَ والصَـبُّ أن يُرسِـــــلا
أذكُرُ أن لا بـــدَّ مـن مجلِـــسٍ يكونُ عـــن سامـرِكـم مَعـــزِلا

(١) سادر : اللامبالي ، التائه في غيه . (٢) اسبطر : أسرع في السير . (٣) ذو الغرة من الخيل وهي وصيعة بياض في الجبين . (٤) كساء من خز أو صوف او كتان . (٥) المحاجر : واحدها : محجر وهو ما أحاط بالعين ويعني الحدقة . والتعبير في البيت خارج مخرج الاستعارة المكنية ، وجماليته الفنية تكمن في أنهن جعلن من الأحداق رقاع الكوى والثقوب .
(٦) النجار : الأصل والحسب .

فأرسلتْ أروى وقالت لها   مِن قبلِ أن تَرضَى وأن تَقبَلا :
... وواعديه سَرحتَي مالِكٍ   أو الرُبى دونَهما مَنزِلا
وَلْيأتِ ، إن جاء ، على بَغلةٍ   إني أخافُ المُهرَ أن يَصهَلا

° ° °

حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه   ورَقَبتُ غَفلةَ كاشحٍ أن يَمحَلا (١)
واستَنكَح النومُ الذين نَخافُهم   ورمى الكَرى بَوَّابَهم فتخبَّلا (٢)
خرَجَتْ تَأطَّرُ بالثياب كأنها   أيْمٌ يَسيبُ على كثيبٍ أهْيَلا (٣)
فَلَبِثْتُ أرقيها بما لو عاقلٌ   يُرقى به ما اسطاع ألاَّ يَنزِلا (٤)

° ° °

وغَضيضِ الطرفِ مِكسالِ الضُحى   أحوَرِ المُقلةِ كالرِّيمِ الأغَنْ (٥)
مَرَّ بي في نَفَرٍ يَحفُفنَه   مثلَما حَفَّ النصارى بالوثَنْ (٦)
راعني منظَرُه لما بدا   ربما أرتاعُ بالشيء الحَسَنْ

° ° °

وقال في عائشة بنت طلحة :

لعائشةَ ابنةِ التَيميِّ عندي   حِمىً في القلب ما يُرعى حِماها
يُذكِّرني ابنةَ التيميِّ ظبيٌ   يَرود (٧) بروضةٍ سهلٍ رُباها
فقلت له ، وكاد يُراعُ قلبي ،   فلم أرَ قطُّ كاليومِ اشتباها
سوى حَمْشٍ بساقِكَ مستبينٍ   وأنَّ شَوَاكَ لم تُشبِه شَواها (٨)
وأنَّكَ عاطلٌ (٩) عارٍ وليست   بعاريةٍ ولا عُطُلٍ يَداها
وأنك غيرُ أفرَعَ وهي تُدلي   على المتنينِ أسحمَ قد كساها (١٠)
أظَلُّ اذا أكلِّمُها كأني   أكلِّمُ حيَّةً غَلبتْ رُقاها

° ° °

(١) الكاشح : العدو المبغض . . يَمحل : يروم بالحيلة أمراً . (٢) تخبل : ذهب وعيه وطاش فؤاده . (٣) تأطر : اي تتأطر : تتثنى المرأة في مشيتها . أيم : حية بيضاء لطيفة . أهيل: المنهال من الرمال . يسيب : ينساب . (٤) اسطاع : استطاع . (٥) مكسال الضحى: تعبير يعني أنها منعمة فلا تنهض باكراً. الأغن: ذو الغنة في صوته، وأكثر ما تنعت به الظباء. (٦) الوثن: التمثال . (٧) يرود: يدور . (٨) حمش: دقة الساق وضمورها. الشوى: أطراف الجسم. (٩) عاطل عار غير مزين بالحلى. (١٠) أفرع مؤنثها فرعاء . كثيرة الشعر. المتنين : المتن هو الظهر ، وعنا به هنا الكتفين . أسحم : المسود وهو هنا كناية عن الشعر .

ابن سريج

هو عُبَيد بنُ سُرَيجٍ ويكنّى أبا يحيى، مولى بني نوفَل ، وقيل : مـولـى بني عائذٍ . وفي بني عائذ يقول الشاعر :

فـإن تَصلُـح فإنـك عائـذيٌّ وصُلحُ العائـذيِّ إلى فَسـادِ

كان ابن سُرَيجٍ آدمَ احمرَ ظاهرَ الدم سُناطاً ، في عينيه قَبَلٌ (١) وكان مخنَّثاً أعمشَ . بلغ خمساً وثمانين سنة ، وصَلِعَ فكان يلبَس جُمَّةً (٢) مُركَّبَةً ، وكان لا يغني الا مُقنَّعاً يُسبِل القِناعَ على وجهه . وكان أبوه تُركيا ، وكانت علّتُه التي مات منها الجُذامَ (٣) .

قال اسحاق المَوصلي : أصلُ الغِناء أربعةُ نفر : مَكّيّان ومَدَنيّان . فالمكّيان : : ابن سريج وابن مُحرِز . والمدنيّان : معبد وابن مالك . وقال هشام بن المُرِّيّة ، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه : ما خلق الله تعالى بعدَ داودَ النبيِّ احسنَ صوتـا من ابن سريج ، ولا صاغ الله أحداً أحذقَ منه بالغناء . ويَدُلُّك على ذلك أن معبدا كان اذا أعجبَه غناؤه قال : أنا اليومَ سُرَيجيٌّ .

حج يزيدُ بنُ عبدِ الملك بالناس ، وخرج عمرُ بن ابي ربيعةَ ومعه ابنُ سريج على نجيبين وقد خَضَبا النجيبين ولَبِسا حُلَّتين ، فجعلا يتلقّيان الحاجَّ ويتعرَّضان للنساء إلى أن أظلم الليل . فعدَلا إلى كَثيب (٤) مُشرِف والقمرُ طالع يُضيء . فجلسا على الكثيب وقال عمر لابن سريج : غنني صوتك الجديد . فاندفع يغنيه . فلم يستتمَّه إلا وقد طلع عليه رجل راكبٌ على فرس عتيق ، فسلم ثم قال : أيُمكِنك — اعزّك الله — أن تَرُدَّ هذا الصوتَ ؟

قال : نعم ، ونعمةَ (٥) عين ، على أن تَنزِلَ وتَجلِسَ معنا . قال: أنا أعجَلُ من ذلك ، فإن أجملتَ وأنعمت أعِدتَه : فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال : نعم . قال : حيّاك الله . وهذا عمر بن أبي ربيعة ؟ قال : نعم . قال : حيّاك الله يا أبا الخطّاب . فقال له : وأنت ، فحيّاك الله قد عرفتَنا فعرِّفنا نفسك . قال : لا يُمكنني ذلك . فغضب ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيدَ بنَ عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيدُ بنُ عبد الملك . فوثب عليه عمر فأعظمَه ، ونزل ابن سريج اليه فقبَّل رِكابه . فنزع حُلَّته وخاتَمَه فدفعهما اليه ومضى يَركُضُ حتى لَحِق ثَقَلَه (٦) . فجاء

(١) آدم : اسمر . السناط خفيف اللحية ، او الخفيف العارضين . القبل في العين : اقبال احدى الحدقتين على الاخرى ، وهو ضد الحول . (٢) الجمة : مجتمع شعر الرأس . والمراد هنا ، الشعر المصطنع . (٣) علة تتأكل منها الاعضاء وتتساقط . (٤) الكثيب : تلة من رمل . (٥) قال سيبويه : نعمة مثلثة النون . وهو منصوب على اضمار فعل اي : افعل ذلك اكراما ونعمة عين . (٦) أحماله وركبه .

بهما ابنُ سريج إلى عمرَ فأعطاه اياهما وقال له : ان هذين بك أشبهُ منهما بي . فأعطاه عمرُ ثلاثمئة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد . فعرفهما الناس وجعلوا يتعجبون ويقولون : كأنهما ، والله ، حُلّةُ يزيدَ بنِ عبد الملك وخاتَمُه . ثم يسألون عمر فيُخبرهم .

التقى قِنديلٌ الجَصّاصُ أبا الجديد فسأله : من أين وإلى أين؟ فقال : مررت برَقطاءَ الحَبَطيةِ رائحةً تترنمُ بلحن ابن سريج في شعر السُّلَميِّ فزَقفتُ[١] خلفَها زفيفَ النَعامة . فما انجلت غشاوتي الا وأنا بالمُشاشِ حسيرٌ[٢] فأودعتُها قلبي وخلّفتُه لديها وأقبلت أهوِي كالرخَمَة[٣] بغير قلب .

وكانت رقطاء هذه ، من أضرب الناس . فدخل رجل من أهل المدينة مَنزلها فغنته صوتاً . فقال له بعض من حَضَر : هل رأيتَ قطُ أو تَرى أفصحَ من وترِ هذه ؟ فطرب المدني وقال : علي العهدُ إن لم يكن وترُها من مَعَى بَشْكَسْتَ النَحَويِّ ؛ فكيف لا يكون فصيحاً . بشكست هذا كان نحوياً بالمدينة .

كان اسحاق يقول : غناءُ كل مُغنٍّ مخلوقٌ من قلب رجل واحد . وغناء ابن سريج مخلوق من قلب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أضرُب : فضَربٌ مُلهٍ مُطرِبٌ يُحرِّك ويستخفُّ . وضربٌ ثانٍ له شجاً[٤] ورقّة . وضربٌ ثالثٌ حكمةٌ وإتقانُ صَنعة . وكل هذا مجموع في غناء ابن سريج .

قدِم جريرٌ المدينةَ فغنّاه اشعبُ من شعره وبلحن ابن سريج :

يا أختَ ناجيةَ السلامُ عليكمُ ... قبلَ الرحيلِ وقبلَ عذلِ العُذّلِ
لو كُنت أعلمُ أن آخرَ عهدِكم ... يومَ الرحيلِ فعلتُ ما لم افعلِ

فطرِب جريرٌ وجعلَ يَزحَف نحوه حتى ألصَقَ بركبته ركبتَه . فقال بعض أهل المجلس : فكيف لو سَمِعتَ واضعَ هذا الغناء ؟ قال : أوَ أنَّ له لَواضعاً غيرَ هذا ؟ فقالوا : نعم . قال : فأين هو ؟ قالوا : بمكة . قال : فلستُ بمُفارقٍ حجازكم حتى أبلُغَه . فمضى ومضى معه جماعة فأتَوه . فاذا هو في فِتيةٍ من قريش كأنهم المَهاً مع ظَرف كثير . فرَحّبوا بجرير وأدنَوه وسُرُّوا بمكانه وأعظَمَ ابنُ سريج موضِعَ جرير وقال له : سَل ما تُريد ، جُعِلتُ فِداءَك . قال : أريد ان تغنيَّني لحناً سَمِعتُه بالمدينة أزعجَني[٥] اليك . قال : وما هو ؟ قال :

يا أُختَ ناجيةَ ......

فغناه ابن سريج وبيده قضيبٌ يُوقع به ويَنكُت[٦] . فما سُمِع شيءٌ أحسنُ من ذلك . فقال جرير :

---

(١) اسرعت . (٢) المشاش : جبل . حسير : من حسر : كلَّ وأعيي . (٣) طائر كالنسر ويقال له : الأنُوق .
(٤) حزن وأسى . (٥) أزعج : أقلق ، برح مكانه اقتلاعاً . (٦) ينكت : يثير .

لله درُّكم ، يا أهلَ مكةَ ، ما أُعطيتم . والله، لو أن نازعاً نزع اليكم (١) ليُقيمَ بين أظهُرِكم فيسمعَ هذا صباحَ مساءَ لكان أعظمَ الناسِ حظـّاً ونصيباً، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرامُ، ووجوهُكم الحِسانُ ورِقَّةُ ألسِنتِكم وحُسنُ شارتِكم (٢) وكثرةُ فوائدكم .

كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخِص إليَّ ابنَ سريج . فأشخصَه . فتهيأ ولَبِس وأقبلَ حتى دخل عليه وسلَّم فأشار اليه أن يَجلِس . فجلَس بعيداً .

فاستدناه ، فدنا حتى كان منه قريباً . فقال : ويحَك يا عُبيدُ ، لقد بلغني عنك ما حملني على الوِفادة بك من كثرة أدبك وجودة اختبارك مع ظَرف لِسانك وحلاوة مجلِسك . فقال : جُعِلتُ فِداءَك ، يا أميرَ المؤمنين ، تَسمَعَ بالمُعَيدِيِّ خيرٌ من أن تراه (٣) .

قال الوليد : اني لأرجو ألاَّ تكونَ انت ذاك . ثم قال : هاتِ ما عندك . فغنى بشعر الاحوص :

إمــامٌ أتــاه المُلكُ عَفواً ولم يُثِب ... على مُلكِه مالاً حَرامـا ولا دَمـا
تَخيَّره ربُّ العِبــادِ لخَلقــــه ... وَلِيّاً وكان الله بالناس أعلَمـا

فقال الوليد: أحسنت والله ، وأحسن الاحوص . عليَّ بالأحوص. ثم قال : يا عُبَيدُ . هِيهِ (٤)! فغناه بشعر عَديِّ بنِ الرِقاع العامليِّ :

ان الوليد اميرَ المؤمنيـــن لــــــه ... مُلكٌ عليه أعان الله فارتفعـــا
لا يَمنعُ الناسُ ما أعطـى الذيـن همُ ... له عِبادٌ ولا يُعطُون مـا مَنَعـا

فقال له الوليد : صدقت يا عُبيدُ . أنَّى لك هذا ؟ قال : من عند الله . قال الوليد : لو غيرَ هذا قُلتَ لأحسنتُ أَدبَك . قال ابن سريج : هذا من فضل ربي لِيَبلُوَني أأشكُر أم أكفُر. قال الوليد : لَعلمُك ، والله ، أكبرُ وأعجبُ إليَّ من غنائك . غنِّني . فغناه بشعر عَديٍّ العامليِّ يمدح الوليد. فأشار الوليد إلى بعض الخدم ، فغطَّوه بالخِلَع ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير وبِدَراً (٥) من الدراهم . ثم قال الوليد : يا مولى بني نَوفَل ، لقد أُوتيتَ أمراً جليلاً . فقال ابن سريج : يا أمير المؤمنين ، لقد آتاك اللهُ مُلكاً عظيماً ، وشرفاً عالياً ، وعِزّاً بَسَطَ يدَك فيه ، فلم يَقبَضه عنك ، ولا يَفعَلُ إن شاء الله . فأدام الله لك ما ولاَّك ، وحفِظَك بما استَرعاك ، فانك أهلٌ لما أعطاك ،

(١) ذهب اليكم . (٢) الشارة . . الهيئة واللباس . (٣) كان المعيدي، وهو شِقَّة بن ضمرة بن جابر ، فارسا يسطو على اموال الخزينة المحمولة الى النعمان . وكان النعمان يرسل الحملة ليقبض عليه فتعجز ، حتى أتي به أخيراً . فاذا هو رجل قصير دميم كريه الخلق . فقال : تسمعَ بالمعيدي خير من ان تراه . وأرسلها مثلا . «وتسمعَ» منصوب بأن مضمرة .
(٤) بمعنى إيهِ. أي الاستزادة من الحديث . ومع التنوين : هيهٍ أي إيهٍ ، معناه الاستزادة من أي حديث . (٥) جمع بدرة : كية من المال ، الكيس الموضوعة فيه .

ولا نَزَعه منك اذ رآك له مَوضِعا . قال : يا نَوفَلِيُّ ، وخَطيبٌ أيضاً ؟ قال : عنك نطقتُ وبلسانك تكلمت ، وبعزِّك بيَّنت .

وكان الوليد أمر بإحضار الاحوص وعديٍّ . فلما قَدِما عليه أمر بانزالهما حيث ابنُ سريج . فأُنزلا منزِلا إلى جنبه . فقالا : والله لَقُربُ أميرِ المؤمنين كان أحبَّ الينا من قربك يا مولى بني نوفَل . فقال لهما ابن سريج : أوَ قِلَّةَ شُكرٍ !

وبلغ الوليدَ ما جرى بينهم . فدعا ابنَ سريج وأدخله بيتاً وأرخى دونه سِترا ، ثم أمره اذا فرغ الاحوصُ وعديٌّ من كلمتيهما أن يغني . فلما دخلا وأنشداه مدائحَ فيه ، رفع ابن سريج صوته من حيثُ لا يَرَونه وضرب بعوده . فقال عديٌّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذَن لي ان أتكلم ؟ فقال : قُل يا عاملي . قال : أمِثلُ هذا عندَ امير المؤمنين ويَبعَث إلى ابن سريج يتخطّى به رقابَ قريش والعربِ مِن تِهامةَ إلى الشام ، تَرفعهُ ارض وتَخفِضُه أخرى ، فيقال : مَن هذا ؟ فيقال: عُبيدُ بن سريج مولى بني نوفَل بعث أميرُ المؤمنين إليه ليسمع غناءه ؟ . فقال : ويحَك يا عديُّ . أولا تَعرِف هذا الصوتَ ؟ قال : لا ، والله ، ما سمعته قطُّ ولا سمعت مثلَه حُسنا . ولولا أنه في مجلِس أمير المؤمنين لقلت : طائفةٌ من الجنِّ يتَغنَّون . فقال : أُخرُج عليهم . فخرج . فاذا ابن سريج . فقال عديٌّ : حَقٌ لهذا أن يُحمَل . قالها ثلاثاً .

سئل اسحاق : مَن أحسنُ الناس غناءً ؟ فقال : من الرجالِ ابن محرز . ومن النساءِ ابن سريج ، لانه يقال : أحسن الرجالِ غناءً مَن تَشبَّه بالنساء . وأحسنُ النساء غناء من تَشبَّه بالرجال .

جاء سَندةُ الخياط المغني إلى الأفلحِ المخزوميِّ – وكانَ يُوصَف بعقلٍ وفضلٍ – فقال له : من أينَ اقبلتَ وإلى أينَ تَمضي ؟ فقال : إليك قصدتُ من مجلِسٍ لبعضِ القرشيينَ اقبلت محاكِما إليك . قال : فبماذا ؟ قال : كنت عند هذا الرجلِ وحَضَرتْ مجلِسَه رقطاءُ الحبَطيين وصفراءُ العلقميين فتناولتا بينهما لحنَ ابن سريج :

ليــتَ شعــري كيف أبقى ساعةً ...

فغنتاه جميعا ، واختلفنا في تفضيلهما ، ورضينا بحُكمك . فاحكُم بيننا وبينهما . فقال : صِفهما انت لي كيف كانتا اذ غنتاه واشرح لي مذهبهما فيه كما سَمِعت ، وانا احكُمُ بعد ذلك . فقال: امَّا جاريةُ الحبَطيين ، فانها كانت تلوك لحنَه كما يلوك الفرس العتيق لِجامَه ، ثم تُلقيه في هامةِ لَدْنَة [١] ثم تُخرِجه من مِنخَرٍ أغنَّ ، والله ما ابتدأته فتوسَّطته وأنا أعقِلُ ، ولا فرغَت منه فأفقتُ الا وانا أظُن أني رأيته في نومي . وأما صَفراءُ العلقميين ، فانها أحسنُهما حَلقا ، واصحُّهما صوتا ، وألينُهما . والله ما سَمِعها أحد قط فانتفع بنفسه ولا دينه . هذا ما عندي، فاحكم انت يا

(١) لينة .

اخا بني مخزوم . فقال : قد حكمتُ بأنهما بمنزلة العينين في الرأس . فبأيِّهما نظرتَ أبصرت . ولو كان في الدنيا من عُبَيْدِ بن سريج خَلَفٌ لكانتا .

سُئِل ابنُ سريج عن قول الناس : فلانٌ يُصيبُ، وفلانٌ يُخطيءُ،وفلانٌ يُحسنُ، وفلانٌ يُسيءُ . فقال : المُصيب المُحسنُ مِن المغنين هو الذي يُشبع الألحانَ ويَملأ الانفاسَ ، ويُعدِّل الأوزانَ ، ويُفخِّم الألفاظَ ، ويَعرِف الصوابَ ، ويُقيمُ الاعرابَ ، ويستوفي النَغَم الطِوالَ ، ويُحسن مُقاطِعَ النغمِ القِصارِ ، ويُصيب أجناسَ الايقاعِ ، ويختلس مَواقع النَبَراتِ ، ويستوفي ما يُشاكلهما في الضرب من النَقَرات .

وعرضوا ما قاله على معبد ، فقال : لو جاء في الغِناء قرآنُ ما جاء الا هكذا .

قال يزيد بن عبد الملك لحَبَابة يوما : أتعرفين احدا هو أطربُ مني ؟ قالت : نعم ، مولاي الذي باعني . فأمر بإشخاصه ، فأُشخِص اليه مقيَّدا . فمَثَل بين يديه وحَبَابةُ وسَلاَّمةُ تغنيان .
فغنته سلاَّمةُ لحن الغريض في :

تَشُطُّ (١) غداً دارُ جيرانِنا .

فطرب الرجل وتحرك في أقياده . ثم غنَّته حَبَابةُ لحنَ ابن سريج في هذا الشعر . فوثب وجعل يَحجُل في قيده ويقول : هذا ، وأبيكما ، ما لا تَعذُلاني فيه . حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت . وجعل يَصيح: الحريقَ الحريقَ يا اولادَ الزِنا . فضَحِك يزيد وقال : هذا ، والله ، اطربُ الناس حقا . ووصله وسَرَّحه الى بلدِه .

ومن أصواته : — ج ٢٢ ص ٣٤٧ —

يا ربَّةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمي اليك رِحالَ القومِ والقِرَبا (٢)
في ليلة من جُمادى ذاتِ أنديةٍ ... لا يُبصِر الكلبُ من ظَلمائها الطُنُبا
لا يَنبح الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خيشومه الذَنَبا

الشعر لمرةَ بنِ مَحكانَ السعدي.

قال ابن مِقَمَّةَ : دخلت على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه، فقلت : كيف اصبحت يا ابا يحيى ؟ فقال : اصبحت ، والله ، كما قال الشاعر :

كأني من تَذَكُّرِ ما أُلاقي ... اذا ما أظلمَ الليلُ البهيمُ
سقيمٌ ملَّ منه أقرَبوه ... وأسلَمه المداوي والحَميمُ

ثم مات .

---

(١) تشط : تبعد . (٢) قربة : وعاء الماء الجلدي ، ومن رواه « القُرُبا » أي جفون السيوف فقدَ اخطأ ويدل عليه السياق .

نصيب

هو نُصَيبُ بنُ رَبَاحٍ مولى عبد العزيز بنِ مروانَ. كانت امُّه سوداء فوقع عليها سيدُها فحَبِلت بنُصيب. فوثب عليه عمُّه بعد وفاة ابيه فباعه من عبد العزيز . ويُكنّى ابا محجَن .

كان شاعرا فحلا فصيحا مُقدّما في النسيب(١) والمديح ولم يكن له حظ في الهجاء ، وكان عفيفا ، وكان يقال : إنه لم يَنسُب قط الا بامرأته .

قال نُصيب: قلت الشعر وانا شاب فاعجبني قولي . فجعلت آتي مَشْيَخَةً من بني ضَمرةَ ومشيخةً من خزَاعةَ فأُنشدُهم القصيدة من شعري ثم أَنسبُها الى بعض شعرائهم الماضين ، فيقولون : أحسن ، والله ، هكذا يكون الكلامُ ، وهكذا يكون الشعرُ . فلما سمعت ذلك منهم علمت أني محسن . فأزمعوا وأزمعت الخروجَ الى عبد العزيز بن مروان ، وهو يومئذ اميرُ مصرَ وهو وليُّ عهدِ عبد الملك . فقلت لاختي أُمامةَ وكانت عاقلةً جَلدَةً : (٢) أي أُخَيَّةُ ، إني قد قلت شعرا ، وانا اريد عبد العزيز بنَ مروانَ ، وأرجو ان يُعتقَكَ اللهُ به وأمَّك ، ومَن كان مَرقوقا (٣) من أهل قرابتي . قالت : يا ابنَ أمِ ، أتجتمع عليك الخصلتان : السَّوادُ وأن تكون ضُحْكَةً (٤) للناس ؟ قلت : فاسمعي. فأنشدتها ، فسمعت، فقالت : بابي انت، أحسنت والله . في هذا ، والله ، رجاء عظيم . فاخرُجِ على بركة الله . فخرجت على قَعود لي حتى قدمت المدينة فوجدت الفرزدق في مسجد الرسول. فعرّجت اليه فقلت : أُنشدُه وأستنشده وأعرِض عليه شعري . فأنشدته ، فقال لي : ويلك . أهذا شعرُك الذي تَطلُب به الملوك ؟ قلت : نعم . قال : لستَ في شيء . وان استطعتَ ان تَكتُمَ هذا على نفسك فافعل . فانفضختُ(٥) عرَقاً . فحَصَبني(٦) رجل من قريش كان قريبا من الفرزدق وقد سمع انشادي وسمع ما قال لي الفرزدق ، فأومأ اليَّ فقمت اليه فقال : قد، والله ، أصبتَ . والله لئِن كان هذا الفرزدقُ شاعرا لقد حسدك . فإنَّا لنَعرفُ محاسن الشعر . فامضِ لوجهك ولا يَكسِرَنَّك . فسرَّني قولُه ، وعلمت أنه قد صَدَقني في ما قال. فاعتزمت على المَضيِّ فقدمت مصرَ وبها عبد العزيز بن مروان، فحَضَرتُ بابَه مع الناس ، فنُحِّيتُ عن مجلس الوُجوه ، فكنت وراءهم ، ورأيت رجلا جاءعلى بغلة حسنَ الشارةِ سهلَ المَدخل ، يُؤذَن له اذا جاء . فلما انصرف الى منزله انصرفت معه أُماشي بغلتَه . فلما رآني قال : ألك حاجةٌ ؟ قلت : نعم . انا رجل من اهل الحجاز ، شاعر : وقد مدحت الامير وخرجت اليه راجيا معروفه ، وقد ازدُريتُ فطُرِدتُ من الباب ونُحِّيتُ عن الوجوه .

(١) نسب نسيبا وشبب تشبيبا الشاعر بالمرأة : تغزل بها . (٢) قوية شديدة . (٣) عبد رق . (٤) الضُحكة . . من يضحك منه الناس . والضَحِكة . . من يضحك من الناس . (٥) تدفقت . (٦) رماني بالحصباء .

قال : فأنشدني . فأنشدتُه . فأعجبَه شعري . فقال : ويحَك . اهذا شعرُك ؟ فإياك أن تَنتحِل ، فان الامير راويةٌ عالم بالشعر . وعنده رُواةٌ ، فلا تَفضَحني ونفسَك . فقلت : والله ما هو الا شعري . فقال : ويحك . فقل ابياتا تَذكُر فيها حَوفَ(١) مِصرَ وفضلَها على غيرها وألقِني بها غدا . فغدَوت عليه من غد فانشدته :

سرى الهمُّ تَثنيني اليكَ طلائعُهْ بمصرٍ وبالحَوفِ اعترتني روائعُهْ
وبات وِسادي ساعدٌ قَلَّ لحمُه عن العظمِ حتى كاد تبدو أشاجعُهُ (٢)
أعِني على بَرْقٍ أُريكَ وميضَه تُضيءُ دُجُنَّاتِ الظَلامِ لوامعُهْ
اذا اكتحلت عينا مُحبٍ بضوئه تجافت به حتى الصباحِ مَضاجعُهْ

فقال : انت والله شاعر . احضُر بالباب حتى أذكُرَك للامير . قال : فجلست على الباب ودخل . فما ظننت أنه أمكنه أن يَذكرني حتى دُعِيَ بي . فدخلت فسلَّمت على عبد العزيز . فصعَّد فيَّ بصره وصوَّب ، ثم قال : انت شاعر ؟ ويلك ! قلت : نعم ايها الامير ! قال : فأنشِدني . فأنشدته . فأعجبه شعري . وجاءَ الحاجب فقال : ايها الامير ، هذا أيمَنُ بنُ خُرَيمٍ الأسَديُّ بالباب . قال : إئذَن له . فدخل فاطمأنَّ (٣) فقال له الامير : يا أيمنُ بنَ خريمٍ ، كم ترى ثمنَ هذا العبد ؟ فنظر اليَّ فقال : والله لَنِعمَ الغادي في أثَرِ المَخاض (٤) هذا . ارى ثمنَه مئةَ بعير . قال : إن له شعرا وفصاحةً . فقال لي أيمن : اتقول الشعر ؟ قلت : نعم . قال : قيمته ثلاثون دينارا . قال : يا أيمنُ ، أرفَعُه وتَخفِضُه انت ؟ قال : لكونه أحمقَ . ما لهذا وللشعر . امثلُ هذا يقول الشعر ، او يُحسن شعرا . فقال : أنشِده يا نصيب . فانشدته . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟ قال : شعرُ اسودَ . هو أشعر أهلِ جِلدته . قال : هو ، والله ، اشعر منك . قال : أمِني ايها الامير ؟ قال : إي ، والله ، منك . قال : والله ، ايها الامير ، انك لَمَلولٌ طَرِفٌ (٥) . قال : كذَبتَ ، والله ، ما إنا كذلك . ولو كنتُ كذلك ما صبَرتُ عليك تنازعُني التحيةَ وتؤاكلُني الطعامَ وتتكيءُ على وسائدي وفُرُشي وبك ما بك . — يعني وَضَحاً (٦) كان بأيمن — قال : أتأذَنُ لي أن أخرُجَ الى بِشرٍ بالعراق ، واحمِلني على البريد . قال : قد أذِنت لك . فقال أيمن :

رَكِبتُ من المُقطَّمِ (٧) في جُمادى الى بِشرِ بنِ مروانَ البريدا
ولو أعطاك بشرٌ الفَ الفٍ رأى حقا عليه أن يزيدا

فلما جاز بعبد الملك بن مروان قال : اين تريد ؟ قال : أريد اخاك بشرا . قال : اتجوزني ؟ قال : إي ،

(١) الحوف بمصر ، حوفان . الشرقي من جهة الشام والغربي قرب دمياط متصلان . (٢) عروق ظاهر الكف .
(٣) اطمأن : جلس متمكناً . (٤) الحوامل من النوق . (٥) لا يثبت على صاحب . (٦) برص .
(٧) جبل في مصر .

والله ، اجوزك الى من قَدِمَ اليَّ وطلبني . قال : فلِمَ فارقت صاحبك؟ قال : رأيتُكم يا بني مروانَ تتخذون للفتى من فتيانكم مُؤدِّبا ، وشيخُكم ، والله، محتاجٌ الى خمسةِ مؤدِّبين . فسرَّ ذلك عبدَ الملك ، وكان عازما على ان يَخلَعَه — اى عبد العزيز — ويعقُدَ لابنه الوليد .

واصاب نصيب من عبد العزيز بن مروان معروفا فكتمه بعد ان اشتراه وأعتقه. ورجع الى المدينة.

دخل نصيب على عبد الملك فتغدى معه . فقال عبد الملك: هل لك فيما نتنادم[1] عليه؟ فقال: تُؤمِنُني ؟ ففعل . قال : لوني حائلٌ[2]، وشَعري مفلفلٌ ، وخِلقتي مُشوَّهة ، ولم ابلُغْ ما بلغتُ من اكرامك اياي بشرف ابٍ او ام او عشيرةٍ ، وانما بلغتُه بعقلي ولساني . فانشُدُكَ اللهَ[3] ، يا امير المؤمنين ، ان تَحُول بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلةَ منك . فأعفاه .

قال عبد الملك بن مروان لنصيب : انشدني . فانشده قصيدته التي يقول فيها :

ومُضمَرِ الكشحِ يَطويه الضجيعُ به   طَيَّ الحمائلِ لا جافٍ ولا فَقِرُ[4]

فقال له عبد الملك : يانصيب ، من هذه ؟ قال : بنت عمٍّ لي نُوبيةٌ لو رأيتَها ما شربتَ من يدها الماء . فقال له : لو غيرَ هذا قلتَ لضربتُ الذي فيه عيناك .

دخل نصيب على سليمانَ بنِ عبد الملك وعنده الفرزدق فاستنشد الفرزدقَ وهو يرى أنه سيُنشِدُه مديحا له . فانشده قولَه يفتخر :

اذا استوضحوا نارا يقولون ليتَها   وقد خَصِرت ايديهمُ نارُ غالبِ[5]

قال : وعِمامتُه على رأسه مثلُ المِنسَفِ[6] فغاظ سليمانَ وكَلَحَ[7] في وجهه ، وقال لنصيب : قم فأَنشِدْ مولاك ، ويلك . فقام فانشده :

اقول لركبٍ صادرين لَقِيتُهم   قِفَا ذاتِ أوشالٍ ومولاكَ قارِبُ[8]
قِفوا أخبروني عن سليمان إنني   لمعروفه من أهلِ وَدَّانَ طالبُ
فعاجُوا[9] فأثنَوا بالذي انت اهلُه   ولو سكتوا اثنت عليك الحقائبُ
هو البدرُ والناسُ الكواكبُ حوله   ولا تُشبِهُ البدرَ المُضيءَ الكواكبُ

(١) نتنادم : نتحدث حديث المؤانسة . (٢) حائل : متغير . (٣) يقال : نشدتك الله ونشدتك بالله وناشدتك الله : اى سألتك به برفع نشيدي اى صوتي . (٤) مضمر : ضامر . الكشح : ما بين السرة الى الظهر . جاف . غليظ . فَقِر : يشكو فقار الظهر . (٥) يفاخر بنار ابيه غالب للضيوف . خصرت : بردت . (٦) كبيرة مستديرة كالغربال . (٧) عبس وقطب . (٨) ورد الماء : جاءه . صدر : عاد عنه . قفا : وراء . أوشال : جمع وَشَل وهو الماء القليل . قارب: طالب الماء . يخاطب سليمان ويقول : انهم صادرين ومولاك اى نصيب يطلب الماء . (٩) فعاجوا : رجعوا .

فقال سليمان : احسنتَ واللهِ يا نصيب ، وامر له بجائزة ولم يصنع ذلك بالفرزدق . فقال الفرزدق وقد خرج :

وخيرُ الشعرِ اكرمُــه رجـــالا وشرُ الشعرِ ما قـــال العبيــدُ

كان نصيب اذا قدم على هشامِ بن عبد الملك اخلى له مجلِسَه واستنشده مراثيَ بني امية . فاذا انشده بكى وبكى معه . فانشده يوماً قصيدة له مدحه بها يقول فيها :

اذا استبق النـــاسُ العُــلى سبقَتَهمُ يمينُك عفواً ثم صلَّى [١] شِمالُها

فقال له هشام : يا اسودُ ، بلغت غاية المدح ، فسَلني . فقال : يدُك بالعطية اجودُ وابسطُ من لساني بمسألتك . فقال : هذا والله احسنُ من الشعر . وحباه [٢] وكساه واحسن جائزته .

قال عبد العزيز بن مروان لنصيب : هل عشقِتَ قط ؟ قال : نعم ، امةٌ لبني مُدلِج . قال : فكنت تصنع ماذا ؟ قال : كانوا يحرسونها مني فكنت اقنع ان اراها في الطريق وأُشيرَ اليها بعيني او حاجبي وفيها اقول :

وقفتُ لها كيمــا تَمُرَّ لعلـــني أُخالِسُها التسليمَ ان لم تُسَلّـــمِ
ولمــا رأتني والوُشاةَ تَحــدَّرت مدامِعُهــا خوفا ولــم تتكلّـــمِ
مساكينُ اهلُ العِشقِ مـــا كنتُ اشتري جميعَ حياةِ العاشقين بـــدرهمِ

اتى النصيب عبدَ الله بنَ جعفرٍ فحمله [٣] واعطاه وكساه . فقال له قائل : يا ابا جعفر ، أعطَيتَ هذا العبدَ الاسودَ هذه العطايا . فقال : والله لَئن كان اسودَ ، ان ثناءه لَأبيضُ ، وان شعره لعربيٌّ ، ولقد استحق بما قال اكثرَ مما نال . وما ذاك ، انما هي رواحلُ تَنضَى [٤] وثيابٌ تَبلى ودراهمُ تَفنى ، وثَناءٌ يبقى ومدائحُ تُروى .

قال احدهم : اتاني مُنقِذٌ الهلاليُّ ليلا ، فضربِ على الباب ، فقلت : من هذا ؟ قال : منقذ. فخرجت اليه فَزِعاً . فقال : البُشرى . فقلت : وايُّ بشرى اتتني بك في هذا الليل ؟ فقال : اتاني اهلي بدَجاجةٍ مشوية بين رغيفين ، فتعشيت بها. ثم أتَوني بقنينة من نبيذ قد التقى طرفاها صفاءً ورِقَّةً ، فجعلت اشربُ واترنم بقول نصيب :

بزينبَ أَلمِم قبلَ ان يَظعَنَ الرَكبُ .

ففكَّرتُ في انسان يَفهم حُسنَه (أي الشعر) ويعرِف فضلَه، فلم اجد غيرك . فأتيتك مُخبِرا بذلك . فقلت : ما جاء بك الا هذا ؟ فقال : اولا يكفي ؟ ثم انصرف .

(١) صل جاء تاليا . والمصلي من الخيل الذي يأتي ثانيا اى واضعا انفه على صلا المجلي ، وهو الاول . الصلا : المؤخرة .
(٢) حباه : أعطاه ووهبه . (٣) اي اعطاه راحلة تحمله ، فرسا او جملا او بغلا . (٤) تهزل وتضعف .

قال مَسلَمةُ لنصيب : انت لا تُحسِن الهجاء . فقال : بلى ، واللهِ أتُراني لا أُحسن ان اجعلَ مكان عافاك الله ، أخزاك الله ؟ قال : فان فلانا قد مَدحتَه فحرَمك ، فاهجُه . قال : لا ، والله ، ما ينبغي ان اهجُوَه . وانما ينبغي ان اهجُوَ نفسي حين مدحتُه . فقال مَسلمة : هذا ، والله ، اشدُ من الهجاء .

دخل النصيب على عمر بن عبد العزيز بعد ما وَلِيَ الخلافة ، فقال له : ايه يا اسودُ . انت الذي تُشَهِّر النساء بنسيبك . فقال : اني قد تركت ذلك ، يا امير المؤمنين ، وعاهدت الله ألا اقولَ نسيبا . وشهد بذلك من حضَر وأثنَوا عليه خيرا . فقال : اما اذا كان الامر هكذا ، فسل حاجتك . فقال : بُنَيّاتٌ لي نفضتُ عليهن سَوادي فكَسَدن . أرغبُ بهن عن السُودانِ ويرغَبُ عنهن البيضانُ . قال : فتريد ماذا ؟ قال : تَفرِضُ لهن . ففعل . قال : ونفقةٌ لطريقي . قال : فأعطاه حِليةَ سيفه وكساه ثوبيه . وكانا يساويان ثلاثين درهما .

كان نصيب يكنى ابا الحَجناء فهجاه شاعر من اهل الحجاز فقال :

تَراه على ما لاحَه من سوادهِ وإن كان مظلوما له وجه ظالمِ .

فقال نصيب :

ليس السواد بناقصي ما دام لي هذا اللسانُ الى فؤادٍ ثابتِ
مَن كان ترفعه منابتُ أصله فبيوتُ أشعاري جُعلن منابتي
كم بين اسودَ ناطقٍ ببيانه ماضي الجَنانِ وبين ابيضَ صامتِ
اني لَيحسدُني الرفيعُ بناؤه فضلَ البيانِ وليس بي من شامتِ

وارسل الى امرأة ، عيَّرته لونَه ، هذه الابياتَ :

فإن أكُ حالِكاً فالمِسكُ أحوى (١) وما لِسواد جِلدي من دواء
ولي كرم عن الفحشاءِ ناءٍ كبُعدِ الارض من جَوِّ السماء
ومثلي في رجالِكُمُ قليلٌ ومثلُكِ ليس يُعدَمُ في النساء

قال محمد بن عبد ربه : دخلت مسجدِ الكوفة فرأيت رجلا لم أرَ قطُ مثلَه ولا اشدَّ سواداً منه ، وانقى ثيابا منه ، ولا احسنَ زِيّاً . فسألتَ عنه فقيل : هذا نُصيب . فدنَوت منه فحدثته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن اصحابك . فقال : جميلٌ إمامُنا ، وعُمر بن ابي ربيعةَ أوصَفُنا لربّات

(١) أحوى : المسوادّ .

الحجال (١) ، وكُثَيِّرٌ أبكانا على الدِمَنِ (٢) وأمدحُنا للملوك . واما انا فقد قلتُ ما سمعتَ .

دخل نصيب على ابراهيمَ بنِ هشامٍ فأنشده مديحا . فقال ابراهيمُ : ما هذا بشيء . اين هذا من قول ابي دَهْبَلٍ لصاحبِنا ابنِ الازرقِ حيث يقول :

إن تَغدُ من مَنقَليْ نَخلانَ مُرتَحِلاً يَرحَلْ من اليَمَنِ المعروفُ والجودُ

فغضِب نصيبٌ ونزع عِمامتَه وبَرَكَ عليها وقال : لئِن تأتُونا برجال مثلِ ابنِ الازرقِ نأتِكم بمثلِ مديحِ ابي دهبلٍ او أحسنَ . انما المديحُ انما يكون على قَدْرِ الرجال . فأطرقَ ابنُ هشامٍ ، وعَجِبوا من إقدام نصيبٍ عليه ، ومن حِلم ابنِ هشام وهو غيرُ حليم .

دخل نصيب على يزيدَ بنِ عبد الملك فانشده قصيدة امتدحه بها فطرِب لها يزيدُ واستحسنها فقال له : احسنت يا نصيبُ . سَلْني ما شئت . فقال : يدُك يا اميرَ المؤمنين بالعطاء ابسطُ من لساني بالمسألة . فأمر به فمُلِيء فمه جوهرا فلم يزل به غنيًّا حتى مات .

ابن محرز

هو مُسلِمُ بنُ مُحرِزٍ ، ويُكنَّى ابا الخَطَّاب ، مولى بني عبد الدار . كان ابوه من سَدَنَة (٣) الكعبة ، اصلُهُ من الفُرس ، وكان أصفرَ ، أحنى ، طويلا . تعلَّم الضرب من عَزَّةَ المَيلاء . ثم شَخَص الى فارسَ فتعلَّم ألحانَ الفُرسِ واخذ غناءهم وصار الى الشام فتعلَّم الحانَ الرومِ واخذ غناءهم فأسقط ما لا يُستحسَن من نغم الفريقين واخذ محاسنها فمزج بعضَها ببعض وألَّف منها الاغانيَ التي صنعها في اشعار العرب ..فاتى بما لم يُسمَع مثلُه . وكان يقال له : صَنَّاجُ (٤) العرب .

وكان قليلَ المُلابَسة للناس فأخملَ ذلك ذكرَه ، فما يُذكَر منه الا غناؤه الذي اخذت اكثرَه جاريةٌ كانت تألَفه فأخذَه الناس عنها . وهو اول من غنى بزوجٍ من الشعر ، واقتدى به المغنون . ومات بداءٍ كان به وهو الجُذام ، فلم يعاشرِ الخلفاءَ ولا خالط الناس لأجل ذلك . قال اسحاق : الفحول ابنُ سريجٍ ثم ابنُ محرزٍ ثم معبدٌ ، ثم الغريضُ ، ثم مالِكٌ .

وقال اسحاق : قَدِم ابنُ محرز يُريد العراقَ . فلما نزَل القادسيَّةَ لقيَه حُنَينٌ (٥) فقال له : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ قالَ : ألفَ دينارٍ . قال : فهذه خمسُمئةِ دينارٍ فخُذها وانصرِف واحلِف ألاّ تعودَ .

(١) ربات الحجال : النساء . الحجال جمع حَجَلة وهو الستر يضرب للنساء في جوف البيت . (٢) الدمن : الاطلال ، واحدتها : دِمنة . أو هي ما بقي حول المضارب من آثار الرماد وبقايا الحيوانات . (٣) جمع سادن وهو خادم الكعبة . وكانت السدانة لبني عبد الدار في الجاهلية ، فأقرها النبي في الاسلام . (٤) صناج : اللاعب بالصنج وهي صفيحة مدورة من نحاس تثبت في أنامل الراقصة أو في أطراف الدف ، والمقصود به هنا المطرب . (٥) من مشاهير المغنين ستاتي ترجمته .

العرجي

هو عبدُ الله بنُ عُمَرَ بن عَمروبن عثمانَ بن ابي العاصي بن أُمية . وام عمرو بن عثمانَ ام أبانَ بنتُ جُندَبٍ الدَوسيةُ .

قَدِم جُندَبٌ الدَوسيُّ المدينةَ مُهاجرا في خلافة عمرَ بن الخطّاب ، ثم مضى الى الشام وخلّف ابنته امَّ ابانَ عند عمرَ وقال له : ، يا اميرَ المؤمنين : ان وجدتَ لها كُفْئا فزوِّجْه بها ولو بشِراكِ [١] نعله . والا فأمسِكْها حتى تُلحِقَها بدارِ قومها . فكانت عند عمرَ ، واستُشهِد ابوها ، فكانت تدعو عمرَ اباها ويدعوها ابنته .

فان عمرَ على المنبر يوما يكلم الناس في بعض الامر إذ خطَر على قلبه ذكرُها فقال : مَن له في الجميلة الحسيبة بنتِ جُندَب ، وليعلم امرُؤٌ مَن هو . فقام عثمان فقال : انا يا امير المؤمنين فقال : انت لَعمرُ الله ، كم سُقتَ اليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد زوجتُكَها ، فعجِّلْه ، فإنها مُعَدَّةٌ . ونزل عن المنبر . فجاء عثمانُ بمَهرها . فأخذه عمرُ في ردنه [٢] فدخَل به عليها ، فقال : يا بنيةُ ، مُدِّي حِجرَك . ففتحت حِجرَها فألقى فيه المالَ ، ثم قال : يا بنيةُ ، قولي : اللهُمَّ بارك لي فيه . فقالت : اللهم بارك لي فيه . وما هذا يا أبتاه؟ قال : مَهرُك . فنفحت[٣] به وقالت : واسَوأتاه . فقال : احتبسي منه لنفسك ووسِّعي منه لأهلك. وقال لحَفْصَةَ : يا ابنتاه ، أصلحي من شأنها وغيِّري بَدَنَها[٤] واصبِغي ثوبها. ففعلت. ثم أرسلَ بها مع نِسوة الى عثمان. فقال عمرُ لما فارقته : انها امانةٌ في عُنُقي اخشى ان تَضيعَ بيني وبين عثمانَ . فلَحِقَهنَّ ، فضرب على عثمانَ بابَه ، ثم قال : خذ اهلَك ، بارَكَ اللهُ لك فيهم . فدخلت على عثمانَ فأقام عندها مُقاما طويلا لا يَخرُج الى حاجة . فدخل عليه سعيدُ بنُ العاصِ فقال له : يا ابا عبد الله ، لقد اقمت عند هذه الدَوسيةِ مُقاما ما كنتَ تُقيمه عند النساء . فقال : أمَا إنه ما بَقِيت خَصلةٌ كنتُ أُحِب ان تكون في امرأة الا صادفتُها فيها ، ما خلا خصلةً واحدةً . قال : وما هي ؟ قال : اني رجل دخلتُ في السن وحاجتي في النساء الولدُ وأحسَبُها حديثةً لا ولدَ فيها اليومَ . قال : فتبسَّمت . فلما خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمانُ : ما أضحَكَك ؟ قالت : قد سمِعتُ قولَك في الوَلد . وإني لَمِن نِسوَة ما دخلَت امرأةٌ منهن على سيِّد قطُ فرأَت حمراءَ حتى تَلِدَ سيِّدَ مَن هو منه [٥] . فولدت عَمْراً جَدَّ العَرجي .

(١) سير النعل على ظهر القدم . وهو مثل للقِلّة والفقر . (٢) كمه . (٣) رمت به . (٤) لميص لصير .
(٥) تقول : ما ان ترى الحَيض حتى تلد مَن يفوق اباه .

كان العرجيُّ من شعراءِ قريشٍ وممن شُهِر بالغزل ، ونحا نحوَ عمرَ بن ابي ربيعةَ وتشبَّه به فأجاد . وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصا عليهما قليلَ المحاشاة [١] لأحد فيهما . كان اشقرَ ، ازرقَ ، جميلَ الوجه . ولُقِّب بالعَرجيِّ لانه كان يَسكُنُ عَرجَ الطائف . وكان من الفُرسان المعدودين مع مَسلَمةَ بن عبد الملك بأرضِ الروم وكان له معه بَلاءٌ حسن. باع العرجيُّ اموالا عِظاما كانت له وأطعم ثمنَها في سبيل الله حتى نَفِد ذلك كلُه . وكان اتخذ غُلامين فاذا كان الليلُ نصب قِدرَه وقام الغلامان يُوقدان ، فاذا نام واحد قام الاخر . فلا يزالان كذلك حتى يُصبحا . وكان يقول : لعلَّ طارقاً يَطرُق .

كان العرجي غازيا فأصاب الناسَ مجاعةٌ فقال للتُجَّار : أَعطوا الناسَ ، وعليَّ ما تُعطون . فلم يزل يُعطيهم ويُطعِم الناسَ حتى أخصَبوا . فبلغ ذلك عشرينَ الفَ دينارٍ ، فألزمها العَرجيُّ نفسَه . وبلغ الخبرُ عمرَ بنَ عبد العزيز فقال : بيتُ المال احقُ بهذا . فقضى التُجَّارَ من بيت المال.

كانت حبَشيةٌ من مَولَّدات مكةَ ظريفةٌ صارت الى المدينة . فلما اتاهم موتُ عمرَ بن ابي ربيعةَ اشتدَّ جزَعُها وجعلت تبكي وتقول : مَن لمكَّةَ وشعابِها وأباطحِها ونُزَهِها ووَصفِ نسائها وحُسنِهن وجَمالِهن . فقيل لها : خَفِّضي عليك، فقد نشأ فتى من وَلَد عثمانَ يأخذ مأخذَه ويسلُك مَسلَكه . فقالت : أنشِدوني من شعره . فأنشدوها . فمسحت عينها وضحِكت وقالت : الحمدُ لله الذي لم يُضَيِّع حُرَمَه .

قال العرجي في امرأة يقال لها عاتِكةُ :

يا دارَ عاتكةَ التي بالأزهَرِ ... او فوقَه بقَفا الكَثيبِ الاحمرِ
بفِناء بيتِك وابنُ مِشعَبَ حاضرٌ ... في سامرٍ [٢] عَطِرٍ وليلٍ مُقمِرِ
باتَا بأنعمِ ليلةٍ حتى بدا ... صُبحٌ تَلوَّحَ كالاغرِّ الاشقرِ
فتلازمَا [٣] عند الفِراقِ صَبابةً ... أخْذَ الغريمِ [٤] بفضلِ ثوبِ المُعسِرِ

خرج العرجي متنزها فنظر الى أم الأَوقصِ التميميةِ وكان يتعرَّض لها . وكانت اذا رآها رَمَت بنفسها وتستَّرت منه . فبَصُر بها في نِسوةٍ جالسةً وهنَّ يتحدثن فعرفها وأحب ان يتأملها من قُرب . فعَدَل عنها ولَقِي أعرابيا على بَكرٍ [٥] له ومعه وَطبَا [٦] لبن . فدفع اليه دابتَه وثيابَه وأخذ قَعودَه ولبنه ولبس ثيابه ، ثم أقبل على النِسوة ، فَصُحن به : يا أَعرابيُّ ، أمعك لبنٌ ؟ قال : نعم . ومال اليهن ، وجلس يتأمل ام الاوقص ، وتَواثبَ من معها الى الوَطبَين ، وجعل العرجي يَلحَظها ويَنظر احيانا الى الارض كأنه يطلب شيئا وهنَّ يشرَبن من اللبن . فقالت له امرأة منهن : ايَّ شيءٍ تَطلُبُ يا أعرابيُّ في الارض ؟ أضاعَ منك شيءٌ ؟ قال : نعم ، قلبي . فلما سمِعت التميمية كلامَه

(١) المبالاة . (٢) سامر : مجلس الحي للسمر . (٣) تلازما : تعلقا ببعضهما ، تعانقا . (٤) الغريم : الدائن .
(٥) بَكر : الفتي من الابل . (٦) سقاء ، وعاء من جلد للماء .

نظرت اليه ، وكان ازرقَ ، فعرفته . فقالت : العرجيُّ ، وربِّ الكعبة . ووثبت وسَتَرَها نساؤها وقُلن : انصرِف عنا ، لا حاجةَ بنا الى لبنك . فمضى وقال :

اقول لصاحبَيَّ ومثلُ ما بي شكاه المرءُ ذو الوجدِ الاليمِ
فلما أن رأت عيناايَ منها أسيلَ الخدِ في خَلقٍ عميمِ [1]
حنا اترابُها دُوني عليها حُنُوَّ العائداتِ على السَقيمِ

قال العُمَريُّ : خرجت حاجًّا . فرأيت امرأة تتكلم بكلام أرفثَت[2] فيه . فأدنَيت ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمةَ الله ، ألستِ حاجةً . اما تخافين الله . فسَفَرت عن وجهٍ يَبهَر الشمسَ حُسنا ، ثم قالت : تأمَّل يا عمُّ . فانني ممن عناه العرجي بقوله :

أماطت كِساءَ الخزِّ عن حُرِّ وجهِها وأدنت على الخدَّين بُرداً مهَلهَلا
مِنَ اللاءِ لم يَحجُجنَ يَبغين حِسبةً ولكن ليقتُلن البريءَ المُغَفَّلا

فقلت لها : اسأل الله ألاَّ يُعذِّبَ هذا الوجهُ بالنار . وبلغ ذلك سعيدَ بنَ المسيِّب فقال : اما ، والله ، لو كان من بعض بُغَضاءِ[3] العِراق لقال لها : اعزُبي[4] ، قبَّحك الله . ولكنه ظَرفُ عُبَّادِ اهلِ الحجاز .

كان العرجي يُشبِّب[5] بأم ِ محمدِ بنِ هشامٍ خالِ هشامِ بنِ عبد الملك واميرِ مكةَ ويقال لها جَيداء :

عُوجي[6] علينا ربَّةَ الهَودَجِ إنكِ إن لا تَفعلي تَحرَجي
نَلبَثُ حَولا كاملا كلَّه ما نلتقي الا على مَنهجِ
في الحج إن حَجَّت وماذا مِنىً[7] وأهلُه إن هي لم تَحجُجِ

وكان يُشبِّب ايضا بزوجة محمدِ بنِ هشامٍ واسمُها جَبرةُ :

عُوجي عليَّ فسلِّمي جَبرُ [8] فيمَ الصُدودُ وأنتُم سَفْرُ [9]
ما نلتقي الا ثلاثَ مِنىً حتى يُفرِّقَ بيننا النَفْرُ [10]
الحَولُ بعدَ الحَولِ يَجمعنا ما الدهرُ الا الحولُ والشهرُ

وكان محمدُ بنُ هشامٍ يقول لأمه جَيداءَ : انت غَضَضتِ[11] مني بانك امي ، واهلكتِني

(١) اسيل : لين ، طويل ، ناعم – عميم : تام ، مكتمل . (٢) افحشت . (٣) يريد المتزمتين المغالين في الورع . (٤) ابعدي. (٥) يشبب : يقول النسيب اي الغزل. (٦) مري بنا . (٧) موضع شرقي مكة على طريق جبل عرفات. (٨) جبر : ترخيم جبرة . (٩) قوم سَفْر : مسافرون . الصُدود : الاعراض والمنع . (١٠) النفر : تفرق الحجيج ، وأصله الانصراف من منى بعد أداء المناسك والفروض الواجبة . (١١) خفَضتِ.

وقتلتني . فتقول له : ويحكَ وكيف ذاك ؟ فيقول : لو كانت امي من قريش ما وَلِيَ الخلافةَ غيري .

ولم يزل محمدُ بن هشام مضطغِنا على العرجي من هذه الاشعار ومتطلِّباً سبيلا عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيَّده وضربه واقامه للناس ثم حبسه واقسم : لا يَخرُجُ من الحبس ما دام لي سُلطانٌ . فمكث في حبسه نحواً من تسعِ سنينَ حتى مات فيه .

قال العرجي في حبسه :

اضاعوني وايَّ فتـــىً اضـــاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ [١] ثَغـــرِ
كأني لـــم أكـــن فيهم وسيطـــا ولم تَكُ نِسبتي من آلِ عمـــرِو

قال الاصمعي : مررت بكُنَّاسٍ بالبصرةِ يكنِّس كَنيفاً [٢] ويغنِّي:

أضاعوني وايَّ فـتى اضـاعوا . . .

فقلت له : أمَّا سِدادُ الكنيفِ فانت مليء به . واما الثغرُ فلا علمَ لي بك كيف انت فيه . فأعرَضَ عني مَلِيًّا ثم أقبل عليَّ فأنشد متمثِلا:

وأُكرِمُ نفسي إنـني إن اهنتُـــــها وحقِّكَ لم تُكرَم على أحدٍ بعدي

فقلت له : واللہ ما يكون من الهَوانِ شيءٌ اكثرَ مما بذلتَها له . فبأيِّ شيء أكرمتَها ؟ فقال : بلى . واللہ إن من الهوان لَشرًّا [٣] مما انا فيه . فقلت : ما هو ؟ فقال : الحاجةُ اليك والى امثالك . فانصرفتُ عنه أخزى الناسِ .

قال اسحاق: كان الوليد بنُ يزيدَ بنِ عبد الملك مضطغِنا على محمدِ بنِ هشامٍ لاشياءَ كانت تَبلُغُه عنه في حياة هشامِ بنِ عبد الملك . فلما وَلِيَ الخلافةَ بعد هشامٍ ، قَبض عليه وعلى اخيه ابراهيمَ وأُشخِصا اليه الى الشام . ثم دعا بالسياط . فقال له محمد : اسألُك بالقَرابة. قال : وايُّ قرابةٍ بيني وبينك . قال : فأَسألك بصِهرِ عبد الملك . قال : لم تَحفَظه . فقال له : يا امير المؤمنين ، قد نهى رسولُ اللہ ان يُضرَبَ قرشيٌّ بالسياط الا في حدٍّ [٤] . قال : ففي حَدٍّ أضربكَ وقَوَدٍ [٥] . انت اولُ مَن سنَّ ذلك على العرجي ، وهو ابنُ عمي وابنُ امير المؤمنين عثمانَ ، فما رَعَيتَ حقَ جَدِّه ولا نَسبَه بهشام . وانا وَلِيُّ ثأره . إضرِب يا غلام . فضربَهما ضربا مبرِّحا . وأُثقِلا بالحديد ووجَّهَ بهما الى يوسفَ بنِ عُمَرَ بالكوفة وامره باستصفائهما [٦] وتعذيبهما حتى يَتلَفـا . وكتب اليه : إحبِسهما معَ ابنِ النَصرانية – يَعني خالداً القَسريَّ – ونفسَك نفسَك [٧] إن عاش احد منهم . فعذَّبَهم عَذابا شديدا ، واخذَ منهم مالا عظيما ، حتى لم يَبقَ فيهم مَوضِعٌ للضرب . فكان محمدُ

(١) سِداد بالكسر ، كل ما اغلقت به فوهة او فرجة ، ونقل تشبيهاً الى ما يعد للثغور من رجال وعدة . وبالفتح : الصواب في الرأي . (٢) بيت الخلاء . (٣) شر : اي اكثر شر . (٤) حد : عقوبة مقدرة وجبت على الجاني .
(٥) قَوَد : قصاص . (٦) اخذ اموالهما . (٧) اي احذر .

بنُ هشامٍ مطروحا ، فاذا ارادوا ان يُقيموه اخذوا بلحيته فجذبوه بها . ولما اشتدت الحال عليهم تحامل ابراهيمُ لينظرَ في وجه محمدٍ فوقع عليه فماتا جميعا ، ومات خالدٌ معهما في يوم واحد .

قال اسحاق : غنّيت الرشيدَ يوما في عَرَضِ الغناء :

اضاعوني وايَّ فتىً اضاعوا . . .

فقال لي : ما كان سببُ هذا الشعرِ حتى قاله العرجي ؟ فأخبرته بخبره من اوله الى ان مات . فرأيته يتغيّظُ كلما مرَّ منه شيء. فأتبعتُه بحديثِ مقتلِ ابنيَ هشام. فجعل وجهُه يَسفُر(١) وغيظُه يَسكُن . فلما انقضى الحديث قال لي: يا اسحقُ ، واللهِ ، لولا ما حدَّثتَني به من فعل الوليدِ لما تركت احدا من اماثلِ بني مخزومٍ الا قتلتهُ بالعرجي .

مجنون بني عامر

هو قيسُ بنُ المُلوَّحِ ابنِ عامر . وليلى، صاحبته، هي بنتُ سعدِ ابنِ عامر (وكانت من اجملِ الناسِ واظرفِ النساء وأحسنِهن جِسما وعقلا وافضلِهن ادبا وأملَحِهن شكلا)(٢)

قال الجاحظ : ما ترك الناسُ شعرا مجهولَ القائلِ قيل في ليلى إلا نسبوه الى قيسِ بنِ الملوّح ، ولا شعراً هذه سبيلُه قيلَ في لُبنى إلا نسَبوه الى قيسِ بن ذَرِيح.

قال ابو عبيدة : كان المجنونُ يَهوى ليلى ، وتُكَنّى امَّ مالك ، وهما حينئذ صبيّان ، فَعلِقَ كلُ واحد منهما صاحبَه وهما يَرعَيان مواشيَ اهلِهما. فلم يزالا كذلك حتى كَبَرا فحُجِبت عنه . ويَدُل على ذلك قولُه :

تعلّقتُ ليلى وهي ذاتُ ذوائبٍ(٣) ولم يبدُ للاتراب(٤) من ثديها حَجمُ
صغيرين نَرعى البَهمَ يا ليتَ اننا الى اليومِ لم نَكبَر ولم تَكبَرِ البَهمُ(٥)

قال الشافعي: بينما ابن مُلَيكةَ يؤذّن اذ سَمِع الأخضرَ الجُدّيَّ يغني من دار العاص بنِ وائل :
صغيرينِ نَرعى البهمَ يا ليت أننا . . .
فأراد ان يقول: حيَّ على الصلاة. فقال: حيَّ على البَهمِ . حتى سَمِعَه اهلُ مكةَ ، فغدا يَعتذِر لهم.

(١) يسفر : يضيء ويشرق ، والمقصود هنا زايله ما عراه من امتعاض . (٢) زيادة من مختار الاغاني .
(٣) ذوائب : واحدها ذؤابة : شعر مقدم الرأس ، وكان يُضفر للفتيات الصغيرات . (٤) جمع تِرب وهو المجايل في العمر. (٥) البهم: مفرده: بُهمَة أي الصغير من ماشية الضأن.

قال الكلبي : اقبلَ المجنون ذاتَ يوم على ناقة له كريمة وعليه حلّتان من حلل الملوك ، فمرَّ بامرأة من قومه يقال لها : كريمةٌ ، وعندَها جماعةٌ ونسوة يتحدثن ، فيهن ليلى . فاعجبَهن جمالُه وكماله فدعَونه الى النزول والحديث ، فنزَل وجعلَ يُحدّثُهن ، وأمرَ عبداً له ، كان معه ، فعقَر [1] لهن ناقته ، وظل يحدّثهن بقيةَ يومه . فبينا هو كذلك اذ طلع عليهم فتى عليه بُردةٌ من بُرَد الاعراب يقال له : مُنازِل ، يَسوق مِعزًى له . فلما رأينه أقبلن عليه وتركن المجنونَ . فغَضِب وخرَج وأنشأ يقول :

أأعقرُ من جرّا كريمةَ ناقتي ووصليَ مفروشٌ [2] لوصل مُنازِلِ
اذا جاء قَعقعنَ الحُليَّ ولم اكن اذا جئتُ أرضى صَوتَ تلك الخلاخلِ

فلما اصبح لَبِس حُلّتَه وركِب ناقة له أُخرى ومضى متعرّضا لهن ، فألفى ليلى قاعدةً بفِناء بيتها وقد علِق حبُّه بقلبها وهَوِيتـه ، وعندها جُوَيرياتٌ يتحدثن معها ، فوقف بهن وسلّم ، فدعَونه الى النزول وقلن له : هل لك في محادثة مَن لا يَشغَلُه عنك مُنازِلٌ ولا غيرُه ؟ فقال: إي لعمري . فنزَل وفعل مثلَ ما فعله بالامس . فأرادت ان تَعلَم ، هل لها عندَه مثلُ ما له عندها ، فجعلت تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ ، وتُحدِّث غيرَه . فبينا هي تحدثه اذ اقبل فتى من الحي فدعته وسارّته سِرارا طويلا ثم قالت له : انصرِف . ونظرت الى وجه المجنون قد تغير وانتقع [3] لونُه وشَقَّ عليه فعلُها . فانشأت تقول :

كِلانا مُظهِرٌ للناس بُغضاً وكُلٌّ عندَ صاحبه مَكينُ
تُبلِّغُنا العيونُ بما أردنا وفي القلبين ثَمَّ هوًى دفينُ

فلما سمع البيتين شَهَق شهقةً شديدة وأُغميَ عليه. ونَفَحوا [4] الماء على وجهه حتى أفاق . وتمكّن حبُّ كلٍّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مبلغ .

وقيل لقيس قبل ان يُخالَط [5] : ما أعجَبُ شيءٍ اصابك في وجدك بليلى ؟ قال : طرَقَنا [6] ذاتَ ليلة أضيافٌ ولم يكن عندنا أدَمٌ [7] . فبعثني ابي الى منزل ابي ليلى وقال لي: اطلُب لنا منه أدَما . فأتيته فوقعت على خبائه فصحتُ به . فقال : ما تشاء ؟ فقلت : طرَقَنا ضِيفانٌ ولا أدمَ عندنا لهم ، فأرسلَني ابي نَطلُب منك أدَما . فقال : يا ليلى ، أَخرجي اليه ذلك النِحيَ [8] فاملئي له إناءه من السمن. فأخرجَته ومعي قَعبٌ [9] ، فجعلَت تَصُب السمنَ فيه ونتحدث . فألهانا الحديثُ وهي تَصب السمنَ وقد امتلأ القَعبُ ولا نعلَمُ جميعا ، وهو يسيل حتى استنقعت ارجلُنا في السمن .

---

(١) عقر : نحر وذبح. (٢) ممهد . (٣) انتقع : تغير واصفر شأن المنقوع في الماء . . ولا يبعد انه مُصحّف : امتقع ، لانه الاكثر دوراناً في الاستعمال (٤) نفح الماء : رشه ونضحه . (٥) يخالط : يضطرب عقله . (٦) طرق طروقا : زار في الليل . (٧) أدم : ما يجعل مع الخبز او في الطبخ ليؤتدَم به . (٨) الزق الذي يوضع فيه السمن خاصة .
(٩) القعب قدح من الخشب غليظ ومقعر .

وقال : اتيتهم ليلةً ثانية اطلب نارا ، وانا متلفّع ببُرد لي . فأخرجَتْ لي نارا في عُطبة [1] فأعطَتنيها ووقفنا نتحدث . فلما احترقت العُطبةُ خرّقتُ من بُردي خرقةً وجعلتُ النار فيها . فكلما احترقت خرّقتُ اخرى وأذكيتُ بها النارَ حتى لم يَبقَ علي من البُردِ الا ما وارى عورتي ، وما أعقِل ما أصنع .

لما شُهِر امرُ المجنون وليلى وتناشد الناسُ شعرَه فيها ، خطَبَها وبذل لها خمسين ناقةً حمراءَ . وخطبها وَردُ بنُ محمدٍ العُقَيليُّ وبذل لها عَشْرا من الإبلِ وراعيَها . فقال اهلها : نحن مُخيِّروها بينكما . فمن اختارت تزوجَته . ودخلوا اليها فقالوا: واللهِ لَئِن لم تختاري وَرداً لَنُمَثِّلَنَّ بكِ . فاختارت وردا على كُرهٍ منها .

قيل : ان ابا المجنون وامَّه ورجالَ عشيرته اجتمعوا الى ابي ليلى فوعظوه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وقالوا له : ان هذا الرجلَ لهالكٌ . وإنك فاجع به اباه واهله . فوالله ما هي اشرفُ منه ولا لك مثلُ مالِ ابيه وقد حكّمك في المَهر ، وان شئت ان يَخلَع نفسَه اليك من ماله فعل . فأبى وحلف بالله وبطلاق امها أنه لا يُزوِّجها اياه ابدا . وقال : أَفضَح نفسي وعشيرتي وآتي ما لم يأته احدٌ من العرب ، وأَسِمُ ابنتي بميسَمِ فضيحة . فانصرفوا عنه . فخالفهم لوقته فزَوَّجَها .

وبلغ الخبرُ قيساً فأَيِس منها وزال عقله جُملةً . فقال الحي لابيه : أُحجُج به الى مكةَ وادعُ اللهَ له ، ومُرْه ان يتعلق بأستار الكعبةِ فيسألَ اللهَ ان يُعافيَه مما به ويبغِّضَها اليه ، فلعل اللهَ أن يُخلِّصه من هذا البلاء . فحج به ابوه ثم قال له: تعلق بأستار الكعبة واسألِ الله ان يُعافيَك من حب ليلى . فتعلق وقال : اللهم زدني لليلى حبا وبها كَلَفا ولا تُنسِني ذكرَها ابدا . فهام حينئذ واختلط ولم يُضبَط. وكان يَهيم في البرِّيَّة مع الوحش ولا يأكُل الا ما يَنبُت في البرِّيَّة من بَقلٍ ولا يشرَب الا مع الظِباء اذا وردت مَناهِلَها. وطال شعر جسده ورأسه وألِفَته الظِباءُ والوحوشُ فكانت لا تَنفُر منه .

قيل : مر المجنون بزوجِ ليلى وهو جالس يصطَلي في يومِ شاتٍ فوقف ثم أنشأ يقول :

بِربك هل ضَممتَ اليك ليلى قُبيلَ الصُبحِ او قبَّلتَ فاها
وهل رَفَّت عليك قرونُ ليلى زفيفَ الأقحوانةِ في نَداها [2]

فقال : اللهم ، اذ حلَّفتَني ، فنعم . فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر فما فارقهما حتى سقط مَغشيًّا عليه ، وسقط الجمر مع لحم راحتيه وعضَّ على شفته فقطَعها.

قال الزُهريُّ : اتاني رجل من عُذرةَ [3] لحاجة . فجرى ذِكرُ العِشق والعُشَّاق ، فقلت له : انتم ارقُّ قلوبا ام بنو عامر ؟ قال : إنَّا لَأرقُّ الناسِ قلوبا ولكن غلبتنا بنو عامر بمجنونها .

(١) خرقة تؤخذ بها النار . (٢) رفت: تلألأت اي لشدة سواد شعرها . قرون : جمع قرن ؛ ذوائب ، جداول. (٣) قبيلة.

قال العُتبيُّ : كان المجنون وليلى ، وهما صبيَّان ، يرعيان غنما لاهلهما عند جبل في بلادهما يقال له : التَوباد . فلما ذهب عقله وتوحَّش كان يَجيء الى ذلك الجبلِ فيُقيم به. فاذا تذكَّر ايامَ كان يُطيف هو وليلى به جزَع جزَعا شديدا واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحيَ الشام . فاذا ثاب (١) اليه عقلُه رأى بلدا لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم : بأبي انتم ، اين التَوبادُ من ارض بني عامر ؟ فيقال له : واين انت من ارض بني عامر ! انت بالشام . عليك بنجمِ كذا فأمَّه (٢) . فيَمضي على وجهه نحوَ ذلك النجمِ حتى يقعَ بأرض اليمن . فيرى بِلادا يُنكرها ، وقوما لا يعرفهم ، فيسألهم عن التَوبادِ وارضِ بني عامرٍ ، فيقولون : واين انت من ارض بني عامر . عليك بنجمِ كذا وكذا . فلا يزال كذلك حتى يقعَ على التَوباد ، فاذا رآه قال :

وأجهشتُ للتَوبادِ حينَ رأيتُه وكبَّر للرَحمَنِ حين رآني

فقلت له اينَ الذين عهِدتُهم بقربك في خفضٍ وطيبِ زمانِ

فقال مَضَوا واستودعوني بلادَهم ومَن ذا الذي يبقى على الحَدَثانِ (٣)

قيل : مر المجنون برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها . فلما نظر اليها وهي تَركُض في حبالها دمعت عيناه وقال لهما : حُلاَّها وخُذا مكانَها قَلوصا (٤) من إبلي . فأعطاهما وخلاَّها فولَّت تعدو هاربة ، فقال :

ايا شِبهَ ليلى لا تُراعي (٥) فانني لكِ اليومَ من وحشيةٍ لَصديقُ

ويا شِبهَ ليلى لو تلبَّثتِ ساعةً لعلَّ فؤادي من جَواه (٦) يُفيقُ

تَفِرُّ وقد أطلقتُها من وِثاقها فأنتِ لليلى ، لو علِمتِ ، طليقُ

ثم قال :

بالله يا ظَبياتِ القاعِ قُلنَ لنا ليلايَ منكُنَّ ام ليلى من البشرِ .

قال شيخ من بني مُرَّةَ: خرج منا رجل الى ما يَلي ارضَ نجدٍ في طلب بُغيةٍ له، فاذا هو بخيمة رُفعت له، وقد اصابه المطر ، فعدَل اليها وتنحنح ، فاذا امرأة قد كلَّمته فقالت : إنزِل . فنزَل . فقالت: سَلُوا هذا الرجلَ من اينَ أقبل . فقلت : من ناحيةِ تِهامةَ ونجدٍ. فقالت : أُدخُل ايها الرجل . فدخلتُ الى ناحية من الخيمة فأرخَت بيني وبينها سترا ثم قالت لي :

يا عبدَ الله ، ايَّ بلادِ نجدٍ وَطِئتَ ؟ فقلت: كلَّها . قالت : فبمن نَزَلت هناك . قلت : ببني عامر .

---

(١) ثاب : رجع. (٢) فاقصده ، اي راقِب النجم ليلا وسِر باتجاهه . (٣) حوادث الدهر . (٤) الناقة الشابة .
(٥) راعه يروعه : خوَّفه . (٦) الجوى : أشد العشق والهوى .

فتنفسَت الصُعَداءَ ثم قالت : فبأي بني عامر نَزَلت ؟ فقلت : ببني الحَرِيش . فاستعبرَت[١] . ثم قالت : فهل سمعت بذكر فتىً منهم يقال له قيسُ بن المُلوَّح ويُلَقّب بالمجنون . قلت : بلى ، والله ، وعلى ابيه نَزَلت ، واتيته فنظرت اليه يَهيم في تلك الفيافي ، ويكون مع الوحش لا يَعقِلُ إلا أن تُذكَرَ له امرأةٌ يقال لها ليلى ، فيبكي ويُنشِد اشعارا قالها فيها . قال : فرفعَت السترَ بيني وبينها ، فاذا فَلقةُ قمرٍ لم ترَ عيني مثلَها . فبكَت حتى ظننتُ أن قلبها قد انصدع . فقلت: ايتها المرأةُ ، اتقي اللهَ ، فما قلتُ بأسا . فمكثَت طويلا على تلك الحالِ من البُكاء والنحيب ثم قالت :

ألا ليتَ شِعري[٢] والخُطوبُ كثيـرةٌ   متى رَحلُ قيسٍ مُستقِلٌّ[٣] فراجـعُ
بنفسيَ مَن لا يَستقِـلُّ برَحلـه   ومَن هو ، إن لم يَحفَظِ اللهُ ، ضـائعُ

ثم بكت حتى سقطت مَغشيّاً عليها . فقلت لها : من انت يا امةَ الله ؟ وما قِصّتُكِ ؟ قالت : انا ليلى صاحبتُه المشؤومةُ عليه غيرُ المؤنِسةِ له !

وقيل : كان المجنون يقصِد منزِل ليلى الذي كان بيتُها فيه فيُلصِقُ صدرَه به ويَجعل يُمرِّغ خدَّيه على تُرابه ويبكي ويعود الى البَراري . وكانت امرأةٌ تَصنع له طَعامه وتأتيه به . وجاءت يوما الى الطعام فوجدته بحاله . وجاء اهله فطلبوه فلم يجدوه . وغدَوا في الرابع يَستَقرُون أثَرَه فوجدوه في وادٍ كثيرِ الحِجارة خَشِنٍ وهو ميت . فاحتملوه فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه . فلم تبقَ فتاة الا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تَندُبُه .

واجتمع فِتيان الحي يبكون عليه أحَرَّ بُكاءٍ ويَنشِجون عليه أشدَّ نشيج . وحَضَرهم حَيُّ ليلى مُعزِّين وابوها معهم . فكان اشدَّ القوم جزَعاً وبُكاءً عليه وجعل يقول: ما علِمنا أن الأمر يَبلُغ كلَّ هذا . ولكني كنت امرءًا عربيا اخاف من العار وقُبحِ الأحدوثة ما يَخافُه مِثلي. فزوّجتُها وخرجَت من يدي . ولو علِمت أن امره يجري على هذا ما أخرجتُها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك . قيل : فما رُئي يومٌ كان اكثرَ باكيةً وباكياً على ميتٍ من يومئذٍ .

° ° °

مختارات من ديوانه

اذا عَقَدَ القضاءُ علـيَّ امـرا   فليس يَحُـلُّه الا القضـاءُ

° ° °

فبُعدٌ ووَجدٌ واشتيـاقٌ ورَجفـةٌ   فلا أنتِ تُدنيـني ولا أنا أقـرُبُ

(١) جرت عبراتها . (٢) ليت شِعري اي ليت شعوري، او ليتني اشعر . (٣) مستقل : مرتحل .

كعُصفورةٍ في كفِّ طِفلٍ يزُمُّهــا (١) تَذوق حِيَاضَ (٢) الموتِ والطِفلُ يَلعَبُ

* * *

اذا مــا رأوني أظهرُوا لــي مــودّةً ومثلَ سيوفِ الهِنــدِ حينَ أغيــبُ

* * *

ولو أنَّ ما بي بالحَصى فَلَــقَ الحصى وبالريحِ لم يُسمَعْ لهــن هُبُــوبُ

* * *

أهــابُكِ إجْـلالاً ومــا بكِ قُــدرةٌ عليَّ ولكن مــلءُ عينٍ حبيبُــها

* * *

ولي كَبِدٌ مقروحــة مــن يَبيعُــبني بها كبــدا ليست بــذاتِ قُــروحِ
أبــاها عــليَّ النــاسُ لا يَشترونها ومَن يَشتري ذاعِلَّــةٍ بصحيــحِ

* * *

تَكــاد يدي تَندَى اذا مــا لمَستُــها ويَنبُت في أطرافِــها الوَرَقُ الخُضرُ
هل الوجــد الا أن قلــبيَ لودَنــا من الجَمرِ قِيدَ (٣) الرُمحِ لاحترق الجمرُ

* * *

الحبُ اولُ مــا يكــون لَجاجــةً تَأتــي بــه وتسوقُــه الاقــدارُ
حتى اذا اقتحــم الفتى لُجَــجَ الهــوى جاءت أمورٌ لا تُطــاقُ كِبــارُ

* * *

أُقلِّب طَــرْفي في السمــاءِ لَعلَّــه يُوافِقُ طرفي طَرفَهَــا وهي تَنظُرُ
وليس الذي يَهمــي من العين ماؤهــا ولكنَّها نَفسٌ تَذوب وتَقطُــرُ
فعينــايَ طَورا تَغرَقــان من البُكــا فأعشى وطَورا تَحسُران فأُبصِــرُ (٤)

* * *

يا مُوقِدَ النــارِ يُذكيهــا ويُخمدُهــا قَرُّ الشِّتــاءِ بأريــاحٍ وأمطــارِ
قم فاصطلِ النــارَ من قلــبي مُضَرَّمَةً فالشوقُ يُضرِمُها يــا مُوقِدَ النــارِ

* * *

أمُرُّ على الديــارِ ديــارِ ليــلى أُقبِّلَ ذا الجِدارَ وذا الجِــدارا
وما حُبُّ الديــارِ شَغَفنَ قَلــبي ولكن حبُّ مَن سَكن الديــارا (٥)

* * *

(١) يزمها : يشد عليها . (٢) حياض : جمع حوض وأصله للماء واستعماله هنا مجازي بمعنى انه يكابد كن يغرق .
(٣) قِيد الرمح : قدر الرمح اي طوله . (٤) أعشى : يضعف بصري . تحسران : من حسر الماء : جف ونضب .
(٥) اصل الفعل شغف . ولكن العرب تبني هذه الصيغة على المجاورة . فوقوع الفعل بعد « الديار » ، وهي جمع، جعل ضمير الفعل شغف جمعا على المجاورة.

تداويتُ من ليلى بليلى على الهوى كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ
لقد فُضّلت ليلى على الناس مثلما على ألف شهرٍ فُضّلت ليلةُ القدرِ (١)

° ° °

فأصبحتُ من ليلى الغداةَ كقابضٍ على الماء خانته فروجُ الاصابعِ

° ° °

أدعو الى هجرها قلبي فيتبعُني حتى اذا قلت هذا صادقٌ نزَعا (٢)
وزادني كلَفا في الحبِّ أن مُنِعت أحبُّ شيء الى الانسان ما مُنِعا

° ° °

نهاري نهارُ الناسِ حتى اذا بدا ليَ الليلُ هزّتني اليكِ المضاجعُ
أقضّي نهاري بالحديث وبالمُنى ويجمعُني والهمَّ بالليلِ جامعُ
لقد ثبتت في القلب منكِ محبةٌ كما ثبتت في الراحتين الاصابعُ
وانتِ التي صيّرتِ جسمي زُجاجةً تنمُّ على ما تحتويه الاضالعُ

° ° °

لسانيَ عَيٌّ في الهوى وهو ناطقٌ ودمعي فصيحٌ في الهوى وهو أعجمُ

° ° °

وأبرزتِني للناسِ ثم تركتِني لهم غرَضا أُرمى وانتِ سليمُ
فلو أن قولا يكلُمُ (٣) الجسمَ قد بدا بجسميَ من قولِ الوُشاةِ كُلومُ

° ° °

لَحى (٤) اللهُ اقواماً يقولون إننا وجدنا طوالَ الدهرِ للحب شافيا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتين بعدما يظُنّان كلَّ الظنّ أن لا تلاقيا
أراني اذا صلّيتُ يمّمتُ نحوَها بوجهي وإن كان المُصلّى ورائيا
وما بيَ إشراكٌ ولكنَّ حبَّها كعُودِ الشجى (٥) أعيا الطبيبَ المداويا
اذا سرتُ في الارض الفضاء رأيتُني أصانعُ رحلي أن يميلَ حياليا
يميناً اذا كانت يمينا وإن تكن شمالا يُنازعُني الهوى عن شماليا
هي السحرُ إلاّ أنَّ للسحر رُقيةً (٦) وأنيَ لا أُلفي لها الدهرَ راقيا

(١) هي ليلة تقع في العشر الأواخر من رمضان،وفي البيت إشارة للآية القرآنية « ليلة القدر خير من ألف شهر » . (٢) نزع نزوعا : كف وانتهى . (٣) يكلم : يجرح . الكلوم : الجروح . (٤) لحى : قبح . (٥) الشجى : ما اعترض في الحلق . (٦) رقية : عوذة تقي من السحر أو تبرىء الممسوس به .

فلو كنتُ أعمى أَخبِطُ الارضَ بالعصا   أصَمَّ فنادتني أجبتُ المُناديا
أُصَلي فما أدري اذا ما ذكرتُها   أثِنتَين صَلّيتُ الضُحى أم ثَمانيا

ويُنسَب الى المجنون :

وكنتَ وعدتَني يا قلبُ أني   اذا ما تُبتُ عن ليلى تَتوبُ
وها انا تائبٌ عن حُبِّ ليلى   فمالكَ كلّما ذُكِرَت تَذوبُ

° ° °

أوميضُ برقٍ في الأبيرقِ لاحا   ام في رُبى نجدٍ أرى مِصباحا
ام تلك ليلى العامريةُ أسفَرَت   ليلاً فصيَّرتِ المساءَ صباحا

عدي بن زيد

هو عَدِيُّ بنُ زيدِ ابنِ الياسَ ابنِ مُضرَ ابنِ نِزارٍ . وكان نَصرانيا وكذلك كان ابوه وامه واهله . شاعر فصيح من شعراء الجاهلية . وكان اولَ من كتب بالعربية في ديوان كِسرى . وكان المنذر ، لما مَلَكَ بالحيرة ، جعل ابنَه النُعمانَ في حِجر عَدِيٍّ بن زيدٍ ، فهم الذين ارضعُوه وربَّوه . وكان للمنذر ابنٌ اخرُ يقال له « الاسودُ » امه ماريةُ بنتُ الحارثِ بنِ جُلهُم من تَيمِ الرِّبابِ فأرضعه وربَّاه قوم من اهل الحِيرة يقال لهم بنو مَرينا وكانوا اشرافا. وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ يقال لهم « الاشاهبُ » من جمالهم . وكان النُعمان من بينِهم احمرَ ابرشَ قصيراً وامهُ سلمى بنت وائلٍ . فلما احتُضِرَ المنذرُ وخلَّف اولاده ، اوصى بهم الى إياس بنِ قَبيصةَ الطائيِّ وملَّكَه على الحيرةِ الى أن يُرى كِسرى رأيَه. فمكث اشهُرا وكسرى في طلب رجل يُمَلِّكه فلم يجد احدا يرضاه فضجِر ، فقال : لأبعثنَّ الى الحيرة اثني عشرَ الفا من الاساورة[1] ولَامَلِّكَنَّ عليهم رجلا من الفُرسِ ، ولَآمُرَنَّهم ان يَنزِلوا على العرب في دُورهم ويَملِكوا عليهم اموالَهم ونساءَهم . وكان عديٌّ واقفا بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحَك يا عدي ، من بقي من آل المنذر ؟ وهل فيهم احد فيه خير ؟ فقال : نعم ، ايها الملك السعيد . فقال : ابعَث اليهم فأحضِرهم .

فبعث عديٌّ اليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعا عنده . وارسل الى النُعمانِ : لستُ أُملِّكُ غيرَك . فلا يُوحِشَنَّك ما أُفضِّل به أُخوتَك عليك من الكرامة فاني انما أَغترُّهم بذلك. ثم كان يفضِّل اخوته جميعا عليه في النُزُلِ والاكرامِ ويُريهم تَنَقُّصا للنعمان ، وجعل يَخلو بهم رجلا رجلا فيقول : اذا

(١) جمع اسوار وهو دخيل من الفارسية يعني : رامي السهام ، القائد العسكري .

أدخلتُكم على الملك فالبَسوا أفخرَ ثيابكم وأجملَها . واذا دعاكم بالطعام لتأكُلوا فتَباطَأوا في الاكل وصَغِّروا اللُقَمَ ونَزِّروا ما تأكلون . فاذا قال لكم : أتَكفونَني العربَ ؟ فقولوا : نعم . فاذا قال لكم : فإن شَذَّ احدُكم عن الطاعة وأفسد ، أتَكفونَنيه ؟ فقولوا : لا . ان بعضَنا لا يقدِر على بعض . ليَهابَكم ولا يَطمَعَ في تَفرُّقكم ويَعلَمَ ان للعرب مَنعةً وبأسا . وخلا بالنعمان فقال له : البَس ثياب السَفَر وادخُل متقلِّدا بسيفك . واذا جلست للاكل فعظِّم اللُقَمَ وأسرِع المَضغَ والبَلعَ وزِد في الأكل وتَجوَّع قبلَ ذلك . فان كِسرى يُعجبه كثرةُ الاكلِ من العرب خاصةً . ويَرى أنه لا خيرَ في العربي اذا لم يكن أكولا شَرِها ، ولا سيَّما اذا رأى غيرَ طَعامه وما لا عهدَ له بمثله . واذا سألك : هل تَكفيني العربَ ؟ فقل : نعم . فاذا قال لك : فمن لي بأخوتك ؟ فقل له : إن عَجَزتُ عنهم فإني عن غيرهم لأعجَزُ .

وخلا ابنُ مرينا بالاسودِ فسأله عما اوصاه به عديٌّ . فأخبره . فقال : غَشَّك ، والصليبِ والمعمودية ، وما نَصَحك . ولَئِن أطعتَني لَتُخالِفَنَّ كلَّ ما امرك به ، ولَتُمَلَّكَنَّ . ولئن عصيتَني لَيُمَلَّكَنَّ النعمانُ . ولا يَغُرَّنَّك ما أراكَه من الاكرام والتفضيل على النعمان . فان ذلك دَهاءٌ فيه ومَكر . فقال له : ان عَديًّا لم يَألُني [1] نُصحا ، وهو أعلَمُ بكِسرى منك وان خالفتُه أوحشتُه [2] ، وهو جاء بنا ، والى قوله يَرجِع كِسرى . فقال له ابن مرينا : ستعلم .

ودعا بهم كِسرى . فلما دخلوا عليه أعجبَه جَمالهم وكمالهم . فدعا بالطعام . ففعلوا ما امرهم به عديٌّ . فجعل يَنظُرُ الى النُعمانِ من بينهم ويتأمل أكلَهم . فقال لعديٍّ بالفارسية : إن يكن في احد منهم خيرا ففي هذا . فلما غسلوا ايديَهم ، جعل يدعو بهم رجلا رجلا فيقول له : اتكفيني العربَ ؟ فيقول : نعم ، اكفيكَها كلَّها الا اخوتي . حتى انتهى الى النعمان فقال : اتكفيني العرب ؟ قال : نعم . قال : كلَّها ؟ قال نعم . قال : فكيف لي بأخوتك ؟ قال : ان عَجَزتُ عنهم فانا عن غيرهم أعجَزُ : فمَلَّكه وخلع عليه وألبسه تاجا . فلما خرج ، وقد مُلِّكَ قال ابن مرينا للاسود : دونَك عُقبى خِلافِك لي .

وخرج النعمان حتى نَزَل مَنزِل ابيه بالحيرة .

وقال ابن مرينا للاسود : اما اذا لم تَظفر فلا تَعجزَنَّ أن تَطلُبَ بثأرك من هذا الذي فعل بك ما فعل . وكنتُ امرتُك ان تَعصيَه فخالفتني . فقال الاسود : فما تريد ؟ قال : اريد الا تأتيَك فائدةٌ من مالك وارضك الا عرضتَها علي . ففعل .

وكان ابن مرينا كثيرَ المال والضَيعة . فلم يكن يومٌ يأتي الا على باب النعمان هديةٌ من ابن مرينا . فصار من اكرمِ الناس عليه . حتى كان لا يَقضي شيئا الا بامر ابن مرينا . وكان اذا ذُكر عديُّ بنُ زيدٍ عند النعمان أحسنَ الثناءَ عليه . وجعل يقول لمن يثق به من اصحابه : اذا رأيتموني اذكر عديًّا

---

(١) ألَا يألو في الامر : قَصَّر وأبطأ . (٢) اوحشه : جافيته وحمله على الوحشة وقاطعه المودة .

عند الملك بخير ، فقولوا : إنه لكذلك . ولكنه لا يَسلَمُ عليه احد . وإنه ليقول : إن الملكَ النعمانَ عاملُه وإنه هو ولاّه . فلم يزالوا بذلك حتى أضغنوه عليه . فارسل الى عدي بن زيد : عزمت عليك إلاّ زُرتَني ، فاني قد اشتقت الى رؤيتك . وعديٌّ يومئذ عند كسرى . فاستأذن كسرى فأذن له . فلما اتاه لم ينظر اليه حتى حبسه في مَحبَس لا يَدخل عليه فيه احد . فكان يكتُب الى النعمان قصائدَ كثيرةً فلا تُغني عنده شيئا . وارسل النُعمان اليه اعداءه فغمّوه (١) حتى مات ثم دفنوه .

وندم النعمان على قتل عديٍّ وعرف أنه احتيل عليه في امره . وكان لعديٍّ بن زيد ولدٌ يدعى زيدُ بنُ عديٍّ . فلما كَبِر اخذ مكان ابيه عند كِسرى ، يَلي المُكاتَبةَ عن المَلِك الى ملوك العرب في امورها وفي خواصِّ امور المَلِك . وأُعجِب به كسرى ، فكان يُكثِر الدخول عليه والخدمةَ له .

وكانت للملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم . فكانوا يبعثون في تلك الارضينَ بتلك الصفة . فاذا وُجدت حُمِلت الى المَلِك . غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في ارض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتِب بها إلى النواحي ، ودخل اليه زيدُ بنُ عَديٍّ وهو في ذلك القول ، فخاطبه في ما دخل اليه ، ثم قال : اني رأيت الملكَ وقد كتب في نِسوة يُطلَبن له وقرأتُ الصفةَ ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعندَ عبدكَ النُعمان من بناته واخواته وبنات عمه واهله اكثرُ من عشرين امرأةً على هذه الصفة . قال : فاكتُب فيهنَّ . فقال : ايها الملك ، ان شرَّ شيء في العرب ، وفي النعمان خاصةً أنهم يتكرمون — زعموا في انفسهم — عن العجم . فانا أكرَه ان يُغَيِّبَهنَّ عمن تَبعث اليه ، او يَعرِضُ عليه غيرَهن . وإن قَدِمتُ انا عليه ، لم يَقدِر على ذلك . فابعثني وابعث معي رجلا من ثِقاتك يَفهم العربيةَ ، حتى أَبلُغَ ما تُحبه . فبعث معه رجلا جَلدا فَهِماً . فخرج به زيد حتى بلغ الحيرة . فلما دخل على النعمان أعظَمَه وقال : إن كسرى قد احتاج الى نساء لنفسه وولده واهل بيته . واراد كرامتَك بصَهره . فبعث اليك . فقال النعمان : ما هؤلاء النِسوة ؟ فقال : هذه صفتُهن قد جئنا بها .

وكانت الصفةُ أنَّ المنذرَ الاكبرَ اهدى الى انوشروانَ جاريةً كان اصابَها اذ أغار على الحارث الاكبر بن ابي شَمِر الغسّاني . فكتب الى انوشروانَ بصفتها ، وقال : اني قد وجّهت الى الملك جاريةً معتدلةَ الخَلْق ، نقيةَ اللونِ والثغرِ ، بيضاء قمراء ، وَطفاء (٢) كحلاء ، دعجاء (٣) ، حَوراء (٤) ، عَيناء (٥) ، قَنواء (٦) ، شَمّاء (٧) ، بَرجاء (٨) ، زَجّاء (٩) ، أَسيلةَ (١٠) الخدِّ شَهيّةَ المُقبَّلِ ، جَثلةَ (١١) الشعرِ عظيمةَ الهامة ، بعيدةَ مهوى القُرط (١٢) ، عَيطاء ، عريضةَ الصدرِ ، كاعبَ الثدي ، ضخمةَ مُشاشِ (١٣) المَنكِبِ والعَضُدِ ، حَسَنَةَ المِعصَمِ ، لطيفةَ

---

(١) غم : غطى . (٢) غزيرة الاهداب وشعر الحاجبين . (٣) الدَعَج : شدة سواد العين واتساعها . (٤) الحَوَر في العين : الاسود شديد السواد ، والابيض شديد البياض . والحورية هي صاحبة العين الحوراء . وبالتوسع كل امرأة جميلة .
(٥) كبيرة العين. (٦) القنا : ارتفاع في اعلى الانف واحديداب في وسطه وضيق في منخريه . (٧) والشمم في الانف : ارتفاع القصبة وحسنها. (٨) الجميلة ، والحسنة الوجه . (٩) دقيقة الحاجبين : فالحاجب ازج. (١٠) ناعمة .
(١١) كثيفة الشعر . (١٢) اى طويلة العنق ، ومثلها العيطاء . (١٣) مشاش : جمع مُشاشة ، العظم اللين .

الكفِّ ، سَبِطةَ(١) البَنان ، ضامرةَ البطنِ ، خَميصةَ(٢) الحصرِ ، غرثى(٣) الوِشاحِ ، رَداحَ الأقبال(٤) ، رابيةَ الكَفَل ، لفّاء الفخذين ، ريّا الروادف ، ضخمةَ المأكمتين(٥) ، مُفعَمةَ الساق ، مُشبَعةَ الخلخال ، لطيفةَ الكعبِ والقَدَمِ ، قَطوفَ المشي ، مكسالَ الضُحى ، بَضّةَ المُتجرَّد ، سَموعاً للسيد ، ليست بخنساء(٦) ، ولا سفعاء(٧) رقيقةَ الانفِ ، عزيزةَ النفس ، لم تُغَذَّ في بُؤس ، حَيِيَّةً ، رزينةً ، حليمةً ، ركينةً(٨) ، كريمةَ الخالِ ، تقتصر على نَسَبِ ابيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جماعِ قبيلتها ، قد أحكَمَتها الامورُ في الادب ، فرأيُها رأيُ اهل الشرف . وعملُها عمل اهلِ الحاجة ، صَنَاعُ الكفَّين ، قَطيعةُ اللسان(٩) رَهوةُ(١٠) الصوتِ ساكِنَتُــه ، تَزين الوَليَّ ، وتَشين(١١) العدوَّ ، ان اردتَها اشتهت ، وان تركتَها انتهت ، تُحملق عيناها ، وتحمرُ وجنتاها . وتُذبذب(١٢) شفتاها ، تُبادرك الوَثبةَ اذا قُمتَ ولا تَجلِسُ الا بأمرك اذا جلستَ .

قال : فَقَبِلَها انو شروانُ ، وامر باثبات هذه الصفاتِ في دواوينه . فلم يزالوا يتوارثونها حتى افضى ذلك الى كِسرى بن هُرمُزَ .

فقرأ زيد هذه الصفةَ على النعمان ، فشقّت عليه ، وقال لزيد ، والرسول يَسمع : اما في مَها السَّوادِ(١٣) وعينِ فارسَ ما يَبلُغ به كسرى حاجتَه ؟ فقال الرسول : لزيد بالفارسية : ما المَها والعينُ ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، اي البَقرُ . فأمسَك الرسول . وقال زيد للنعمان : انما اراد المَلِكُ كرامتَك ، ولو علِم أن هذا يَشُق عليك لم يكتب اليك به .

فانزلهما يومين عنده ، ثم كتب الى كسرى : ان الذي طلب الملكُ ليس عندي . وقال لزيد : أعذِرني عند الملك .

فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول الذي قَدِم معه : أَصدِق الملكَ عما سمعتَ ، فاني سأُحدِّثه بمثل حديثك ولا أُخالفك فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابُه اليك . فقرأه عليه . فقال له كسرى : واين الذي كنت خبَّرتَني به ؟ قال : قد كنتُ خبَّرتُك بضِنَّتِهم بنسائهم على غيرهم ، وأن ذلك من شَقائهم واختيارِهم الجوعَ والعُريَ على الشِبَع والرياش ، وإيثارِهم السَمومَ والرياحَ على طيبِ ارضِك هذه ، حتى أنهم يُسمّونها السِجنَ . فسَل هذا الرسولَ الذي كان معي عما قال . فإني أُكرِم الملكَ عن مُشافهته بما قال واجاب به . فقال للرسول : وما قال ؟ قال : ايها الملك ، انه قال : اما كان في بقر السَّواد وفارسَ ما يَكفيه حتى يطلُبَ ما عندنا . فعُرِف الغضبُ

(١) السَّبِط من الشعر نقيض جَعد . سبط اليد والبنان : معتدل . (٢) خمص الجرح : زال ورمه . خميصة : ضامرة . (٣) غرثان ، غرثى : ضد شبعان . غرثى الوشاح : دقيقة الخصر . (٤) رداح : ثقيلة الاوراك . أقبال : جمع قُبل ، ما استقبلك من كل مرتفع . ضدها : الدُبر . (٥) المأكمة : لحم الوَرك . (٦) ارتفاع الانف عن الشفة . (٧) شاحبة اللون . (٨) وقورة . (٩) ليست سليطة اللسان . (١٠) رقيقة . (١١) تعيب . (١٢) تتحرك وتهتز . (١٣) السواد : الريف ، وحاشية الشخص .

في وجه كسرى ووقع في قلبه منه ما وقع . وسكت كسرى اشهرا على ذلك ثم كتب الى النعمان : أن أقبِل ، فان للملك حاجةً اليك .

فانطلق النعمان حين اتاه كتابه فحمل سِلاحه وما قَوِيَ عليه واراد طَيِّئاً على ان يُدخلوه الجبلين ويَمنعوه ، فأبَوا ذلك عليه ، وقالوا له : لا حاجةَ بنا الى مُعاداة كسرى ، ولا طاقةَ لنا به . واقبل يطوف على قبائلِ العرب ، ليس احدٌ منهم يَقبله . فأقبل حتى نَزَل بذي قار (١) في بني شيبانَ سرًّا . فلقي هانىءَ بنَ مسعودٍ ، وكان سيدا منيعا ، فأجاره وقال له : قد لَزِمَني ذِمامُك (٢) ، وانا مانِعُك مما امنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الادنَينَ رجلٌ . وإن ذلك غيرُ نافعِك لانه مُهلِكي ومُهلِكُك . وعندي رأيٌ لك لست أُشير به عليك لأدفعَك عما تريده من مجاورتي ، ولكنه الصوابُ . فقال : هاته . فقال : ان كلَّ امر يَجمُل بالرجل ان يكون عليه الا ان يكون بعد المُلك سُوقَةً (٣) . والموتُ نازلٌ بكل احد . ولأن تموتَ كريما من ان تتجرَّعَ الذُلَّ او تبقى سُوقَةً بعد المُلك .هذا ان بَقِيتَ . فامضِ الى صاحبك ، وأرسِل اليه هدايا ومالاً وألقِ نفسَك بين يديه . فإما أن صَفَح عنكَ فعُدتَ مَلِكا عزيزا ، وإما أن أصابك . فالموت خير من ان يتلعَّب بك صعاليكُ العربِ ويتخطَّفَك ذئابها ، وتأكُلَ مالَك وتعيشَ فقيرا مُجاورا او تُقتَلَ مقهورا. فقال له : كيف بحُرُمي ؟ قال : هنَّ في ذِمتي ، لا يُخلَصُ اليهن حتى يُخلَصَ الى بناتي . فقال : هذا الرأيُ الصحيحُ ، ولن أُجاوزَه .

ثم اختار خيلا وحُلَلا وجوهرا وطُرَفا (٤) ووجَّه بها الى كسرى وكتب اليه يعتذر ويُعلمه أنه صائرٌ اليه . ومضى اليه حتى اذا وصل الى المدائنِ (٥) لقيَه زيدُ بنُ عديٍّ على قنطرةِ ساباطَ (٦) فقال له : أنجُ نُعَيمَ (٧) إن استطعت النَجاء . فقال له : أفعَلتَها يا زيد . اما ، والله ، لئن عِشتُ لك ، لأقتُلنَّك قِتلةً لم يَقتُلها عربيٌّ قط ، ولألحقَنَّك بأبيك . فقال له زيد : امضِ لشأنك نُعيمُ ، فقد والله أخيَتُ لك أخيَّةً (٨) لا يَقطعُها المُهرُ الأرِنُ (٩) .

فلما بلغ كسرى ، ألقاه تحتَ ارجل الفِيَلَةِ فوَطِئتَه حتى مات .

وكان عديُّ بنُ زيدٍ تزوج هنداً بنت النعمان . فكانت معه حتى قتله ابوها . فذهبت وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هندٍ في ظاهر الحيرة . (ولها خبر مع المُغيرة بنِ شُعبةَ يأتي في الجزء السادسَ عشرَ) .

ومنهم من قال : إن النعمان لما حبس عدياً أكرَهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلَّقها .

---

(١) ماء لبكر بن وائل بين الكوفة وواسط وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر والفرس. (٢) ذمامك : حقك وعهدك. (٣) احد الرعية . (٤) الطرف : واحده طُرفة أي المتحدَّث النفيس . (٥) الموضع الذي كان مسكن الملوك من الاكاسرة. (٦) موضع بالمدائن . (٧) تصغير نعمان للتحقير ، وهو مرخم . (٨) انشوطة كالعروة تربط بها الدابة . (٩) النشيط .

زرقاء اليمامة

ورُويَ عن هند أنها كانت تهوى زَرقاءَ اليمامة. والزرقاءُ، كانت ترى الجيش من مَسيرة ثلاثين ميلا. فغزا قومٌ من العرب اليمامةَ، فلما قَرُبوا من مسافة نظرِها قالوا: كيف لكم بالوصول مع الزرقاء. وكان قومها يُقيمونها على تَلّةٍ لتَرصُدَ لهم الاعداء. فاجتمع رأيُهم على أن يقتلعوا شجرا تستُر كلُّ شَجَرةٍ منها الفارسَ اذا حملها. فقطع كلُّ واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها. فأشرفَت، كما كانت تفعل، فقال لها قومُها: ما تَرَينَ يا زرقاءُ؟ قالت: ارى الغابَ يمشي الينا. فقالوا: كَذَبتِ، او كَذَبَتكِ عينُكِ. واستهانوا بقولها. فلما أصبحوا صَبَّحَهم[1] القومُ، فاكتسحوا اموالهم، وقتلوا منهم مَقتَلةً عظيمةً، واخذوا الزرقاءَ، فقلعوا عينها فوجدوا فيها عروقا سوداءَ، وماتت بعد ذلك بأيام.

من اشعار عديٍّ بن زيد:

ايها الشامتُ المُعيِّرُ بالدهـــر ... أأنــتَ المُبَــرَّأُ المَوفــورُ

مَن رأيتَ المَنونَ خَلَّــدنَ ام مَــن ... ذا عليه مِن أن يُضامَ خفيــرُ

اين كِسرى كِسرى الملوكِ أنوشــر ... وانُ ام اين قبلَــه سابــورُ

وبنو الاصفرِ الكِــرامُ ملوكُ الرومِ ... لم يبقَ منهــمُ مذكــورُ

واخو الحَضر[2] اذ بنــاه واذ دجلَةُ ... تُجــبى اليــه والخــابورُ[3]

شادَه مَرمَــرا وجلَّلَــه كِلسًــا ... فللطيــر في ذُراه وُكــورُ

لم يَهَبه رَيبُ المَنونِ فبــاد المُلكُ ... عنــه فبــابُــه مهجــورُ

وتَذكَّر ربَّ الخَــوَرنَــقِ[4] اذ أشرفَ ... يومــا وللهُــدى تفكيــرُ

فارعَــوى قلبُه فقــال وما غِبطَــةُ ... حــيٍّ الى المَمــاتِ يصيرُ

خرج النعمان الى الصيد ومعه عديُّ بنُ زيدٍ فمرُّوا بشَجَرة. فقال له عديٌّ: ايها الملكُ، أتَدري ما تقول هذه الشجرةُ؟ قال: لا. قال: تقول:

رُبَّ رَكبٍ أنــاخوا عندنــا ... يشربون الخمرَ بالمــاءِ الزُلالِ

(١) صَبَح القوم: اتاهم صباحا بخير او شر. وصَبَّح القوم اتاهم صباحا. (٢) قصر سيأتي ذكره. (٣) نهر يصب في الفرات.
(٤) قصر النعمان.

وَالأَبـــاريقُ عليهـــا فُـــدُمٌ[١] وجِيادُ الخيلِ تَردي في الجِلالِ[٢]
عَصَفَ الدهرُ بِهِـــم فانقرضـــوا وكذلك الدهرُ حـــالاً بعد حـــالِ

ثم جاوز الشجرة فمر بمقبرة فقال له عديٌّ: ايها الملك، أتَدري ما تقول هذه المقبرة؟ قال: لا. قال: تقول:

ايهـــا الرَكـــبُ المُخِبُّـــو نَ[٣] على الارضِ المُجِـــدُّونْ
فكمـــا أنتـــمُ كُنـــا وكمـــا نحـــن تكونـــونْ

ومن اقواله:

ثم ثاروا الى الصَبـــوحِ[٤] فقامت قَينـــةٌ في يمينـــها إبريـــقُ
قدَّمتـــه على عُقـــارٍ كعيـــنِ الديكِ صَفَّى سُلافَهـــا الراووقُ

ومن جيد شعره:

هلاَّ بَكَيتَ عـــلى الشَبـــابِ الذاهبِ وكَفَفتَ عن ذَمِّ المَشيـــبِ الآئبِ[٥]
هذا ورُبَّ مُسَوِّفينَ[٦] شفَيتُهـــم من خمر بابِلَ لَـــذَّةً للشـــاربِ
بَكَروا عليَّ بسَحرةٍ فصَبَحتُهـــم من ذاتِ كُوبٍ مثلِ قَعبٍ[٧] الحالبِ
بزُجاجةٍ مِلءِ اليديـــن كأنهـــا قِنديلُ فِصحٍ[٨] في كنيسة راهبِ

قصر الحضر

ان الحَضر كان قصرا بحيال تَكريتَ بين دِجلةَ والفُرات. وإن اخا الحَضرِ الذي ذكره عديُّ بنُ زيد هو الضَيزَنُ بنُ معاويةَ بنِ العَبيد ابنِ قُضاعةَ. وكان ملكَ تلك الناحيةِ وسائرِ ارضِ الجزيرةِ. وكان مُلكُه قد بلغ الشامَ. فأغار الضيزنُ فأصاب أُختا لسابورَ وفتح مدينةَ نَهرَ شيرَ وفتك فيهم.

ثم ان سابور جمع لهم وسار اليهم، فأقام على الحَضر اربعَ سنين. ثم إن النَضيرةَ بنتَ الضيزنِ

---

(١) فدم: جمع فِدام: مصفاة صغيرة او خرقة تجعل على فم الابريق ليصفى بها ما فيه. (٢) تَردي: تعدو وترجم الارض بحوافرها. (٣) المخبون: أخب الفرس، حمله على الخبب وهو عَدْو يراوح فيه بين يديه ورجليه. (٤) الصبوح: الشرب أو الاكل عند الصباح. (٥) الآئب: العائد. (٦) مسوفين: الذين يشربون ويسوفون الدفع. أو هم الصابرون. (٧) قعب: قدح ضخم. (٨) هو عيد قيامة السيد المسيح من القبر عند النصارى.

عَرَكَت ــ اي حاضت ــ فأُخرِجَت الى الرَبَض (١) وكانت اجملَ اهل زمانها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حِضْنَ . وكان سابورُ من اجملِ اهل زمانه . فرآها ورأته وعَشِقها وعَشِقته . فأرسلت اليه : ما تَجعلُ لي إن دَلَلتُك على ما تَهدِم به هذه المدينةَ ، وتقتُل ابي ؟ قال : أُحكِّمُك وارفعُك على نسائي ، وأَخُصُّك بنفسي دونَهن . قالت : عليك بحمامة مطوَّقةٍ ورقاءَ (٢) ، فاكتُب في رجلها بحَيض جاريةٍ بِكرٍ تكون زرقاءَ، ثم أرسِلها فانها تقع على حائط المدينة فتتداعى المدينة ، وكان ذلك طِلَّسْمَها (٣) لا يَهدِمُها الا هو . ففعل وتأهَّب لهم . وقالت له: انا أَسقي الحرسَ الخمرَ ، فاذا صُرِعوا فاقتُلهم وادخُل المدينة . ففعل . فتداعت المدينةُ وفتحها سابورُ عَنوةً فقتل الضيزنَ وأباد بني العبيد وأفنى قُضاعةَ ، واحتمل النضيرةَ بنتَ الضيزنِ فأعرسَ بها بعين التمر (٤) . فلم تزل ليلتَها تَتَضوَّر (٥) من خَشانة في فُرُشِها وهي من حريرٍ محشوٌّ بالقزِّ . فالتمس ما كان يؤذيها، فاذا هي ورقةُ آسٍ ملتصقة بعُكنَة (٦) من عُكَنِها قد أَثَّرت فيها . وكان يُنظَر الى مُخِّها من لِين بَشَرَتِها . فقال لها سابورُ : ويحَك، بأي شيء كان ابوك يغذِّيك ؟ فقالت : بالزُبْد والمُخ (٧) وشَهدِ الابكار من النحل وصَفوة الخمر . فقال : وأبيكِ ، لأنا أحدَثُ عهداً بمعرفتك ، وآثَرُ لك (٨) من ابيك الذي غَذَّاك بما تذكرين ؟

ثم امر رجلا فركِب فرسا وضَفَر غدائرَها بذنَبه ثم استركضه فقَطَّعها قِطَعاً .

قصر الخورنق

واما صاحب الخَوَرنَق فهو النُعمانُ بنُ امرِىء القيس بن عمرٍو اللَّخميّ. وامُّه الشَقيقةُ الشَيبانية. وكان سببُ بِنائه الخورنقَ أن يَزدَجِردَ بنَ سابورَ كان لا يَبقى له ولد . فسأل عن منزلٍ مَريءٍ (٩) صحيحٍ من الادواء والاسقام فدُلَّ على ظهر الحيرة. فدفع ابنه بهرامَ جَوْرَ بنَ يَزدَجِردَ الى النعمانِ ، وكان عاملَه على ارض العرب ، وامره بان يبني الخورنق مَسكَنا له ولابنه .

وكان الذي بنى الخورنقَ رجل يقال له سِنمَّارُ . فلما فرغ من بِنائه عَجِبوا من حُسنه وإتقان عمله . فقال : لو عَلِمتُ أنكم تُوفوني أُجرتي وتَصنعون بي ما أستحقُّه ، لَبَنيتُه بِناءً يدور مع الشمس حيثُما دارت. فقالوا : وإنك لَتَبني ما هو افضلُ منه ولم تَبنِه؟ ثم أُمِر به فطُرِح من أعلى الجوسَق. (١٠) وقيل : إنه قال: إني لَأَعرف في هذا القصرِ موضعَ عيبٍ اذا هُدِم تداعى القصرُ أجمعُ . فقالوا له : اما والله لا تَدُلُّ عليه احداً . ثم رُمِيَ به من اعلى القصر .

(١) ما حول المدينة . (٢) يضرب لونها الى الخضرة . (٣) الطِلَسْم والطِلَّسْم : السر المكتوم وهو عبارة عن علم تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الارضية لاظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها . (٤) بلدة غربي الكوفة . (٥) تتلوى وتظهر الضرر . (٦) ما انطوى وتثنى من لحم البطن . (٧) صفرة البيض . (٨) افضل ، اكرم . (٩) مريء : حسن الهواء نقيه . (١٠) القصر : كلمة فارسية .

الحطيئة

هو جَرولُ بنُ أوسِ ابنِ عبسِ ابنِ مُضرَ . ويكنى ابا مُلَيكةَ . والحطيئة لقب غلَب عليه . ولُقّب به لِقُصره وقُربه من الارض .

هو من فحول الشعراء ومتقدميهم وفُصَحائهم ، متصرفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب . مُجيدٌ في ذلك اجمعَ . متينُ الشعر شَرودُ القافية . وكان ذا شرٍّ وسَفه . وهو مُخَضرَمٌ[١] . أدرك الجاهلية والاسلام . فأسلم ثم ارتد. وكان مغموزَ النسب ، وكان منَ اولاد الزِنا الذين شرُفوا .

سأل الحطيئةُ أُمَّه الضرّاءَ : مَن ابي ؟ فخلطت عليه . فقال :

تقول ليَ الضّرّاءُ لستَ لواحدٍ ولا اثنينِ فانظُر كيف شِركُ اولئكا
وانت امرُؤٌ تَبغي أباً قد ضللتَه هَبِلتَ[٢] ألمَّا تستفيق من ضلالكا

وقال يهجوها :

جزاكِ اللهُ شرًّا من عجوزٍ ولَقّاكِ العُقوقَ[٣] من البنينِ
فقد مُلِّكتِ امرَ بنيك حتى تركتِهمِ ادقَّ من الطحينِ

وقال فيها ايضا :

تَنَحّي فاجلسي منّي بعيدا اراحَ اللهُ منكِ العالمينا
أغربالا اذا استُودِعتِ سِرًّا وكانونا[٤] على المتحدثينا
حياتُك، ما علِمتُ ، حياةُ سوءٍ وموتُك قد يَسُرُّ الصالحينا

وكان الحطيئة جَشِعا سَؤولا مُلحفاً[٥] دنيءَ النفس ، كثيرَ الشر قليلَ الخير ، بخيلا ، قبيحَ المنظر رَثَّ الهيئة مغموزَ النسب ، فاسدَ الدين .

التمس الحطيئة ذاتَ يوم انسانا يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك فانشأ يقول :

أبت شفتايَ اليومَ إلا تَكَلُّما بشرٍّ فما ادري لمن انا قائلُه

(١) مخضرم : عايش جيلين . (٢) هبلته امه : ثكلته ، فقدته . فيقال : هَبِلتَ ، في الدعاء عليه بان تهبله امه . ويقال : هبلت ، في الدعاء له . (٣) العُقوق : التنكر للوالدين وعدم البِرّ بهما . (٤) الثقيل من الناس . (٥) مُلِحاً .

وجعل يدهور[١] هذا البيتَ في أشداقه ولا يرى انسانا ، اذ اطّلع في رُكيٍّ[٢] اوحوضٍ فرأى وجهه فقال :

ارى لـيَ وجها شوَّهَ اللـهُ خلقَه   فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّـحَ حاملُهْ

قَدِم الحطيئةُ المدينةَ وقد أرصدَت له قريشٌ العطايا والناسُ في سَنة مُجدِبة وسَخطةٍ من خليفة . فمشى اشرافُ اهل المدينة بعضُهم الى بعض فقالوا : قد قَدِم علينا هذا الرجلُ وهو شاعر ، والشاعر يَظُن فيُحقِّق . وهو يأتي الرجلَ من اشرافكم يسأله ، فإن أعطاه جَهَد نفسَه بَهْرَها[٣] ، وإن حرمه هجاه . فأجمعَ رأيُهم على ان يجعلوا له شيئا مُعَدًّا يجمعونه بينهم له . فكان اهلُ البيت[٤] من قريش والانصارُ يجمعون له العشرةَ والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له اربعَمئةِ دينارٍ ، وظنوا أنهم قد اغنَوه . فأتَوه فقالوا له : هذه صلةُ آل فُلان ، وهذه صلة آل فلان ، وهذه صلة آل فلان ، فأخذها . فظنُّوا أنهم كَفَوه عن المسألة . فاذاً هو يومَ الجُمعة قد استقبل الإمامَ ماثلاً[٥] يُنادي : من يَحمِلُني على بغلين وَقَاه الله كَبَّةَ[٦] جهنم .

سأل سعيدُ بنُ العاصِ الحطيئةَ : مَن أشعرُ العربِ ؟ قال : الذي يقول :

لا أعُدُّ الإقتـارَ عُدماً ولكـن   فقْدُ مَن رُزِئتُه الإعـدامُ[٧]

وانشدها حتى أتى عليها . فقال له : مَن يقولها ؟ قال : ابو دُوادٍ الإيادي . قال : ثم مَن ؟ قال : الذي يقول :

أفلِـح بمـا شئتَ فقد يُدرَكُ بالجهلِ   وقـد يُخـدَّعُ الاريـبُ[٨]

ثم انشدها حتى فرغ منها . قال : ومن يقولها ؟ قال : عَبيد بنُ الابرص . قال : ثم مَن ؟ قال: والله لَحَسبُك بي عند رَغبةٍ او رهبةٍ اذا رفعتُ إحدى رجليَّ على الاخرى ثم عَوَيتُ في إثرِ القوافي عُواءَ الفصيلِ الصادي[٩].

قال اسحاق : سئل الحطيئة : يا ابا مُلَيكةَ ، مَن أشعرُ الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسانُ الحية ثم قال : هذا اذا طَمِع .

وقال المدائني : مرَّ ابنُ الحمامة بالحطيئةِ وهو جالس بفِناء بيته فقال: السلامُ عليكم . فقال : قلتَ ما لا يُنكَر . قال : اني خرجت من عند اهلي بغير زاد . فقال: ما ضمِنتُ لأهلك قِراك[١٠] . قال : أفتأذَن لي أن آتيَ ظلَّ بيتك فأتفيأ به ؟ قال: دونَكَ الجبلَ يَفيء عليك . قال : اني ابنُ الحمامةِ . قال : انصرِف وكن ابنَ اي طائرٍ شئت .

---

(١) يدهور : يقحم الكلام بعضه في إثر بعض . (٢) ركي : جمع ركية : البئر ذات الماء . (٣) فوق طاقتها .
(٤) اي الأسرة . (٥) منتصبا . (٦) صدمة . (٧) الإقتار : ضيق العيش وقلة ذات اليد . العدم والاعدام : الحرمان من المال،الافتقار. (٨) من الفلاح : النجاح والظفر . يخدَّع : يُختَل ويؤخذ بالحيلة. الأريب : الماهر والبصير .
(٩) الفصيل : ولد الناقة المفصول عنها . الصادي : العطشان . (١٠) ضيافتك ، ومنها : نار القِرى . يوقدها العرب في الليالي ليهتدي الضيف الى منزل الضيافة .

قال ابن العَلاء : لم تقل العرب بيتا قطُ أصدقَ من بيت الحطيئة :

من يفعـلِ الخيرَ لا يُعدَم جوازِيَه لا يَذهبُ العُرفُ بين الله والنـاسِ

ومن جيد شعره .

ولست ارى السعادةَ جمعَ مـالٍ ولكنَّ التقـيَّ هو السعيـدُ
وتقوى اللهِ خيرُ الـزادِ ذُخـراً وعندَ اللهِ للأتقـى مَزيـدُ
وما لا بُـدَّ أن يأتي قريـبٌ ولكنَّ الذي يَمضـي بعيـدُ

قال المفضَّل : ان الحطيئة أقحَمته السَنةُ (١) . فنزَل ببني مُقلَّد بن يربوعٍ . فمشى بعضُهم الى بعض وقالوا : ان هذا الرجل لا يَسلَم احد من لسانه ، فتعالَوا حتى نسألَه عمَّا يُحب فنفعلَه ، وعمَّا يَكرَه فنجتنبَه. فأتَوه فقالوا له : يا ابا مُليكةَ ، انك اختَرتَنا على سائر العرب ، ووَجَب حقُك علينا . فمُرنا بما تُحب ان نفعلَه وبما تحب ان ننتهيَ عنه . فقال : لا تُكثِروا زيارتي فتُملُّوني ، ولا تَقطعوها فتُوحشوني ، ولا تجعلوا فِناء بيتي مَجلِسا لكم ، ولا تُسمِعوا بناتي غِناءَ شُبَّانكم فإنَّ الغِناءَ رُقيةُ الزِّنا .

وجمع كل منهم وَلدَه وقال : أمُّكم الطلاقُ ، لئِن تَغَنَّى احدٌ منكم والحطيئةُ مقيمٌ بين أظهرِنا لأضربَنَّه ضربةً بسيفي اخذَتْ منه ما اخذَتْ .

فلم يزل مقيما حتى انجلت عنه السنةُ ، فارتحل وقال :

جاورتُ آلَ مقلَّدٍ فحمِدتُهـم اذ ليس كلُ أخي جِوارٍ يُحمَـدُ
ايـامَ مَن يُـرِدِ الصنيعةَ يَصطنِـع فينا ومَن يُرِدِ الزَهادةَ يَزهَدُ (٢)

وقال في قبيلة انف الناقة :

قومٌ همُ الانفُ والاذنـابُ غيرُهمُ ومَن يُسوِّي بانفِ النـاقةِ الذَنَبا

فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا .

وهجا الحطيئةُ الزِّبرِقانَ ، وهو الحُصَينُ بن بدر ، وانما سُميَ الزبرقانَ لحُسنه ، شُبِّهَ بالقمر . فشكاه الى عمرَ بنِ الخطاب . فقال له : وما قال لك . قال : قال لي :

دَعِ المَكارِمَ لا تَرحَل لبُغيتِهـا واقعُد فإنك انت الطـاعمُ الكاسي

(١) أقحمته : اوقعته في شدة . السنة : الجدب . (٢) كان الاصل ان يكون الفعل مجزوما لوقوعه جوابا للشرط . ولكنه يجوز الرفع اذا كان جواب الشرط مضارعا وفعل الشرط مضارعا .

فقال عمر : ما اسمعُ هجاءً ولكنها معاتبةٌ. فقال الزبرقان: أو ما تبلغُ مُرُوءتي إلا أن آكُلَ وألبَسَ. فقال عمر: عليَّ بحسَّان بن ثابت. فجيء به. فسأله، فقال: لم يَهجُهُ، ولكن سَلَحَ[1] عليه. فأمر به فجُعِلَ في نقيرٍ[2] في بئر. وكلَّمه عمرو بن العاص وغيره فيه فأخرجه من السِّجن فقال :

ماذا تقول لأفـراخٍ بذي مَـرَخٍ ... زُغبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ[3]

ألقيتَ كاسبَهم في قَعـرِ مُظلِمـةٍ ... فاغفِر عليك سلامُ اللهِ يا عمـرُ

فبكى عمر حين قال الحطيئة : « ماذا تقول لأفراخ » . . . وقال له : اياك وهجاءَ الناس . قال : اذاً يموت عيالي جوعا . هذا مَكسَبي ومنه مَعاشي . فقال : فاياك والمُقذِعَ من القول . قال : وما المقذعُ ؟ قال : أن تُخايرَ بين الناس فتقول: فُلانٌ خيرٌ من فلانٍ ، وآلُ فلانٍ خيرٌ من آل فلان. قال : فأنت واللهِ ، أهجى مني . فقال له : والله لولا أن تكونَ سُنَّةً لقطعتُ لسانك[4] . فأشاروا اليه أن قل : لا أعود .

فقال عمرو بن العاص : ما أظلَّت الخضراءُ ولا أقلَّت[5] الغبراءُ اعدلَ من رجل يبكي على تركه الحطيئةَ .

فقال : لا أعود يا اميرَ المؤمنين . فقال له : النَّجاءَ . فلما ولَّى قال له عمر : يا حطيئةُ ، كأني بك عند فتىً من قريشٍ قد بَسَط لك نُمرُقَةً[6] وكسر لك اخرى وقال : غنِّنا يا حطيئةُ ، فطَفِقتَ تغنِّيه باعراض الناس.

قال ابن أسلمَ: فما انقضت الدنيا حتى رأيتُ الحطيئةَ عند عُبَيد اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ قد بَسط له نُمرُقَةً وكسر له اخرى وقال: غنِّنا يا حطيئةُ. فجعل يغنيه. فقلت له : يا حطيئةُ اتذكرُ قولَ عمر ؟ ففزِع وقال : يرحم اللهُ ذاك المرءَ، أما إنه لو كان حيًّا ما فعلت. وقلت لعُبَيد الله : سمعتُ اباك يقول كذا وكذا، فكنتَ انت ذلك الرجلَ.

ورُوي أن عمرَ اشترى أعراضَ المسلمين من الحطيئةِ حين اطلقه بثلاثةِ الافِ درهمٍ. فقال الحطيئة في ذلك :

واخذتَ اطرافَ الكـلامِ فلم تَدَع ... شتما يَضُرُّ ولا مديحـا يَنفـعُ

وحميتَني عِرضَ اللئيـمِ فلم يَخَف ... ذمي وأصبحَ آمنـا لا يَفـزعُ

لما حضرت الحطيئةَ الوفاةُ اجتمع اليه قومه فقالوا :

يا ابا مُليكةَ، أوصِ. فقال : ويلٌ للشعر من راويةِ السُوء. قالوا: أوصِ ، رَحِمك الله، يا

(١) سلح : تبرَّز عليه . (٢) نقير : حفيرة من حجر او خشب تصنع بالمنقار وهو أداة حديدية كالفأس . (٣) ذو مرخ : واد في الحجاز . الحواصل جمع حوصلة : من الطير بمنزلة المعدة من الناس . اي ان اولاده افراخ صغار. (٤) لولا خوفي ان يكون عملي بك شريعة بعدي . (٥) حملت ورفعت . (٦) وسادة .

حُطَيء . قال : مَن الذي يقول :

اذا أَنبض الرامون عنها ترنَّمت ترنُّمَ ثكلى أوجَعتها الجنائزُ(١)

قالوا : الشمَّاخُ . قال : أبلغوا غَطَفانَ أنه أشعرُ العرب . قالوا: ويحك . أهذه وصيةٌ ؟ أوصِ بما ينفعك . قال : أبلغوا اهل ضابىء أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذةٌ غيرَ أنني رأيتُ جديدَ الموت غيرَ لذيذ

قالوا : أوصِ ويحك . قال : أبلغوا الأنصارَ أن صاحبهم – حسَّانَ بنَ ثابتٍ – أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغشَون حتى ما تَهِرُّ كلابُهم لا يَسألون عن السَوادِ المُقبلِ (٢)

قالوا : فأوصِ للفقراء بشيء . قال : أُوصيهم بالإلحاح في المسألة فانها تِجارةٌ لا تبور ، واستُ(٣) المسؤولِ أضيقُ . قالوا : فما تقول في مالك ؟ قال : للانثى من ولدي مثلُ حظِ الذكر . قالوا ليس هكذا قضى الله لهن . قال : لكنني هكذا قَضَيت . قالوا : فما تُوصي لليتامى ؟ قال : كُلُوا مالَهم (وكوموا) امهاتِهم. قالوا: فهل شيءٌ تَعهَد فيه غيرُ هذا ؟ قال: نعم . تَحملوني على أتانٍ وتَركوني راكبَها حتى أموتَ . فان الكريم لا يموت على فِراشه. والأتانُ مَركبٌ لم يمت عليه كريم قط. فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويَجيئون به حتى مات وهو يقول:

لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيَّه هجا بنيه وهجا المُرَيَّه
من لؤمه مات على فُرَيَّه (٤) .

ابن عائشة

هو محمدُ بنُ عائشةَ ويُكنَّى أبا جعفر . ولم يكن يُعرف له ابٌ فكان يُنسب الى امه. فاذا سمِعوا له صوتا قالوا : أحسنَ ابنُ المرأة .

قال اسحاق : ما عرفنا بالمدينة احسنَ ابتداءً من ابن عائشةَ اذا غنى. ولو كان آخرُ غنائه مثلَ أولِه لقدَّمته على ابن سريج .

---

(١) انبض القوس : جذب وترها فتصوّت وتئن كالمرأة الثكلى . (٢) يغشون : تقدم عليهم الغاشية من الناس للنوال او العطاء او الضيافة . . تهر : تنبح . . السواد : الجمع الكثير . (٣) است : العَجُز ، حلقته. (٤) مأخوذ من الفَرَاء وهو حمار الوحش . مؤنث مصغر : فراة فرية .

قال علي بن الجهم الشاعر :

كان ابن عائشةَ واقفا بالمَوسِمِ (١) متحيرا . فمر به بعض أصحابه فقال له : ما يُقيمك ها هنا ؟ فقال : اني اعرف رجلا لو تكلم لحبس الناس ها هنا فلم يذهب احد ولم يَجيء. فقال له : ومن ذاك ؟ قال : انا . ثم اندفع يغني :

جرَتْ سُنُحاً فقلتُ لهـــا أجيزي نَوًى مشمولةً فمتى اللقـــاءُ
بنفسي مَن تَذكُّرُهُ سَقـــامٌ أعـــانيه ومَطلَبُـــه عَنـــاءُ

فحُبِس الناسُ ، واضطربت المحاملُ ، ومدَّت الإبلُ أعناقَها . وكادت الفتنة أن تقعَ

فأُتي به هِشامَ بنَ عبد الملك، فقال له : يا عدوَّ الله ، اردتَ ان تَفتُنَ الناس . فأمسَكَ عنه ، وكان تيَّاها . فقال له هشام : ارفُق بتيهك . فقال : حَقٌّ لمن كانت هذه مقدرتُه على القلوب ان يكون تيَّاها . فضحك منه وخلَّى سبيله .

البيت الأول من الصوت ، لزهير بن ابي سُلمى . والثاني مُحدَث ألحقَه المغنون به .

السُنُح : جمع سانح ، وهو ما أقبل من شمالك يُريدُ يمينَك . فولاَّك ميامنَه . والبارحُ هو ما أقبل من عن يمينك الى شمالك فولاَّك مشائمَه .

اجيزي : اي أنفذي . أجزتَ الوادي: قطعتَه . وجُزتَه : قطعتَه فتجاوزتَه .

مشمولةٌ : سريعة الانكشاف. اخذه من السَّحابة المشمولة وهي التي تُصيبها الشمالُ فتكشفُها استعارها هنا في النوى ، لسرعة انكشافهم فيها عن بلادهم . وأجرى ذلك مجرى الذم للسانح لانه يُتشاءم به .

قال حمَّادٌ الراوية: خرجتُ الى الوليد فاستأذنت عليه فأذِن لي. فاذا هو على سرير مُمهَّد وعليه ثوبان أصفران: إزارٌ ورِداءٌ يَقيئان الزَّعفرانَ قَيئاً. واذا عندَه معبدٌ ومالكُ بنُ ابي السَّمحِ وابو كاملٍ مولاه . ثم اتاه الحاجب فقال : أصلح الله اميرَ المؤمنين، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب . قال : أدخِله . فدخل شاب لم أرَ شابا أحسنَ وجها منه ، في رجله بعضُ الفَدَع (٢) . فقال : يا سَبرةُ اسقِه . فسقاه كأسا . ثم قال له : غنِّني :

وهي اذ ذاك عليـــها مِئـــزَرٌ ولها بيتُ جَـــوارٍ من لُعَـــبْ

فغناه . فنبذ اليه الثوبين . ثم قال : غنِّي :

فغضب معبد وقال : يا امير المؤمنين ، إنَّا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، (أعمارنا) وإنك

(١) موسم الحج . (٢) عَوَج وميل في المفاصل .

تركتنا بمَزجَرِ الكلب ، (١) وأقبلتَ على هذا الصبي. فقال : والله يا أبا عَبَّادٍ ، ما جَهِلتُ قدرَك ولا سِنَّك ولكنَّ هذا الغلامَ طرحني في مثل الطناجيرِ (٢) . من حرارة غنائه .

قال حماد : فسألت عن الغلام فقيل لي : هو ابن عائشة .

روى شيخٌ من تنوخَ قال : كنت صاحبَ سِترِ الوليدِ بنِ يزيدَ فرأيت ابن عائشةَ عنده وقد غنّاه :

اني رأيتُ صبيحةَ النَفرِ ... حُوراً نَفَينَ عزيمةَ الصبرِ
مثلَ الكواكبِ في مَطالعها ... بعدَ العشاء أطفْنَ بالبدرِ
وخرجتُ أبغي الأجرَ مُحتسِبا ... فرجِعتُ موفورا منَ الوزرِ

الشعر لرجل من قريش — فطَرِب الوليدُ حتى كفَرَ وألحد وقال : يا غُلامُ ، أسقِني بالسماء الرابعة . وكان الغِناء يَعمَل فيه عملا ضلَّ عنه مَن بعدَه . ثم قال : أحسنتَ والله يا اميري ، أعد بحق عبدِ شمس . فأعاد . ثم قال : أحسنت والله يا أميري، أعد بحق أميةَ. فأعاد . ثم قال : أعد بحق فلان ، اعد بحق فلان ، حتى بلغ من الملوك نفسَه . فقال: أعد بحياتي . فأعاده . فقام اليه فأكبَّ عليه فلم يُبقِ عضوٌ من أعضائه الا قبَّلَه . وأهوى الى هَنِه فجعل ابنُ عائشة يَضُمُّ فخِذَيه عليه . فقال : واللهِ العظيمِ لا تَريمُ (٣) حتى أقبِّلَه. فأبداه له . ثم نزع ثيابه فألقاها عليه . وبقي مجرَّدا الى أن اتَوه بمثلها ، ووهب له الفَ دينار ، وحمله على بغلة وقال : اركبها ، بابي انت ، وانصرِف ، فقد تركتَني على مثل المِقلى من حرارة غنائك . فركبها على بِساطه وانصرف.

قال اسحاق : اقبل ابن عائشةَ من عند الوليد بنِ يزيدَ وقد اجازه واحسن اليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده. فلما قَرُب من المدينة نزل بذي خُشُبٍ — قصر — على أربعةِ فراسخَ من المدينة ، وكان واليَها ابراهيمُ بنُ هِشامِ بنِ اسماعيلَ المخزوميُّ ولاَّه هشامٌ، وهو خاله ، وكان في قصر هناك . فقيل له : أصلح الله الاميرَ، هذا ابنُ عائشةَ قد أقبل من عند الوليدِ، فلو سألته ان يُقيمَ عندنا اليومَ فيُطربَنا وينصرِفَ من غد. فدعا به وسأله المُقامَ عنده فأجابه الى ذلك . فلما اخذوا في شربهم أخرج المخزوميُّ جواريَه. فنظر الى ابن عائشةَ وهو يَغمِزُ جاريةً منهن . فقال لخادمه : اذا خرج ابن عائشةَ يريد حاجته فارمِ به. وكانوا يشربون فوقَ سطحٍ ليس له إفريزٌ ولا شُرُفاتٌ . وهو يُشرف على بُستان .

فلما قام ليبولَ رمى به الخادمُ من فوقِ السطحِ فمات . فقبره معروف هناك .

---

(١) بمقدار زجر الكلب عنك وابعاده. (٢) الطنجرة : قدر من نحاس . ومثلها طنجير . (٣) رام يريم : مال وبرح.

ابن ارطاة

هو عبدُ الرّحمن بنُ سَيحانَ بنِ أرطاةَ. وكان شاعرا مُقِلاً إسلاميا ليس من الفحول المشهورين ولكنه كان يقول في الشّراب والغَزَل والفخر ومدحِ أحلافِه من بني اميةَ آلِ ابي سُفيانَ وآل عُثمانَ. وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه . (١) .

كان الوليدُ بنُ عُثمانَ بنِ عَفّانَ يشرب مع الوليد بنِ عُتبةَ بنِ ابي سُفيانَ وابنِ سَيحانَ. وكان يُخمَرَ (٢) فأصابه من ذلك شيء شديد حتى خيف عليه وشَقّ النساءُ عليه الجيوبَ (٣) فدُعي له ابنُ سَيحانَ، فلما رآه قال: أخرُجنَ عني وعن أخي . فخرجن . فقال له : الصَبوحَ ، ابا عبد الله . فجلس مُفيقا .

كان عبدُ الرحمن بنُ سَيحانَ ينادم الوليدَ بنَ عثمانَ على الشّراب فيَبيت عندَه خوفا من ان يَظهَر وهو سكرانُ فيُحَدُّ. فقالت له امرأته : قد صِرتَ لا تبيت في منزلك وأظُنك قد تزوجتَ ، وإلا فما مبيتُك عن أهلك ؟ فقال لها :

إنّا لَنَشربُهـــا حتى تَميــلَ بنـــا ... كما تَمايَلَ وَسنــانٌ بوسنانِ (٤)
سَبيئةٌ من قُـــرى بيروتَ صــافيةٌ ... عذراءُ أو سُبِئَت (٥) من ارضِ بيسانِ

دخل عبدُ الرحمن بنُ أرطاةَ على سعيدِ بنِ العاصِ وهو اميرُ المدينة ، فقال له: ألستَ القائلَ :

إنا لنشربها حتى تميـــلَ بنـــا ... كما تمـــايل وَسنـــان بوسنـــانِ

فقال له عبد الرحمن : معاذَ اللهِ أن أشربَها وأنعتَها . ولكني الذي اقول :

سَموتُ بحِلفــي للطِوالِ من الذُرى ... ولم تَلقَني كالنَسر في مُلتقىً جَدبِ
وَهَصتُ (٦) الحَصى لا أرهَبُ الضَيمَ قائما ... اذا انا راخَى لي خِناقي بنو حَربِ

وقام يُجر مِطرَفَه (٧) بين الصفَّين حتى خرج . فأقبل عمرو بنُ سعيدٍ على ابيه فقال : لو

(١) المعاقَب بالحد أي القصاص الشرعي . (٢) يصاب بالخُمار من شرب الخمر . (٣) شق الجيوب: الجيب طوق القميص او الثوب ، وشقه كناية عن شدة التفجع . (٤) وسنان : من الوَسَن وهو النوم الخفيف . (٥) سبأ الخمر : اشتراها ليشربها . (٦) وهص : دق او كسر . (٧) رداء من خَز . أطرف الثوبَ : جعل في طرفيه عَلَمين . والاصل مُطرَف وكسرت الميم تخفيفاً مثل مِغزَل من أغزل ، واصله مُغزَل .

أمرتَ بهذا الكلبِ فضُرِب مئتَي سَوطٍ كان خيرا له. فقال : يا بُنيَّ، أضرِبُه وهو حليف حربِ بنِ أمية ، ومعاويةُ خليفةٌ بالشام ؟ اذاً لا يَرضى .

فلما حج معاويةُ لَقيَه بمِنىً. فقال : ايهِ يا سعيدُ ، أمرَك أحمقُك بأن تَضرِبَ حليفي مئتي سوطٍ . اما والله لو جلدتَه سوطا لجلدتُك سوطين . فقال له سعيدٌ : ولِمَ ذاك ، او لم تَجلُد انتَ حليفك عُمَرَ بنَ جَبَلةَ ؟ فقال له معاوية: هو لحمي آكُلُه ولا أُؤكِلُه

من اقواله :

واني لَقوّامٌ الى الضيفَ مَوهِنـــا[1] اذا أغدَفَ[2] السترَ البخيلُ المُواكِلُ
وما دونَ ضيفي من تِـــلادٍ[3] تَحوزُه يدُ الضيفِ إلا أن تُصانَ الحلائِـــلُ

ابن ميادة

اسمه الرمّاح بنُ أبردَ ابنِ ظالمِ ابنِ مُضَرَ. ومَيّادةُ امه، بربريةٌ، وهو يزعم أنها فارسية. وذَكَر ذلك في شعره :

انا ابنُ ابي سَلمى وجَدّيَ ظــالِمٌ وأمي حَصانٌ[4] أخلصَتها الاعاجمُ
أليس غُلامٌ بين كِسرى وظــالِمٍ بأكرمِ مَن نيطَت[5] عليه التّمائمُ[6]

وابن ميادةَ شاعر فصيح مُقدَّمٌ مُخضَرم من شعراء الدولتين .

كان ابنُ ميّادةَ واقفاً في المَوسِم يُنشِد :

لَوَ انَّ جميعَ الناس كانوا بتَلعةٍ[7] وجئتُ بجَدّي ظالمٍ وابنِ ظالـــمِ
لَظلَّت رِقابُ النـاس خاضعةً لنـــا سُجودا على أقدامِنا بالجَماجـــمِ

والفرزدقُ واقفٌ عليه في جماعة وهو متلثّم . فلما سمع هذين البيتين اقبلَ عليه ثم قال : أنتَ ، يا ابنَ أبردَ ، صاحبُ هذه الصفة ، كَذَبتَ ، والله ، وكَذَبَ من سَمِع ذلك منك فلم يُكَذِّبك . فأقبل عليه فقال : فَمَهْ[8] يا ابا فِراسٍ. فقال : انا ، واللهِ ، أولى بهما منك . ثم اقبل على راويته

(١) موهن : نصف الليل وما بعده . (٢) أغدف : اسدل الستار . المواكل : الذي يأكل معه . (٣) تلاد: ما نتج عندك من قديم ماشيتك . (٤) حَصان : عفيفة . (٥) نيطت : علقت عليه مثل نُوطَ . (٦) التمائم جمع تميمة وهي خرزة يضعونها على اولادهم للوقاية من العين . (٧) ما ارتفع من الارض . (٨) فمه : اسم فعل امر بمعنى اكفف او انكفف .

فقال : اضممهما اليك ، وقال :

لَوَ انَّ جميعَ النـاسِ كانوا بتَلعـةٍ وجئتُ بجدّي دارمٍ وابنِ دارمِ
لظلَّتْ رقـابُ الناس خاضعةً لنـا سُجودا على اقدامنا بالجماجـمِ

فأطرقَ ابن ميادةَ فما اجابه بحرف . ومضى الفرزدق فانتحلهما .

قال عَجرَمة : كان ابن ميادة أحمرَ سَبطا (١) عظيمَ الخَلق طويلَ اللحية وكان لبَّاسا عَطِراً . ما دَنوتُ من رجل كان اطيبَ عَرفاً (٢) منه .

قال القاسم الفَزاريُّ، وكان عالما ، لابن ميادةَ : والله لو أصلحتَ شعرَك لَذُكِرتَ به . فاني لأراه كثيرَ السَقَط . فقال له ابن ميادةَ : يا ابنَ جُندَب ، انما الشعرُ كنَبلٍ في جفيرك(٣) ترمي به الغرَضَ ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ (٤) وقاصدٌ .

اقبل ابن ميادةَ الى حَكَمِ بنِ مَعمَرٍ الخَضريِّ ليَعرِضَ عليه شعرَه وليَسمَعَ من شعره . فأنشدا ، ثم قال ابن ميادة : والله لقد اعجبني بيتان قلتَهما يا حَكَمُ . قال : أوَ ما اعجبك من شعري الا بيتان . فقال : والله لقد أعجباني ، يردد ذلك مرارا لا يزيده عليه . فقال له حكمٌ : فأيُّ بيتين هما ؟ قال : حين تُساهِم بين ثوبيها وتقول :

فوالله ما أدري أزيـدَت مَلاحـةً وحُسناً على النسوان ام ليس لي عَقلُ
تَساهَمَ (٥) ثوباها ففي الدرعِ (٦) غادةٌ وفي المِرطِ لَفّاوانِ (٧) رِد فُهُما عَبلُ (٨)

فقال له حَكَمٌ : أوَ ما أعجبك غيرُ هذين البيتين ؟ فقال : قد أعجباني . فغضِب حكمٌ وارتحل ناقتَه وهدر . ولجَّ الهِجاءُ بينهما.

ومن جيد هِجاء الحكم :

فيا مُرَّ (٩) قد أخزاك في كل موطنٍ منَ اللُؤمِ خَلاّتٌ (١٠) يَزِدنَ على العَشرِ
فمنهنَّ أنَّ العبدَ حامي ذِمارَكم (١١) وبئسَ المحامي العبدُ عن حَوزةِ الثَغرِ (١٢)

---

(١) طويلا حسن القد والاستواء . قال الشاعر :
فجاءت به سَبطَ العظام كانما عمامته بين الرجال لواء .
(٢) عرف : فوح الرائحة. (٣) الجعبة الجلدية التي توضع فيها السهام. (٤) العاصد : لا يصيب الهدف. القاصد : يصيب.
(٥) تقارع وتقاسم . (٦) الثوب الصغير . تلبسه الجارية في بيتها . والغادة : الفتاة الناعمة . (٧) المرط : كساء يؤتزَر به . لفاوان : مثنى لفاء اي الفخذ الضخمة الملفوفة . (٨) ضخم . (٩) مرة : قبيلة ابن ميادة ، مرخم . (١٠) خلات : خصال. (١١) الذمار : ما ينبغي الدفاع عنه كالشرف والعرض. (١٢) المرفأ : المنفرج الذي يخشى هجوم العدو منه أكان في جبل اوبحر .

ومنهن أن الميتَ يُدفَنُ منكُـــمُ فيفسو على دُفّانه وَهْو في القبرِ
ومنهن أن الجارَ يَسكُنُ وَسطَكـم بريئا فَيُلقى بالخيــانةِ والغَدرِ
ومنهن ان الشيخَ يُوجَدُ منكُــمُ يَدُبُّ الى الجارات مُحدودِبَ الظَهرِ

فأجابه ابن ميادةَ بقصيدة طويلة منها :

ومنهن أنْ كــانت عجوزُ مُحـــارِبٍ تَريغُ الصَّبا تحتَ الصَّفيحِ من القبرِ[1]
ومنهن أنْ لو كان في البحر بعضُكم لخَبَّثَ ضاحي جِلدِه حَومةَ البَحرِ[2]

وقال فيه ايضا :

لقد طال حبسُ الوفدِ وفدِ مُحـــاربٍ عن المجدِ لم يَأذَن لهم بعدُ حــاجِبُهْ
وقال لهم كُرُّوا فلستُ بـــآذِنٍ لكم ابدا أو يُحصِيَ التُربَ حاسِبُهْ

وقال :

فَجَرنا ينـــابيعَ الكـــلامِ وبحرَه فأصبحَ فيه ذو الروايةِ يَسبَــحُ

وقال :

ألم تَرَ قوما يَنكِحــــون بمالِهـم ولو خَطَبَت انسابُهم لم تُزَوَّجِ

وقال :

ولو أن قَيساً قيسَ عيَـــلانَ أقسمَت على الشمس لم يَطلَع عليكم حِجابُها
ولو حاربتنا الجِنُّ لم نَرفَعِ القنـــا عن الجِنِّ حتى لا تَهِرُّ كِلابُها
لنا المُلكُ إلا أن شيئاً تَعُـــدُّه قريشٌ ولو شِئنا لداخت رِقابُها[3]
اذا غضِبَت قيسٌ عليك تقـــاصرَت يداك وفات الرِجلَ منك رِكابُها

وقال :

اذا حَلَّ بيتي بينَ بدرٍ ومـــازِنٍ ومُرَّةَ نِلتُ الشمسَ واشتدَّ كاهلي[4]

فأخذ اسحاقُ المَوصليُّ معنى البيت وقال :

عَطَستُ بأنفٍ شامخٍ وتنـــاولت يدايَ الثريَّا قـــاعداً غيرَ قائمِ

ولئِن كان استعار معناه ، لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد .

ومات في صدرٍ من خِلافة المنصور.

---

(١) محارب : قبيلة حكم. تريغ : تطلب . (٢) ضاحي : ظاهر. حومة : الموقع تكثر فيه الأشياء فاذا أضيف الى البحر فمعناه العباب واذا أضيف الى القتال فمعناه المعترك . (٣) داخت : ذلت . (٤) كاهلي: عاتقي أي ما بين المنكبين ويكنى به على القدرة على تحمل الاعباء .

حنين الحيري

حنينٌ ، ويُكنّى ابا كعب ، كان شاعرا مغنيا فحلا من فحول المغنين وله صَنعةٌ فاضلة متقدمة. وكان يَسكُن الحيرةَ ويَكري الجِمالَ الى الشام وغيرِها . وكان نَصرانياً .

حجَّ هشامُ بنُ عبد الملك وعديلُه (١) الأبرشُ الكلبيُّ ، فوقف له حنين بظهر الكوفة ومعه عوده وزامرٌ له ، وعليه قَلَنسِيةٌ طويلة. فلما مر به هشام عرض له ، فقال : من هذا ؟ فقيل : حنين . فأمر به فحُمِلَ في مَحمَلٍ وعديلُه زامرُه، وسِيرَ به امامَه وهو يتغنى :

أمِن سَلمى بظَهر الكوفةِ الآياتُ والطَلَلُ
يَلوحُ كما تَلوح على جُفونِ الصَيقلِ الخِلَلُ (٢)

فأمر له هشامٌ بمئتي دينارٍ ، وللزامر بمئة.

قال المدائني : كان حنين مطبوعا حسنَ الصوت . اخذ عن عُمَر الوادي وحَكَمٍ الوادي فاجاد الصَنعة وأحكمها ولم يكن بالعراق غيرُه فاستولى عليه في عصره .

حدَّث ابراهيم بن المَهديّ قال :

كنت مع الرشيد في السنة التي نُزِل فيها على عونٍ العِباديّ (٣) فأتاني عونٌ بابنِ ابنِ حنينٍ وهو شيخ ، فغناني عدّةَ اصوات لجَدِّه ، فما استحسنتُها . لان الشيخ كان مُشوَّهَ الخَلق ، طَنّ الغِناء ، قليلَ الحلاوة ، إلا أنه كان لا يفارق عَمودَ الصوتِ ابدا حتى يَفرَغَ منه . فغناني صوتَ ابنِ سريج :

فتركتُه جَزَرَ السِباعِ يَنُشنَه ما بين قُلّةِ رأسهِ والمِعصَمِ (٤)
إن تُغدِفي دوني القِناعَ فإنني طَبٌّ بأخذ الفارسِ المُستَلئِمِ (٥)

– الشعر لعنترة – فما اذكُر أني سمِعتُه من احدٍ احسنَ مما سمعته منه. فقلت له: لقد أحسنتَ

(١) الذي يعادل في المحمل . (٢) الصيقل : شاحذ السيوف وجاليها . الخِلل : جمع خِلة وهي بطانة يغشى بها جفن السيف ينقش بالذهب ، يشبه بها الطلل . (٣) العباديون : هم نصارى الحيرة في العراق . (٤) جزر : اللحم المعرض للسباع والطير . ينشنه : يتناوله . ورواية الشطر الثاني تخالف ما هو المحفوظ في المعلقة ونصه فيها : يَقضُمن حُسنَ بَنانه والمِعصمِ . (٥) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . الطَّب : الحاذق الماهر بعمله . المستلئم : لابس اللأمة ، اي الدرع . –

في هذا الصوت ، وما هو من اغاني جَدِّكَ ولا من اغاني بلدك ، واني لأعجبُ من ذلك . فقال لي : والصليبِ والقربانِ ما صُنِعَ هذا الصوتُ الا في منزلِنا وفي سِرداب لجَدِّي. ولقد كاد أن يأتيَ على نفس عمّي . فسألته عن الخبر فقال :

حدثني أبي أن عُبَيدَ بنَ سُريجٍ قَدِم الحيرةَ ومعه ثلاثُمئة دينار. واتى بها منزلَنا في ولايةِ بِشرِ بنِ مروانَ الكوفةَ ، وقال لجدي: انا رجل من اهل الحجاز من اهل مكةَ بلغني طِيبُ الحيرة وجُودةُ خمرها وحُسنُ غِنائك في هذا الشعر :

حَنَتني حانيــاتُ الدهرِ حــتى كأني خاتِلٌ يَدنو لصَيــدِ [1]
قريبُ الخَطوِ يَحسَبُ مَن رآنــي ، ولستُ مُقيَّدا ، أني بِقيــدِ

ـ الشعر لأبي الطمحانِ القَيني ـ فخرجت بهذه الدنانيرِ لأنفقَها معك وعندَك نتعاشر حتى تَنفَدَ وأنصرفَ الى منزلي. فسأله جَدّي عن اسمه ونَسبه فغَيَّرهما وانتمى الى بني مخزوم .

فأخذ جَدي المال منه وقال : مُوفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلُّ ما يَحتاج اليه مثلُك ، ما نَشَطتَ [2] للمُقام عندنا . فاذا دعتك نفسك الى بلدك جَهَّزناك اليه وزَدْنا عليك مالَك ، وأخلَفنا ما أنفقتَه عليك الى أن جئتنا . وأسكنَه دارا كان يَنفرد فيها . فمكث عندنا شهرين لا يَعلَمُ جَدي ولا أحدٌ من اهلنا أنه يُغني ، حتى انصرف جَدي من دارِ بشرِ بنِ مروانَ في يومٍ صائفٍ مع قِيامِ الظَّهيرة . فصار الى باب الدار التي كان أنزل ابنَ سريج فيها فوجده مُغلَقا. فارتاب بذلك . ودقَّ الباب فلم يُفتَح له ولم يُجبه احد . فصار الى منازل الحُرَم فلم يجد ابنته ولا جواريَه . ورأى ما بين الدار التي فيها الحُرَمُ ودارِ ابن سريج مفتوحا . فانتضى سيفَه ودخل الدار ليقتُلَ ابنتَه . فلما دخلها راى ابنته وجواريَه وُقوفا على باب السرداب وهن يُومِئن اليه بالسكوت وتخفيفِ الوَطءِ . فلم يلتفت الى اشارتهن لِما تَداخله ، الى ان سَمِع ترنُّمَ ابنِ سريج بهذا الصوت . فألقى السيف من يده وصاح به ، وقد عرفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحذق: أبا يَحيى، جُعِلتُ فِداءَك . أتيتَنا بثلاثمئةِ دينارٍ لتُنفقَها عندنا في جيرتنا . فوحقِّ المسيحِ لاخَرجتَ منها الا ومعك ثلاثُمئة دينارٍ وثلاثُمئة دينارٍ وثلاثُمئة دينارٍ سوى ما جئتَ به معك . ثم دخل اليه فعانقه ورحَّب به ولَقيَه بخِلاف ما كان يلقاه به وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره انه صاغه في ذلك الوقت . فصار الى بشرِ بنِ مروانَ فوصله بعشرة آلاف درهم اولَ مرة ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها . فلما اراد الخروج ، ردَّ عليه جَدي مالَه وجَهَّزه ووصله بمقدار نَفَقَته التي أنفقها من مكة الى الحيرة. ورجَع ابن سريج الى اهله وقد اخذ جميعُ مَن كان في دارنا منه هذا الصوتَ .

---

(١) معنى البيت : صروف الدهر عطفت بعضي على بعض ، فبدوت منحنياً كصياد يداور صيده ويخاتله .
(٢) مدة نشاطك .

وقال :

كان المغنون في عصر جَدي اربعةَ نفرٍ : ثلاثةٌ بالحجاز وهو وحدَه بالعراق . والذين بالحجاز : ابن سريج ، والغريض ، ومعبد. فكان يَبلُغُهم أنَّ جدي غنى في هذا الشعر :

هلاَّ بكَيتَ على الشباب الذاهبِ وكَففتَ عن ذمِّ المَشيبِ الآئبِ
هذا وربَّ مسوِّفين⁽¹⁾ شَقَيتُهم من خَمرِ بابلَ لذةً للشاربِ
بَكَروا عليَّ بسَحرةٍ فصبَحتُهم من ذات كُوبٍ مثلِ قَعبِ الحالبِ
بزُجاجة مِلءِ اليدين كأنها قِنديلُ فِصحٍ في كنيسة راهبِ

– الشعر لعدي بن زيد – فاجتمعوا، فتذاكروا أمرَ جَدي وقالوا : ما في الدنيا اهلُ صَناعةٍ شَرٌّ منا . لنا اخ بالعراق ، ونحن بالحجاز ، لا نزوره ولا نستزيره . فكتبوا اليه، ووجَّهوا اليه نفقة وكتبوا يقولون: نحن ثلاثةٌ وانت وحدَك . فأنت اولى بزيارتنا . فشَخَص اليهم . فلما كان على مرحلة من المدينة ، بلغهم خبرُه ، فخرجوا يَتلقَّونه . فلم يُرَ يوم كان اكثرَ حَشرا ولا جمعا من يومَئذٍ ودخلوا . فلما صاروا في بعض الطريق ، قال لهم معبد : صيروا اليَّ . فقال له ابن سريج : ان كان لك من الشرف والمُروءة مثلُ ما لمولاتي سُكَينةَ بنتِ الحسين، عَطَفنا اليك . فقال : مالي من ذلك شيء. وعَدَلوا الى منزل سُكينةَ . فلما دخلوا اليها أذِنت للناس إذنا عامًّا. فغصَّت الدار بهم . وصعدوا فوقَ السطح . وامرت لهم بالاطعمة، فأكلوا . ثم إنهم سألوا جَدي ان يغنيَهم صوته:

هلاَّ بكَيتَ على الشبابِ الذاهبِ

فغناهم اياه . فازدحم الناس على السطح وكَثُروا ليسمعوه . فسقط الرِواق على مَن تحتَه فسَلِموا جمعيا وأُخرِجوا أصِحَّاءَ، ومات جَدي تحت الهدم . فقالت سُكينةُ : لقد كَدَّر علينا حُنينٌ سُرورَنا . انتظرناه مدةً طويلة ، كأنا والله كنا نسوقه الى مَنيَّته .

(١) راجع شرح الصوت صفحة ٥٠ .

الغريض

الغريضُ لقبٌ لُقِّب به لانه كان طريَّ الوجه نَضِراً غضَّ الشباب حَسَنَ المنظر . واسمه عبدُ الملك ، وكِنيتُه ابو زيد . وهو مولى العبَلات (١) . وكان مُولَّداً (٢) من مُوَلَّدي البربر. وكان قبلَ ان يغني خيَّاطاً. اخذ الغناء في اول امره عن ابن سريج، لانه كان يَخدُمه . فلما رأى ابنُ سريج طبعَه وظَرفه وحلاوةَ منطقه خَشِيَ ان يأخذ غناءه فيغلبَه عليه عند الناس ويفوقَه بحسن وجههِ وجسدهِ. فاعتلَّ عليه ثم طرده. فلحق بحَوراءَ وبَغومَ — جاريتين نائحتين، لم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما — فرأتاه يوما يَعصر عينيه ويبكي . فقالتا له : مالَك تبكي ؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج . فقالتا له : لا أَرقَأَ (٣) اللهُ دمعَك. أَلزُز رأسَك بين ما اخذتَه عنه وبين ما تأخُذه منا، فان ضِعتَ بعدها فأبعدَك الله .

فكان يدخل المآتمَ وتُضرَبُ دونه الحُجُبُ ثم ينوح فيَفتُن كلَّ مَن سمِعه. ولما كَثُر غناؤه اشتهاه الناسُ وعَدَلوا اليه لِما كان فيه من الشَجا (٤) .

حجَّت سُكينةُ بنتُ الحسين، فدخل اليها ابن سريج والغريضُ، فقال لها ابن سريج : يا سيدتي، اني كنت صنعت صوتا وحسَّنتُهُ وتشوَّقت فيه وخبَّأته لك في حريرة في دُرْجٍ مملوءٍ مِسكا، فنازعنيه هذا الفاسقُ — يعني الغريضَ — فأردنا ان نتحاكمَ اليك فيه . فأيُّنا قدَّمتِه تَقدَّمَ . قالت : هاته . فغناها :

عوجي علينـــا ربَّـــةَ الهـــودجِ إنك إلا تَفعـــلي تَحرَجي (٥)

— الشعر للعرجي — فقالت : هاته انت يا غريضُ . فغناها اياه. فقالت لابن سريج : أَعِده : فأعاده . وقالت : يا غريض ، أَعِده . فأعاده . فقالت : ما أُشبِّهُكما الا باللؤلؤِ والياقوتِ في اعناق الجواري الحِسانِ لا يُدرَى أيُهما أحسنُ .

قدمِ يزيدُ بنُ عبد الملك مكةَ قبل ان يُستخلَفَ فبعث الى الغريض سِرًّا فأتاه فغناه :

وإني لأَرعى قومَـــها من جَلالهـــا وإن اظهروا غِشًّا نصحتُ لهم جَهدي
ولو حاربوا قومي لكنت لقومهـــا صديقا ولم أَحمِل على قومِها حِقدي

---

(١) العبلات : هي : قبيلة تنتسب الى جارية من تميم تدعى عبلة . (٢) المولد : راجع ص ١٢ ح ٢ .
(٣) أرقأ : قطع الدمع وسكنه وهو في هذا التركيب دعاء على الشخص بدوام حزنه وأساه . (٤) الحزن .
(٥) إلا : إن لا . تحرجي : تأثمي . عوجي : مري بنا .

ـ الشعر لكُثيِّر ـ فأُشير الى الغريض أن اسكُت. وفَطِن يزيد فقال: دَعُوا ابا يزيدَ حتى يُغنيَني بما أريد. فأعاد عليه الصوت مرارا. فطرب يزيد وامر له بجائزة سنية.

وسئل ابو عبد الله: لِمَ أشيرَ الى الغريضِ ان يَسكتَ حين غناه بشعر كثّير، وما السبب في ذلك؟ فقال:

كان عبدُ الملك بنُ مروانَ من اشدِ الناس حبا لعاتكةَ امرأته، وهي بنتُ يزيدَ بنِ معاويةَ. فغضبت مرةً على عبد الملك، وكان بينهما باب فحجبته وأغلقت ذلك البابَ. فشَقَّ غضبُها على عبد الملكِ وشكا الى رجل من خاصَّته، يقال له عُمَرُ بنُ بِلالٍ الأسَدي. فقال له: مالي عندَك إن رَضيَت؟ فقال: حُكمُك. فأتى عمرُ بابَها وجعل يَتَباكى وأرسل اليها بالسلام. فخرجت اليه حاضنتُها ومواليها وجواريها فقُلن: مالَك؟ قال: فَزِعتُ الى عاتكةَ ورجوتُها. فقد عَلِمَت مكاني من امير المؤمنين معاويةَ ومن أبيها بعدَه. قُلن: ومالَك؟ قال: ابناي لم يكن لي غيرُهما فقَتَل احدُهما صاحبَه. فقال امير المؤمنين: انا قاتلٌ الاخرَ به. فقلت: انا الوليُّ وقد عَفَوتُ. قال لا أعوِّدُ الناسَ هذه العادةَ. فرجوتُ ان يُنَجّيَ اللهُ ابني على يدها. فدخلن عليها فذكرن ذلك لها. فقالت: وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرت له؟ فقلن: إذاً، والله، يُقتَل. فلم يزَلن حتى دعت بثيابها فأجمَرتها[(1)] ثم خرجت نحو الباب. فاقبل حُدَيجٌ الخَصِيُّ وقال: يا اميرَ المؤمنين هذه عاتكةُ قد أقبلت. قال: ويلَك ما تقول؟ قال: قد، والله، طَلَعت. فأقبلَت وسلَّمت فلم يَرُدَّ عليها. فقالت: اما، والله، لولا عُمَرُ ما جئت. ان احد بنيه تعدَّى على الاخرَ فقتله فأردتَ قتلَ الاخرِ، وهو الوليُّ وقد عفا. قال: إني أكرَه ان أعوِّد الناسَ هذه العادةَ. قالت: أنشُدُكَ اللهَ يا امير المؤمنين. فقد عرفتَ مكانَه من امير المؤمنين معاويةَ ومن امير المؤمنين يزيدَ، وهو ببابي. فلم تزل به حتى اخذت برجله فقبَّلتها. فقال: هو لك. ولم يَبرَحا حتى اصطلحا. ثم راح عُمَرُ بنُ بِلالٍ الى عبد الملك فقال: يا امير المؤمنين، كيف رأيت؟ قال: رأينا أثرَك، فهاتِ حاجتَك. قال: مزرعةٌ بعِدَّتِها وما فيها والفُ دينارٍ فرائضُ لولدي واهلِ بيتي وعيالي. قال: ذلك لك. ثم اندفع عبد الملك يتمثل بشعر كُثَيِّرٍ:

وإني لأرعـــى قومَها من جَلالِها...

فلما غُنِّيَ يزيدُ بنُ عبد الملك بهذا الشعر، كَرِهَته مواليه، اذ كان عبد الملك تمثَّل به في أمه، ولم يَكرهه يزيد وقال: لو قيل هذا الشعرُ فيها ثم غُنِّيَ به لما كان عيبا. فكيف وانما هو مَثَلٌ تمثَّل به امير المؤمنين في أجملِ العالمين.

قال اسحاق: سَمِع الغريضُ اصواتَ رُهبانٍ في دير لهم فاستحسنها. فقال له بعضُ من معه: يا ابا يزيدَ، صُغ على مثلِ هذا الصوتِ لحنا.

(1) بخّرتها.

فصاغ مثله في لحنه :

يا أمَّ بكـــرٍ حبُّكِ البـــادي لا تَصرميني [١] إنني غـــادي
جَدَّ الرحيلُ وحثَّـــني صَحبـــي وأريدُ إمتاعاً منَ الـــزادِ [٢]

وكانت وفاة الغريض في ايام سليمانَ بنِ عبدِ الملك .

الحكم بن عبدل

هو شاعرٌ مُجيد مُقدَّم في طبقته، هَجّاءٌ، خبيثُ اللسان، من شعراء الدولة الاموية. كان اعرجَ، احدبَ . ومَنزله ومَنشؤُه بالكوفة .

قال العُتَبيُّ: كان الحَكَمُ بنُ عَبدلِ الاسديُّ الغاضريُّ أعرجَ لا تفارقه العصا، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك. وكان يَكتُبُ على عصاه حاجتَه ويَبعَث بها مع رُسُله فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخَّر له حاجة .

وَلِيَ الشُرطةَ بالكوفةِ رجلٌ أعرجُ، ثم وَلِيَ الإمارةَ آخَرُ أعرجُ، وخرج ابنُ عبدلٍ فلقي سائلا اعرجَ ، وقد تعرَّض للامير يسأله . فقال ابن عبدل :

أَلقِ العصا ودَعِ التَخامُعَ [٣] والتمِس عَمَلاً فهذي دولةُ العُرجـــانِ
لِأميرِنا وأميـــرِ شُرطتِنا معـــاً يا قومَنا لِكِلَيهمـــا رِجـــلانِ

فبلغت أبياته الاميرَ فبعث اليه بمئَتي درهمٍ وسأله ان يَكُفَّ عنه .

قال عاصمُ بنُ الحَدَثان :

كان ابن عبدل الاسديُّ اعرجَ احدبَ . وكان من اطيبِ الناس وأملحِهم. فلقيَه صاحبُ العَسَس ليلةً وهو سُكرانُ محمولٌ على محَفَّة فقال له: من أنتَ ؟ فقال : يا بَغيضُ ، انت أعرَفُ بي من أن تسألَني من انا ، فاذهب الى شُغلِكَ فإنك تَعلَمُ أنَّ اللصوصَ لا يَخرُجون بالليلِ للسَرِقَةِ محمولين في محَفَّة . فضحِك الرجل وانصرف عنه.

قدِم الحكمُ واسِطاً [٤] على ابن هُبَيرةَ — وكان بخيلا — فوقف بين يديه ثم قال :

(١) صرم : قطع . (٢) الزاد : هنا يقصد به الحديث واللقاء . (٣) التظاهر بالخمع وهو العرج والظلع
(٤) بلد خطه الحجاج بين البصرة والكوفة .

أتيتُك في أمرٍ مِنَ آمرِ عشيرتـــي ... وأعيا الامورِ المفظعـــاتِ جسيمُها
فان قلتَ لي في حاجتي انا فـــاعل ... فقد ثَلجَت نفسي وولَّت همومُهــا

قال : انا فاعل إن اقتصدتَ، فما حاجتُك ؟ قال : غُرمٌ لَزِمَني في حَمالة .⁽¹⁾ قال : وكم هي ؟ قال : اربعةُ الاف . قال : نحن مُناصِفوكَها . قال : أصلحَ اللهُ الاميرَ، أتخاف علي التُخمةَ إن أتممتَها ؟ . قال: أَكرَهُ أن أُعوِّدَ الناس هذه العادةَ . قال: فأعطني جميعَها سِرًّا وامنعني جميعَها ظاهرا ، حتى تُعوِّدَ الناسَ المنعَ، والا فالضررُ عليك واقع ان عوَّدتَهم نصفَ ما يطلبُون. فضحك ابن هبيرةَ وقال: ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك. فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ⁽²⁾ ، لا أخذتُ أقلَّ من اربعة الاف او أنصرفَ وانا غَضبانُ . قال : أعطوه اياها ، قبَّحه الله ، فانه ، ما علِمتُ⁽³⁾ ، حلاَّفٌ مَهِينٌ . فأخذها وانصرف .

اتى الحكمُ محمدَ بنَ حَسَّانَ التميميَّ وكان على خَراجِ⁽⁴⁾ الكوفة ، فكلَّمه في رجل أن يضعَ عنه ثلاثين درهما من خَراجه ، فلم يضع شيئا فقال فيه :

رأيتُ محمدا شَرِهـــا ظلومـــا ... وكنتُ اراه ذا وَرَعٍ وقَصـــدِ
نحَوتُ محمدا ودُخـــانُ فيـــه ... كريحِ الجَعر فوق عَطينِ جِلدِ⁽⁵⁾
فما يدنو الى فمـــه ذُبـــابٌ ... ولو طُلِيَت مَشافِرُه بقَنـــدِ⁽⁶⁾

وقال يهجو محمدَ بنَ عُمرَ:

إن كان للظَربانِ جُحرٌ مُنتِنٌ ... فلَجُحرُ أنفِك يا محمدُ أنتَنُ⁽⁷⁾ .

اراد عمرُبن هُبيرةَ اميرُ واسط أن يُغزِيَ⁽⁸⁾ الحَكَمَ بنَ عبدل، فاعتل بالزَّمانة⁽⁹⁾. فحُمِل وأُلقي بين يديه فجَرَّدَه فاذا هو أعرجُ مفلوجٌ ، فوضع عنه الغزوَ وضمَّه اليه وشخص به معه الى واسطٍ .

قال راوية الكُميت: ضرب الحجَّاجُ البعثَ⁽¹⁰⁾ على المحتلمين⁽¹¹⁾ ومَن أنبتَ من الصبيان . فكانت المرأة تجيء الى ابنها وقد جُرِّدَ⁽¹²⁾ فتضمُّه اليها وتقول له: بأبي! جَزَعاً عليه. فسُمِّي ذلك الجيش : « جيش بأبي » . وأُحضِر ابنُ عبدلٍ فجُرِّد فوُجِد أعرجَ فأُعفي .

---

(١) الكفالة والضمان لدية او لدين. (٢) اي امرأتي طالق . (٣) ما علمت : ما ظرف زمان . مهين: فاجر.
(٤) الخراج.: الضريبة على ما يخرج من غلات الارض. (٥) الجعر : النجو . يقال : جَعَرَ السبع كما يقال:تغوَّط الانسان . الجلد العطين : المنتن . (٦) عسل قصب السكر اذا جمد (٧) الظَربان : دويبة كالهرة كثيرة الفسو منتنة . الجمع: ظِربى . قيل : ان ابا الطيب المتنبي لقي ابا علي الفارسي فقال له ابو علي : كم لنا من الجموع على فِعلى . فأجاب بديهة : حِجلى وظِربى، ولا ثالث لهما . وحِجلى جمع حَجَل . فما زال ابو علي يبحث هل يستدرك عليه ثالثا فلم يتفق له ذلك . (٨) يغزي : يحمله على الحرب . (٩) العاهة (١٠) بعث الجند الى الحرب . (١١) المحتلمين ومن أنبت: معنى واحد، اي بلغ مبلغ الرجال . (١٢) اي ضم الى تجريدة البعث والحرب.

اجتمع الشعراء الى الحجاج وفيهم ابنُ عبدلٍ . فقالوا للحجاج : انما شعرُ ابنِ عبدلٍ كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف. فقال له : قد سمعتَ قولَهم فاستمع مني . قال : هاتِ . فانشده قوله :

واني لأستغني فما أبطَرُ الغنى[1] وأعرِضُ ميسوري لمن يبتغي قَرضي
وأُعسِرُ احيانا فتشتدُّ عُسرَتي فأُدرِكُ ميسورَ الغنى ومعي عِرضي
ولست بذي وَجهينِ فيمن عرفتُه ولا البخلُ فاعلَم من سَمائي ولا أرضي

فقال له الحجاج : احسنت . وفَضَّله عليهم في الجائزة بألفي درهم .

خرج يزيدُ بنُ عمرَ بنِ هبيرةَ يسير بالكوفة فانتهى الى مسجدِ بني غاضرةَ[2] ، وقد أُقيمت الصلاة . فنزَل يصلي . واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشرفَ الناسُ من السطوح . فلما قضى صلاتَه قال : لمن هذا المسجد؟ قالوا لبني غاضرةَ . فتمثَّل قولَ الشاعر :

ما إن تَركنَ من الغواضرِ مُعصِراً إلا فَصَمنَ بساقها خَلخالا[3]

فقالت له امرأة من المُشرِفات :

ولقد عطفنَ على فَزارةَ عَطفةً كَرَّ المَنيحِ[4] وجُلنَ ثَمَّ مَجالا[5]

فقال يزيد : مَن هذه؟ فقالوا : بنتُ الحكمِ بنِ عبدل . فقال: هل تَلِدُ الحيَّةُ الا حيةً . وقام خَجِلاً .

---

(١) البطر : الطغيان عند النعمة . والغنى منصوب بنزع الخافض كما قيل : بطرت معيشتَها ، اي في معيشتها .
(٢) قبيلة الحكم بن عبدل الغاضري . (٣) المعصر : الفتاة اذا بلغت وأدركت . فصم وفي بعض النسخ قصم،والفرق بين الفصم والقصم : الفصم كسر من غير بينونة والقصم هو ان ينكسر الشيء فيبين . (٤) اسم فرس قيس بن مسعود الشيباني . وفزارة : قبيلة ابن هبيرة . (٥) البيتان من قصيدة للأخطل .

طُوَيس (١)

طُوَيس لقبٌ غَلَب عليه ، واسمُه طاوُس ، مولى بني مخزومٍ ، وكنيتُه ابو عبد المُنعِم وكان يُلقَّب الذائبَ لانه غنى :

قد بَراني الحبُّ حتى كُدتُ من وجدي أذوبُ

وُلد يومَ قُبِضَ رسولُ الله ، وفُطِمَ يومَ مات أبو بكرٍ ، وخُتِنَ يومَ مقتلِ عُمرَ ، وزُوِّج يومَ قَتلِ عُثمانَ وولِدَ له يومَ قَتلِ عليٍّ ، ومات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

هو اول من غنى بالعربي بالمدينة وهو اول من القى الخَنَث(٢) بها واول مَن غنّى الغناءَ المُتقَنَ من المخنَّثين . وكان طويلا أحولَ وكان لا يضرب بالعود انما كان ينقُر الدُفَّ .

كان عبد الله بنُ جعفرٍ (بن ابي طالب) معه اخوانٌ له في عشيّة من عشايا الربيع ، فراحت عليهم السماءُ بمطرٍ جَودٍ فأسال كلَّ شيء . فقال عبد الله : هل لكم في العقيق – وهو متنزَّهُ اهل المدينة في ايام الربيع والمطر – فركبوا دوابَّهم ثم انتهَوا اليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزَّبَد مثلَ مَدِّ الفُرات . فإنهم ينظرون اذ هاجت السماء . فقال عبد الله لأصحابه : ليس معنا جُنّةٌ نستجنُّ(٣) بها ، وهذه سماءٌ خليقةٌ أن تَبُلَّ ثيابنا . فهل لكم في منزل طويسٍ ، فانه قريب منا ، فنستكنُّ فيه ويُحدِّثُنا ويُضحِكُنا ؟ وطويسٌ في النَّظّارةِ يسمع كلامَ عبدِ الله بنِ جعفر . فقال له عبد الرحمن بنُ حسّانَ بنِ ثابتٍ : جُعِلتُ فِداءك ، وما تريد من طويسٍ ، عليه غضبُ الله ، مُخنَّثٌ شائنٌ لِمَن عرفه . فقال له عبد الله : لا تقل ذلك ، فانه مليح خفيف ، لنا فيه أُنس .

فلما استوفى طويس كلامَهم تَعجَّل الى منزله فقال لامرأته : ويحَك ، قد جاءنا عبدُ الله بنُ جعفرٍ سيدُ الناس ، فما عندَك ؟ قالت : نذبح هذه العَناقَ(٤) . وكانت عندها عُنَيقةٌ قد ربَّتها باللبَن . وبادر فذَبحها واختبز خُبزا رُقاقا. ثم خرج فتلقّاه مُقبِلا اليه فقال له طويسٌ : بأبي انت وامي ، هذا المطرُ ، فهل لك في المنزِل فتستكِنَّ فيه الى ان تَكُفَّ السماء ؟ قال : اياك اريد . وجاء يمشي بين يديه حتى نزَلوا . فتحدثوا حتى أدرك الطعامُ .

فقال : بابي انت وامي ، تُكرِمُني اذا دخلت منزلي بأن تتعشّى عندي . قال : هاتِ ما عندك . فجاءه بعَناقٍ سمينةٍ ورُقاقٍ . فأكل وأكل القومُ حتى تَمَلَّأوا .فأعجبه طِيبُ طَعامه . فلما غَسَلوا

(١) ترجم المؤلف لطويس في الجزء الثالث وكرر الترجمة في الجزء الرابع، فوحدنا الترجمتين. (٢) الخنث : التشبه بالانثى دلالا وتَكَسُّرَ اعطاف . (٣) سترة نستتر بها . (٤) الانثى من ولد المعزى .

أيديَهم قال : بأبي انت وامي ، أتمشّى معك وأغنيك ؟ قال : افعل يا طويسُ . فأخذ مِلحفةً فأتزر بها وأرخى لها ذنبين ثم أخذ المُرَبَّعَ (١) فتمشّى وانشأ يغني :

يا خليلـــي نابَنـــي (٢) سُهــدي لم تَنَم عيـني ولم تكَــدِ
كيف تَلحوني (٣) عـلى رَجـــلٍ آنِسٍ تَلتَـــذُّه كَبِــدي
مثلُ ضوءِ البـــدرِ طَلعتُـــه ليس بالزُّمَّيـلَةِ (٤) النَكِـــدِ

فطَرِبَ القومُ وقالوا : احسنت والله يا طويسُ . ثم قال : يا سيدي ، أتدري لمن هذا الشعرُ ؟ قال : لا ، والله ، ما ادري لمن هو ، إلا أني سمعت شعرا حسنا . قال : هو لفارعةَ بنتِ ثابتٍ اختِ حَسانَ بنِ ثابتٍ وهي تتعشّقُ عبدَ الرَّحمن بنَ الحارثِ بنِ هشامٍ المخزوميِّ ، وتقول فيه هذا الشعرَ .

فضرب عبدُ الرحمن برأسِه على صدرِه ، فلو شُقَّت له الارضُ لدخل فيها (٥) .

وفد أبانُ بنُ عُثمانَ بنِ عَفّانَ على عبد الملك بنِ مروانَ فأمَّره على الحجاز. فأقبل حتى اذا دنا من المدينة تلقّاه اهلُها وخرج اليه أشرافُها. فخرج معهم طويس. فلما رآه سلَّم عليه ثم قال : ايها الاميرُ ، اني كنت أعطيتُ اللهَ عهدا لئِن رأيتُك اميرا لأخضبَنَّ يديَّ الى المِرفقين ، ثم أزدُو (٦) بالدُفِّ بين يديك . ثم أبدى عن دُفّه وتغنى بشعر غَلَسٍ ذي جَدَنٍ الحِميَريّ :

ما بـــالُ اهلِكِ يـــا رَبـــابُ خُزراً (٧) كأنهـــمُ غِضـــابُ
إن زُرتُ اهلَـــكِ أوعَـــدوا (٨) وتَهِـــرُّ دونَهُـــمُ كِـــلابُ

فطَرِب حتى كاد يطير . ثم سأله : أفأنت أكبرُ ام عمرو بنُ عثمان ؟ — عمرو اخو أبان — . فقال له طويس : إنّا والله ، مع جَلائلِ (٩) نِساء قومي ، أُمسِكُ بذُيولِهن يوم زُفَّت أمُّك المباركةُ الى ابيك الطيِّبِ ، قال : فاستحيا أبانُ ورمى بطَرفه الى الارض . وقال له أبان : يقولون إنك مشؤومٌ ، وما بلغ من شؤمك ؟ قال : وُلدت ليلةَ قُبِضَ النبي ، وفُطِمت ليلةَ مات ابو بكرٍ ، واحتلمت يومَ قُتِل عُمَرُ ، وزُفَّت اليَّ أهلي ليلةَ قُتِل ابوك عثمانُ . قال : فاخرج عني عليك الدَّبار (١٠).
قال حسينُ بنُ دَحمانَ الاشقرُ :

كنت بالمدينة فخلا لي الطريقُ وَسَطَ النهار فجعلت أتغنى :

ما بـــالُ اهلِـــكِ يـــا رَبـــابُ خُـــزراً كأنهـــمُ غِضـــابُ

(١) الة طرب . (٢) نابني سهدي: عراني الأرق والسهر . (٣) تلومني . (٤) الجبان يتزمل في بيته خوفاوضعفا.
(٥) ضرب برأسه على صدره أطرق استحياء وخجلا من ذكر عمته ، وقد ثأرمنه طويس . (٦) ألعب به قرعاً ونقراً .
(٧) جمع أخزَر : الذي ينظر بلحظ عينه . (٨) أوعَدوا : تهددوا . (٩) جمع جليلة . (١٠) الهلاك .

فاذا خَوخةٌ (١) قد فُتِحت ، واذا وجهٌ قد بدا تتبعُه لِحيةٌ حمراءُ فقال: يا فاسقُ ، أسأتَ التأديةَ ومَنعتَ القائلةَ (٢) وأذعتَ الفاحشةَ . ثم اندفع يغنيه ، فظننت ان طويسا قد نُشِر (٣) بعَينه . فقلت له : أصلحَك الله ، من اينَ لك هذا الغناءُ ؟ فقال : نشأتُ ، وانا غُلام حَدَثٌ ، أتبع المغنين وآخُذ عنهم ، فقالت لي أمي : يا بُنيَّ ، إن المغنّيَ اذا كان قبيحَ الوجه لم يُلتَفت الى غنائه. فدعِ الغناءَ واطلُب الفِقهَ ، فانه لا يَضُرُّ مع قُبحِ الوجه . فتركتُ المغنين واتَّبعت الفُقَهاءَ ، فبلغ اللهُ بي عز وجل ما ترى ؛ فقلت له : فأعِد ، جُعِلتُ فداءَك . قال : لا ، ولا كرامةَ . اتُريد أن تَقول : أخذتُه عن مالكِ بنِ أنَسٍ (٤). واذا هو مالكُ بنُ أنَسٍ ولم أعلم .

الدارمي

سعيدٌ الدارميُّ من ولد سُوَيدِ بنِ زيدٍ الذي كان جَدُّه قتل اسعدَ بنَ عمرِو بنِ هندٍ ثم هربوا الى مكة .

كان الدارمي في ايام عمرَ بنِ عبد العزيز وكانت له اشعارٌ ونوادرُ وكان من ظرفاء اهلِ مكةَ وله أصواتٌ يسيرة .

كانت متفتّياتُ (٥) اهلِ مكةَ لا يَطيب لهن مُتَنَزَّهٌ الا بالدارمي . فاجتمع جماعة منهن في متنزَّهٍ لهن وفيهن صديقةٌ له وكلُّ واحدةٍ منهن قد واعدت هواها (٦) . فخرجن حتى أتين الجُحفةَ (٧) وهو معهن . فقال بعضُهن لبعض : كيف لنا ان نخلوَ مع هؤلاء الرجال من الدارمي ؟ فإنا ان فعلنا قَطَّعَنا (٨) في الارض . قالت لهن صاحِبتُه : انا أكفيكُنَّه. قُلنَ: إنّا نريد ألاّ يَلومَنا. قالت. عليَّ أن ينصرفَ حامداً . وكان أبخلَ الناس ، فأتته فقالت : يا دارمي ، إنا قد تَفِلنا (٩) فاجلُب لنا طِيباً . قال : نعم . هوذا آتي سوقَ الجُحفةِ آتيكن بطيب . فأتى المُكارين فاكترى حِمارا فصار عليه الى مكةَ . فمكث النِسوةُ ما شئن .

ثم لَقِيَته صاحِبتُه وجعلت تعاتبه على ذَهابه ، الى ان قالت: يا دارميُّ بحق الكعبة اتُحِبُّني ؟ فقال : نعم . فبربِّها أتحبيني ؟ قالت : نعم . قال: فيا لكِ الخَيرُ، فانتِ تُحبيني وانا أحبُّكِ فما مَدخلُ الدراهم بيننا !

(١) الباب الصغير في الباب الكبير . (٢) القيلولة . (٣) بعث من الموت . (٤) هو احد الائمة الاربعة وكان يقال : ايفتى ومالك في المدينة . (٥) تَفتّى : راهق . تفتّت ، راهقت فخدرت . (٦) مَن تهواه . (٧) قرية قريبة من المدينة . (٨) اي فَرّق اعراضنا بما ينشره عنا . (٩) تَفِل : تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب .

كان الدارميُّ عندَ عبدِ الصَمَدِ بنِ عليٍّ يُحدِّثه، فأغفى عبدُ الصمد فعطس الدارميُّ عطسةً هائلةً، ففزِع عبدُ الصمد فزعا شديدا وغضِب غضبا شديدا ثم استوى جالسا وقال: يا عاضَّ كذا من امه، أتُفزِّعني ! قال : لا والله، ولكن هكذا عُطاسي . قال : والله لأنقعَنَّك بدمِك أو تأتيَني ببيِّنة على ذلك . فخرج ومعه حَرَسيٌّ(١) لا يَدري اين يذهب . فلَقِيَه ابنُ الريَّانِ المكيُّ فسأله، فقال : انا أشهد لك . فمضى حتى دخل على عبد الصمد فقال له : بِمَ تشهد لهذا ؟ قال : أشهَد أني رأيته مرة عطس عطسةً فسقط ضِرسُه . فضحك عبد الصمد وخلّى سبيله .

مدح الدارميُّ عبدَ الصمدِ بنَ عليٍّ بقصيدة واستأذنه في الانشاد ، فأذن له. فلما فرغ أُدخِل اليه رجل من الشُراة (٢) . فقال لغُلامه : أَعطِ هذا مئةَ دينارٍ واضرب عُنُقَ هذا . فوثب الدارميُّ فقال : بابي انت وامي ، بِرُّك وعقوبتُك جميعا نَقدٌ . فإن رأيتَ أن تَبدأ بقتل هذا ، فاذا فرَغ منه أمرتَه فأعطاني . فإني لن أريمَ(٣) من حضرتك حتى يفعلَ ذلك . قال : ولِمَ ، ويلك . قال : أخشى ان يَغلَط فيما بيننا ، والغلطُ في هذا لا يُستقال . (٤) فضحك وأجابه الى ما سأل .

قدِم المدينةَ تاجر من اهل الكوفة بخُمُرٍ(٥) فباعها كلها وبقيت السودُ منها فلم تَنفُق . وكان صديقا للدارمي . فشكا اليه ، وقد كان نَسَكَ وترك الغناء وقولَ الشعر . فقال له : لا تَهتمَّ بذلك فإني سأُنفِقُها لك حتى تَبيعَها أجمعَ ، ثم قال :

قُل للمليحةِ في الخِمارِ الاسودِ ماذا صنعتِ براهبٍ متعبِّدِ ؟
قد كان شمَّر للصلاة ثيابَه حتى وقفتِ له ببابِ المسجدِ !

وغنى فيه ، وشاع في الناس ، وقالوا: قد فتَكَ(٦) الدارمي ورجَع عن نُسكه. فلم تَبقَ في المدينة ظريفةٌ الا ابتاعت خِماراً اسودَ حتى نَفِدَ ما كان مع العِراقي منها . فلما علم بذلك الدارمي رجَع الى نُسكه ولَزِم المَسجِد .

(١) أحد الاعوان . (٢) الخوارج الذين خرجوا على طاعة الامام علي وسُمُّوا الشراةَ لقولهم: انا شَرَينا انفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة. (٣) أتحول. (٤) لا يُفسخ ولا يعاد . يقال : استقاله البيعَ اي طلب منه ان يفسخه . (٥) جمع خِمار : القناع الذي تضعه المرأة على رأسها . (٦) مَجَنَ ، وركب متن اهوائه غير مبال .

هلال

هو هِلالُ بنُ الاسعرِ ابنِ تميم المازني . شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية . وكان رجلا شديدا عظيم الخَلقِ أكُولا معدودا .

قال ابن كُلثومٍ : كان هلالٌ يوما في إبِلٍ له ، وذلك عند الظَهيرة وفي يومٍ شديدِ وقعِ الشمس ، مُحتدِمِ الهاجرةِ [١] وقد عَمَدَ الى عصاه فطرح عليها كِساءه ثم ادخل رأسَه تحتَ كِسائه من الشمس . فبينا هو كذلك اذ مرَّ به رجلان احدُهما من بني نَهشَلٍ والاخرُ من بني فُقَيمٍ ، كانا اشدَّ تميميَّينِ في ذلك الزمانِ بطشاً ، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواطٌ [٢] من تمر هَجَرَ [٣] . فلما انتهيا الى الإبِل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ولا يعرفان أن الإبِلَ له ، ناديا : يا راعي ، أعندَك شَرابٌ تَسقينا ؟ وهما يَظُنانه عَبداً لبعضهم . فناداهما هِلالٌ ، ورأسُه تحتَ كِسائه : عليكُما الناقةَ التي صفتُها كذا فأنيخاها ، فإن عليها وَطبينِ [٤] من اللبن ، فاشرَبا منهما ما بدا لكما . فقال له أحدُهما : ويحك ! إنهَض يا غُلامُ فأت بذلك اللبنِ . فقال لهما : إن تَكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها . فقال أحدُهما : إنك يا ابنَ اللخناء [٥] لَغليظُ الكلامِ ، قُم فاسقِنا . ثم دنا من هِلال . فقال لهما : اراكما والله ، ستَلقيان هواناً وصَغاراً . فدنا أحدُهما فأهوى له ضربا بالسَوطِ على عَجزِه وهو مضطَجعٌ . فتناول هلالٌ يدَه فاجتذبه اليه ورماه تحتَ فَخذِه ثم ضغطه ضغطةً فنادى صاحبه : ويحَك أغِثني قد قتلني . فدنا صاحبه منه فتناوله هلال أيضا فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الاخرى ، ثم أخذ برقابهما فجعل يَصُكُّ [٦] برؤوسِهما [٧] بعضا ببعض لا يستطيعان ان يَمتنِعا منه . فقال أحدُهما : كن هلالاً ولا نُبالي ما صنعتَ . فقال : انا ، والله ، هلالٌ . ولا ، والله ، لا تَفلُتان مني حتى تُعطياني عهدا وميثاقا لا تَخيسان به : [٨] لَتَأتِيانِّ المِربَدَ [٩] اذا قَدِمتُما البَصرةَ ، ثم لتُناديانِّ بأعلى صوتِكما بما كان مني ومنكما . فعاهداه وأعطياه نَوطاً من التَمر الذي معهما . وقَدِما البصرة فأتيا المِربَدَ فناديا بما كان منه ومنهما .

(١) نصف النهار في القيظ . (٢) جمع نَوط وهو الجلة الصغيرة او القفة. (٣) قاعدة البحرين . (٤) الوطب : سقاء اللبن . (٥) ألخَن لخناء : منتن. (٦) يصك : يضرب بقوة . (٧) الجمع دون التثنية لكراهية اجتماع تثنيتين : رأسيهما . وهو اكثر استعمالا من التثنية والافراد : رأسهما . وفي القرآن : فقد صغت قلوبهما . (٨) لا تغدران . (٩) من اشهر محال البصرة كان يكون سوق الابل فيه ، ومجالس الخطباء ، ومفاخرات الشعراء .

قال هلال :

جُعتُ مرة ومعي بعيري فنحرته وأكلته إلا ما حملت منه على ظهري . ثم اردت امرأتي فلم أقدِر ، فقالت لي : ويحَكَ كيف تَصِل اليَّ وبيني وبينك بعيرٌ .

من أشعاره هذا الصوتُ الذي سيأتي ذكره في ترجمة مُخارِقٍ :

يا ربعَ سلمى لقد هَيَجتَ لي طَرَبا   زدتَ الفؤادَ على عِلاَّتِهِ وَصَبا [1]
ربعٌ تبدَّلَ ممن كان يَسكُنُه   عُفرَ الظباءِ وظُلماناً به عُصَبا [2]

وقال يَرثي المُغيرةَ بنَ قَنبَرٍ ، كان يَعوله ويُفضِل عليه ويحتمل ثِقله وثِقلَ عياله :

الا ليت المغيرةَ كان حيًّا   وأفنى قبلَه الناسَ الفناءُ
لِيبكِ على المغيرةِ كلُّ خيلٍ   اذا أفنى عرائِكَها [3] اللقاءُ
ويبكِ على المغيرةِ كلُّ كَلٍّ [4]   فقيرٍ كان يَنعَشُه العَطاءُ
لقد وارى جديدُ الارضِ [5] منه   خصالاً عَقدُ عِصمتها الوفاءُ
فإن تكنِ المنيَّةُ أقصدَته [6]   وحُمَّ [7] عليه بالتَلَفِ القضاءُ
فقد اودى به كرمٌ وخيرٌ   وعَودٌ بالفضائل وابتداءُ

عروة بن الورد

هو عُروةُ بنُ الوردِ بنِ زيدِ ابنِ عبسِ ابنِ مُضَرَ. شاعرٌ من شعراءِ الجاهلية وفارسٌ من فُرسانها وصُعلوكٌ من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد. وكان يُلَقَّب عُروةَ الصعاليكِ لجمعه اياهم وقيامِه بأمرهم اذا أخفقوا في غَزَواتهم ولم يكن لهم مَعاشٌ ولا مَغزًى [8] .

قال معاويةُ : لو كان لعُروةَ بنِ الوردِ وَلَدٌ لأحببت ان أتزوجَ اليهم.

(١) الوصب : المرض . (٢) عفر : جمع أعفَر : ما كان لونه كالعَفَر اي التراب : الظلمان : جمع ظليم وهو ذكر النعام . العصب : جمع عُصبة : الجماعة . (٣) عرائك : جمع عريكة : النفس ، الطبيعة . (٤) كَلّ : الضعيف الذي يكون عالة على غيره . (٥) جديد الأرض : كناية عن القبر لان باطن ترابه يضحي ظاهره . (٦) أقصدته : أصابت منه مقتلا . (٧) حُم : قضي ونزلت به نازلة القدر . (٨) غزوة .

وقال عبدُ الملك بنُ مروانَ: ما يَسرُّني أنَّ احدا من العرب ولدني ممَّن لم يَلِدني الا عروةُ بنُ الوردِ لقوله:

إني امرُؤٌ عافي إناءيَ شِركةٌ   وأنتَ امرُؤٌ عافي انائِك واحدُ
أتهزأُ مني أن سَمِنتَ وأن ترى   بجسميَ مَسَّ الحقِّ والحقُّ جاهدُ
أُفرِّقُ جِسمي في جُسومٍ كثيرةٍ   وأحسو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ(١)

وقال عُمرُ بنُ الخطَّابِ للحُطيئةِ : كيف كنتم في حربِكم ؟ قال : كنا الفَ حازمٍ . قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيسُ بنُ زهيرٍ وكان حازما ، وكنا لا نَعصيه ، وكنا نُقدِمِ إقدامَ عنترةَ ، ونأتمُّ بشعر عُروةَ بنِ الورد ، وننقادُ لأمر الربيعِ بنِ زيادٍ .

قال عبد الله بنُ جعفرِ بنِ أبي طالب لمعلمِ ولدِهِ : لا تُرَوِّهم قصيدةَ عُروةَ بنِ الورد التي يقول فيها :

دعيني للغنى أسعى فإني   رأيتُ الناسَ شرَّهمُ الفقيرُ

ان هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم .

أغار عروةُ بنُ الورد على مُزَينةَ فأصاب منهم امرأةً من كِنانةَ بِكراً يُقال لها سلمى ، فأعتقَها واتَّخذها لنفسه وكانت ذاتَ جمال ، فولدت له اولادا وكان شديدَ الحُبِّ لها. وكان وَلدُه يُعَيَّرون بأمِهم ويُسَمَّون بني الأخيذة – ايِّ السبيَّة – فقالت : ألا ترى وَلدَك يُعَيَّرُون ؟ قال : فماذا تَرَين ؟ قالت : ارى ان تَرُدَّني الى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوِّجونك . فأنعمَ(٢) لها . فأرسلت الى قومها أن القَوهُ بالخَمر ثم اتركُوه حتى يَسكرَ ويَثملَ فانه لا يُسألُ حينئذ شيئاً الا أعطاه. فلقَوه فسَقَوه . فلما سَكِر سألُوه سلمى فردَّها عليهم وشَهَد عليه بذلك جماعةٌ ممن حضر .

فقال :

سقَوني الخمرَ ثم تكنَّفُوني   عُداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزورِ
وقالوا لستَ بعدَ فِداءِ سلمى   بمُغنٍ ما لديك ولا فقيرِ
فلا واللهِ لو مُلِّكتُ أمري   ومَن لي بالتدبُّرِ في الأمورِ

---

(١) بلغ عروة الشأوالأعلى في تصوير معنى الكرم ، فهو عنده ليس عطاء مما فضل عنك . . . بل فهمه فهما عضويا ، فالكريم الحق في نظره من يقتطع من ذات جسمه قطعا يبذلها في الناس بذلَ السخاء . فاناء طعامه يعفوه ويغشاه شركة وجمهرة ، بينما المتبخل يغشى إناءه وحده ويمسكه على نفسه . وما كان لهذا المتبخل ان يفخر بسمانته ويعيرني بهزالي، فمن جسدي انتزعت حقوق الآخرين ونزلتها في اجسادهم، ولو اقتضاني ذلك أن لا أُصيبَ الا جرعةَ ماءٍ في يوم بارد قَرورٍ . (٢) قال لها : نعم .

إذاً لعصَيتُهم في حُبِّ سلمى على ما كان من حَسَكِ (١) الصدورِ
فيا لَلناسِ كيف غُلِبتُ أمري على شيءٍ ويَكرَهُه ضَميري

وجاءت سلمى تُثني عليه فقالت : والله ، إنك ، ما (٢) علمتُ ، لَضَحوكٌ مُقبِلاً ، كَسوبٌ مُدبِراً ، ضعيفٌ على متن الفرس ، ثقيلٌ على العدوّ ، طويلُ العِماد كثيرُ الرَّماد ، راضي الاهلِ والجانبِ (٣) فاستوصِ ببنيك خيرا . ثم فارقته فتزوجها رجل من بني عمها . فقال لها يوما : يا سلمى ، أثني علي كما أثنيتِ على عُروةَ — وقد كان قولُها فيه شُهر — فقالت له: لا تُكلِّفني ذلك ، فاني ان قُلتُ الحقَّ غضِبتَ ، ولا واللاتِ والعزّى (٤) لا أكذِبُ . فقال: عزَمتُ عليكِ لَتأتيني في مجلِس قومي فلَتُثنين علي بما تعلَمين . وخرج وجلس في نَديِّ (٥) القوم . وأقبلت فرَماها القومُ بأبصارهم فوقفت عليهم وقالت : أَنعِموا صَباحا . إنَّ هذا عَزَمَ علي ان أثني عليه بما أعلَم . ثم أقبلت عليه فقالت : والله إنَّ شملتَك (٦) لالتحاف ، وإن شُربَك لاشتفاف (٧) ، وإنك لَتنامُ ليلةَ تَخاف، وتَشبَعُ ليلةَ تُضاف ، وما تُرضي الاهلَ ولا الجانب . ثم انصرفت . فلامَه قومُه وقالوا : ما كان اغناك عن هذا القولِ منها .

ومن اقوال عروة هذا الصوت :

وخِلٍّ كُنتُ عينَ الرُشدِ منه اذا نَظرَت ومُستمِعاً سميعا
أطافَ بغَيِّهِ فعَدَلتُ عنه وقلت له أرى أمرًا فظيعا

ذو الإصبع العدواني

هو حُرثانُ بنُ الحارثِ ابنِ عَدوانَ ابنِ مُضَرَ. شاعر فارس من قُدَماء الشعراء في الجاهلية . وله غاراتٌ ووقائعُ مشهورة . وسُمِّي ذا الاصبَعِ لأن حيَّةً نهشته في إصبَعه فيَبِست.

نزلت عَدوانُ على ماءٍ فأحصَوا فيهم سبعين ألفَ غُلامٍ أغرَلَ (٨)، سوى مَن كان مختونا ، لكثرة عددهم . ثم وقع بأسُهم بينَهم فتفانَوا . فقال ذو الاصبَع :

(١) حسك : شوك . يقصد به الحقد والعداوة . (٢) ما علمت ، ما ظرف زمان . (٣) الجانب أي الغريب والمراد الضيف . (٤) اللات والعزى : صنمان كان يعبدهما العرب. (٥) الندي : مجمع القوم . (٦) شملتك : هيئة التلفع ، والتركيب هنا كناية عن الإمعان نوماً عما تنشده الأنثى من ضجيعها . (٧) شرب كل ما في الإناء . (٨) الذي لم يختن.

عذيرَ الحـــيِّ (١) مِن عَـــدوانَ كـــانوا حيَّـــةَ الارضِ (٢)
بَغـــى بعضُهـــم بعضـــا فلم يُبقـــوا عـــلى بعـــضِ
فقد صـــاروا أحـــاديـــثَ برَفـــعِ القـــولِ والخفـــضِ (٣)
ومنهم كـــانت الســـاداتُ والـــمُوفـــونَ بالقـــرضِ
ومنهم مـــن يُجيـــز النـــاسَ بالسُنَّـــةِ والفـــرضِ
ومنهم حَكَـــمٌ يقضـــي فلا يُنقَضُ مـــا يَقضـــي

وقوله : « حَكَمٌ يقضي » ، يَعني عامرَ بنَ الظربِ العَدواني . كان حَكَما للعرب تحتكم اليه . وهو الذي كانت العصا تُقرَعُ له ، وكان قد كَبِر فقال له ابنه : إنك ربما أخطأتَ في الحُكم فيُحمَلُ عنك . قال : فاجعلوا لي أَمارةً (٤) أعرفُها . فاذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ الى الحُكم والصواب . فكان يجلس قُدَّامَ بَيتِه ويَقعُد ابنُه في البيت ومعَه العصا . فاذا زاغ او هفا قَرع له الجَفنةَ (٥) فرجَع الى الصواب .

وقوله : « ومنهم من يُجيز الناسَ » ، فان إجازةَ الحجِّ كانت لخُزاعةَ فأخذَها منهم عَدوانُ فصارت الى رجل منهم يُقال له أبو سَيَّارةَ . كان ابو سيارةَ يُجيز الناسَ في الحج بأن يتقدمَهم على حِمار ، ثم يخطُبهم فيقول : اللّهُمَّ أصلِح بين نِسائنا ، وعادِ بين رِعائنا (٦) ، واجعل المالَ في سُمَحائنا . أوفُوا بعهدكم وأكرِموا جاركم ، واقرُوا ضيفَكم . ثم يقول : أشرِق ثَبير كيما نُغير (٧) ثم يَنفُرُ ويتبعُه الناس .

كان لذي الاصبَعِ اربعُ بنات وكُنَّ يُخطَبنَ اليه فيَعرِضُ ذلك عليهنَّ فيَستَحِين ولا يُزوِّجُهُن . فخرج ليلةً الى مُتَحدَّثٍ لهن فاستمع عليهن ، وهن لا يَعلَمن ، فقُلن : تعالَين نتمنى ولْنَصدُق . فقالت الكُبرى :

أَلا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذوي غِنىً حديثُ الشبابِ طيِّبُ الريحِ والعِطرِ
طبيبٌ بأدواءِ النِســـاءِ كـــأنَّـــه خليفةُ جانٍ لا يَنام على وِترِ (٨)

فقُلن لها : انت تُحبين رجلا ليس من قومك . فقالت الثانية :

أَلا هَل أَراهـــا ليلةً وضجيعُـــها أشَمُّ كنصلِ السيفِ غيرُ مُبلَّـــدِ
لصوقٌ بأكبـــادِ النســـاءِ وأصلُـــه ، إذا ما انتمى ، من سِرِّ أهلي ومَحتِدي

(١) أي هاتِ عذراً فيما فعل الحي . (٢) أي ذوي الجانب المنيع . (٣) أي بالعلانية والسر . (٤) اشارة .
(٥) القصعة . (٦) جمع راع (٧) ثبير : جبل بمكة . أشرق ثبير أي أدخُل في الشروق كيما نُغير أي نسرع للنحر .
(٨) وِتر : ثأر

فقُلن لها : انت تُحبين رجلا من قومك . فقالت الثالثة :

الا ليتَه يَمـلا الجِفـانَ لضيفه ٍ له جَفنةٌ يَشقى بها النيبُ والجُزرُ(١)

له حَكَماتُ(٢) الدهرِ من غيرِ كَبرةٍ تَشينُ ولا الفاني ولا الضَرعُ الغُمرُ(٣)

فقُلن لها : انت تُحبين رجلا شريفا . وقُلن للصُغرى : تَمَنَّي .

فقالت : ما اريد شيئا . قُلن : والله لا تبرحين حتى نعلَمَ ما في نفسك . قالت : زوجٌ من عُودٍ خيرٌ من قُعودٍ . فلما سمع ذلك ابوهن زوَّجهن أربعَتَهن . فمكثن بُرهةً ثم اجتمعن اليه. فقال للكبرى : يا بُنَيةُ ، ما مالُكم ؟ قالت : الإبلُ . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خيرَ مالٍ . نأكُل لحومَها مُزَعاً ، ونشرَب البانها جُرَعاً ، وتَحملُنا وضعيفَنا معاً . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : خيرَ زوجٍ . يُكرِم الحليلةَ ، ويُعطي الوَسيلة(٤) . قال : مالٌ عميمٌ وزوجٌ كريمٌ . ثم قال للثانية : يا بنيةُ ، ما مالُكم ؟ قالت : البقَرُ . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت خيرَ مالٍ . تَألَف الفِناءَ وتُوِدك(٥) السقاءَ ، وتَملأ الإناءَ ، ونساءٌ في نساءٍ . قال : فكيف تجدين زوجَكِ ؟ قالت : خيرَ زوجٍ . يُكرِم أهلَه ، ويَنسى فَضلَه . قال : حَظِيتِ ورضيتِ . ثم قال للثالثة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعزى . قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأسَ بها . نُولِدُها فُطُماً(٦) ونَسلَخُها أدَماً(٧) . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : لا بأسَ به . ليس بالبخيل الحَكِر(٨) ولا بالسَمح البَذِر . فقال : جدوى مُغنيةٌ(٩). ثم قال للرابعة : يا بنيةُ ما مالُكم ؟ قالت: الضَأنُ . قال : وكيف تجدونها ؟ قالت: شرَّ مالٍ . جُوفٌ(١٠) لا يَشبَعن، وهِيمٌ(١١) لا يَنقَعن ، وصُمٌّ(١٢) لا يَسمعن . وأمرَ مُغوِيَتِهن(١٣) يَتبَعن . قال : فكيف تجدين زوجَك ؟ قالت : شرَّ زوجٍ . يُكرِمُ نفسَه ويُهين عِرسَه(١٤) . قال : أشبَهَ امرؤٌ بعضُ بَزِّه(١٥) .

لما احتُضِرَ ذو الإصبَعِ دعا ابنَه أُسَيداً فقال له : يا بُني ، إن اباك قد فَنِيَ وهو حيٌّ، وعاش حتى سَئِم العيشَ . وإني مُوصيك بما إن حَفِظتَه بلغتَ في قومك ما بلغتُه. فاحفَظ عني : ألِن جانبَك لقومك يُحِبُّوك، وتواضَع لهم يَرفعوك، وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك . ولا تستأثِر عليهم يَوَدُّوك، وأكرِم صِغارَهم كما تُكرِمُ كِبارَهم يُكرِمك كبارُهم ويَكبَر على مودَّتك صِغارُهم . واسمَح بمالك ، واحمِ حريمَك ، وأعزِز جارَك، وأعِن مَن استعان بك، وأكرِم ضيفَك، وأسرِع النهضةَ

(١) النيب : جمع ناب وهي الناقة المسنة . الجزر اصلها جُزُر وسكن للضرورة، جمع جزور وهي الناقة المجزورة .
(٢) جمع حكمة : وهي الحديدة في اللجام تمنع الفرس من مخالفة فارسه . والمراد هنا التجارب . (٣) الضرع : الضعيف . والغمر ، بضم الغين : لم يجرب الامور. (٤) ما يتقرب به إلى الغير . (٥) الودك : الدسم .
(٦) جمع فطيم . (٧) جمع أديم ، وهو الجلد المدبوغ . (٨) المستبد بالشيء . (٩) منفعة تغني .
(١٠) عظيمة الجوف . (١١) جمع أهيم وهَيماء . العطاش . (١٢) شبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها .
(١٣) تسقط الواحدة فيتبعها الجميع . (١٤) عِرس : زوجة. (١٥) مغزاه: ان المرء أشبه بما يقتني ؛ كما يفهم من سياق كلام الزمخشري في الأساس .

في الصريخ [١] ، فانَّ لكَ أَجَلاً لا يَعدوك ، وصُن وجهَك عن مسألة احدٍ شيئا، فبذلك يَتِمُّ سؤددُك . ثم أنشد :

آخِ الكِرامَ إنِ استطعتَ الى إخائهِم سبيلا .
أهِنِ اللئامَ ولا تكن لإخائهم جَمَلا ذَلولا .
وابسُط يمينَك بالندى وامدُد لها باعا طويلا .
واذا دُعيتَ الى المُهمِّ فكن لفادِحِه حَمولا .

وكان لذي الإصبَع ابنُ عمٍ يُعاديه فكان يتدسَّس الى مكارهه ويَمشي به الى أعدائه ويؤلِّب عليه ويسعى بينه وبين بني عمه ويَبغيه عندهم شرا . فقال فيه:

ولِيَ ابنُ عمٍ لا يَزالُ اليَّ مُنكَرُهُ دَسيسا
لو كنتَ ماءً لم تكن عذبَ المَذاقِ ولا مَسوسا [٢]
مِلحاً بعيدَ القَعرِ قد فَلَّت حِجارتُه الفُؤوسا

ومما قاله :

ان الذي يَقبِضُ الدنيا ويَبسُطُها إن كان أغناكَ عني سوف يُغنيني
لو تشربون دمي لم يَرْوَ شاربُكم ولا دِماؤكُمُ جمعاً تُروِّيني
كلُّ امرئٍ صائرٌ يوما لشيمته وإن تَخلَّقَ أخلاقا الى حينِ
اني لَعَمرُك ما بابي بذي غَلَقٍ عنِ الصديق ولا خيري بممنونِ .

بشار بن برد

هو بَشَّارُ بنُ بُردِ بنِ يَرجوخَ، فارسيٌّ. ويُكنَّى أبا مُعاذ وهو من مُخضرَمي شعراءِ الدولتين. وقد وُلد مكفوفا. وكان ابوه طيَّانا . ومحلُّه في الشعر وتقدُّمُه طبقاتِ المُحدَثين [٣] ورياستُه عليهم ، بإجماع الرُّواة ، يُغني عن وصفه .

(١) الذي يصرخ طالباً النجدة . (٢) بين العذب والمالح . (٣) المحدَثون : عند مؤرخي الشعر القدامى هم الذين نبغوا في العهد العباسي ولا يُحتج بشعرهم في اللغة والقواعد .

قال بشار : لما دخلت على المَهديِّ قال لي : فيمن تعتدُّ يا بشارُ ؟ فقلت : اما اللسانُ والزيُّ فعربيان ، واما الاصلُ فعجمي .

لُقِّب بشار بالمُرَعَّث لانه كان في أذُنه ، وهو صغيرٌ ، رِعاثٌ. والرعاثُ : القِرَطَة ، واحدتُها رَعثةٌ . ورعثات الديك : اللحم المتدلي تحت حَنَكه .

كان بشار ضخما عظيمَ الخَلق والوجه ، مجدورا ، طويلا جاحِظَ[1] المُقلتين ، قد تغشّاهما لحم أحمرُ ، فكان أقبحَ الناسِ عمىً وأفظعَه منظرا . وكان اذا اراد ان يُنشدَ صَفَّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشِماله ثم يُنشد فيأتي بالعجب .

وُلد بشارٌ أعمى فما نظر الى الدنيا قطُّ ، وكان يُشَبِّه الاشياءَ بعضَها ببعضٍ في شعره فيأتي بما لا يَقدِر البُصَراء ان يأتوا بمثله . فقيل له يوما وقد انشد قوله :

كأنَّ مُثارَ النَقعِ فوق رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كواكِبُه

ما قال احد أحسنَ من هذا التشبيه ، فمِن اينَ لك هذا ولم ترَ الدنيا قط ، ولا شيئاً فيها . فقال : ان عدمَ النظرِ يُقوِّي ذَكاءَ القلبِ ويَقطَعُ عنه الشُغلَ بما ينظُر اليه من الاشياء فيتوفَّر حِسُّه وتَذكو قريحتُه .

قال بَشارٌ الشعرَ ولم يبلُغ عشرَ سنين . ثم بلغ الحُلُمَ وهو مَخشِيٌّ مَعَرَّةَ[2] لسانه .

كانَ بشار يقول الشعر وهو صغير . فاذا هجا قوما جاؤوا الى ابيه فشكَوه فيَضربُه ضربا شديدا. فكانت امه تقول : كم تضرِب هذا الصبيَّ الضريرَ ، أما تَرحَمه . فيقول : بلى ، والله ، اني لأرحمه، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه اليَّ . فسمِعه بشار فطمِع فيه ، فقال له : يا أبتِ ، إن هذا الذي يشكونه مني اليك هو قولُ الشعر . واني إن ألمتُ عليه أغنيتُك وسائرَ أهلي . فإن شَكَوني اليك فقل لهم : أليس اللهُ يقول : « ليس على الأعمى حَرَج » . فلما عاودوه شكواه قال لهم بردٌ ما قاله بشار . فانصرفوا وهم يقولون : فُقهُ بُردٍ أغيَظُ لنا من شعر بشار .

كان بشار يقول : هَجَوت جريرا فأعرض عني واستصغرني . ولو أجابني لكنت أشعرَ الناس .

كان الاعجميُّ يقول : بَشارُ خاتمةُ الشعراء .

قال ابو عبيدة : سمعت بشارا يقول وقد أُنشِدَ شعرَ الأعشى :

وأنكرَتني وما كان الذي نَكِرَت من الحوادثِ الا الشَيبَ والصَلَعا

فأنكره وقال : هذا بيتٌ مصنوعٌ ، ما يُشبه كلامَ الأعشى . فعجبتُ لذلك . فلما كان بعد

(١) الجاحظ : البارز مقلة العين الناتئ الحدقة . (٢) معرة اللسان : فحشه وشره .

هذا بعشرِ سنينَ كنت جالِسا عند يُونُسَ فقال : حَدَّثني ابو عمرِو بن العَلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الاعشى .

قال بشار : لي اثنا عَشَرَ ألفَ بيتٍ عَين . فقيل له : هذا ما لم يكن يَدَّعيه أحدٌ قطُّ سِواك . فقال : لي اثنا عَشَرَ الفَ قصيدةٍ ، لعَنَها اللهُ ولعَنَ قائلَها إن لم يكن في كل واحدة منها بيتٌ عَيْنٌ .

سُئل الاصمعيُّ عن بشارٍ ومروانَ بنِ ابي حفصةَ ايُّهما أشعرُ ؟ فقال : بشار ، لان مَروانَ سلك طريقا كثُر مَن يَسلُكه فلم يَلحَق من تَقدَّمَه ، وشَرِكَه فيه مَن كان في عصره . وبشارٌ سلك طريقا لم يُسلَك وأحسنَ فيه وتفرَّد به .

وقيل لبشارَ : ليس لاحد من شعراء العرب شعرٌ إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العربُ وشُكَّ فيه ، وإنه ليس في شعرك ما يُشَكُّ فيه . قال : اينَ يأتيني الخطأُ . وُلِدت ها هنا ، ونشأتُ في حُجورِ ثمانين شيخا من فُصَحاء بني عَقيلٍ وما فيهم احدٌ يَعرِف كلمةً من الخطأ ، وإن دخلتُ الى نِسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم ، وأيفعتُ فأَبدَيتُ (١) الى ان ادركتُ . فمِن اينَ يأتيني الخطأُ .

سأل احدُ الرواة أبا عمرِو بنِ العَلاء : من أبدَعُ الناسِ بيتا ؟

قال الذي يقول :

لم يَطُل ليلي ولكن لم أَنَمْ ... ونفى عني الكَرى طَيفٌ أَلَمْ
نَفِّسي يا عبدَ (٢) عني واعلَمي ... أنني يا عبدَ من لحمٍ ودمْ
إنْ في بُردَيَّ جسما ناحلا ... لو توكَّأتِ عليه لانهدمْ

قال : فمَن أمدحُ الناس ؟ قال : الذي يقول :

لمستُ بكفي كَفَّهُ أبتغي الغِنى ... ولم أدرِ أن الجُودَ من كفِّه يُعدي
فلا انا منه ما افادَ ذوو الغِنى ... أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي

وهذه الابيات لبشار .

قال بشار في دَيسَمٍ العَنَزيِّ الذي يَحفَظُ من شعر حمَّادٍ وابي هشامٍ الباهليِّ في بشار :

أدَيسَمُ يا ابنَ الذئبِ من نجلِ زارعٍ ... أتَروي هِجائي سادراً (٣) غيرَ مُقصِرِ

فقال ابو زيد : قاتَلَه اللهُ ما أعلمَه بكلام العرب . ثم قال : الدَّيسمُ ولدُ الذئب من الكلبة . ويقال للكلاب : اولادُ زارع . والعِسبارُ : ولد الذئبة من الضبُعِ . والسِمع ولد الضبع من الذئب وإنه لا يموت حَتفَ (٤) انفه ، وإنه اسرعُ من الريح .

(١) أخرجوه إلى البادية . (٢) ترخيم عبدة وسيأتي خبرها . (٣) لا يبالي بما صنع . (٤) حتف أنفه : هلك بدون سبب من قتل أو ضرب .

دخل يزيدُ بنُ منصورٍ الحِميَريُّ على المهديِّ وبشارٌ بين يديه يُنشده قصيدة امتدحه بها . فلما فرغ منها اقبل عليه يزيدُ ، وكانت فيه غَفلةٌ ، فقال له : يا شيخُ ، ما صناعتُك ؟ فقال : أثقُبُ اللؤلؤَ . فضحك المهديُّ ثم قال لبشار : أعزُب [١] ويلَك . أتتنادر على خالي ؟ فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى يُنشد الخليفةَ شعرا ويسأله عن صناعته !

مرَّ بشار بقاصٍّ بالبصرة فسمعه يقول في قَصَصه : من صام رَجَبا وشعبانَ ورَمَضانَ بنى اللهُ له قصرا في الجنة صَحنُهُ ألفا فرسخٍ في مثلها ، وعلوُّه الفا فرسخٍ . وكل باب من ابواب بيوته ومَقاصره عشرةُ فراسخٍ في مثلها . قال : فالتفت بشارٌ الى قائده فقال : بِئسَت ، والله ، الدارُ هذه في كانونِ الثاني .

مرَّ بشارٌ برجل قد رمحته [٢] بغلة وهو يقول : الحمدُ لله شُكرا . فقال له بشار : استزِده يَزِدك .

كان بشار يحشو شعره اذا أعوزته القافيةُ والمعنى بالاشياء التي لا حقيقةَ لها . فمن ذلك أنه أنشَد يوما شعرا له فقال فيه :

غَنِّني للغريض يا ابنَ قَنانِ .

فقيل له : مَن ابنُ قَنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغنّي البصرةِ . قال : وما عليكم منه . ألَكم قِبَلَه دَينٌ فتطالبوه به ، او ثأرٌ تريدون ان تُدركوه ؟

قال الغَلابي : مررت ببشار يوما وهو جالس على بابه وحدَه وليس معه خلقٌ وبيده مِخصَرةٌ [٣] يلعب بها وقُدّامَه طَبَقٌ فيه تُفّاحٌ وأُترُجٌّ. فلما رأيته وليس عنده احد ، تاقت نفسي الى أن أسرِقَ ما بين يديه . فجئت قليلا قليلا وهو كافٌّ يدَه ، حتى مددت يدي لأتناولَ منه. فرفع القضيبَ وضرب به يدي ضربةً كاد يَكسرها . فقلت له : قطعَ اللهُ يدَك ، يا ابنَ الفاعلةِ ، انت الانَ أعمى ؟ فقال : يا احمقُ ، فأين الحِسُّ !

قالت امرأة لبشار : ما أدري لِمَ يَهابُك الناسُ مَعَ قُبحِ وجهِك. فقال لها: ليس من حُسنِه يُهابُ الاسدُ .

وقال لاخرَ يُرمَى بالأبنة [٤] : لو نُكِحَ الاسدُ ما افترَسَ .

دخل بشار على عُقبةَ بنِ سَلمٍ فأنشده بعضَ مدائحه فيه ، وعنده عُقبةُ بنُ رُؤبةَ يُنشده رَجَزاً يمدحه فيه . ثم أقبل على بشارٍ فقال : هذا طِرازٌ لا تُحسنه انت يا ابا مُعاذ . فقال له بشار : أَلِي يُقال هذا . انا ، والله ، أرجَزُ منك ومن ابيك وجَدِّك . فلما كان من غدٍ غدا بشار على عُقبةَ بنِ سلمٍ وعنده عقبةُ بنُ رؤبةَ فأنشده أُرجوزتَه التي مدحه فيها :

يا طَلَلَ الحيِّ بذات الصَمَدِ بالله خَبِّر كيف كُنتَ بعدي

(١) أعزب بمعنى أغرب أي ابعد . (٢) رفسته . (٣) عصا أو قضيب يتوكأ عليه . (٤) اللواط .

أَوحشتَ من دعدٍ وتِربِ دعدِ سَقياً لأسماءَ ابنةِ الاشدِّ
قامت تَراءَى اذ رأتني وحدي كالشمس تحت الزِبرِجِ[1] المُنقَدِّ
صَدَّت بخَدٍّ وجلَت عن خدِّ ثم انثنت كالنَفَسِ المرتدِّ

ومنها :

الحُرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ وليس للمُلحِفِ مثلُ الردِّ
كلُّ امرِئٍ رهنٌ بما يُؤدّي . .

فطرب ابنُ سلمٍ واجزل صِلتَه . وقام ابن رؤبةَ فخرج من المجلِس بخِزيٍ وهرب من تحت ليلته فلم يَعُد اليه .

وقال في امرأة يهواها :

يقولون لو عَزَّيتَ قلبَك لَارعوى فقلتُ وهل للعاشقين قلوبُ
اذا نطقَ القومُ الجُلوسُ فانني مُكِبٌّ[2] كأني في الجميع غريبُ
عذيري من العُذّال اذ يَعذلونني سَفاهاً وما في العاذلين لبيبُ

قال سعدُ بنُ القَعقاع لبشار وهو ينادمه : ويحك يا ابا معاذ ، قد نَسبَنا الناسُ الى الزندقة . فهل لك ان تَحجَّ بنا حَجَّةً تَنفي ذلك عنا ؟ قال : نعمَ ما رأيت . فاشترَيا بعيرا ومَحمَلا وركبا . فلما مرَّا بزُرارةَ[3] قال له : ويحك يا ابا معاذ، ثلاثُمئةِ فرسخٍ متى نَقطَعُها ؟ مِل بنا الى زُرارةَ نتنعَّم فيها . فاذا قَفَلَ الحاجُّ عرضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسَنا فلم يَشُكَّ الناسُ أن جئنا من الحج . فقال له بشار : نِعمَ ما رأيت لولا خُبثُ لسانك، واني أخاف ان تَفضحَنا . قال : لا تخَف . فمالا الى زُرارةَ فما زالا يَشرَبان الخمر ويَفسُقان ، فلما نزل الحاجُّ بالقادسية راجعين ، اخذَا بعيراً وجزَّا رؤوسَهما[4] وأقبلا وتلقَّاهما الناسُ يُهنئونهما .

قعد الى بشار رجل فاستثقله . فضرط عليه ضرطةً ، فظن الرجلُ أنها أفلتَت منه . ثم ضرط أخرى . فقال : أفلتت . ثم ضرط ثالثة فقال : يا ابا مُعاذ ، ما هذا ؟ قال : مَهْ ! أرأيتَ ام سمعتَ ؟ قال : بل سمعتُ صوتا قبيحا . فقال : لا تصدِّق حتى ترى .

قال بشار يمدح عُقبَة بنَ سَلمٍ :

ليس يُعطيك للرَّجاء ولا الخوفِ ولكن يَلَذُّ طَعمَ العَطاء
يَسقُط الطيرُ حيث يَنتثِر الحَبُّ وتُغشى مَنازلُ الكُرَماء

(١) السحاب . (٢) مطرق . (٣) محلة بالكوفة . (٤) استعمل الجمع لئلا تلتقي تثنيتان : رأسيهما .

فأمر له بثلاثة آلاف دينار .

اتى خَلَفُ بنُ ابي عمرو بنِ العَلاء وخَلَفٌ الاحمرُ بشارا فقالا له : ما هذه القصيدةُ التي احدثتَها في سَلم بنِ قُتَيبةَ ؟ قال: هي التي بلغتكما. قالا: بلَغَنا أنك اكثرتَ فيها من الغريب . فقال : نعم . بلغني أن سَلما يتباصرُ(١) بالغريب فأحببتُ ان أُوردَ عليه ما لا يعرفه . قالا : فأنشِدناها . فأنشدَهما :

بَكّرا صاحبَيَّ قبلَ الهجيـرِ(٢) إن ذاك النجاحَ في التبكيرِ

حتى فرَغ منها ، فقال له خَلَفٌ : يا ابا مُعاذ ، لو قُلتَ مكان « إن ذاك النجاحَ » : بَكّرا فالنجاحُ في التبكير » ، كان أحسنَ . فقال بشار : بنيتُها أعرابيةً وَحشيَّةً ، فقلت : « ان ذاك النجاحَ » كما يقول الأعرابُ البدويون . ولو قلت : « بكّرا فالنجاحُ » . كان هذا من كلام المُولَّدين . فقام خَلفٌ فقبَّل بين عينيه .

قال احدهم لبشار : ان فلانا سبَّك عند الامير محمدِ بنِ سليمانَ ووضع منك ، فقال : أوَ قد فعل ؟ قال : نعم . فأطرَق . وجاء قوم فسلَّموا عليه فلم يَردُد عليهم . فجعلوا ينظرون اليه وقد دَرَّت اوداجُه (٣)، فلم يَلبَث حتى أنشد بأعلى صوته وأفخمِه :

نُبِّئتُ « كائمَ » أمِه يَغتابُني عندَ الامير وهل عَليَّ اميرُ
ناري مُحرِقةٌ وبيتي واسعٌ للمُعتفين (٤) ومجلِسي معمورُ
وليَ المَهابةُ في الاحبَّةِ والعِدا وكأنني اسدٌ له تامورُ (٥)
غَرِثَت حليلتُه وأخطأَ صيدَه فله على لَقَمِ (٦) الطريقِ زئيرُ

مدح بشار خالدَ بنَ بَرمك فقال فيه:

حَلَبتُ بشعري راحتَيه فدرَّتا سَماحا كما درَّ السَحابُ مع الرَعدِ
أخالدُ إن الحمدَ يَبقى لأهلِه جَمالا ولا تَبقى الكنوزُ على الكَدِّ
فأطعِم وكُل من عارةٍ مستردَّةٍ ولا تُبقِها إن العواريَ للردِّ

فأعطاه خالدٌ ثلاثين الفَ درهمٍ وامر أن يُكتبَ هذان البيتان في صدر مجلِسه.

مدح بشار ابنَ هُبيرةَ بقصيدة اعطاه عليها اربعين الفا ، قال فيها :

رُويدَ تَصاهَل بالعِراق جيادُنا كأنك بالضَحّاك قد قام نادِبُه

(١) أي انه بصير به . (٢) الهجير : منتصف النهار في القيظ خاصة . (٣) درت أوداجه : امتلأت دما . أوداج: جمع وَدَج ، وهو عرق في العنق يقطعه الذابح . (٤) المعتفي: طالب المعروف . (٥) تامور : عرين . (٦) لقم : متن الطريق .

أَحلَّت به أمُ المنـايا بناتِهـا بأسيافنا ، إنَّا رَدى مَن نُحاربُهْ
رَكِبنا له جَهـرا بكل مُثقَّفٍ (١) وأبيضَ تَستَسقي الدِماءَ مَضاربُهْ
غَدَونا له والشمسُ في خِدرِ أمِّها تُطالِعُنا والطَلُّ لم يَجرِ ذائبُهْ
كأن مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كواكِبُهْ
اذا المَلِكُ الجبَّار صَعَّر خدَّه (٢) مَشَينا اليه بالسُيوفِ نُعاتبُهْ

ومنها :

اذا كنتَ في كلِّ الامورِ مُعاتِبا صديقَكَ لم تَلقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فعِش واحدا أوصِل أخاك فإنه مُفارِقُ ذَنبٍ مَرَّةً ومُجانِبُهْ
اذا انت لم تشرَب مِرارا على القَذى ظَمِئتَ وايُّ الناسِ تَصفو مشاربُهْ .

لما خَلَع الامينُ المأمونَ وندب له عليَّ بنَ عيسى ، نَدَبَ المأمونُ للقاءِ عليٍّ بنِ عيسى طاهرَ بنَ الحسين ذا اليمينين (٣) ، فمرَّ به وهو ينشد :

رويدَ تَصاهَلْ بالعراقِ جيادُنا كأنك بالضحَّاكِ قد قام نادبُهْ

فتفاءل المأمون بذلك . فقال ذو الرياستين(٤) : يا امير المؤمنين ، هو حَجَرُ العراق .

غضبَ بشار على سَلمٍ الخاسر وكان من تلامذته ورُواته فاستشفع عليه بجماعة من اخوانه فجاؤوه في امره ، فقال لهم: كلُّ حاجةٍ لكم مَقضيةٌ إلا سَلْما. قالوا: ما جئناك الا في سَلْمٍ ولا بدَّ من أن ترضى عنه لنا . فقال : اين هو الخبيثُ؟ قالوا : ها هوذا . فقام اليه سَلمٌ وقبَّل رأسَه وقال : يا ابا مُعاذٍ خِرِّيجُكَ وأديبُك . فقال : يا سلمُ ، مَن الذي يقول :

مَن راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجته وفاز بالطيِّباتِ الفاتِكُ اللَهِجُ

قال : انت يا ابا مُعاذ ، جعلَني اللهُ فِداءك . قال : فمَن الذي يقول :

مَن راقب الناسَ مات غَمَّا وفاز باللذَّةِ الجَسورُ (٥)

قال خِرِّيجُك يقول ذلك (يعني نفسه) . قال : افتأخُذُ معانيَّ التي قد عُنيتُ بها وتعبتُ في

(١) المثقف : الرمح المقوم . (٢) صعر خده : اماله عن النظر إلى الناس تهاونا بهم وكِبْرًا . (٣) لُقب بذي اليمينين لأنه ضرب شخصاً فقده نصفين وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء : كلتا يديك يمين حين تضربه . (٤) هو الفضل بن سهل وزير المأمون لقب بذي الرياستين لأنه تقلد الوزارة والسيف . (٥) هذا البيت وبيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهدا لحسن أخذ الشاعر الثاني من الأول ويسمونه حسن الإتباع ، لأن بيت سلم أجود سبكا وأحصر لفظاً . .

استنباطها ، فتكسوها الفاظا أخفَّ من الفاظي حتى يُروى ما تقولُ ويَذهبَ شعري ! لا أرضى عنك ابدا . فما زال يتضرَّعُ اليه ويَشفعُ له القومُ حتى رضي عنه .

كان بشار كتب الى ابراهيمَ بنِ عبد الله بن الحسَن بقصيدة يمدحه بها ويحرِّضه ويُشير عليه . فلم تَصَل اليه حتى قُتِل . وخاف بشار ان تشتهرَ فقَلَبَها وجعل التحريضَ فيها على ابي مُسلِم[١] والمدحَ والمشورةَ لابي جعفرِ المنصورِ ، فقال :

ابا مُسلِمٍ ما طيبُ عيشٍ بدائـــمٍ ولا سالمٌ عمَّا قليلٍ بسالـــمِ

وانما كان قال :

ابا جعفرٍ ما طيبُ عيشٍ بدائم . .

وقال فيها :

اذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستعِـــن بعَزمِ نصيحٍ او بتأييدِ حـــازمِ
ولا تجعلِ الشُورى عليك غَضـــاضةً مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ[٢]
وخلِّ الهُوينى للضعيـــف ولا تكـــن نَؤوماً فان الحزمَ ليس بنـــائمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغلُّ أختَـــها وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّد بقائمِ[٣]
فإنك لا تستطرِدُ الهمَّ بالمُـــنى ولا تَبلُغُ العَليا بغير المَكارمِ

قال الاصمعي : قلت لبشار : اني رأيت رجال الرأي يتعجبون من ابياتك في المشورة . فقال : أما علِمتَ أن المُشاورَ بين احدى الحُسنيَيَن : بين صوابٍ يفوز بثَمَرته أو خطإٍ يُشارَكُ في مكروهه . فقلت : انت والله، اشعرُ في هذا الكلامِ منك في الشعر .

قدِم بشار على المهدي فانشده مديحا فيه تشبيبٌ حسنٌ . فنهاه عن التشبيب لِغَيرَةٍ شديدة كانت فيه. ثم قدِم عليه فانشده:

تَجالَلتُ[٤] عن فِهرٍ وعن جارَتَي فهرِ وودَّعتُ نُعمَى بالسلام وبالبِشرِ
وأخرجَني من وِزرِ[٥] خمسين حِجَّةً فتىً هاشميٌّ يَقشعِرُّ من الوِزرِ
دفنتُ الهوى حيًّا فلست بزائـــرٍ سليمى ولا صَفراءَ مـــا قَرقَرَ[٦] القُمري
فَرُبَّ ثِقالِ الرِّدفِ هبَّت تلومُـــني ولو شَهِدَت قبري لصلَّت على قبري
ولولا اميرُ المؤمنـــين محمـــدٌ لَقبَّلتُ فاها او لكان بها فِطري
لَعَمري لقد أوقرتُ[٧] نفسي خطيئـــةً فما انا بالمُزدادِ وِقراً عـــلى وِقرِ[٨]

(١) ابو مسلم الخراساني قائد السفاح أبي جعفر المنصور . (٢) الخوافي : ريش صغير تحت جناح الطير . والقوادم الريش الكبير في الجناح . (٣) الرمح أو مقبض السيف . (٤) تجاللت : ترفعت . (٥) خطيئة . (٦) ما قرقر القمري : ما : ظرف زمان أي طالما . قرقر : ردد صوته الحمام . (٧) أوقرت : حملت . (٨) وقر : حمل .

اتى رجل بشارا فسأله عن منزل رجلٍ ذكرَه له، فجعل يُفهِّمُه ولا يَفهم ، فأخذ بيده وقام يقوده الى منزل الرجل وهو يقول :

اعمى يَقودُ بصيراً لا أبا لكـمُ قد ضَلَّ مَن كانتِ العُميانُ تَهديهِ

حتى صار به الى منزل الرجل ثم قال له : هذا هو منزلُه يا أعمى !

– ج ٦ ص ٢٤٢ – كان لبشار مجلسان: مجلسٌ يَجلِسُ فيه غدوةً يسمِّيه البَردانَ ، ومجلسٌ يجلِس فيه عَشيَّةً يسمِّيه الرقيقَ. فبينا هو في مجلسه، ذاتَ يومٍ ، وكان النساءُ يَحضُرنه، اذ سمع كلام امرأة يقال لها عَبدةُ ، فقال فيها:

يا قومُ أُذني لبعض الحيِّ عاشقةٌ والأُذنُ تَعشَق قبلَ العينِ أحيانا

قالوا بمن لا ترى تَهذي فقلت لهم الأذنُ كالعين تُوفي القلبَ ما كانا

وفي عبدة يقول :

يا عَبدَ[1] حَيِّي عن قريبِ وتأمَّلي عينَ الرقيبِ

أشكو اليكِ وإنما يشكو المحبُّ الى الحبيبِ

غَرَضي اليكِ من الهوى غرضُ المريضِ الى الطبيبِ

وقال :

فما تُبصِرُ العينان في موضعِ الهوى ولا تَسمَعُ الأذنان الا من القلبِ

– ج ٦ ص ٢٤٢ – وإن عبدةَ جاءت اليه في نِسوة خمسٍ قَد ماتَ لإحداهن قريب فسألنه ان يقول شعراً ينُحن عليه به. فلما دخلن نظرن الى النبيذ مصفًّى في قنانيِّه. فقالت احداهن : خمر . وقالت الاخرى : زبيب . وقالت الاخرى : معسَّل . فقال : لست بقائل لكنَّ حرفا او تَطعَمنَ من طعامي وتَشرَبن من شرابي. فتماسكن ساعة ، وقالت احداهن: فما عليكن من ذلك . هذا أعمى ، كُلنَ من طعامه واشربن من شرابه وخُذن شعرَه . ففعلن . وبلغ ذلك الحسنَ البصريَّ فعابه وهتف به . فبلغ ذلك بشارا ، وكان الحسن يلقب القسَّ ، فقال فيه بشار :

لما طلعن من الرقيقِ عليَّ بالبَردان خَمسا

وكأنهن أهِلَّةٌ تحتَ الثيابِ زَففن شمسا

فسألنني مَن في البيوتِ فقلت ما يحوين إنسا

ليتَ العيونَ الناظراتِ طُمِسن عنَّا اليومَ طَمسا

(١) عبد : ترخيم عبدة .

فأصبن من طَرَفِ الحديثِ لذاذةً وخرجن مُلْسا
لولا تعرُّضُهن لي يا قَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا

قال احدهم : جاءنا بشار يوما ، فقلنا له: مالك مُغتماً ؟ فقال: مات حماري ، فرأيتُه في النوم فقلت له : لِمَ مُتَّ ؟ ألم أكن أُحسِنُ اليك . فقال :

سيدي خُذ بي أتاناً عند بابِ الاصبهاني
تيَّمتْني ببنانٍ وبدلٍّ قد شجاني
وبغُنْجٍ ودلالٍ سَلَّ جسمي وبَراني
ولها خدٌّ أسيلٌ مثلُ خدِ الشيفَراني

فقلت له : ما الشيفَران ؟ قال : ما يُدريني . هذا من غريب الحمار ، فاذا لَقيتَه فاسأله.

جلس الى بشار اصْدقاء من اهل الكوفة فسألوه ان ينشدهم فانشدهم :

في حِلَّتي جسمُ فتىً ناحلٍ لو هبَّتِ الريحُ به طاحا

فقالوا : يا ابن الزانية ، أتقول هذا وانت كأنك الفيل ، عرَضُك اكثرُ من طولك !

بلغ المهديَّ قولُ بشار :

قاسِ الهمومَ تَنَل بها نُجحا والليلُ إنَّ وراءه صُبحا
لا يُؤيِسنَّك من مُخبَّأةٍ قولٌ تُغلِّظُه وإن جَرَحا
عُسرُ النساء الى مُياسَرةٍ والصعبُ يُمكِنُ بعدَما جَمَحا

وكان المهدي غيورا ، فغضب وقال له: أتَحُضُّ الناسَ على الفُجور وتَقذِفُ المُحصَنات والمخبَّآت ! والله لئن قُلتَ بعدَ هذا بيتا واحدا في نسيبٍ لآتينَّ على روحك.

وقال يهجو المهديَّ :

خليفةٌ يَزني بعمّاتِه يَلعبُ بالدَّبُّوقِ والصولجانْ (١)
أبدَلَنا اللهُ به غيرَه ودسَّ موسى في « هَنِ » الخيزُرانْ (٢)

فسُعِيَ به الى يعقوبَ بنِ داودَ – وزيرِ المهدي – وكان بشار قد هجاه فقال:

بني اميَّةَ هُبُّوا طالَ نومُكُمُ إن الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ
ضاعت خِلافتكم يا قومُ فالتمسوا خليفةَ اللهِ بين الزِقِّ والعودِ

(١) الدبوق والصولجان : لعبة من لعب الصبيان . (٢) جارية من جواري المهدي وهي ام ولديه موسى وهارون .

فدخل يعقوبُ على المهدي فقال له : يا امير المؤمنين ، ان هذا الاعمى المُلحدَ الزِنديقَ قد هجاك . فقال: بأي شيء . فقال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهَّمه فكري . فقال له : بحياتي إلا أنشدتَني . فقال : والله لو خيرتني بين انشادي اياه وبين ضربِ عنقي لاخترت ضربَ عنقي . فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فُسحةَ فيها ان يُخبره . فقال : أمّا لفظا فلا ، ولكن أكتُب ذلك . فكتبه ودفعه اليه . فكاد ينشقُّ غيظا. وعمد على الانحدار الى البصرة للنظر في امرها ، وما وكدُه غيرُ بشار . فلما بلغ الى البُطَيحة سمع آذانا في وقت ضُحى النهار ، فقال : انظروا ما هذا الاذان . فاذا بشار يُؤذِّن وهو سكرانُ . فقال له : يا زِنديقُ ، عَجِبتُ أن يكونَ هذا غيرَك . أتلهو بالآذان في غير وقت صلاةٍ وانت سكرانُ. ثم دعا بابن نَهيك فأمره بضربه بالسوط ، فضربه بين يديه على صدر الحَرَّاقة [1] سبعين سوطا أتلفه فيها . فكان اذا أوجعه السوط يقول : حَسٍّ . وهي كلمة تقولها العرب للشيء اذا أوجع . فقال له بعضُهم : أنظُر الى زَندقته يا امير المؤمنين ، يقول : حَسٍّ ، ولا يقول : باسم الله . فقال : ويلَك ، أطعَامٌ هو فأُسمِّي اللهَ عليه! فقال له الآخر . أفلا قلت : الحمدُ لله . قال : أوَ نعمةٌ هي حتى أحمَدَ اللهَ عليها . فلما ضربه سبعين سوطا ، بان الموتُ فيه . فألقي في سفينة حتى مات ، ثم رُمي به في البُطَيحة. فجاء بعضُ اهله فحملوه الى البصرة فدُفن بها ، وقد ناهز ستين سنةً.

قيل: لما مات بشار ونُعي الى اهل البصرة تَباشرَ عامتُهم وهنَّأ بعضُهم بعضا وحمدوا الله وتصدَّقوا لِما كانوا مُنُوا [2] به من لسانه .

ولما أُخرجت جِنازتُه ما تَبِعَها احد الا أَمَةٌ له سوداءُ سِنديَّةٌ عَجماءُ ما تُفصِح، تَصيح : واسيِّداه ! واسيِّداه !

وبعث المهدي الى منزله مَن يفتِّشه ، فوجد طُومارا [3] فيه:

« بسم الله الرحمن الرحيم »

«اني اردتُ هِجاءَ آلِ سليمانَ بن عليٍّ لبُخلِهم فذكرتُ قرابتَهم من رسولِ الله فأمسكت عنهم ».

فلما قرأه المهديُّ بكى ونَدِم على قتله . وقال : لا جزى الله يعقوبَ بنَ داودَ خيرا . فانه لما هجاه لَفَّق عندي شهودا على انه زِنديق فقتلتُه ثم نَدِمت حينَ لا يُغني الندم .

(١) سفينة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو . (٢) مُنوا : اصيبوا . (٣) صحيفة .

ابن مِسجح

هو سعيدُ بنُ مِسجَح مولى بني مخزومٍ ويُكنّى ابا عُثمانَ. مكّيٌّ اسودُ مغن متقدم من فحول المغنين وأكابرهم. نقل غناء الفُرس الى غناء العرب. ثم رحل الى الشام واخذ ألحانَ الرومِ وانقلب الى فارسَ فأخذ فيها غناءً كثيرا وتعلم الضرب. ثم قَدِم الحجاز وقد اخذ محاسنَ تلك النَغَمِ وألقى ما استقبحه.

قال اسحاق: ان اول من غنى هذا الغناء العربيَّ بمكةَ ابنُ مِسججٍ، وذلك أنه مر بالفُرس وهم يَبنُون المسجِد الحَرامَ فسمِع غناءهم بالفارسيةِ فقلبَه في شعرٍ عربي. وهو الذي علّم ابنَ سريجٍ والغريضَ.

كان سببُ بناء عبدِ الله بنِ الزُبير الكعبةَ لما احترقت، أن اهلَ الشام، لما حاصروه سمِع اصواتا بالليل فوق الجبل فخاف ان يكون اهلُ الشام قد وصلوا اليه. وكانت ليلةٌ ظلماءَ ذاتَ ريحٍ شديدةٍ صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ. فرفَع نارا على رأس رُمح. ليَنظُر الى الناس فأطارتْها الريحُ فوقعت على أستارِ الكعبةِ فأحرقَتها واستطالت فيها. وجَهَد الناسُ في إطفائها فلم يَقدِروا. وأصبحت الكعبةُ تتهافت (١). وماتت امرأة من قريش. فخرج الناس كلهم في جِنازتِها خوفا من ان يَنزِلَ العَذابُ عليهم. واصبح ابنُ الزبير ساجدا يدعو ويقول: اللهم، إني لم اتعمَّد ما جرى، فلا تُهلِكْ عِبادَكَ بذنبي، وهذه ناصيتي بين يديك. فلما تعالى النهار أَمِنَ وتراجع الناس. فقال لهم: اللهَ اللهَ، أن يَنهدِمَ في بيتِ احدِكم حجرٌ فيزولَ عن موضعه فيَبنيَه ويُصلِحَه، وأتركَ الكعبةَ خرابا؟ ثم هدمها مبتدئا بيده وتَبِعه الفعلةُ حتى بلغوا الى قواعدها. ودعا بنّائين من الفُرسِ والرومِ فبناها.

قال دَحمان الاشقرُ: كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة فنُميَ اليه أن رجلا اسودَ يُقال له: سعيدُ بنُ مِسجح، أفسد فِتيانَ قريشٍ وانفقوا عليه اموالهم. فكتب الي ان اقبِض مالَه وسَيِّرهُ. ففعلتُ. فتوجَّه ابن مِسجَحٍ الى الشام. فدخل مسجِدَها فسأل: مَن أخَصُّ الناسِ بأمير المؤمنين؟ فقالوا: هؤلاء النفَرُ من قريش وبنو عمه. فوقف عليهم وسلَّم ثم قال: يا فِتيانُ، هل فيكم مَن يُضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز؟ فنظر بعضُهم الى بعض. وكان عليهم موعِدٌ أن يذهبوا الى قَينَةٍ يقال لها: «برقُ الافق» فتثاقلوا به، إلا فتى منهم تَذَمَّم (٢) فقال: انا أُضيفك. وقال لاصحابه: انطلقوا انتم، وانا ذاهب مع ضيفي. قالوا: لا. بل تجيء انت وضيفُك. فذهبوا جميعا الى بيت القينة. فلما أَتَوا بالغَداء قال لهم سعيد: اني رجل اسودُ ولعل فيكم من يَقذَرُني، فأنا أجلِس وآكُل ناحيةً،

(١) تتساقط حجرا حجرا. (٢) خشي الذم.

وقام . فاستحيَوا منه وبعثوا اليه بما أكل . فلما صاروا الى الشراب ، قال لهم مثلَ ذلك ، ففعلوا به . وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضع لهما . فغنَّتا الى العَشاء ثم دخلتا . وخرجت جارية حسنةُ الوجهِ والهيئةِ وهما معها فجلست على السرير وجلستا اسفلَ منها عن يمين السرير وشِماله . قال ابن مسجح: فتمثَّلتُ[1] هذا البيتَ :

فقلتُ أشمسٌ ام مصابيــــحُ بِيعــةٍ بَدَت لك خلفَ السِجفِ ام انت حالمُ

فغضِبت الجارية وقالت : أيضرِبُ هذا الاسودُ بي الامثالَ ؟ فنظروا إلي نظرا مُنكَرا ولم يزالوا يسكّنونها . ثم غنت صوتا ، فقلت : أحسنتِ والله . فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الاسودِ يُقدِم على جاريتي ! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فانصرف الى منزلي فقد ثَقُلتَ على القوم . فذهبت اقوم . فتذمَّم القومُ وقالوا لي: بل أقِم وأحسِن أدبَك . فأقمتُ . وغنَّت . ، فقلت : اخطأتِ ، والله ، يا زانيةُ وأسأتِ . ثم اندفعتُ فغنيتُ الصوت . فوثبت الجارية لمولاها وقالت : هذا ، والله ، ابو عثمانَ سعيدُ بنُ مِسجَح . فقلت : اني والله انا هو . والله لا أُقيم عندكم . فوثب القرشيون فقال هذا : يكون عندي . وقال هذا : يكون عندي . وقال هذا : بل عندي . فقلت : والله لا أقيم الا عند سيدكم – يعني الرجلَ الذي أنزلَه منهم –. ثم سألوه عما أقدمَه . فأخبرهم. فقال له صاحبه : اني أسمُرُ الليلةَ مع امير المؤمنين . فهل تُحسِن أن تَحدُوَ ؟ قلت : لا ، ولكني استعمل حُداءً . قال : ان منزلي بحِذاء منزل امير المؤمنين . فان وافقتُ منه طيبَ نَفسٍ أرسلتُ اليك .

ومضى الى عبد الملك فلما رآه طيِّبَ النفس أرسل الى ابن مسجح ، فأخرج رأسه من وراءِ شَرَفِ[2] القصر ثم حدا . فقال عبد الملك للقرشي : مَن هذا ؟ قال : رجل حجازي قدم علي . قال : أحضِره . فأُحضِرَ له وقال : هل تغني غناء الرُكبان ؟ قال : نعم . قال : غنِّه . فتغنى . فقال : هل تغني الغِناء المتقَن ؟ قال : نعم. قال : غنِّه . فتغنى . فاهتز عبد الملك طربا . ثم قال له : من انت ، ويلك . قال : انا المظلومُ المقبوضُ مالُه ، المُسَيَّرُ عن وطنه ، سعيدُ بنُ مِسجَحٍ ، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني . فتبسم عبد الملك ثم قال له : قد وَضَح عذرُ فِتيانِ قريشٍ في أن يُنفقوا عليك اموالَهم . وأمَّنه ووَصَله وكتب الى عامله بردِّ مالِه عليه وألاّ يَعرِضَ له بسُوء.

---

(١) يقال : تمثلت هذا البت وتمثلت به أي ضربته مثلا . (٢) شرف : الموضع العالي .

ابن المولى

هو محمدٌ مولى الانصار. شاعر متقدِّمٌ مُجيدٌ من مُخَضرَمي الدولتين ومدّاحي اهلهما. وكان ظريفا، عفيفا ، نظيفَ الثياب، حسنَ الهيئة .

قدِم عبدُ الملكِ بنُ مروانَ المدينةَ ، وكان ابنُ المولى يُكثِر مدحَه ، وكان يسأل عنه من غير ان يكونا التقيا . فقدم ابن المولى ، لِما بلغه من مسألة عبدِ الملكِ عنه . فوردها وقد رحل عبد الملك عنها فأَتبعه فأدركه بذي خُشُب . فالتفت عبد الملك اليه ، وابن المولى على نجيب متنكِّبا [١] قوسا عربية ، فقال له عبد الملك : ابنُ المولى ؟ قال : لبيك يا أميرَ المؤمنين . قال : مرحبا بمن نالنا شكرُه ولم ينله منا فعلٌ . ثم قال له : اخبرني عن ليلى التي تقول فيها :

وأبكي فلا ليــلى بكت من صبــابةٍ   اليَّ ولا ليلى لذي الوُدِّ تبذُلُ
وأخنَع [٢] بالعُتبى اذا كنتُ مذنبــا   وان أذنبت كنتُ الذي أتنصَّــلُ

والله لئن كانت ليلى حُرَّةً لأزَوِّجنَّكَها ، ولئن كانت أمةً لابتعتُها لك بما بلغت . فقال : كلا ، يا امير المؤمنين، والله ما كنتُ لأذكرَ حُرمةَ حُرٍّ ابدا ولا أمتَه. والله ما ليلى الا قوسي هذه، سمَّيتُها ليلى لأشبِّبَ بها ، وان الشاعر لا يُستطاب اذا لم يَتشبَّب . فقال له عبد الملك : ذلك واللهِ اظرفُ لك . فأقام عنده يومَه وليلتَه يُنشده ويسامره ، ثم أمر له بمال وكسوة . وانصرف الى المدينة .

وَفَدَ ابن المولى على يزيدَ بنِ حاتمٍ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها :

يا واحــدَ العُــــرب الــــذي   أضحــى وليس لــه نظيـــــرُ
لو كان مثلَــــك آخَـــــرٌ   ما كان في الدنيا فقيـــــرُ

فدعا بخازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ فقال له : من الوَرِق والعَينِ [٣] بقيةٌ عشرون الفَ دينارٍ . فقال : ادفَعها اليه . ثم قال : يا اخي ، المعذرةُ الى الله واليك . واللهِ لو أن في مُلكي اكثرَ لما احتجبتُها عنك .

ثم قصده الى مصر وانشده :

يا واحدَ العرَبِ الذي دانـــت له   قَحطانُ قاطبةً وساد نِـــزارا

---

(١) تنكب القوس : حملها على منكبه . (٢) خنع : خضع . (٣) الوَرِق : الفضة . والعين : الذهب .

إني لأرجو إن لقيتُك سالماً ... ألاّ أعالجَ بَعدَك الاسفارا
رِشتَ[1] النّدى ولقد تكسّرَ ريشُه ... فَعَلا الندى فوق البلادِ وطارا

فأعطاه وأضعف صِلته وقال : لَوَدِدتُ، والله، يا ابا عبدِ الله ألّا تعالِجَ بعدي الاسفارَ .

قدم ابنُ المولى الى العراق في بعضِ سنيه فأخفق وطال مُقامُه وغَرِضَ[2] به وتشوّق الى المدينة فقال :

ذهب الرِجالُ فلا أُحِسُّ رجالا ... وأرى الإقامةَ بالعِراق ضَلالا
وطرِبتُ اذ ذكَر المدينةَ ذاكرٌ ... يومَ الخميس فهاج لي بَلْبالا[3]
ان الغريبَ اذا تذكَّر أوشكت ... منه المدامعُ ان تَفيضَ عِلالا[4]
خفِّض عليك فما يُرَد بك تَلقَه ... لا تُكثِرَنَّ وإن جَزِعتَ مقالا
واعلم بأنك لن تنالَ جسيمةً ... حتى تُجَشِّمَ نفسَكَ الاهوالا

وقال :

حيِّ المنازلَ قد بَلينا ... أَقوَين[5] عن مَرِّ السنينا
وسلِ الديارَ لعلَّها ... تُخبِرك[6] عن ام البنينا
بانت وكلُّ قرينةٍ ... يوما مفارِقةٌ قرينا
واخو الحياةِ منَ الحيا ... ةِ معالِجٌ غِلَظاً ولينا
وترى المُوَكَّلَ بالغواني ... راكبا أبداً فُنونا
ومنَ البليةِ أن تُدانَ ... بما كَرِهتَ ولن تَدينا
والمرءُ تُحرَمُ نفسُه ... ما لا يَزال به حزينا
وتُراه يَجمَعُ مالَه ... جمعَ الحريصِ لوارثينا
يَسعى بأفضلِ سَعيِه ... فيصيرُ ذاك لقاعدينا

قال الزبيري :

وفدنا الى المهدي ونحن جماعة من قريش والانصار فلما دخلنا عليه سلَّمنا ودَعَونا وأثنَينا. فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال : هاتِ يا محمد ، ما قلت . فأنشده :

نادى الاحبةُ باحتمالِ[7] ... إن المُقيمَ الى زوالِ

(١) راش الندى : جعل له ريشا . (٢) غَرِض : ضجر وقلق . (٣) شدة الهم . (٤) مرة بعد مرة .
(٥) أقفرن . (٦) سكن الفعل لضرورة الوزن . (٧) الاحتمال : أي الرحيل .

فتحمّــلــوا بعقيلــة زهــراءَ آنســة الدّلالِ
كالشمس راق جَمالُـها بين النساء على الجَمالِ
ولمثلِ ما جرّبتَ من إخلافهن لذي الوصالِ
أسلاكَ عن طلب الصبا وأخو الصبا لا بدَّ سالي
يا ابنَ الاطايبِ للاطايبِ ذا المكارمِ والمَعالي
أصبحتَ أكرمَ غالبِ عند التفاخُر والنِضالِ
واذا تُحَصَّلُ (١) هاشمٌ يَعلو بمجدك كلُّ عالي
ويكون بيتُك منهمُ في الشاهقات منَ القِلالِ (٢)
هذا وانت ثِمالُها (٣) وابنُ الثِمالِ اخو الثِمالِ
ومَآلُها بأمورِها إن الامورَ الى مَآلِ

فأمر له خاصّةً بعشرة آلافِ درهمٍ معجّلةٍ ثم ساواه بسائر الوفد وأعطاه مثلَ ما أعطاهم وقال: ذلك بحق المديح ، وهذا بحق الوِفادة .

عُطرّد

هو مولى الانصار ، مدنيٌّ يُكنّى ابا هارون . كانَ جميلَ الوجهِ حسنَ الغناءِ طيِّبَ الصوت جيِّدَ الصَنعةِ ، حسَنَ الرأي والمروءةِ ، فقيهاً ، قارئا للقُرآنِ . وكانَ يغني مرتجلا . ادرك دولة بني امية وبقي الى ايام الرشيد .

لما استُخلِفَ الوليدُ بنُ يزيدَ كتب الى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص اليه بعُطَرّدٍ المغني . قال عطرد : فأقرأني العاملُ الكِتابَ وزوّدني نَفَقةً وأشخصني اليه . فأُدخلتُ عليه وهو جالس في قصره على شفيرِ بِركةٍ مرصّصةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنها يدور الرجل فيها سِباحةً . فواللهِ ما

(١) تحصل : تُخلّص ويُمازّ بين بيوتها . وفي الحديث « يذهب لم تُحصل من ترابها » . أي لم تُخلص . والذهب يذكر ويؤنث .
(٢) جمع قلة وهي أعلى الجبل . (٣) ثمال : الغياث الذي يلجأ اليه في المكروه والشدة .

تركني أسلّم عليه حتى قال: أعُطرّدُ؟ قلت: نعم، يا امير المؤمنين. قال: لقد كنتُ اليك مشتاقا يا ابا هارون. غنّني:

إني بحبلك واصلٌ حبلي وبريش نَبلك رائشٌ نبلي
وشَمائلي ما قد علمتِ وما نَبَحت كلابُك طارقاً[1] مثلي

ـ الشعر لامرىء القيس بن عابس الكِندي ـ فغنيته اياه. فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلّةَ وشيٍ كانت عليه لا أدري كم قيمتُها. فتجرّد منها كما ولدته امه وألقاها نصفين، ورمى بنفسه في البِركة فنَهَل منها حتى تبيّنتُ ـ علِمَ اللهُ ـ فيها أنها قد نَقَصت نُقصانا. وأُخرِجَ منها وهو كالميت سُكراً. فأُضجِعَ وغُطّيَ. فأخذتُ الحُلّةَ وقُمت. فوالله ما قال لي احد: دَعها ولا خُذها. فانصرفت الى منزلي متعجبا مما رأيت من ظَرفه وفعله وطَرَبه. فلما كان من غد جاءني رسولُه في مثل الوقت فأحضرني. فلما دخلت عليه قال لي: يا عُطَرّدُ؟ قلت: لبّيكَ يا امير المؤمنين. قال: غنّني:

أيَذهبُ عُمري هكذا لم أنَل بها مَجالِسَ تَشفي قَرحَ قلبي من الوَجدِ
وقالوا تَداوَ إنّ في الطِبّ راحةً فعلّلتُ نفسي بالدواءِ فلم يُجدِ

فغنيته اياه. فشقّ حُلّةَ وشيٍ كانت تلتمع عليه كالذهب التماعاً احتقرتُ الاولى عندها. ثم ألقى نفسَه في البِركة فنَهل فيها حتى تبيّنتُ نُقصانَها. وأُخرِج منها كالميت سُكرًا، وأُلقي وغُطّي فنام. واخذتُ الحُلّة فما قال لي احد: دعها ولا خُذها وانصرفتُ. فلما كان اليومُ الثالثُ جاءني رسولهُ فدخلتُ اليه وهو في بَهوٍ[2] قد أُلقِيت سُتورُه. فكلّمني من وراء الستور وقال. يا عُطرّدُ. قلت: لبّيكَ يا امير المؤمنين. قال: كأني بك الانَ قد أتيتَ المدينةَ فقُمتَ بي في مجلِسها ومَحفَلِها وقَعدتَ وقُلتَ: دعاني اميرُ المؤمنين فدخلت اليه فاقترح علي فغنيتُه وأطربتُه فشقّ ثيابَه واخذتُ سَلَبَه[3] وفَعَل وفَعَلَ. والله، يا ابنَ الزانية، لَئِن تحرّكت شفتاك بشيء مما جرى فبَلَغني، لأضربَنّ عُنُقَكَ. يا غلامُ، أَعطِهِ الفَ دينار. خُذها وانصرِف الى المدينة. فخرجتُ من عنده وما ذكرت شيئا ممّا جرى حتى مضت من دولة بني هاشمٍ مُدةٌ.

(١) طارق: وافد. (٢) بهو: القاعة الواسعة من الدار. (٣) سَلَب: ما ينتزع من المَتاع.

الحارث بن خالد المخزومي

الحارثُ بنُ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هشامِ ابن مخزومٍ هو احدُ شعراءِ قريشٍ المعدودين الغزَليين، وكان يَذهب مَذهبَ عمرَ بنِ ابي ربيعة . له اشعارٌ كثيرة في عائشةَ بنتِ طَلحةَ .

ولاّه عبدُ الملك بنُ مروانَ مكّةَ وعزله عنها لأجل عائشةَ .

كانت العرب تُفضِّل قريشا في كل شيء الا الشعرَ . فلما نَجَم (١) في قريش عُمرُ بن ابي ربيعة والحارثُ بن خالد والعَرجيُّ وابو دَهبَلٍ وعُبَيدُ اللهِ بنُ قيسِ الرُقيَّاتِ أقرَّت لها العربُ بالشعر ايضا .

دخل أشعبُ مسجدَ النبي فجعل يطوف الحِلَقَ (٢) فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أستفتي في مسألة : فبينا هو كذلك اذ مر برجل من وَلَدِ الزبير وهو مُسنَدٌ الى سارية(٣) وبين يديه رجلٌ عَلَويٌّ . فخرج أشعبُ مبادرا . فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطْوافه: أَوَجدتَ من أفتاك في مسألتك ؟ قال : لا ، ولكن علِمت ما هو خير لي منها . قال: وما ذاك ؟ قال : وجدت المدينةَ كما قال الحارثُ بنُ خالد .

قد بُدِّلَت أعلى مساكنِها سُفلاً وأصبح سُفلُها يَعلو

رأيتُ رجلا من ولد الزبير جالسا في الصَدر ورجلا من ولد علي بن ابي طالب جالسا بين يديه ، فكفى هذا عَجباً .

أذّن المؤذّنُ يوما وخرج الحارث بن خالد اميرُ مكةَ الى الصلاة ، فأرسلت اليه عائشةُ ابنةُ طلحةَ : إنه بقي علي شيءٌ من طَوافي لم أُتِمَّه . فقعد وأمر المؤذّنين فكَفّوا عن الإقامة . وجعل الناسُ يصيحون حتى فرغت من طَوافها . فبلغ ذلك عبدَ الملك بنَ مروان فعزله وكتب اليه : ويلَك ، أتركتَ الصلاةَ لعائشةَ بنتِ طَلحةَ ! فقال الحارث : واللهِ ، لو لم تقضِ طَوافَها الى الفجر لما كَبَّرتُ . وقال في ذلك :

لا اخونُ الصديقَ في السرِّ حتى يُنقَلَ البحرُ بالغرابيل نَقلا
أو تمورَ الجبالُ مَورَ سَحابٍ مُرتَقٍ قد وعى من الماء ثِقلا
إنّ وجها رأيتُه ليلةَ البدرِ عليه انثنى الجَمالُ وحَلاّ

---

(١) نجم : طلع وظهر . (٢) جمع حلقة : دائرة القوم . (٣) عمود .

وجهُها الوجهُ لو يُسَالُ (١) به المُزنُ   مِنَ الحُسنِ والجمالِ استهلاً
جعل اللهُ كلَّ انثى فِداءً   لكِ بل خدَّها لرجليكِ نَعلا

كانت سوداءُ بالمدينة شغوفةً بشعر عمر بن ابي ربيعة ، وكانت من مُوَلَّدات مكةَ . فلما ورد على اهل المدينة نَعيُ عمرَ بن ابي ربيعة أكبروا ذلك واشتدَّ عليهم . وكانت السوداءُ اشدَّهم حُزنا وتَسَلُّبا (٢) وجعلت لا تَمُرُّ بسِكَّةٍ من سِكَكِ المدينة إلا ندبتـه . فلقِيَها بعضُ فتيانِ مكةَ فقال لها : خَفِّضي عليكِ (٣) ، فقد نشأ ابنُ عمٍ له يُشبِهُ شعرُه شعرَه . فقالت : أنشِدني بَعضَه . فأنشَدَها . فجعلت تَمسَحُ عينيها من الدموع وتقول : الحمدُ لله الذي لم يُضيِّع حُرَمَه (٤) .

ولخالدٍ أشعارٌ في بَشرَةَ ، أمَةٍ كانت لعائشةَ بنتِ طلحةَ ، كان يُكَنِّي بها عن ذِكر عائشةَ ، منها :

يا ربعَ بَشرةَ إن أضرَّ بكَ البِلى   فلقد عهدتُكَ آهلا معمورا
من كلِّ مُصبيةِ الحديثِ ترى لها   كَفَلا كرابيةِ الكَثيبِ وَثيرا (٥)
إن يُمسِ حبلُكِ بعدَ طولِ تَواصُلٍ   خَلَقاً ويُصبحُ بيتُكم مهجورا (٦)
فلقد أُراني ، والجديدُ الى بِلى   زَمنا بوصلِك راضيا مسرورا
كنتِ الهوى وأعزَّ مَن وَطِئَ الحَصى   عندي وكنتُ بذاك منكِ جديرا

الحارث بن خالد المخزومي
وحميدة وازواجها

قال ابن شَبَّةَ : كان الحارث تزوَّج حَميدةَ بنتَ النُعمانِ بنِ بشيرٍ بدمشقَ لما قَدِم على عبدِ الملك بنِ مروانَ ، فقالت فيه :

نَكَحتُ المَدينيَّ اذ جاءَني   فيا لكِ من نَكحةٍ غاوِيَه
كُهولُ دمشقَ وشُبَّانُها   أحَبُّ الينا مِنَ الجالِيَه (٧)

(١) يسأل : حذفت الهمزة . (٢) حداد المرأة على زوجها ، وقد يكون على غير الزوج . (٣) خفضي عليك : هوني من حزنك . (٤) مر مثل هذا الحديث في العرجي . (٥) مصبية الحديث : حديثها يشوق ويستهوي . الكثيب : قطعة من الرمل مرتفعة . وثير : لين ، وطيء . (٦) الخلق : البالي . (٧) الجالية : أهل الحجاز ، لأنهم كانوا يجلون عن بلا دهم إلى الشام .

صُنانٌ (١) لهم كصُنانِ التيوسِ أعيا (٢) على المِسكِ والغالِيَه (٣)

فقال الحارثُ يجيبها :

قاطناتُ الحَجونِ (٤) أشهى الى قلبي من ساكناتِ دُورِ دمشقِ

يتَضوَّعن (٥) ، لو تضمَّخن بالمِسكِ صُنانا كأنه ريحُ مَرقِ (٦)

وطلَّقها الحارث فخلَف عليها رَوحُ بنُ زِنباعٍ من بني جُذامٍ ، فقالت تهجوه :

وهل انا إلاَّ مُهرةٌ عربيةٌ سَليلةُ أفراسٍ تَجلَّلها بَغلُ (٧)

فإن نَتَجت مُهراً فللهِ دَرُّها وإن يَكُ إقرافٌ (٨) فما أنجبَ الفحلُ

فقال رَوح :

فما بالُ مُهرٍ رائعٍ عَرَضت له أتانٌ فبالت عندَ جَحفلةِ البغلِ

اذا هو ولّى جانبا ربَخت (٩) له كما ربخت قَمراءُ في دَمِسٍ سَهلِ

وقالت لاخيها أبانَ بنِ النعمان :

أطال اللهُ شَأوَكَ (١٠) من غلامٍ متى كانت مناكِحُنا جُذامُ

أترضى بالأكارعِ (١١) والذُنابى وقد كنا يَقَرُّ بنا السَّنامُ

وقالت :

سُمِّيتَ رَوحاً وأنتَ الغَمُّ قد عَلِموا لا رَوَّحَ اللهُ عن رَوحِ بنِ زِنباعِ

وقالت :

تُكَحِّلُ عينيك بَردَ العَشِيِّ كأنك مُومِسةٌ زانيَه

وان بنيك لرَيبِ الزمانِ أمست رِقابُهُم حاليَه (١٢)

فلو كان أوسٌ لهم حاضراً لقال لهم إنَّ ذا ماليَه

واوسٌ رجل من جُذامٍ يقال إنه استودع رَوحاً مالا فلم يَرُدَّه عليه .

فقال روح : اللهم ، ان بَقيِت بعدي فابتَلِها ببعل يَلطِمُ وجهَها ويمَلأ حجرَها قَيئا . فتزوَّجها بعدَه الفيضُ بن محمد بن الحكَم وكان شابّاً جميلا يُصيب من الشَراب فأحبَّته . فكان يَسكَرُ فيَلطُم

---

(١) صنان : نتن الريح . (٢) أعيا : أعجز وغلب . (٣) الغالية : أخلاط من الطيب . (٤) الحجون : جبل بمكة . (٥) يتضوعن : يفحن رائحة. (٦) المرق : الجلد المنتن . (٧) بغل : الرواية الأشهر والأصح نغل. (٨) المقرف: امه عربية وأبوه ليس كذلك . وهو أيضاً ، النذل . (٩) الجحفلة لذي الحافر كالشفة للانسان . ربخت : استرخت . كما استرخت المرأة البيضاء في سهل مغطى غير مكشوف . (١٠) شأو : الغاية ، والأمد ، والهمة . (١١) الأكارع: واحده كراع وهو مستدق الساق العاري من اللحم . (١٢) حالية : المطوقة بالحلي .

وجهَها ويَقيءُ في حِجرها . فتقول : يَرحَم اللهُ ابا زَرعةَ ، قد أُجيبَت دَعوتُه فيَّ . وقالت لفيضٍ :

سُمِّيتَ فيضاً وما شيءٌ تَفيضُ بـــه الا سُلاحَك[١] بينَ البابِ والدارِ

وقالت ايضا :

وليس فيضٌ بفيّـاضِ العَطـــاءِ لنا لكنَّ فيضاً لنا بالقَيءِ فيّـــاضُ
ليثُ الليوثِ علينا باســـلٌ شَـــرِسٌ وفي الحروب هَيوبُ الصدرِ جيّاضُ[٢]

وتمَثّل فيضٌ يوما بهذا البيت :

إن كنتِ ساقيةً يوما على كَـــرَمٍ صفوَ المُدامةِ فاسقيها بني قَطَـــنِ

ثم تحرَّك فيضٌ فضرط فقالت : واسقِ هذه ايضا بني قَطَنِ .

فولدت من الفيض ابنةً فتزوجها الحَجّاج ، فقالت رَجَزاً ، منه :

قد كنتُ ارجو بعضَ ما يَرجو الراجْ أن تَنكِحيهِ مَلِكاً او ذا تـــاجْ

فقدمت حميدةُ على ابنتها زائرةً فقال لها الحجّاج : يا حميدةُ ، إني كنتُ احتمِل مُزاحَكِ ، واما اليومَ فاني بالعِراق وهم قومُ سوءٍ ، فإياكِ ! فقالت : سأكُفُّ حتى أرحَلَ .

الأَبجر

الابجرُ لقبٌ غَلَب عليه واسمُه عُبيد الله ويُكنى ابا طالب وكان مكيًّا .

قال اللهبيُّ : لم يكن بمكةَ احدٌ اظرفَ ولا أسرى[٣] ولا أحسنَ هيئةً من الابجر . فكانت حُلّتُه بمئة دينارٍ وفَرَسُه بمئة دينارٍ ومركَبُه بمئة دينارٍ ، وكان يَقِف بين المأزِمَين[٤] . فيرفع صوتَه فيَقِفُ الناسُ له يَركبُ بعضُهم بعضاً .

قال ابن ابي كِلاب :

كان الابجر اذا قدِم المدينةَ نزَل علينا . فقال لنا يوما : أَسمِعوني غناء ابن عائشتكم هذا . فأرسَلنا فيه فجمَعنا بينهما في بيت ابن هَبّارٍ . فتغنى ابنُ عائشةَ ، فقال الابجر : كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن

(١) السُلاح : البراز والتغوط . (٢) رَوّاغ . (٣) أسرى : أكثر شرفاً وأعلى منزلة ، وهو سَرِيٌّ من السُراة أي السادة .
(٤) جبلا مكة .

تغنَّيتُ معكَ الا بنصف صوتي . ثم أدخل اصبعَه في شِدقه فتغنى . فَسمع صوتَه مَن في السُوق فحُشِرَ الناسُ علينا . فلم يفترقا حتى تشاتما . وكان ابن عائشةَ حديدا جاهلا (١) .

قال أشعب :

دُعي ذاتَ يومٍ المغنون للوليد بن يزيدَ ، وكنت نازلا معهم ، فقلت للرسول : خُذني فيهم . قال : لم أُؤمَر بذلكَ . فقلت : انا والله احسنُ غناءً منهم . ثم اندفعت فغنَّيته . فقال : لقد سمعتُ حَسَنا ولكني أخاف . فقلت : لا خوفَ عليك ، ولك مع هذا شرطٌ . قال : وما هو ؟ قلت : كلُّ ما أصبتُه فلك شَطرُه . فقال للجماعة : اشهدوا عليه . فشَهِدوا ومضَينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ (٢) النفسِ . فغنَّاه المغنونَ في كل فنٍ من خفيفٍ وثقيلٍ فلم يتحرك ولا نشِطَ . فقام الابجرُ الى الخَلاء ، وكان خبيثا داهيا ، فسأل الخادمَ عن خبره وبأي سبب هو خاثرٌ . فقال : بينَه وبينَ امرأته شرٌ ، لانه عَشِقَ أختَها فغَضِبت عليه فهو الى أختِها أميَلُ ، وقد عزَم على طَلاقها وحلَف لها ألاّ يَذكُرَها ابدا . فعاد الابجر الينا وما جلس حتى اندفع فغنَّى :

فبِيــني (٣) فإني لا أبالي وأيقِــني أصَعَّدَ (٤) باقي حبِّكم أم تَصَوَّبا (٥)
ألم تَعلَمي أني عَزوفٌ (٦) عن الهوى اذا صاحبي من غير شيءٍ تغضَّبــا

– الشعرُ لعبد الرحمن بنِ الحكَم – فطرب الوليدُ وارتاح وقال : أصبتَ يا عُبيدُ ، والله ، ما في نفسي . وأمر له بعشرة آلافِ درهمٍ وشرب حتى سَكِر . ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الابجرِ . فلما أيقنتُ بانقضاء المجلس وثَبتُ فقلتُ : إن رأيتَ ، يا امير المؤمنين ، أن تأمر مَن يضربُني مئةً الساعةَ بحضرتك . فضحك وقال : قبَّحك اللهُ ، وما السببُ في ذلك ؟ فأخبرتُه بقصَّتي مع الرسول . فقال : لقد لَطُفتَ . أَعطُوه مئةَ دينارٍ وأعطوا الرسولَ خمسين دينارا من مالنا .

---

(١) الحديد : الحاد الغضب . الجاهل : ضد الحليم . (٢) لقست نفسه : خبثت وغثت . (٣) بيني : اصرمي حبل وصالك . (٤) صعد : ارتفع وزاد . (٥) تصوب : انحدر . (٦) عزوف : ملول مجانب .

موسى شهوات

هو موسى بنُ يَسَارٍ مولى قريش . ويُكنَّى أبا محمد . وشَهَوَاتٌ لقبٌ غَلَبَ عليه ، لانه كان سَؤولا مُلحِفا . وكان كلما رأى مع أحد شيئا يُعجبهُ من مالٍ او مَتاعٍ او ثِيابٍ او فَرَسٍ يَتباكى . فاذا قيل له : مالَكَ ؟ قال : أشتهي هذا . فسُمِّي موسى شَهَوَات .

قال ابن العجَّاج : شهدتُ مجلسَ امير المؤمنين سليمانَ بنِ عبد الملك واتاه سعيدُ بنُ خالدِ بنِ عمروِ بنِ عثمانَ بنِ عَفَّانَ فقال : يا اميرَ المؤمنين ، أتيتك مستعديا . قال : ومَن بك ؟ قال : موسى شهوات . قال : وما له ؟ قال : سَمَّع[1] بي واستطال في عِرضي . فقال : يا غُلامُ ، عليَّ بموسى فَأتِني به . فأُتي به ، فقال : ويلَك ، أسمَّعتَ به واستطلتَ في عِرضه ؟ قال : ما فعلتُ يا امير المؤمنين ، ولكني مدحت ابنَ عمه فغضب هو . قال : وكيف ذلك ؟ قال : عَلِقتُ جاريةً لم يَبلُغ ثمنَها جِدَتي[2] فأتيتُه وهو صديقي فشكَوتُ اليه ذلك ، فلم أُصب عنده شيئا . فأتيت ابنَ عمه سعيدَ بنَ خالدِ بنِ عبد الله بنِ خالد بن أَسيدٍ فشكَوتُ اليه ما شكوتُه الى هذا ، فقال : تَعُود الي . فتركته ثلاثاً ثم اتيته ، فسَهَّل من إذني . فلما استقر بي المجلسُ قال : يا غُلامُ ، قل لقيِّمَتي : هاتي وديعتي . فَفَتح باباً بين بيتين واذا بجارية . فقال لي : أهذه بُغيتُك ؟ قلت : نعم ، فداك ابي وأمي . قال : اجلس . ثم قال : يا غُلامُ ، قل لقيِّمَتي : هاتي ظَبيةَ[3] نفقتي . فأُتي بظَبية فنُثِرت بين يديه فاذا فيها مئةُ دينارٍ ليس فيها غيرُها ، فرُدَّت في الظبية . ثم قال : عَتيدةَ[4] طيبي . فأُتي بها . فقال : مِلحفةَ فِراشي . فأُتي بها . فصيرَ ما في الظبية وما في العتيدة في حَواشي الملحفة . ثم قال : شأنَك بهواكَ واستعِن بهذا عليه . فقال سليمانُ بنُ عبدِ الملك . فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

أبا خالدٍ أعـني سعيدَ بنَ خـالدِ	اخا العُرفِ لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنني أعني ابنَ عائشةَ الـذي	ابُو ابوَيه خالدُ بنُ أَسيـدِ
عقيدُ الندى ما عاش يَرضى به الندى	فان مات لم يرضَ الندى بعقيـدِ
دعُوه دعُوه إنكم قد رقدتُـمُ	وما هو عن احسابكم برَقـودِ

(١) شهره وفضحه . (٢) جدة : يسار وسعة . (٣) جراب صغير من جلد ظبي . (٤) حِقَّة يكون فيها طيب الرجل والعروس .

فقال سليمان : عليَّ يا غلامُ بسعيد بنِ خالد . فأُتي به . فقال : أحقٌّ ما وصفك به موسى ؟ فقال : وما ذاك يا اميرَ المؤمنين ؟ فأعاد عليه . فقال : قد كان ذلك يا امير المؤمنين . قال : فما طَوَّقتْك هذه الافعالُ ؟ قال : دينَ ثلاثين الفَ دينارٍ . فقال له : قد امرتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثُلث مثلها . فحُملت اليه مئةُ الفِ دينار .

وبعدَ الابياتِ الاربعةِ منها :

فِدًى للكريم العبشَميِّ (١) ابنِ خالدٍ بَنِيَّ ومالي طارِفي وتَليدي (٢)
ترى الجُندَ والجُنَّابَ (٣) يَغشَون بابه بحاجاتهـــم من سيِّدٍ ومَسودِ
فيُعطي ولا يُعطَى ويُغشى ويُجتـــدى وما بابُه للمجتدي بســـديـــدِ (٤)
قتلتَ أُناسا هكذا في جُلودِهـــــم منَ الغيظ لم تقتلهمُ بحـــديـــــدِ

ابو العتاهية

ابو العتاهيةِ لقبٌ غلَب عليه واسمُه اسماعيلُ بنُ سُوَيدِ بنِ كَيسانَ . مولى عَنَزةَ وكنيتُه ابو اسحاقَ . ومَنشَؤه بالكوفة . كان في اول امره يتخنَّث ويبيع الفَخَّار بالكوفة . ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدم ، ويقال : أطبَعُ الناسِ بشارٌ والسيِّدُ (٥) وابو العتاهيةِ . وكان قَضيفا (٦) أبيضَ اللونِ اسودَ الشعر له وَفرةٌ (٧) جَعدةٌ وهيئةٌ حسنة ولباقة وحَصافة (٨) .

كان غزيرَ البحرِ لطيفَ المعاني سهلَ الالفاظ كثيرَ الافتنان قليلَ التكلُّفِ إلا أنه كثيرُ الساقطِ المرذولِ . واكثرُ شعرِه في الزُهد والامثالِ . وكان ابخلَ الناسِ مع يَساره .

كان مذهبُ ابي العتاهيةِ القولَ بالتوحيد ، وأن العالَم لا مُحدثَ له إلا اللهَ . قال ابو شُعيب : قُلت لابي العتاهية : القرآنُ عندك مخلوق ام غيرُ مخلوق ؟ فقال : أَسألتَني عن اللهِ ام عن غيرِ اللهِ ؟ قلت : عن غير الله . فأمسكَ . وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجوابَ . حتى فعل ذلك مِرارا . فقلت له : ما لك لا تُجيبُني ؟ قال : قد أجبتُك ، ولكنك حِمارٌ .

---

(١) نسبة إلى عبد شمس . (٢) المال الطارف والطريف : الحديث والمستحدث . والتليد : الموروث . (٣) الضيوف الغرباء ، جمع جانب . (٤) سديد : فعيل بمعنى مفعول أي مسدود مغلق . (٥) السيد الحميري ، سيأتي ذكره في الجزء السابع . (٦) دقيق العظم قليل اللحم . (٧) وفرة : ما جاوز شحمة الأذن من الشعر . (٨) حصافة : جودة عقل.

قيل لابي نُواسٍ : انت أشعرُ الناس . قال : أمّا والشيخُ حيٌّ فلا . (يعني ابا العتاهية) .
قال ثُمامةُ : أنشدَني ابو العتاهية :

اذا المرءُ لم يُعتِق من المال نفسَه تملّكَه المالُ الذي هو مالكُهْ
ألا إنما مالي الذي انا مُنفِقٌ وليس ليَ المالُ الذي انا تاركُهْ

فقلت له : من اين قضَيت بهذا ؟ فقال : من قول رسولِ الله: انما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ، او لبِستَ فأبلَيتَ ، او تصدَّقتَ فأمضَيت .

سئل ابو العتاهية : ايُّ شعرٍ قلتَه أحكمُ ؟ قال : قولي :

علِمتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسعدَهْ أن الشبابَ والفَراغَ والجِدَهْ
مَفسَدَةٌ للمَرءِ ايَّ مفسدَهْ

حدَّث ابو عِكرِمَةَ قال : كان الرشيدُ اذا رأى عبدَ الله بنَ معنِ بنِ زائدةَ تَمثَّل قولَ ابي العتاهية :

اختُ بني شيبانَ مرَّت بنا ممشوطةً كُوراً (١) على بغلِ

والقصيدة طويلة منها :

قال ابنُ معنٍ ، وجلا نفسَه على مَنِ الجَلوةُ يا أهلي
انا فتاةُ الحيِّ من وائلٍ في الشرف الشامخِ والنُبلِ
ما في بني شيبانَ أهلِ الحِجا جاريةٌ واحدةٌ مثلي
ويلي ويا لَهفي على أمرَدٍ يُلصِقُ مني القُرطَ بالحَجلِ (٢)
صافحتُه يوماً على خَلوةٍ فقال دَع كفي وخذ رجلي
قد نَقَّطت في وجهها نُقطةً ، مَخافةَ العينِ ، من الكُحلِ
ان زُرتموها قال حُجّابُها نحن عن الزُوّارِ في شُغلِ
مولاتُنا مشغولةٌ ، عندَها بعلٌ ولا إذنَ على البعلِ

قال : فبعث أليه عبدُ الله بنُ معنٍ فأُتي به . فدعا بغُلمان له ثم امرهم ان يرتكبوا منه الفاحشةَ ، ففعلوا ذلك . ثم أجلسه وقال له : قد جَزَيتُك على قولك فيَّ . فهل لك في الصُلح ومعه مركبٌ وعشرةُ الافِ درهمٍ أو تُقيمَ على الحرب ؟ قال : بل بالصُلح . قال : فأسمِعني ما تقولُه في الصلح . فقال :

ما لِعُذّالي ومالي أمروني بالضَلالِ

---
(١) الرحل . (٢) الخلخال .

رُبَّ وُدٍّ بعدَ صَدٍّ وهوىً بعد تقالي[1]
قد رأينا ذا كثيرا جاريا بين الرجالِ
انما كانت يميني لَطمَت مني شِمالي

كان ابو العتاهية يهوى امرأة يقال لها سعدى ، اتَّهمها بالنساء فقال فيها :

الا يا ذواتِ السَّحق[2]في الغرب والشرقِ أَفِقنَ فان (الكَوْمَ) أشفى منَ السَّحقِ
أَفِقن فان الخُبزَ بالأُدْم[3] يُشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبزِ في الحلقِ
أَراكُنَّ تَرقَعن الخُروقَ بمثلِها وايُّ لبيبٍ يَرقَع الخِرقَ بالخِرقِ

قال ابن ابي فَنَنٍ : كنا عند الأعرابي فذكروا قولَ ابنِ نوفلٍ في عبد الملك بنِ عُميرٍ القاضي :

اذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمته لحاجةٍ فهَمَّ بأن يَقضي تَنحنحَ أو سَعَلْ

وأن عبدَ الملك قال : تَرَكني ، والله ، وإن السعلةَ لَتَعرِضُ لي في الخَلاء فأذكُرُ قولَه فأهابُ أن أسعُلَ . قال : فقلت لابن الأعرابي : فهذا ابو العتاهية قال في عبد الله بنِ معنٍ :

فَصُغ ما كنتَ حَلَّيتَ به سيفَكَ خَلخالا
وما تَصنعُ بالسيفِ اذا لم تَكُ قَتَّالا

قال عبد الله بن معنٍ : ما لبِستُ سيفي قطُّ فرأيتُ إنسانا يَلمَحُني الا ظننت أنه يَحفَظ قولَ ابي العتاهيةِ فيَّ ، فلذلكَ يتأمَّلُني فأخجَلَ .

حدَّث مُخارِقٌ ـ المغني ـ قال :

لما تنسَّك ابو العتاهيةِ وَلَبِس الصوف ، امره الرشيدُ أن يقولَ شعراً في الغَزَل ، فامتنع . فضربه الرشيد ستين عصاً . وحلف ألا يَخرُجَ من حبسه حتى يقولَ شعراً في الغزل . فلما رُفِعَت المَقارِعُ عنه قال ابو العتاهية : كلُّ مملوكٍ له حُرٌّ وامرأتُه طالِقٌ إن تكلم سنةً إلا بالقُرآن . قال : وأتيتهُ في اليوم الذي انقضت فيه يمينُهُ . فقلت : هل قلت شيئاً للتخلص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم . قد قلت في امرأتي شعراً . فأنشدني :

مَن لقلبٍ مُتيَّمٍ مشتاقِ شَفَّهُ شوقُهُ وطولُ الفِراقِ
طال شوقي الى قَعيدةِ بيتي ليت شِعري[4] فهل لنا من تَلاقي
هيَ حظِّي قد اقتصرتُ عليها من ذوات العُقودِ والأطواقِ

قال : فكتبتُها وصِرت الى ابراهيمَ (المَوصلي) فصنع فيها لحناً ودخل بها على الرشيد . فكان

(١) تباغض . (٢) مقارفة الأنثى للأنثى . (٣) الأُدْم : دسم الطعام . (٤) ليت شعري : تعبير محفوظ يعني : ليتني أعلم وأشعر .

اولَ صوت غناه اياه في ذلك المجلس . وسأله : لمن الشعرُ والغناء ؟ فقال ابراهيم : أما الغناء فلي . واما الشعرُ فلأسيرك ابي العتاهية . فقال : أوَ قد فعل ؟ قال : نعم ، لقد كان ذلك . فدعا به . ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا ابا العتاهية ؟ قال : ستين عصاً . فأمر له بستين الفَ درهمٍ وخلع عليه وأطلقه .

جلس المهديُّ يوماً للشعراء فأذن لهم وفيهم بشارٌ واشجَعُ . وكان أشجعُ يأخذ عن بشارٍ ويُعظِّمه . فاستنشد المهديُّ ابا العتاهية . فقال بشار لأشجعَ : لا جزى الله خيراً منَ جَمعَنا معه . ويحك أوَ يَبدأُ فيُستَنشدُ قبلَنا ؟ فقال : قد ترى . فأنشد :

ألا مـــا لسيدتـــي مالَهـــا ... أدَلاًّ فأحمِـــلَ إدلالَهـــا

ألا إن جاريـــةً لـــلإمـــا ... مِ قد أسكـــنَ الحُبُّ سِربالَهـا[1]

مشت بين حُـــورٍ قِصـارِ الخُطـا ... تُجاذِبُ في المَشـــي أكفالَهـــا

وقـــد أتعبَ اللهُ نفســـي بـهـــا ... وأتعب باللـــوم عُـــذّالَهـــا

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سُلَيم ، ما ادري من أيِ أمرَيه أعجَبُ ، أمِن ضُعف شعرِه ، ام من تشبيبه بجارية الخليفة يَسمع ذلك بأذنه . حتى اتى على قوله :

أتته الخِلافـــة مـنـقـــادةً ... اليـــه تُجَرِّرُ اذيـــالَهـــا

ولم تَـــكُ تَصلُـــحُ إلا لـــه ... ولم يَـــكُ يَصلُـــحُ إلا لهـــا

ولـــو رامهـــا احدٌ غيـــرُه ... لزُلزلَـــتِ الارضُ زِلزالَهـــا

ولـــو لم تُطِعـــه بناتُ القلوب[2] ... لمـــا قَبِلَ اللهُ أعمـــالَهـــا

وإن الخليفـــةَ مـــن بُغـــض «لا» ... اليـــه ليُبغِـــضُ منَ قـــالها

فقال بشار ، وقد اهتزَّ طرباً : ويحك ، يا اخا سُلَيم، أتُرى الخليفةَ لم يَطِر عن فَرشِه طرباً لما يأتي به هذا الكُوفي ؟

تذاكروا يوما شعرَ ابي العتاهية بحضرة الجاحظ الى أن جرى ذكرُ أُرجوزته المزدوجة التي سمّاها « ذاتَ الأمثال » فأخذ بعضُ مَن حَضَر يُنشِدُها حتى أتى على قوله :

يا لَلشبـــابِ المَـــرِحِ التَصابـــي ... روائحُ الجنَّةِ في الشَبـــابِ

فقال الجاحظ للمنشد : قِف . ثم قال : انظروا الى قوله :

ــ روائح الجنة في الشباب ــ

(١) السربال: القميص (٢) النيات .

فان له معنى كمعنى الطرب الذي لا يَقدِر على معرفته الا القلوب ، وتَعجَز عن ترجمته الألسُنُ الا بعدَ تطويلٍ وإدامةِ التفكير . وخيرُ المعاني ما كان القلبُ الى قَبوله اسرعَ من اللسان الى وصفه . وهذه الارجوزةُ من بدائعِ ابي العتاهيةِ وله فيها اربعةُ الافِ مَثَلٍ . منها:

هي المقاديرُ فلُمني أو فَذَرْ[1] إن كنتُ اخطأتُ فما أخطا القَدَرْ
لكلِّ ما يُؤذي وإن قلَّ ألَمْ ما اطولَ الليلَ على مَن لم يَنَمْ
انَّ الفسادَ ضِدُّه الصَلاحُ ورُبَّ جَدٍّ جرَّه المُزاحُ
انَّ الشبابَ والفَراغَ والجِدَهْ مَفسَدةٌ للمرء ايَّ مفسَدَهْ
ما زالتِ الدنيا لنا دارُ أذى ممزوجةُ الصفوِ بألوانِ القَذى
الخيرُ والشرُّ بها أزواجُ لذا نِتاجٌ ولذا نتاجُ
كذا قضى اللهُ فكيف أصنعُ الصمتُ إن ضاق الكلامُ أوسَعُ

كان عمرُ بنُ العلاءِ صاحبُ المهدي ممدَّحا . فمدحه ابو العتاهية فأمر له بسبعين الفَ درهمٍ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء . فأحضره وقال له : واللهِ ان الواحد منكم ليَدور على المعنى فلا يُصيبه ، ويتعاطاه فلا يُحسنُه ، حتى يُشبِّبَ بخمسين بيتا ، ثم يَمدحُنا ببعضها . وهذا ، كأن المعاني تُجمَع له ، مدحني فقَصَّر التشبيبَ وقال :

ان المطايا تشتكيكَ لانها قَطعَت اليك سباسِباً ورِمالا
فاذا وَرَدنَ بنا وردن مُخِفَّةً واذا رَجَعن بنا رَجَعن ثِقالا
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لَحَذَوا[2] له حُرَّ الوُجوهِ نِعالا

قال الاصمعي : شعرُ ابي العتاهيةِ كساحة الملوك ، يقع فيه الجوهرُ والذهبُ والخزَف والنَوى .
اجتمعت الشعراء على باب الرشيد فأذِن لهم فدخلوا وانشدوا . فأنشد ابو العتاهية :

يا من تبغَّى زمنا صالحا صلاحُ هارونَ صلاحُ الزمَنْ
كلُّ لسانٍ هو في مُلكه بالشُكر في إحسانه مُرتَهَنْ

فاهتزَّ له الرشيد وقال له : احسنتَ والله . وما خرج في ذلك اليوم احدٌ من الشعراء بصلة غيرُه .

---

(١) ذر : دع واترك . (٢) حذوا : صنعوا الحذاء .

وحضر ابو العتاهية عليَّ بن َ ثابتٍ وهو يجود بنفسه . فلم يزل ملتزِمَه حتى فاض [١] . فلما شُد لَحْياه بكى طويلا . ولما دُفن وقف على قبره يبكي ويردد هذه الابياتَ :

طَوتك خُطوبُ دهـرِك بعدَ نَشرٍ ... كذاك خطوبُـه نشراً وَطَيَّـا
وكانت في حياتك لي عِظـاتٌ ... وانت اليومَ أوعـظُ منك حيَّـا

حدَّث ابو العتاهية قال :

اخرجَني المهديُّ معه الى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كثير . فتفرَّق اصحابه في طلبه واخذ هو في طريقٍ غيرِ طريقهم فلم يلتقُوا . وعرَض لنا وادٍ جرَّارٌ وتغيَّمت السماء وبدأت تُمطِر، فتحيَّرنا. وأشرفنا على الوادي فاذا فيه مَلاَّحٌ يُعبِّرُ الناسَ ، فلجأنا اليه فسألناه عن الطريق .

فجعل يُضعِفُ رأيَنا ويُعَجِّزنا في بذلنا أنفسَنا في ذلك الغيم ِ للصيد ، حتى أبعدَنا ، ثم أدخلَنا كوخا له . وكاد المهديُّ يموت برداً ، فقال له : أُغطِّيك بجُبَّتي هذه الصوف ؟ فقال : نعم . فغطَّاه بها . فتماسك قليلا . فافتقده غُلمانُه وتَبِعوا أثرَه حتى جاؤونا . فلما رأى الملاحُ كثرتَهم علِم أنه الخليفةُ فهرب . وتَبادرَ الغلمانُ ، فنَحوا الجُبَّةَ عنه وألقَوا عليه الخزَّ والوَشيَ. فلما انتبه قال لي : ويحَك ، ما فعل الملاحُ ؟ فقد وجب حقُّه علينا . فقلت : هرب خوفا من قُبحِ ما خاطَبَنا به . قال : إنا لله ، لقد اردتُ ان أُغنيَه ، وبأيِّ شيءٍ خاطَبَنا . نحن ، والله ، مستحقون لأقبحِ ما خاطَبنا به . بحياتي عليك ، إلا ما هجوتَني . فقلت : يا امير المؤمنين ، كيف تَطيب نفسي بأن أهجُوَك . قال : لَتفعلَنَّ ، فإني ضعيفُ الرأي مُغرَمٌ بالصيد . فقلت .

يا لابسَ الوشيِ عـلى ثوبـهِ ... ما أقبحَ الأشيبَ في الـراحِ

فقال : زدني بحياتي . فقلت :

لو شئتَ ايضا جُلتَ في خـامةٍ ... وفي وِشاحينِ وأوضـاحِ [٢]

فقال : ويلَك ، هذا معنى سُوءٍ يَرويه عنك الناس، وأنا استأهِل . زِدني شيئا آخرَ. فقلت : أخاف ان تغضبَ . قال : لا ، والله . فقلت :

كم من عظيمِ القَدرِ في نفسـهِ ... قد نام في جُبَّةِ المَـلاحِ

فقال : معنى سُوء، عليك لعنةُ الله . وقُمنا وركِبنا وانصرفنا .

قال في علي يقطين وقد أبطأ عليه بالبِر :

اني أُريدُك للدنيـا وعاجلِهـا ... ولا أُريدك يومَ الدين للديـنِ

(١) فاض او فاظ بمعنى مات (٢) الخامة : ثوب من القطن . والأوضاح : حلي من فضة او هي الخلاخل.

لما ضرب الرشيدُ ابا العتاهية وحبسَه وَكَّل به صاحبَ خَبَرٍ [١] يكتب اليه بكل ما سمعه. فكتب اليه انه سَمِعه يُنشد :

أما واللهِ إن الظُلْمَ لُؤْمُ   وما زال المُسيءُ هو الظَلُومُ
الى دَيَّانِ يومِ الدينِ نَمْضي   وعندَ اللهِ تَجتمع الخُصُومُ

فبكى الرشيد وامر باحضار ابي العتاهية وإطلاقِه ، وامر له بألفي دينارٍ .

كان موسى الهادي واجداً [٢] على ابي العتاهية لملازمته اخاه هارونَ في خِلافة المهدي. فلما وَلِيَ موسى الخِلافةَ قال ابو العتاهيةُ يمدحه :

لهفي على الزمن القصيرِ   بين الخَوَرنقِ والسَّديرِ [٣]
اذ نحن في غُرَفِ الجِنانِ   نَعومُ في بَحرِ السُرورِ
في فتيةٍ مَلَكوا عِنانَ   الدهرِ امثالِ الصُقورِ
يتعاورون [٤] مُدامةً   صَهباءَ من حَلَبِ العصيرِ
عذراءَ ربَّاها شُعاعُ   الشمسِ في حَرِّ الهجيرِ
لم تُدنَ من نارٍ ولم   يَعلَق بها وَضَرُ [٥] القُدورِ
ومُقَرطَقٍ [٦] يَمشي أمامَ   القومِ كالرَشَإِ [٧] الغريرِ
بزُجاجةٍ تَستخرِجُ السِرَّ   الدفينَ منَ الضميرِ
تَدعُ الكريمَ وليس يَدري   ما قَبيلٌ من دَبيرِ [٨]
ومُختَصَراتٍ [٩] زُرنَنا   بعدَ الهُدُوِّ [١٠] منَ الخُدورِ
رَيّا [١١] روادِفُهنَّ يَلبَسنَ   الخَواتمَ في الخُصورِ
ما إن يَرَينَ الشمسَ الا   الفَرطَ [١٢] من خَلَلِ السُتورِ
وإلى امينِ اللهِ مَهْـ   ـرَبُنا منَ الدهرِ العَثورِ
واليه أتعَبنا المطا   يا بالرَّواحِ [١٣] وبالبُكورِ
صُعرَ [١٤] الخُدودِ كأنما   جُنِّحنَ أجنِحةَ النُسورِ

(١) شرطي استخبارات . (٢) واجد : متعتب داخلته مَوجِدة . (٣) الخورنق والسدير : قصران في موضعين . (٤) يتعاورون: يتداولون. (٥) وضر : قذر الدسم في صحفة او إناء . (٦) لابس القرطق وهي حلة . (٧) الرشأ: ولد الظبية اذا قوى واشتد . (٨) القبيل : امام . الدبير : خلف . (٩) دقيقات الخصور. (١٠) بعد فترة من الليل. (١١) ممتلئة . (١٢) القليل ، ويكون بين الثلاثة أيام أو الخمسة عشر يوما . (١٣) الرواح : اسم للوقت من العصر إلى الليل. (١٤) صَعَّر خده : مال عن الناس تهاوناً وكبرا . فهو أصعر ، صعر .

متسربِــــلاتٍ [1] بالظَــــلا مِ عــلى السُهولةِ والوُعــــورِ

فرضي عنه وأجزل صِلتَه .

ومن حِكَمه :

ايا بانيَ الدنيــا لغيرك تبتــــني ويا جامعَ الدنيا لغيركَ تَجمــعُ
تَبارك مَن لا يَملِكُ المُلــكَ غيرُه متى تنقضي حاجاتُ مَن ليس يَشبعُ

ومنها :

يا راعيَ الشاءِ لا تُغفِل رِعــايتَــها فأنت عن كلٍّ ما استُرعيتَ مسؤولُ
كُل ما بدا لكَ فالآكــالُ فــانيةٌ وكلُّ ذي أُكُلٍ لا بُدَّ مأكــولُ

قال بنُ سعدان :

كنت مع ابي نواسٍ قريبا من دُور بني نيبَختَ وعندَه جماعةٌ ، فجعَل يَمُرُّ به القُوَّادُ والكُتَّابُ وبنو هاشمٍ فيسلِّمون عليه وهو متَّكِئٌ ممدودُ الرجلِ لا يتحرَّك لأحدٍ منهم، حتى نظرنا اليه قد قبض رجليه ووثب وقام الى شيخ قد أقبل على حمار له ، فاعتنقه ووقف يحادثه . فلم يزل واقفا معه يراوح بين رجليه يرفع رجلا ويضع أخرى . ثم مضى الشيخ ورَجَع الينا ابو نواس وهو يتأوَّه. فقال له بعضُ مَن حضر : واللهِ لأنت أشعرُ منه ــ وكان ابا العتاهية ــ فقال : والله ما رأيتُه إلا ظننت أنه سماءٌ وانا أرضٌ .

سُمِع ابو العتاهية يقول لابنه وقد غضِب عليه : اذهب فانك ثقيلُ الظِل ، جامدُ الهواء .

حدَّث ابو العتاهية قال : مرَّ بعضُ اولاد المُهلَّب بمالكِ بنِ دينارٍ وهو يَخطِرُ ، فقال : يا بني ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخُيَلاءِ ، ألم يكن أحسنَ بكَ من هذه الشُهرةِ الّتي قد شَهَرتَ بها نفسَك ؟ فقال له الفتى :

أوَ ما تَعرِفُ من أنا ؟ فقال : بلى . واللهِ أعرِفك معرِفةً جيدةً : أوّلُك نُطفةٌ مَذِرَةٌ [2] ، وآخرُك جيفةٌ قَذِرة ، وانت بين ذينك، حاملٌ عَذِرة [3] . فأرخى الفتى اذنيه وكفَّ عمَّا كان يَفعل وطأطأ رأسَه، ومشى مسترسِلا.

قال ابو العتاهية في سَلْمٍ الخاسر :

تعالى اللهُ يــا سَلْمُ بنَ عَمــــرٍو أذَلَّ الحِرصُ [4] أعناقَ الرجالِ

(١) متسربلات : لابسات قميص الليل وسرباله . (٢) قذرة . (٣) الغائط والسَلح أي ما يخرج من البدن .
(٤) الحرص : شدة الرغبة في الشيء ، والجشع .

فقال سَلمٌ : ويلي على ابن الفاعلة ، كَنَزَ البُدورَ(١) ويزعمُ أني حريصٌ وانا في ثوبَيَّ هذين.

انتحل ابو العتاهية بيتين من الشعر وزاد عليهما ثالثا :

تَعَوَّدتُ مُرَّ الصَّبرِ حتى ألِفتُه   وأسلَمني حُسنُ العَزاءِ الى الصبرِ
وصيَّرني يأسي من الناس راجيا   لحُسنِ صنيعِ الله من حيثُ لا أدري
اذا انا لم أقبل من الدهر كلَّ ما   تكرَّهتُ منه طال عُتبي على الدهرِ

قال ابو تمام الطائي : لابي العتاهية خمسةُ ابياتٍ ما شَرِكَه فيها احدٌ ولا قَدَر عليها متقدِّمٌ ولا متأخِّر. وهو قوله :

الناسُ في غَفَلاتِهم   ورَحى المنيَّةِ تَطحَنُ

وقولُه :

ألم تَرَ أن الفقرَ يرُجَى له الغِنى   وأن الغِنى يُخشى عليه منَ الفقرِ

وفي موسى الهادى :

ولما استقلُّوا بأثقالهم   وقد أزمعوا للذي أزمعوا
قَرنتُ التِفاتي بآثارهم   وأتبعتُهم مُقلةً تَدمَعُ

وقوله :

هَبِ الدنيا تصير اليك عفواً   أليس مصيرُ ذاك الى زَوالِ

كتب ابو العتاهية الى الرشيد من سجنه :

خانكَ الطَرْفُ الطَموحُ   ايها القلبُ الجَموحُ
كيفَ إصلاحُ قلوبٍ   إنما هُنَّ قُروحُ
أحسنَ اللهُ بنا   أنَّ الخطايا لا تفوحُ
فاذا المستورُ منا   بين ثوبيهِ فُضوحُ
كم رأينا من عزيزٍ   طُويَت عنه الكُشوحُ(٢)
صاحَ منه برحيلٍ   صائحُ الدهرِ الصَدوحُ
كلُّنا في غفلةٍ وال   موت يَغدو ويَروحُ
كلُّ نَطّاحٍ من الدهر   له يَومٌ نَطوحُ

(١) جمع بَدرة وهي عشرة آلاف درهم .   (٢) الكشوح : الاحقاد والغوائل .

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب .

قال الرشيد لابي العتاهية : عِظني . فقال له : أخافُك . فقال له : أنت آمِنٌ . فانشدَه :

لا تأمنِ الموتَ في طَرفٍ ولا نَفَسٍ اذا تستَّرتَ بالابوابِ والحَرسِ
واعلم بأن سِهامَ الموتِ قاصدةٌ لكل مُدَّرِعٍ (١) منا ومُتَّرِسِ (٢)

فبكى الرشيد حتى بَلَّ كُمَّهُ .

كان المأمونُ يوجِّه الى ام جعفرٍ – زبيدةَ زوجةِ ابيه هارون الرشيد – في اول كلِ سنةٍ بمئةِ الفِ دينارٍ جُدُداً والفِ الفِ درهمٍ .

وأحسَّت زبيدةُ من المأمون بجَفاءٍ فوجَّهت الى ابي العتاهيةِ تُعلِمه بذلك وتَأمره ان يَعملَ فيه ابياتا تَعطِفه عليها فقال :

ألا إن ريبَ الدهر يُدني ويُبعِدُ ويُؤنس بالأُلاَّف طَوراً ويُفقِدُ
أصابت لِرَيبِ الدهرِ مني يدي يدي فسلَّمتُ للاقدار، واللهَ أحمَدُ
وقلت لريب الدهرِ إن ذهبت يدٌ فقد بقِيت والحمدُ لله لي يَدُ
اذا بقيَ المأمونُ لي فالرشيدُ لي ولي جعفرٌ لم يُفقَدا ومحمدُ

قال مُخارق :

وبَعثَت الي بالابيات وأمرتني ان اغنيَ فيها المأمونَ اذا رأيتُه نشيطا، وأسنَت لي الجائزةَ، ففعلت. فسألني المأمون عن الخبر فعرَّفته ، فبكى ورقَّ لها وقام من وقته فدخل اليها فأكبَّ عليها وقبَّلت يديه وقال لها: يا أُمَّه ، ما جفوتُك تعمُّدا، ولكن شُغلتُ عنك بما لا يمُكن إغفالُه. فقالت: يا امير المؤمنين ، اذا حَسُنَ رأيك لم يُوحِشني شُغلُك. وأتمَّ يومَه عندها.

قال مُخارِق: جاءني ابو العتاهيةِ فقال : قد عزمتُ على أن أتزوَّدَ منك يوما تَهبُه لي . فمتى تَنشَطُ ؟ فقلت : متى شئتَ . فقال : اخاف ان تَقطعَ بي . فقلت : والله لا فعلتُ وإن طلبني الخليفةُ . فقال : يكون ذلك في غد . فقلت : أفعلُ . فلما كان من غد باكرني رسولُه، فجئته . فأدخلني بيتا له نظيفا . فيه فرش نظيف، ثم دعا بمائدة عليها خُبزُ سميذ (٣) وخَل وبَقل ومِلح وجَدي مَشوي فأكلنا منه . ثم دعا بسمك مشويٍّ فأصبنا منه حتى اكتفينا . ثم دعا بحَلواءَ فأصبنا منها وغسلنا ايدينَا . وجاؤونا بفاكِهةٍ ورَيحانٍ وألوانٍ من الانبذة فقال : اختَر ما يَصلُح لك منها . فاخترت وشربت وصَبَّ قدحاً ثم قال : غنني في قولي :

أحمَدُ قال لي ولم يَدرِ ما بي أتُحِبُّ الغَداةَ عُتبةَ حقَّا

(١) مدرع : لابس الدرع . (٢) مترس : المحتمي وراء ترس . (٣) دقيق أبيض وهو لب الدقيق .

فغنيته فشَرِب قَدَحا وهو يبكي أحرَّ بُكاء. ثم قال: غنني في قولي :

ليس لمن ليست لــــــه حيلــــةٌ موجودةٌ خيرٌ من الصبــــــرِ

فغنيته وهو يبكي ويَنشَج .(١) ثم شَرِب قدحا آخرَ ثم قال : غنني ، فديتُك ، في قولي :

خليـلَيَّ مالي لا تـــزال مَضرَّتـــي تكونُ معَ الأقــدارِ حتماً من الحتمِ

فغنيته اياه . وما زال يقترح علي كلَّ صوت غُنِّي به في شعره فأغنيه ويَشرَب ويَبكي حتى صار العتمةَ . فقال : أحبُّ ان تَصبرَ حتى ترى ما اصنع . فجلست . فأمر ابنه وغلامه فكسَّرا كلَّ ما بينَ ايدينا من النبيذ وآلته والمَلاهي . ثم امر بإخراج كلِّ ما في بيته من النبيذ وآلته . فَأُخرِجَ جميعُه . فما زال يُكَسِّره ويَصُب النبيذَ وهو يبكي حتى لم يبق من ذلك شيء .

ثم نزع ثيابه واغتسل. ثم لبِس ثيابا بيضاً من صوف ، ثم عانقني وبكى ، ثم قال : السلامُ عليك يا حبيبي وفرحي من الناس كلِّهم سلامَ الفِراقِ الذي لا لِقاءَ بعدَه ، وجعل يبكي ، وقال : هذا آخِرُ عهدي بك في حال تَعاشُرِ اهلِ الدنيا . فظننت أنها بعضُ حَماقاته ، فانصرفت ، وما لقيتُه زمانا . ثم تشوَّقته فأتيتُه ، فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت ، فاذا هو قد أخذ قَوصَرتين(٢) وثَقَب إحداهما وأدخل رأسَه ويديه فيها وأقامها مُقامَ القميص ، وثَقب الاخرى واخرج رجليه منها واقامها مُقامَ السراويل . فلما رأيته نَسيت كلَّ ما كان عندي من الغَمِّ عليه والوَحشةِ لعِشرته ، وضَحِكت ، والله ، ضُحكا ما ضحكت مثلَه قطُّ . فقال : مِن أي شيء تضحك ؟ فقلت : أَسخنَ اللهُ عينَك ، هذا ايُّ شيء هو ؟ مَن بَلَّغَك عنه أنه فعل مثلَ هذا من الانبياء والزُهَّادِ والصَحابة والمَجانين . إنزَع عنك هذا يا سخينَ العين. فكأنه استحيا مني . ثم مَرِض، ثم كان آخرُ عهدي به .

من اقواله :

ارى الدنيا لمن هي في يديــــهِ عَذابا كلَّما كَثُرَت لديـــــهِ

• •

اراك امرءًا ترجو من الله عَفــوَه وأنت على ما لا يُحبُّ مُقيــــمُ

تَدُلُّ على التقوى وانت مُقصِّـــرٌ ايا مَن يُداوي الناسَ وهو سَقيمُ

• •

تَجرَّد منَ الدنيا فإنــــك انمــــا وقعتَ الى الدنيا وانت مجرَّدُ

• •

آخرُ شعرٍ قاله في مرضه الذي مات فيه :

الهي لا تُعذِّبــــني فإنـــــي مُقِرٌّ بالذي قد كان مـــني

فما لي حيلةٌ الا رَجـــائي لعفوِك ، إن عفَوتَ ، وحُسنُ ظني

(١) غص بالبكاء في حلقه عن غير انتحاب . (٢) وعاء من القصب .

قال مخارق :

تُوفِّيَ ابو العتاهية وابراهيمُ المَوصليُّ وابو عمرٍو الشيبانيُّ في يوم واحد في خلافة المأمون وذلك في سنة ثلاثَ عشْرةَ ومئتين .

فريدة

هما اثنتان مُحسنتان لهما صَنعةُ الغناء تُسَمَّيان بفريدة. فأما إحداهما وهي الكُبرى فكانت مُولَّدةً نشأت بالحجاز ثم وقعت الى آل الربيع . فعلِّمت الغناءَ في دُورهم . ثم صارت الى البرامكة . فلما قُتِل جعفرُ بنُ يحيى ونُكبوا هربت . وطَلبها الرشيد فلم يَجدها . ثم صارت الى الامين ، فلما قُتِل خرجت ، فتزوجها الهَيثمُ بن مُسلِمٍ ، ثم مات عنها فتزوجها السِنديُّ وماتت عنده . ولها صَنعة جيدة .

واما فريدة الاخرى فكانت أثيرةً(١) عند الواثق وحَظيّةً لديه . وكانت لعمرِو بن بانةَ ، وهو اهداها الى الواثق وكانت من الموصوفات المُحسِنات، حَسَنةَ الوجهِ ، حسنةَ الغِناء ، حادَّةَ الفِطنة والفهم .

ولما تزوجها المتوكِّلُ ارادها على الغناء، فأبت ان تغنِّيَ وَفاءً للواثق. فأقام على رأسها خادما وامره ان يَضرِب رأسَها ابداً أو تُغنِّيَ. فاندفعت وغنَّت :

فلا تَبعَد(٢) فكلُّ فتىً سيأتـــي عليه الموتُ يَطرُقُ(٣) او يُغادي(٤)

حدَّث محمدُ بنُ الحارثِ بن بُسخُنَّرَ قال:

كانت لي نوبةٌ في خِدمة الواثق في كل جُمعة ، اذا حَضَرت رَكِبتُ الى الدار . فإن نَشَط الى الشُرب ، أَقمتُ عنده ، وان لم يَنشَط انصرفتُ. وكان رَسمُنا ألاَ يَحضُرَ احدٌ منا الا في يوم نوبته . فإني لفي منزلي في غير يوم نوبتي اذا رُسُلُ الخليفة قد هجموا علي وقالوا لي : احضُر . فقلت : ألِخَيرٍ ؟ قالوا : خيرٌ. فقُلت : إن هذا يومٌ لم يُحضرني فيه اميرُ المؤمنين قطُّ ، ولعلَّكم غَلِطتم . فقالوا: اللهُ المستعانُ، لا تُطِل وبادِر، فقد أمَرَنا ألا نَدَعَك تَستقِرَّ على الارض . فداخلَني فَزَعٌ شديد ، وخِفت ان يكونَ ساعٍ قد سعى بي، او بليَّةٌ قد حَدَثت في رأي الخليفة علي . فتقدمتُ

(١) أثيرة : مفضلة . (٢) لا تهلك . (٣) يطرق : يأتي ليلا . (٤) يغادي : يباكر مع الفجر .

وركبتُ حتى وافيتُ الدارَ . فذهبتُ لأدخلَ على رسمي من حيثُ كنت أدخل . فمُنعتُ ، واخذ بيدي الخدمُ فأدخلوني وعدلوا بي الى ممرّاتٍ لا أعرفها . فزاد ذلك في جزَعي وغمّي . ثم لم يزل الخدمُ يُسلمونني من خدم الى خدم حتى أفضيتُ الى دار مفروشة الصحن مُلبّسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب . ثم افضيتُ الى رواق ارضُه وحيطانُه مُلبّسةٌ بمثل ذلك ، واذا الواثقُ في صدره على سرير مُرصّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجةٌ بالذهب ، والى جانبه فريدةُ جاريتُه ، عليها مثلُ ثيابه ، وفي حجرها عودٌ . فلما رآني قال : جوّدتَ[١] ، والله ، يا محمدُ الينا . فقبّلتُ الارضَ ثم قلت : يا امير المؤمنين ، خيراً . قال : خيراً ، أما ترانا ؟ طلبتُ ، والله ، ثالثا يؤنسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك . فبحياتي بادر ، فكُل شيئا وبادر الينا . فقلت : قد ، والله ، يا سيدي ، أكلتُ وشربت ايضا . قال : هاتوا لمحمد رطلا[٢] في قدح . فأُحضرتُ ذلك . واندفعت فريدةُ تغني :

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قُـــدرةٌ عليَّ ولكن ملءُ عينٍ حبيبُهـــا
وما هجرتكِ النفسُ يا ليلَ أنهـــا قلَتكِ[٣] ولا أن قلَّ منكِ نصيبُها

فجاءت ، والله ، بالسحر ، وجعل الواثقُ يُجاذبُها ، وفي خلال ذلك تغني الصوتَ بعدَ الصوت ، وأُغنّي انا في خلال غنائها . فمرَّ لنا أحسنُ ما مر لأحد . فإنّا لكذلك اذ رفع رجلَه فضرب بها صدرَ فريدةَ ضربةً تدحرجت منها من اعلى السرير الى الارض ، وتفتّتَ عودُها ومرّت تعدو وتصيحُ ، وبقيتُ انا كالمنزوع الروح . ولم أشكَّ في أن عينَه وقعت علي وقد نظرتُ اليها ونظرت الي . فأطرقَ ساعةً الى الارض متحيرًا وأطرقتُ اتوقّعُ ضربَ العنُق . فإني لكذلك اذ قال لي : يا محمدُ . فوثبت . فقال : ويحك ، أرأيتَ أغربَ مما تهيّأ علينا . فقلت : يا سيدي ، الساعةَ ، والله ، تخرُجُ روحي . فعلى من أصابنا بالعين لعنةُ الله . فما كان السببُ ؟ ألذنب ؟ قال : لا ، والله . ولكن فكّرتُ أنَّ جعفرا[٤] يقعُدُ هذا المقعدَ ويقعُدُ معَها كما هي قاعدة معي ، فلم أُطق الصبرَ ، وخامرَني ما أخرجَني الى ما رأيتَ . فسُرِّيَ عني وقلت : بل يقتلُ اللهُ جعفرا ، ويحيا امير المؤمنين أبدا ، وقبّلتُ الارض وقلت : يا سيدي ، اللهَ اللهَ ، ارحمها ومُر بردّها . فقال لبعض الخدم الوُقوف : من يجيءُ بها ؟ فلم يكن بأسرعَ من أن خرجت وفي يدها عودُها وعليها غيرُ الثياب التي كانت عليها . فلما رآها جذبَها وعانقها . فبكت وجعل هو يبكي ، واندفعتُ انا في البُكاء ، فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيدي ؟ وبأي شيء استوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتُك بالله ، يا امير المؤمنين ، إلا ضربتَ عنقي الساعةَ وأرحتَني من الفكر هذا ، وأرحتَ قلبَك من الهمِّ بي . وجعلت تبكي ويبكي . ثم مسحا أعينَهما ورجَعت الى مكانها . وأومأ الى خدمٍ

(١) جود في عدوه : أسرع . (٢) رطل : معيار يكال او يوزن به وهو مختلف باختلاف الأزمان والبلدان، والمقصود هنا مقداراً من خمر . (٣) قلتك : جفتك . (٤) المتوكل أخو الواثق .

وُقوف بشيءٍ لا أعرفُه ، فمَضَوا وأحضروا أكياساً فيها عَينٌ وَوَرِقٌ (١) ورُزَماً فيها ثيابٌ كثيرة . وجاء خادم بدُرجٍ فَفَتَحَهَ وأخرجَ منه عِقداً ما رأيتُ قطُّ مثلَ جوهرٍ كان فيه فألبَسَها اياه . وأُحضِرَت بَدرَةٌ فيها عشرةُ آلافِ درهمٍ فجُعِلَت بين يديَّ وخمسةُ تخوتٍ فيها ثيابٌ ، وعُدنا الى أمرِنا والى أحسنِ مما كُنا . فلم نزل كذلك الى الليل ، ثم تفرَّقنا .

وضرب الدهرُ ضَرَبَه (٢) وتَقلَّدَ المتوكِّلُ . فوالله إني لفي منزلي بعدَ يومٍ نوبتِي اذ هجم علي رُسُلُ الخليفة ، فما أمهلوني حتى رَكِبتُ وصِرتُ الى الدار ، فأُدخِلتُ والله الحِجرةَ بعينها ، واذا المتوكِّلُ في المَوضِعِ الذي كان فيه الواثقُ على السرير بعينه والى جانبه فريدةُ ، فلما رآني قال : ويحَكَ ، اما ترى ما انا فيه من هذه ؟ إنّا منذُ غُدوةٍ أطالبها بان تُغنيَّني فتأبى ذلك . فقلت لها : يا سبحانَ الله، أتُخالفين سيِّدَكِ وسيدَنا وسيدَ البشر! بحياته غنِّي . فعرفَت ، والله (٣) ، ثم اندفعت تغني :

فلا تَبعَد فكلُّ فتـــىً سيأتـــي عليه الموتُ يَطرُقُ او يُغـــادي

ثم ضربت بالعود الارضَ ، ثم رمت بنفسها عن السرير ومرَّت تَعدو وتَصيح: واسيِّداه. فقال لي : ويحك ، ما هذا ؟ فقلت : لا أدري ، والله ، يا سيدي . فقال : ما ترى ؟ فقلت : أرى أن انصرفَ انا وتُحضَر هذه ومَعَها غيرُها . فإنَّ الامر يَؤولُ الى ما يُريد اميرُ المؤمنين . قال : انصرِف في حِفظ الله . فانصرفت .

امية بن ابي الصلت

اتفقت العربُ على أن اشعرَ اهلِ المدن اهلُ يَثرِبَ ثم عبدُ القيسِ ثم ثَقيفٌ . وأن أشعرَ ثقيفٍ أميَّةُ بنُ ابي الصَّلت.

كان امية بن ابي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها . ولَبِسَ المُسوحَ (٤) تعبُّداً وحَرَّمَ الخمرَ وشَكَّ في الاوثان. وطَمَع في النبوَّةِ لانه قرأ في الكتب أن نبيَّاً يُبعَثُ من العرب فكان يرجو أن يكونه . فلما بُعِثَ النبيُّ ، قيل له : هذا الذي كُنتَ تستريث (٥) وتقول فيه . وكان اميةُ يُحَرِّضُ قريشا بعد وقعة بدرٍ وكان يَرثي مَن قُتِلَ من قريش .

---

(١) العَين : الذهب المضروب وهو الدنانير . والوَرِق : الدراهم المضروبة من الفضة . (٢) أي ذهب بعضه .
(٣) اي عرفت ما تغني . (٤) المسوح : مفرده مِسح وهو كِساء من شعر ، وثوب الراهب . (٥) تستبطئ .

قال ابو بكرٍ الهذَليُّ لعِكرمةَ[١]. ما رأيتُ مَن يُبلِّغُنا عن النبي أنه قال لاميةَ: « آمَنَ شِعرُه وكَفَرَ قلبُه » . فقال: هو حقٌ . وما الذي انكرتم من ذلك ؟ فقال : انكرنا قولَه :

والشمسُ تَطلُعُ كلَّ آخِرِ ليلةٍ   حمراءَ مَطلَعُ لونِها متَوَرِّدُ
تأبى فلا تبدو لنا في رِسلِها[٢]   إلا معذَّبَةً وإلا تُجلَدُ

فما شأنُ الشمسِ تُجلَد ؟ قال عِكرمة: والذي نفسي بيده ما طَلَعت قطُّ حتى يَنخَسَها سبعون الفَ مَلَكٍ يقولون لها : اطلُعي . فتقول : أأطلُعُ على قومٍ يَعبدونَني من دون الله !

قال : فيأتيها شيطانٌ حينَ تَستقبِلُ الضياءَ يُريد أن يَصُدَّها عن الطلوع ، فتَطلُعُ على قَرنيه ، فَيُحرِقُه اللهُ تحتَها : وما غَرَبت قطُّ إلا خرَّت لله ساجدةً ، فيأتيها الشيطانُ يُريدُ ان يَصُدَّها عن السُجودِ فتَغرُبُ على قَرنيهِ فَيُحرِقُه الله تحتَها . وذلك قول النبي : « تَطلُعُ بين قرني شيطانٍ وتَغرُبُ بين قرنَي شيطانٍ » .

قال الحجَّاج: ذهب قومٌ يَعرِفون شعرَ اميةَ ، وكذلك اندراسُ الكلامِ . قال الأصمعي : ذهب اميةُ في شعره بعامَّةِ ذِكرِ الآخِرة . وذهب عنترةُ بعامَّةِ ذكرِ الحرب ، وذهب عمرُ بنُ ابي ربيعةَ بعامَّةِ ذكرِ الشباب .

عتَب اميةُ على ابن له فأنشأ يقول :

غَذَوتُك مولودا وعُلتُكَ[٣] يافعاً[٤]   تُعَلُّ[٥] بما أجني عليك وتَنهَلُ[٦]
اذا ليلةٌ نابَتك[٧] بالشَكوِ لم أبِت   لشكواك إلا ساهرا أتململُ
فلما بلغتَ السِنَّ والغايةَ التي   اليها مَدى ما كُنتُ فيك أؤَمِّلُ
جَعَلتَ جزائي غِلظةً وفَظاظةً   كأنك انتَ المُنعِمُ المتفضِّلُ

قَدِم اميةُ بنُ ابي الصَلتِ على عبدِ الله بن جَدعانَ فأنشَده : — ج ٨ ص ٣٢٧ و ٣٣١

قومي ثَقيفٌ إن سألتَ وأسرَتي   وبهم أُدافِعُ رُكنَ مَن عاداني
قومٌ اذا نَزَل الغريبُ بدارِهم   رَدُّوه رَبَّ صواهلٍ وقِيانِ[٨]
لا يَنكُتون الارضَ عند سؤالِهم   لِتَلَمُّسِ العِلاَّتِ بالعِيدانِ

وقال يمدح عبد الله بن جدعانَ :

أأذكُرُ حاجَتي ام قد كفاني   حَياؤكَ إن شيمتَك[٩] الحَياءُ

---

(١) عكرمة بن أبي جهل : من الصحابة . (٢) الرفق والتؤدة . (٣) علتك : كفله ورعاه . (٤) يافع : من شارف المراهقة . (٥) تعل : تشرب ثانية . (٦) تنهل : تشرب أولا . (٧) نابتك : اصابتك النائبة . (٨) اي صاحب خيول وجوار . (٩) شيمة: خصلة .

وعِلمُك بالامور وانت قَرمٌ (١) لك الحَسَبُ المهذَّبُ والسَناءُ
اذا اثنى عليك المرءُ يوماً كفاه مِن تعَرُّضِه الثناءُ

وقال فيه :

بَذَّ (٢) المَعاشِرَ كلَّها بالفضل قد علِم المَعاشِرْ
وعلا علُوَّ الشمسِ حتى ما يُفاخِرُه مُفاخِرْ
انت الجَوادُ ابنُ الجوادِ بِكُم يُنافِرُ من يُنافِرْ (٣)

—ج ١٧ ص ٢٣١— لما ظَفرَ سيفُ بنُ ذي يَزَنَ بالحبشةِ اتته وفودُ العرب وأشرافُها وشعراؤها فدخلوا عليه وهو على شَرابه ، وعلى رأسه غلام واقف يَنثُرُ في مَفرِقهِ المِسكَ ، وبين يديه اميةُ يُنشده :

لا يَطلُبُ الثأرَ إلا كابنِ ذي يَزَنِ في البحر خَيَّمَ للأعداءِ أحوالا
اتى هِرَقلَ وقد شالت نعامتُه (٤) فلم يَجِد عنده النصرَ الذي سالا
ثم انتحى نحوَ كِسرى بعد عاشرةٍ من السِنينَ يُهينُ النفسَ والمالا
حتى اتى ببني الاحرارِ يَقدُمُهم تَخالُهم فوقَ مَتنِ الارضِ أجبالا
لله دَرُّهمُ من فتيةٍ صُبُرٍ ما إن رأيتُ لهم في الناس أمثالا
بيضٍ مرازِبَةٍ غُلبٍ أساورةٍ أُسْدٍ تُرَبِّبُ (٥) في الغَيضاتِ أشبالا

بنو الاحرار الذين عناهم امية في شعره هم الفُرسُ الذين قَدِموا مع سيفِ بنِ ذي يَزَنَ وهم الى الانَ يُسمَّون بني الأحرارِ بصَنعاء . ويُسمَّون باليمن الابناءَ ، وبالكوفة الأحامِرَةَ ، وبالبصرة الأساوِرَةَ ، وبالجزيرة الخَضارِمَةَ ، وبالشام الجَراجِمَةَ .

لما مَرِض اميةُ مرضَه الذي مات فيه جعل يقول: قد دنا اجلي، وهذه المَرضةُ مَنيَّتي . وانا أعلَمُ أن الحنيفيَّةَ (٦) حقٌّ ، ولكنَّ الشكَّ يُداخلُني في محمد . ولما دنت وفاتُه أُغميَ عليه ، ثم افاق وهو يقول : لا مالَ يَفديني ولا عَشيرةَ تُنَجِّيني . ثم أُغمي عليه ثم أفاق وهو يقول : لا بريءٌ فاعتذِرُ ولا قويَّ فانتصِرُ ! ثم قضى .

---

(١) قرم : السيد المعظم. (٢) بذ وبز بمعنى واحد : غلب وفاق. (٣) ينافر : يفاخر (٤) هلك أو ضعف كالهالك المحتضَر ، وهو معنى كنائي من حيوية النعامة . (٥) تربت : تربي وتحضن . (٦) الحنيفية : دين ابراهيم . وهو مأخوذ من حنف اي مال وانحرف ، وذاك ان ابراهيم انحرف عن دين أجداده وآبائه وعبد الإله الواحد ودعى إلى الختان . فكان دينه الدين الحنيف .

حسان بن ثابت

هو حَسَّانُ بنُ ثابتِ بنِ المنذرِ ابنِ النَجَّارِابنِ الخَزرَجِ ابنِ يَعرُبَ بنِ قَحطانَ. ويُكنَّى ابا الوليد. وهو من فحول الشعراء. وقد قيل: إنه اشعرُ اهلِ المَدَر(١). وعُمِّرَ مئةً وعشرين سنةً، ستين في الجاهلية، وستين في الاسلام.

كان حَسَّانُ يَخضِبُ شاربَه وعَنفَقَتَه(٢) بالحِنَّاء ولا يَخضِب سائرَ لِحيته. فقال له ابنه عبد الرحمن: يا أبتِ، لِمَ تفعلُ هذا؟ قال: لإكونَ كأني اسدٌ والغٌ في دم(٣).

فَضَلَ حَسَّانُ الشعراءَ بثلاثٍ: كان شاعرَ الأنصارِ في الجاهلية، وشاعرَ النبي في النُبوَّة، وشاعرَ اليَمَنِ كلِّها في الإسلام.

قال النبي ليلةً وهو في سَفَر: اينَ حَسَّانُ بنُ ثابت؟ فقال حَسَّانُ: لَبيَّكَ(٤) يا رسولَ الله وسَعدَيكَ(٥). قال: أُحدُ. فجعل يُنشِد ويُصغي اليه النبيُّ ويستمع. فما زال يستمع اليه وهو سائقٌ راحلَتَه حتى كان رأسُ الراحلة يَمَسُّ الوَرِكَ حتى فَرَغ من نشيده. فقال النبي: لَهذا أشَدُّ من وَقع النَبل.

لما قَدِم وفدُ بني تميمٍ وَضَعَ النبيُّ لحَسَّانَ مِنبَرا وأجلسه عليه وقال: ان اللهَ لَيُؤيِّدُ حَسَّانَ بالروحِ القُدُس ما كافح عن نبيِّه.

قال الزبير: قَدِم على النبي وفدُ بني تميمٍ وهم سبعون او ثمانون رجلا، فقدموا المدينة فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحُجُرات(٦)، فنادَوا بصوت عالٍ جافٍ: اخرُج الينا يا محمدُ، فقد جئنا لنُفاخِرَك، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا. فخرج اليهم فجلس. فقالوا: ايذن لشاعرنا وخطيبنا. فقام عُطارِدٌ وقام ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ وقام الزبرِقانُ.

فأمر النبي حَسَّانَ ان يُجيبَ فقال:

قومٌ اذا حاربوا ضرُّوا عَدوَّهُمُ ... او حاولوا النفعَ في أشياعِهم نَفَعوا
لا يَرقَعُ الناسُ ما أوهت أكفُّهُمُ ... عندَ الرِقاعِ ولا يُوهون ما رَقَعوا
أكرِم بقومٍ رسولُ الله قائدُهم ... اذا تفرَّقَتِ الاهواءُ والشِيَعُ

(١) المدن والحضر. (٢) شعر بين الشفة السفلى والذقن. (٣) مع انه كان موصوفا بالجبن كما سيأتي. (٤) لبيك: استجابة لك بعد استجابة. (٥) سعديك: اسعاداً لك بعد اسعاد. (٦) الحجرات: بيوت النبي التي كانت الحقت بالمسجد.

جاء الحارثُ بنُ عَوفٍ الى النبي فقال: أجِرني من شعر حَسَّانَ . فلو مُزِجَ البحرُ بشعره لمزجه .

اعترض صفوانُ بنُ المُعَطَّلِ حَسَّانَ بنَ ثابتٍ بالسيف وكان داخلا بيتَه فضربه وفَلَقَ إليتَه ، لِما قاله فيه وفي عائشةَ زوجِ النبي من الإفْكِ (١) . وكانت عائشةُ تقول :

لقد سُئِلَ عن صَفوانَ بنِ المُعَطَّلِ فاذا هو حَصورٌ (لا يأتي النساء). فقال حَسَّانُ يعتذر من الذي قال في عائشة :

حَصانٌ رَزَانٌ لا تُزَنُّ بريبَـــةٍ ... وتُصبِحُ غَرثى من لُحوم الغَوافلِ (٢)
فان كُنتُ قد قُلت الذي قد زَعمتُمُ ... فلا رَفعَت سَوطي اليَّ أناملي

كانت صَفيَّةُ بنتُ عبدِ المُطَّلبِ في فارِعٍ (حصن حسان بن ثابت) يومَ الخَندَق . قالت : وكان حسَّانُ معنا والنساءُ والصبيانُ . فمرَّ بنا رجل من يَهودَ فجعل يُطيفُ بالحُصنِ . فقلت : يا حسَّانُ ، ان هذا اليهوديَّ يُطيف بالحُصنِ ، واني والله ما آمَنُه أن يَدُلَّ على عَورتنا مَن وراءنا مِن يَهودَ ، فانزِل اليه فاقتُله . فقال : يَغفرُ اللهُ لكِ يا ابنةَ عبدِ المُطَّلبِ لقد عَرفتِ ما انا بصاحب هذا . قالت : فلما قال ذلك ولم أرَ عنده شيئا احتجزتُ (٣) ثُم اخذتُ عَمودا ونَزلتُ اليه من الحُصن فضربتُه بالعَمود حتى قتلتُه . فلما فرغتُ منه رجعَتُ الى الحُصن فقلت : يا حَسَّانُ ، انزِل اليه فاسلُبه ، فانه لم يَمنعني من سَلَبِه الا أنه رجل . قال : ما لي بسلبه من حاجةٍ يا بنتَ عبد المطَّلب .

انشد حسَّانُ الرسولَ :

لقد عَدَوتُ امامَ القومِ مُنتَطِقـــا (٤) ... بصارمٍ مثلِ لون المِلحِ قَطَّـــاعِ

فضَحِكَ الرسول: فظن حسَّانُ أنه ضَحِكَ من صفته نفسَه مع جُبنِه .

قال حسان في وقعة بدرٍ يَفخَرُ بهـــا ويُعيِّرُ الحارثَ بنَ هِشام بفِراره عن اخيــه ابي جهلِ بنِ هشامٍ :

تَرَكَ الاحبَّةَ أن يُقاتِلَ دونَهـــم ... ونجا برأس طِمِرَّةٍ (٥) ولِجـــامِ

فأجاب الحارث :

اللهُ يَعلَم ما تركتُ قِتـالَهـــم ... حتى رَمَوا فرسي بأشقرَ مُزبِدِ (٦)

---

(١) يعني بالإفك الحديث الذي تخرَّصه قوم على عائشة وكان ذلك عقب غزوة غزاها النبي كان يستصحب فيها عائشة . فحدث انه أمر بالرحيل وكانت عائشة منطلقة لبعض شأنها ، فأمر بهودجها فحمل على بعيره وظن القوم انها فيه ولم تكن فيه . فلما رجعت عائشة إلى الهودج ألفت النبي واصحابه قد ارتحلوا . فمكثت مكانها حتى عثر بها صفوان بن المعطل . فرجعها إلى المدينة . فأرجف بها الناس ورمَوها بالإفك ، وكان منهم حسان بن ثابت . (٢) امرأة حَصان : عفيفة بينة الحصانة . رزان : رزينة في مجلسها . الغرثى : الجائعة اي انها لا تصبح جائعة إلى لحوم الناس الغوافل اي لا تغتابهم . (٣) شدت رداءها على وسطها . (٤) منتطق : متحزم بمنطقة السيف . (٥) الانثى من الجياد الطويلة القوائم الخفيفة . (٦) الأشقر : الدم ، والمزبد البياض الذي يعلوه .

فَفَرَرتُ منهم والاحبَّــةُ فيهـــمِ طَمَعا لهم بعِقــابِ يومٍ مُرصَدِ

وأنشدوا هذا البيت رَتبيلَ التُركيَّ ، فقال : يا معشرَ العرب ، حسَّنتم كلَّ شــيءٍ حتى حسَّنتم الفِرا ر !

قَدِم عبدُ الله بنَ جعفرِ بنِ ابي طالب على معاويةَ وافدا. فدخل عليه انسان ثم ذهب الى معاويةَ فقال : هذا ابنُ جعفرٍ يَشرَبُ النبيذَ ويَسمَعُ الغِناء ويُحرِّكُ رأسَه عليه . فجاء معاويةُ متغيِّرا حتى دخل على ابن جعفر ، وعَزَّةُ المَيلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة في كِواءِ[١] البيتِ يُضيءُ بها البيتُ تُغنّيه على عودها :

تَبَلَت[٢] فؤادَك في الظلام خَريدةٌ[٣] تَشفي الضجيعَ ببارِدٍ بَسّــامِ

وبين يديه عُسٌ ،[٤] فقال: ما هذا يا جعفرُ؟ فقال : أقسمتُ عليك يا أميرَ المؤمنين لَتَشرَبَنَّ منه . فاذا عَسلٌ مَجدوحٌ[٥] بمِسكٍ وكافورٍ . فقال : هذا طَيِّب . فما هذا الغِناء؟ قال : هذا شِعرُ حسَّانَ بنِ ثابت . قال: فهل تُغنّي بغير هذا؟ قال: نعم بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيُّ الجافي الأدفَرُ[٦] القبيحُ المنظر فيُشافهُك به فتُعطيه عليه ، وآخذُه انا فاختارُ مَحاسنَه ورقيقَ كلامه فأعطيه هذه الحَسَنَةَ الوجه ، اللَيِّنَةَ اللَمسِ ، الطيِّبةَ الريحِ فترُتِّلهُ بهذا الصوت الحَسَن . قال : فما تَحريكُكَ رأسَك؟ قال : أريَحيَّةٌ أجدُها اذا سَمعتُ الغناءَ لو سُئِلتُ عندَها لأَعطَيتُ ، ولو لَقيتُ لأَبلَيتُ . فقال معاوية : قَبَّحَ اللهُ قوما عَرَّضوني لك . ثم خرج وبعث اليه بصِلَة .

ــج١٥ ص١٥٧ ــ قال حسَّان: اتيتُ جَبَلَةَ بنَ الأيهَمِ الغَسَّاني وقد مدحتُه، فأَذِن لي، فجلست بين يديه، وعن يمينه رجل له ضفيرتان، وعن يَساره رجل لا أَعرِفه، فقال: أتعرف هذين؟ فقُلت: اما هذا فأعرِفه، وهو النابغة. واما هذا فلا اعرفه. قال: فهو عَلقَمَةُ بنُ عَبدَةَ[٧] فإن شِئتَ استنشدتَهما وسمِعتَ منهما ، ثم إن شِئتَ أن تُنشِدَ بعدَهما أنشدتَ . وإن شِئتَ ان تَسكُتَ سَكَتَّ . قلت : فذاك .

فأنشده النابغة :

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمةَ نــاصِبِ وليلٍ أُقاسيه بطيءِ الكواكـبِ

فذهب نِصفي . ثم قال لعلقمةَ : أنشِد ، فأنشد :

طَحا بك قلبٌ في الحِســانِ طَروبُ بُعَيدَ الشبابِ عصرَ حانَ مَشيبُ[٨]

فذهب نِصفي الآخَرَ . فقال لي : انت أعلمُ ، الانَ ، إن شِئتَ ان تُنشِدَ بعدَهما انشدتَ ، وان شِئتَ انَ تَسكُتَ سكتَّ . فتشد دتُ ثم قُلت : لا بل أُنشِدُ . قال : هات .

---

(١) جمع كوة . (٢) أسقمته . (٣) البكر الحيية . (٤) القدح الكبير . (٥) مخلوط .
(٦) الغليظ المنتن . (٧) راجع اخبار علقمة الفحل وامرىء القيس الجزء ــ٢١ــ . (٨) طحابه : ذهب به في كل مذهب .

فأنشدته :

أسألتَ رسمَ الدارِ ام لم تسألِ بينَ الحَواني فالبَضيعِ فحومَلِ

منها :

للهِ درُّ عِصابةٍ (١) نادمتُها يوماً بجِلّقَ في الزمانِ الأولِ
اولادُ جَفنةَ عندَ قبرِ ابيهمِ قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ
يَسقُون مَن وردَ البريصَ (٢) عليهمُ كأسا تُصفَّقُ (٣) بالرَّحيقِ السَلسَلِ
يُغشَوْن حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم لا يَسألون عن السَّوادِ المُقبِلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الانوفِ مِنَ الطِّرازِ الأولِ

ومنها :

ان التي عاطيتَني فرَددتُها قُتِلَت ، قُتِلتَ، فهاتِها لم تُقتَلِ
كِلتاهما حَلَبُ العصيرِ فعاطِني بزُجاجةٍ أرخاهما للمِفصَلِ

فقال لي : ادنُهْ ادنه . بعَمري ما انت بدونِهما . ثم أمر لي بثلاثمئةِ دينارٍ وعشرةِ أقمصةٍ لها جَيبٌ واحد .

ويُروى : للمِفصَل وللمَفصِل . المِفصَل : واحد المفاصل . والمَفصِل : هو اللسان . وقولُه : قُتِلت ، يعني مُزِجت بالماء . وقوله : كلتاهما حلب العصير : يعني به الخمرَ ومِزاجَها . فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب .

جَبَلَة بن الأَيهم وعمر بن الخطاب

لما اسلم جَبَلةُ بنُ الايهمِ الغسانيُّ وكان من ملوك آلِ جَفنةَ ، كتب الى عمرَ يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له ، فخرجَ اليه في خمسمئةٍ من اهل بيته ، حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى عمر يُعلِمُه بقدومه ، فسُرَّ عمر بقدومه وامرَ الناسَ باستقباله وبعث اليه بأنزالٍ (٤) . وامر جبلةُ

(١) عصابة جماعة : (٢) نهر بدمشق . (٣) تصفق : تمزج . (٤) جمع نزل وهو ما يهيأ للضيف ان ينزل عليه .

مثّي رجلٍ من اصحابه فلَبسوا الديباجَ والحريرَ وركبوا الخيولَ معقودةً اذنابُها، وألبسوها قلائدَ الذهب والفضة . ولبس جَبَلةُ تاجَه وفيه قرطا ماريةَ — وهي جدّتُه — ودخل المدينة، فلم يبقَ بها بكرٌ ولا عانسٌ[1] الا تبرّجت[2] وخرجت تنظر اليه والى زيّه . فلما انتهى الى عمرَ رحّب به وألطفَه وادنى مجلسَه . ثم اراد عمرُ الحجَّ فخرج معه جَبَلةُ . فبينا هو يطوف بالبيت ، اذ وَطيءَ إزارَه رجل من بني فَزارةَ فانحلَّ . فرفع جبلةُ يدَه فهشَمَ انفَ الفزاري . فاستعدى عليه عمرَ . فبعث الى جبلةَ فأتاه فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين ، انه تعمد حَلَّ إزاري ، ولولا حرمةُ الكعبة لضربتُ بين عينيه بالسيف . فقال له عمر : قد أقررتَ . فإما أن رَضيَ الرجلُ واما أن أقيدَه[3] منك . قال جبلة : ماذا تصنع بي ؟ قال : آمرُ بهشمِ انفك كما فعلتَ . قال : وكيف ذاك يا امير المؤمنين ، وهو سُوقَةٌ وانا مَلِكٌ . قال : ان الإسلامَ جمعَك واياه ، فلستَ تَفضُلُه بشيء الا بالتُقى والعافية . قال جبلةُ : قد ظننتُ يا امير المؤمنين أني اكون في الاسلام اعزَّ مني في الجاهلية . قال عمر : دَع عنك هذا ، فإنك إن لم تُرضِ الرجلَ أقَدتُه منك . قال : اذاً أتنصَّر . قال : إن تنصَّرتَ ضربتُ عُنُقَك ، لانك قد أسلمتَ ، فان ارتددتَ قتلتُك . فلما رأى جبلةُ الصدقَ من عمر قال : انا ناظر في هذا ليلتي هذه . وقد اجتمع بباب عمرَ من حيٍّ هذا وحيٍّ هذا خَلقٌ كثير حتى كادت تكون بينهم فتنةٌ . فلما أمسَوا أذن له عمرُ في الانصراف ، حتى اذا نام الناسُ وهدَأوا تحمَّل جَبَلَةُ بخيله ورواحله الى الشام ، فأصبحت مكة وهي منهم بَلاقِعُ[4] . فلما انتهى الى الشام تَحمَّل في خمسمئة رجلٍ من قومه حتى اتى القسطنطينيةَ ، فدخل الى هِرَقلَ ، فتنصَّر هو وقومُه ، فسُرَّ هِرَقلُ بذلك وظن أنه فتحٌ عظيم ، وأقطعَه حيث شاء .

الأحوص

اسمه عبدُ الله بن محمد من الأوس ، ومن الأنصار . ولُقِّب الاحوصَ لحَوَصٍ[5] كان في عينيه ، وكنيتُه ابو محمد . كان قليلَ المروّةِ والدينِ هَجّاءً للناس مأبوناً[6] . لشعره رونقٌ وديباجةٌ صافيةٌ وحلاوةٌ وعُذوبةُ الفاظٍ .

قدِم الفرزدقُ المدينةَ ثم خرج منها ، فسُئل عن شعرائها ، فقال : رأيت بها شاعرين وعجبت لهما : احدُهما أخضرُ (يريد ابنَ هَرمةَ) والآخرُ أحمرُ (يريد الاحوص) .

---

(١) من تخطت سن الزواج ولم تتزوج . (٢) تبرجت : تزينت . (٣) القَوَد : القصاص والجزاء من جنس العمل . (٤) بلاقع : مفردها بلقع أي القفر الخالي . (٥) ضيق في مؤخر العينين . (٦) يتهم بالفحشاء .

وفد الاحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه ، فأنزله منزلا وأمر بمطبخه أن يُمالَ عليه . فكان الاحوصُ يُراود(١) وُصَفاءَ للوليد خبازين عن أنفسهم. فأرسل به الوليد إلى ابن حَزمٍ بالمدينة وأمره ان يجلدَه مئةً ، ويَصُبَّ على رأسه زيتاً . ويُقيمَه على البُلُسِ (٢) . ففعل ذلك به . فكان يصيح ويقول :

مـا مـن مُصيبةِ نَكبةٍ أُمنَى بهـا ... إلا تُشرِّفُنـي وتَرفعُ شانـي
إني إذا خَفيَ اللئامُ رأيتَنـي ... كالشمسِ لا تَخفـى بكل مكـانِ

كان الاحوص يَنسُبُ بنساءٍ ذواتِ أخطارٍ(٣) من أهل المدينة ، ويتغنى في شعره معبدٌ ومالكٌ ، ويَشيعُ ذلك في الناس .

ومما قاله :

فما هو إلا أن أراهـا فُجـاءةً ... فأُبهتَ حتى مـا أكـادُ أُجيـبُ

وقوله :

كأنَّ لُبنى صَبيرُ (٤) غاديـةٍ ... أو دُميةٌ زُيِّنت بهـا البِيَـعُ
اللهُ بيني وبين قَيِّمهـا ... يَفِرُّ منـي بهـا وأَتَّبِـعُ

فنُفي إلى دَهلَكَ . ـ وهي جزيرة في البحر الأحمر ـ كان بنو أمية إذا سَخطوا على أحد نَفَوه إليها . فمكث هناك سلطانَ سليمانَ بنِ عبد الملك وولايةَ عمرَ بنِ عبد العزيز وصَدراً من ولاية يزيدَ بنِ عبد الملك .

فبينا يزيد وجاريته حَبابَةُ ذاتَ ليلةٍ على سطحٍ تُغنّيه بشعر الاحوص :

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والـذي ... أقرَّت له بالمُلـكِ كَهـلا وأمـرَدا
أهان تِلادَ (٥) المالِ في الحمـد إنـه ... إمـامُ هُدًى يَجري على ما تعـوَّدا
تَشَرَّفَ مجـداً من أبيـه وَجَـدّه ... وقـد ورِثـا بُنيانَ مجـدٍ تَشيَّدا

فقال يزيد : مَن يقول هذا الشعر . فقالت : لا ، وعينيك ، ما أدري فقال : ابعثوا إلى ابن شِهابٍ الزُّهري . فأتى فقال له : مَن يقول هذا الشعر؟ قال : الاحوصُ يا أمير المؤمنين . قال : ما فعل؟ قال : قد طال حبسُه بدَهلَكَ . فأمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربعَمئةِ دينارٍ . فأقبل الزُّهريُّ إلى قوم من الأنصار فبشَّرهم بذلك .

قيل للفرزدق : يا أبا فراس ، من أنسبُ الناس؟ قال : الذي يقول :

يا لَلرجـالِ لِوجـدِكَ المتجـدِّدِ ... ولِما تُؤمِّـل مـن عَقيلـةَ في غدِ

---

(١) يراود : يستنزل المرء عما يصون من نفسه . (٢) جمع بلاس وهي غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه . (٣) ذوات أخطار : صاحبات شأن ومنزلة . (٤) السحاب الابيض . والغادية : تنشأ غدوة . (٥) تلاد ما نتج عندك من قديم مالك .

— يقال: يا لَلرجال ويا لِلرجال . وفي الحديث أن عمرَ صاح لما طُعِن : يا لَلّهِ يا لِلمسلمين . لام الاستغاثة تُفتح مع المستغاث وتُكسَر مع المستغاث لأجله . وإذا دخلت على ضمير ، مثل : يا لك ، فُتحت دائماً، وكُسِرت مع ياء المتكلم ، وحينئذ يَحتمل الكلامُ الأمرين: فيكون الضمير إما مستغاثا واما مُستغاثاً لأجله . —

لي ليلتـــانِ فليلـــةٌ مَعسولـــةٌ ألقَى الحبيبَ بها بنَجمِ الأسعُـدِ (١)
ومُريحـــةٌ هَمِّـــي علـــيَّ كأنـــني حتّى الصباحِ مُعلَّقٌ بالفَـرقـدِ

قالوا : ذاك الاحوص . قال : ذاك هو .

وإن حَمَّاداً كان يُقدِّمُ الاحوصَ في النسيب.

أنشَدَ إنسانٌ ، عند ابراهيمَ بنِ هِشامٍ وهو والي المدينةِ ، قولَ الاحوص :

سَقياً لربعـكِ مـن ربـعٍ بذي سَلَمٍ وللزمانِ بـه اذ ذاك مـن زمـنِ
اذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيـــةٌ واذ أجُرُّ إليكم سادِراً(٢) رَسَـني

فوثب أبو عبيدةَ بنُ عَمَّارٍ قائماً ثم أرخى رِداءَه ومضى يمشي على تلك الحالِ حتّى بلغ العَرضَ (٣) ثم رَجَع . فقال له ابراهيمُ بنُ هشامٍ حين جلس: ما شأنُك ؟ فقال : أيها الأميرُ ، إني سمِعت هذا البيتَ مرةً فأعجبني ، فحلَفت لا أسمعُه إلا جررتُ رسَني .

ومما قاله الاحوص :

ثِنتـــانِ لا أدنـــو لوصلِهمـــا عِرسُ الخليـــلِ وجـــارةُ الجَنـــبِ
أما الخليـــلُ فلست فاجِعَــــهُ والجارُ أوصاني بـــه ربّـــي

وقوله :

وليس خليلي بالمَلـــولِ ولا الـــذي اذا غِبتُ عنه باعَني بخليـــلِ
ولكن خليلي من يدومُ وِصـــالُه ويَحفَظُ سِري عندَ كلِّ دخيـــلِ

وقوله :

اذا قُلتُ إني مُشتَفٍ بلِقائـــها فَحُمَّ(٤) التّلاقي بينَنا زادني سُقما

وقوله :

ادعو الى هجرهـــا قلبي فيَتبَعُـــني حتّى اذا قلت هذا صادِقٌ نَزَعا(٥)

---

(١) نجم الاسعد : يطلق على عشرة : سعد بلع، سعد الأخبية، سعد الذابح، سعد السعود ، سعد ناشرة، سعد الملك، سعد البهام ، سعد الهمام ، سعد البارع ، سعد مطر . وهي منازل للقمر يقصر فيها الليل ـ يريد ان لقاء الحبيب يجعل الليل قصيراً كانه في منازل نجم الاسعد . (٢) سادر : لا يهتم ولا يبالي . (٣) العرض : الوادي فيه زروع ونخل .
(٤) حم : قرب . (٥) نزع : عصى وخرج من الطاعة .

كم من دَنيٍّ لها قد صِرتُ اتبَعُه ... ولو سلا القلبُ عنها صار لي تَبِعا
وزادني كَلَفا في الحُب أن مُنِعت ... وحَبُّ شيءٍ الى الانسان ما مُنِعا(١)

لما أكثرَ الا حوصُ في ذكرام ِجعفرٍ ، جاءت مُتنقِّبَةً(٢) فوقفت عليه في مجلس قومه وهو لا يَعرِفُها ، وكانت امرأةً عفيفةً . فقالت له : إقضِ ثَمَنَ الغَنَم التي ابتعتَها مني . فقال : ما ابتعتُ منك شيئا . فأظهرَت كتابا قد وَضعَته عليه وبكت وشكت حاجةً وضرًّا وفاقةً وقالت : يا قومُ ، كَلِّموه . فلامَه قومُه وقالوا : اقضِ المرأةَ حقَّها . فجعل يَحلِفُ أنه ما رآها قَطُّ ولا يعرِفها . فكشفت وجهها وقالت : ويحك ! اما تَعرِفُني ! فجعل يَحلِفُ مجتهداً أنه ما يعرِفها ولا رآها قطُّ ، حتى اذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُروا وسَمِعوا ما دار وكثُر لَغطُهم واقوالُهم قامت ثم قالت: ايُّها الناس. اسكُتوا . ثم اقبلت عليه وقالت : يا عدوَّ الله ، صَدَقتَ . واللهِ ما لي عليك حقٌّ ولا تَعرِفُني . وقد حَلَفتَ على ذلك وانت صادق . وانا امُ جعفر . وانت تقول : قلتُ لام ِجعفر ، وقالت لي ام جعفر في شعرك. فخجل الاحوص وانكسر عن ذلك وبَرِئَت عندَهم .

من اقواله في ام جعفر :

لقد صَنَعَت معروفَها امُ جعفرٍ ... وإني الى معروفِها لَفقيرُ
أدورُ ولولا أن أرى امَّ جَعفَرٍ ... بابياتِكم ما دُرتُ حيثُ أدورُ
أزور البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها ... وقلبي الى البيتِ الذي لا أزورُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكنَّ ذا الهوى ... اذا لم يَزُر لا بُدَّ أن سيزورُ

وقوله فيها :

واني لَيَدعوني هَوَى ام جعفرٍ ... وجاراتِها من ساعةٍ فأُجيبُ
وإني لآتي البيتَ ما أن أحبُّه ... وأُكثِرُ هجرَ البيتِ وهو حبيبُ
هبيني آمرءًا إما بَريئاً ظلمتِه ... وإما مُسيئا مُذنبا فيَتوبُ
وما زِلتُ من ذِكراكِ حتى كأنني ... أميمٌ بأفياءِ الديارِ سَليبُ(٣)

اجتمع نِسوةٌ عندَ امرأةٍ من اهل المدينة فقُلن : أرسِلي الى الاحوصِ فإنا نُحبُّ ان نتحدثَ معه ونَسمعَ من شعره. فارسلتْ اليه رسولاً يذكر له امرَهن ويقول أن يأتيهن مُخَمَّرَ(٤) الرأسِ ، ففعل . فقال قصيدة ، منها :

---

(١) اورد النحويون هذا البيت شاهدا على ان « حَب » افعل تفضيل مثل خير وشر ، الا ان حذف الهمز فيها هو الكثير والحذف في أحب قليل . (٢) متنقبة : مسدلة النقاب (٣) اميم : المشجوج شجة تبلغ أم الرأس فيهذي صاحبها سليب : مسلوب العقل . (٤) واضع الخمار .

خَمسٌ دَسَسنَ اليَّ في لَطَـفٍ حُورُ العيونِ نواعمٌ زُهـــرُ
فطَرَقتُهـــن مع الجَـــريِّ وقـــد نام الرقيبُ وحلّقَ النَســـرُ (١)
مُستبطِناً (٢) للحيِّ اذ فَزعـــوا عَضباً يَلوحُ بمَتنِه الأثـــرُ (٣)

قال حبيبُ بنُ ثابت: صَدرتُ الى العقيق ، فخلا لي الطريق ، فأنشدتُ أبياتَ الاحوص هذه ، وعجوزٌ سوداءُ قاعدةٌ ناحيةً تسمع ما اقول ولا أشعُرُ بها فقالت: كَذَبَ والله يا سيدي، إن سيفَه ليلتَئذٍ لَعَرجونٌ (٤) مِرطابٌ يتخصَّر به، واني لرسولُهن اليه .

– ج ٢١ ص ١١٠ – وقال يمدح عمرَ بنَ عبد العزيز :

يا بيتَ عاتِكةَ الـــذي أتَعزَّلُ (٥) حذَرَ العِدى وبه الفؤادُ مُوكَّـــلُ
اصبحتُ امنحُكِ الصُدودَ وإنـــني قَسَماً اليكِ مع الصَدودِ لأميـــلُ
وتَجنُّبي بيتَ الحبيـــبِ أودُّه أُرضي البغيضَ به ، حديثٌ مُعضِلُ
أودى الشبابُ وأخلقَت (٦) لذّاتُـــه وأنا الحزينُ على الشبابِ ، المُعـــوِلُ

ثم يقول :

وأراكَ تفعلُ ما تَقولُ وبعضُهُـــم مَذِقُ الحديثِ يقول ما لا يَفعلُ (٧)
وارى المدينةَ حين صِرتَ اميرَهـــا أمِنَ البريءُ بها ونام الأعـــزَلُ

قيل إن الاحوص سرق ابياتَ سليمانَ بنِ ابي دُبا كِيلٍ بأعيانها فأدخلها في شعره وغيَّر قوافيَها فقط . وهذه قصيدة سليمان :

يا بيتَ خنســـاءَ الذي اتجنَّـــبُ ذهب الشباب وحُبُّها لا يَذهَـــبُ
اصبحتُ امنحكِ الصُدودَ وإنـــني قَسَما اليك مع الصَدودِ لأجنَـــبُ
وارى العـــدوَّ يودُّكم فـــأودُّه إن كان يُنسَبُ منكِ أولا يُنسَـــبُ
وأُحالفُ الواشين فيكِ تَجَمُّـــلا وهمُ عليَّ ذوو ضغائنَ دُؤَّبُ (٨)
ثم اتخذتُهمُ عـــليَّ وليجـــةً حتى غضِبتِ ومثلُ ذلك يُغضِبُ (٩)

قال الزبير : إن المنصور امر الربيعَ ، لما حج ، ان يُسايرَه برجل يَعرِف المدينةَ واهلَها وطُرُقَها ودُورَها وحيطانَها . وكان رجل من اهلها قد انقطع الى الربيع ازماناً ، وهو رجل من الانصار .

(١) الطروق : الزيارة ليلا . الجَرِيّ : الرسول . النسر : نجم . (٢) مستبطنا : والجاً باطن الحي . (٣) العضب : السيف . الأثر ، بفتح الهمزة : فرنده اللماع ورونقه . (٤) اصل العذق المتعوج الذي يبقى على النخل (٥) اتعزل : اتجنب . (٦) أخلقت : بليت . (٧) مذق اللبن : مزجه بالماء . مذق الود : شابه بكدر. رجل مَذِق الحديث : حديثه غير خالص . (٨) جمع دائب . دأب : جد وتعب . (٩) الوليجة: بطانة الانسان وخاصته الذين يلجون بيته .

فقال له : تَهَيَّأْ ، فاني أظنُ جَدَّك[١] قد تحرك . ان امير المؤمنين قد امرني أن أُسايرَه برجل يعرف المدينةَ وأهلَها وطرُقَها ودُورَها ، فتحرَّ[٢] مُوافقتَه ، ولا تَبتدئه بشيء حتى يسألَك ، ولا تَكتُمه شيئا ، ولا تسأله حاجةً . فغدا عليه بالرجل ، وصلى المنصور فقال : يا ربيعُ ، الرجلَ . فقال : ها هوذا . فسار معه يُخبره عما سأل ، حتى نَدَرَ[٣] من ابياتِ المدينة . فأقبل عليه المنصور فقال : من انت اولا ؟ فقال : مَن لا تَبلُغه معرفتُك . فقال : فما لك من الاهل والولد ؟ فقال : والله ما تزوجت ، ولا عندي خادم . قال : فأين منزلُك ؟ قال : ليس لي منزل . قال : فان امير المؤمنين قد امر لك باربعةِ الافِ درهمٍ . فرمى بنفسه فَقَبَّل رجلَه . فقال : اركَب . فركب . فلما اراد الانصراف قال للربيع : يا ابا الفضل ، قد امر لي اميرُ المؤمنين بصلة . قال : إيهٍ . قال : إن رأيتَ أن تُنجِزَها لي . قال : هيهاتِ . قال : فَأَصنعُ ماذا ؟ قال : لا ادري والله . فقال الفتى : هذا هَمٌّ لم يكن في الحساب . ثم قال المنصور للربيع : ما فعل الرجل ؟ قال : حاضر . قال : سايِرنا به الغَداةَ . ففعل . وقال له الربيع : انه خارج بعدَ غد . فاحتَل لنفسك ، فإنه والله ، إن فاتَك ، فإنه آخرُ العهدِ به . فسار معه ، حتى انتهى الى مسيره ، ثم رجع وهو كالمُعرِضِ عنه ، فلما خاف فوتَه أقبَل عليه فقال : يا امير المؤمنين ، هذا بيتُ عاتكةَ . قال : وما بيتُ عاتكة ؟ قال : الذي يقول فيه الاحوص :

يا بيتَ عاتكةَ الذي أَتَعَزَّلُ .

قال : فَمَهْ[٤] قال : انه يقول فيها :

وأراكَ تَفعلُ ما تقول وبعضُهم ... مَذِقُ الحديثِ يقولُ ما لا يَفعلُ

فضحك المنصور وقال : قد ، وأبيك ، أذكرتَ بنفسك ، قاتَلَك اللهُ ما أطرفَك. يا ربيعُ أَعطه الفَ درهم . فقال : يا امير المؤمنين ، انها كانت اربعةَ الافِ درهم . فقال له : الفٌ يَحصَلُ خيرٌ من اربعةٍ لا تَحصَلُ .

ومن أشعار الاحوصى التي يغنى بها : ج ٨ ص ٢٠٠

انما الذَلفاءُ همي ... فليَدَعْني مَن يلومُ
أحسنُ الناسِ جميعاً ... حينَ تمشي وتقومُ
حَبَّب الذلفاءَ عندي ... مَنطِقٌ منها رخيمُ
أَصِلُ الحبلَ لترضى ... وهي للحبل صَرومُ
حبُّها في القلب داءٌ ... مستكِنٌ لا يَريمُ[٥]

(١) حظك . (٢) فتحر : فالتمس الأحرى بموافقته . (٣) خرج . (٤) مه : انكف .
(٥) رام يريم المكان : زال عنه وفارقه .

الدلال

اسمه ناقد وكِنيته ابو زيد ، مَدَني مَولى بني فَهم .

قال اسحاق : لم يكن في المخنَّثين أحسنُ وجها ولا أنظفُ ثوبا ولا اظرفُ من الدلال . وهو احدُ مَن خصاه ابن حزم . فلما فعل ذلك به قال : الانَ تم الخنَث .

قال اسحاق : ما ذكرتُ الدلالَ قطُّ إلا ضَحكتُ لكثرة نوادره . فكان اذا تكلم أضحك الثكلى . ولم يكن يُغنّي إلا غِناءً مُضعفًا اي كثيرَ العَمَل .

كان الدلالُ مبتلىً بالنِساء والكون معَهن . وكان يُطلَب فلا يُقدَر عليه. وانما لُقِّب بالدلال لشَكله وحُسن دَلّه وظَرفه وحلاوة مَنطِقه وحُسن وجهه وإشارته . وكان مشغوفا بمُخالطة النساء ووصفِهن للرجال . وكان مَن أراد خِطبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها . فلا يزال يَصِف له النساء واحدةً فواحدة حتى ينتهي الى وصف ما يُعجبه . ثم يتوسط بينه وبين من يُعجبه منهن حتى يتزوجَها . فكان يُشاغِلُ كلَّ مَن جالَسه عن الغناء بتلك الأحاديثِ كَراهةً منه للغناء .

قال الجوهري : كان سببُ ما خُصي له المُخَنَّثون بالمدينة أنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كان في نادية له يَسمُر ليلةً على ظهر سطح ، فتفرَّق عنه جُلَساؤه . فدعا بوُضوءٍ فجاءت به جارية له . فبينا هي تَصُبُّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرتين أو ثلاثةً ، فلم تَصُبَّ عليه . فأنكر ذلك ، فرفع رأسه ، فاذا هي مُصغِيةٌ بسَمعها الى ناحيةِ العسكرِ ، واذا صوتُ رجل يغني ، فأنصتَ له حتى سمع جميعَ ما تغنى به . فلما أصبح أذِنَ للناس . ثم أجرى ذِكرَ الغناء ، فليَّن فيه حتى ظنَّ القومُ أنَّه يَشتهيه ويُريده . فأفاضوا فيه بالتسهيل وذِكرِ مَن كان يُسمِعُه . فقال سليمان : فهل بَقي احدٌ يُسمَعُ منه الغِناءُ ؟ فقال رجل : عندي ، يا امير المؤمنين ، رجلان من اهل أيلَةَ [١] مُجيدان مُحكِمان . قال : واين منزلُك ؟ فأومأ الى الناحية التي كان الغناءُ منها . قال : فابعَث اليهما . ففعل . فوجد الرسولُ احدَهما فأدخله على سليمان . فقال : ما اسمُك ؟ قال : سُمَير . فسأله عن الغناء ، فاعترف به . فقال : متى عهدُك به ؟ قال : الليلةَ الماضيةَ . قال : واين كُنتَ ؟ فأشار الى الناحية التي سمِع سليمانُ منها الغناءَ. قال: فما غنَّيتَ به؟ فأخبره الشعرَ الذي سمعه سليمان . فأقبل على القوم فقال : هدَرَ الجمَلُ فضَبَعت [٢] الناقةُ . ونَبَّ [٣] التيسُ فشَكرَت [٤] الشاةُ .

(١) أيلات مدينة على العقبة . (٢) اشتهت الفحلَ . (٣) صاح عند الهياج . (٤) امتلأ ضرعها اي حنت .

وهَدَل الحَمامُ فزافت (١) الحَمامةُ ؛ وغنّى الرجل فطَربت المرأةُ . ثم امر به فخُصي . وسأل عن الغناء اين أصلُه ؟ فقيل : بالمدينة في المُخنَّثين المغنِّين . فتتبَّعَهم ابنُ حَزم ٍ فخصى منهم تسعةً ، منهم الدلالُ . وقال بعضهم حين خُصي : سَلِم الخاتن والمختون . هذا كلام يقوله الصبيُّ اذا خُتِن .

وهذا ما غناه سُمَير الأيلي :

محجوبةٌ سمِعت صوتـــي فأرَّقَهـــا ... من آخرِ الليلِ حتى شفَّها (٢) السَهَرُ

لم يَمنعِ الصوتَ ابوابٌ ولا حَرَسٌ ... فدمعُها لطُروقِ اللحنِ يَنحدِرُ (٣)

لو خُلِّيت لمشت نحوي على قَـــدَمٍ ... تَكادُ من رِقّةٍ للمشيِ تَنفَطِرُ (٤)

قال النوفلي: صلّى الدلال المُخَنَّثُ الى جانبي في المسجد، فضَرَط ضرطةً هائلةً سمعها مَن في المسجد . فرفعنا رؤوسَنا وهو ساجدٌ وهو يقول في سجوده رافعا بذلك صوتَه : سَبَّحَ لك أعلايَ وأسفلي. فلم يبقَ في المسجد احدٌ الا فُتِن(٥) وقَطَعَ صلاته بالضَحك .

قال المدائني : اختصم شيعيٌّ ومُرجِيءٌ (٦) فجعلا بينهما اولَ من يَطلُع . فَطَلَع الدلال ، فقالا له : ابا زيدٍ ، ايُّهما خيرٌ ، الشيعيُّ ام المُرجِيءُ ؟ فقال : لا ادري ، إلا أن أعلايَ شيعيٌّ وأسفلي مُرجِيءٌ .

حدَّث اسحاق قال: قدِم مخنَّثٌ من مكةَ يُقال له مُخَّةُ ، فجاء الى الدلالِ فقال : يا ابا زيد ، دُلَّني على بعض مخنَّثي اهلِ المدينة أُكايدُه وأُمازحُه ثم أُجاذبُه . قال : قد وجدتُه لك — وكان خُثَيمُ بنُ عِراكٍ صاحبَ شُرطةٍ ، وقد خرج في ذلك الوقتِ ليُصلّي في المسجد — فأومأ الى خُثَيمٍ فقال: الحقه في المسجد ، فإنه يقوم فيه فيصلّي ليُرائيَ الناسَ فإنك ستَظفرُ بما تُريد منه. فدخل المسجدَ وجلس الى حيثُ ابنُ عِراكٍ فقال : عَجِّلي بصلاتك ، لاصلّى اللهُ عليك . فقال خُثَيم : سُبحانَ الله . فقال المخنثُ : سَبَّحتِ في جامعة (٧) قَرّاصة ، انصرفي حتى أتحدَّث معكِ . فانصرف خُثَيمٌ من صلاته ودعا بالشُرَطِ والسِياط فقال : خذوه . فأخذوه . فضربه مئةً وحبَسَه .

وقال اسحاق: صلّى الدلالُ يوما خلفَ الإمامِ بمكةَ . فقرأ الإمامُ : « ومالي لا أعبُدُ الذي فَطَرني واليه تَرجعون » . فقال الدلالُ : لا أدري والله . فضحِك اكثرُ الناسِ وقَطَعوا الصلاةَ . فلما قضى الوالي صلاتَه دعا به وقال له : ويلَك ، الا تَدَعُ هذا المُجونَ والسَفَه ! فقال له : قد كان عندي أنك تَعبُد اللهَ ، فلما سمعتُك تستفهمُ ، ظننتُ أنك قد شككتَ في ربك فَتَبَتَّك . فقال له : انا شككتُ في ربي وانت تُبَتِّي ؟ اذهَب لعنَك الله .

---

(١) تبخترت في مشيتها بين يدي الذكر واقبلت عليه ناشرة جناحيها وذُنابَاها . (٢) شف شفوفاً الجسم نحل نحولا .
(٣) هذا البيت من كتاب مختار الاغاني . (٤) تنشق . (٥) فتن : غلبته النادرة واستهوته النكتة عما هوفيه.
(٦) المرجئة : جماعة كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد وكانوا يقولون : لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . (٧) غل من حديد يجمع اليدين

طُرَيح

هو طُرَيحُ بنُ اسماعيلَ الثَقَفِي، ويُكنّى ابا الصَلت . نشأ في دولة بني امية ، واستفرغَ شعرَه في الوليد بن يزيدَ ، لخؤولته في ثقيف، ومات في ايام المَهدي .

قال طُريح : خُصِصتُ بالوليد بن يزيدَ حتى صِرتُ أخلو معه . فقلت له ذاتَ يوم وانا معه في مَشرَبَة [١] : يا امير المؤمنين ، خالُك يُحب أن تَعلمَ شيئا من خُلُقِه . قال : وما هو ؟ قلت : لم أشرب شَرابا قطُّ ممزوجاً إلا من لبنٍ او عسل . قال : قد عرفتُ ذاك ولم يباعدك من قلبي .

قال : ودخلت يوما اليه وعنده الامويون . فقال لي : اليَّ يا خالي ، وأقعدَني الى جنبه . ثم أُتي بشَراب فشَرِب ، ثم ناولَني القَدَح . فقلت : يا امير المؤمنين قد أعلمتُك رأيي في الشَراب . قال : ليس لذلك أعطيتُك ، انما دفعتُه اليك لتُناولَه الغُلامَ ، وغَضِب . فرفع القومُ ايديَهم كأنَّ صاعقةً نزلت على الخِوان . فذهبتُ أقوم، فقال : اقعُد . فلما خلا البيتُ افترى علي ثم قال : يا عاضٍّ كذا وكذا ، اردتَ ان تَفضَحَني ! ولولا أنك خالي لضربتُك الفَ سوط . ثم نهى الحاجبَ عن إدخالي وقَطَع عني ارزاقي . فمكثتُ ما شاء الله . ثم دخلتُ عليه يوما متنكّرا فلم يشعُر إلا وأنا بينَ يديه وانا أقول :

يا ابنَ الخلائفِ ما لي بعدَ تَقرِبَةٍ ... اليك أُقصى ؟ وفي حالَيك لي عَجَبُ
كأنني لم يكن بيني وبينكُمُ ... إلٌّ [٢] ولا خُلَّةٌ تُرعى ولا نَسبُ
وكنتُ دونَ رجالٍ قد جعلتَهُمُ ... دوني اذا ما رأَوني مُقبِلا قَطَبوا
إن يَسمَعوا الخيرَ يُخفوه وإن سَمِعوا ... شرًّا أذاعوا وإن لم يَسمَعوا كَذَبُوا
فذو الشَماتةِ مسرورٌ بهَيضَتِنا [٣] ... وذو النصيحةِ والإشفاقِ مُكتئِبُ

فتبسم وامرني بالجلوس ، فجلست .

واما المدائني فقد روى غير هذا ، فقال : كان الوليد يُكرِمُ طُرَيحا ، وكان يُدني مجلسَه ، وجعله اولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ولم يكن يُصدرُ إلا عن رأيه ، فحسدَه ناسٌ من اهل بيت الوليد . وقَدِم حَمّادٌ الراويةُ الشامَ . فشكَوا اليه وقالوا : لقد ذهب طُريحٌ بالامير ، فما نالَنا منه

(١) غرفة الشرب . (٢) عهد . (٣) هَيضة : معاودة الهم والحزن .

ليلٌ ولا نهار . فقال حَمّاد : ابغوني مَن يُنشِدُ الاميرَ بيتين من شعرٍ فأُسقِطَ منزلته . فطلبوا الى الخَصيِّ ، الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرةَ آلافِ درهمٍ على ان يُنشِدَهما الاميرَ في خَلوة ، فأذا سأله : مِن قول مَن هذا ؟ قال : من قول طُريح. فأجابهم الخَصيُّ الى ذلك ، وعلّموه البيتين. واغتنم الخصيُّ خَلوةَ الوليدِ به فاندفع يُنشد :

سيري رِكابي الى مَن تَسعَدين بـه ... فقد أقمتُ بدار الهُونِ ما صَلَحا

سيري الى سيِّدٍ سمحٍ خلائقُـه ... ضَخمِ الدَّسيعةِ (١) قَرمٍ يَحملِ المِدَحا

فأصغى الوليد الى الخَصيِّ بسمعه ، وأعاد الخصيُّ غيرَ مرةٍ ، ثم قال الوليد : ويحَك ، يا غلامُ ، مِن قول مَن هذا ؟ قال: من قول طُريح. فغضب الوليد حتى امتلأ غيظا ، ثم قال : والَهْفاً على ام لم تلدني . قد جعلتُه اولَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ثم يزعُم أنَّ هشاما – عم الوليد – يحمل المِدَحَ ولا أحملُها . ثم قال : علي بالحاجب . فأتاه . فقال : لا أَعلَمُ ما أذِنتُ لطُريحٍ ولا رأيتُه على وجه الارض . فإن حاوَلك فاخطَفه بالسيف .

فلما كان العشيُّ وصُلِّيتْ العَصْرُ ، جاء طُريحٌ للساعة التي كان يُؤذَن له فيها ، فدنا من الباب ليدخُلَ ، فقال له الحاجب : وراءك . فقال : مالَك . هل دخل على وليِّ العهد احدٌ بعدي ؟ قال : لا . ولكن ساعةَ ولَّيتَ من عنده دعاني فأمرني ألا آذَنَ لك ، وان حاولتَني في ذلك خطفتُك بالسيف. ارجِع . فرجَع طُريحٌ واقام بباب الوليد سنةً لا يَخلُصُ اليه. ورأى أناساً كانوا له اعداء قد فَرِحوا بما كان من امره . فلم يزل يَلطُفُ بالحاجب ويُمنّيه حتى قال له الحاجب : اما اذ أطلتَ المُقامَ فاني أكرهُ أن تَنصرِفَ على حالِك هذه ، ولكن الاميرُ ، اذا كان يومُ كذا وكذا دخل الحَمّامَ ، ثم أمرَ بسريره فأبرز وليس عليه يومئذ حِجابٌ ، فاذا كان ذلك اليومُ أعلمتُك ، فتكونُ قد دخلتَ عليه وظفرتَ بحاجتك ، واكونُ انا على حالِ عُذر . فلما كان ذلك اليومُ ، بعث الحاجبُ الى طُريح فأَقبلَ ، وقد تتامَّ الناسُ ، فلما نظر الوليدُ اليه من بعيد صرفَ عنه وجهَه ، واستحيا أن يَرُدَّه من بين الناس . فدنا فسلَّم ، فلم يَرُدَّ عليه السلامَ . فقال :

نام الخَليُّ منَ الهموم وبـاتَ لي ... ليلٌ أُكابدُه وهَمٌّ مُضلِعُ (٢)

أبغي وُجوهَ مَخارجي من تهمـةٍ ... أزمَت عليَّ وسُدَّ منها المَطلَعُ

ان كنتَ في ذنبٍ عَتَبتَ فإنـني ... عـمّا كَرِهتَ لنـازِعٌ متضرِّعُ

ويَئِستُ منـك فكلُّ عُسرٍ باسـطٌ ... كفّاً اليَّ وكلُّ يُسرٍ أَقطَعُ (٣)

– وهي قصيدة طويلة – فقرّبه وأدناه وضحِك اليه.

دخل طُريح على ابي جعفر المنصور وهو في الشعراء ، فقال له : لا حيّاكَ اللهُ ولا بيّاك (٤) أما اتقيتَ اللهَ – ويلَك – حيث تقول للوليد بن يزيدَ :

(١) العطية الجزلة ، والجفنة الواسعة ، والمائدة الكريمة . (٢) مضلع : ثقيل ينوء المرء تحته . (٣) أقطع : المحذوف اليد المبتورها . (٤) لا حياك ولا بياك : لا أدامك ولا اغدق عليك

لو قُلتَ للسَّيلِ دَعْ طريقَكَ والـ ـموجُ عليه كالهَضبِ يَعتَلِجُ
لساخَ وارتدَّ او لكان لـه في سائر الارضِ عنك مُنعَرَجُ

فقال له ظريح : قد عَلِم اللهُ ، عزَّ وجلَّ ، أني قلتُ ذاك ويدي ممدودةٌ اليه عز وجل ، واياه تبارك وتعالى عَنَيتُ . فقال المنصور : يا ربيعُ ، اما ترى هذا التخلُّصَ .

وحدَّث المدائني :

جلس الوليد يوما في مجلِس له عامٍّ ، ودخل اليه اهل بيته ومواليه والشعراءُ ، فقام بعض الشعراء فانشد. ثم وثب طُريح وهو عن يَسارِ الوليد ، وكان اهلُ بيته عن يمينه واخوالُه عن شِماله فأنشده :

انت ابنُ مُسلَنطِحِ البِطاحِ ولم تُطرِق عليك الحُنِيُّ والوُلُجُ
طوبى لفرعَيك من هنا وهنا طوبى لأعراقِك التي تَشِجُ
لو قلتَ للسيل دَعْ طريقك والـ ـموجُ عليه كالهَضبِ يَعتلِجُ
لساخ وارتدَّ او لكان لـه في سائر الارضِ عنك مُنعَرَجُ

فطرب الوليد بن يزيد حتى رُئي الارتياحُ فيه وامر له بخمسين الف درهم ، وقال : ما ارى أحداً منكم يَجيئني بمثل ما قال خالي . فلا يُنشِد ني احدٌ بعدَه شيئا . وامر ابنَ عائشةَ فغنى في هذا الشعر .

المسلنطِح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه منها . تُطرِق عليك : تُطيف عليك وتغطيك . والوشيج : اصول النبت . اعراقك واشجة في الكرم اى نابتة فيه . كما قال زهير بن ابي سلمى :

وهل يُنبِتُ الخَطِّيَّ الا وشيجُه وتَنبُتُ الا في مَغارِسِها النَخلُ

والحُنيُّ : ما انخفض من الارض ، والواحدة حَنَاً . والجمع حُنِيٌّ ، مثل عَصاً وعُصِيٌّ . والوُلُج : كل متسع في الوادي ، الواحدةُ وَلَجة . اي لم تكن بين الحُنيِّ ولا الولجِ فيَخفى مكانُك ، اي لست في موضعٍ خفيٍّ من الحسب . وقوله : « لو قلتَ للسيل دع طريقك » . يقول : انت مِلكُ هذه الأبطَحِ والمُطاع فيه ، فكلُّ مَن تأمره يُطيعُك ، حتى لو امرتَ السيلَ بالانصراف عنه لفعل وساخ اي غاض في الارض .

وقال طُريح يمدح الوليد وهي من جيد قصائده :

أقفرَ ممن يَحُلُّه السَنَدُ فالمُنحنى فالعَقيقُ فالجُمُدُ
ويحي غداً إن غدا عليَّ بما أكرَهُ من لوعةِ الفِراقِ غَدُ
اذ نحن في مَيعةِ الشبابِ واذ ايامُنا تلك غَضَّةٌ جُدُدُ
نُحسَدُ فيها على النعيمِ وما يُولَعُ إلا بالنَعمةِ الحَسَدُ

قد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقد جَهَدوا
فهم ملوكٌ ما لم يَرَوك فإن داناهمُ منك منزلٌ خَمَدوا
تَعروهُمُ (١) رِعدَة لديك كما تَقفقفَ تحتَ الدُجُنَّةِ الصَرِدُ

حدث ابو ورقاءَ الحنفيُّ قال : خرجتُ من الكوفة اريد بغدادَ . فلما صرتُ الى اول خانٍ نزلته ، بَسَط غلمانُنا وهيَّأوا غَداءهم ، ولم يَجيء احدٌ بعدُ ، اذ رمانا البابُ برجل فارهِ البِرذَون (٢) حَسَنِ الهيئة . فصحتُ بالغلمان ، فأخذوا دابته ، فدفعها اليهم . ودعَوتُ بالغَداء ، فبسط يدَه غيرَ محتشِمٍ . وجعلت لا أكرمه بشيء الا قَبِلَه . ثم جاء غلمانه في ثَقَلٍ (٣) سَرِيٍّ وهيئة حَسَنَة . فتناسَبنا (٤) ، فاذا الرجلُ طُرَيحٌ . فلما ارتحلنا في قافلة لا يُدرِكُ طَرَفاها ، فقال لي : ما حاجتُنا الى زِحامِ الناس ، وليست بنا اليهم وَحشةٌ ولا علينا خوفٌ ، نتقدمُهم بيوم، فيخلو لنا الطريقُ ونصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِعُ انفسَنا الى أن يُوافُوا . قلت : ذلك اليك . فأصبحنا الغدَ فنزَلنا الخانَ فتغدَّينا والى جانبنا نهرٌ ظليل. فقال : هل لك ان نستنقِعَ فيه ؟ فقلت له : شأنَك . فلما سَرَا (٥) ثيابَه اذا ما بين عُصعُصِه الى عُنُقه ذاهبٌ ، وفي جنبيه امثالُ الجِرذان . فوقع في نفسي منه شيء. فنظر الي ففَطِن وتبسم ، ثم قال : قد رأيتُ ذُعرَك مما رأيتَ ، وحديثُ هذا اذا سِرنا العشيةَ . فلما رَكِبنا قلت : الحديثَ . قال : نعم . قَدِمتُ من عند الوليد بن يزيدَ بالدنيا (٦) فخرجتُ أُبادرُ الطائفَ . فلما امتدَّ لي الطريقُ عَنَّ لي أعرابيٌّ على بعير له . فحدَّثني ، فاذا هو حسنُ الحديثِ . وروى لي الشعرَ فاذا هو راويةٌ . وأنشدَني لنفسه ، فاذا هو شاعرٌ . فقلت له : من أين أقبلتَ ؟ قال : لا أدري . قلت : فأين تُريد ؟ فذكر قِصَّةً يُخبِر فيها أنه عاشق لمُرَيَّة قد أفسدت عليه عَقلَه ، وستَرَها عنه أهلُها . فانما يستَريحُ الى الطريقِ يَنحدِر مع مُنحدِريه ويُصعِّدُ مع مُصعِديه . قلت : فاينَ هي ؟ فأراني ظَرِباً (٧) على يَسار الطريق . وقال : إنها في مَسقَطِه . فأدركَتني أريَحيَّةُ (٨) الشباب فقلت : انا ، والله ، آتيها برسالتك . فخرجتُ وأتيتُ الظَرِبَ واذا بيتٌ حَريدٌ (٩) واذا فيه امرأة جميلة ظريفة . فذكرتُه لها . فزفرت زَفرةً كادت اضلاعُها تَسَّاقَطُ . ثم قالت : أوَحيٌّ هو ؟ قلت : نعم . تركتُه في رَحلي وراءَ هذا الظَرِبِ ، ونحن بائتون ومُصبِحون . فقالت : يا أبي ، ارى لك وجها يَدُلُّ على خير ، فهل لك في الأجر ؟ فقلت : فقيرٌ ، والله ، اليه . قالت : فالبَس ثيابي، وكن مكاني، ودَعني حتى آتيَه ، وذلك مُغَيرِبانَ الشمسِ . قلت: أفعلُ . قالت : إنك اذا أظلمتَ أتاك زوجي في هَجمَة (١٠) من إبلِه . فاذا بَرَكَت أتاك وقال : يا فاجرةُ ، يا هَنَتاه (١١) فيُوسِعُك شَتماً فأوسِعه صَمتًا. ثم يقول: اقمَعي سِقاءَك . فضع القِمعَ في هذا السِقاء

(١) تعروهم : تغشاهم. تقفقف : اصطكت أسنانه . الصرد : المقرور . (٢) الدابة النشيطة السريعة السير .
(٣) متاع المسافر وحشمه . (٤) ذكر كل منا نسبه . (٥) ألقى . (٦) اي مالئاً يديه . (٧) رابية صغيرة .
(٨) ميل وارتياح الى فعل الاعمال الحميدة . (٩) منتحٍ ، منعزل . (١٠) لا اقل من اربعين . واذا بلغت المئة فهي هُنَيدة . (١١) يا هذه .

حتى يُحقَنَ فيه(١) واياك وهذا الآخَرَ فانه واهي الأسفَلِ . فجاء ففعلتُ ما امرتني به . ثم قال لي : اقمَعي سِقاءَك . فحيَّنني اللهُ(٢) فتركتُ الصحيحَ وقَمعتُ الواهيَ . فما شعَرَ الا باللبن بين رجليه . فعمد الى رِشاءٍ من قِدٍّ مربوعٍ (٣) ، فثناه باثنين فصار على ثمانِ قُوىً ، ثم جعل لا يتقي مني رأسا ولا رِجلا ولا جَنبا . فخَشيتُ ان يبدو له وجهي ، فتكون الأخرى (٤) . فألزمتُ وجهي الارضَ فعمل بظهري ما ترى .

ابو سعيد

ابو سعيدٍ مولى فائدٍ ، وفائدٌ مولى عَمروِ بنِ عُثمانَ بنِ عَفَّان. كان شاعرا مُجيدا ومغنّيا وناسكا فاضلاً مقبولَ الشهادةِ مُعَدَّلا (٥) . وله قصائدُ جِيادٌ في مَراثي بني اميةَ الذين قتلهم عبدُ الله وداودُ ابنا عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ العباس .

قال المَهدي لابي سعيد وأمره ان يغني له :

لقد طُفتُ سَبعاً قلتُ لما قَضَيتُها ألا ليتَ هذا لا عليَّ ولا ليا
لقد زادني الحُجّاجُ شوقا اليكمُ وقد كُنتُ قبلَ اليومِ للحَجِّ قاليا
وما نَظرَت عيني الى وجهِ قادمٍ منَ الحج إلا بَلَّ دمعي رِدائيا

ورَفَق به وأدنى مجلِسَه ، وقد كان في نَسَكٍ ، فقال : أوَ أُغنيك يا اميرَ المؤمنين أحسنَ منه : قال : انت وذاك . فغنى :

إن هذا الطويلَ من آلِ حَفصٍ نَشرَ المجدَ بعدَما كان ماتا

فأحسن . فقال له : أحسنت يا ابا سعيد . فغنِّني : « لقد طُفتُ سبعا » قال : أوَ أغنيك أحسنَ منه ؟ قال : أنت وذاك . فغناه :

قَدِمَ الطويلُ فأشرقَت واستبشرَت ارضُ الحِجازِ وبان في الأشجارِ

فأحسن فيه . فقال : غنني : « لقد طُفتُ سَبعا . قال : أوَ أغنيك أحسنَ منه . قال : غنني . فغنى :

(١) يجمع فيه اللبن اي الحليب . (٢) حينه الله : لم يوفقه للرشاد . (٣) سير من الجلد . مربوع : ذو اربع قوى .
(٤) اي الحياة الاخرى بعد الموت . (٥) معدل : المعدود من العدول .

ايها السائلُ الـذي يَخبِـط الارضَ دَعِ الناسَ أجمعيـنَ وَراكـا
وَأتِ هذا الطويلَ من آل حفـصٍ إن تَخوَّفتَ عَيلةً او هَـلاكا

فأحسن فيه . فقال له : غنني : « لقد طُفتُ سبعا »، فقد أحسنت فيما غنيت ، ولكنا نُحب ان تغني ما دعوناك اليه . فقال : لا سبيلَ الى ذلك يا امير المؤمنين لاني رأيت رسولَ الله في مَنامي وفي يده شيء لا أدري ما هو ، وقد رفعه ليَضرِبني به وهو يقول : يا ابا سعيد ؛ لقد طُفتَ سبعا ، لقد طفتَ سبعا ، سبعا طفت. ما صنعتَ بأمتي في هذا الصوتِ ؟ فقلت له: بأبي انت وامي ، اغفر لي . فوالذي بَعثَك بالحقِّ واصطفاك بالنُبوَّة لا غنَّيتُ هذا الصوتَ ابدا . فرد يدَه ثم قال : عفا الله عنك اذاً . ثم انتبهت . فبكى المهدي وحبَاه وكساه .

والطويلُ من آل حَفص ، الذي غناه هذه الاشعار ، هو عبدُ الله بنُ عبدِ الحميد بن حفصِ بن المُغيرةِ المَخزوميُّ وكان مُمَدَّحا . كان يُعطي الشعراءَ فيُجزِلُ وكان مُوسِرا . وكان سببُ يَسارِه ما صار اليه من ام سَلَمةَ المخزوميةِ امرأةِ ابي العبَّاسِ السَفَّاحِ ، فانه تزوجها بعده فصار اليه منها مالٌ عظيم . وكان جميلَ الوجه طويلا .

قيل إن ابا سعيد حضر مجلِسَ محمدِ بنِ عِمرانَ التَيميِّ قاضي المدينةِ لابي جعفر ، وكان مُقَدِّما لابي سعيد ، فقال له ابنُ عِمرانَ : يا ابا سعيد، انت القائل : « لقد طفت سبعا » ؟ فقال إي لَعَمرُ أبيك ، وإني لَأُدمِجُه إدماجاً من لؤلؤ . فرد محمدُ بنُ عِمرانَ شهادتَه في ذلك المجلِس. وقام ابو سعيد من مجلسه مُغضَبا ، وحلَفَ ألاَّ يشهدَ عنده ابدا . فأنكر أهلُ المدينة على ابن عِمرانَ رَدَّه شهادتَه ، وقالوا : عرَّضتَ حقوقَنا للتَوى[1] ، وأموالَنا للتلف . لأنا كنا نُشهِد هذا الرجلَ لعلمنا بما كنتَ عليه والقُضاةُ قبلَك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فنَدِم ابن عِمرانَ ووجَّه اليه يسألُه حضورَ مجلسه والشهادةَ عنده ليقضيَ بشهادته . فامتنع ليمينٍ لَزِمَته ، إن حَضَره حَنَثَ .

فكان ابن عِمرانَ، اذا ادعى احدٌ عندَه شهادةَ ابي سعيد ، صار اليه الى منزله حتى يسمَعَ منه ويسألَه عما يَشهدُ به فيُخبِره . وكان محمدُ بنُ عِمرانَ كثيرَ اللحمِ، عظيمَ البطنِ، كبيرَ العجيزةِ، صغيرَ القدمين ، دقيقَ الساقين ، يَشتدُّ عليه المشيُ . فكان كثيرا ما يقول : لقد اتعبني هذا الصوتُ : « لقد طفت سبعا » ، وأضرَّ بي ضررا شديدا ، وانا رجل ثِقالٌ ، بتردُّدي الى ابي سعيدٍ لأسمعَ شهادته .

(١) الهلاك .

السفاح يفتك بمن بقي من بني امية

لما استمرت الهزيمةُ بمروانَ بنِ محمد – آخرِ خليفةٍ أُموي – اقام عبدُ الله بنُ عليٍّ بالرَّقَّةِ وأنفذ اخاه عبدَ الصمدِ في طلبه فصار الى دمَشْقَ فلَحِقَه وقد جاز مصرَ في قرية تدعى بُوصيرَ فقتله ووجَّه برأسه الى ابي العبَّاسِ. فلما وُضِعَ بين يديه خَرَّ لله ساجدا ثم رفع رأسه وقال: الحمدُ لله الذي أظهَرَني عليك وأظفَرَني بك.

قال الكُراني: كان ابو العبَّاسِ جالسا في مجلِسه – بالحيرة – على سريره وبنو هاشِمٍ دونَه على الكراسي، وبنو أميةَ على الوَسائدِ، قد ثُنِيت لهم. وكانوا في ايام دولتهم يجلِسون هم والخلفاءُ منهم على السرير، ويَجلِس بنو هاشمٍ على الكراسي.

فدخل الحاجب فقال: يا امير المؤمنين، بالباب رجل حِجازيٌّ اسودُ راكبٌ على نجيب[١] متلثِّم، يستأذن ولا يُخبِر باسمه، ويَحلِف ألاَّ يَحسِرَ اللِثامَ عن وجهه حتى يراك. قالَ: هذا مولايَ سَديف. يَدخلُ. فلما نظر الى ابي العبَّاس، وبنو اميةَ حولَه أحدَرَ اللِثامَ عن وجهِه وانشأ يقول:

لا يَغُرَّنَّك ما ترى من أُنـــاسٍ إنَّ تحتَ الضُلوعِ داءً دَوِيًّا[٢]
فضَعِ السيفَ وارفَعِ السَوطَ حتـى لا تَرى فوقَ ظهرِها أُمَويًّا[٣]

فتغيَّر لونُ ابي العبَّاس واخذه زَمَعٌ[٤] ورِعدة. فالتفت بعضُ ولدِ سليمانَ بنِ عبد الملك الى رجل منهم، وكان الى جنبه، فقال: قَتَلَنا، واللهِ، العبدُ. ثم أقبل العبَّاس عليهم فقال: يا بَني الفواعل[٥]، أرى قَتلاكم من أهلي قد سَلَفوا وانتم أحياءٌ تتلذذون في الدُنيا. خذوهم. فأخذتهم الخراسانيةُ فأُهمِدوا. ودعا ابو العبَّاس بالغداء حين قُتلوا، وأمر ببِساط فبُسِط عليهم وجَلَس فوقَه يأكُلُ وهم يَضطربون تحتَه. فلما فرَغ من الأكل قال: ما أَعلَمُني أكلتُ أكلةً قطُّ أهنأَ ولا أطيبَ لنفسي منها. وقال: جُرُّوا بأرجلهم. فأُلقُوا في الطريق يَلعَنُهم الناسُ امواتا. كما لعنوهم احياءً. وكانت الكِلابُ تَجُرُّ بأرجلهم وعليهم سراويلاتُ الوشيِ حتى أَنتَنُوا. ثم حُفِرت لهم بئرٌ فأُلقُوا فيها.

---

(١) نجيب: جواد أصيل. (٢) دوي: مرض ينهش الصدر. (٣) اي فوق ظهر الارض. (٤) دهش وقلق.
(٥) كلمة فحش في السباب. والفواعل جمع الفاعلة اي الزانية.

وصار عَمرُو بنُ معاويةَ بنِ عمرو – الاموي – الى سليمانَ بنِ علي – العباسي – ودخل عليه ، ولم يتراءَيا قط ، وقال : أصلحَ اللهُ الامير . لَفَظتني البلادُ اليك ، ودَلّني فضلُكَ عليك ، فإما قتلتَني غانما واما رددتَني سالما . فقال : ومن أنت ؟ ما أعرفُك . فانتسب له . فقال : مرحبا بك ، اقعُد . ما حاجتُك يا ابنَ اخي . فقال : ان الحُرَم اللواتي انت اقربُ الناس اليهن معنا وأولى الناسِ بهن بعدَنا . قد خِفن لخوفنا ، ومَن خاف خِيفَ عليه. فما اجابه إلا بدُموعه على خدَّيه ثم قال : يا ابنَ اخي ، يَحقِنُ اللهُ دمَك ، ويَحفَظُك في حُرَمِك ، ويُوفِّر عليك مالَك . والله لو امكنني ذلك في جميع قومِك لفعلتُ . فكن متوارياً كظاهرٍ ، وآمِنا كخائف، وَلتأتِني رِقاعُك .

فكان يكتُبُ اليه كما يكتب الرجلُ الى ابيه وعمِه .

فُلَيح بن ابي العوراء

فُلَيحٌ من اهل مكةَ مولىً لبني مَخزومٍ . احدُ مُغنّي الدولة العبّاسيةِ ، وهو احدُ الثلاثةِ الذين اختاروا المئةَ الصوتَ للرشيد .

قال فليح : كان بالمدينة فتى يَعشَق ابنةَ عم له ، فوعَدَته ان تَزورَه . وشكا الي أنها تأتيه ولا شيءَ عنده . فأعطيتُه دينارا للنفَقة . فلما زارته قالت له : من يُلهينا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيتُه . فكانَ اولَ ما غنيتُه :

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفضَح أخـــاها ولم تَرفَع لوالدها شَنـــارا [1]

فقامت الى ثوبها فلَبِسَته لتنصرفَ. فعَلِق بها وجَهَد بها كلَّ الجهدِ في ان تُقيمَ ، فلم تُقِم وانصرفت. فأقبل يلومني في أن غنيتُها ذلك الصوتَ . فقلت : والله ، ما هو شيءٌ اعتمدتُ به مَساءتَك ، ولكنه شيءٌ اتُّفق . فلم نبرَح حتى عاد رسولُها بعدَها ومعَه صُرَّةٌ فيها الفُ دينارٍ ودفعها الى الفتى وقال له : تقول لك ابنةُ عمك : هذا مَهري ، ادفَعه الى ابي واخطُبني . ففعل وتزوَّجها .

نسبة هذا الصوت :

من الخَفِراتِ لم تفضَح اخــاها ولم ترفَع لوالدهــا شَنــارا
كأن مَجامِعَ الارداف منهـــا نَقاً [2] دَرَجت عليه الريحُ هارا [3]
يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قلـــبي وأتبَعُ المُمَنَّعةَ النَــوارا [4]

والشعر للسُلَيك بنِ السُلَكَة .

(١) الخفرة : الشديدة الحياء – الشنار : العيب والعار. (٢) الكثيب من الرمل . (٣) هار : سقط وتهدم .
(٤) المرأة النفور من الريبة .

ابن هرمة

هو ابراهيمُ بنُ عليٍّ بنِ هَرمةَ ويُكنَّى ابا اسحاق. وكان بخيلا قصيرا دميما أُرَيمِصَ[١].

كان ابن هرمة يقول : انا ألأم العرب ، دَعِيٌّ أدعياء . هَرمةُ دَعِيٌّ في الخُلُجِ ، والخُلُجُ ادعياءُ في قريش .

كان الاصمعي يقول : خُتِم الشعراءُ بابن هرمة وابنِ ميَّادة .

زار ابن هرمةَ عبدَ الله بنَ حَسَنٍ بباديته، وجاءه رجل من أسلَمَ. فقال ابنُ هرمةَ لعبد الله بن حسن: أصلحكَ الله ، سَلِ الأسلَميَّ أن يَأذَنَ لي أن أُخبِرَكَ خبَري وخبرَه . فأذِنَ الاسلميُّ . فقال ابن هرمةَ: خرجت أبغي ذَوداً[٢] لي ، فأوحشتُ[٣] وضِفتُ هذا الاسلميَّ . فذبح لي شاةً وخبزَ لي خُبزا وأكرمني . ثم غدَوت من عنده . فأقمت ما شاء الله . ثم خرجت ايضا في بُغاءِ ذَودٍ لي . فأوحشتُ فضِفتُه ، فَقَرَاني بلبن وتَمرٍ. ثم غدَوت من عنده فأقمت ما شاء الله . ثم خرجتُ في بُغاءِ ذَودٍ لي . فأوحشت فقلت : لو ضِفت الاسلميَّ ، فاللبنُ والتَمرُ خيرٌ من الطَوى[٤] . فضِفتُه فجاءني بلبنٍ حامِضٍ .

فقال الاسلمي : قد أجبتُه ، أصلحك الله ، إلى ما سأل ، فَسله أن يأذَنَ لي أن أُخبرَك لِمَ فعلتُ . فأذِنَ ابنُ هرمةَ فقال الاسلمي : ضافني فسألتُه مَن هو ؟ فقال : رجل من قريش . فذبحت له الشاةَ التي ذكر . ثم غدا من عندي وغدا على الحيِّ فقالوا : مَن كان ضيفُك البارحةَ ؟ قلت : رجل من قريش . فقالوا : لا والله ، ما هو من قريش ، ولكنه دعِيٌّ منها . ثم ضافني الثانيةَ ، على أنه دعيٌ في قريش . فجئته بلبن وتمر وقلت : دعيُّ قريشٍ خيرٌ من غيره . ثم غدا من عندي وغدا على الحيِّ فقالوا : من كان ضيفُك البارحةَ ؟ قلت : الرجلُ الذي زعمتم أنه دعيٌّ في قريش . فقالوا لا ، والله ، ولكنه دعيُّ ادعياءِ قريش .

ثم جاءني الثالثةَ ، فقريتُه لبنا حامضا . والله لو كان عندي شرٌّ منه لَقَريتُه اياه . فضحك عبد الله وانخذل ابن هرمةَ .

كان ابن هرمةَ مُدمنا للشَراب مُغرَما به . فأتى ابا عمرو بنِ ابي راشد ، فأكرمه وسقاه اياما ثلاثةً . فدعا ابنُ هرمةَ بالنبيذ ، فقال له الغُلام : قد نَفِد نبيذُنا . فنزع ابنُ هرمةَ رِداءَه عن ظهره

(١) تصغير أرمَص . وصف من الرَمَص في العين وهو كالغمص . الرمص ما سال مما تلفظ به العين والغمص ما جمد .
(٢) قطيع من الابل ولا يكون الا من الاناث. (٣) أوحش : جاع ونفد زاده . (٤) الطوى : الجوع على الجوع.

فقال للغلام : اذهب به إلى النبّاذ فارهنه عنده وأتنا بنبيذ . ففعل . وجاء ابنُ ابي راشد فجعل يَشرَب معه من ذلك النبيذ ، فقال له: اين رداؤك يا أبا اسحاق ؟ فقال : نِصفٌ في القَدَحِ ونصف في بطنك .

امتدح ابنُ هرمةَ ابا جعفرٍ المنصورَ فوصَله بعشرةِ آلافِ درهمٍ . فقال : لا تَقَعُ مني [١] هذه. قال: ويحك ، إنها كثيرةٌ . قال : إن أردتَ أن تهنئني فأبِح لي الشَّرابَ ، فاني مُغرَم به . فقال : ويحك ، هذا حدٌّ من حدود الله . قال : احتَل لي يا أمير المؤمنين . قال : نعم . فكتب إلى والي المدينة : من أتاك بابنِ هَرمةَ سكرانَ فاضربه مئةً واضرِب ابنَ هرمةَ ثمانين .

فجعل الجَلواز [٢] اذا مر بابنِ هرمةَ سكرانَ قال : من يَشتري الثمانين بالمئة .

وكان ابن هرمةَ يقول :

اسألُ اللهَ سَكرةً قبـلَ مـوتي   وصِياحَ الصبيانِ : يا سكرانُ

مدح ابنُ هرمةَ السَّريَّ بنَ عبدالله بقصيدة منها . :

فعَرَّجا بعد تَغويرٍ وقد وقفت   شمسُ النهار ولاذ الظِلُّ بالعودِ [٣]

وقال أيضاً يمدح السري :

جوادٌ على العِلاّتِ يهتزُّ للندى   كما اهتز عضبٌ [٤] أخلصته صَياقلُهْ

وقد علِم المعروفُ أنـك خِدنُـه [٥]   ويعلَم هذا الجوعُ أنك قاتلُـهْ

فلما فرغ منها ، قال السري : مرحبا يا أبا اسحق . ما حاجتُك ؟ قال : جئتك عبدا مملوكا . قال : لا ، بل حُرًّا كريما وابنَ عم . فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لي مالا إلا هِبتَه ، ولا صديقا إلا كلَّفتُه . فقال له السري : وما دَينُك ؟ قال : سبعُمئةِ دينار . فأمر له بسبعمئة دينار في قضاء دَينه ، ومئةِ دينار ليُعَرِّضَ بها أهلَه ، ومئةِ دينار اذا قَدِم على أهلِه . قوله : « يُعرِّضُ بها أهلَه» أي يُهدي لهم هديةً . والعُراضَةُ : الهدية .

قال الفرزدق يهجو هشامَ بنَ عبدِ الملك :

كانت عُراضَتُك التي عَرَّضتَنا   يومَ المدينةِ زَكمَةً وسُعالا .

تزوج ابن هرمة بامرأة ، فقالت له : أعطِني شيئا . فقال : والله ما معي الا نَعلاي . فدفعهما اليها . ومضى معها فتورَّكها مِرارا . فقالت له : أجفيتَني [٦] فقال لها : أحفيتِني .

---

(١) لا تقع مني هذه : تركيب دخله الحذف وأصله لا تقع في أي موقع ، فيكون كناية عن انها لا تقنع وتصيب ما أهوى ، وهنا تكمن براعة التعبير . (٢) الشرطي . الجمع : جلاوزة . (٣) تغوير : له عدة معان والمقصود هنا ، إتيان الأغوار والمنخفضات.. والشاعر يصف ماعاني وكابد في سبيل الوصول إلى ممدوحه من لظى الطريق ، فقد كانت الشمس في رائعتها كما لو وقفت في كبد السماء لا تبرح ، ولم يعد لشيء ظل ، حتى العود فقد احتمى ظله به وانطوى في كنفه ؛ والتركيب من باب المجاز العقلي . (٤) العضب : السيف القاطع .الصياقل جمع صيقل : شاحذ السيوف . (٥) خدن : صاحب ، للمذكر والمؤنث . (٦) اجهدتني .

جلس ابن هرمةَ مع قوم على شَراب ، فذكَرَ الحَكَمَ بنَ المُطَّلِبِ فأطنب في مدحه . فقالوا له : انك لتُكثِرُ ذِكرَ رجلٍ لو طَرَقتَه[1] الساعةَ في شاة يُقال لها «غَرّاءُ» تسألُه اياها لرَدَّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إي والله . وكانوا قد عَرَفوا أنَّ الحَكَمَ بها مُعجَبٌ ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلَبُ . فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدق الباب ، فخرج اليه غلامُه ، فقال له : أعلِم أبا مروانَ بمكاني . فأعلمه به . فخرج اليه مُتَّشِحاً فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا اسحاق . فقال : نعم ، جُعِلتُ فِداك . وُلِد لاخٍ لي مولودٌ فلم تَدُرَّ عليه أمه . فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها . فذكروا له شاةً عندك يقال لها « غراء » . فسألني أن أسألكَها . فقال : أتجيئُني في مثل هذه الساعةِ ثم تنصرف بشاة واحدة . والله لا تَبقى في الدار شاةٌ إلا انصرفتَ بها . سُقهُنَّ معه يا غُلام. فساقَهن. فخرج بهن إلى القوم ، فقالوا : ويحك ، أيَّ شيءٍ صنعت. فقصَّ عليهم القِصَّةَ . وكان فيهن ما ثمنُه عشرةُ دنانيرَ وأكثرُ .

من أقواله :

تَأبَّدَ [2] رسمُهـا وجـرى عليهـا ... سَفيُّ الريـحِ والتُّـربُ الغريـبُ
كثاقبةٍ لِحَلْـيٍ مستعـار ... بأُذنيـها فشانَهمـا [3] الثُّقـوبُ
فـردَّت حَـليَ جارتِهـا اليهـا ... وقـد بَقِيت باذنيهـا نُدوبُ [4]

قال ابن أُذَينةَ : خرجت في حاجة لي، فلما كنت بالسَّيَّالة [5] وقفت على منزل ابن هرمةَ فصحت: يا أبا اسحاق ؟ فأجابتني ابنتُه : مَن هذا ؟ فقلت : انظُري : فخرجت إلي فقلتُ : أعلِمي أبا اسحاق . فقالت : خرج والله آنفا . فقلت : هل من قِرًى فاني مُقوٍ [6] من الزاد . قالتَ : لا ، والله ، قلتُ : فأينَ قولُ ابيك :

لا غَنَمي مُـدَّ في الحيـاة لهـا ... إلا لدَركِ القِـرى ولا إبِـلي
لا أمتِعُ العُوذَ بـالفِصـالِ [7] ولا ... أبتاعُ إلا قريبـةَ الأَجَـلِ

قالت : بذاك والله أفنانها :

وأخبرت أباها بقولها . فضَمَّها إليه وقال : بأبي أنتِ وامي ، انت والله ابنتي حقاً . الدارُ والمزرعةُ لك .

ومن جيد شعره في عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

---

(١) الطروق – الزيارة في الليل . (٢) تأبد : أقفروبات مألفاً للوحش ... سفي : الرمل والتراب الذي تحمله الريح الشديدة الهبوب . (٣) شانهما : عابهما . (٤) ندوب : مفرده ندب : أثر الجرح . (٥) أول مرحلة لأهل المدينة اذا ارادوا مكة . (٦) أقوى الرجل : فني زاده . (٧) العوذ: مفردها عائذ : الحديثة العهد بالنتاج .. الفصال : جمع فصيل وهو ولد الناقة ومعناه : انه مضياف لا يحبس عن ضيفه حتى ما عز لديه من النوق المطافيل ، فكل ما يغدو تحت يده معد قريب الأجل أي رهن بأن يعد للقرى في أية آونة . وكم في تعبيره « قريبة الأجل » من جمال في فقد استعمله الشاعر مجازاً مرسلا بمعنى الذي يؤول إلى أن يُضحي كذلك .

يَكادُ بابُك من علمٍ بصاحبه … من دون بوّابه للناس ينَدلِقُ (١)
قومٌ همُ شرفُ الدُنيا وسُؤدَدُها … صَفوٌ على الناس لم يُخلَط بهم رَنَقُ (٢)
ان حاربوا وضَعوا او سالموا رَفَعوا … او عاقدوا ضمِنوا او حَدّثوا صَدَقوا

وقال فيه :

أعبدَ الواحدِ المَحمودَ إني … أغَصُّ حَذارَ سَخطِك بالقَراحِ
كأن قصائدي لك ، فاصطَنِعني ، … كرائمُ قد عُضِلنَ (٣) عن النِكاحِ
وَجدنا غالباً (٤) خُلقَت جَناحاً … وكان ابوك قادمةَ (٥) الجَناحِ
اذا جعلَ البخيلُ البُخلَ تِرساً … وكان سِلاحَه دون السِلاحِ
فان سِلاحَك المعروفُ حتى … تَفوزَ بِعرض ذي شِيَمٍ صِحاحِ

لما جلس المنصورُ بالمدينة في دار مَروانَ قام ابنُ هرمةَ فقال : يا أمير المؤمنين جعلني الله فِداءك ، شاعرُك وصنيعتُك ، إن رأيتَ أن تأذنَ لي في الإنشاد . قال : هاتِ : فأنشده قولَه :

سرى (٦) ثوبَه عنك الصبا المُتخايلُ

حتى انتهى إلى قوله :

له لَحَظاتٌ عن حِفافَي سريره … إذا كرَّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأُمُّ الذي أمَّنتَ آمنةُ الردى … وأُمُّ الذي خوَّفتَ بالثُكلِ ثاكلُ

فقال له المنصور : أما لقد رأيتُك في هذه الدار قائماً بين يَدَي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولَك فيه :

وجدنا غالباً كانت جَناحاً … وكان ابوك قادمةَ الجَناحِ

فَقَطَع بابنِ هَرمةَ حتى ما قَدَرَ على الاعتذار . فقال له المنصور : انت رجلٌ شاعر طالبُ خيرٍ ، وكُلُّ ذلك يقول الشاعر ، وقد امر لك اميرُ المؤمنين بثلاثمئةِ دينار .

وقوله :

كأني من تَذَكُّرِ ما ألاقي … إذا ما أظلَمَ الليلُ البَهيمُ
سليمٌ (٧) مَلَّ منه أقربوه … وأسلمَه المداوي والحميمُ

(١) يندلق : ينفتح ليرتد ثانية كما كان ، أي باب لا يَفتأ يتحرك جيئة وذهاباً . وبلغ الشاعر الغاية في الافتنان بهذه الاستعارة « من علم بصاحبه » أي من علم الباب بطباع صاحبه السمحة يراوح منفتحاً . (٢) كدر . (٣) عضلن : منعن من التزوج ظلماً وعنتاً . أي ان قصائدي تبقى ابكاراً لمدحك. (٤) قبيلة بني غالب التي ينتمي اليها عبد الواحد. (٥) قادمة: واحدة القوادم من جناح الطير أي إحدى ريشات عشر طوال كبار . (٦) كشف . (٧) الملسوع يقال له سليم دعاء له بالسلامة .

ويقال إن هذين البيتين لابي المنهالِ الأشجَعي .

وفي عبد الواحد يقول :

دَعَتْه المَكرُماتُ فناولتْه ... خِطامَ (١) المجدِ في سِن الفَطيم

اسماعيل بن يسار

كان اسماعيلُ بنُ يَسارِ النِسائي مَولى بني تَيمٍ ، تَيمِ قريش . وكان منقطعا إلى آل الزبير . كان طيبا مُندِراً (٢) مليحَ الشعر . وسُمِّي النِسائي لأن أباه كان يصنع طَعامَ العُرسِ ويَبيعُه . فيَشتريه منه مَن أرادَ التَعريس . وقيل: لأنه كان يبيع النَجدَ والفُرُشَ التي تُتَخَذُ للعرائسِ .

لما خرج عُروَةُ بنُ الزبَيرِ إلى الشام يُريد عبدَ الملك، أخرج معه اسماعيلَ بن يَسارٍ فعادله.(٣) فقال عروةُ ليلةً لبعض غلمانه : انظُر كيف تَرى المَحمَل ؟ قال : اراه معتدلا . قال اسماعيل : اللهُ أكبرُ ، ما اعتدلَ الحقُ والباطلُ قبلَ الليلةِ قطُّ . فضحِك عروةُ ، وكان يستخِفُّ اسماعيلَ ويستطيبه .

كان اسماعيل من سَبي فارسَ وكان شديدَ التعصبِ للعجم، وله شعرٌ كثير يَفخَرُ فيه بالأعاجم . فأنشد يوما في مجلسٍ فيه أشعبُ قولَه :

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لي وعَمٌّ ... ماجدٍ مجتدًى (٤) كريمِ النِصابِ (٥)

انما سُمِّيَ الفوارسُ بالفُر ... سِ مُضاهاةَ رِفعَةِ الأنسابِ

فاترُكي الفخرَ يا أُمامَ علينا ... واتركي الجَورَ وانطِقي بالصَوابِ

واسألي إن جَهِلتِ عنا وعنكم ... كيف كُنا في سالفِ الأحقابِ

إذ نُرَبِّي بناتِنا وتَدُسُّو ... نَ سَفاها بناتِكم في التُرابِ (٦)

فقال له أشعبُ : صَدَقتَ والله يا أبا فائد ، دَفَنَ القومُ بناتِهم خوفا من العار ، وربيتموهن لتَنكِحوهن.(٧) فضحِك القومُ حَتى استغربوا (٨) وخَجِل اسماعيل حتى لو قَدَر أن يَسيخَ في الأرض لفعل .

---

(١) حبل يوضع في خطم البعير أي انفه ليقاد به . (٢) يأتي بالنوادر . (٣) ركب معه في المحمل مقابلا له .
(٤) مجتدى : مطلوب نائله وجدواه . (٥) النصاب : الأصل ؛ وله معان أخرى ولكن المقصود هنا ما أثبتناه .
(٦) كان للعرب عادة وأد بناتهم أي دفنهن أحياء حين الولادة خوفا مما قد يلحقهم منهن من العار . (٧) وهي المجوسية ، أي ان الوالد يفترع ابنته . (٨) أي بالغوا في الضحك .

أنشد رجلٌ زَبَّانَ السوَّاقَ قولَ اسماعيلَ بنِ يسارٍ :

ما ضرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفناءِ بيتِكِ أو ألَمَّ فسلَّما

فبكى زبَّان ثم قال: لا شيءَ والله إلا الضجرَ وسوءَ الخُلُقِ وضيقَ الصدرِ. وجعلَ يبكي ويَمسَحُ عينيه.

غُنِّي الوليدُ بنُ يزيدَ في شعر لاسماعيلَ بنِ يسارٍ وهو :

حتّى اذا الصُبحُ بَدا ضَوؤُه وغارت الجوزاءُ والمِرزَمُ (١)

خرجتُ والوَطْءُ خَفيٌّ كما يَنسابُ من مَكمَنِه الأرقَمُ (٢)

فقال : من يقول هذا ؟ قالوا : اسماعيل بن يسارٍ النسائي . فكتب في إشخاصه اليه . فلما دخل عليه استنشده القصيدةَ التي منها هذان البيتان ، فأنشده :

أُخافِتُ (٣) المشيَ حَذارَ العِدا والليلُ داجٍ حالِكٌ مُظلِمُ

ودونَ ما حاولتُ إذ زُرتُكم اخوكِ والخالُ معاً والعَمُ

وليس إلا اللهَ لي صاحبٌ اليكم والصارمُ اللَهذَمُ (٤)

حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفَت من شَفَقٍ عيناكِ لي تَسجُمُ (٥)

ثُمَّ انجلى الحزنُ ورَوعاتُه وغُيِّبَ الكاشِحُ والمُبرِمُ (٦)

فَبِتُّ فيما شِئتُ من نَعمةٍ (٧) يَمنحُنيها نَحرُها والفَمُ

حتّى اذا الصُبحُ بدا ضَوؤه .... (البيتان المذكوران أعلاه) .

فَطرِب الوليدُ حتّى نَزل عن فَرشه وسريره ، وامر المغنين فغنَّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحا وامر لاسماعيلَ بكُسوةٍ وجائزة سنيَّةٍ وسَرَّحه إلى المدينة .

اصطحب شيخٌ وشابٌ في سفينة من الكوفة ، فقال بعضُ الشباب للشيخ : إن مَعَنا قَينةً لنا ، ونحنُ نُجِلُّك ، ونحب أن تَسمعَ غِناءها . قال : اللهُ المستعان ، فأنا أرقى على الأطلال (٨) وشأنكم . فغنَّت :

حتّى اذا الصُبحُ بدا ضَوؤه وغارتِ الجَوزاءُ والمِرزَمُ

أقبلتُ والوَطءُ خفيٌّ كما يَنسابُ من مَكمَنِه الأرقَمُ

فألقى الشيخُ بنفسه في الفُراتِ وجعل يَخبِطُ بيديه ويقول : انا الارقمُ ! انا الارقمُ ! فأدرَكُوه وقد كاد يَغرَقُ . فقالوا : ما صنعتَ بنفسك ؟ فقال : إني واللهِ أعلَمُ من مَعاني الشعرِ ما لا تعلمون .

(١) المرزم: نجم يصحب الشعرى ويدل على المطر. (٢) ذكر الأفعى. (٣) أخافت: أخفض صوت نقلات أقدامي وأمشي رويداً شأن المحاذر . (٤) القاطع . (٥) تسجم : تذرف الدمع (٦) الكاشح : العذول البغيض ، المبرم : الجليس الثقيل . (٧) بفتح النون : المسرة والفرح . (٨) اطلال السفينة : أغطية تُغشَّى بها كالسقف .

النابغة الجعدي

هو حِبَّانُ بنُ قيسِ ابن جَعدةَ ابنِ مُضَرَ . ويُكنى ابا ليلى وسُمِّيَ النابغةَ لانه اقام مُدةً لا يَقول الشعرَ ثم نَبَغ فقاله . ادرك الاسلامَ وعُمِّرَ مئةً وثمانين سنةً . وهو القائل :

لَبِستُ أُناساً فأفنيتُهم وأفنيتُ بعدَ أُناسٍ أُناسا
ثَلاثَةُ أهلِينَ أفنيتُهم وكان الالهُ هو المُستاسا (١)

فقال له عمرُ بن الخَطَّابِ : كم عِشتَ مع كلٍّ أهلٍ ؟ قال : ستين سنةً . وقال عنه النبي : لقد رأيتُه وقد أتت عليه مئةُ سنةٍ او نحوُها وما انفضَّ مِن فيه سِنٌّ .

كان النابغةُ شاعِرا مُتقدِّما . وكان مُغَلَّبا ، ما هاجى قَطُّ إلا غُلِب . وهاجى ليلى الأخيَليَّةَ فغلبته . ومَطلَعُ قصيدته في ليلى :

الا حَيِّيا ليلى وقولا لها : هلا ...

وكلمة « هلا » كلمة زَجر تُزجَرُ بها الإناثُ من الخيل لِتَقِرَّ وتَسكُنَ .
فردت عليه ليلى بقصيدة منها :

تُعيِّرني داءً بأُمِّك مِثلُه (٢) وأيُّ حَصانٍ (٣) لا يُقالُ لها هَلا

فأفحمته .

لما خرج علي إلى صِفِّينَ خرج معه نابغةُ بني جَعدةَ . فساق به يوما فقال يَحدو :

قد عَلِمَ المِصرانِ (٤) والعِراقُ أنَّ عليًّا فَحلُها العُتاقُ (٥)
أبيضُ جَحجاحٌ لـه رُواقُ وامُّـه غالى بها الصَّداقُ
أكرَمُ مَن شُدَّ به نِطاقُ إن الأُلى جارَوك لا أفاقوا
لهم سِياقٌ ولكم سِياقُ قد عَلِمَت ذلك الرِّفاقُ

---

(١) المستعاض : من الأَوْس وهو العِوَض . (٢) أي ان امك أيضاً قالوا لها : « هلا » (٣) المرأة المحصنة العفيفة .
(٤) الكوفة والبصرة . (٥) الكريم .

أَقحمَتَ(١) السنةُ نابغةَ بني جَعدةَ فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرَامَ فأنشده :

حَكَيْتَ لنـا الصِّدِّيقَ لمـا وَلِيتَنـا ... وعُثمانَ والفاروقَ(٢) فارتاح مُعـدِمُ

أتاك أبو ليلى يَجـوبُ به الـدُّجـى ... دُجى الليلِ جوَّابُ الفَلاةِ عَثمثَمُ(٣)

لِتجبُرَ منه جانبا زَعزعَـتْ بـه ... صُروفُ الليالي والـزمانُ المُصمِّـمُ

فقال له ابن الزبير : هوِّن عليك ، ابا ليلى . فان الشعرَ أهونُ وسائلك عندنا . لك في مال الله حقّان : حقٌ برؤيتك رسولَ الله ، وحقٌ بشركتك اهلَ الإسلامِ في فَيئِهم(٤) . ثم أخذ بيده فدخل به دار النَعَم ، فأعطاه قَلائِصَ(٥) سبعاً وجملا رَجيلا(٦) وأوقرَ له الإبِلَ بُرًّا وتمرا وثيابا .

كان معاويةُ كتب إلى مروانَ بنِ الحكمِ فأخذ اهلَ النابغة ومالَه . فدخل النابغةُ على معاويةَ وعنده مروانُ فأنشده :

مَن راكـبٌ يأتي ابـنَ هندٍ بحاجتي ... عـلى النأي والأنباءُ تُنمَى وتُجلَـبُ

فان تأخُـذوا مالي وأهـلي بِظِنَّـةٍ ... فإني لَحرَّابُ الرجالِ مُحَرَّبُ(٧)

صَبورٌ عـلى مـا يَكـرهُ المرءُ كلِّـه ... سوى الظلـمِ إني إن ظُلِمتُ سأغضَبُ

فالتفت معاوية إلى مروانَ فقال : ما ترى ؟ قال : ألاَ تَرُدَّ عليه شيئاً . فقال : ما أهونَ والله ، عليك ان يَنجَحِرَ هذا في غارٍ ثم يُقطِّعُ عِرضي عليَّ ثم تأخذه العرب فتَرويه . ارُدد عليه كلَّ شيء اخذتَه منه .

من اشعاره : (٨)

وإنـا لَقـومٌ مـا نُعـوِّد خيلَـنا ... اذا ما التقينا ان تَحيدَ وتَنفُـرا

ونُـنكِرُ يـومَ الـرَوعِ ألـوانَ خيلِنا ... من الطعنِ حتى نَحسَبَ الجُونَ أشقرا

وليس بمعروفٍ لنـا أن نَرُدَّهـا ... صِحاحـاً ولا مُستنكَراً أن تُعقَـرا

حَسِبنا زمانا كلَّ بيضاءَ شحمـةً ... لياليَ اذ نَغزو جُذاماً وحِميَـرا(٩)

إلى أن لقينـا الحيَّ بكرَ بنَ وائـلٍ ... ثمانين ألفا دارعيـن وحُسَّـرا(١٠)

فلما قرعنـا النَبعَ بالنبعِ بعضَـه ... ببعضٍ أبَت عيدانُه أن تَكسَّرا(١١)

سقيناهُـمُ كأسا سَقَونـا بمثلِهـا ... ولكننا كنـا على الموتِ أصبَرا

(١) رمت به . السنة : الجدب . أي أخرجه الجدب من البادية وأدخله الحضر . (٢) الفاروق : لقب عمر بن الخطاب . (٣) الجمل الشديد . جواب : من جاب يجوب : يطوف . (٤) الفيء : ما يعود على المسلم من أموال الخزينة (٥) جمع قلوص وهي الشابة من الابل بمنزلة الجارية من النساء . (٦) القوي على السير . منها الراجل ضد الراكب . (٧) حربه أغضبه . يصف نفسه بأنه شديد الكيد والنكاية . (٨) عن بلوغ الأرب الجزء الثاني ، صفحة ١٢٤ . (٩) يقال : ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة . (١٠) دارعين : عليهم الدروع . والحسر ، من لا درع أو مغفر عليه . (١١) النبع شجر صلب تعمل منه القسي .

حرب البسوس

كان كليبُ بنُ ربيعةَ (التغلبي) عزَّ وساد وبغى . فما كان على الارض بكريٌّ ولا تغلبيٌّ أجار رجلا ولا بعيرا إلا بإذنه . فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جروَ كلبٍ فكان اذا نزَل منزلا به كَلَأٌ قذفَ ذلك الجروَ فيه فيعوي ، فلا يرعى احدٌ ذلك الكَلَأَ إلا باذنه . فضُرب به المثل : اعزُّ من كليب وائل .(١) وكان لمُرَّةَ بن ذُهلٍ (البكريِّ) عشرةُ بنين ، جسَّاسٌ اصغرُهم . وكانت اختُهم جليلةُ زوجةَ كليب ، وخالةُ جساسٍ البسوسُ — وهي التي يقال لها : « أشأمُ من البسوس » ، جاءت فنزَلت على ابن أختها جسَّاسٍ ، فكانت جارةً لبني مُرَّةَ ومعها ابنٌ لها ولهم ناقةٌ ومعها فصيلٌ (٢) .

ورأى كليبٌ الناقةُ فأنكرَها . فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالةِ جسَّاس . قال : أوَ قد بلَغ من امر ابن السعديَّة ان يُجيرَ عليَّ بغير اذني . ارمِ ضرعَها يا غلامُ . فأخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة . وراحت الرُعاةُ على جساسٍ فأخبروه بالامر . فمرَّ جسَّاس ، ومعه ابنُ عمٍ له ، على كليبٍ وهو على غديرِ الذنائبِ فعطَف عليه فرسَه فطعنَه برُمحٍ فأنفذَ حُضنيهِ (٣) وعطف عليه ابنُ عمهِ فاجتزَّ رأسَه .

وعاد جسَّاسٌ الى اهله فرأته اختُه فقالت لابيها : إن ذا لَجسَّاسٌ أتى خارجاً رُكبتاه . فقال : والله ما خرجت رُكبتاه الا لامرٍ عظيمٍ . فلما جاء قال له : ما وراءَك يا بُنَيَّ ؟ قال : ورائي أني

---

(١) فغلب اسم كليب عليه حتى ظنوه اسمه ، اما اسمه فهو وائل بن ربيعة . (٢) جاء في كتاب « ادباء العرب » لبطرس البستاني :

ونزلت على جساس خالة له اسمها البسوس بنت منقذ . ونزل بالبسوس رجل من جرم من اخوال جساس اسمه سعد ومعه ناقة اسمها سراب . فرعت مع إبل جساس وكانت ابله وابل كليب مختلطة لما بينهما من المصاهرة . فأبصرها كليب فأنكرها . فرماها بسهم خرق ضرعها . فولت الناقة تعج حتى بركت بفناء صاحبها . فلما رآها صرخ : يا لذل ! فسمعت البسوس فخرجت وصاحت : واذلاه ! واجوار جساس ! واجوار مرة ! ثم انشدت تعنف بني مرة :

لعمريَ لو أصبحت في دار منقذٍ ... لما ضِيم سعد وهو جار لابياتي
ولكنني أصبحت في دار غربةٍ ... متى يَعدُ فيها الذئب يعد على شاتي
فيا سعدُ لا تغرر بنفسك وارتحِل ... فانك في قوم عن الجار أمواتِ
ودونك أذوادي إليك فإنني ... محاذرة أن يغدروا ببنياتي

والعرب تسمي هذه الابيات بالموثِبات ، لانها أثارت جساساً .
(٣) ما دون الابط إلى الكشح .

قد طعنتُ طعنةً لَتَشغلَنَّ بها شُيوخُ وائلٍ زمنا . قال : أَقتلتَ كليبا ؟ قال : نعم . قال : وَدِدتُ أنك واخوتَك كنتم مُتُّم قبلَ هذا .

واجتمع نساءُ الحي للمأتم ، فقلُن لاختِ كليبٍ : رَحِّلي جَليلةَ عن مأتمِك . فان قيامَها فيه شَماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب . فقالت لها : يا هذه ، اخرُجي عن مأتمِنا ، فأنت أختُ واترِنا وشقيقةُ قاتلِنا . فخرجت وهي تَجُرُّ اعطافَها . ولما رحلت قالت اختُ كليب : رِحلةَ المُعتدي وفِراقَ الشامت . فبلغَ قولُها جليلةَ فقالت : وكيفَ تَشمَتُ الحُرَّةُ بهتكِ سترِها وترقُّبِ وِترِها . اسعدَ اللهُ جَدَّ أختي ، أفلا قالت : نَفرةَ الحَياءِ وخوفَ الاعتداءِ . ثم انشأت تقول :

يا ابنةَ الاقـــوامِ إن شِئتِ فـــلا تَعجلي باللومِ حتى تَسألـــي
فاذا انـــتِ تبيَّنـــتِ الـــذي يُوجِبُ اللومَ فلُـــومي واعذُلي
إن تكن اختُ امرىءٍ ليمَـــت على شَفَقٍ منهـا عليه فافعَـــلي
فِعلُ جسَّاسٍ عـلى وَجــدي به قاطِعٌ ظهري ومُدني أجَـــلي
يا قتيلا قَوَّضَ الدهـــرُ بـــه سَقفَ بيتَيَّ جميعاً من عَـلِ
هَدمَ البيتَ الـــذي استحدثتُـــه وانثنى في هَدمِ بيتي الاولِ
يَشتفي المُـــدركُ بالثـــأرِ ، وفي دَرَكي ثأريَ ثُكلُ المُثكِـــلِ
إنـــني قاتلـــةٌ مقتـــولةٌ ولَعَلَّ اللهَ أن يَرتـــاحَ لـــي

ورجَعت جليلةُ الى اهلِها وهي حامل . فلقيَها ابوها مُرَّةُ فقال لها : ما وراءَك يا جليلةُ ؟ فقالت : ثُكلُ العددِ وحُزنُ الابدِ . وفَقدُ حليلٍ وقَتلُ اخٍ عن قليلٍ . وبين ذين غَرسُ الاحقادِ وتَفتُّتُ الاكبادِ . فقال لها : أو يَكُفُّ ذلك كرمُ الصفحِ وإغلاءُ الدياتِ ؟ فقالت : أُمنيَّةُ مَخدوعٍ ، وربِّ الكعبةِ . أبِالبُدنِ (١) تَدَعُ لك تَغلِبُ دمَ ربِّها .

ووقعت الحربُ بين الفريقين وكانت حربهم اربعين سنة فيهن خمسُ وَقَعات مُزاحِفات وهي : يومُ عُنيزة ؛ ويوم واردات ، ويوم الحِنْو ، ويوم القُصَيْبات ، ويوم التحالق . ولم يكن بينهم من قتلى تُعَدُّ ولاتذكر إلاثمانيةَ نفرٍ من تغلبَ واربعةٌ من بكرٍ . ثم صاروا الى المُوادعة . فولدت جليلةُ غلاما فسمَّته الهِجرِسَ وربَّاه جسَّاسٌ . فكان لا يَعرِف أباً غيرَه . وزوَّجَه ابنتَه . فوقع بينَ الهِجرِس وبينَ رجلٍ من بني بَكرٍ كلامٌ . فقال له البكريُّ : ما انت بمُنتَهٍ حتى نُلحِقَك بأبيك . فأمسكَ عنه ودخل الى أمه كئيبا ، فسألته عمَّا به فأخبرها الخبرَ . فلما أوى الى فِراشه ونام الى جَنبِ امرأتهِ وضع أنفَه بين ثدييها ، فتنفَّسَ تَنفُّسةً تنفَّطَ ما بين ثدييها من حرارتِها . فقامت فَزِعةً حتى

(١) جمع بَدين أي كثير اللحم ، تقصد بها النوق البدن .

دخلت على ابيها فقصَّت عليه قِصَّةَ الهِجرسِ . فقال جَسَّاسٌ : ثائرٌ وربِّ الكعبة . وبات جسَّاسٌ على مِثل الرَّضَفِ (١) حتّى أصبحَ ، فارسل الى الهجرس فأتاه . فقال له : انما انت ولدي ومني بالمكان الذي قد علِمتَ . وقد زوجتُك ابنتي وانت معي . وقد كانت الحربُ في ابيك زمانا طويلا حتى كِدنا نتفانى . وقد اصطلحنا وتحاجَزنا وقد رأيتُ أن تَدخُلَ فيما دخلَ فيه الناسُ من الصُّلحِ وأَن تَنطلِقَ حتّى نأخُذَ عليك مثلَ ما أُخِذ علينا وعلى قومنا . فقال الهجرس : انا فاعلٌ . ولكنَّ مثلي لا يأتي قومَه الا بلأمتِه (٢) وفرَسه . فحمَله جسَّاسٌ على فرسه وأعطاه لأمةً ودِرعاً . فخرجا حتّى أتيا جماعةً من قومهما فقَصَّ عليهم جَسَّاسٌ ما كانوا فيه من البَلاءِ وما صاروا اليه من العافية . ثم قال : وهذا الفتى ابنُ اختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعقُدَ ما عقدتم . فلما قَرَّبُوا الدم (٣) وقاموا الى العَقدِ ، اخذَ الهِجرسُ بوَسَطِ رُمحِه ثم قال : وَفرَسي وأُذُنَيه ، ورُمحي ونَصلَيه ، وسيفي وغِرارَيه (٤) ، لا يَترُكُ الرجلُ قاتلَ أبيه وهو يَنظُرُ اليه . ثم طعن جسَّاسا فقتله . ثم لَحِقَ بقومه . فكان آخِرَ قتيلٍ في بَكرِ بنِ وائل .

المهلهل

اسمُه عديٌّ ولُقِّب مهلهِلا لطيب شعره ورقته . وقيل إنه اولُ من قَصَّدَ القصائدَ وقال الغزل . فقيل : قد هلهَل الشعر ، أي أرقَّه . وهو اخو كليبٍ وخالُ امرىءِ القيسِ الشاعر . وكان كثيرَ المُحادثة للنساء ، فكان كليبٌ يسميه : زيرَ نساء ، اي كثيرَ الزيارة لهن .

منتخبات من شعره في رثاء أخيه كليب :

قال بعد دفنِ اخيه :

أهــــاج قَذاءَ عيني الإذّكــــارُ هُدُوءًا .فالدموعُ لهــا انحِدارُ (٥)
وصار الليــــلُ مشتمِلا علينــــــا كأن الليلَ ليس له نَهــــــارُ

(١) جمع رضفة : الحجر المحميّ . (٢) لأمة : أداة الحرب كلها من رمح ومغفر وسيف ودرع . (٣) كان من عادة العرب أن يحضروا في جفنة طيباً او دماً فيدخلون فيه أيديهم عند التحالف ليتّم عقدهم عليه باشتراكهم في شيء واحد .
(٤) غرار : حد السيف . (٥) الهدوء جمع هدء : الهزيع من الليل ، يهدأ فيه الناس .

وأبكي والنجومُ مُطَلّعــاتٌ كأن لم تَحوِها عني البحـارُ
على مَن لو نُعيتُ وكـان حيّـاً لقـاد الخيلَ يحجبُها الغبـارُ
دعوتُك يـا كليبُ فلـم تُجبـني وكيف يُجيبُني البلدُ القفـارُ
أجبني يـا كليبُ خـلاكَ ذمٌّ لقد فُجعت بفارسها نـزارُ
وكنتُ أعدُّ قُربـي منك ربحـاً اذا ما عدَّتِ الربحَ التجـارُ
كأني اذ نعى النـاعي كليبـا تطاير بين جنبَـيَّ الشـرارُ

وقال يرثيه :

كليبُ لا خيرَ في الدنيـا ومَن فيها إن انتَ خلَّيتَها في مَن يُخلّيها
نعى النُعاةُ كليباً لي فقلت لهـم مالت بنا الارضُ او زالت رواسيها
ليتَ السماءَ على من تحتَهـا وقَعت وحالتِ الارضُ فانجابت (١) بمَن فيها
الحزمُ والعزمُ كانـا من طبائعه ما كلُ آلائهِ يا قومُ أحصيهـا
الناحرُ الكومَ ما ينفَـكُّ يُطعمُها والواهبُ المئةَ الحمرا براعيها (٢)

وقال :

أليلتَنا بذي حُسُـمٍ أنيـري اذا انتِ انقضيتِ فلا تَحوري (٣)
فإن يكُ بالذنائبِ طال ليـلي فقد أبكي من الليل القصيرِ (٤)
ولو نُبِشَ المقـابرُ عن كليـبٍ فيَعلمَ بالذنائبِ ايَّ زيـرِ
هتكتُ به بيوتَ بـني عبـادٍ وبعضُ القتلِ أشفى للصـدورِ
فلولا الريـحُ أسمِعَ مَن بحُجـرٍ صليلَ البيضِ تُقرَعُ بالذكورِ (٥)

وقال :

ذهب الصُلحُ أو تَردُوا كليبـاً أو أُذيقَ الغَداةَ شيبانَ ثُكـلا
ذهب الصُلحُ او تَردُوا كليبـاً او تذوقوا الوَبالَ ورداً ونَهلا (٦)

(١) انكشفت . (٢) الكوم جمع أكوم وكوماء : البعير الضخم السنام . الحمرا : الحمراء . (٣) ذو حسم : واد في نجد . لا تحوري : لا ترجعي . (٤) الذنائب : الموضع الذي قتل فيه كليب . (٥) البيض : جمع بَيضة ، وهي الخوذة . الذكور : جمع ذكر وهو السيف الصلب . قيل انه أكذب بيت قاله العرب : فبين حجر ، وهي قصبة في اليمامة ، ومكان المعركة عشرة أيام . (٦) الورد : الاقبال على الماء . النهل : اول الشرب .

عبيدالله بن قيس الرقيات

هو شاعر قُرشي . ولُقّب بالرُقَيّات لانه شبّب بثلاث نِسوةٍ سُمّين جميعا رُقَيّة . وكان زُبيريَّ الهوى . فلما قُتِل مُصعَبُ بنُ الزبير وعبدُ الله اخوه هربَ فلجأ الى عبدِ الله بنِ جعفرٍ بن ابي طالب ، فسأل عبدَ الملك في أمره فأمّنَه ، وأمر أن يَحضُرَ مجلِسَه . فحضر وحضر الناس فأذِن للناس وأخّر إذنَ ابنِ قيسٍ حتى اخذوا مجالسهم . ثم اذِن له .

فلما دخل عليه قال : يا أهلَ الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا . فقال : هذا عُبيدُ الله بنُ قيسِ الرقيات الذي يقول :

كيف نَومي على الفِراش ولَمّا تَشمَلِ الشأمَ غارةٌ شَعواءُ[1]
تُذهِلُ الشيخَ عن بنيه وتُبدي عن خِدامٍ[2] العَقيلةُ العذراءُ

فقالوا : يا امير المؤمنين ، اسقنا دمَ هذا المنافقِ. فقال . الانَ وقد أمّنتُه وصار في منزلي وعلى بِساطي . قد اخّرتُ الإذنَ له لتَقتُلوه فلم تَفعلوا . فاستأذنَه ابنُ قيسٍ أن يُنشدَه فأذِن له فأنشده :

إنّ الاغرَّ الذي ابوه ابو ال عاصي عليه الوَقارُ والحُجُبُ
يَعتدِلُ التاجُ فوقَ مَفرِقِه على جبينٍ كأنه الذهبُ

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تَمدَحُني بالتاجِ كأني من العجم وتقول في مُصعَب :

إنما مُصعَبٌ شِهابٌ من اللـه تجلّت عن وجهِه الظَلماءُ
مُلكُه مُلكُ عِزّةٍ ليس فيه جَبَروتٌ منه ولا كِبرياءُ

اما الامانُ فقد سبق لك . ولكن ، واللهِ ، لا تأخذُ مع المسلمين عَطاءً ابدا .

فقال ابن قيس لعبد الله بن جعفر : ما نَفَعَني أماني. تُرِكتُ حيًّا كميتٍ ، لا آخذُ مع الناس عَطاءً . فقال له ابن جعفر : كم بَلغتَ من السن ؟ قال : ستين سنةً . قال : فعَمِّر نفسك . قال : عشرين سنة من ذي قَبَلٍ[3] ، فذلك ثمانون سنة . قال : كم عَطاؤك ؟ قال : ألفا درهمٍ . فأمر له بأربعينَ الفَ درهمٍ ، وقال : ذلك لك علي الى أن تموتَ على تعميرِك نفسَك . فقال يَمدحُه :

(١) شعواء : منتشرة مشتعلة . (٢) الخدام جمع خدمة وهي الخلخال . وخدام هنا في نية خدامها . وَعَدّى تبدي بعن لان فيه معنى تكشف . (٣) يقال : افعل ذلك من ذي قَبَل أي في المستقبل .

قال ابن أبي عتيق لعبيد الله بن قيس وقد مر به فسلم عليه فقال: وعليك السلام يا فارس العمياء،
فقال له: ما هذا ؟! كم أحادث يا أبا محمد ؟ بأي شيء أنت، قال: أنت سميت نفسك حيث تقول: سواء عليها ليلها ونهارها
فما يستوي الليل والنهار إلا على عمياء، قال: إنما عنيت التعب، قال: فبيتك هذا يحتاج الى ترجمان يترجم
عنه

تقدّت بيَ الشّهبـــاءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ   سَواءٌ عليها ليلُها ونَهـــارُها ①
تَزورُ امرءًا قد يَعلم اللهُ أنـــــه   تَجودُ له كَفٌ قليلٌ غِرارُها (١)
أتيناكَ نُثني بالذي انت أهلُـــه   عليك كما يُثني على الروضِ جارُها
ذكرتُكَ أن فاض الفُراتُ بأرضنــا   وفاض بأعلى الرَّقّتَين بِحارُها

تَقَدّت : سارت سيرا ليس بعجل ولا مبطىء . وهذا البيت مما عيب على ابن قيس لانه نقض صدرَه بعَجزه . فقال في اوله : سارت بغير عجل . ثم قال : سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُها . وهذا منتهى الدّأب في السير .

قال عبدُ الملك بنُ مروان لعبيد الله بن قيس : ويحَكَ يا ابنَ قيس ، اما اتقيتَ اللهَ حتى تقولَ لابن جعفر :

تزور امرءًا قد يَعلَمُ اللهُ أنــــه   تجود له كَفٌ قليلٌ غِرارُهـــا

ألا قُلتَ : قد يعلم الناس ولم تقل : قد يعلم الله ! فقال ابن قيس : قد واللهِ عَلِمَه اللهُ وعلِمتَه انتَ وعلِمتُه انا وعَلِمَه الناس .

ومن قصيدة قالها في بني امية :

ما نَقَموا من بـــني اميـــةَ إلا   أنهم يَحلُمون إن غَضِبـــوا
وأنهم سادةُ الملـــوكِ فمــــا   تَصلُحُ إلا عليهـــمُ العربُ

اعترض هارونُ الرشيدُ قَينةً فغنّت :

ما نقموا من بني امية . . .

فلما ابتدأت به تغير وجهُ الرشيد ، وعَلِمت أنها قد غَلِطَت ، وأنها إن مَرّت فيه قُتِلَت ، فغنّت :

ما نَقَموا من بني اميـــةَ الا   أنهم يجهلـــون إن غَضِبـــوا
وأنهم مَعدِنُ النِفـــاقِ فمــــا   تَفسُدُ إلا عليهـــم العـــربُ

فقال الرشيد ليحي بن خالد : أسمعتَ يا ابا علي ؟ فقال : يا امير المؤمنين تُبتاعُ وتُسنى (٢) لها الجائزةُ ويُعجَلُ لها الإذنُ ليَسكُنَ قلبُها . قال : ذلك جزاءُها . قومي ، فانتِ مني بحيثُ تحبين . فأغمي على الجارية .

---

(١) أي قليل مثالها .   (٢) تجزل العطية حتى تكون سنية .

وقال في بعض رُقَيَّاتِه :

رُقَيَّ بعيشكــم لا تَهجُرينــا ومَنِّينا المُنى ثُم امطُلينــا
عِدينـا في غدٍ ما شئتِ إنـــا نُحبُّ ، وإن مَطَلتِ ، الواعدينـا
أغرَّكِ أنـــني لا صبرَ عنـــدي على هجرٍ وأنكِ تَصبرينــا
فإما تُنجزي عِدَتـــي وإمـــا نَعيشُ بما نُؤَمِّــلُ منكِ حينـا

وقال ايضا :

حَبَّذاكَ الـــدَّلُّ والغُنُـــجُ والتي في عينِهـــا دَعَـــجُ
والتي إن حَدَّثت كَذَبَـــت والتي في وعــدها خَلَجُ (١)
وترى في البيـــت صورتَهـــا مثلَما في البِيعةِ السُـــرُجُ (٢)
خَبِّروني هل عـــلى رجـــلٍ عاشقٍ في قُبلـــةٍ حَـــرَجُ

مالك بن ابي السمح

كِنيتُه أبو الوليد وكان أحولَ ، طويلا أحنى . أخذ الغِناءَ عن جميلةَ ومعبد . كان مالكُ بن ابي السمح المغني من طَيِّء . فأصابتهم حَطمةٌ (٣) في بلادهم فقَدِمت به امهُ وبأُخوة له وأخوات أيتام لا شيءَ لهم . فكان يَسألُ الناسَ على بابِ حمزةَ بنِ عبد الله بنِ الزُبير . وكان معبدٌ منقطعاً الى حمزةَ يكون عندَه في كلِ يومٍ يغنِّيه . فسَمِع مالكٌ غِناءَه فأعجبَه واشتهاه . فكان لا يُفارِقُ باب حمزةَ يَسمَعُ غناء معبدٍ الى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يَطلُب من احد شيئا ولا يَريم (٤) موضعَه . فينصرفُ الى أمِه ولم يكتسب شيئا ، فتضرِبُه وهو معَ ذلك يترنم بألحانِ معبدٍ ويُؤَدِيها دَوراً دورا في مواضعِ صيحاتِه واسجاحاته (٥) ونَبَراته تَغَماً بغير لفظ ولا روايةِ شيءٍ من الشعر . وجعل حمزةُ كلَّما غدا وراح رآه مُلازِماً لبابه ، فقال لغُلامه يوما : أَدخِل هذا الغُلامَ الأعرابيَّ الي . فأدخله ، فقال له : مَن أنت ؟ قال : انا غلامٌ من طَيِّء . اصابتنا حَطمةٌ بالجَبَلَين فحَطَّتنا

(١) اضطراب وعدم ثبات على حال . (٢) البِيعة : هيكل النصارى . (٣) جدب وقحط . (٤) يفارق .
(٥) ترخيم الصوت وتحنينه .

اليكم ومعي امٌ لي واخوة . واني لَزِمتُ بابَك فسمعتُ من دارك صوتا أعجبني ، فلَزِمتُ بابَك من اجله . قال : فهل تعرفُ منه شيئا ؟ قال : اعرف لَحنَه كلَّه ولا اعرف الشعر . فقال : ان كُنتَ صادقا فإنك لَفَهِمٌ . ودعا بمعبد فأمره ان يُغنّيَ صوتا فغناه . ثم قال لمالك : هل تستطيع ان تقوله ؟ قال : نعم . قال : هاتِه . فاندفع فغناه فأدى نَغَمَه بغير شعر ، يُؤدي مَدّاته ولَيّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاته لا يَخرِمُ حرفا . فقال لمعبد : خذ هذا الغلامَ اليك وخَرِّجه ، فَلَيَكونَنَّ له شأنٌ . قال معبد : ولِمَ أفعلُ ذلك ؟ قال : لِتكونَ محاسنُه منسوبةً اليك ، وإلا عَدَلَ الى غيرك فكانت محاسنُه منسوبةً اليه . ثم قال حمزةُ لمالك : كيف وجدتَ مُلازمتَك لبابنا ؟ قال : أرأيتَ لو قُلتُ فيك غيرَ الذي انتَ له مستحقٌ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك ؟ قال : لا . قال : وكذلك لا يَسرُّك ان تُحمَدَ بما لم تفعل . قال : نعم . قال : فوالله ما شبعتُ على بابك شَبعةً قطُ ، ولا انقلبتُ منه الى أهلي بخير . فأمر له ولأمِّه ولأخوتِه بمَنزِلٍ وأجرى لهم رِزقا وكُسوةً ، وامر لهم بخادم يَخدِمُهم وعبدٍ يَسقِيهم الماءَ . وأجلَس مالكا معه في مجالسه ، وأمر معبدا ان يُطارِحَه . فلم يَنشَب[١] أن مَهَرَ وحَذَق .

وفي مالك بن ابي السمح يقول الحسينُ بنُ عبد الله بنِ العباس :

لا عيشَ الا بمالِكِ بنِ ابي السَمحِ فلا تَلحُني[٢] ولا تَلُمِ
أبيَضُ كالبدر أو كما يَلمَعُ الـ بارِقُ في حالِكٍ من الظُلَمِ

لما قَدِم مالكٌ على الوليدِ بنِ يزيدَ نَزَل على الغَمرِ بنِ يزيدَ . فأدخله على الوليد فغنَّاه فلم يُعجِبه . فلما انصرف قال له الغمر : إن اميرَ المؤمنين لم يُعجِبه غِناؤك . فقال له : جعلني اللهُ فِداءَك ، اطلُب لي الاذنَ عليه مرةً واحدة ، فان أعجبَه شيءٌ مما أُغنيه والا انصرفتُ الى بلادي . فلما جلس الوليد في مجلِس اللَهو ذَكَره الغمرُ وطلب له الإذنَ ، وقال له : انه هابَك فحَصِر . قال : فَأذَن له . فبعث اليه . فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُراحيّات[٣] صِرفاً . فخرج حتى دخل عليه يَخطِر في مِشيَتِه . فلما بلغ بابَ المجلِس . وقف ولم يُسَلِّم واخذ بحَلَقة الباب فقَعقَعَها . ثم رفع صوتَه فغنى :

لا عيشَ الا بمالِكِ بنِ ابي السَمحِ فلا تَلحُني ولا تَلُمِ

فطَرِب الوليدُ ورفع يديه حتى بدا إبطاه اليه مادًّا لهما ، وقام فاعتنقه قائما . وقال له : ادنُ يا ابن اخي . فدنا فاعتنقه . ثم اخذ في صوته ذلك فلم يزالوا فيه ايامنا ، واجزل صِلتَه حين اراد الانصراف .

قيل : ولما اتى مالك على قوله :

أبيضُ كالسيف او كما يَلمعُ الـ بارِقُ في حالِكٍ من الظُلَمِ

(١) يلبث . (٢) تلحني : تعذلني . (٣) آنية لشرب الخمر .

قال له الوليد :

أحولُ كالقِردِ او كما يَرقُبُ السارقُ في حالكٍ من الظُلَمِ

قال ابن عائشةَ : حَضَرتُ الوليدُ بنَ يزيدَ يوم قُتِل ، وكان معنا مالكُ بنُ ابي السمح وكان من احمق الناس . فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا . فقلت : وما يريدون منا ؟ قال : وما يُؤمِنُك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسَه بينهما ليُحَسِّنوا امرَهم بذلك . قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلا قط قبلَ ذلك اليوم .

الوليد بن عقبة

هو الوليد بن عُقبةَ بنِ ابي مُعَيط ويكنى أبا وَهب ، وهو اخو عُثمانَ بنِ عَفّانَ لأمِّه وكان مِن فِتيان قريشٍ وشعرائِهم وشُجعانِهم وأجوادهم ، وكان فاسقا . وهو الذي يقول يَرثي عُثمان ويُحرِّضُ معاوية :

والله ما هندٌ بأمِّك ان مضى النهارُ ولم يَثأر بعُثمانَ ثائرُ

أيَقتُل عبدُ القومِ سيدَ اهلِه ولم تقتلوه ليتَ امَّك عاقِرُ

لما وَلّى عثمانُ الوليدَ بنَ عقبةَ الكوفةَ قَدِمَها وعليها سعدُ بنُ أبي وَقاص . فقال له سعد : ما أدري أكِستَ[١] بعدَنا ام حَمُقنا بعدَك ؟ فقال : لا تَجزَعَنَّ ، ابا اسحاق ، فانما هو المُلكُ يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون . فقال له سعد : اراكم ، واللهِ ، ستجعلونه مُلكا .

كان الوليد زانيا شِرِّيبَ خمر . فشَرِب بالكوفة وقام ليصليَ بهم الصُبحَ في المسجد الجامع . فصلى أربعَ ركعاتٍ ثم التفت اليهم وقال لهم : أأزيدُكم ؟ وتقيَّأ في المِحرابِ وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته :

عَلِقَ القلبُ الرَبابا بعدَ ما شابت وشابا

فشَخَص اهلُ الكوفة الى عُثمانَ فأخبروه خبرَه وشَهِدوا عليه بشُربه الخمرَ . فأُتي به فأمر رجلا بضربه الحدَّ . فلما دنا منه قال له : نشدتُك اللهَ وقرابتي من امير المؤمنين . فتركه . فخاف

(١) كاس يكيس : صار كَيِّساً .

عليُّ بنُ ابي طالب ان يُعَطِّلَ الحدَّ ، فقام اليه فحدَّه . فقال له الوليد : نشدتُك بالله وبالقرابة . فقال له علي : اسكُت ، ابا وهب ، فانما هَلَكَت بنو اسرائيلَ بتعطيلهم الحدودَ ، وضرَبَه . فقال الوليد لعثمان : إنك لتَضرِبُني اليومَ بشهادةِ قومٍ ليَقتُلُنَّك عاما قابلا .

وقال الوليد لعلي : أنا أحَدُّ منك سنانا ، وأبسطُ منك لسانا ، وأملأُ للكتيبة طعانا . فقال له علي : اسكت . فإنما انت فاسق . فنَزَلَ القرآنُ :

« أفَمَن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يَستوُون » .

لما عُزِل الوليدُ عن الكوفة ووَلِيَها سَعيدُ بنُ العاص ، قال :

ايُّ ساعٍ سعــــى ليَقطعَ شُربــــي حين لاحت للصابحِ الجَوزاءُ(١)
واذا الدارُ اهلُهـــا انكرونــــي عرفَتــــني الدَوِّيَّةُ(٢) الملســـاءُ
عرفَت نـــاقتي الشمائلَ مـــــني فهي ، إلا بُغامَها(٣) خرَســـاءُ
عرفَت ليلَها الطويـــلَ وليـــلي إن ذا الليلَ للعيـــونِ غِطـــاءُ

وقدِم سعيدُ بنُ العاص الكوفة فقال : اغسلوا هذا المنبرَ ، فان الوليد كان رِجسا نَجِساً . وكان الوليد أسنَّ منه وأسخى نفساً وألينَ جانبا . فقال بعضُ شعرائهم :

فررتُ من الوليـــدِ الى سعيـــدٍ كأهل الحِجر(٤) اذ جَزِعوا فباروا
يلينـــا من قريـــش كلُّ عـــامٍ اميرٌ مُحدَثٌ او مستشـــارُ
لنـــا نار تُحرِّقُنـــا فنخـــشى وليس لهم ، فلا يَخشَـــون ، نارُ

لما قُتل عُثمانُ ارسل عليٌّ فأخذ كلَّ ما كان في داره من السِلاح وإبِلاً من الصَدَقة فلذلك قال الوليد :

بني هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابن اختِكم ولا تَنهبوه ، لا تَحِلُّ مَنــاهِبُهْ
قتلتم أخي كيما تكونـــوا مكانَه كما فعلَت يوما بكِسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ كيف الهَـــوادةُ بينَنـــا وعندَ عليٍّ سيفُهُ ونجائِبُـــــه(٥)

(١) الصابح : الذي يسقي ابله صباحاً . الجوزاء : نجم يعترض في جَوز السماء أي وسطها . (٢) الفلاة ، سميت بذلك لما يسمع فيها من دوي . (٣) صوت الناقة اذا قطعت الحنين ولم تمده . (٤) ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام .
(٥) نجائبه : مفردها نجيبة أي خيار الأبل ونفائسها .

ابراهيم الموصلي

هو ابراهيمُ بنُ ميمونِ بنِ بَهمَنَ ، اصلهُ من فارسَ وله بيتٌ شريف في العجم . وام ابراهيمَ امرأةٌ من بنات الدهاقينِ (١) الذين هربوا من فارسَ لما هرب ابو ابراهيم ، فنزّلوا جميعا بالكوفة . مات أبوه وهو طِفلٌ وكان سببُ قولهم ابراهيمُ المَوصِليُّ أنه لما نشأ واشتد وأدرك صَحِبَ الفِتيانَ واشتهى الغناء فطلبه . واشتد اخوالُه عليه في ذلك وبلغوا (٢) منه فهرب منهم الى المَوصِل ، فأقام بها نحواً من سنة . وهناك تعلّم الغناء ثم صار الى الريِّ وتعلّم بها ايضاً ومَهَر وأخذ الغناء الفارسيَّ والعربيَّ . فلما رجَع الى الكوفة قال له اخوانه من الفِتيان : مرحباً بالفتى المَوصِلي . فلُقِب به .

قال ابراهيم : كان المهديُّ لا يشرَب فأرادني على مُلازمته وتَركِ الشُرب ، فأبَيتُ عليه ، وكنت أغيب عنه الأيامَ ، فاذا جِئتُه جئته مُنتشيا ، فغاظه ذلك مني فضربني وحبسني . فحَذِقتُ الكِتابةَ والقِراءةَ في الحبس . ثم دعاني يوما فعاتبني على شُربي في مَنازلِ الناس والتَبَذُّلِ (٣) معهم . فقلت : يا امير المؤمنين ، انما تعلمت هذه الصَناعةَ لِلَذَّتي وعِشرتي لأخواني ، ولو أمكَنَني تَركُها لَتَركتُها . فغَضِب غضباً شديداً وقال : لا تدخُل على موسى وهارونَ البتّةَ . فوالله لَئِن دخلتَ عليهما لأفعلَنَّ ولأصنَعَنَّ . فقلتُ : نعم . وبَلَغه أني كنت معهما في نُزهةٍ وشَرِبتُ معهما . فسعى اليه بهما وبي أبانُ الخادمُ وحَدَّثه بما كُنا فيه . فدعاني فسألني فأنكرتُ فأمرَ بي فجُرِّدتُ فضُرِبتُ ثلاثمئة وستين سَوطا . فقلت له وهو يَضربُني : إنَّ جُرمي ليس من الأجرام التي يَحِلُّ لك بها سفكُ دمي . والله لو كان سرُّ ابنَيك تحتَ قدمَيَّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعَتا . ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالةِ أبانَ الساعي العبدِ . فلما قلت له هذا ضربني بالسيف في جَفنِه (٤) فشجَّني به ، وسقطتُ مَغشِيّاً علي . ثم فتحت عينيَّ فوقعتا على عَينَيَ المهدي ، فرأيتهما عينَي نادمٍ . وقال لعبدِ الله بن مالك : خذه اليك . فأخرَجَني إلى داره وأنا أرى الدُنيا في عينيَّ صفراءَ وخضراءَ وحمراءَ من حَرِّ السوطِ . وأمره أن يُتَّخَذَ لي شبيهاً بالقبر فيُصيِّرَني فيه . فدعا عبدُ الله بكَبشٍ فذُبِح وسُلِخ وألبسني جِلدَه ليَسكُنَ الضربُ ، ثم صيَّرني في ذلك القبرِ . فتأذَّيت بنَزٍّ كان في ذلك القبرِ وبالبَقّ .

ولما وَلِي موسى الخِلافةَ غنّاه ابراهيم من شعره :

يـا ابـنَ خيرِ الملـوكِ لا تَترُكَنّي غَرَضَـا للعَدوِّ يَرمـي حِيالـي
ولقـد عِفـتُ في هـواك حياتـي وتَغرَّبـتُ بيـنَ اهـلي ومالـي

(١) الدهقان : زعيم فلاحي العجم. (٢) اي استقصوا في ايذائه وتعنيفه. (٣) التبذل : طرح الاحتشام. (٤) غمده.

قال اسحاق : فَمَوَّله موسى الهادي وخَوَّله . وبحَسبك أنه أخذ منه في يوم واحد مئةً وخمسين الفَ دينارٍ . ولو عاش لَبَنينا حيطانَ دُورنا بالذهب والفضة .

قال اسحاق : اشترى هارونُ الرشيدُ من ابي جاريةً بستةٍ وثلاثين الفَ دينارٍ ، فأقامت عنده ليلةً . ثم ارسل إلى الفضلِ بنِ الربيع : إنّا اشترينا هذه الجاريةَ من ابراهيمَ ونحن نَحسَبُ أنها من بابَتنا (١) وليست كما ظننتُها ، وما قَربتُها ، وقد ثَقُل علي الثمنُ وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب اليه فسَله أن يَحُطَّنا من ثمنها ستةَ آلافَ دينارٍ . فصار الفضل إلى أبي فقال : قد جئتُك في أمر ، ثم أخبرَه الخبَر . فقال له : انه اراد أن يَبلوَ (٢) قَدرَك عندي . قال : ذاك أراد . فقال : إن لم أُضعفه لك ، مالي كلُّه صَدَقَةٌ في المساكينِ . قد حَطَطتُك اثني عَشَر الفَ دينارٍ .

فَرجَع الفضل اليه بالخبر . فقال : ويلَك ، إدفَع إلى هذا مالَه . فما رأيتُ سُوقَةً قط أنبلَ نفسا منه . قال اسحاق : وكنت قد اتيت ابي فقلت : ما كان لحَطيطةِ هذا المال معنىً ، وما هو بقليل . فقال : انت احمق . أنا أعرَفُ الناس به . والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلاً (٣) ما أخذتُه الا وهو كارهٌ ، ويَحقُدُ ذلك علي ، وكنت أكونُ عندَه صغيرَ القَدر . وقد مَنَنتُ عليه وعلى الفضل ، وانبسطت نفسه ونَشَط وعَظُم قدري عندَه . وإنما اشتريت الجاريةَ بأربعين الفَ درهمٍ ، وقد أخذت بها اربعةً وعشرينَ الفَ دينارٍ . فلما حُمِل المالُ اليه بلا حَطيطةٍ دعاني فقال لي: كيف رأيتَ يا اسحاق ؟ مَن البصيرُ انا ام انت ؟ فقلت : بل انت ، جعلني اللهُ فِداءَك .

وقال اسحاق : لم يكن الناس يُعلِّمون الجاريةَ الحسناءَ الغناءَ ، كانوا يُعلِّمونه الصُفرَ والسودَ . واولُ من علَّم الجواريَ المُثَمَّنات ابي ، فانه بلغ بالقِيان كلَّ مبلغٍ ، ورفع من أقدارهن .

قال ابراهيم بن المهديِّ ، وكان يُقدِّم ابنَ جامعٍ ولا يُفَضِّلُ احداً عليه : كنا في مجلس الرشيد ، وقد غلب النبيذُ على ابنِ جامعٍ فغنى صوتا فأخطأ في أقسامه . فالتفتَ إلي ابراهيمُ المَوصِليُّ فقال : قد خَرِيَ أُستاذُك فيه . وفهِمتُ صُدقَه في ما قال. فقلت له : انتبه أيها الشيخُ وأَعِدِ الصوتَ . ففَطِن وأعاده وتَحفَّظَ فيه وأصاب . فغَضِب المَوصِليُّ وأقبل علي وقال :

أُعَلِّمُه الرمايةَ كلَّ يومٍ فلما استَدَّ (٤) ساعِدُه رماني

وتنكَّر لي وحلَف ألاّ يُكلِّمَني .

قال مُخارقٌ تلميذُ ابراهيمَ :

أذِن لنا امير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيمَ في منازلنا ثلاثةَ أيامٍ ، وأعلَمَنا أنه مشتغل فيها مع الحُرَمِ وأصبحتَ السماء متغَيِّمةً تَطِشُ طَشّاً خفيفاً ، فقلت : والله لأذهَبَنَّ إلى أُستاذي ابراهيمَ فاعرِفَ

(١) يقال هذا من بابتك اي يصلح لك . (٢) يبلو : يختبر ويمتحن . (٣) كاملا . (٤) قال الاصمعي: اشتد بالشين ، ليس بشيء . واستد استقام . وبعده :

فلا ظَفِرت يمينُك حين ترمي وشُلَّت منك حاملةُ البَنانِ

خبَرَه ثم اعودُ . فجئت اليه فدخلت فاذا هو جالس في رِواقٍ له وبين يديه قُدورٌ تُغَرغِرُ (١) وأباريقُ تَزهَرُ (٢) ، والستارةُ منصوبةٌ والجواري خلفَها واذا قُدَّامَه طَستٌ فيه رِطليَّةٌ وكوزٌ وكأس . فقلت له : ما بالُ الستارةِ لست اسمَعُ مِن ورائها صوتا ؟ فقال : اقعُد ويحَك . أتاني خبرُ ضيعة تُجاوِرُني ، قد ، والله ، طلبتُها زمانا وتَمَنَّيتُها . وقد أُعطِيَ بها مئةُ الف درهم . فقلت : وما يَمنَعُكَ منها ؟ فوالله لقد اعطاك اللهُ أضعافَ هذا المال وأكثرَ . قال : صَدَقتَ ، ولكن لستُ أَطيبُ نفسا أن أُخرِجَ هذا المالَ . فقلت : فمَن يُعطيك الساعةَ مئةَ الفِ درهمٍ . والله ما أطمعُ في ذلك من الرشيد ، فكيف بمَن دونَه . فقال : اجلِس ، خُذ هذا الصوتَ . ونقر بقضيبٍ معه على الدَّواةِ وألقى علي :

نام الخليُّــــون من هــمٍّ ومن سَقَمٍ   وبِتُّ من كثرة الأحزانِ لم أنَمِ

يا طالبَ الجودِ والمعــروفِ مجتهــداً   اعمِد ليحيى حليــفِ الجودِ والكرمِ

— الشعرُ لأبي النَضير — فأخذتُه فأحكمتُه . ثم قال لي : امضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بنِ خالدٍ ، فاستأذِن عليه قبل ان يَصِلَ اليه احدٌ . فانه سيُنكِرُ عليك مَجيئَك ويقول : مِن اينَ أقبلت في هذا الوقت ؟ فحدِّثه بقصدكَ ايايَ وما ألقيتُ اليك من خبَرِ الضيعة . وأعلِمه أني صنعتُ هذا الصوتَ وأعجبَني ولم أرَ احداً يَستحقُّه إلاَّ فُلانةَ جاريتَه . وأني ألقيتُه عليك حتى أحكمتَه لتَطرَحَه عليها . فجئتُ بابَ يحيى وسألَني فاعلمتُه ما أمرَني به ، وأحضَرَ الجاريةَ فألقيتُه عليها . ثم قال : يا غلامُ ، احمِل معَ ابي المُهَنَّأ عشرةَ آلافِ درهمٍ ، واحمِل الى أبي اسحاقَ مئةَ ألفِ درهمٍ ثمنَ هذه الضيعة . وانصرفتُ وأتيتُ منزلي ، ونثرتُ على مَن عندي من الجواري دراهمَ من تلكَ البَدرةِ ، وأكلتُ وشَربت وطَربتُ .

فلما أصبحتُ قلت : والله لآتيَنَّ أستاذي ولأعرِفَنَّ خبَره . فأتيتُه فوجدتُ البابَ كهيئته بالأمس . ودخلت فوجدته على مِثلِ ما كان عليه . فترنمتُ وطَربتُ ، فلم يَتَلَقَّ ذلك بما يجب فقلت له : ما الخَبرُ ؟ ألَم يَأتِك المالُ ؟ قال : بَلى . ولكن ما هو والله الاَّ أن دَخَلَ منزلي حتى شَحَحتُ عليه فصار مِثلَ ما حَوَيتُ قديماً . فقلت : فتَصنعُ ماذا ؟ قال : قُم حتى أُلقيَ عليك صوتا صنعته يفوقُ ذلك الصوتَ . فقُمت وجلست بين يديه فألقى علي :

وَيفــرحُ بالمولــودِ مــن آلِ برمَــكٍ   بُغاةُ النَدى والسيفُ والرُمحُ ذو النَصلِ

وتَنبسطُ الآمــالُ فيــه لفضلــه   ولا سيَّما إن كان من وَلَدِ الفضلِ

— الشعرُ لأبي النَضير — . فلما القى علي الصوتَ سمعتُ ما لم اسمع مثلَه قط ، وصَغُرَ عندي الاولُ . فأحكمتُه . ثم قال : انهَض الى الفضل بنِ يحيى . فاستأذِن عليه وحَدِّثه بحديثنا أمسِ وما كان من

(١) غرغرت : صاتت عند الغلي . (٢) يصفو لونها .

ابيه الينا واليك . وأعلمه أني ألقيتُه عليك حتى أحكمتَه ووجَّهتُ بك لتُلقيَه على فلانة جاريته . فصرتُ الى باب الفضل فاستأذنتُ . فسألني : ما الخبرُ ؟ فأعلمتُه . فدعا خادما فقال : إضرب الستارةَ . فضربها . فقال لي : ألقه . فلما غنيتُه ، لم أُتمَّه حتى أقبل يَجُرُّ مطرَفه ، ثم قعد على وسادة دونَ الستارة وقال : أحسنَ والله أُستاذُك واحسنتَ انت يا مُخارق . فلم اخرُج حتى اخذتْه الجاريةُ واحكمَتْه . فسُرَّ بذلك سروراً شديدا . وقال : يا غلامُ ، احمل معَ ابي المُهَنَّأ عشرين الفَ درهم ، واحمِل إلى ابراهيمَ مئتي الفِ درهم . فانصرفتُ إلى منزلي ففتحتُ بَدرةً فنثرتُ منها على الجواري وشَربتُ وسُررتُ . فلما أصبحتُ بكَّرتُ إلى ابراهيمَ اتعرَّفُ خبرَه وأُعرِّفه خبري ، فوجدتُه على الحال التي كان عليها اولا واخيرا . فدخلت أترنَّم وأُصفِّق . فقال لي: أُدنُ . فقلت : ما تنتظرُ الآن ؟ فقال : اجلس فخُذ هذا الصوتَ . وألقى علي صوتا أنساني والله صوتَيَّ الأولَين :

إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسرةٍ [1] طواها سُراها نحوَه والتهجُّرُ
إلى واسعٍ للمُجتَدين فِناؤه تَروحُ عطاياه عليهم وتُبكِرُ

ـ الشعر لمروان بن ابي حفصة ـ فلم يزل يُرَدِّدُه عليَّ حتى أخذتُه ثم قال لي : امضِ إلى جعفرٍ فافعل به كما فعلت بأخيه وأبيه . فمضيت ففعلت مثلَ ذلك وعرضت عليه الصوتَ فسُرَّ به ودعا خادما فأمره بضرب الستارة وأحضر الجاريةَ وقعد على كرسيٍّ ، ثم قال : هاتِ يا مُخارقُ . فاندفعت فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذتْه . فقال : أحسنتَ والله يا مخارقُ وأحسنَ أُستاذُك فقال : يا غلام، احمِل معه ثلاثين الفَ درهمٍ وإلى المَوصِليِّ ثلاثمئة الفِ درهمٍ . فصرتُ إلى منزلي بالمال . ثم بَكَّرتُ إلى ابراهيمَ فتلقَّاني قائما وقال لي : احسنتَ يا مُخارق . فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس . فجلست فقلت : ما خبرُ الضيعة ؟ فأدخل يدَه تحتَ مِسْوَرَةٍ [2] هو متَّكيءٌ عليها فقال : هذا صكُّ الضيعة ، اشتراها منه يحيى بنُ خالد وكتب إلي : قد علمتُ أنك لا تَسخو نفساً بشراءِ الضيعةِ من مال يَحصُلُ لك ولو حِيزَتْ لك الدنيا كلُّها . وقد ابتعتُها لك من مالي ووجهتُ لك بصكِّها . ثم بكَى وقال لي: يا مخارقُ ، اذا عاشرتَ فعاشِر مثلَ هؤلاء .

قال اسحاق : كان موسى الهادي شَكِسَ الاخلاقِ صعبَ المزاجِ ، مَن توقَّاه وعرَف اخلاقَه اعطاه ما أمَّلَ ، ومَن فتح فاه بغير ما يَهواه ، أقصاه واطَّرحه. فتغنى ابي عنده يوما ، فقال له : غنِّني يا ابراهيمُ شيئا ألَذُّ به وأطرَبُ له ولك حُكمُك . فقال : يا امير المؤمنين ، ان لم يقابلني زُحَلُ ببَرده رَجَوتُ أن أُصيبَ ما في نفسك . قال ابراهيم : وكنت لا أراه يُصغي إلى شيءٍ من الأغاني إصغاءه إلى النسيب والرقيق منه، فغنَّيتُه :

وإني لتَعروني لذِكراكِ هِزَّةٌ كما انتفض العُصفورُ بلَّلهُ القَطرُ

(١) الناقة العظيمة . (٢) مسورة : وسادة من جلد .

– الشعر لأبي صَخرٍ الهُذلي – فضرب بيده إلى جَيبِ دُرَّاعتِه فحَطَّها ذِراعا ثم قال : أحسنتَ والله ! زِدني. فغنَّيت :

فيا حُبُّهـــا زِدني هـــوىً كـــلَّ ليلةٍ ويا سَلوةَ الايامِ موعِدُكِ الحَشرُ [١]

فضرب بيده إلى دُرَّاعته فحَطَّها ذِراعا آخرَ ، وقال : زدني ويلَك . أحسنتَ ، والله ، ووَجَبَ حُكمُكَ يا ابراهيمُ . فغنَّيت :

هجرتُـــكِ حتى قيل لا يَعرِفُ الهوى وزرتُكِ حتى قيل ليس له صَبـــرُ

فرفع صوته وقال : احسنت ، لله ابوك . هاتِ ما تريد . قلت : يا سيدي ، عينَ مَروانَ بالمدينة . فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما جَمرتان، وقال: يا ابنَ اللَّخناء[٢] أردتَ ان تَشهَرَني بهذا المجلسِ فيقولُ الناسُ : أطربَه فحكَّمه ، فتجعلُني سَمَراً وحديثاً . يا ابراهيمُ الحَرَّانيُّ ، خذ بيد هذا الجاهلِ ، اذا قُمتُ ، فأدخِله في بيت مالِ الخاصَّةِ . فإن أخذ كلَّ ما فيه فَخَلِّه واياه . فدخلت فأخذت خمسين الفَ دينارٍ .

قال اسحاق : كان بعضُ اهلِ نَهيكَ [٣] قد تعاطى الغناء ، فلما ظنَّ أنه قد أحكمَه شاورني ، وابي حاضرٌ . فقلت له : إن قَبِلتَ مني فلا تُغَنِّ ، فلستَ فيه كما أرضى . فصاح أبي علي صيحةً شديدة ثم قال لي : وما يُدريك يا صَبيُّ . ثم أقبل على الرجل فقال : انت ، يا حبيبي ، بضدِّ ما قال . وإن لَزِمتَ الصناعةَ بَرعتَ فيها . فلما خلا بي قال لي : يا أحمقُ ، ما عليك أن يُخزيَ اللهُ مئةَ الفِ مثلَ هذا . هؤلاءِ اغنياءُ ملوك ، وهم يُعَيِّرونَنا بالغناء . فدَعهم يَتهتَّكوا به ويُعَيَّروا ويَفتَضحوا ويَحتاجوا الينا فَننتفِعَ بهم ويَبِينَ فضلُنا لدى الناس بأمثالهم . ولَزِمَه النَهيكيُّ يأخذُ عنه ويَبَرُّه فيُجزِلُ . فكان اذا غنَّى فأحسن قال له : باركَ اللهُ فيك. واذا أساء قال : بارك الله عليك . وكثُر ذلك منه حتى عرَفَ النَهيكيُّ مَعناه فيه. فغنَّى يوما وابي ساهٍ فسكتَ ولم يَقُل له شيئاً . فقال له : جُعِلت فِداك ، يا استاذي ، أهذا الصوتُ من اصوات « فيك » أم « عليك » . فضَحِكَ ابي ، ولم يكنْ عَلِمَ قد فَطِن لقوله ، ثم قال له : والله لأقبِلَنَّ عليك حتى تَصيرَ كما تَشتهي ، فإنك ظريف اديب .

كان الرشيد قد وجد على منصورِ زلزَلَ [٤] لشيءٍ بَلَغَه عنه فحبسَه عشرَ سنين . فقام الرشيد يوما لحاجته ، فجعل ابراهيمُ يغني صوتا صنعه في شعرٍ كان قاله في حَبس زلزلَ وهو :

هل دَهرُنا بـــكَ راجـــعٌ يـــا زَلـــزَلُ أيامَ يَبغينـــا العدوُّ المُبطِـــلُ

ودخل الرشيد فجلس ثم قال : يا ابراهيمُ ، أيَّ شيءٍ كنت تقول ؟ فقال خيرا يا سيدي . فقال :

(١) يوم القيامة . (٢) منتنة الريح. (٣) لعله من اسرة عثمان بن نهيك احد قواد المنصور الذي قتل ابا مسلم الخراساني.
(٤) ضارب عود مشهور .

هاته. فتلكأ. فغضب الرشيد وقال: هاته، فلا مكروه عليك. فردّ الغناء. فقال له: أتحب أن تراه؟ فقال: وهل يُنشر اهل القبور؟ فقال: هاتوا زلزل. فجاؤوا به وقد ابيض رأسه ولحيته فسُرّ به ابراهيم. وامره فجلس، وأمر ابراهيم فغنى، وضرب عليه زلزل فزلزلا الدنيا. وشرب الرشيد على ذلك رطلا، وامر بإطلاق زلزل وأسنى جائزتهما. وزلزل اول من أحدث هذه العيدان الشبابيط [1] وكانت قديما على عمل عيدان الفرس، فجاءت عجبا من العجب. وكانت اخت زلزل زوجة ابراهيم، وقد ولدت منه.

قال الرشيد لابراهيم بن المهدي وابراهيم الموصلي وابن جامع: باكروني غداً، وليكن كل واحد قد قال شعراً إن كان يقدر أن يقوله وغنى فيه لحناً، وإن لم يكن شاعراً غنى في شعر غيره. قال ابراهيم بن المهدي: فقمت في السحر وجهدت أن أقدر على شيء أصنعه فلم يتفق لي. فلما خفت طلوع الفجر دعوت بغلماني وقلت لهم: إني أريد أن أمضي إلى موضع ولا يشعر بي أحد. فقمت فركبت وقصدت دار ابراهيم الموصلي وكان قد حدثني أنه إذا أراد الصنعة لم ينم حتى يدبر ما يحتاج إليه. وإذا قام لحاجته في السحر اعتمد على خشبة له في المستراح [2]، فلم يزل يقرع عليها حتى يفرغ من الصوت ويرسخ في قلبه. فجئت حتى وقفت تحت مستراحه فاذا هو يردد هذا الصوت:

إذا سُكبت في الكأس قبل مزاجها ... ترى لونها في جلدة الكأس مذهبا [3]
وإن مُزجت راعت بلون تخاله ... إذا ضُمنته الكأس في الكأس كوكبا
أبوها نجاء [4] المزن والكرم امها ... فلم أر زوجاً منه أشهى وأطيبا
فجاءتك صفرا أشبهت غير جنسها ... وما أشبهت في اللون أماً ولا أبا

قال: فما زلت واقفا أستمع منه الصوت حتى أخذته. ثم غدونا إلى الرشيد، فلما جلسنا للشرب خرج الخادم إلي فقال: يقول لك امير المؤمنين: يا ابن أم، غنني. فاندفعت فغنيت هذا الصوت والموصلي في الموت حتى فرغت منه. فشرب عليه وأمر لي بثلاثمئة ألف درهم. فوثب ابراهيم الموصلي فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أن الشعر له قاله البارحة وغنى فيه، ما سبقه اليه أحد. فقلت: يا سيدي، فمن أين هو لي أنا لولا كذبه وبهته. وابراهيم يضطرب ويضج. فلما قضيت أرباً من العبث به قلت للرشيد: الحق أحق أن يتبع، وصدقته. فقال للموصلي: أما أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى رده. وقد أمرت لك بمئة الف درهم عوضاً مما جرى. فلو بدأت أنت بالصوت لكان هذا حظك.

هبّ الرشيد ليلة فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود قريب من الأرض فركبه، وخرج

(١) جمع شبوط وهو ضرب من السمك كأنه بربط أي عود. (٢) المستراح: الكنيف وبيت الخلاء. (٣) مذهب: المحاكي لون الذهب. (٤) نجاء: جمع مفرده نجو وهو هنا بمعنى منهل السحاب. ويروى في بعض الطبعات كطبعة الساسي «نجيّ» وهذه الرواية أحب عندي لاشتمالها على معنى كنائي اعمق وذلك لان النجي السر، فيعني ان المزن أفرغ في الشراب سره ومكنون قلبه.

في دُرّاعةِ وشيٍ مُتَلَثِّما بعِمامةِ وشيٍ ملتحفا بإزار وشيٍ ، بين يديه اربعُمئةِ خادمٍ ابيضَ سوى الفَرّاشين ، إلى منزل ابراهيمَ المَوصليّ . فخرج فتلقّاه وقبّلَ حافرَ حماره وقال له : يا اميرَ المؤمنين ، أفي مثلِ هذه الساعة تَظهَر . قال : نعم . شوقٌ طرَق لك بي . ثم نزَل فجلس فقال ابراهيم : يا سيدي . أتَنشَطُ لشيءٍ تأكُلُه . فقال : نعم ، خاميزِ (١) ظبيٍ . فأُتِي به كأنما كان مُعَدّاً له . فأصاب منه شيئاً يسيرا . ثم دعا بشَراب حُمِل معه ، فقال الموصلي : يا سيدي أأُغنيك أم تُغني إماؤك ؟ فقال : بل الجَواري . فخرج جواري ابراهيمَ فأخذن صدرَ الإيوانِ وجانبَيه . فقال : أيَضرِبن كلُّهن أم واحدةٌ ؟ فقال : بل تَضرِب اثنتان اثنتان وتُغني واحدةٌ فواحدة . ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الايوانِ وأحدُ جانبيه . والرشيدُ يسمعُ ولا يَنشَطُ بشيءٍ من غِنائهن ، إلى أن غنت صَبيّةٌ :

يا مُوريَ الـزَّنـدِ قـد أعيَت قوادِحُه   إقبِس اذا شئتَ من قلبي بمِقباسِ (٢)
مـا أقبحَ الناسَ في عينـي واسمَجَهـم   اذا نظرتُ فلم أُبصِركَ في النـاسِ

فَطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مِرارا وشرِب أرطالا . ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكت . فاستدناها ، فتقاعست (٣) . فأمر بها فأُقيمت حتى وقفت بين يديه ، فأخبرته بشيءٍ أسرّته اليه . فدعا بحماره فرَكِبَه وانصرف . ثم التفت إلى ابراهيمَ فقال : ما ضرّك ألاّ تكونَ خليفةً . فكادت نفسُه تخرُجُ ، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك .

وكان الذي خبَّرَته به أن الصَنعةَ في الصوت لأختِه عُلَيّةَ بنتِ المَهديّ . وكانت الجاريةُ لها وَجّهَت بها إلى ابراهيمَ يُطارِحُها (٤) . فغار الرشيد .

اجتمع ابراهيمُ المَوصِليُّ وزلزلُ وبَرصوما بين يدي الرشيد . ، فضرب زلزلُ وزمَر برَصوما وغنى ابراهيم :

صحـا قلبي وراع (٥) إليَّ عـقـلي   وأقصرَ باطـلي ونسيتُ جَهـلي
رأيت الغانيـاتِ وكُـنَّ صُـوراً (٦)   إليَّ ، صَرَمنَني وقَطعنَ حبـلي

ــ الشعر لأبي العتاهية ــ فطَرِب هارونُ حتى وثب على رجليه وصاح : يا آدمُ ، لو رأيتَ من يَحضرُني من وَلدك اليومَ لَسَرّك . ثم جلس وقال : أستغفِرُ اللهَ .

حدّث عليُّ بنُ عبدِ الكريمِ قال :

زار ابنُ جامعٍ ابراهيمَ فأخرج اليه ثلاثين جاريةً ، فضَربن جميعا طريقةً واحدة وغَنّين . فقال ابنُ جامع : في الأوتار وترٌ غيرُ مُستَوٍ . فقال ابراهيم : يا فلانةُ ، شُدّي مَثناكِ . فشدّته فاستوى.

(١) خاميز : مرق مصفى من الدهن . (٢) مقباس: أداة تؤخذ بها جذوة من النار .. ومعنى البيت: أنت يا موقد الأوار الذي صلدت قوادحه وخاب زنده ، اقترب من اجيج قلبي المتلهب وخذ منه جذوة . (٣) تقاعست : تلبثت ولم تبادر . (٤) اي يطرح عليها الصوت لتحكمه . (٥) رجع . (٦) صَوِر الى : أمال عنقه ووجهه فهوأصور وهي صوراء والجمع صُور .

فعجبتُ اولا من فطنة ابن جامع لوتر في مئة وعشرين وترا غير مستو ، ثم ازداد عجبي من فطنة ابراهيم له بعينه .

قال ابراهيم : قال لي الرشيد يوما : يا ابراهيم ، اني قد جعلت غدا للحريم ، وجعلت ليلة للشرب مع الرجال ، وانا مقتصر عليك من المغنين فلا تشتغل غدا بشيء وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة . فقلت : السمعُ والطاعةُ لامير المؤمنين . فقال : وحق ابي لئن تأخرتَ او اعتللتَ بشيء لأضربنّ عنقك ، أفهمتَ ؟ فقلتُ : نعم. وخرجتُ فما جاءني احد من أخواني الا احتجبتُ عنه ، ولا قرأتُ رقعةً لأحد ، حتى اذا صُلّيت المغربُ ركبتُ قاصدا اليه. فلما قربتُ من فناء داره مررت بفناء قصر ، واذا زنبيلٌ كبير مُستوثقٌ منه بحبال وأربع عُرى أدَم وقد دُلّيَ من القصر ، وجاريةٌ قائمةٌ تنتظر إنساناً قد وُعد ليجلس فيه. فنازعتني نفسي الى الجلوس فيه ، ثم قلت: هذا خطأ. ولعلّه أن يجري سببٌ يعوقني عن الخليفة فيكونُ الهلاكُ . فلم أزل أُنازعُ نفسي وتُنازعني حتى غلبتني فنزلتُ فجلستُ فيه ومُدّ[1] الزنبيلُ حتى صار في أعلى القصر ، ثم خرجتُ فنزلت ، فاذا جوارٍ كأنهن المها جُلوسٌ . فضحكن وطربن ، وقلن قد جاء والله ، من اردناه . فلما رأينني من قريب تبادرن الى الحجاب وقلن: يا عدوّ الله ، ما أدخلك الينا ؟ فقلت : يا عدوّات الله ، ومن الذي اردتنّ إدخالَه ؟ ولِمَ صار أولى بهذا مني ؟ فلم يزل هذا دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن . ثم قالت إحداهن : امّا من أردناه فقد فات ، وما هذا إلا ظريفٌ . فهلمّ نُعاشرْهُ عشرةً جميلة . فأُخرجَ الي طعامٌ ودُعيتُ الى أكله ، فلم يكن فيّ فضلٌ إلاّ أني كرهتُ أن أُنسبَ الى سوء العشرة . فأصبتُ منه إصابةَ مُعذّرٍ[2] ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب ، وأخرجن الي ثلاثَ جوارٍ لهن فغنّين غناءً مليحا. فغنّت إحداهن صوتا لمعبد ، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر : أحسنَ ابراهيمُ ، هذا له . فقلتُ : كذبتِ ، ليس هذا له ، هذا لمعبد . فقالت يا فاسقُ ، وما يُدريك الغناءُ ما هو ؟ ثم غنّت الأخرى صوتا للغريض . فقالت تلك : أحسنَ ابراهيمُ ، هذا له ايضا . فقلت : كذبتِ ، يا خبيثةُ ، هذا للغريض . فقالت : اللّهُمّ أخزه . ويلك ! وما يُدريكَ . ثم غنّت الجاريةُ صوتا لي ، فقالت تلك : أحسن ابنُ سُريج ، هذا له . فقلت : كذبتِ ، هذا لابراهيمَ . فقالت : وما يُدريك . فقُلت : انا ابراهيمُ . فتباشرن بذلك جميعا وطربن وظهرن لي وقلن : كتمتنا نفسك وقد سررتنا . فقلت : انا الانَ أستودعكن اللهَ . فقلن . وما السببُ ؟ فأخبرتهن قصتي مع الرشيد . فضحكن وقلن: الانَ والله طاب حبسك . علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً . فقلت : هو ، والله ، القتلُ . قلن : الى لعنة الله . فأقمتُ عندهن أسبوعاً لا أزولُ . فلما كان بعدَ الاسبوع ودّعنني وقلن: ان سلّمك اللهُ فانت بعدَ ثلاث عندنا . قلت : نعم . فأجلسنني في الزنبيل وسرّحتُ . فمضيتُ لوجهي حتى أتيتُ دارَ الرشيد . واذا النداءُ قد أُشيعَ ببغدادَ في طلبي ، وأن من أحضرني فقد سُوّغ مُلكي وأُقطعَ مالي. فاستأذنتُ ، فتبادر الخدمُ حتى أدخلوني على الرشيد . فلما رآني شتمني وقال : السيفَ والنطعَ[3]. إيهٍ ، يا ابراهيمُ ،

(١) مد : بسط وجذب . (٢) معتذر . (٣) بساط يوقف عليه من حكم بقطع رأسه .

تهاونتَ بأمري وتشاغلتَ بالعَوامّ عما امرتُك به . وجلستَ مع أشباهك من السُفَهاء حتى أفسدتَ عليَّ لذتي ! فقلت : يا اميرَ المؤمنين ، انا بينَ يديك ، وما أمرتَ به غيرُ فائت . ولي حديثٌ عجبٌ ما سُمِع بمثله قط . وهو الذي قَطَعني عنك ضَرورةً لا اختيارا ، فاسمَعه . فان كان عُذراً فاقبله . والا فانت أعلمُ . قال : هاته ، فليس يُنجيك . فحدَّثتُه . فوَجَم ساعةً ثم قال : إنَّ هذا لعجبٌ . أفَتُحضِرُني معك هذا الموضِعَ ؟ قلت : نعم وأُجلِسُك معَهن ، إن شئت ، قَبلي حتى تَحصُلَ عندَهن . وإن شئتَ ، فعلى موعد . قال : بل على موعد . قلت : أفعلُ . فقال : أُنظُر . قلت : ذلك حاصلٌ اليك متى شئتَ . فعَدَل عن رأيه فيَّ وأجلَسني وشَرِب وطَرِب . فلما أصبحتُ امرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهن . فمضيت اليهن في وقت الوعد . فلما وافيت الموضِع اذا الزنبيلُ مُعلَّقٌ ، فجلست فيه . ومَدَّه الجواري فصعَدت . فلما رأينَني تَباشرن وحَمدن اللهَ على سلامتي . وأقمتُ ليلتي . فلما اردتُ الانصرافَ قلت لهن : إن لي اخا هو عِدلُ[1] نفسي عندي ، وقد أحبَّ مُعاشرَتَكن ووعدتُه بذلك . فقلن : ان كنت ترضاه فمرحبا به . فوعدتُهن ليلةَ غدٍ وانصرفتُ وأتيتُ الرشيدَ وأخبرته . فلما كان الوقتُ خرج معي متخفيًا حتى اتينا الموضِع . فصعدتُ وصَعَد بعدي . وقد كان اللهُ وفَّقني لأن قلت لهن : اذا جاء صديقي فاستَترن عني وعنه ولا يُسمَع لَكُنَّ نَطقَةٌ . وليكن ما تختَرنَه من غناء او تَقُلنَه من قول مُراسَلَةً . فلم يتعدَّين ذلك . وأَقَمن على أتمّ سِترٍ وخَفَرٍ . وشربنا شُربا كثيرا . وقد كان امرني ألا أُخاطبَه بامير المؤمنين . فلما اخذ مني النبيذُ قلتُ سَهواً : يا اميرَ المؤمنين . فتَواثبن من وراء السِتارة حتى غابت عنا حركاتُهن . فقال لي : يا ابراهيمُ ، لقد أفلَتَّ من امر عظيم . واللهِ لو بَرزَت اليك واحدةٌ منهن لضربتُ عُنُقَك . قم بنا . فانصرفنا . واذا هن له . قد كان غَضِب عليهن فحبَسَهُن في ذلك القصرِ . ثم وجَّه من غدٍ بخدم فردُّوهن الى قصره . ووهب لي مئةَ الفِ درهمٍ . وكانت الهدايا والالطافُ[2] تأتيني بعد ذلك منهن .

وكانت علَّةُ ابراهيمَ التي تُوُفِّي فيها القَولَنجُ . وركب الرشيدُ حمارا ودخل الى ابراهيم يَعودُه وهو في الأَبزَنِ[3] جالسٌ ، فقال له : كيف انت يا ابراهيمُ ؟ فقال : انا ، والله يا سيدي كما قال الشاعر :

سَقيـــمٌ مـــلَّ منه أقـــربُـــوه   وأسلَمَه المُـــداوي والحميــــمُ

ــ الشعر لابي المنهال الأشجعي ــ فقال الرشيد : انَّا لله . وخرج . فلم يبعد حتى سَمِع الواعيةَ عليه[4]، وله من العمر ثلاثٌ وستون سنةً .

---

(١) نظير . (٢) جمع لَطَف : الهدايا . (٣) حوض من حديد او من نحاس مصنوع على شكل التابوت عليه غطاء مثقوب يوضع فيه المريض ويخرج رأسه من الثقب. والقولنج مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الثفل والريح .
(٤) الصراخ على الميت .

اسحاق الموصلي

هو ابن ابراهيم ، ويُكنّى ابا محمد. وموضعُه من العلم ، ومكانُه من الادب ، ومحلُّه من الرواية ، وتَقدُّمُه في الشعر ، ومنزلتُه في سائر المحاسن ، أشهرُ من أن يُدَلّ عليه فيها بوصف . واما الغناءُ فكان أصغرَ علومه وادنى ما يُوسَمُ به، وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنُه. فانه كان له في سائر أدواته نُظَراءُ وأكْفاءُ . ولم يكن له في هذا نظيرٌ . فانه لَحقَ بمن مضى فيه وسبَقَ مَن بقي ، فهو إمامُ اهلِ صناعته جميعا ، ورأسُهم ، ومعلّمُهم ، يَشهدُ به الموافقُ والمفارقُ ، على أنه كان أكرهَ الناسِ للغناء واشدَّهم بُغضا لأن يُدعى اليه او يُسمّى به. وكان يقول : لَوددتُ أن أُضرَبَ ، كلما اراد مُريدٌ مني أن اغني ، وكلما قال قائل : اسحاقُ الموصلي المغني ، عَشرَ مقارعٍ . لا أُطيقُ اكثرَ ، وأُعفى من الغناء .

كان المأمون يقول: لولا ما سبق على ألسنة الناسِ وشُهِرَ به عندهم من الغناء لَولّيتُه القضاء بحضرتي . فانه أولى به وأعفُّ واصدقُ واكثرُ دِينا وامانةً من هؤلاء القُضاة .

وهو الذي صحّحَ الغناء وطرائقَه وميّزه تمييزاً لم يقدِر عليه احدٌ قبلَه ولا تعلّق به احدٌ بعدَه. حتى اتى على كل ما رَسمَته الاوائلُ مثلُ إقليدِسَ ومَن قبلَه ومَن بعدَه من اهل العلمِ بالموسيقى ووافقَهم بطبعه وذِهنه فيما قد أفتَوا فيه الدهورَ من غير أن يَقرَأ لهم كتاباً او يَعرفَه .

قال اسحاق : بَقيتُ دهراً من دهري أُغلِّسُ في كل يوم الى هُشَيمٍ فأسمعُ منه . ثم أصير الى الكسائيِّ أو الفرّاء او ابنِ غزالةَ فأقرأُ عليه جزءاً[1] من القُرآن . ثم آتي منصورَ زلزلَ فيُضاربُني طَرقين[2] او ثلاثةً . ثم آتي عاتكةَ[3] بنتَ شَهدةَ فآخذُ منها صوتاً او صوتين ، ثم آتي الاصمعيَ وابا عُبيدةَ فأُناشدُهما وأُحدّثُهما فاستفيدُ منهما . ثم أصيرُ الى ابي فأُعلمُه ما صنعتُ وما لَقيت وما أخذتُ وأتغدى معَه . فاذا كان العشاءُ رُحت الى امير المؤمنينَ الرشيدِ .

وقال : اخذ مني منصورٌ زلزلُ ، الى أن تعلمتُ مثلَ ضَربه بالعود ، اكثرَ من مئة الف درهم .

حدّثَ إسحاق : قال لي ابو زياد الكلابي : أولَمَ جارٌ لنا ، يُكنّى ابا سُفيان ، وليمةً دعاني لها ، فانتظرتُ رسولَه حتى تَصرّمَ يومي فلم يأتِ فقلت لامرأتي :

---

(١) أغلس : أمضي في الغلس أي آخر ظلمة الليل . (٢) الطرق ، الصوت واللحن بالعود . (٣) مغنية محسنة .

إن أبـا سُفيانَ ليس بمُـــولِـــم فقُومي فهاتي فَلقَةً من حُوارِك (١)

قال اسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟ فقال : لا انما ارسلتُه يتيما . فقلت ألا أُجيزُه ؟ قال : شأنَك . فقلت :

فبيتُك خيرٌ من بيـوتٍ كثيـرةٍ وقِدرُك خيرٌ من وليمـةِ جارِك .

فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي انت وامي ، جئتَ والله به قَبَلاً ما انتظرتَ به القَرَبَ (٢) . وما أَلومُ الخليفةَ أن يَجعلَك في سُمَّاره ويتملَّحَ بك وإنك لمن طِرازٍ ما رأيتُ بالعراق مثلَه . ولو كان الشبابُ يُشترى لابتعتُه لك باحدى عينَيَّ ويُمنى يدَيَّ . وعلى أن فيك بحمدِ الله ومَنِّه بقيَّةً تسرُّ الوَدودَ وتُرغِمُ الحسودَ .

تناظر المغنون يوما عند الواثقِ (وكان يجيد الغناء) فذكروا الضُرَّابَ وحِذقَهم . فقدَّمَ اسحاقُ زلزلَ على مُلاحِظ . وللاحظ في ذلك الرياسةُ على جميعهم . فقال له الواثق : هذا حَيفٌ وتعدٍّ منك . فقال اسحاقُ : يا امير المؤمنين ، اجمَع بينهما وامتحِنهما ، فانَّ الامرَ سينكشفُ لك فيهما . فأمر بهما فأُحضِرا . فقال اسحاق : ان للضُرَّاب اصواتا معروفةً أَفأمتحِنُهما بشيء منها ؟ قال : أجَل ، إفعل . فسمى ثلاثةَ اصواتٍ كان اولُها :

علَّقَ قلبي ظبيةَ السيبِ .

فضربا عليه . فتقدَّم زلزلُ وقَصَّر عنه ملاحظٌ . فعَجِب الواثقُ من كَشفه عما ادَّعاه في مجلسٍ واحد. فقال له مُلاحظ : فما بالُه ، يا أمير المؤمنين يُحيلُك على الناس ! ولِمَ لا يَضربُ هو ! فقال : يا امير المؤمنين إنه لم يكن احدٌ في زماني أضرَبَ مني إلا أنكم أعفيتُموني ، فتفلَّتَ مني ، وعلى أن معي بقيَّةً لا يتعلَّقُ بها احدٌ من هذه الطَبَقَة. ثم قال : يا مُلاحظُ ، شَوِّش عودَك وهاته . ففعل ذلك ملاحظ . ثم اخذ العودَ فجسَّه ساعةً حتى عرف مواقعَه ثم قال : يا ملاحظ ، غنِّ ايَّ صوت شئت . فغنى ملاحظ صوتا وضرب عليه اسحاق بذلك العودِ الفاسدِ التسويةِ فلم يُخرجه عن لحنه في موضعٍ واحد حتى استوفاه عن نَقرةٍ واحدة، ويدُه تَصعَد وتنحدر على الدساتين . فقال له الواثق : لا ، والله ، ما رأيتُ مثلَك ولا سمعتُ به . إطرَح هذا على الجَواري . فقال : هيهاتَ ، يا امير المؤمنين ، هذا لا تَعرفُه الجواري ولا يَصلحُ لهن . انما بلغَني أن الفَهليذَ ضرب يوما بين يدَي كِسرى فأحسن . فحسده رجل من حُذَّاقِ اهلِ صَنعته . فترقَّبه حتى قام لبعض شأنه ، ثم خالَفَه الى عوده فشوَّش بعضَ اوتاره. فرجَعَ وضربَ وهو لا يدري ، والملوكُ لا تُصلحُ في مجالسها العِيدانُ ، فلم يزَل يَضرب بذلك العودِ الفاسدِ الى أن فرَغ . ثم قام على رجله فأخبر الملكَ بالقِصَّةِ . فامتحنَ العودَ فعرَف ما فيه ، ثم قال : زِه وزِه وزِهان زِه (٣) . ووصَلَه. فلما تَواطأتِ (٤)

---

(١) ولد الناقة الى أن يفطم . (٢) ارتجالا . والقرب : الكد والسعي . (٣) كلمة فارسية معناها أحسنت .
(٤) توافقت .

الروايةُ بهذا أخذتُ نفسي ورُضتُها عليه وقلت : لا ينبغي ان يكونَ الفهليذُ اقوى على هذا مني . فما زلت استنبطُه بِضعَ عَشْرةَ[1] سنةً حتى لم يبقَ في الارض موضِعٌ على طَبَقة من الطبقات إلا وانا اعرفُ نَغمتَه كيف هي ، والمواضِعَ التي يَخرُجُ النغمُ كلُّها منه فيها من أعاليها الى اسافلها كما اعرفُ ذلك في مواضعِ الدساتين ، وهذا شيءٌ لا تَفي به الجواري . فقال الواثق : صدقتَ ، ولئن مُتَّ لَتَموتَنَّ هذه الصَّناعةُ معك . وامر له بثلاثين الفَ درهمٍ .

قال اسحاق : دعاني المأمون ، وعنده ابراهيمُ بنُ المهديِّ ، (عمُّه)، وفي مجلسه عشرون جاريةً قد أجلَسَ عَشْراً عن يمينه وعَشْراً عن يَساره ومعهن العيدانُ يَضربن بها. فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خَطَأً فأنكرتُه . فقال المأمون : يا اسحاق، أتَسمَعُ خطأً ؟ فقلت : نعم ، والله يا امير المؤمنين. فقال لابراهيمَ : هل تسمع خطأً ؟ فقال : لا. فأعاد علي السؤال ، فقلت : بلى ، وإنه في الجانب الأيسرِ . فاعاد ابراهيمُ سمعَه الى الناحية اليسرى ثم قال: لا ، والله، يا امير المؤمنين، ما في هذه الناحية خطأ . فقلت : يا امير المؤمنين ، مُرِ الجواريَ اللواتي على اليمين يُمسِكن . فأمرَهن ، فأمسَكن. فقلت لابراهيم : هل تسمع خطأ؟ فتسَمَّع ثم قال : ما ها هنا خطأ . فقلت : يا امير المؤمنين ، يُمسِكن وتَضرِب الثامنةُ . فأمسَكن وضربت الثامنة ، فعرف ابراهيمُ الخطأ ، فقال نعم ، يا امير المؤمنين ، ها هنا خطأ . فقال لابراهيم : يا ابراهيم ، لاتُمارِ[2] اسحاقَ بعدَها ، فإن رجلا فَهِم الخطأ بين ثمانين وترا وعشرين حَلقا لجديرٌ ألاّ تُماريَه .

وكان في الاوتار كلِّها مَثنىً فاسدُ التسويةِ. فطَرِب امير المؤمنين وقال : لله درُّك يا ابا محمد . فكنَّاني يومئذٍ .

قال ابن حمدون : سمعت الواثق يقول: ما غنَّاني اسحاق قط الا ظننت أنه قد زِيدَ في مُلكي . ولا سمعته يغني غناء ابي سريج الا ظننت أن ابنَ سريج قد نُشِر . وإن اسحاقَ لَنِعمةٌ من نِعم المُلكِ التي لم يُحظَ بمثلها . ولو أن العُمرَ والشبابَ والنَّشاط مما يُشترى لاشتريتُهن له بشَطر مُلكي .

سأل اسحاقُ المَوصليُّ المأمونَ ان يكونَ دخولُه اليه مع اهل العلم والادب والرُواة لا مع المغنين. فاذا اراده للغناء غنَّاه ، فأجابه الى ذلك . ثم سأله بعدَ حين أن يأذَنَ له في الدخول مع الفُقهاء ، فأذن له. ثم مضت على ذلك مدةٌ فسأل اسحاقُ المأمونَ أن يأذَنَ له في لِبسِ السَّوادِ[3] يومَ الجُمُعةِ والصلاةِ معه في المقصورة . فضَحِك المأمونُ وقال : ولا كلُّ ذا، يا اسحاقُ . وقد اشتريتُ منك هذه المسألةَ بمئةِ الفِ درهمٍ . وامر له بها .

قال حمدونٌ : كان ابراهيمُ بنُ المهديِّ يأكلُ المغنين أكلاً ، حتى يَحضُرَ اسحاقُ ، فيُداريه ابراهيمُ . وكان اسحاقُ آفتَه ، كما أن لكل شيءٍ آفةً .

---

(١) حكمه حكم العدد المركب . (٢) ماری: جادل ونازع . (٣) كان العباسيون ورجال الدولة والقضاة يلبسون السواد ، ونسميه اليوم : « السموكن »

قال عبيدُ الله بنُ ابي العَلاء: غنَّيت يوما بين يدي الواثق لحنَ اسحاقَ في :

هَزِئَت أسمــاءُ مني وقــالت انتَ يا ابنَ المَوصِـلِيِّ كبيــرُ

فنظر الي مُخارقٌ نَظَرًا شَزْرا وعض شفته علي . فلما خرجنا من بينِ يدي الواثقِ قلتُ: يا استاذُ ، لِمَ نظرتَ الي ذلك النظرَ ؟ أأنكرتَ علي شيئا ، ام أخطأتُ في غنائي ؟ فقال لي : ويحَك! أتدري ايَّ صوتٍ غنَّيتَ. إن اسحاقَ جعل صيحةَ هذا الصوت بمنزلةِ طريقٍ ضيِّقٍ وَعرٍ صعبِ المُرتَقى ، احدُ جانِبَي ذلك الطريقِ حَرفُ الجبلِ ، وعن جانبه الآخرِ الوادي ، فان مال مُرتقيه عن مَحَجَّته الى جانبِ الوادي هوى ، وان مال الى الجانب الآخرِ نَطَحه حَرفُ الجبل فتكسَّرَ. صِر إليَّ غداً حتى أُصَحِّحَه لك.

قال اسحاق : قال لي الواثق : لقد ضَحِك الشيبُ في عارضَيك . فقلت : نعم يا سيدي ، وبَكَيتُ ، ثم قلت ابياتا في الوقت وغنيت فيها :

تولَّــى شبابُــكَ الا قليــلا وحَلَّ المشيبُ فصبــراً جميــلا
ولما رأى الغانيــاتُ المشيــبَ أغضَين[١] دونَك طَرفا كليلا[٢]
سأندُب عهــداً مضى للصبــا وأبكي الشَّبابَ بُكـاءً طويــلا

فبكى الواثق وقال : والله لو قَدَرتُ على رَدِّ شبابِك لفعلتُ بشَطرِ مُلكي. فلم يكن لكلامه عندي جوابٌ الا تقبيلَ البِساطِ بين يديه .

— ج ١٥ ص ٥٢ — قال اسحاق: كان يَختلِفُ اليَّ رجل من الأعراب، وكان الفضل بنُ الربيعِ يقرِّبُه ويَستظرِف كلامه. وكان عندي يوما وجاء رسولُ الفضل يَطلُبه فمضى اليه . فقال له : فيمَ كنتم ؟ قال : كنا في قِدرٍ تَفورُ وكأسٍ تَدورُ ، وغِناءٍ يَصورُ[٣] وحديثٍ لا يَحُورُ[٤] .

قال اسحاق : دعاني الفضل بن الربيع يوما فأتيته. فاذا عنده شيخ حِجازيٌّ حسنُ الوجهِ والهيئةِ، فقال لي : أتعرف هذا ؟ قلت : لا. قال : هذا ابن أُنَيسةَ بنتِ معبد ، فسَله عمَّا أحببتَ من غِناء جَدِّه. فقلت : يا أخا اهلِ الحجازِ ، كم غناءُ جَدِّك ؟ قال : ستون صوتا . ثم غنَّاني :

ما أحسنَ الجيــدَ من مُلَيكةَ واللـ ـبَّـاتِ اذ زانَهــا ترائبُهــا

فغنَّاه أحسنَ غناءٍ في الارض، ولم آخذه اتكالا على قُدرتي عليه.

وشخص الشيخ الى المدينة، فبقيت أُنشِد الشعرَ واسأل عنه مشايخَ المغنين وعجائزَ المغنيات فلا اجِد احداً يعرفه، حتى قدمت البصرةَ وكنت آتي جزيرتَها في القيظ فأبيت بها ثم أبكُرُ بالغَداة الى منزلي . فإني لداخلٌ يوما اذا بامرأتين نبيلتين[٥] قد قامتا فأخذتا بلِجام حماري ، فقلت لهما: مَهْ !

---

(١) اغضين : حولن عني نظرهن . (٢) كليل : ضعيف . (٣) يصوت . (٤) حار عل محور اي عاد . يريد انه غير معاد بل دائما مجدد . (٥) نبيلة : جسيمة .

فقالت إحداهما : كيف عشقُكَ اليومَ لـ « ما أحسنَ الجيدَ من مُليكةَ » وشغفُكَ به ، فقد بلغني أنك كنت تطلبُه من كل أحدٍ؟ وقد كنتُ رأيتُك في مجلس الفضل وقد استخفَّك الطرب لهذا الصوت حتى صفَّقت . فقلتُ لها : أشدُّ ، والله ، ما كنت عشقا له ، وقد ألهبت بذكرك اياه في قلبي جمراً ، ولقد طلبتُه ببغدادَ كلِّها فلم أجد احداً يُسمِعُنيه . قالت : افتُحبُّ ان أغنِّيَكَ اياه. قلت : نعم . فغنته ، والله ، أحسنَ مما سمعته قديما ، بصوت خافضٍ . فنزلتُ اليها فقبَّلت يديها ورجليها وقلتُ : جعلني اللهُ فداكِ ، لو شئتِ لصرتِ معي الى منزلي . قالت : أصنعُ ماذا ؟ قلتُ : أُغنِّيكِ وتغنيني يومَنا الى الليل . قالت انت والله أطفسُ [١] من أن تفعلَ ذاك ، وإنما هو عرَضٌ ، ولكني أغنِّيكَ حتى تأخذَه . فقلتُ : بأبي أنتِ وأُمي ، وجعلني اللهُ فداكِ ، مَن أنتِ ؟ قالت : انا وَهبَةُ جاريةُ محمدِ بنِ عمرانَ القَرَوِيِّ ، التي يقول فيها فَرُوح الرَّفاءُ الطَّلحيُّ :

يا وهبُ لم يبقَ لي شيءٌ أُسَرُّ به ... إلا الجلوسُ فتَسقيني وأسقيكِ
وتمزُجين بريقٍ منكِ لي قدَحاً ... كأن فيه رضابَ المِسكِ من فيكِ
يا أطيبَ الناسِ ريقا غيرَ مختبَرٍ ... إلا شهادةَ أطرافِ المَساويكِ [٢]
قد زُرتِنا زَورةً في الدهرِ واحدةً ... ثنِّي ولا تجعليها بيضةَ الديكِ [٣]
ما نِلتُ منكِ سوى شيءٍ أُسَرُّ به ... ولستُ أُبصِرُ شيئاً من مَساويكِ [٤]
قالت مُلِكتَ ولم تَملِك فقلتُ لها ... ما كلُّ مالكةٍ تُزري بمملوكِ

من اقوال اسحاق :

صَيودٌ لألبابِ الرجالِ متى رَنَت ... الى ذي نُهى جَلْدِ القُوى وافرِ العقلِ
تخلَّى النُهى عنه وحالَفَه الصِبا ... وأسلَمَه الرأيُ الاصيلُ الى الجَهلِ

قال الاصمعي : دخلت انا واسحاقُ الموصليُّ يوما على الرشيد، فرأيناه لَقِسَ النَفسِ [٥] فانشده اسحاق :

وآمرةٍ بالبُخلِ قلتُ لها اقصُري ... فذلك شيءٌ ما اليه سبيلُ
ارى الناسَ خُلانَ الكِرامِ ولا أرى ... بَخيلاً له حتى المَماتِ خليلُ
وإني رأيت البُخلَ يُزري بأهلِه ... فأكرمتُ نفسي أن يُقالَ بخيلُ
ومن خيرِ حالاتِ الفتى لو علِمتَه ... اذا نال خيرا أن يكونَ يُنيلُ

(١) من الطفس وهو القذارة . (٢) جمع مِسواك : من فعل ساك يسوك : دلك الاسنان بالعود ، أي المسواك .
(٣) يقال ان الديك يبيض بيضة واحدة فقط . (٤) جمع مساوىء ، ولينت الهمزة لضرورة الشعر. وبعض الابيات ينسب الى بشار بن برد . (٥) غث ، غير نشيط .

فَعالي(١) فَعالُ المكثرين تجمُّلا ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرَمُ الغنى ورأيُ اميرِ المؤمنينَ جميلُ

فقال الرشيد : لا تَخَف إن شاء الله . ثم قال : لله درُّ ابياتٍ تأتينا بها ، ما أشدَّ أصولَها ، وأحسنَ فصولَها وأقلَّ فضولَها . وامر له بخمسين الفَ درهم . فقال له اسحاق : وصفُك ، والله ، يا امير المؤمنين ، لشعري أحسنُ منه. فعلامَ آخذُ الجائزةَ ! فضحك الرشيد وقال: اجعلوها لهذا القول مئةَ الفِ درهم .

قال احمد المكّي: كان المغنون يجتمعون مع اسحاقَ وكلُّهم أحسنُ صوتا منه : ولم يكن فيه عيبٌ الا صوتَه فيَطمعون فيه . فلا يزالُ بلُطفه وحذقه ومعرفته حتى يَغلبَهم ويَبُذَّهم جميعا ويَفضُلَهم. وهو اول من أحدث التخنُّثَ ليوافقَ صوتَه ويُشاكلَه، فجاء معه عجبا من العجب. وكان في حلقه نُبُوٌّ عن الوتر.

قال اسحاق لزهراء الكلابية : حدّثيني عن قول الشاعر:

أُحبُّكِ أن أُخبِرتُ أنكِ فاركٌ(٢) لزوجكِ ، إني مُولَعٌ بالفوارِكِ

ما أعجبَه من بُغضِها لزوجِها ؟ فقالت: عرَّفته أنَّ في نفسها فَضلةً من جَمالٍ وشَمَخا بأنفها وأُبَّهةً ، فأعجبته .

قال الجرجاني: كان اسحاق يُخرِس الناطقَ اذا نطق ، ويُحيِّر السامعَ اذا تحدث ، لا يَمَلُّ جليسُه مجلسَه ، ولا تَمجُّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته. إن حدَّثَك ألهاك ، وان ناظرَك أفادك، وان غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصلةً من الادب، ولا جنسا من العِلم يتكلم فيه اسحاق ، فيُقدِمَ احدٌ على مساجلته ومباراته .

قال ابن شبيب : قلت لزرزور : ما لكم تَذِلُّون لاسحاقَ هذا الذُلَّ ، وما فيكم احدٌ الا وهو أطيبُ صوتا منه ، وما في صنائعكم وَصمةٌ . فقال: لا تَقُل ذلك ، فوالله، لو رأيتَنا معه لرحمتَنا ورأيتَنا نذوب كما يذوب الرّصاصُ في النار.

قال اسحاق : كانت أعرابيةٌ تَقدَمُ عليَّ من البادية فأُفضِلُ عليها ، وكانت فصيحةً . فقالت لي ذاتَ يوم : والذي يَعلَمُ مَغزى كلِّ ناطقٍ ، لَكأنك في علمك وُلِدتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أريتَني نجداً بفصاحتك ، وأحللتَني الربيعَ بسماحتك . فلا اطَّردَ لي قولٌ الا شكرتُك ، ولا نَسَمَت لي ريحٌ الا ذكرتُك .

قال اسحاق : دخلت يوما على الواثق فقال لي : يا اسحاقُ ، إني اصبحت اليومَ قَرِماً(٣) الى غنائك . فغنني . فغنيته :

---

(١) فعال : العمل الحميد والكرم . (٢) الفارك من النساء التي تبغض زوجها . (٣) القَرَم : شدة الشهوة الى اللحم . ثم قالوا : قَرِمت الى لقائك .

مَن الظِّباءُ ظِباءٌ هَمُّها السُّخُبُ[١] تَرعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
لا يَغتربن ولا يَسكُنَّ باديةً وليسَ يَدرين ما ضَرعٌ وما حَلَبُ
يا حُسنَ ما سَرقت عيني وما انتهبَت والعينُ تَسرقُ أحيانا وتَنتَهِبُ
اذا يدٌ سَرقت فالقَطعُ يَلزمُها والقَطعُ في سَرَقٍ بالعينِ لا يَجِبُ

فشرِب عليه بقيَّةَ يومِهِ وخلَع علي خِلعةً من ثيابه .

ومن جيد شعره :

وأبرَحُ ما يكون الشوقُ يوماً اذا دنتِ الديارُ من الديارِ

لما صنع الواثق لحنَه في:

أيا مُنشِرَ[٢] الموتى أَقِدني[٣] منَ التي بها نَهِلَت نفسي سَقاماً وعَلَّتِ[٤]
لقد بَخلَت حتى لوَ انّي سألتُها قَذى العينِ من سافي التُرابِ لَضَنَّتِ

– الشعر لاعرابي – أُعجِبَ به إعجابا شديدا. فوجَّه بالشعر الى اسحاقَ وامره ان يغنِّيَ فيه. فصنع فيه لحنا وهو من احسنِ صَنعة اسحاق . فلما سَمِعه الواثق صَغُر لحنُه في عينيه وقال : ما كان اغنانا ان نأمرَ اسحاقَ بالصَنعة في هذا الشعرِ ، لانه قد أفسد علينا لحنَنا .

قال اسحاق : كتبت الى علي بنِ هشامٍ اطلُب منه نبيذا. فبعث الي بما التمست وكتب الي : قد بعثت اليك بشَرابٍ أصلبَ من الصخرِ وأعتقَ من الدهر واصفى من القَطر .

قال اسحاق : غنيت الواثق في شعر ابن هَرمةَ :

عفا طَرَفُ القُريَّةِ فالكثيبُ الى مَلحاءَ ليس بها عريبُ[٥]
تَأبَّدَ[٦] رسمُها وجرى عليها سَفِيُّ الريحِ والتُربُ الغريبُ
فإنك واطِّراحَك وَصلَ سُعدى لأخرى، في مودَّتها نُكوبُ
كثاقبةٍ لحَليٍ مستعارٍ بأُذنَيها فشانَهما[٦] الثُقوبُ
فردَّت حَليَ جارتِها اليها وقد بَقيت بأذنيها نُدوبُ

فقال لي يا اسحاق ، قد احسن ابنُ هرمةَ في البيتين (الأوَّلين) فأيُّ شيءٍ هو أحسنُ فيهما من جميعهما؟

---

(١) جمع سخاب وهي قلادة تتخذ من قرنفل وغيره. اي ان في الظبأ (يكنى به عن النساء) صنفاً همه التزين ، يفتن القلوب .
(٢) منشر : محيي . (٣) أقدني : أعطني القود والقصاص . (٤) النهل : الشرب الاول . والعلل : الشرب الثاني . تعود الابل من المرعى فتسقى وتناخ ، ثم تسقى ثانية وترد الى المرعى . الاول النهل . والثاني العلل .
(٥) عفا: درس وامحى. عريب: احد. (٦) راجع شرح البيت صفحة ١٤٢ .

قلت : قولُه : « التربُ الغريبُ » . يريد أن الريحَ جاءت إلى الأرض بتُراب ليس منها ، فهو غريب جاءت به من موقِع بعيد. فقال : صدقتَ وأحسنتَ ، وأمر لي بخمسين ألفَ درهم .

دخل مروانُ بن أبي حفصة يوماً إلى ابراهيمَ الموصلي ، فجعلا يتحدثان إلى أن أنشد اسحاقُ بنُ ابراهيمَ مروانَ لنفسه يذكُر وَلاءهَ لخُزَيمةَ بنِ خازمٍ : (١) .

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنصِبي   وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ
عَطستُ بأنفٍ شامِخٍ وتناولت   يدايَ الثُريّا قاعداً غيرَ قائمِ

وجعل ابراهيمُ يُحدِّثُ مَروانَ وهو عنه ساهٍ مشغولٌ ، فقال له : ما لكَ لا تُجيبُني ؟ قال : إنك ، واللهِ ، لا تَدري ما أفرغَ ابنُك هذا في أُذني .

قال اسحاق : غنّيت المأمونَ هذين البيتين :

لأحسَنُ من قَرعِ المثاني ورَجعِها   تَواتُرُ صوتِ الثغرِ يُقرَعُ بالثغرِ
وسُكرُ الهوى أروى لعظمي وَمفصِلي   من الشُربِ في الكاسات من عاتِقِ الخمرِ

فقال لي المأمون : ألا أخبرُك بأطيبَ من ذلك وأحسنَ ؟ الفَراغُ والشبابُ والجِدَةُ (٢) .

قال اسحاق :

دخلت على الامين فرأيته مُغضَباً كالحاً فقلت له: ما لأمير المؤمنين ، تَمّم اللهُ سرورَه ولا نغّصه ، اراه كالحائر ؟ قال: غاظَني ابوك ، الساعةَ ، لا رحمَه الله ! والله لو كان حيّاً لضربته خمسَمئة سوطٍ ، ولولاك لنَبشتُ الساعةَ قبرَه وأحرقت عِظامَه . فقُمت على رجليَّ وقلت : أعوذُ بالله من سُخطك يا امير المؤمنين! ومَن ابي وما مِقدارُه حتى تَغتاظَ منه . وما الذي غاظك، فلعلَّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شِدَّةُ محبّته للمأمونِ وتقديمُه اياه عليَّ حتى قال في الرشيد شعرا يُقَدِّمُه فيه عليَّ ، وغنّاه فيه ، وغَنّيتَه الساعةَ فأورثَني هذا الغيظَ . فقلت : والله ما سمِعت بهذا قطُّ ولا لأبي غِناءٌ إلا وانا أرويه . ما هو ؟ فقال : قولُه :

أبو المأمونِ فينا والاميـنِ   له كَنَفانِ مِن كَرَمٍ ولِينِ

فقلت له : يا امير المؤمنين ، لم يُقَدِّمِ المأمونَ في الشعر لتقديمه اياه في المُوالاة ، ولكنَّ الشعرَ لم يَصُحَّ وزنُه إلا هكذا . فقال : كان ينبغي له اذ لم يَصُحَّ الشعرُ إلا هكذا ان يَدَعَه إلى لعنة الله . فلم أزَل أداريه وأرفُقُ به حتى سَكَن . فلما قَدِم المأمونُ سألني عن هذا الحديثِ فحدّثتُه به ، فجعل يضحَك ويَعجَب منه .

قال اسحاق : انشدتُ الفَضلَ بنَ يَحيى قولَ نُصَيب فيهم :

---

(١) احد قواد الرشيد . (٢) الجدة : الغنى . وجد المال جدة : استغنى به .

عنـــدَ الملـــوكِ مضـرّةٌ ومنافـعُ وأرى البرامِكَ لا تَضُــرُّ وتَنفــعُ
إن العروقَ اذا استسرَّ بها(١) الـــثرى أشِرَ(٢) النباتُ بها وطاب المَزرَعُ
فاذا جَهِلتَ من امرئٍ أعراقَـــه وقديمَه فانظُـــر إلى ما يَصنَـــعُ

فقال : كأنّا ، والله ، لم نسمع هذا الشعرَ قطُّ ، قد كنا وصَلناه بثلاثين الفَ درهمٍ . واذاً نُجدِّد له الساعةَ صِلَةً له ولك معه لحِفظِك الأبياتَ . فوصَلَنا بثلاثينَ الفَ درهمٍ .

عتَبَ المأمونُ على اسحاقَ في شيءٍ. فكتب اليه رقعةً وأوصلَها اليه من يده . ففتحها المأمونُ فاذا فيها :

لا شيءَ أعظمَ من جُرمي سِوى أمَـلي لِحُسنِ عَفوِك عن ذنبي وعن زَلَلي
فإن يكن ذا وذا في القَدرِ قد عَظُما فأنت اعظمُ مِن جُرمـي ومن أمَـلي

فضحك ثم قال : يا اسحاقُ عُذرُك أعلى قَدراً من جُرمك . وما جال بفِكري ولا أُخطِرتُه بعدَ انقضائه على ذِكري .

غنّى عَلُّويَةُ بين يدي الواثقِ يوما من شعر اسحاقَ وغِنائه :

خليـــلٌ لـــي سأهجُـــرُهُ لذنــبٍ لستُ اذكــــرُهُ
ولكنـــي ســأرعـــاه وأَكتُمُـــه وأَستُـــرُهُ
لكـــي لا يَعلَـــمَ الواشـــي بما عنــــدي فأكسِـــرُهُ

فَطرِب الواثقُ طَرَبا شديدا ، واستحسن اللحنَ وامر لعلُّويَةَ بالفِ دينار ، ثم قال : اهذا اللحنُ لك ؟ قال : لا ، يا امير المؤمنين . هو لهذا الهِزَبرِ(٣) (يعني اسحاق) – وكان اسحاق حاضرا – فضحك الواثق وقال : قد ظلمناه إذاً . وامر لاسحاق بثلاثينَ الفَ درهمٍ .

قال اسحاق : دخلت على الفضل بنِ الربيع فقال لي : يا اسحاق ، كَثُرَ والله ، شيبُك ! فقلت : انا وذاك ، أصلحك الله ، كما قال اخو ثَقيف :

الشيـــبُ إن يَظهَـــر فإن وراءه عُمُــــراً يكون خِـــلالَه مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِص منـــي المَشيـــبُ قُلامـةً ولَنحنُ حينَ بدا أَلَبُّ(٤) وأَكيَسُ

قال هاتِ يا غلامُ دواةً وقِرطاسا ، أُكتبُهما لي لأتسلّى بهما .

قال اسحاق : ما اغتممت بشيءٍ قطُّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعته في هذا الشعر :

كان لـــي قلـــبٌ أعيـــشُ بـــه فاكتـــوى بالنـــار فاحترقـــا

اني صنعت فيه لحنا وجعلت أُردِّدُه في جَناحٍ لي سَحَراً . فأظُنُّ أن إنساناً من العامّةِ مرَّ بي فسَمِعه

(١) خفي . (٢) مرح وطال . (٣) الأسد . (٤) ألب : اكثر لبابة وعقلا .

فأخذه . فبكّرتُ من غد إلى المعتصِم لأغنّيَه ، فاذا انا بسوّاطٍ يَسُوط (١) الناطِفَ (٢) وهو يغني اللحنَ بعينه ، الا أنه غناءٌ فاسد. فعجبت وبقيت متحيرًا ، ثم قلتُ : يا فتى مِمن سمعت هذا الصوتَ ؟ فلم يُجبني . والتفتَ إلى شريكه وقال : هذا يسألني ممن سمعتُه . هذا غنائي . واللهِ لو سمعه اسحاقُ الموصليُّ لخرىء في سَراويله . فبادرت ، والله ، هاربا خوفَ أن يَمُرَّ بي انسان فيَسمعَ ما جرى علي فأفتضِحَ . وما علِم اللهُ أني نطقت بذلك الصوتِ بعدَها .

سأل المتوكِّلُ عن اسحاقَ الموصلي ، فعرَف أنه قد كُفَّ وأنه في منزِله ببغدادَ ، فكتب في إحضاره . فلما دخل عليه رفعه حتى أجلسه قُدّامَ السريرِ ، واعطاه مِخَدّةً ، وقال له : بلغني أن المعتصِمَ دفع اليك مِخَدّةً في اول يومٍ جلستَ بين يديه وهو خليفة . وقال : إنه لا يُستجلَبُ ما عند حُرٍّ بمثل الكرامةِ . ثم سأله : هل أكل ؟ فقال : نعم . فأمر أن يُسقى . فلما شرِب أقداحا قال : هاتوا لابي محمدٍ عودا . فجيء به . فاندفع يغني بصوتٍ الشعرُ فيه والغناءُ له :

ما علّةُ الشيخِ عيناه بأربعةٍ   تَغرورِقانِ بدمعٍ ثم تَنسكبُ

فما بقي غُلام من الغلمان الوُقوفِ على الحيرِ (٣) إلا وُجِد يَرقُص طرباً وهو لا يعلَمَ بما يفعل . فأمر له المتوكل بمئةِ الفِ درهم .

كان اسحاقُ يَسألُ اللهَ ألّا يَبتليَه بالقَولَنجِ لِما رأى من صُعوبته على أبيه . فرأى في منامه كأنَّ قائلا يقول له : قد أُجيبَت دَعوتُك ولَستَ تموتُ بالقولنج ولكنك تموت بضِده . فأصابَه ذَرْبٌ (٤) في شهر رمضانَ . ومات فيه سنة خمسٍ وثلاثين ومئتين .

نُعي اسحاقُ إلى المتوكِّلِ فغمَّه وحزِن عليه وقال : ذهب صدرٌ عظيم من جَمال المُلك وبهائِه وزينتِه .

الصمّة القُشيري

هو ابنُ عبد الله بنِ الطُفَيل ابن قُشَير. شاعرٌ اسلامي بدويٌّ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الاموية. خَطَب الصِمّةُ القشيريُّ بنتَ عمّه وكان لها محبًّا ، فاشتطَّ (٥) عليه عمُّه في المَهر. فسأل أباه

(١) ساط : خلط . (٢) نوع من الحلواء . (٣) قصر المتوكل في سر من رأى . (٤) اسهال المعدة .
(٥) اشتط : غالى وجار .

يعاونه ، وكان كثيرَ المال ، فلم يُعنه بشيء. فسأل عشيرته فأعطوه ، فأتى بالإبل عمَّه ، فقال : لا أقبل هذه في مَهر ابنتي ، فاسأل اباك ان يُبدِلها لك . فسأل ذلك أباه فأبى عليه . فلما رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها (١) وخلاّها ، فعاد كل بعير منها إلى ألاَّفه . وتحمَّل الصمَّةُ راحلا . فقالت بنتُ عمِّه حين رأته يتحمَّل : تالله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة . ومضى من وجهه حتى لَحِق بثغر من الثغور فأقام فيه حتى مات . وقال في ذلك .

أَمِن ذِكر دارٍ بالرِقاشَين أصبحَت ... بها عاصفاتُ الصيفِ بَدءاً ورُجَّعا (٢)
حَنَنتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدَت ... مَزارَك من رَيّا وشَعباكُما مَعا
فما حَسَنٌ أن تأتيَ الامرَ طائعا ... وتَجزَعَ أَن داعي الصَبابةِ أسمَعا
كأنك لم تَشهَد وَداعَ مُفارِقٍ ... ولم ترَ شِعبَي صاحبين تَقَطَّعا
بكت عينِيَ اليُسرى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعد الحُلم أَسبَلَتا معا
فليست عَشيّاتُ الحِمى برواجعٍ ... اليكَ ولكن خَلِّ عينيك تَدمَعا
ولما رأيتُ البِشرَ قد حال بيننا ... وجالت بناتُ الشوقِ في الصدر نُزَّعا (٣)
تَلَفَّتُّ نحوَ الحيِّ حتى وجدتُني ... وَجِعتُ من الإصغاءِ لِيتاً وأخدَعا (٤)
اما وجَلالِ اللهِ لو تذكُرينني ... كذِكريكِ ما كَفكَفتِ للعين مَدمعا
فقالت بَلى والله ذكراً لَوَ انَّه ... يُصَبُّ على صُمِّ الصَفا لتصدَّعا (٥)

حدث رجل من اهل طَبَرِستان قال :

بينا انا يوما امشي في ضيعة لي فيها الوانٌ من الفاكهة والزَعفَرانِ ، اذ أنا بانسان في البُستان مطروحٍ ، عليه أهدامٌ خُلقانٌ (٦) فدنَوت منه فاذا هو يتحرك ولا يتكلم ، فأصغَيت اليه فاذا هو يقول بصوت خفيٍّ :

تَعَزَّ بصبرٍ لا وَجَدِّكَ لا ترى ... بَشامَ (٧) الحِمى أُخرى الليالي الغوابرِ
كأن فؤادي من تَذَكُّرِه الحمى ... وأهلَ الحمى يَهفو به ريشُ طائرِ

فما زال يردد البيتين حتى فاضت نفسه . فسألت عنه فقيل لي : هذا الصِّمَّةُ بنُ عبدِ الله القشيري .

---

(١) جمع عقال اي الرباط التي تعقل به . (٢) الرقاشين : جبلان بأعلى الشريف . (٣) نزع : جمع نازع اي رامي السهم ، والمعنى ان بنات الشوق جالت في حنايا صدره تترامى بالسهام . (٤) الليت : صفحة العنق . الاخدع : عرق في العنق . (٥) واليه تنسب المقطوعة التي فيها هذا البيت المشهور :

تَمَتَّع من شميم عَرار نجدٍ ... فما بعدَ العشيةِ من عَرارِ

(٦) اهدام : جمع هِدم وهو الثوب . خلقان : جمع خَلَق ، اي البالي . (٧) شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

داود بن سَلم

من شعراء الدولتين الاموية والعباسية ، من ساكني المدينة ، وكان من أقبح الناس وجها . وكان يقال له : الآدَمُ ، لشدة سَواده . وكان سعدُ بنُ ابراهيمَ يستثقله ، وكان يتولّى المدينة ، فرآه ذاتَ يوم فضربه ضربا مُبَرِّحا .

قالت ظَبيةُ مولاةُ فاطمةَ :

أرسلَتني مولاتي في حاجة فمررتُ برَحبة (١) القَضاء ، فإذا بضُبَيعةَ العَبسيِّ يقضي بين الناس . فارسل إلي فدعاني وقد كنت رَطَّلتُ (٢) شَعري وربطتُ في أطرافه من ألوان العِهْنِ (٣) . فقال : ما هذا ؟ فقلت : شيءٌ أتَمَلَّحُ به . فقال : يا حَرَسيُّ (٤) قَنِّعها بالسَوط . فتناولتُ السوطَ بيدي وقلت : قاتَلَكَ اللهُ ، ما أبيَنَ الفرقَ بينك وبين سعدِ بنِ ابراهيمَ . سعدٌ يَجلِدُ الناسَ في السَماجةِ ، وانت تَجلِدُهم في المَلاحة . وقد قال الشاعر :

جَلَدَ العادلُ سعدٌ ابنَ سَلمٍ في السَماجَه

فضحِك حتى ضرب بيديه ورجليه . وقال : خلِّ عنها .

قال داود في جعفر بن سليمان :

هوى المِنبرينِ الطاهرينِ كِليهما اذا ما خطا عن مِنبرٍ أمَّ (٥) منبرا

كأن بني حَوّاءَ صفُّوا امامه فخُيِّرَ مِن أنسابِهم فتَخَيَّرا

فأعطاه ثلاثةَ آلافِ دينارٍ .

ومن أقواله :

فعرَّسنا ببطنِ عُرَيتِناتٍ (٦) ليَجمَعَنا وفاطمةَ المَسيرُ

ومن يُطِعِ الهوى يُعرَف هواه وقد يُنبيك بالأمرِ الخبيرُ

خرج داودُ بنُ سلمٍ إلى حربِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ ، فلما نزل به حَطَّ غِلمانُه مَتاعَ داودَ وحلّوا عن راحلته . فلما دخل عليه أنشأ يقول :

---

(١) ساحة . (٢) رطل الشعر : لينه بالدهن ومشطه وارسله . (٣) الصوف المصبوغ ألواناً . (٤) شرطي .
(٥) قصد . (٦) عرس القوم : نزلوا في السفر في الليل للاستراحة . وعريتنات اسم واد .

ولمـــا دفعـــتُ لأبوابهـــم ولاقيتُ حربا لَقيـــتُ النّجاحـــا
وجدنـــاه يَحمَدُه المجتـــدونَ ويأبى على العُسرِ إلا سَمـاحـا
ويُغشَونَ حتى يُـــرى كلبُهـــم يَهابُ الهريـــرَ ويَنسى النُباحـا

فأجازه بجائزة عظيمة . ثم استأذنه في الخروج فأذن له وأعطاه الف دينار . فلم يُعنه احدٌ من غلمانه ، ولمَ يقوموا اليه . فظن أن حربا ساخطٌ عليه . فرجَع اليه فأخبره بما رأى من غلمانه ، فقال له : سَلهم لِما فعلوا بك ذلك . فسألهم ، فقالوا : اننا نُنزِلُ مَن جاءنا ولا نُرحِلُ من خرج عنا . فسمع الغاضريُّ حديثَه فقال : انا يهوديٌّ إن لم يكن الذي قال الغلمان أحسنَ من شعرك .

دحمان

دَحمانُ لقب ، واسمُه عبدُ الرّحمن بنُ عمرو ويُكنّى أبا عمرو . وكان مع شُهرته بالغناء رجلا صالحا كثيرَ الصلاة مُعَدَّلَ الشَهادة مُدمِنا للحج . وكان يقول : ما رأيت باطلا أشبهَ بحق من الغناء . وفيه يقول أعشى بني سُلَيم :

كانوا فحـــولا فصاروا عند حَلبَتهم لما انبرى لهم دَحمـــانُ خِصيانـــا

كان دحمانُ جَمّالا يُكري إلى المواضع ويَتّجِر . وكانت له جارية يَطرَح عليها حتى حَذِقَت .

قال دحمان : خرجتُ بها إلى الشام وكنت لا أزال اذا نَزَلنا أُنزِلُ الأكرياء (١) ناحيةً وأنزِل معتزِلا بها ناحيةً في مَحمَل ، وأطرَح على المَحمَل من أعبِيةِ (٢) الجَمّالين وأجلِس أنا وهي تحتَ ظِلّها ، فأُخرِج شيئا فنأكُلُه ونَشرَب ونتغنّى حتى نَرحَل . ولم نزل كذلك حتى قَرُبنا من الشام . فبينا انا نازل وأنا أُلقي عليها لحني :

لو رَدَّ ذو شَفَقٍ حِمامَ منيَّـــةٍ لرددتُ عن عبد العزيـــزِ حِمامـا

ـ الشعر لكثير يرثي عبد العزيز بن مروان ـ فرددته عليها حتى اخذَته واندفعَت تغنيه ، فاذا أنا براكب قد طلَع فسلّم علينا فرددنا عليه السلام . فقال أتأذَنون لي ان انزل تحتَ ظِلّكم هذا ؟ قُلنا : نعم . فنَزَل . وعرضتُ عليه طَعامَنا وشَرابنا فأجاب . فقدّمنا اليه السُفرةَ فأكلَ وشرِب معنا ، واستعاد الصوتَ مِرارا . ثم قال للجارية :

(١) جمع كري وهو المكاري . (٢) جمع عباء .

أتُغنّيني لدَحمانَ شيئا ؟ قالت : نعم . فغنّته اصواتا من صَنعتي ، وغمزتُها ألا تُعرّفَه أني دَحمانُ . فطَرِب وامتلأ سرورا وشرب اقداحاً والجاريةُ تُغنّيه حتى قَرُب وقتُ الرحيل . فأقبل علي وقال : أتبيعُني هذه الجاريةَ ؟ فقلت : نعم . قال : بكم ؟ قلت كالعابث . : بعشرة آلافِ دينارٍ . قال : قد اخذتُها بها فهلمّ دواةً وقرطاسا . فجئته بذلك . فكتب : « إدفع إلى حاملِ كتابي هذا حين تقرؤه عشرةَ آلافِ دينارٍ ، واستوص بـه خيرا » . وختم الكتاب ودفعه إلي ، ثم قال : أتدفعُ إلي الجاريةَ ام تَمضي بها معَك حتى تَقبَض مالَك ؟ فقُلت : بل أدفعُها اليك . فحملها وقال : اذا جئتَ البَخراءَ (١) فسَل عن فلانٍ وادفع كتابي هذا اليه واقبِض منه مالَك . ثم انصرف بالجارية . ومضيتُ ، فلما وَرَدتُ البخراءَ سألت عن اسم الرجل فدُلِلتُ عليه ، فاذا دارُه دارُ مُلكٍ . فدخلت عليه ودفعت اليه الكتابَ فقبّله ووضعه على عينيه . ودعا بعشرة آلافِ دينارٍ فدفعها إلي وقال : هذا كتابُ اميرِ المؤمنين . واقامت الجارية عنده (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) شهرا لا يَسألُ عنها . ثمَ دعاها بعدَ ان استُبرئَت (٢) وأُصلِحَ من شأنها فظل معها يومَه ، حتى اذا كان في آخرِ نهاره قال لها : غنيني لدَحمانَ . فغنّت . وقال لها : زيديني . فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت . يا امير المؤمنين ، أو ما سمعت غناء دحمانَ منه ؟ قال : لا . قالت بلى ، والله . قال : اقول لك : لا ، فتقولين : بلى ، والله . فقالت : بلى ، والله ، لقد سمعتَه . إن الرجلَ الذي اشتريتَني منه هو دَحمان . قال : كيف لم أعلم ؟ قالت : غمزني ألاّ أُعلِمَك . فأمر فكُتب إلى عامل المدينةِ بأن يَحمِلَ اليه دَحمانَ . فحُمِل فلم يزل عنده أثيرا (٣) .

قال عبدالله بنُ دحمان :

رجَع أبي من عند المَهديّ وفي حاصله مئةُ الفِ دينارٍ .

قال ابن شَبّةَ :

اعطى المهديُّ دحمانَ في ليلة واحدة خمسين الفَ دينارٍ ، وذلك أنه غنى في شعر الاحوص :

قَطـوفُ المشـيِ اذ تمشـي ... تَرى في مَشيِها خرَقـا (٤)
وتُثقِلُهـا عجيزتُهـا ... اذا ولّـت لتنطلِقـا

فأعجبه واطربه ، واستخفّه السرورُ حتى قال لدحمانَ : سَلني ما شئت . فقال : ضيعتان بالمدينة : رَيّانُ وغالبُ . فأقطعه اياهما . فقيل للمهدي : ان هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُ إلا خليفةٌ . فقال : والله لا أرجِع فيهما إلا بعد ان يرضى . فصُولِح عنهما على خمسين ألفَ دينارٍ .

(١) البخراء ارض وماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز وفيها قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك . (٢) استبرأ الرجلَ الجارية : اي لا يمسها حتى تبرأ رحمها ويتبين حالها أهي حامل أم لا . (٣) مكرماً ، مفضلا . (٤) قطوف : متريثة مبطئة .. الخرق : الدهش والتحير ، والحمق .

اعشى همدان

اسمه عبد الرحمن ويُكنّى ابا المصبّح ، شاعر فصيح كوفيٌّ من شعراء الدولة الاموية .

قال محمد الكلبي :

كان أعشى هَمدانَ مع خالدِ بن عتّابٍ الرياحيِّ بالرّي ودَستبي ، وكان الاعشى شاعرَ اهل اليمن بالكوفة وفارسَهم . فلما قدم خالدٌ من مغزاه خرج جواريه يتلقّينه وفيهن امُ ولد له كانت رفيعةَ القَدْر عنده . فجعل الناس يمرّون عليها إلى أن جازيها الاعشى وهو على فرسه يميل يمينا ويَسارا من النُعاس . فقالت لجواريها : ان امرأةَ خالد لتُفاخرُني بأبيها وعمِّها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثلَ هذا الشيخِ المرتعِشِ . وسمعها الاعشى فقال : مَن هذه ؟ فقال له بعض الناس : هذه جاريةُ خالد . فضحك وقال لها : اليكِ عنّي يا لَكعاءُ . ثم انشأ يقول :

وما يُدريكِ ما فرسٌ جَرورٌ (١) وما يُدريكِ ما حَملُ السِلاحِ
وما يُدريكِ ما شيخٌ كبيرٌ عَداه الدهرُ عن سَنَنِ المُزاحِ
فأقسمُ لو رَكبتِ الوَردَ (٢) يوما وليلتَه إلى وَضَحِ الصباحِ
اذاً لنظرتُ منكِ إلى مكانٍ كسَحق البُردِ (٣) او أثرِ الجِراحِ

قال : فدخلت الجاريةُ الى خالد فشَكَت اليه الاعشى ، فقالت : والله ما تُكرَمُ ، ولقد اجترِىءَ عليكَ . فقال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرّت برجل في وجه الصُبح ووصفته له وأنه سبّها . فقال : ذلك أعشى هَمدانَ ، فأيَّ شيء قال لك ؟ فانشدته الابياتَ . فبعث الى الاعشى . فلما دخل عليه قال له : ما تقول ؟ هذه زعمت أنك هجوتَها . فقال : اساءت سَمعاً ، إنما قلتُ :

مررتُ بنِسوة متعطِّراتٍ كضَوء الصُبحِ او بَيضِ الأداحي (٤)
على شُقرِ البِغالِ فصِدنَ قلبي بحُسن الدَلِّ والحَدَقِ المِلاحِ
فقلتُ : مَنِ الظِباءُ ؟ فقُلنَ : سِربٌ بدا لك من ظِباءِ بني رِياحِ

فقالت : لا ، والله ، ما هذا قال : وأعادت الابياتَ . فقال له خالد : اما إنها لولا أنها قد وَلدت مني

(١) الفرس الجرور : الذي يُجَرّ فلا ينقاد ولا يتبع صاحبه . (٢) الورد : من الخيل ما بين الكميت والأشقر ، وأجراه كناية عما يقبح . (٣) السحق : الثوب البالي . ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .
(٤) الاداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .

لوهبتُها لك . ولكني افتدي جنايتَها بمثل ثمنها . فدفعه اليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاَ تُعيدَ في هذا المعنى شيئا بعدَما فرط منك .

ولما خرج ابنُ الاشعث على الحجّاج بن يوسفَ حشد معه أهلَ الكوفة ، فلم يبقَ من وجوههم وقُرّائهم (١) احدٌ له نباهةٌ إلا خرج معه لِثقل وطأة الحجاج عليهم . وكان اعشى همدانَ ممن خرج . وجعل الاعشى يقول الشعرَ في ابن الاشعث يمدحُه ، ويُحرِّض اهلَ الكوفة باشعاره على القتال . فجال اهلُ العراق جولةً ثم عادوا . فنزَل الاعشى عن سَرجه ونزعه عن فرسه ونزع درعَه فوضعها فوقَ السرج ثم جلس عليها فأحدثَ (٢) والناسُ يَرونَه . ثم اقبل عليهم فقال لهم : لعلّكم أنكرتم ما صنعتُ . قالوا : أوَ ليس هذا مَوضعَ نَكير ؟ قال : لا . كلُّكم قد سَلَح في سَرجه ودرعه خوفا وفَرَقاً (٣) ولكنكم سترتموه وأظهرتُه . فحَمي القومُ وقاتلوا اشدَّ قتالٍ يومَهم الى الليل . وشاعت فيهم الجراحُ والقتلى ، وانهزم اهلُ الشام ، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمةُ وقُتل ابنُ الاشعث ، وأُتي الحجاجُ باعشى همدانَ اسيرا فقال : الحمدُ لله الذي أمكنَ منك ، ألستَ القائلَ :

إنّ ثقيفاً منهمُ الكذّابانْ كذّابُها الماضي وكذّابٌ ثانْ

أولستَ القائلَ :

نُبّئتُ حجّاجَ بنَ يوسفِ خرَّ من زَلَقٍ فتبّاً (٤)

كلا يا عدوَ الله ، بل عبدُ الرحمن بنُ الاشعث هو الذي خرَّ من زَلَق فتَبَّ وحار وانكَبَّ وما لقي ما أحبَّ . ورفع بها صوتَه واربدَّ وجهُه واهتزَّ مَنكباه فلم يَبقَ احدٌ في المجلس الا أهمَّته نفسُه وارتعدت فرائصُه (٥) . فقال له الاعشى : بل انا القائلُ ايها الامير :

وما لَبِث الحجاجُ أن سَلّ سيفَه علينا فولّى جمعُنا فتبدَّدا

ــ وهي قصيدة طويلة ــ فقال مَن حضر من اهل الشام : قد أحسنَ ايها الاميرُ فخلِّ سبيلَه . فقال : اتظنون أنه اراد المدحَ . لا ، والله ، لكنه قال هذا اسفاً لغلبتكم اياه ، واراد به ان يُحرِّضَ أصحابَه . ثم اقبل عليه فقال له : أظننتَ يا عدوَ الله أنك تَخدَعُني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجوَ . ألستَ القائلَ :

وإذا سألتَ: المجدُ اينَ محلُّه فالمجدُ بين محمدٍ وسعيدِ

بينَ الأغرِّ وبينَ قيسٍ باذخٌ بَخٍ بَخٍ (٦) لوالدهِ وللمولودِ

(١) قرائهم : حفظة القرآن . (٢) سلح وتغوط . (٣) هلعاً . (٤) تب : هلك .
(٥) فرائص : جمع فريصة وهي عضلة بين الكتف والصدر ترتعش عند الفزع . (٦) بخ : اسم فعل لاظهار الاستحسان ويكرر للمبالغة .

والله لا تُبخبِخُ بعدَها ابدا . أو لستَ القائلَ :

وأصابني قومٌ وكنتُ أُصيبُهم فاليومَ أصبرُ للزمان وأعرفُ

كَذَبتَ ، والله ، ما كُنتَ صبورا ولا عَروفا . ثم قلتَ :

واذا تَصبك من الحوادث نكبةٌ فاصبر فكلُّ غيابةٍ ستَكَشَّفُ

اما والله لَتكونَنَّ نكبةً لا تَنكشفُ غَيابتُها عنك ابدا . يا حرسيُّ اضرب عُنُقَه . فضَرب !

حماد الراوية

قال الوليد بنُ يزيدَ لحماد الراوية : بِمَ استحققتَ هذا اللقبَ فقيلَ لك الراويةُ ؟ فقال : بأني أروي لكل شاعرٍ تَعرفُه ، يا اميرَ المؤمنين ، او سمعتَ به ، ثم أروي لاكثرَ منهم ممَّن تَعرِف أنك لم تعرفه ولم تسمَع به . ثم لا أُنشَدُ شعرا قديما ولا مُحدَثا الا مَيَّزتُ القديمَ منه من المُحدَث . فقال : فكم مِقدارُ ما تَحفَظ من الشعر ؟ قال : كثيرا . ولكن أُنشِدُك على كل حرف من حروف المُعجَم مئةَ قصيدةٍ كبيرةٍ سوى المُقطَّعاتِ من شعر الجاهلية دونَ شعرِ الاسلام . قال : سأمتحنُكَ في هذا . وامرَه بالإنشاد . فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر . ثم وكَّل به مَن استخلفه أن يَصدُقَه عنه ويَستوفِيَ عليه . فأنشده ألفينِ وتسعَمئةِ قصيدةٍ للجاهليين . وأخبرَ الوليدَ بذلك ، فأمر له بمئة الفِ درهمٍ .

كان بالكوفة ثلاثةُ نَفَرٍ يُقال لهم الحمَّادون : حَمَّادٌ عَجرَدٌ ، وحمَّادُ بنُ الزبرقانِ ، وحمَّادٌ الروايةُ ، يتنادمون على الشَّراب ويتناشدون الاشعارَ ويتعاشرون معاشرةً جميلةً ، وكانوا كأنَّهم نَفسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَون بالزندقة جميعا .

قال حمَّاد :

كان انقطاعي الى يزيدَ بنِ عبد الملك . فكان هِشامٌ يَجفوني لذلك في ايام يزيدَ . فلما مات يزيدُ وأفضتِ الخلافةُ الى هشامٍ خِفتُه . فمكثت في بيتي سنةً لا أخرجُ إلا لمن اثِقُ به من أخواني سِرًّا . فلما لم اسمع احداً يَذكُرُني سنةً ، أمِنت فخرجت فصلَّيت الجُمعةَ ثم جلست عندَ باب الفِيل ، فاذا شُرَطيَّان قد وقفا عليَّ فقالا لي : يا حمَّادُ ، أجِبِ الاميرَ يوسفَ بنَ عُمرَ . فقلت في نفسي : من هذا كنت أحذَرُ . ثم قلت للشُّرَطيين : هل لكما ان تَدَعاني آتي اهلي فأُودِّعَهم

وداعَ مَن لا ينصرفُ اليهم ابداً ثم أصيرُ معكما اليه ؟ فقالا : ما الى ذلك سبيلٌ . فاستسلمت في ايديهما وصرت اليه وهو في الإيوان الاحمرِ فسلّمتُ عليه ، فردَّ عليّ السلامَ ورمى الي كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبدِ الله هشامٍ اميرِ المؤمنين الى يوسفَ بنِ عمرَ ، أمّا بعدُ فاذا قرأتَ كتابي هذا فابعث الى حمّادٍ الراويةِ مَن يأتيك به غيرَ مُروَّعٍ ولا مُتَعتَعٍ ، وادفع اليه خمسمئةِ دينارٍ وجَمَلاً ، مَهرِيّاً (١) يسير عليه اثنتي عشرةَ ليلةً الى دمشق . فأخذتُ الخمسمئةَ الدينارَ ، ونظرتُ فاذا جملٌ مرحول (٢) ، فسرت حتى وافيتُ بابَ هشامٍ ، فاستأذنت فأُذِن لي فدخلت عليه في دارٍ قوراءَ مفروشةٍ بالرُخامِ وهو في مجلسٍ مفروشٍ بالرُخام وبينَ كلِ رُخامتين قضيبُ ذهبٍ ، وحيطانُه كذلك ، وهشامٌ جالس على طِنفسةٍ حمراءَ وعليه ثيابُ خزٍّ حُمرٍ وقد تضمّخ بالمسك والعنبر ، وبينَ يديه مسكٌ مفتوتٌ في أواني ذهبٍ يُقلّبُه بيده فتفوح روائحُه . فسلّمت فردَّ عليَّ واستدناني فدنَوتُ حتى قبّلتُ رِجلَه ، واذا جاريتان لم أرَ قبلَهما مثلَهما ، في أُذُنَي كلٍّ واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان تتوقدّان ، فقال لي : كيف انت يا حَمّادُ وكيف حالُك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدري فيمَ بعثتُ اليك ؟ قلت : لا. قال : لبيتٍ خطر ببالي لم أدرِ مَن قاله . قلت : وما هو ؟ قال :

فَدَعَوا بالصَبوحِ يومـــا فجـاءت قَينةٌ في يمينهـــا إبـــريقُ .

قلت : هذا يقوله عَديُّ بنُ زيدٍ في قصيدة له . قال : فأنشِدنيها . فأنشدتُه :

بَكَـــرَ العاذلون فـــي وَضَحِ الصُبـــ ـــحِ يقولون لي ألا تَستفيـــقُ
ويلومون فيـــكِ يا ابنـــةَ عبدِ اللـــه والقلبُ عندكـــم مَوهـــوقُ (٣)
لستُ أدري اذ أكثروا العَـــذلَ عندي أعدوٌّ يلومُـــني او صديـــقُ
زانَـــها حُسنُها وفَـــرعٌ عَميـــمٌ وأثيثٌ صَلتُ الجبينِ أنيـــقُ (٤)
فدَعَوا بالصَبـــوحِ يوماً فجـــاءت قينـــةٌ في يمينهـــا إبـــريقُ
قَدَّمته عـــلى عُقارٍ كعين الديـــ ـك صفّى سُلافَهـــا الـــراووقُ
مُرّةٌ قبـــلَ مَزجِهـــا فاذا مـــا مُزِجَت لذَّ طعمُها مَن يـــذوقُ

فطرِب ، ثم قال : أحسنت يا حمّادُ . سَل حوائجك . فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال نعم . قلت : احدى الجاريتين . فقال لي : هما جميعا لك بما عليهما وما لهما . ثم وصله بمئة الف درهم .

قال حماد : كتب الوليدُ بنُ يزيدَ وهو خليفةٌ إلى يوسفَ بنِ عمرَ : احمِل إليَّ حمّاداً الراويةَ على ما أحَبَّ من دوابِّ البريد ، وأعطِه عشرةَ آلاف درهم معونةً له . فلما كان اليومُ الذي اردتُ الخروجَ فيه ، أتيتُ يوسفَ مودِّعا ، فقال : يا حمّادُ ، انا بالموضِع الذي قد عرفتَ من امير المؤمنين ،

---

(١) المهرية من الابل منسوبة الى مَهرة بن حيدان وهي نجائب تسبق الخيل . (١) عليه الرحل . (٢) الموهوق : المشدود بالوهق وهو الحبل . (٣) الفرع : الشعر . الاثيث : الكثير . الصلت : الواضح .

ولستُ مستغنيا عن ثَنائك . فقلت : ان العَوانَ لا تُعَلَّمُ الخِمرةَ (١) فخرجت حتى أتيت الوليدَ بنَ يزيدَ وهو بالبَخراء فاستأذنت فأذن لي ، فاذا هو على سرير مُمَهَّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يَقيئان الزَعفرانَ قَيئاً ، واذا عنده معبدٌ ومالكٌ ، فتركني حتى سكن جَأشي ، ثم قال : أنشِدني :

أمِنَ المَنون ورَيبها تتوجَّعُ .

– الشعر لابي ذؤيب الهُذَلي – فأنشدتُه اياها حتى اتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقِه يا سَبْرةُ أكؤسا . فسقاني ثلاث أكؤسٍ خدَّرت ما بينَ الذُؤابةِ والنعل .

كان جعفرُ بنُ ابي المنصور المعروفُ بابنِ الكِرديَّة يَستخِفُّ مُطيعَ بنَ أياسٍ ويُحبُّه، وكان منقطعاً اليه وله معه منزلةٌ حسنةٌ . فذَكرَ له حَمَّاداً الراويةَ ، وكان صديقَه وكان مُطَّرَحاً مجفوًّا في أيامهم . فقال : ائتني به لنراه . فاتى مطيعٌ حمَّاداً فأخبره بذلك وامره بالمسير معه اليه . فقال له حمَّاد : دعني ، فان دولتي كانت مع بني امية وما لي عندَ هؤلاء خيرٌ . فأبى مطيعٌ إلا الذَهابَ اليه . فاستعار حمَّادٌ سَواداً (٢) وسيفاً ثم أتاه ، ثم مضى به مطيعٌ الى جعفرٍ ، فلما دخل عليه سلَّم عليه سلاماً حسناً واثنى عليه وذكر فضله . فردَّ عليه السلامَ وامره بالجلوس فجلس. فقال جعفرٌ : أنشدني . فقال : لمن أيها الاميرُ ؟ ألشاعر بعينه ام لمن حَضَر . قال : بل أنشِدني لجرير . قال حمَّاد : فسُلِخَ ، والله ، شعرُ جريرٍ كلُّه من قلبي الا قولَه :

بـــان الخليـــطُ برامتين فودَّعـــوا أوَ كلَّما اعتزمـــوا لبَينٍ تَجزَعُ

فاندفعت فأنشدتهُ اياها حتى انتهيت الى قوله :

وتقول بَوزَعُ قـــد دَبَبتَ على العصـــا هلاَّ هَزِئتِ بغيرنـــا يـــا بَوزَعُ

قال حمَّاد : فقال لي جعفر : أعِد هذا البيت . فأعدتُه . فقالَ : بَوزَعُ ، ايُّ شيءٍ هو ؟ فقلت : اسمُ امرأة . فقال : امرأةٌ اسمُها بَوزَع . هو بَريءٌ من الله ورسوله ونَفِيٌّ من العبَّاسِ بن عبد المُطَّلِب إن كان بَوزعُ إلا غُولاً من الغيلان . تركتَني ، والله، يا هذا لا انامُ الليلةَ من فزعِ بَوزَع . يا غِلمانُ ، قَفاه . فصُفِعتُ ، والله ، حتى لم أدرِ اين انا. ثم قال : جرُّوا برجله . فجروا برجلي حتى أُخرِجتُ من بين يديه مسحوبا . فتَخرَّق السَوادُ ، وانكسر جَفنُ السيفِ ، ولَقيت شرا عظيما مما جرى علي . وكان أغلظَ من ذلك كلِّه واشدَّ بَلاءً إغرامي ثَمَنَ السَوادِ وجَفنِ السيف . فلما انصرفتُ اتاني مُطيعٌ يتوجَّع لي . فقلت له : أَلَم أُخبِرك أني لا أُصيب منهم خيرا وأن حظِّي قد مضى مع بني امية .

قَدِم حمَّاد على بِلالِ بنِ ابي بُردةَ وعندَ بِلالٍ ذو الرُمَّة (٣) . فانشده حمادٌ شعرا مدحه به . فقال بِلالٌ لذي الرُمَّة : كيف ترى هذا الشعرَ ؟ قال : جيِّدا ، وليس له . قال : فمَن يقوله ؟ قال :

(١) العوان : المرأة في نصف عمرها . الخمرة : لبس الخمار . مثل يضرب للمجرَّب الذي لا يحتاج الى أن يُعلَّم .
(٢) لباس بني العباس . (٣) شاعر ، ترجمته في الجزء السابع عشر .

لا ادري ، الا أنه لم يَقُله . فلما قضى بلالٌ حوائجَ حمَّاد واجازه قال له : ان لي اليك حاجةً . قال : هي مقضيةٌ . قال : انت قُلتَ ذلك الشعرَ ؟ قال : لا . قال : فمن يقوله ؟ قال : بعضُ شعراء الجاهلية ، وهو شعرٌ قديمٌ وما يَرويه غيري. قال : فمِن اينَ عَلِم ذو الرُمَّةِ أنه ليس من قولك ؟ قال : عرَف كلامَ اهلِ الجاهليةِ من كلام اهل الاسلام .

قال ابراهيم بنُ المهدي : حدثني السَعيديُّ الراويةُ وابو إياد المؤدِّبُ ــ وكان مؤدِّبي ثم أدَّب المعتصِمَ بعد ذلك ، وقد تعالت سنُه ــ وغيرُهم أنهم كانوا في دارِ المَهديِّ وقد اجتمع فيها عِدّةٌ من الرُواة والعلماء بايام العرب وآدابها واشعارها ولُغاتها . فدعا بالمُفَضَّلِ الضَبِّيِّ الراويةِ فدخل ، فمكث مليًّا ثم خرج الينا ومعَه حمَّادٌ والمُفَضَّلُ وقد بان في وجه حمَّادَ الانكسارُ والغمُّ ، وفي وجه المفضَّلِ السرورُ والنشاطُ . ثم خرج حسينٌ الخادم فقال : يا معشرَ مَن حَضرَ مِن اهل العلم ، إن امير المؤمنين يُعلِمكم أنه قد وصل حمادًا الشاعرَ بعشرينِ الفَ درهم لجودة شعره ، وأبطل روايتَه لزيادته في اشعارِ الناس ما ليس منها . ووصل المفضَّلَ بخمسينَ الفا لصدقه وصحَّةِ روايته . فمَن اراد ان يسمع شعرا جيدا مُحدَثا فليسمع من حماد . ومن اراد روايةً صحيحة فليأخُذ ها عن المفضَّل .

فسألنا عن السبب فأخبرَنا أن المهديَّ قال للمفضَّل لما دعا به : إني رأيت زهيرَ بنَ ابي سُلمى افتتح قصيدته بأن قال :

دَع ذا وَعَدِّ القولَ في هَرِمٍ .

ولم يتقدم له قبل ذلك قولٌ ، فما الذي أمر نفسَه بتركه ؟ فقال المفضَّل : ما سمِعتُ يا امير المؤمنين ، في هذا شيئا الا أنني توهمتُه كان يفكِّر في قول يقوله ، فعدل عنه الى مدحِ هَرِمٍ وقال : دع ذا . اي دع ما انت فيه من الفكر وعَدِّ القولَ في هرم . ثم دعا بحمَّاد فسأله عن مثل ما سأل المفضَّلَ ، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ . قال : فكيف قال ؟ فانشده :

لمنِ الديـــارُ بقِنَّـــةِ الحَجـــرِ أقوَين مُذ حِجَجٍ ومُذ دَهـــرِ
قفرٌ بمُندَفَع النَحَـــائتِ مـــن ضَفوى أُولاتِ الضالِ والسِـــدرِ
دَع ذا وعَدِّ القـــولَ في هَـــرِمٍ خيرِ الكُهول وسيِّدِ الحَضَـــرِ

فأطرق المهديُّ ساعة ثم اقبل على حمـــاد فقال له : قد بلغ اميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بدَّ من استحلافك عليه . ثم استحلفه ليَصدُقَنَّه عن كلِ ما يسألُه عنه . فحلف له بما تَوَثَّق به . قال له : اصدقني عن هذه الابياتِ ومَن أضافها الى زهير . فأقرَّ له أنه قائلُها . فأمر فيه وفي المفضل بما امر به .

قال المفضَّل الضبِّي : قد سُلِّطَ على الشعر من حمَّادِ الراويةِ ما أفسدَه فلا يَصلُحُ ابدا . فقيل له : أيُخطيء في روايته ام يَلحَن ؟ قال : ليتَه كان كذلك . فان اهلَ العلم يَرُدُّون مَن أخطأ الى الصَواب ، لا ، ولكنه رجلٌ عالم بلُغاتِ العرب واشعارها ومذاهبِ الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعرَ يُشبِهُ به مذهبَ رجلٍ ويُدخله في شعره ، ويُحمَل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط اشعارُ القدماء ولا يتميز الصحيحُ منها الا عند عالِمٍ ناقد . وأين ذلك !

المرقش الاكبر

المرقّش لقبٌ غلَبَ عليه لقوله :

الدارُ وَحشٌ والرسومُ كما رَقَّشَ في ظهرِ الأديمِ قَلَمْ .

واسمه عمرُو بنُ سعدِ ابنِ بكرِ بنِ وائل . وهو أحد المتيَّمين . كان يَهوى ابنة عمّه اسماءَ بنتَ عَوف . عَشِقَهَا وهو غُلام فخطبها الى ابيها فقال : لا أُزوِّجُكَ حتى تُعرَفَ بالبأس . وهذا قبلَ أن تَخرُجَ ربيعةُ من ارض اليمن . فانطلق مرقِّشٌ الى ملكٍ من الملوك فكان عنده زمانا ومدحه فأجازه . وأصاب عَوفاً زمانٌ شديد ، فأتاه رجل من مُرادٍ فأرغبهُ في المال فزوَّجه اسماءَ على مئةٍ من الابل . ورجَع مرقّشٌ ، فقال اخوتُه : لا تُخبروه إلا أنّها ماتت . فذبحوا كَبشا وأكلوا لحمه ودفنوا عِظامه ولفُّوها في مِلحَفَة ثم قبروها . فلما قدِمَ مرقّشٌ عليهم أخبروه انها ماتت ، وأتَوا به موضِعَ القبر . فنظر اليه وصار بعد ذلك يَعتاده ويزوره . فبينا هو ذاتَ يوم مضطجعٌ وقد تغطى بثوبه وابنا اخيه يلعبان بكعبين لهما اذ اختصما في كعب . فقال احدهما : هذا كعبي اعطانيه ابي من الكَبش الذي دفنوه وقالوا اذا جاء مرقّشٌ اخبرناه انه قبرُ اسماءَ . فكشف مرقّشٌ عن رأسه ودعا الغُلام ــ وكان قد ضَنِيَ ضنأً شديدا ــ فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويجِ المُراديِّ اسماءَ . فدعا مرقّشٌ وليدةً[1] له ولها زوجٌ كان عَسِيفا[2] لمرقّش فأمرها بان تدعوَ له زوجَها ، فدعته . وكانت له رواحلُ فأمره باحضارها ليَطلُبَ المراديَّ عليها . فأحضره اياها ، فركِبها ومضى في طلبه . فمَرِض في الطريق حتى ما يُحمَلُ الا معروضا . وإنهما نزلا كهفا بأسفلِ نجرانَ ، وهي ارضُ مُرادٍ ، فسمِع مرقّشٌ زوجَ الوليدةِ يقول لها : اترُكيه فقد هَلَكَ سُقما وهلَكنا معه ضُرًّا وجوعا . فجعلت الوليدة تبكي . فقال لها زوجها : أطيعيني وإلا فاني تاركُكِ وذاهب . وكان مرقّشٌ يَكتُبُ . كان ابوه دفعه واخاه حرمَلةَ الى نَصرانيٍّ من اهل الحيرة فعلَّمهما الخطَّ . فلما سمِع مرقّشٌ قولَه كتب على مؤخَّرة الرحل هذه الابياتَ :

يا راكبا إمَّا عرَضتَ فبلِّغَنْ أنَسَ بنَ سعدٍ إن لَقيتَ وحرمَلا

لله درُّكما ودَرُّ أبيكُما إن أفلتَ العبدانِ حتى يُقتَلا .

ورجَعا الى اهلِهما فقالا : مات المرقّش . ونظر حرملةُ الى الرَّحل وجعل يُقَلِّبه فقرأ الابياتَ .

(١) وليدة : أمة له . (٢) أجير .

فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بان يَصدُقاه ، ففعلا . فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضع . فركب في طلب المرقّش حتى اتى المكان فسأل عن خبره فعرف ان مرقّشا كان في الكهف ولم يزل فيه حتى اذا هو بغَنَم تَنتزو [١] على الغار الذي هو فيه وأقبلَ راعيها اليها . فلما بَصُر به قال له : من أنت وما شأنُك ؟ فقال مرقش : انا رجل من مُراد . وقال للراعي من انت ؟ قال : راعي فلان . واذا هو راعي زوج اسماء . فقال له مرقش : اتستطيع ان تُكلِّمَ اسماءَ امرأةَ صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتُها كلَّ ليلة فأَحلِبُ لها عَنزا فتأتيها بلبنها . فقال له : خُذ خاتَمي هذا ، فاذا حلبتَ فألقه في اللبن ، فانها ستعرفه ، وإنك مصيبٌ به خيرا لم يُصِبه راعٍ قط إن انت فعلتَ ذلك . فأخذ الراعي الخاتَمَ . ولما راحت الجارية بالقَدَح وحلب لها العنزَ طرح الخاتَمَ فيه . فانطلقت الجاريةُ به وتركته بين يديها . فلما سكنت الرَغوةُ اخذته فشربته فقرع الخاتَمُ ثَنيَّتَها [٢] ، فاخذته واستضاءت بالنار فعرفته . فقالت للجارية : ما هذا الخاتَمُ ؟ قالت : ما لي به علم . فأرسلتها الى مولاها فأقبل فقال لها : لِمَ دعوتِني ؟ قالت له : ادعُ عبدَك راعيَ غنمك . فدعاه . فقالت : سَله اين وجد هذا الخاتَمَ : قال : وجدتُه مع رجل في كَهف خُبَّانَ ، فقال لي : اطرَحه في اللبن الذي تشرَبه اسماءُ فإنك مصيبٌ به خيرا . وما اخبرني مَن هو . ولقد تركتُه بآخِرِ رَمَق . فقال لها زوجُها : وما هذا الخاتَمُ ؟ فقالت : خاتَمُ مرقّش . فأَعجِل الساعةَ في طلبه . فركب فرسَه وحملها على فرس آخرَ وسارا حتى طرقاه من ليلتهما . فاحتملاه الى أهلِهما ، فمات عند اسماءَ ، ودُفن في ارض مُرادٍ .

من اشعاره :

النشرُ مِسكٌ والوجــوهُ دنــا نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَــمْ
والدارُ وحشٌ والرســومُ كمــا رَقَّش في ظهرِ الأديمِ قلــمْ
لستُ كاقــوامٍ خلائِقُهـــم نَثُّ الحديثِ وهتــكُ حُــرَمْ

نث الحديث : اشاعه . العنم : شجر أحمر أو دود أحمر . رقّش : زين . الاديم : الجلد .

(١) تقع عليه وتطؤه . (٢) ثنية : السن في مقدم الفم .

المرقّش الاصغر

هو ربيعةُ بنُ سُفيانَ بنِ سعد . والمرقّشُ الاكبرُ عمُّ الاصغرِ والاصغرُ عمُّ طَرَفةَ بنِ العبد . وهو الذي عَشِق فاطمةَ بنتَ المنذرِ وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنتُ عَجلانَ . وكان لها قصرٌ بكاظِمةَ (١) وعليه حَرَسٌ . وكان الحرسُ يَجُرُّون كلَّ ليلةٍ حولَه الثيابَ فلا يَطَؤُه احدٌ الا بنتُ عَجلانَ . وكان لبنتِ عجلانَ في كل ليلةٍ رجلٌ من اهل الماء يبيتُ عندَها . فقال عمرو بن جَنابٍ لمرقّش : إن بنتَ عَجلانَ تأخذُ كلَّ عشيةٍ رجلا ممن يُعجبُها فيبيتُ معها . وكان مرقّشٌ من اجملِ الناسِ وجها . وكانت فاطمةُ بنتُ المنذرِ تَقعُدُ فوقَ القصر فتَنظُرُ الى الناسِ . فجاء مرقّشٌ فبات عندَ ابنةِ عجلانَ . فقالت لها فاطمةُ : لقد رأيتُ رجلا جميلا راح نحونا بالعشية لم أرَه قبلَ ذلك . قالتَ : هو الفتى الجميلُ الذي بات معي . فقالت لها فاطمةُ : فاذا كان غدٌ وأتاك فقدّمي له مِجمَراً ومُريه أن يجلسَ عليه ، وأعطيه سِواكاً (٢) . فان استاكَ به او رَدَّه فلا خيرَ فيه . فأتته بالمِجمر فقالت له : اقعُد عليه . فأبى وقال : أدنيه مني . فدخّن لِحيتَه وجُمَّته وابى ان يقعُدَ عليه . وأخذ السواكَ فقطع رأسَه واستاك به . فأتت ابنةُ عجلانَ فاطمةَ فاخبرتها ، فازدادت به عجبا وقالت : ائتيني به . وكان الحرسُ يَنثُرون التُراب حولَ قُبَّة فاطمةَ بنتِ المنذرِ ويَجُرُّون عليه ثوبا حين تُمسي ويَحرِسونها فلا يَدخُل عليها الا ابنةُ عجلانَ . فاذا كان الغدُ بعث الملكُ بالقافة (٣) فينظُرون أثرَ مَن دخل اليها ويعودون فيقولون له : لم نرَ الا أثرَ بنتِ عجلانَ . فلما كانت تلكَ الليلةُ حملت بنتُ عجلانَ مرقّشا على ظهرها وحزمته الى بطنها بثوب ، وادخلته اليها فبات معها . فلما أصبح . بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا اليه فقالوا : نظرنا اثرَ بنتِ عجلانَ وهي مُثقَلة . فلَبِث بذلك حينا يدخل اليها . فكان عمرو بنُ جَناب يرى ما يفعلُ ولا يعرِفُ مذهبَه . فقال له : ألم تكن عاهدتَني عهداً ألاّ تَكتُمَني شيئا ولا أكتُمَك ولا نتكاذب ؟ فأخبرَه . فقال له : لا أرضى عنك او تُدخِلَني عليها . فانطلق المرقّش الى المكان الذي كان يُواعد فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وانصرف واخبره كيف يَصنع . وكانا متشابهين ، غيرَ أن عَمرَ بنَ جناب كان أشعرَ . فأتته بنتُ عجلانَ فاحتملته وأدخلته اليها ، وصنع ما امره به مرقّش . فلما وجدت شعر فخذيه استنكرته واذا هو يُرعِد . فدفعته بقدمها في صدره وقالت : قَبَّح اللهُ سِرًّا عند المُعيدي . ودعت بنتَ عجلانَ فذهبت به . وانطلق

(١) على سيف البحر . بينها وبين البصرة مرحلتان ، وفيها ابـار ماؤهـا شَروب . (٢) سواك : عود من شجر الأراك تنظف به الاسنان . (٣) جمع قائف . القيافة : تتبع الاثر .

الى صاحبه ، فلما رآه قد اسرع الكَرَّةَ ولم يَلبَثْ الا قليلا عَلِم أنه قد افتَضَح . فعضَّ على إصبَعِه فقطعها . ثم انطلق الى اهله تاركا الإبِلَ التي كان مقيما فيها حياءً مما صنع .

وقال في ذلك قصيدةً منها :

ألا حبَّذا وجهٌ تُريكَ بَيَاضَه ومنسدِلاتٍ كالمَثاني فواحِمَا (١)
وإني لأستحيي فُطَيمةَ جائعاً خَميصا وأستحيي فُطيمةَ طاعِما (٢)
أفاطِمَ لو أن النساءَ ببلدةٍ وانت بأخرى لابتغيتُك هائما
فمَن يَلقَ خيرا يَحمَدِ الناسُ أمرَه ومَن يَغوَ لا يَعدَم على الغَيِّ لائما
ألم ترَ أن المرءَ يَجذُمُ كَفَّه ويَجشَمُ مِن لوم الصديقِ المَجاشِما (٣)

سياط

اسمه عبدُ الله بنُ وَهبٍ ، ويُكنّى ابا وَهب . مكّيٌّ مولى خُزاعةَ . وكان مُقَدَّما في الغناء ، روايةً وصَنعةً ، ومعدودا في الضُرّاب . وهو استاذُ ابنِ جامعٍ وابراهيمَ الموصلي . وكان سياطٌ زوجَ ام ابن جامع .

لُقِّب سياطٌ هذا اللقبَ لانه كان كثيرا ما يتغنى :

كأنَّ مَزاحِفَ الحيّاتِ فيه قُبيلَ الصُبحِ آثارُ السِياطِ

غنى ابراهيمُ المَوصلي يوما صوتا لسياطٍ ، فقال له ابنُه اسحاقُ : لمن هذا الغناء ، يا أبت ؟ قال : لمن لو عاش ما وَجَدَ ابوك شيئا يأكلُه ، لسياطٍ .

مرَّ سياطٌ على أبي رَيحانةَ المدنيِّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه ثوب رقيق رثٌّ . فوثب اليه ابو ريحانةَ وقال : بأبي أنت ، يا ابا وهب ، غنني صوتك في شعر ابن جُندَب :

فؤادي رهينٌ في هَواكِ ومُهجتي تذوب وأجفاني عليكِ هُمولُ

فغناه اياه . فشق قميصَه ورجع الى موضعه من الشمس وقد ازداد بَرداً ، فقال له رجل : ما

---

(١) منسدلات : ذوائب من الشعر مسترخية . كالمثاني : كالحبال . فواحم : سود . (٢) خميصاً : ضامر البطن . طاعماً : آكلا . (٣) يجذم : يقطع يده . يجشم : يركب المكروه .

أغنى عنك ما غنّاك مِن قميصك . فقال له : يا ابنَ أخي ، ان الشعرَ الحسنَ ، من المغنّي الحسنِ ، ذي الصوتِ المُطرِبِ أدفأُ للمقرور من حمّام المهديّ اذا أُوقِدَ سبعةَ أيام .

قيل : ان اخوانا لسياط دَعَوه ، فأقام عندهم وبات . فأصبحوا فوجدوه ميتا في منزلهم . فجاؤوا الى امه وقالوا : يا هذه ، إنّا دعَونا ابنَكِ لنُكرمَه ونُسَرَّ به ونتأنسَ بقربه ، فمات فجأة . وها نحن بين يديك ، فاحتكمي ما شئتِ ، ونشدناك اللهَ ألاّ تُعرِّضينا للسُلطان ، او تدّعي فيه علينا ما لم نفعله . فقالت : ما كنتُ لأفعلَ ، وقد صدقتم ، وهكذا مات ابوه فجأة . وكان موته في اول ايام موسى الهادى .

يحيى المكي

هو يحيى بنُ مرزوقٍ ويكنى ابا عثمانَ . عُمِّرَ مئةً وعشرين سنةً ومات وهو صحيحُ السمعِ والبصر والعقل .

قَدِم مع الحجازيين الذين قدِموا على المَهديّ وبقي بالعراق وولدُه يخدمون الخلفاء الى ان انقرضوا .

كان ابنُ جامعٍ وابراهيمُ الموصلي وفُلَيحٌ يَفزعون اليه في الغناء القديم ويأخذون عنه . وله كتاب في الاغاني ، الا انه كان كالمُطَّرحِ عند الرُواة لكثرة تخليطه في رواياته .

قال محمد الكاتب : كان يحيى يُخلّط في نِسَبِ الغناء . فلا يزال يصنع الصوتَ بعد الصوتِ يتشبّهُ فيه بالغريضِ مرة ، وبمعبدٍ أخرى ، وبابنِ سُريجٍ وابنِ مُحرزٍ ، ويجتهد في إحكامه وإتقانه ، حتى يَشتبهَ على سامعه فيُسألُ عن ذلك فيقول : اخذته عن فلان ، واخذه فلان عن فلان ، فلا يُشَكُّ في قوله ، ولا يَثبُتُ لمباراته أحدٌ ، حتى نشأ اسحاقُ فضبط الغِناء واخذه من مظانّه ودَوّنه وكشف عَوارَ[1] يحيى في منحولاته وبيّنها للناس .

قال اسحاق يوما للرشيد : أتحب يا امير المؤمنين أن أظهِر لك كَذِب يحيى فيما يَنسبُه من الغناء ؟ قال : نعم . قال : أعطِني ايَّ شعرٍ شئتَ حتى أصنعَ فيه . واسألني بحضرة يحيى عن نِسبته ، فاني سأنسبُه الى رجل لا أصلَ له ، واسألْ يحيى عنه اذا غنّيتُه ، فانه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته .

(١) عوار : عيب .

فأعطاه شعرا فصنع فيه لحنا وغناه الرشيدَ . فلما حضر يحيى غناه اسحاق ، فسأله الرشيد : لمن هذا اللحنُ ؟ فقال له اسحاق : لغناديسَ المديني . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنتَ لَقيتَ غناديسَ المديني ؟ قال : نعم ، لقيتهُ واخذتُ عنه صوتين . ثم غنى صوتا وقال : هذا احدُهما . فلما خرج يحيى حلف اسحاق بالطلاقِ ثلاثا وعتقِ جواريه : أن اللهَ ما خلق احداً اسمُه غناديسُ ، ولا سُمِع في المغنين ولا غيرِهم ، وأنه وضع ذلكَ الاسمَ في وقته ذلك لينكشفَ امرُه .

سئل ابنُ يحيى المكّي عن صَنعةِ ابيه فقال : الذي صح عندي منها الفٌ وثلثُمئةِ صوتٍ ، منها مئةٌ وسبعون صوتا غَلَب فيها على الناس جميعا مَن تقدم منهم ومَن تأخر .

محمد النميري

هو محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ نُمَير . وهو ثَقيف . شاعر غَزِلٌ مولَّد . مَنشَؤُه الطائف ، من شعراء الدولة الاموية . كان يَهوى زينب بنتَ يوسفَ بنِ الحَكَمِ أختَ الحجَّاجِ ، وله فيها اشعارٌ كثيرة يتشبَّب بها . وامُّ زينبَ والحجاجِ ، الفارعةُ ، كانت عند المُغيرةِ بنِ شُعبةَ . وولدت من المغيرة بنتا فماتت فنازع الحجَّاجُ عُروةَ بنَ المغيرة إلى ابنِ زيادٍ — بن ابيه — في ميراثها ، فأغلظ الحجَّاجُ لعُروةَ ، فأمرَ به ابنُ زيادٍ فضُرِبَ أسواطا على رأسه .

وكان الحجَّاجُ حاقدا على آلِ زيادٍ يَنفيهم من آل سُفيانَ ويقول : آلُ ابي سُفيانَ سُتْهٌ ، حُمْشٌ (١) ، وآلُ زيادٍ رُسْحٌ حُدْلٌ (٢) .

قال مُسلِمُ بنُ جُندَب : إني لَمعَ النُميريِّ بنَعمانَ (٣) وغُلامٌ يسير خلفهَ يَشتُمُه اقبحَ الشتيمةِ . فقلت : مَن هذا ؟ فقال : هذا الحجاجُ بنُ يوسفَ ، دَعه فاني ذكرتُ اختَه في شعري ، فأحفظَه (٤) ذلك .

كان يوسفُ ابنُ الحَكم اعتلَّ عِلَّةً فطالت عليه . فنذرت زينبُ إن عُوفيَ أن تَمشيَ إلى البيت (٥) . فعوفي فخرجت في نِسوة . فقال محمدٌ هذه القصيدةَ :

تَضوَّعَ مِسكاً بطنُ نَعمانَ اذ مشت   بــه زينبٌ في نِسوةٍ عَطِراتِ

(١) جمع أَسْتَه : عظيم الاست . جمع أَحمَش : دقيق الساق . (٢) جمع أرسح : قليل لحم العجز . جمع أحدل : الذي اشرف احد عاتقيه على الاخر . (٣) هو نعمان الاراك ، واد بينه وبين مكة نصف ليلة . (٤) أغضبه .
(٥) الكعبة .

تهادَيْنَ ما بين المُحَصَّبِ من مِنىً ... وأقبلن لا شُعْثاً ولا غَبِراتِ
يُخَمِّرْنَ (١) أطرافَ البَنانِ من التُقى ... ويَقتُلن بالالحاظِ مُقتدِراتِ
جَلَوْن وجوهاً لم تَلُحها سمائمٌ ... حَرورٌ ولم يُسفَعنَ بالسَبَراتِ (٢)
ولما رأت رَكبَ النُميريِّ راعَها ... وكُنَّ مِنَ آن يَلقَينَه حَذِراتِ

– وهي طويلة – وبلغت هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروانَ ، فكتب إلى الحجَّاج :

قد بلغني قولُ الخبيث في زينبَ . قالهُ عنه وأعرِض عن ذكره . فإنك ان أدنيتَه او عاتبتَه . أطمعتَه ، وان عاقبتَه صدَّقتَه .

وهرب النُميريُّ من الحجَّاجِ إلى عبدِ الملك واستجار به ، فقال له : أنشِدني ما قُلتَ في زينبَ . فأنشده ، فلما انتهى إلى قوله :

ولما رأتَ رَكبَ النُميريِّ راعَها ...

فقال له عبد الملك : وما كان ركبُك يا نميري ؟ قال : اربعةُ أحمِرةٍ لي كنتُ أجلُب عليها القَطِرانَ ، وثلاثةُ أحمِرةٍ صُحبتي تَحمِلِ البَعر . فضَحِك عبدُ الملك حتى استغرب (٣) ضُحكا ، ثم قال : لقد عظَّمتَ أمرَك وأمرَ رَكبِك .

وقال فيها :

ومُرسِلَةٍ في السرِّ أن قد فضحتَني ... وصَرَّحتَ باسمي في النسيب فما تُكْني
وقد لامني فيها ابنُ عمِّيَ ناصحا ... فقلت له خذ لي فؤاديَ او دعني

وكان الحجَّاج يتهدده فهرب إلى اليمن وقال :

أتتني عن الحَجَّاج والبحرُ بينَنا ... عَقاربُ تَسري (٤) والعيونُ هواجِعُ
فضِقتُ بها ذَرعا (٥) وأجهشتُ خِيفةً ... ولم آمَنِ الحجَّاجَ والأمرُ فاظِعُ
وفي الارض ذاتِ العَرضِ عنكَ ابنَ يوسُفٍ ... اذا شئتُ منأًى ، لا أبا لك ، واسِعُ
فان نِلتَني ، حَجَّاجُ ، فاشتفِ جاهِدا ... فان الذي لا يَحفَظُ اللهُ ضائِعُ

وقال يرثي زينب :

لِزينبَ طيفٌ تعتريني طوارِقُه ... هُدوءاً (٦) اذا النجمُ ارجحنَّت (٧) لواحِقُه

(١) على يديهن قفازان للتقى . (٢) لاحته الشمس ولوحته : لفحته وغيرت وجهه . السمائم : جمع سموم وهي ريح حارة. سفعته: غيرته. سبرات: جمع سبرة وهي شدة البرد . (٣) استغرب: بالغ تهقهة . (٤) عقارب : هنا كناية عن الأحقاد والعداوات . (٥) ذرع : الطاقة والوسع . (٦) في الليل . (٧) مالت نحو المغيب .

سيَبكيكِ مِرنـانٌ (١) العَشيِّ يُجيبُـه لطيفُ بَنانِ الكفِّ دُرمٌ (٢) مَرافِقُهْ
اذا ما بِساطُ اللَّهوِ مُدَّ وأُلقِيَـت للذّاتِه أنمـاطُه ونَمارِقُـهْ (٣)

لما تأيَّمت عائشةُ بنتُ طلحةَ كانت تُقيم بمكةَ سنةً وبالمدينةِ سنةً وتَخرجُ إلى مال لها عظيمٍ بالطائف وقصرٍ لها هناك فتتنزَّهُ فيه وتجلِس بالعَشيِّات فيتناضلُ بينَ يديها الرُماةُ. فمرَّ بها النُميريُّ، فسألت عنه فنُسِبَ لها فقالت: ائتوني به. فقالت له: أنشدني مما قلت في زينبَ. فامتنع عليها وقال: تلك ابنةُ عمي وقد صارت عِظاما باليةً. قالت: أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ. فأنشدَها قولَه:

تَضَوَّعَ مِسكا بطنُ نَعمانَ أن مشت ...

فقالت: والله، ماقلتَ الا جميلا، ولا ذكرتَ الا كرما وطيبا، ولا وصفتَ الا دِينا وتُقىً. أعطوه الفَ درهمٍ. فلما كانت الجُمعةُ الاخرى تَعَرَّض لها، فقالت: علي به. فأُحضِر. فقالت له: أنشدني من شعرك في زينب. فقال لها: أَوَ أُنشدُك من شعر الحارثِ بن خالد (٤) فيك؟ فوثب مواليها اليه، فقالت: دَعُوه، فإنه اراد ان يَستقيدَ (٥) لبنتِ عمه. هاتِ مما قال الحارثُ فيَّ. فأنشدها:

ظَعَنَ (٦) الاميرُ بأحسنِ الخَلْـقِ وَغَدَوا بلُبِّكَ مَطلَـعَ الشَرقِ

فقالت: والله ما ذكر إلا جميلا. ذكر أني اذا صَبَّحتُ زوجا بوجهي غدا بكوكب الطَلَقِ (٧). وأني غدوت مع اميرٍ تزوجني إلى الشرق. أعطوه الفَ درهمٍ واكسوه حُلَّتين، ولا تَعُد لإتياننا بعدَ هذا يا نُميريُّ.

وضاح اليمن

وضَّاحٌ لقبٌ غَلَب لجماله وبَهائه، واسمُه عبدُ الرحمن.

كان وضَّاحُ اليَمَنِ والمُقَنَّعُ الكِنديُّ وابو زُبَيدٍ الطائيُّ يَرِدون مَواسِمَ العَرَب مُقَنَّعين، يَستُرون وجوهَهم خوفا من العين، وحَذَرا على انفسهم من النِساء لجمالهم.

(١) صنج ذو أوتار. (٢) جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه. (٣) جمع نمرقة وهي الوسادة. والا نماط جمع نمط: البساط. (٤) ترجمته في الجزء - ٣ - (٥) أي يأخذ بثأرها. (٦) ظعن: رحل. (٧) يقال يوم طلق: مشرق لا برد فيه ولا حر.

وكان وضّاحٌ يَهوى امرأةً من اهل اليمن يقال لها روضةٌ ويُشبِّب بها في شعره ، فلما اشتهر امرُه معها خطبها فلم يُزَوِّجها ، وزُوِّجت غيرَه ، وفيها يقول :

قالت ألا لا تَلِجَنْ دارنا إنَّ ابانا رجلٌ غائرُ (١)
قلت فإني طالبٌ غِرَّةً منه وسيفي صارمٌ باترُ
قالت فإن القصرَ من دوننا قلت فإني فوقَه ظاهرُ
قالت فان البحرَ من دوننا قلت فإني سابحٌ ماهرُ
قالت فحولي أُخوة سبعةٌ قلت فإني غالبٌ قاهرُ
قالت فليثٌ رابضٌ بيننا قلت فإني اسدٌ عاقرُ
قالت فان اللهَ من فوقِنا قلت فربي راحمٌ غافرُ
قالت لقد أعييتَنا حُجَّةً فأتِ اذا ما هَجَعَ السامرُ (٢)
فاسقُط علينا كسُقوطِ النَّدى ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجرُ

استأذنت امُّ البنينَ بنتُ عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ الوليدَ بنَ عبدِ الملك في الحج ، فأذِن لها ، وهو يومئذٍ خليفةٌ وهي زوجته . فقَدِمت مكةَ ومعَها من الجواري ما لم يُرَ مثلُه حُسنا . وكتب الوليدُ يتوعَّدُ الشعراءَ جميعا إن ذَكَرها احدٌ منهم او ذَكَر احدا ممن تَبِعَها . وقَدِمت ، فتراءت للناس وتصدَّى لها اهلُ الغزل والشعر . ووقعت عينُها على وضَّاحِ اليَمَنِ فهَوِيته . فبعثت إلى كُثَيِّرٍ وإلى وضَّاح ، أنِ انسبا بي . فأما وضَّاحٌ فانه ذَكَرها وصرَّح بالنسيب بها ، واما كُثَيِّرٌ فعَدَل عن ذكرها ونَسَب بجاريتها غاضرةَ .

ومدح وضَّاحُ اليَمَنِ الوليدَ بنَ عبدِ الملك ، ووعدته امُ البنين أن تَرفِدَه (٣) عنده وتُقوِّيَ أمرَه . فقَدِم عليه وضَّاحٌ وأنشده قولَه :

اذا سار الوليدُ بنا وسِرنا إلى خيل نَلُفُّ بهن خيلا
ونَدخُل بالسرور ديارَ قوم ونُعقِبُ آخَرين أذًى ووَيلا

وقال فيه ايضا :

فعلى ابنِ مروانَ السلامُ مِنِ امرئٍ امسى يذوق منَ الرُقادِ أقلَّهُ
فإليك أعمَلتُ المَطايا ضُمَّرا وقَطعتُ أرواحَ (٤) الشتاءِ وظِلَّهُ

فأحسن الوليدُ رِفدَه وأجزَل صِلتَه . ثم نُمي اليه أنه شَبَّب بأم البنين فحجبه ودبَّر في قتله .

---

(١) غائر : حاذق دقيق النظر ، بعيد الغور . (٢) السامر اسم جمع بمعنى المتسامرين ليلا . (٣) تعينه .
(٤) أرواح : رياح .

قال ابن الكلبي : عَشِقت امُ البنين وضّاحا ، فكانت تُرسِل اليه فيَدخلُ اليها ويُقيم عندَها . فاذا خافت وارَته في صُندوقٍ عندَها وأقفلت عليه . فأُهديَ للوليد جوهرٌ له قيمةٌ فاعجبه واستحسنه . فدعا خادما له ، فبعث به معه إلى ام البنين وقال : قل لها : إن هذا الجوهرَ اعجبني فآثرتُكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأة ، ووضّاحٌ عندها ، فأدخلته الصُندوقَ وهو يَرى . فأدّى اليها رسالةَ الوليدِ ودفع اليها الجوهرَ ، ثم قال : يا مولاتي ، هبيني منه حجرا . فقالت : لا ، يا ابنَ اللخناء ، ولا كرامةَ . فرجَع إلى الوليدِ فأخبره . فقال : كَذَبت يا ابنَ اللخناءِ ، وامر به فوُجِئت عُنقُه . ثم لَبِس نعليه ودخل على ام البنين وهي جالسة في ذلك البيت تتمشّط وقد وَصَف له الخادمُ الصُندوقَ الذي أدخلَته فيه . فجلس عليه ثم قال : يا امَّ البنين ، ما أحَبَّ اليكِ هذا البيتَ من بينِ بيوتِك ، فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : لانه يجمع حوائجي كلَّها فأتناولها منه كما أريد من قُرب . فقال لها : هي لي صُندوقا من هذه الصناديقِ . قالت : كلُّها لك ، يا امير المؤمنين . قال : ما اريدُها كلَّها وانما اريد واحدا منها . فقالت له : خذ أيَّها شئتَ . قال : هذا الذي جلست عليه . قالت : خذ غيرَه فإنَّ لي فيه أشياءَ أحتاجُ اليها . قال : ما اريد غيره . قالت : خذه يا امير المؤمنين . فدعا بالخدم وامرهم بحمله . فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عبيدا له فأمرهم فنَحَّوا البِساطَ وحفروا بئرا في المجلس عميقةً ، ثم دعا بالصندوق فقال : يا هذا ، إنه بلغَنا شيءٌ إن كان حقًّا فقد كفنّاك ودفنّاك ودفنّا ذكرَك وقطعنا أثَرَك . وان كان باطلا فانا دفنّا الخشبَ . ثم قذف به في البئرِ وهِيل عليه التُرابُ وسُوِّيَت الارضُ ورُدَّ البِساطُ إلى حاله وجلس الوليد عليه . ثم ما رُئي بعدَ ذلك اليومِ اثرٌ لوضّاح. وما رأت امُ البنين أثراً في وجه الوليد حتى فرَّق بينهما الموت .

كان وضّاحٌ مقيما عند ام البنين فورد عليه نَعيُ أخيه وابيه ، فقال يرثيهما :

أراعَــكَ طائرٌ بعد الخُفُـوقِ ... بفاجعــةٍ مشنَّعةِ الطُـروقِ
كأني اذ أُكفكف دمــعَ عينــي ... وأنهاهــا أقولُ لَها هَريقي [1]
ألا تلك الحوادثُ غيبــتُ عنهــا ... بأرض الشامِ كالفــردِ الغريــقِ
وأعظمُ مــا رُميــتُ به فُجــوعاً ... كتابٌ جاء من فَــجٍ عميــقِ
سأصبِــر للقضــاء فكلُّ حــيٍّ ... سيَلقى سُكــرةَ الموتِ المَذوقِ
فما الدنيــا بقائِمــةٍ وفيهــا ... مــنَ الاحيــاءِ ذو عينٍ رَموقِ
وللأحيــاء أيــامٌ تَقضّــى ... يلُــفُ خِتامُهــا سُوقاً بسُوقِ
ودنيــاك التي أمسيــتَ فيهــا ... مُزايلــةُ الشقيــقِ عن الشقيقِ

ومما فيه غناء من شِعر وضّاح :

(١) هريقي : اهطلي .

حَـيٍّ التي أقصى فؤادِكَ حلّـتِ   علِمَتْ بأنك عاشـقٌ فأدَلّـتِ
واذا رأتـك تقلقلت أحشـاؤهـا   شوقـا اليك فأكثرت وأقلّـتِ
واذا دخلـتَ فأُغلِقـت ابوابُهـا   عزمَ الغيورُ حجابَها فاعتلّـتِ
واذا خرجـتَ بكت عليك صَبابـةً   حتى تبلَّ دموعُهـا ما بلّـتِ

ابو ذؤيب

هو خُويلدُ بنُ خالد ابن مخزوم ابن هُذَيل . وهو احد المخضرَمين ممن ادرك الجاهلية والاسلام . كان شاعرا فحلا لا غميزةٌ (١) فيه ولا وَهنٌ . وقد تقدم جميعَ شعراءِ هذيلٍ بقصيدته العينية التي يَرثي فيها بنين له خمسةً أصيبوا في عامٍ واحد بالطاعون . ومنها :

أمِنَ المَنـونِ وريبهـا تتوجّـعُ   والدهـرُ ليس بمُعتِبٍ (٢) مَن يَجزَعُ
قالت أُمامةُ ما لجسمِكَ شاحبـاً   منذُ ابتذلتَ ومثلُ مالِك يَنفَـعُ
ام ما لجنبِك لا يُلائـمُ مَضجعَـا   إلا أَقضَّ (٣) عليك ذاك المضجَـعُ

لما مات جعفرُ بنُ المنصورِ الاكبرُ مشى المنصورُ في جِنازته في المدينة إلى مقابرِ قريشٍ . ومشى الناس اجمعون معه حتى دفنَه ، ثم إلى قصره ، ثم اقبل على الربيع (٤) فقال : انظرْ مَن في أهلي يُنشِدُني :

أمِنَ المَنونِ وريبها تَتوجّعُ ...

حتى أتسلى بها عن مُصيبتي . قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشمٍ وهم بأجمعِهم حُضورٌ فسألتهم عنها ، فلم يكن فيهم احدٌ يَحفَظُها . فرجَعت فأخبرته . فقال : والله لَمُصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكونَ فيهم احدٌ يَحفَظُ هذا ، لِقلَّةِ رغبتِهم في الأدب ، أعظمُ وأشدُّ عليَّ من مُصيبتي بابني . ثم قال : أُنظرْ هل في القُوّاد والعَوامِّ من الجُند مَن يعرفها ، فإني أُحِبُّ أن أَسمَعَها من إنسانٍ يُنشِدها . فخرجت فاعترضت الناسَ فلم اجد احدا ينشدها الا شيخا كبيرا مُؤدِّبا قد انصرف من موضِع تأديبه . فسألته : هل تَحفَظ شيئا من الشعر ؟ فقال : نعم ، شعرَ ابي ذُؤيب . فقلت : أَنشِدني .

(١) مطعن . (٢) أعتبه : رجع إلى ما يرضيه وترك ما يسخطه . (٣) أقض : جعله لا يطمئن في نومه .
(٤) مولى المنصور .

فابتدأ هذه القصيدةَ العينيَّةَ . فقلت له : انت بُغيتي . ثم اوصلتُه إلى المنصور ، فاستنشدَه اياها . فلما قال :

والدهر ليس بمعتبٍ من يَجزَعُ .

قال : صدق ، والله . أنشدني هذا البيتَ مئةَ مرةٍ ليَتردَّدَ هذا المصراعُ علي . فانشده ، ثم مرَّ فيها حتى انتهى . ثم امر الشيخَ بالانصراف وأمر له بصُرَّةٍ فيها مئةُ درهمٍ .

كان ابو ذؤيب الهُذَلي يهوى امرأة، وكان يُرسل اليها خالدَ بنَ زُهيرٍ فخانه فيها، فصَرمَها[1] فأرسلت تترضَّاه . فقال :

تُريدين كيمـــا تَجمعيني وخالـــداً وهل يُجمَعُ السيفان ويحكِ في غِمــدِ
أخالِدُ ما راعَيت منـــي قَـرابــةً فتَحفَظَني بالغيب أو بعضِ ما تُبدي[2]

ومن شعره الذي يُغنَّى به :

وإن حديثا منكِ لو تَبذُلينــــه جَنى النحلِ في ألبانِ عُوذٍ مَطافلِ
مطافلُ أبكارٍ حديثٍ نِتاجُــــها تُشاب بماءٍ مثلِ ماءِ المفاصلِ

جنى النحلِ : العسل . العُوذ : جمع عائذ ، الناقة حين تضع . فاذا تَبِعها ولدُها قيل لها : مُطفِلَ . والمَفاصل : مُنفَصل السهل من الجبل حيث يكون الرضراض (أي الحَصى الدقيق) والماء الذي يَستنقِــع فيها أطيب الماء . وتُشاب : تُخلَط .

خرج أبو ذؤيب فغزا ارضَ الروم مع المسلمين ، فلما قَفَلوا اخذه الموتُ ، فاراد ابنُه وابنُ اخيه ان يتخلّفا عليه جميعا ، فمنعهما صاحبُ السَّاقة[3] وقال : يتخلّف عليه أحدُكما وليعلَم أنه مقتول . فقال لهما ابو ذؤيب : اقتَرِعا . فطارت القُرعةُ لابن أخيه ، ابي عبيد . فتخلّف عليه ، ومضى ابنه مع الناس . فقال ابو ذُؤيب : يا أبا عبيد ، احفر ذلك الجَرفَ برُمحك ثم اعضد[4] الشجرَ بسيفك ثم اجرُرني إلى هذا النهر ، فإنك لا تفرَغُ حتى أَفرَغَ . فاغسِلني وكَفِّنّي ثم اجعلني في حفيري وانثُل عليَّ الجَرفَ برُمحك ، وألقِ علي الغُصونَ والشجرَ ، ثم اتبع الناسَ ، فان لهم رهجةً تراها في الأفُقِ اذا مَشَيتَ كأنّها جَهَامةٌ[5] .

قال ابو عبيد : ما أخطأ مما قال شيئا . ولولا نَعتُه لم اهتَدِ لأثَرِ الجيش .

---

(١) صرم : قطع وصالها . (٢) أي بالغيب أو في بعض ما تظهر من المودة . (٣) جيش المشاة . (٤) اعضد : القطع . (٥) جهامة : سحابة .

حكم الوادي

هو الحَكَم بنُ ميمون مولى الوليد بن عبد الملك . كان ابوه حلاّقا يحلق رأسَ الوليد ، فاشتراه فأعتقه . وكان حكم طويلاً أحولَ ويُكنّى ابا يحيى . وكان اصلُه من الفُرس . وكان يَنقُر بالدُّفِّ ويغنّي مرتجِلا ، وعُمِّرَ طويلا . غنّى الوليدَ بنَ عبد الملك وغنّى الرشيدَ ومات في الشطر من خلافته .

اخذ الغناء من عُمرَ الوادي ، وهو الذي كان يُسميه الوليدُ بنُ يزيدَ جامعَ لذتي .

قال حكم : ادخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيدَ وهو على حمار ، وعليه جُبّةُ وشيٍ ورداءُ وشيٍ وخُفُّ وشيٍ وفي يده عِقدُ جوهرٍ ، وفي كُمِّه شيءٌ لا أدري ما هو . فقال : مَن غنّاني ما أشتهي فله ما في كُمّي وما عليَّ وما تحتي . فغنّوه كلُّهم فلم يَطرَب . فقال لي : غنِّ يا غلامُ . فغنّيت :

إكليلُهـــــــا ألـــــوانُ ووجهُهـــــا فتّـــــانُ
وخـــــالُهـــــا فريـــــدٌ ليس لـــــه جيـــــرانُ
اذا مشت تثنّـــــت كأنهـــــا ثُعبـــــانُ

ــ الشعرُ لمُطيعِ بنِ أياسٍ ــ فطَرِب وأخرج ما كان في كُمِّه ، واذا كيسٌ فيه الفُ دينارٍ فرمى به اليَّ مع عِقدِ الجوهر . فلما دخل بعث الي بالحمار وجميعِ ما كان عليه .

قال اسحاق :

اربعةٌ بلغوا في اربعةِ أجناسٍ من الغناء مبلغاً قَصَّر عنه غيرُهم : معبدٌ في الثقيل ، وابنُ سريجٍ في الرَمَلِ ، وحَكَمٌ في الهَزَجِ ، وابراهيمُ (أبوه) في الماخوري .

زار حكمٌ الوادي الرشيدَ ، فبرَّه ووصَلَه بثلثمئةِ الفِ درهمٍ ، وسأله عمَّن يَختارُ أن يُكتَبَ له بها اليه . فقال : اكتُب لي بها الى ابراهيمَ بنِ المهديِّ ، وكان عاملا له بالشام . قال ابراهيم : فقَدِم علي حَكَمٌ بكتاب الرشيد ، فدفعت اليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وَصَله ، إلا أني نَقَصتُه الفاً من ثلثمئةٍ وقلتُ له : لا أصِلُك بمثل صِلَةِ اميرِ المؤمنين . فأقام عندي ثلاثين يوما اخذتُ منه فيها ثلثَمئةِ صوتٍ كلُّ صوتٍ منها أحبُّ الي من الثلثمئةِ الالفِ التي وهبتُها له .

ومات حَكَمٌ من قُرحة اصابته في صدره .

ابن جامع

هو اسماعيلُ بنُ جامعٍ – قرشي – ، ويُكنّى ابا القاسم. وامُه امرأة من بني سَهمٍ، تزوجت بعد ابيه رجلا من اهل اليمن .

حدّث عونٌ حاجبُ معنِ بنِ زائدةَ قال: رأيت امَّ ابن جامعٍ، وابن جامعٍ معها، عند معنِ بنِ زائدةَ وهو ضعيف يتبعها ويطأ ذيلها، وكانت من قريش، ومعنٌ يومئذ على اليمن ، فقالت : أصلح اللهُ الاميرَ ، ان عمي زوجني زوجاً ليس بكُفءٍ . ففرِّق بيني وبينه . قال : ومن هو ؟ قالت : ابنُ ذي مُناجِب. قال : عليَّ به . فدخل أقبحَ مَن خلقَ اللهُ وأشوهَه خَلقاً . قال : مَن هذه منك ؟ قال : امرأتي. قال : خلِّ سبيلها . ففعل . فأطرق معنٌ ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لعمري لقد اصبحتَ غير محبَّبٍ ... ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجبِ
فما لُمتُها لما تبيَّنَتُ وجهَهُ ... وعيناً له حوصاءَ[1] من تحت حاجبِ
وأنفاً كأنف البَكرِ يَقطرُ دائباً ... على لحيةٍ عَصلاءَ[2] شابت وشاربِ
أتيتَ بها مثلَ المهاةِ تسوقها ... فيا حُسنَ مجلوبٍ ويا قُبحَ جالبِ

وامر لها بمئتي دينار وقال لها : تَجهَّزي بها الى بلدك .

قدِم ابن جامعٍ قَدمةً له من مكةَ على الرشيد ، وكان ابنُ جامع حسنَ السَمتِ كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جَبهتَه – وكان يَعتَمُّ بعِمامةٍ سوداء على قَلَنسُوَةٍ طويلةٍ ويَلبَس لِباسَ الفُقهاء . فبينا هو واقف على باب يحيى بنِ خالدٍ يلتمس الإذنَ عليه ، أقبل ابو يوسفَ القاضي باصحابه اهلِ القَلانس . فلما هجم على الباب وقعت عينه على ابن جامعٍ فرأى سَمتَه وحلاوةَ هيئته ، فجاء فوقف الى جانبه ثم قال له : أمتَعَ اللهُ بك، توسَّمتُ فيك الحجازيَّةَ والقُرَشيَّةَ . قال : أصبت. قال: فمن ايِّ قريشٍ أنت؟ قال: من بني سَهمٍ . قال: فأيُ الحرَمين منزلُك؟ قال: مكةُ. قال مَن لَقيتَ من فُقهائهم ؟ قال: سَل عمَّن شئتَ . ففاتَحه الفقهَ والحديثَ فَوجد عندَه ما أحبَّ ، فأُعجِبَ به . ونَظر الناسُ اليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبلَ على المُغنِّي . وابو يوسفَ لا يَعلَمُ أنه ابنُ جامع . فقال اصحابُه : لو اخبرناه عنه . ثم قالوا : لا ، لعله لا يعود الى مُواقَفتِه بعدَ اليومِ فلِمَ نَغُمُّه. فلما كان الإذنُ الثاني ليحيى غدا عليه الناسُ ، وغدا عليه

(١) حوصاء : الضيقة مؤخرة العينين . (٢) عصلاء : صلبة كذيل الفرس .

ابو يوسف . فنظَرَ يَطلُبُ ابنَ جامعٍ ، فرآه فذهب فوقف الى جانبه فحادثه طويلا . فلما انصرف قال له بعضُ اصحابه : ايُّها القاضي ، أتعرفُ هذا الذي تُواقفُ وتُحادث ؟ قال : نعم . رجل من قريشٍ من اهل مكةَ ، من الفقهاء . قالوا : هذا ابنُ جامعٍ المغنِّي . قال : إنَّا لله . فلما كان الإذنُ الثالث جاء ابو يوسفَ ونَظَرَ اليه فتنكَّبَه [1] ، وعرف ابنُ جامعٍ أنه قد أُنذِرَ به [2]. فجاء فوقف فسلَّم عليه . فردَّ السلام عليه ، ثم انحرف عنه . فدنا منه ابن جامعٍ ، وعرف الناسُ القِصَّةَ ، وكان ابنُ جامع جَهيرا فرفع صوته ثم قال : يا ابا يوسفَ ، مالكَ تنحرِفُ عني ؟ ايَّ شيء أنكرتَ ؟ قالوا لك : إني ابنُ جامعٍ المغني فكَرِهتَ مُواقفتي لك . أسألك عن مسألة ثم اصنَعْ ما شئت . ومال الناسُ فأقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا ابا يوسفَ ، لو أنَّ أعرابياً جِلفاً وقف بين يديك فانشدك بجَفاءٍ وغِلظةٍ من لسانه وقال :

يـــــا دارَ ميَّةَ بالعليـــــاءِ فالسَّنَدِ … أقوَت وطـــــال عليها سالفُ الابـــدِ

أكنتَ ترى بذلك بأسا ؟ قال : لا . قال ابن جامع : فإن قُلتُ انا هكذا : ثم اندفع يتغنَّى فيه حتى اتى عليه . ثم قال : يا ابا يوسفَ . رأيتَني زِدتُ فيه أو نَقَصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ، أعفِنا من ذلك . قال : يا ابا يوسفَ ، انت صاحبُ فُتيا ، ما زِدتُه على أن حسَّنتُه بألفاظي فحَسُن في السماع ووصَل الى القلب . ثم تنحَّى عنه .

قال ابن جامع : لولا أنَّ القِمارَ وحُبَّ الكلابِ قد شغَلاني ، لتركت المغنِّين لا يأكلون الخُبز :

قال برصوما الزامر : ابراهيمُ المَوصليُّ بُستانٌ تجد فيه الحُلوَ والحامِضَ وطَرِيًّا لم يَنضَج ، فتأكلُ منه من ذا وذا . وابنُ جامعٍ زِقُّ عسلٍ إن فتحت فمَه خرج عسل حلو ، وان خرَقت جنبه خرج عسل حلو ، كلُّه جيِّد .

غنَّى ابنُ جامعٍ الرشيدَ وجعفرَ بنَ يحيى يومَهما . وسأل ابراهيمُ الموَصِليُّ جعفرا عن يومهم فقال له : لم يزل ابنُ جامع يغنينا ، الا أنه كان يَخرُجُ من الإيقاع . – وهو يريد في قوله ان يُطيِّبَ نَفسَ ابراهيمَ – فقال له ابراهيم : اتريدُ أن تُطيِّبَ نفسي بما لا تَطيبُ به . لا ، واللهِ ، ما ضرط ابنُ جامع منذُ ثلاثين سنةً إلا بإيقاعٍ ، فكيف يَخرُجُ من الإيقاع .

سأل ابنُ جامع الرشيدَ ان يأذَنَ له في المُهارشة بالديوك والكلاب ولا يُحَدُّ في النبيذ . فأذِنَ له وكتب له بذلك كتابا الى العُثمانيِّ . فلما وصل الكتابُ قال : كَذَبتَ . اميرُ المؤمنين لا يُحِلُّ ما حَرَّمَ اللهُ . وهذا كتابٌ مزوَّرٌ . واللهِ لَئِن ثَقِفتُك [3] على حال من هذه لأؤَدِّبَنَّك أدَبَك .

فحَذِرَه ابنُ جامع . فوقع بينَ العُثمانيِّ وحَمَّاد اليزيديِّ ، وهو على البريد ، ما يقع بين العُمال . فلما حجَّ هارون ، قال حَمَّادٌ لابن جامع : أعِنِّي عليه حتى أعزِلَه . قال : أفعل . قال : فابدأ

(١) تنكبه : تجنبه وادار له منكبه . (٢) انذر به : أعلم بخافيته . (٣) صادفتك .

أنت وقل : إنه ظالم فاجر واستشهدني. فقال ابن جامع : هذا لا يُقبَل في العُثمانيّ ، ويَفهم اميرُ المؤمنين كَذِبَنا . ولكني احتال من جهةٍ ألطفَ من هذه .

فسأله هارون ابتداءً : يا ابنَ جامع ، كيف اميرُكم العثمانيُّ ؟ قال خيرُ اميرٍ وأعدلُه وافضلُه وأقوَمُه بحقٍّ لولا ضَعفٌ في عقله . قال : وما ضَعفه ؟ قال : قد افنى الكلاب . قال : وما دعاه الى إفنائها . قال: زعم أن كلبا دنا من عُثمانَ بنِ عفّانَ يومَ أُلقي فأكلَ وَجهه . فغضب على الكلاب فهو يَقتُلُها . فقال : هذا ضعيف . اعزلوه . فعزلوه .

قال ابن يحيى المكي : كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً اذا حَزِن صوتُه . فأحبَّ الرشيدُ أن يَسمعَ ذلك على تلك الحالِ . فقال للفضل بنِ الربيع : ابعَث خريطةً فيها نَعْيُ امِ ابنِ جامع — وكان باراً بامه — ففعل . فوردت الخريطةُ على اميرِ المؤمنين وهو في مجلسِ لهوهِ فقال : يا ابنَ جامع ، جاء في هذه الخريطة نعيُ امِك . فاندفع يغني بتلك الحُرقَةِ والحُزنِ الذي في قلبه :

كم بالدُروبِ وأرضِ السِندِ من قَدَمٍ ومِن جماجمَ صرعَى ما بها قُبِروا

قال : فوالله ما مَلَكنا انفسَنا ، ورأيتُ الغِلمانَ يضرِبون برؤوسهم الحيطانَ والأساطينَ . فأمر له هارون بعشرةِ آلاف دينار .

قال ابن جامع :

ضَمَّني [١] الدهرُ ضَمّاً شديدا بمكة، فانتقلت منها بعيالي الى المدينة . فأصبحت يوما وما أملكُ الا ثلاثةَ دراهمٍ . فهي في كُمّي، اذا انا بجارية حمراءَ على رقبتها جرَّةٌ تُريدُ الرُكيَّ [٢] تَسعى بين يديَّ وتُرنِّمُ بصوت شجيٍّ تقول :

شكَونا الى أحبابنا طولَ ليلنـــا فقالوا لنا ما اقصرَ الليلَ عندَنـــا
فلو أنهم كانوا يُلاقون مثـلَ مـــا نُلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنـــا

قال : فأخذ الغِناءُ بقلبي ولم يَدُر لي منه حرف . فقلت : يا جاريةُ ، ما أدري أوَجهُك احسنُ ام غِناؤك . فلو شِئتِ أعدتِ. قالت : حُبّاً وكرامةً . ثم اسندت ظهرها الى جِدارٍ ورفعت احدى رجليها فوضعتها على الاخرى ووضعت الجرَّةَ على ساقيها ثم انبعثت تغنّيه. فواللهِ ما دار لي منه حرفٌ . فقلت : أحسنتِ . فلو شئت أعدتيه مرةً اخرى . ففَطنت وكَلَحت وقالت : ما اعجبَ أمرَكم ! أحدُكم لا يزال يجيء الى الجارية ، عليها الضريبةُ ، فيَشغَلُها . فضربتُ بيدي الى الثلاثةِ الدراهمِ فدفعتُها اليها وقلت : أقيمي بها وجهَك اليومَ الى أن نَلتقيَ . فأخذتها كالكارهة وقالت : انت الانَ تُريد أن تأخذَ مني صوتا أحسبُك ستأخذُ به اربعةَ الافِ دينارٍ . وانبعثت تغنّي . فأعملتُ فكري في غِنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمتُه ، وانصرفت مسرورا الى منزلي أردِّدُه حتى خفَّ

(١) اشتد علي . (٢) الركي : جمع رَكِيَّة أي البئر لم تُطوَ وتُسوَّ بالحجارة .

على لساني . ثم إني خرجت أُريدُ بغدادَ فدخلتُها . فبَقيتُ لا ادري اينَ أتوجّهُ ولا مَن أقصدُ . فذهبتُ أمشي مع الناسِ حتى أتيتُ الجسرَ فعبرتُ معَهم ، ثم انتهيت الى شارع المدينة ، فرأيت مسجدا بالقُرب من دار الفَضل بنِ الربيع مرتفعا فدخلتُه وحَضَرتُ صلاةَ المغربِ . وانصرف اهلُ المسجدِ وبَقِيَ رجلٌ يُصلّي فصلّى مليّاً ثم انصرف فرآني فقال : احسبُكَ غريبا ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتُها آنفاً وليس لي بها منزلٌ ولا معرفةٌ ، وليست صناعتي من الصنائع التي يُحَبَّبُ بها الى أهل الخير . فقال : وما صناعتُك ؟ قلت : أتَغنّى . فوثب مبادرا ووَكَلَ بي بعضَ مَن معه . واذا رسولٌ قد جاء في طلبي ، فانتهى بي الى قصرٍ من قُصور الخلافة وجاوز بي مقصورةً الى مقصورة ، ثم أُدخِلتُ مقصورةً في آخرِ الدِهليزِ فأُتيتُ بمائدةٍ عليها من طَعام الملوك فأكلتُ حتى امتلأت .

فاني لكذلك اذ سمعت ركضا في الدهليز وقائلاً يقول: اينَ الرجلُ ؟ قيل: هو هذا . قال : ادعوا له بغَسول [1] وخِلعةٍ وطيبٍ. ففُعِلَ ذلك بي . فحُملتُ على دابّةٍ الى دار الخلافة – عرفتُها بالحَرَس والتكبير والنيران – فجاوزتُ مَقاصيرَ عِدّةً ، حتى صِرتُ الى دارٍ قَوراءَ [2] فيها أَسِرَّةٌ في وَسطها قد أُضيف بعضُها الى بعض . فأمرني الرجل بالصعود فصعدت . واذا رجلٌ جالس عن يمينه ثلاثُ جَوارٍ في حُجورهن العيدانُ وفي حِجر الرجل عودٌ . فرحّب الرجل بي . فلم ألبث أن خرج خادم من وراءِ السِترِ فقال للرجل : تغنَّ . فانبعث يغني بصوت لي ، فغنّى بغير إصابة. ثم عاد الخادم الى الجارية التي تَلي الرجلَ فقال لها: تَغَنّي . فغنّت ايضا بصوت لي كانت فيه احسنَ حالا من الرجل . ثم عاد الخادم الى الثانية والثالثة. وتوقّعتُ مجيءَ الخادم اليَّ . فقلت للرجل : بأبي انت وامي خذِ العودَ فشُدَّ وترَ كذا وارفَع الطَبَقَةَ وحُطَّ دُستانَ كذا . ففعل ما امرتُه . وخرج الخادم فقال لي : تغنَّ ، عافاك الله. فتغنّيت بصوتِ الرجل على غير ما غناه . فاذا جماعةٌ من الخدم يَحضُرون حتى استندوا الى الأسِرّةِ ، وقالوا : ويحَك ، لمن هذا الصوتُ ؟ قلت : لي . فانصرفوا عني بتلك السرعةِ وخرج الخادم وقال: كذَبتَ . هذا الغناءُ لابن جامع . ودار الدور . فلما انتهى الغناء الي ، قلت للجارية التي تَلي الرجلَ : خذي العودَ . فعَلِمَت ما أُريد ، فسوّت العودَ على غِنائها للصوت الثاني، فتغنّيتُ به . فخرجت اليَّ الجماعة الاولى من الخدم فقالوا : ويحَك ، لمن هذا؟ قلت : لي. فرجَعوا وخرج الخادم فقال : كذَبتَ . هذا الغناء لابن جامع. فتغنّيت بصوتٍ لي فلا يُعرف الا بي وهو :

عُوجي علَـــيَّ فَسَلّمي جَبــــرُ فِيمَ الصُدودُ وانتمُ سَفــــرُ
ما نلتقي الا ثَـــلاثَ مِنـــىً حَتى يُفَرِّقَ بينَنــا الدهـــرُ

فتزلزلت الدارُ عليهم . وخرج الخادم فقال : ويحك . لمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فقال: كَذَبت . هذا الغناء لابن جامع . فقلت : انا ابن جامع . فما شَعرتُ إلا واميرُ المؤمنين وجعفرُ بنُ يحيى قد أقبلا

---

(١) ماء يغتسل به . (٢) واسعة الجوف .

من وراءِ السِتر الذي كان يَخرُج منه الخادمُ. فقال لي الفضلُ بنُ الربيع : هذا اميرُ المؤمنين قد أقبل اليك . فلما صَعِد السريرَ وثَبتُ قائما . فقال لي : ابنُ جامع ؟ قلت : ابنُ جامع ، جعلَني الله فداك يا اميرَ المؤمنين . قال لي : أبشِر ، وابسُط أملَك . فدعوت له. ثم قال غنِّني يا ابنَ جامع . فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُمَيراء. فأمرت الرجلَ باصلاح العود على ما اردتُ من الطبَقة . فوزن العودَ وتعاهده حتى استقامت الاوتارُ واخذت الدساتينُ مواضعَها ، وانبعثتُ اغني بصوت الجارية الحميراء . فنظر الرشيد الى جعفر وقال: أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا ، والله . فرفع الرشيد رأسه الى الخادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه الفُ دينار . فجاء به فرمى به اليَّ. فصيَّرتُه تحتَ فَخِذي ودعوت لامير المؤمنين . فقال : رُدَّ علي هذا الصوتَ. فرددته وتزيَّدت فيه . فقال له جعفر : يا سيدي ، اما تراه كيف يتزيد في الغناء ! هذا خلافُ ما سمعناه اولا ، وان كان الامر في اللحن واحدا . فرفع الرشيد رأسه الى ذلك الخادمِ فدعا بكيس آخرَ فيه الفُ دينارٍ. فجاءني به فصيَّرتُه تحتَ فَخِذي. فقال : أعِد الصوتَ. فأعدتُه. فدعا الخادمَ وامره فأحضر كيسا ثالثا فيه الف دينار . فذكرتُ ما كانت الجاريةُ قالت لي ، فتبسَّمتُ. ولحظني فقال: يا ابنَ الفاعلةِ ، مِمَّ تبسَّمتَ؟ فجثَوت على رُكبتَيَّ وقلت : يا امير المؤمنين ، الصِّدقُ مَنجاةٌ. فقال لي : قل . فقصصت عليه خبرَ الجارية . فرمى الي برابعٍ وقال : لا نُكَذِّبُ قولَها .

من اصوات ابن جامع :

فلو كان لي قَلبانِ عِشتُ بواحدٍ ... وخلّفتُ قلبا في هواكِ يُعذَّبُ
تَعلَّمتُ اسبابَ الرضى خوفَ سُخطِها ... وعلَّمها حُبي لها كيفَ تغضَبُ

الشعر لعمرو الورّاق .

ومنها :

ودِدتُكِ لما كان وُدُّكِ خالصا ... وأعرضتُ لما صار نَهباً مقسَّما
ولن يَلبَثَ الحوضُ الجديدُ بِناؤُه ... على كثرةِ الوُرَّادِ أن يتهدَّما.

ومنها :

ولقد قالت لأترابٍ لها ... كالمها يَلعبن في حُجرتِها
خُذنَ عني الظلَّ لا يَتبعني[1] ... ومضت سعياً الى قُبَّتِها

(١) اي انها تفصل الهرب من الضوء والنور لتستريح في الظلام، بعيدة عن العيون، والظل يكون في النور لا في الظلام .

الوليد بن يزيد

هو الوليدُ بنُ يزيدَ بنِ عبدَ الملك. ويُكنَّى ابا العبَّاس. كان من فتيان امية وظُرَفائهم واجوادِهم واشدَّائهم وكان فاسقا خليعا مَرمِيًّا بالزندقة.

قال العباس بن الوليد بن عبد الملك لعمِّه يزيدَ بنِ عبدِ الملك: يا امير المؤمنين، لو عَهِدتَ عهدا لعبدِ العزيز بنِ الوليد. قال: غدا. وبَلَغَ ذلك مَسلَمةَ بنَ عبدِ الملك. فأتى يزيدَ فقال: يا امير المؤمنين، ايُّما احبُّ اليك: ولدُ عبدِ الملك أو ولدُ الوليد؟ فقال: بل ولدُ عبد الملك. قال: أفأخوك أحقُّ بالخلافة ام ابنُ أخيك؟ قال: اذا لم تكن في ولدي فأخي احقُّ بها من ابن اخي. قال: فابنُك لم يبلُغ، فبايِع لهشامٍ ثم لابنك بعدَ هشام ـ والوليدُ يومئذ ابنُ احدى عشْرةَ سنةً ـ قال: غدا أُبايع له. فلما اصبح بايع لهشامٍ واخذ العهدَ عليه ألاّ يَخلَعَ الوليدَ بعده ولا يُغيِّرَ عهدَه ولا يَحتالَ عليه. فلما أدرك الوليدُ نَدِم ابوه، فكان ينظُر اليه ويقول: اللهُ بيني وبينَ مَن جعل هِشاماً بيني وبينك. وتُوفِّيَ يزيدُ وابنُه ابنُ خمسَ عشْرةَ سنةً. فلم يزل الوليدُ مُكرَّما عند هشامٍ. ثم طَمِع في خلعه وعَقَد العهد بعدَه لابنه مَسلَمةَ. فجعل يَذكُرُ الوليدَ بنَ يزيدَ وتَهتُّكَه وإدمانَه على الشَراب. يَذكُرُ ذلك في مجلسه ويقوم ويَقعُد به. وطالبه بأن يَخلَعَ نفسه فأبى. فحرَمه العطاء وحرم سائرَ مواليه وجفاه جفاءً شديدا. فخرج الوليدُ متبدِّياً[1] وخرج معه مؤدِّبُه عبدُ الصَمد. وكان يُرمى بالزندقة. ودعا هِشامٌ الناسَ الى خلعه والبَيعة لمسلَمةَ ابنه. وكان مَسلمةُ يكنى ابا شاكرٍ. وكتب هِشامٌ الى الوليد: ما تَدَعُ شيئا من المُنكَرِ إلا أتيتَه وارتكبتَه غيرَ متحاشٍ ولا مستَتِرٍ فليت شِعري[2] ما دينُك؟ فكتب اليه الوليدُ:

يا أيُّها السائلُ عن ديننا نحن على دين ابي شاكرِ[3]
نشرَبُها صِرفاً وممزوجةً بالسُخنِ أحيانا وبالفاترِ

فغضب هشامٌ على ابنه مسلمةَ وقال: يُعيِّرُني بك الوليدُ وانا أُرشِّحُك للخِلافة. فالزَمِ الادبَ واحضُرِ الصلوات. وولاَّه المَوسِمَ فأظهرَ النُسكَ. وكان هشامٌ يُكثِرُ تَنَقُّصَ الوليدِ بنِ يزيدَ، فكان مَسلَمةُ بنُ عبدِ الملك يُعاتب هشاما ـ أخاه ـ ويَكُفُّه. فمات مَسلَمةُ بن عبد الملك، فغَمَّ الوليدُ ورثاه فقال:

---

(١) تبدى: اقام في البادية. (٢) ليت شعري: ليت شعوري. (٣) مسلمة بن هشام.

كتمنا نَعيَّك نخشى اليقيـنَ فجلّى اليقينُ عن الجَمجَمَه[١]
فقد كنتَ نورا لنا في البلاد تُضيء فقد أصبحت مُظلِمَه
وكُنت اذا الحربُ درّت دَماً نصبتَ لها رايةً مُعلَمَه

يومَ تُوفّيَ مسلمةُ بنُ عبدِ الملك طَلَعَ الوليدُ بنُ يزيدَ على الناس وهو نَشوانُ يَجُرُّ مِطرَفَ خَزٍّ عليه . فوقف على هشام فقال : يا أميرَ المؤمنين إن عُقبى مَن بقي لَحوقُ مَن مضى . وقد أقفرَ بعدَ مَسلمةَ الصَيدُ لمن يرى ، واختلَّ الثَغرُ فوهى ، وعلى أثَرِ مَن سلف يَمضي مَن خلف . فتزوَّدوا ، فإن خيرَ المَزادِ التقوى . فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدَّ جوابا . ووجم الناسُ ، فما همس أحد بشيء .

بعث الوليد الى هشام راويتَه فانشده قولَه :

انا الوليدُ ابو العبّاسِ قد عَلِمت عَليا مَعَدٍّ مدى كَرّي وإقدامي

فقال هشام : والله ما علمت له معدٌّ كرًّا ولا إقداما ، الا أنه شرب مرةً مع عمِّه بَكّارِ بنِ عبدِ الملك فعربد عليه وعلى جواريه . فان كان يعني ذلك بكرِّه وإقدامه فعسى .

ولما نُعِيَ له هِشامٌ قال : واللهِ لأتلقَّيَنَّ هذه النعمةَ بسَكرةٍ . ثم أنشأ يقول:

طاب يومي ولَذَّ شُربُ السُلافَه اذ اتاني نَعِيُّ مَن بالرُصافَه
واتانا البريدُ يَنعى هِشاما واتانا بخاتَمٍ للخِلافَه
فاصطبحنا من خمرِ عانةَ صِرفاً ولَهَونا بقَينةٍ عَزّافَه

قال مروانُ بنُ ابي حَفصةَ : دخلت على الرشيد ، فسألني عن الوليدِ بنِ يزيدَ . فذهبتُ أتزحزح . فقال : إن اميرَ المؤمنين لا يُنكِرُ ما تقول ، فقُل . قُلت : كان من أصبحِ الناسِ وأظرفِ الناسِ وأشعرِ الناس .

وللوليد اشعارٌ جِيادٌ ، فمنها قولُه في صِفةِ الخمرِ ، وهو ما برَّزَ فيه وجوَّدَ وتبعه الناس فيه واخذوه منه . وهذه بعضُها :

إصدَع نَجيَّ الهُموم بالطربِ وانعَم على الدهر بابنة العنبِ
من قهوةٍ زانها تَقادُمُها فهي عجوزٌ تعلو على الحِقَبِ
أشهى الى الشَرْبِ[٢] يومَ جَلوَتِها من الفَتاة الكريمةِ الحَسَبِ
فهي بغير المَزاجِ من شَرَرٍ وهي لدى المَزجِ سائلُ الذَهَبِ
كأنها في زُجاجها قَبَسٌ تذكو ضِياءً في عين مرتقِبِ

(١) جل عن الشيء : كشف . وجمجم : أخفى الكلام . (٢) جمع شارب .

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها اشعارٌ كثيرة قد اخذها الشعراء وسلخوا معانيها، وابو نُواسٍ خاصَّةً.

ومن نادر شعره قوله لهشام :

فإن تكُ قد مَللتَ القربَ مني فسوف ترى مُجانبتي وبُعدي
فسوف تلومُ نفسَك إن بقينا وتبلو الناسَ والاحوالَ بعدي
فتندَمَ في الذي فرَّطتَ فيه اذا قايستَ في ذَمّي وحمدي

لما خرج الوليدُ الى قُرَيْن (١) متبدّيا به ، كان هناك قصرٌ لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمانَ . وكانت بنتُه سَعدةُ زوّجةَ الوليد . فمرضَ سعيدٌ فجاءه الوليدُ عائدا . فدخل فلمح سلمى بنتَ سعيد اختَ زوجته، فسترها حواضنُها وأختُها، فقامت ففرعتهن (٢) طولا. فوقعت بقلب الوليد . فلمّا مات ابوه طلّق زوجتَه وخطب سلمى الى ابيها . وكانت لها اختٌ زوجةُ هشام بن عبد الملك ، فبعثت الى ابيها : أتريدُ أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يُطلّق هذه ويَنكحُ هذه . فلم يزوّجه سعيدٌ وردَّه أقبحَ رد . ولما طلّق سَعدةَ ندم على ذلك ، وقد كانت زُوِّجَت غيرَه .

وخرج الوليد الى قصر فَرتَنى (٣) لعله يرى سلمى . فلقيَه زيّاتٌ ومعه حمارٌ عليه زيتٌ . فقال له : هل لك ان تأخذَ فرسي هذا وتُعطيَني حمارَك هذا بما عليه وتأخذَ ثيابي وتُعطيَني ثيابَك ؟ ففعل الزياتُ ذلك . وجاء وعليه الثيابُ وبين يديه الحمارُ يسوقه متنكّرا حتى دخل قصرَ سعيد ، فنادى : من يشتري الزيتَ . فاطّلع بعضُ الجواري فدخلن الى سلمى وقُلن: ان بالباب زيّاتا أشبهُ الناس بالوليد . فاخرُجي فانظُري اليه . فخرجت فرأته ورآها، فرجعت القهقرى وقالت : هو ، واللهِ الفاسقُ الوليدُ ، وقد رآني . فقلن له : لا حاجةَ بنا الى زيتك . فانصرفَ وقال :

فما مِسكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ (٤) ولا عَسَلٌ بألبانِ اللِقاحِ (٥)
بأشهى من مُجاجةِ ريقِ سلمى ولا ما في الزِقاقِ من القَراحِ

وكتب الى ابيها سعيدٍ فلم يُجبه حتى وَليَ الخلافةَ فزوّجَه اياها وقال فيها ليلةَ زِفافها :

أوَلا تَخرُجُ العروسُ فقد طالَ حَبسُها
قد دنا الصُبحُ أو بدا وهي لم يُقضَ لِبسُها

ومكثت عندَه سلمى اربعين يوما ثم ماتت ، فقال :

ألمّا تَعلَما سلمى أقامت مُضَمّنةً من الصَحراء لَحدا
فلم أرَ ميتا أبكى لعينٍ وأكثرَ جازعا وأجلَّ فَقدا

---

(١) موضع باليمامة . (٢) علتهن . (٣) قصر بمرو الروذ . (٤) خمر . (٥) جمع لِقحة : الناقة الحلوب .

ومن اقواله في سلمى :

رُبَّ بيتٍ كأنه متـــنُ سهـــمٍ سوف نأتيه من قُرى بيروتِ
من بلادٍ ليست لنــا ببـــلادٍ كلّما جئتٍ نحوّها حُيِّيتِ

ولما بويع بالخلافة بعث الى أشعبَ فقال : يا أشعبُ ، لك عندي عشرةُ الافِ درهمٍ على ان تُبَلِّغَ رسالتي سَعدةَ . (وكان طلّقها) .

فقال : أحضِرِ العشرةَ الآلافَ الدرهمَ حتّى أنظرَ اليها . فأحضرّها الوليدُ ، فوضعها أشعبُ على عنُقِه وقال : هاتِ رسالتَك . قال : قُل لها : يقول لك اميرُ المؤمنين :

أسعدةُ هل اليكِ لنــا سبيـــلُ وهل حتّى القيامةِ مِن تَلاقـــي
بلى ولَعلَّ دهـــراً أن يُؤاتـــي بموتٍ من حليلكِ أو طَـــلاقِ
فأُصبِحَ شامتا وتَقَـــرَّ عيـــني ويُجمَعَ شملُنا بعدَ افتـــراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأُخبِرت بمكانه . فأمرت بفُرُشٍ لها ، ففُرِشَت وجلست وأذِنت له . فلما دخل انشدّها ما امره . فقالت لخدمها : خُذوا الفاسقَ . فقال : يا سيدتي ، انها بعشرةِ آلافِ درهمٍ . قالت : والله لأقتلنَّك او تُبلِّغَه كما بلَّغتني ، قال : وما تَهَبين لي ؟ قالت : بِساطي الذي تحتي . قال : قومي عنه . فقامت . فطواه وجعله الى جانبه ثم قال : هاتِ رِسالتَك ، جُعِلتُ فداك . قالت : قل له :

أتبكـــي عـــلى لُبنى وانت تَركتَهـــا فقد ذهبَت لُبنى فمـــا انتَ صانـــعُ [1]

فأقبل أشعبُ فدخل على الوليد ، فقال : هيهِ [2]. فانشده البيتَ . فقال : أوّه ، قتلتَني ، يا ابن الزانية ! ما أنا صانـعٌ ؟ فاختر انت الآنَ ما انتَ صانعٌ ، يا ابنَ الزانية . إما أن أُدَلِّيَك على رأسك مُنَكّسا من فوق القصرِ ، او أضربَ رأسَك بعمودي هذا ضربةً . قال : ما كنتَ لتَفعلَ شيئا من ذلك . قال : ولِمَ يا ابنَ الزانية ؟ قالَ : لم تكن لتُعَذِّبَ عينين نظرتا الى سعدةَ . قال : أوّه . أفلتَّ ، والله ، بهذا يا ابن الزانية . اخرُج عني .

قال المأمونُ لمن حضر من جُلَسائه : أنشِدوني بيتاً لمَلِكٍ يَدُلُّ البيتُ ، وإن لم يُعرَف قائلُه ، أنه شعرُ ملِك . فأنشده بعضهُم قولَ امرىء القيس :

أمِن اجـــلِ أعرابيةٍ حَـــلَّ أهلُها جَنوبَ المَـــلا عينـــاكَ تبتـــدِرانِ

قال : وما في هذا مما يدلُّ على مُلكه . قد يجوز ان يقولَ هذا سُوقةٌ من اهل الحَضَر . فكأنه يؤنِّب نفسه على التعلّق بأعرابية . ثم قالَ : الشعرُ الذي يَدُلُّ على أن قائلَه ملكٌ ، قولُ الوليد :

(١) الشعر لقيس بن ذريح . راجع الجزء التاسع . (٢) هيهِ : كلمة حث او استزادة في الحديث .

أَسقِني من سُلافِ ريقِ سليمى ... واسقِ هذا النديمَ كأساً عُقارا

اما ترى الى اشارته في قوله « هذا النديمَ » وأنها اشارةُ مُلك . ومثلُ قولِه :

ليَ المَحضُ من وُدِّهم ... ويَغمُرُهم نائلي

وهذا قولُ مَن يَقدِر بالمُلك على طَويّات الرجال، يَبذُلُ المعروفَ لهم ويُمكِنُه استخلاصُها لنفسه .

حدَّث ابنُ ابي العلاء المغنّي قال : غنَّيتُ المعتضِدَ صوتا بشعر الوليدِ بنِ يزيدَ : ــ ج ٩ ص ١٣١ ــ

عَلِّلاني واسقِياني ... من شَرابٍ أصبهاني

كَلِّلاني تَوِّجاني ... وبشعري غَنِّياني

أطلِقاني بوِثاقي ... واشرُداني بعِناني

انما الكأسُ ربيعٌ ... يُتعاطى بالبَنانِ

وحُمَيّا الكأسِ دَبَّت ... بينَ رِجلي ولساني

فقال: أحسن، والله، هكذا تقول الملوك المُترَفون ، وهكذا يَطرَبون ، وبمثل هذا يُشيرون ، واليه يرتاحون .

بعث الوليدُ الى شُراعةَ بنِ الزندبوذِ ، فلما قدِم عليه قال: يا شُراعةُ ، إني لم استحضِرك لأسألَك عن العِلم ، ولا لأستفتيَك في الفِقه ، ولا لتُقرِئَني القرآنَ . قال : لو سألتَني عن هذا لوجدتَني فيه حِمارا. قال فكيف عِلمُك بالفُتوَّة [1] قال : ابنُ بَجدَتِها [2] ، وعلى الخبير بها سقطتَ ، فسَل عما شئتَ . قال : كيف علمُك بالأشرِبة . قال : ليسألني اميرُ المؤمنين عما أحبَّ . قال : ما قولُك في الماء ؟ قال : هو الحياةُ ، ويَشرَكُني فيه الحِمارُ . قال : فاللبنُ ؟ قال : ما رأيتُه قط الا ذكرتُ امي فاستحيَيتُ . قال : فالخمرُ ؟ قال : تلك السارَّةُ البارَّةُ وشَرابُ اهلِ الجنَّةِ . قال : لله دَرُّك ! فأيُّ شيءٍ أحسنُ ما يُشرَبُ عليه ؟ قال : عَجِبتُ لمن يَقدِر ان يَشرَبَ على وجه السماء في كِنٍّ من الحرِّ والقُرِّ ، كيف يَختارُ عليها شيئا !

دعا الوليد ذاتَ ليلةٍ بمِصحَفٍ . فلما فتحه وافق ورقةً فيها :

« وخاب كلُّ جبَّارٍ عنيدٍ . مِن ورائه جهنَّمُ ويُسقى من ماءٍ صديدٍ » .

فقال : أسَجَعاً سَجَعاً ! علِّقوه ! ثم اخذ القوسَ والنَبلَ فرماه حتى مزَّقه ثم قال :

أتُوعِدُ كُلَّ جبَّارٍ عنيدٍ ... فها انا ذاك جبَّارٌ عنيدُ

اذا لاقيتَ ربَّك يوم حشرٍ ... فقل يا ربُّ مزَّقني الوليدُ

(١) الفتوة : النجدة ، والسلوك مسلك الفتيان . (٢) ابن بجدتها : تقال للمتقن البارع .

لما ظهرت المُسوِّدَةُ[١] بخُراسانَ كتب نصرُ بنُ سيّارٍ الى الوليد يستمدُّه ، فتشاغل عنه . فكتب اليه يقول :

اری خَلَلَ الرَّمادِ وميضَ جمرٍ وأحرِ بأن يكونَ لها ضِرامُ
فان النارَ بالعُودَيْن تُذكى وإن الحربَ مَبدَؤُها الكلامُ
فقلتُ منَ التعجُّبِ ليتَ شعري أأيقاظٌ أميةُ ام نيامُ

فكتب اليه الوليد : قد اقطعتُك خُراسانَ ، فاعمَل لنفسِك أو دَع . فاني مشغولٌ عنك بابن سُريجٍ ومعبدٍ والغريضِ .

قال الوليدُ البندارُ[٢] :

حججتُ مع الوليدِ بنِ يزيدَ ، فقلت له لما اراد أن يَخطُبَ الناسَ :

ايها الامير ، ان اليومَ يومٌ يَشهدُه الناسُ من جميع الآفاقِ وأُريدُ ان تُشرِّفَني بشيء . قال : وما هو ؟ قلت : اذا علَوتَ المنبرَ دَعَوتَ بي ، فيتَحدَّثُ الناسُ بذلك وبأنك أسرَرتَ اليَّ شيئا . فقال : أفعَلُ . فلما جلس على المنبر قال : الوليدُ البندارُ . فقمتُ اليه . فقال : ادنُ مني . فدنوتُ . فأخذ بأذني ثم قال : البندارُ ولدُ زنا ، والوليدُ ولدُ زنا ، وكلُّ مَن ترى حولَنا ولدُ زنا . افهمتَ ؟ قلت : نعم . قال : انزل . فنزَلت .

قال الهاشمي : انما أغلى الجوهرَ بنو اميةَ . ولقد كان الوليدُ بنُ يزيدَ يلبَسُ منه العقودَ ويُغيِّرُها في اليوم مرارا ، كما تُغَيَّرُ الثيابُ ، شَغَفا .

كان الوليد اذا اصبح يومَ الاثنين تغدّى وشَرِب رِطلين ثم جلس للناس . قال عمر الوادي : دخلت عليه وعندَه اصحابُه وقد تغدّى وهو يَشرَب . فقال لي : إشرَب . فشَرِبت ، وطَرِب . واخذ دُفّافةً فدفَّف بها . فأخذ كلٌّ منا دُفّافةً فدفَّف بها . وقام فقُمنا حتى بلَغنا الى الحاجب . فلما رآنا الحاجبُ صاح بالناس : الحُرَمُ ! الحُرَمُ ! اخرُجوا . ودخل الحاجبُ فقال : جعلَني اللهُ فداءَك ، اليومَ يَحضُرُ الناسُ . فقال له : اجلِس واشرَب . فقال : جعلني الله فداءك ، ما شرِبتُه قطُّ . قال اجلِس فاشرَب . فامتنع . فما فارقناه حتى صبَبنا في حَلقِه بالقِمعِ ، وقام وهو سَكرانُ .

خرج الوليدُ بنُ يزيدَ من مَقصورة له الى مقصورة ، فإذا هو ببنتٍ له مَعَها حاضِنتُها ، فوثب عليها فافترعَها . فقالت له الحاضنةُ : انها المَجوسيَّةُ . فقال : اسكُتي .

«فسكتت ...»

قال الوليد : يا بني اميةَ ، إيّاكم والغِناءَ فإنه يَنقُصُ الحَياءَ ويَزيدُ في الشهوة ويَهدِمُ المُرُوّةَ

(١) دعاة بني العباس . وكان السواد شعاراً للعباسين وشيعتهم . (٢) الخازن .

ويثوّر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر . فان كنتم لا بدّ فاعلين ، فجنّبوه النساء ، فان الغناء رقيةُ الزنا . وإني لأقول ذلك فيه على انه احبُّ اليّ من كل لذةٍ وأشهى الي من الماء البارد الى ذي الغُلّة (١) ، ولكن الحقُّ أحقُّ ان يُقالَ .

لما اكثر الوليدُ التهتُّكَ وانهمك في الملذات وشُرب الخمر وأفرط في غيّه (٢) ، ملّ الناسُ ايامه وكرهوه . وكان قد عقد لابنيه بعده ـ عثمانَ والحكمِ ـ ولم يكونا بلغا ، فمشى الناسُ بعضُهم الى بعضٍ في خلعه ، وكان اقواهم في ذلك يزيدُ الناقصُ بنُ الوليدِ بنِ عبد الملك . وحاصروه في قصره وهو يشرب ، وحوله المغنّون، فرموه بالحجارة ، فأغلقَ باب القصر وقال :

دعوا لي سُليمى والطِلاء (٣) وقينةً   وكأساً ألا حسبي بذلك مالا
خذوا مُلككم لا ثبّتَ اللهُ مُلككم   ثباتا يُساوي ما حَييتُ عِقالا

ثم قال لعمرَ الوادي : يا جامعَ لذّتي، غنّني بهذا الشعرِ ، وقد احاط الجُند بالقصر . فعلَوا الحائطَ ودخلوا القصر .

قال عمر الوادي: كنت اغنّي الوليدَ صوتا ، فما أتممتُه حتى رأيتُ رأسَه قد فارق بدنَه ورأيتُه يتشحّطُ (٤) في دمه . وقُدم بالرأس على يزيدَ الناقصِ وقيل : أبشِر يا اميرَ المؤمنين بقتل الفاسق .

قال المدائني : إن ابنا للغمرِ بنِ يزيدَ بنِ عبدِ الملك دخل على الرشيد فقال : ممّن أنت ؟ قال : من قريش . قال : من أيّها ؟ فأمسكَ . قال: قل، وانت آمنٌ ، ولو أنّك مَروانيٌّ . قال : انا ابن الغمرِ بنِ يزيدَ . قال : رَحِمَ اللهُ عمّك ولعن يزيدَ الناقصَ وقتلةَ عمّك جميعا . فانهم قتلوا خليفةً مُجمَعاً عليه. إرفع اليّ حوائجَك . فقضاها .

(١) العطش الشديد . (٢) غي : غواية . (٣) الطلاء : ما طبخ من عصير العنب . (٤) يتشحط : يتخبط .

عمر الوادي

هو عُمَر بنُ داودَ بنِ زاذانَ . كان مهندِسا . أخذ الغِناءَ عن حَكَمٍ الوادي . وذووه من اهل وادي القِرى .

كان طيِّبَ الصوتِ شجيَّهُ مطربا . كان اولَّ مَن غنَّى من اهل وادي القِرى . اتصل بالوليد بن يزيدَ فتقدم عنده جدا ، وكان يُسميه جامعَ لذّّتي . وقُتِل الوليدُ وهو يغنِّيه !

قال اسحاق :

كان الوليدُ جالسا يوما وعندَه عمرُ الوادي وابو رُقَيَّةَ ، وكان ضعيفَ العقل وكان يُمسِك المصحَفَ على امِ الوليد . فقال الوليدُ لعمرَ الوادي وقد غنَّاه صوتا : أحسنتَ ، والله ، انت جامعُ لذتي . وابو رُقَيَّةَ مُضطَجِعٌ ، وهُم يَحسَبونه نائما . فرفع رأسه الى الوليد فقال له : وانا جامعُ لذَّات امِك . فغَضِب الوليدُ وهَمَّ به . فقال له عمر الوادي : جعلني الله فِداءَك ، ما يَعقِلُ ابو رُقَيَّةَ وهو صاحٍ ، فكيف يَعقِلُ وهو سَكرانُ . فأمسك عنه .

قال عمر :

بينا انا أسير بين العَرجِ والسُقيا سَمِعت انسانا يغنِّي غناءً لم اسمع قطُّ احسنَ منه وهو :

وكنتُ اذا ما جِئتُ سُعـــدى بأرضها أَرى الارضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البيـــضِ وَدَّ جليسُها اذا ما انقضت أُحدوثَةٌ لو تُعيدُها

ـ الشعر لكثير ـ فكِدتُ اسقُط عن راحلتي طَرَبا . فقُلت : والله لألتمِسَنَّ الوُصولَ الى هذا الصوتِ ولو بذَهاب عُضوٍ من اعضائي ، حتى هَبطتُ من الشَرَف[1] فاذا انا برجل يَرعى غنما واذا هو صاحبُ الصوت . فأعلمتُه الذي أَقصدَني اليه وسألتُه إعادتَه عليَّ . فقال : والله لو كان عندي قِرًى ما فعلتُ[2] ، ولكني أجعلُه قِراكَ . فربما ترنمتُ به وانا جائعٌ فاشبَعَ ، وكَسلانُ فأَنشَطَ ، ومستوحِشٌ فآنَسَ . فأعاده علي مرارا حتى اخذته ، ولقد وجدتُه كما قال .

قال عمر :

خرج الي الوليدُ بنُ يزيدَ يوما وفي يده خاتَمُ ياقوتٍ أحمرُ قد كاد البيتُ يلتمع من شُعاعه .

---

(١) المكان العالي . (٢) القِرى ما يقدم للضيف من المأكل والمشرب .

فقال لي : يا جامعَ لذَّتي، أَتُحبُّ أن أَهَبَه لك ؟ قلت : نعم ، والله ، يا مولاي . فقال : غنِّ في هذه الابياتِ التي أُنشِدُك واجهَد نفسَك . فإن أصبتَ ارادتي وهبتُه لك :

الا يُسليكَ عن سلمى قَتيرُ الشَّيبِ والحُلُمُ (١)
وأن الشكَّ ملتبِسٌ فلا وصلٌ ولا صَرَمُ

فخلوتُ في بعض المجالس فما زِلتُ أُديرُه حتى استقام ، ثم خرجت اليه وعلى رأسه وصيفةٌ بيدها كأسٌ وهو يَروم أن يَشربَها فلا يَقدِر خُماراً ، فقال : ما صَنعتَ ؟ فقلت : فَرِغت مما امرتَني به . وغنَّيته ، فصاح : أحسنتَ والله ، ووثب قائما على رجليه واخذ الكأسَ واستدناني فوضع يده اليُسرى عليَّ متَّكِئا والكأسَ في يده اليمنى ، ثم قال لي: أعِد ، بأبي انت وامي . فأعدته عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يَشرَب قائما حتى كاد ان يسقُطَ تَعَبا. ثم جلس ونزَع الخاتَمَ والحُلَّةَ التي كانت عليه ، فقال: واللهِ العظيمِ لا تَبرَحُ هكذا حتى أسكَرَ. فما زِلتُ أُعيدهُ عليه ويَشرَبُ حتى مال على جنبه سُكرا ، فنام .

يزيد بن ضبة

اسم ابيه مِقسَمٌ وضَبَّةُ امهُ غلبت على نسبه . كان منقطعا الى الوليدِ بنِ يزيدَ في حياة ابيه . فلما افضت الخِلافةُ الى هشام اتاه مهنِّئا، فاستأذنه بالانشاد فلم يأذَن له وقال: عليك بالوليد ، فامدَحه وأنشِده . وأمر بإخراجه .

وبلغ الوليدَ خبرُه فبعث اليه بخمسمئة دينارٍ وقال له : لو أَمِنتُ عليك هِشاما لما فارقتَني . ولكن اخرُج الى الطائفِ ، وعليك بمالي هناك . فقد سَوَّغتُك جميعَ غَلَّتِه . فخرج الى الطائف وقال يذكر ما فعله هشام :

اذا هاب الكريهةَ مَن يليها وأعظمَها الهَيوبُ لها عَمَدنا
وما هِيضت (٢) مَكاسرُ مَن جَبَرنا ولا جُبِرت مُصيبةُ من هَدَدنا
وَلِينا الناسَ ازماناً طِوالاً وسُسناهم ودُسناهم وقِدنا

---

(١) قتير الشيب : أول ما يظهر منه . (٢) هيضت : كسرت .

نكون لمن وَلَدناه سماءً اذا شيمت مَخايلُنا[١] رَعَدنا
ونَكوي بالعداوة مَن بَغانا ونُسعِدُ بالمَودَّةِ مَن وَدِدنا

فلم يزل بالطائف الى ان وَلِيَ الوليدُ الخلافةَ فوفد اليه وهنَّأه بالخلافة ، فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحولِ . — أي هشام — واستأذنه في الانشاد فانشده :

سُليمى تلك في العيرِ قِفي اسألْكِ او سيري
زَجَرنا العيسَ فارقَدَّت بإعصافٍ وتَشميرِ[٢]
لِتَعتامَ[٣] الوليدَ القَرْمَ أهلَ الجُودِ والخيرِ
بَلَوناه فأحمَدناهُ في عُسرٍ ومَيسورِ
إمامٌ يُوضِحُ الحقَّ له نُورٌ على نورِ

— وهي طويلة — فأمر الوليد بأن تُعَدَّ أبياتُ القصيدة ويُعطى لكلِّ بيتٍ الفُ درهمٍ ، فكانت خمسين بيتا . فكان اولَ خليفةٍ عَدَّ ابياتَ الشعر . ثم لم يفعل ذلك الا هارونُ الرشيد .

وقال في الوليد :

الى هندٍ صَبا قلبي وهندٌ مثلُها يُصبي
وهندٌ غادةٌ غَيداءُ من جُرثومةٍ[٤] غُلبِ
وما أن وجدَ الناسُ من الأدواء كالحُبِ

وقيل : قال يزيدُ بنُ ضَبَّة الفَ قصيدةٍ ، فاقتسمها شعراءُ العرب وانتحلتها فدخلت في اشعارها .

(١) مخايلنا : جمع مَخيلة أي السحابة التي يظن انها ماطرة . (٢) ارقدت : اسرعت . إعصاف : سرعة . تشمير : جد في الأمر واجتهاد . (٣) تعتام : تقصد. (٤) الاصل . الغلب: جمع أغلب .

نابغة بني شيبان

اسمه عبد الله بنُ المُخارقِ ابنِ شيبانَ. شاعرٌ وبدويٌّ من شعراء الدولة الاموية. وكان نَصرانيّاً يَحلِف بالانجيل.

لما قُتِل يزيدُ بنُ المهلَّبِ دخل النابغةُ الشيبانيُّ على يزيدَ بنِ عبدِ الملك فانشده في تهنئته بالفتح :

ألا طال التنظُّرُ والثَّواءُ وجاء الصيفُ وانكشف الغِطاءُ
وكلُّ شديدةٍ نزَلت بحيٍّ سيتبعُها اذا انتهتِ الرَّخاءُ
أؤُمُّ فتىً من الأعياصِ (١) مَلكاً أغرَّ كأنَّ غُرَّتَه ضِياءُ
لأسمعَه غريبَ الشعرِ مَدحاً وأُثني حيثُ يتَّصِل الثَناءُ
يزيدُ الخيرِ فهو يزيدُ خيرًا ويَنمي كلَّما ابتُغِيَ النَماءُ
سَمَكتَ (٢) المُلكَ مُقتَبلاً جديداً كما سُمِكت على الارضِ السماءُ
هِشامٌ والوليدُ (٣) وكلُّ نفسٍ تُريدُ لك الفَناءَ لك الفِداءُ

وهي قصيدة طويلة ، فأمر له بمئة ناقةٍ من نَعَمِ كَلبٍ وأن تُوقَرَ له بُرًّا وزبيباً ، وكساه وأجزل صِلته .

ووفد الى هشام لما وَلي الخِلافة ، فلما رآه قال له: يا ماصَّ كذا وكذا من امك ، ألستَ القائلَ :

هِشامٌ والوليدُ وكلُّ نفسٍ تُريدُ لكَ الفَناءَ لك الفِداءُ

أخرِجوه عني . ولم يزل طولَ ايامه طريدا حتى وَلِيَ الوليدُ بنُ يزيدَ فوفد اليه ومدحه فأجزل صِلتَه .

(١) راجع الجزء الأول صفحة ــ ١ ــ (٢) رفعت . (٣) أخوا يزيد .

ابو دهبل

هو وَهبُ بنُ زَمعةَ ابنِ جُمَحَ – قرشي . كان رجلا جميلا شاعرا وكانت له جُمَّةٌ يُرسلُها فتضرِبُ مَنكبيه ، وكان سيِّدا من اشراف بني جُمَحَ يَحمِل الحَمالاتِ (١) ويُعطي الفقراء ويُقري الضيف .

حجَّت عاتكةُ بنتُ معاويةَ فنَزلت من مكةَ بذي طُوى . فبينا هي ذاتَ يوم جالسةٌ وقد اشتد الحَرُّ وانقطع الطريقُ ، وذلك في وقت الهاجرة اذ أمرت جواريَها فرفعن السِترَ وهي جالسةٌ في مجلِسها ، عليها شُفوفٌ لها تَنظُر إلى الطريق ، اذ مر بها ابو دَهبلٍ الجُمَحيُّ ، فوقف طويلا ينظُر اليها وإلى جمالها وهي غافلةٌ عنه . فلما فطِنت له ستَرت وجهها وامرت بطرح السترِ وشتمته . فقال ابو دهبل :

انِي دعاني الحيَنُ فاقتادني حتى رأيتُ الظَبيَ بالبابِ
يا حُسنَه اذ سبَّني مُدبِراً مُستتِراً عني بجِلبابِ
سُبحانَ مَن وَقَّفَها حَسرةً صُبَّت على القلب بأوصابِ (٢)
يذودُ عنها إن تَطَلَّبتُها أبٌ لها ليس بوَهَّابِ
أحلَّها قصراً منيعَ الذُرى يُحمى بأبوابٍ وحُجَّابِ

وشاعت هذه الابياتُ بمكةَ وغنَّى فيها المغنُّون حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً، فضحكت وأعجبتها وبعثت اليه بكُسوة ، وجرت الرُسُلُ بينَهما . فلما صَدرت عن مكةَ خرج معها إلى الشام حتى وردت دمشقَ وورد معها ، فانقطعت عن لِقائه وبَعُدَ مِن أن يراها ، ومَرِضَ بدمشقَ مرضا طويلا ، فقال في ذلك :

طال ليلي وبتُّ كالمحزونِ ومَلَلتُ الثَواءَ في جَيرونِ (٣)
فبكت خشيةَ التفرُّقِ جُمْلٌ كبُكاءِ القرينِ إثرَ القرينِ
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغوَّاصِ ميزت من جوهرٍ مكنونِ
ثم خاصرتُها الى القُبَّةِ الخضراءِ تَمشي في مرمرٍ مسنونِ

(١) الحمالة : الدية والغرامة . (٢) أوصاب : جمع وصب أي المرض والضنى . (٣) دمشق .

عن يَسـاري اذا دخلتُ من البـاب وإن كُنتُ خارجاً عن يميـني

ليت شِعري أَمِن هوًى طار نومـي أم براني الباري قصيرَ الجُفـون

وشاع هذا الشعرُ حتى بلغ معاويةَ فأمسك عنه ، حتى اذا كان في يوم الجُمعة دخل عليه الناسُ وفيهم ابو دهبل . فقال معاويةُ لحاجبه : اذا اراد ابو دهبل الخروجَ فامنعه واردُده الي . وجعل الناسُ يُسلِّمون وينصرفون ، فقام ابو دهبل لينصرفَ فناداه معاويةُ : يا ابا دهبل ، اليَّ . فلما دنا اليه أجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما كُنتُ ظننتُ أنَّ في قريش اشعرَ منك حيثُ تقول :

ليتَ شعري أمن هـوًى طار نومـي ام براني البـاري قصيرَ الجُفـون

غير أنك قلت :

وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤةِ الغـوّا ص ميزت من جوهرٍ مكنـون

والله ان فتاةً ابوها معاويةُ وجدُّها ابو سُفيانَ وجدّتُها هندُ بنتُ عُتبةَ لكَما ذكرتَ ، وايُّ شيء زِدتَ في قدرها . ولقد اسأت في قولك :

ثم خاصرتُهـا الى القُبَّـةِ الخضراءِ تمشي في مَرمـرٍ مسنـون

فقال : والله يا امير المؤمنين ما قلتُ هذا ، وانما قيل على لساني . فقال له : امَّا من جهتي فلا خوفَ عليك ، لاني أعلَم صيانةَ ابنتي نفسَها ، وإنما أكرَهُ لك جوارَ يزيدَ ، وأخافُ عليك وثَباته ، فان له سَورةَ الشبابِ وأَنَفَةَ الملوك . وانما اراد معاويةُ ان يَهرُبَ ابو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته . فحَذِرَ ابو دهبل فخرج الى مكةَ هاربا على وجهه ، فكان يُكاتب عاتكةَ . فبينا معاويةُ ذاتَ يوم في مجلسه اذ جاءه خَصيٌّ له فقال : يا اميرَ المؤمنين ، والله لقد سقط الى عاتكةَ اليومَ كتابٌ ، فلما قرأته بكت ثم أخذته فوضعته تحتَ مُصَلاَّها وما زالت خاثِرةَ النفسِ منذُ اليوم . فقال له : اذهب فالطُف لهذا الكتاب حتى تأتيَني به . فانطلق الخَصيُّ ، فلم يزل يلطُفُ حتى أصاب منها غِرَّةً . فأخذ الكتابَ وأقبلَ به الى معاويةَ فاذا فيه :

أعاتِكَ هلاَّ اذ بَخِلتِ فـلا تُـرى لذي صَبوةٍ زُلفى لديكِ ولا حَقَّا

رَددتِ فؤاداً قد تولَّـى به الهـوى وسَكَّنتِ عيناً لا تَمَلُّ ولا تَرقا (١)

رأيتُكِ تزدادين للصـبِّ غِلظـةً ويَزدادُ قلبي كلَّ يومٍ لكم عِشقا

فلما قرأ معاوية هذا الشعرَ بعث الى يزيدَ فأتاه فدخل عليه فوجده مُطرِقا . فقال : يا اميرَ المؤمنين ، ما هذا الامرُ الذي شجاك ؟ قال : امرٌ أمرَضَني وأقلقَني منذُ اليوم ، وما أدري ما أعملُ في شأنه . قال : وما هو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : هذا الفاسقُ ابو دهبل كتب بهذه الابيات الى اختك عاتكةَ ، فلم تزل باكيةً منذُ اليوم وقد أفسدَها ، فما تَرى فيه ؟ فقال : والله إن الرأيَ لَهيِّنٌ . قال : وما

(١) لا يجف دمعها .

هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يَكمُنُ له في أزِقَّةِ مكةَ فيُريحُنا منه . قال معاويةُ : أفٍّ لك. إن امرءًا يُريد بك ما يريد، ويَسمو بك الى ما يسمو لَغيرُ ذي رأي، وأنت قد ضاق ذَرعُك بكلمة وقَصُر فيها باعُك حتى أردتَ أن تَقتُلَ رجلا من قريش . أوَ ما تعلم أنك اذا فعلتَ ذلك صدَّقتَ قولَه وجعلتَنا أُحدوثةً ابدا. قال : يا امير المؤمنين ، انه قال قصيدةً أُخرى تَناشَدَها اهلُ مكةَ وسارت حتى بلغَتني وأوجعَتني وحملَتني على ما اشرتُ به فيه . قال : وما هي ؟ قال :

ألا لا تَقُل مَهلا فقد ذهـب المَهـلُ … وما كلُّ مَن يَلحى [١] مُحِبًّا له عَقلُ
حمى المَلِكُ الجَبَّارُ عني لِقاءَهـا … فمِن دونِها تُخشى المَتالِفُ والقَتلُ
فلا خيرَ في حُبٍّ يُخـافُ وبَالُـه … ولا في حبيبٍ لا يكون له وَصلُ
فوا كَبِدي إني شُهِرتُ بحبِّهـا … ولم يَكُ فيما بيننا ساعةً بَذلُ

فقال معاوية : قد ، والله ، رفَّهتَ عني ، فما كنتُ آمَنُ أنه قد وصل اليها. فأما الآنَ ، وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وَصلٌ ولا بَذلٌ فالخَطبُ فيه يسيرٌ . قم عني .

وحجَّ معاويةُ في تلك السنةِ . فلما انقضت ايامُ الحجِّ كَتب اسماءَ وُجوهِ قريشٍ وأشرافِهم وشعرائِهم وكتب فيهم اسمَ ابي دهبلٍ . ثم دعا بهم، ففرَّق في جميعهم صِلاتٍ سنيَّةً . فلما قبض ابو دهبلٍ جائزتَه وقام لينصرفَ ، دعا به معاويةُ فرجَع اليه، فقال له : يا ابا دهبل ، ما لي رأيتُ ابا خالد ، يزيدَ بنَ اميرِ المؤمنين ، عليك ساخطا في قوارصَ تأتيه عنك ، وشعرٍ لا تزالُ قد نطقتَ به وانفذتَه الى خُصَمائِنا . لا تَعرِض لابي خالدٍ . فجعل يعتذرُ اليه ويَحلِف له أنه مَكذوبٌ عليه . فقال له معاويةُ : لا بأس عليك . هل تَأهَّلتَ ؟ قال : لا ، قال : فأيُّ بناتِ عمِّك أحبُّ اليك ؟ قال : فلانةُ . قال : قد زوَّجتُكَها وأصدقتُها الفي دينارٍ وامرتُ لك بألفِ دينار . فلما قبضها قال : إن رأى اميرُ المؤمنين ان يَعفوَ لي عما مضى . فإن نطقتُ ببيتٍ في معنى ما سبق مني ، فقد أبَحتُ به دمي . فسُرَّ بذلك معاويةُ وضَمِن له رِضا يزيدَ عنه ، وانصرف الى دمشق . ولم يَحُجَّ معاويةُ إلا من اجلِ ابي دهبلٍ .

وقال ابو دهبل يمدح ابنَ الازرق :

وأعلم باني لِمن عاديتَ مُضطَغِنٌ [٢] … ضَنًّا وأني عليك اليومَ محسودُ
وأنَّ شُكرَك عندي لا انقِضاءَ لـه … ما دام بالهَضبِ من لُبنانَ جُلمودُ
إن تَغدُ من مَنقَلَي [٣] نَجرانَ مُرتَحِلاً … يَرحَلْ من اليَمَنِ المعروفُ والجودُ

(١) يشتم . (٢) حاقد . (٣) المنقل : الطريق في الجبل .

وقال في مقتل الحسين :

وما أفسدَ الإسلامَ إلا عِصابةٌ تأمَّر نَوكاها (١) ودام نعيمُها
فصارت قَناةُ الدينِ في كَفِّ ظالمٍ اذا اعوجَّ منها جانبٌ لا يُقيمُها

ومن جيد شعره :

أليس عجيبا أن نكونَ ببلدةٍ كِلانا بها ثاوٍ ولا نَتَكلَّمُ

وقوله :

أأَترُك ليلى ليس بيني وبينَها سوى ليلةٍ إني اذًا لَصَبورُ
هَبوني امرءًا منكم أضلَّ بعيرَه له ذِمَّةٌ إن الذِمامَ كبيرُ
ولَلصَّاحبُ المَتروكُ أفضَلُ ذِمَّةً على صاحبٍ مِن أن يَضِلَّ بَعيرُ

حسين بن الضحاك

هو باهليٌّ صَليبةٌ (٢) وهو بَصريُّ المولِدِ والمنشَأِ ، من شعراء الدولة العبّاسية وأحد نُدَماءِ الخلفاء من بني هاشمٍ. شاعرٌ واديبٌ ظريفٌ مطبوعٌ حسنُ التصرُّف. كان ابو نُواسٍ يأخُذ معانيَه في الخمر فيُغير عليها . وكان يُلَقَّبُ بالخليع والاشقرِ . هاجى مُسلِمَ بنَ الوليدِ فانتصف منه . وعُمِّر طويلا حتّى قارب المئة سنةً .

ولحسينٍ في محمدِ الامين مَراثٍ كثيرةٌ جياد . وكان كثيرَ المُوالاةِ له . لكثرة أفضاله عليه وميله اليه وتقديمِه اياه . وبلغ من جزَعه عليه أنه خُولِط ، فكان يُنكِر قتلَه ويَدفعُه ويقول : إنه مستتِرٌ . ومن جيِّدِ مراثيه قولُه :

سألونا أن كيف نحن فقُلنا مَن هوى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قومٌ أصابَنا حَدَثُ الدهرِ فظِلنا (٣) لرَيبِه (٤) نَستكينُ
نتمنَّى من الامينِ إيابًا لَهفَ نفسي واينَ مني الامينُ

(١) جمع أنوَك وهو الأحمق . (٢) خالص النسب . (٣) أي فظللنا .. (٤) ريب : حدث الدهر الفادح .

وقوله :

فهلاّ ماتَ قـــومٌ لم يموتــــوا ودُوفِعَ عنك لي يـــومَ الحِمـامِ
كأنّ الموتَ صادفَ منك غُنْمـــا أوِ استشفى بقُربِـك من سَقـامِ

قال ابن عيّاد : قال لي المأمون ، وقد قَدِمتُ من البصرة : كيف ظريفُ شعرائكم وواحدُ مِصرِكم ؟ قلت : ما أعرِفه . قال ذاك الحسينُ بنُ الضحّاكِ ، اشعرُ شعرائكم واظرفُ ظُرَفائكم . أليسَ هو الذي يقول :

رأى اللهُ عبـدَ الله خيرَ عبـادِهِ فملّكه واللـهُ أعلـمُ بالعبـدِ

ثم قال المأمون : ما قال فيَّ احدٌ من شعراء زماننا بيتا ابلغ من بيته هذا . فاكتُبِ اليه ، فاستقدِمه . فقلت للمأمون : إنه عليل ، وعِلّتُه تَمنعه من الحركة والسفر . قال : فخُذ كتابا إلى عاملِ خَراجِكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين الفَ درهمٍ . فأخذتُه ، فقبض المال .

قيل : لما أعيَت ابنَ الضحّاكِ الحيلةُ في رضا المأمونِ عنه رمى بأمره إلى عمرِو بنِ مَسعدَةَ وكتب اليه :

انت طَـودي من بينِ هـذي الهِضابِ وشِهابي من دونِ كلِّ شِهـابِ
انا في ذِمّةِ السَحـابِ وأظمـا [١] إن هذا لَوصمةٌ في السَحـاب
قُـم إلى سيّـدِ البريّةِ عنـي قَومَةً تستجرُّ حُسنَ خِطابِ

فلم يزل عمرٌو يلطُفُ للمأمون حتى أوصله اليه .

وقيل : فلما حضر وسلّم رد عليه السلامَ ردًّا جافيا ثم أقبل عليه فقال : أخبِرني عنك ، هل عرفتَ ، يوم قُتِلَ اخي محمدٌ ، هاشميةً قُتِلت او هُتِكت ؟ قال : لا . قال : فما معنى قولِك :

وسربِ ظِباءٍ من ذُؤابةِ هـاشـمٍ هَتفـن بدعوى خيرِ حيٍّ وميِّتِ [٢]
فلا بات ليـلُ الشامتيـن بغبطـةٍ ولا بلغت آمالُهـم ما تَمنَّـتِ

فقال : يا امير المؤمنين ، لوعةٌ غلبتني ، ورَوعَةٌ فاجأتني ، ونِعمةٌ فقدتُها بعد أن غمرَتني ، وإحسانٌ شكرتُه فأنطَقَني ، وسيّدٌ فقدتُه فأقلَقَني . فإن عاقبتَ فبحقّك ، وإن عفَوتَ فبفضلِك . فدمعَت عينا المأمون وقال قد عفَوتُ عنك وامرتُ بإدرار أرزاقِك وإعطائك ما فات منها .

قال حسينٌ : انشدتُ ابا نُواسٍ قصيدتي في الخمر وهي :

---

(١) مخففة من : وأظمأ . (٢) معنى البيت : دعوى : هي هنا مصدر بمعنى الدعوة والنداء ، والبيت يحكي حكاية غيد مماريح كالظباء هدهن الثكل والتفجع فأطلقن الزفرة الحرى نداء لخير ميت كان هو خير حي .

بُدِّلْتَ من نَفَحاتِ الوردِ بالآءِ (١) ... ومن صَبوحِك دَرَّ الإبلِ والشاءِ

فلما انتهيت منها إلى قولي :

حتى اذا أُسنِدَت في البيت واحتُضِرَت ... عند الصَبوحِ ببسّامينَ (٢) أكفاءِ

فُضَّت خواتمُها في نعتِ واصفِها ... عن مثل رَقراقةٍ (٣) في جَفن مَرهاءِ (٤)

فَصعِقَ صعقةً افزعتني وقال : احسنت ، والله ، يا أشقرُ . هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بُدَّ أن يَنتهيَ اليها أو أغوصَ عليها فسبقتَني اليه واختلستَه مني ، وستعلم لمن يُروى ألي أم لك . فكان كما قال .

وقال حسينُ بن الضحّاك : انشدتُ ابا نُواس قصيدتي :

كأنما نُصبَ كأسِهِ قمرٌ ... يَكرَعُ في بعضِ أنجُمِ الفَلَكِ

فأنشدني ابو نواس بعد ايام لنفسه :

اذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خِلتَه ... يُقَبِّلُ في داجٍ منَ الليل كوكبا

فقلت له : يا ابا علي هذه مُصالَتة (٥) . فقال : أتَظُنُّ أنه يُروى لك في الخمر معنىً جيدٌ وانا حيٌّ؟

قال ابراهيم بنُ المدبِّر (٦) : كان الحسين يزعم أن أبا نُواسٍ سرق منه هذا المعنى . فان كان سرقه منه فهو أحقٌّ به لانه قد برَّز عليه .

قال بن جلاّد : انشدَني حسينُ بنُ الضحّاك لنفسه . :

بُدِّلْتَ منْ نَفَحاتِ الوَردِ بالآءِ ... ومِن صَبوحِك دَرَّ الإبلِ والشاءِ

حتى اتى على آخرها . فقلت : انت تحوم حولَ ابي نواسٍ في قوله :

دع عنك لومي فإنَّ اللومَ إغراءُ ... وداوني بالّتي كانت هي الداءُ

فغضِب وقال : ألي تقول هذا ؟ فقلت له : هل لك في قصيدتك بيتٌ نادرٌ غيرُ قولك :

فُضَّت خواتمُها في نعتِ واصفِها ... عن مثلِ رَقراقةٍ في عينِ مَرهاءِ

وهذه قصيدة ابي نواس يقول فيها :

دارت على فتيةٍ ذَلَّ الزمانُ لهم ... فما اصابَهمُ إلا بما شاؤوا

---

(١) الآء : نبات بري يدبغ به .. والشاعر يعني ما صار اليه ، فمن عبير الورد إلى حراقة هذا النبات ، ومن مذاق الشراب إلى تجرع اللبن . واعرابه : الباء في الآء زائدة ومحل مدخولها النصب ، وذلك لان فعل « بدل » اذا اقترن بحرف « من » لا يفتقر إلى باء الترك ، بل لو جعلت كذلك لفسد المعنى فالآء ليس المتروك ، ومن هنا جاء نصب « درَّ » بالعطف على المحل .

(٢) بسامين : جمع بسام أي فرح مرح . (٣) دمعة . (٤) المرأة التي لم تكتحل . (٥) سرقة بالاكراه والقهر

(٦) سيرد ذكره في الجزء الثاني والعشرين .

صفراءُ لا تَنزِلُ الأحــزانُ ساحتَهـا   لو مسَّهـا حجرٌ مَسَّته سَـرّاءُ
فأرسلَت من فم الابريـقِ صافيـةً   كأنما أخذُها بالعقلِ إغفـاءُ

والله ما قدرتَ على هذا ولا تَقدِرُ عليه . فقام وهو مُغضَب كالمُقِرّ بقولي .

قال ابن النَّشَّار ، وكان صديقا للحسين بن الضحَّاك :

قلت يوما لحسين : يا ابا علي ، قد تأخَّرت ارزاقُك ، وانقطعت مَوادُّك ونفقتُك كثيرةٌ . فكيف يمشي امرُك ؟ فقال : بلى ، والله ، يا أخي ما قِوامُ أمري الا بقايا هِباتِ الامينِ وهِباتِ جاريةٍ له ، أغنتني للأبد لشيءٍ ظريف جرى على غير تَعَمُّدٍ . وذلك أن الامينَ دعاني يوما فقال لي : يا حسينُ ، إن جاريتي فلانةَ احسنُ الناس وجها وغِناءً ، وهي مني بمحلٍّ نفسي . وقد كدَّرت علي صَفوَها بعُجبها بنفسها وإدلالِها لِما تَعلَمُ من حُبي اياها . وإني مُحضِرُها ومُحضِرٌ صاحبةً لها ليست منها في شيءٍ لتُغنِّيَ معَها . فاذا غنَّت وأومأتُ لك اليها ، فلا تستحسنِ الغناءَ ولا تَشرب عليه . واذا غنَّتِ الاخرى فاشرَب واطرَب واستحسِن واشقُق ثيابَك ، وعليَّ مكانَ كلِّ ثوبٍ مئةُ ثوب . فقلت : السَمعُ والطاعةُ . فجلس في حُجْرةِ الخَلوةِ وأحضرني وسقاني وخلع علي . وغنَّت المُحسنةُ وقد أخذ الشَرابُ مني فما تمالكتُ أن استحسنتُ وطربتُ وشربتُ . فأومأ الي وقطَّب في وجهي . ثم غنَّت الأخرى فجعلتُ أتكلَّف ما أقوله وأفعله . ثم غنَّت المُحسنةُ ثانيةً فأتت بما لم اسمع قطُّ مثلَه حُسنا . فما ملَكت نفسي أن صحتُ وشربتُ وطربتُ ، وهو ينظُر إلي ويَعَضُّ شفتيه غيظا ، وقد زال عقلي فما أُفكِّرُ فيه حتى فعلتُ ذلك مِرارا . فغضب وأمر بجرِّ رجليَّ من بين يديه وصَرفي ، وامر بأن أُحجَبَ . ومضى لِما انا فيه شهرٌ . ثم جاءتني البِشارةُ أنه قد رضي عني وأمر بإحضاري ، فحَضَرتُ وانا خائف . فلما وصَلتُ اعطاني يده فقبَّلتُها ، وضَحِك إلي وقام وقال : اتبعني . ودخل إلى تلك الحُجرةِ بعينها ولم يَحضُر غيري . وغنَّت المُحسنةُ التي نالني من اجلها ما نالني . فسكتُّ فقال لي : قُل ما شئتَ ولا تَخَف . فشربتُ واستحسنتُ ثم قال لي : يا حسينُ ، لقد خارَ اللهُ لك بخِلافي وجرى القَدَرُ بما تُحِبُّ فيه . إن هذه الجاريةَ عادت إلى الحال التي اريد منها . فأذكرَتني بك وسألتني الرضا عنك . وقد فعلتُ ووصلتُك بعشرة آلافِ دينارٍ ، ووصلَتك هي بدون ذلك . والله ، لو كُنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحالِ ، ثم تحقدَ ذلك عليكَ فتسألَني ألا تَصِلَ إليَّ ، لأجبتُها . فدعوتُ له وشكرتُه . فما كان يَمضي أُسبوعٌ إلا وصِلاتُها وألطافُها (١) تصِل إلي من الجوهر والثياب والمال بغير علم الامين . فكلُّ شيٍ أنفقتُه بعدَه فمن فضل صِلاتها .

قال ابو الخمار : حدَّثني حسينٌ قال : شَرِبنا يوما مع الامين في بُستان . فسقانا على الريق ، وجَدَّ بنا في الشُربِ وتَحرَّز من أن نَذوقَ شيئا . فاشتد الامرُ علي وقُمت لأبولَ ، فأعطَيتُ خادما

---

(١) ألطاف : جمع لطف أي الهدايا .

من الخَدَم الفَ درهمٍ على أن يَجعلَ لي تحتَ شجرةٍ ، أومأتُ اليها ، رُقاقةٌ فيها لحمٌ .

فأخذ الالفَ وفعل ذلك . ووثب الامينُ فقال : مَن يكون منكم حماري ؟ فكلٌ واحد قال له : انا . لانه كان يركَبُ الواحدَ منا عبَثاً ثم يَصِلُه . ثم قال : يا حسينُ ، انت أضلعُ (١) القوم . فركبني وجعل يَطوفُ وانا أعدِلُ به عن الشجرة وهو يَمُرُّ بي إليها حتى صار تحتَها . فرأى الرُقاقةَ فطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري وقال : هذه جُعِلَت لبعضِكم . ثم رجَع إلى مجلسِه وما وَصَلَني بشيءٍ .

حدث حسينٌ قال : كانت لي نوبةٌ في دار الواثق أحضرُها ، جلَس او لم يجلِس . فبينا انا نائمٌ ذاتَ ليلة في حُجرتي اذا جاء خادمٌ من خدَم الحُرَم فقال : قم ، فان امير المؤمنين يدعوك . فقلت له : وما الخبرُ ؟ قال : كان نائما وإلى جنبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يَظنُّها نائمةً . فألمَّ بجارية له أخرى ولم تكن ليلةَ نوبتِها وعاد إلى فِراشه . فغضبت حَظِيَّتُه وتركَته حتى نام . ثم قامت ودخلت حُجرتَها . فانتبهَ وهو يرى أنها عندَه فلم يَجِدها ، فقال : اختُلِسَت عزيزتي ، ويحكم اين هي ؟ فأُخبِر أنها قامت غَضبى ومضت إلى حُجرتها . فدعا بك . فقلتُ في طريقي :

غَضِبَت أن زُرتُ اخرى خِلسةً ... فلها العُتبى لدينا والرِضا
يا فَدَتكِ النفسُ كانت هَفوةٌ ... فاغفريها واصفَحي عما مضى
واترُكي العَذلَ على من قالَه ... وانسُبي جَوري إلى حُكمِ القَضا

فلما جئتُه خبَّرني القصةَ وقال لي قُل في هذا شيئا . ففكّرتُ هُنيهةً كأني اقول شعرا ثم انشدتُه الابياتَ . فقال : احسنتَ وحياتي . أعِدها يا حسين . فأعدتُها حتى حَفِظَها وامر لي بخمسمئةِ دينارٍ . وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ انا إلى حُجرتي .

وقال حسينٌ : كنت انا وابو نواس تِربَين(٢)، نشأنا في مكان واحد وتأدَّبنا بالبصرة ، وكنا نَحضُر مجالسَ الادباء متصاحِبَين . ثم خرج قبلي عن البصرة واتصل بي ما آل اليه امرُه . فخرجتُ عن البصرة إلى بغدادَ ولقيت الناسَ ومدحتُهم واخذت جوائزَهم وعُدِدت في الشعراء . واتصلت بمحمدٍ الامينِ ابن زُبيدةَ في ايام ابيه وخدمتُه ثم اتصلَت خدمتي له في ايام خِلافته .

حدَّث عمرُو بنُ بانةَ قال :

خرجنا مع المعتصم إلى الشام لما غزا ، فنَزَلنا في طريقنا بديرِ مُرَّانَ (٣) – وهو دير على تَلَّةٍ مُشرفةٍ عاليةٍ تحتَها مروجٌ ومياهٌ حَسَنةٌ – فنزَل فيه المعتصِم فأكلَ ونَشِط للشُرب ودعا بنا فلما شربنا اقداحاً قال لحسينِ بنِ الضَّحاكِ : قل ابياتا يُغَنِّ فيها عمرٌو . فقال :

---

(١) القوي الاضلاع ، الشديد . (٢) ترب : عشير الطفولة المماثل في السن . (٣) دير مران بالقرب من دمشق على تل في سفح قاسيون بناؤه من الجص الا بيض وأكثر فرشه بالبلا ط الملون . والكلمة سريانية أصلها موران مارون أي سيدنا مارون فحرف العرب موران فصارت مران .

يا ديرَ مُرَّانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ هَيَّجتَ لي سَقَما يا ديرَ مُرَّانا
هل عند قَسك من علمٍ فيُخبرَنا ام كيف يُسعِفُ وجهُ الصبرِ مَن بانا
حُثَّ المُدامَ فإن الكأسَ مُترَعةٌ مما يَهيجُ دواعي الشوقِ أحيانا

فاستحسنها المعتصمُ وأمرني ومخارقا فغنَّينا فيها . وشربَ على ذلك حتى سكِر .

قال حسينٌ : ضربني الرشيدُ في خلافته لصُحبتي ولدَه . ثم ضربني الامينُ لمُمايَلة ابنِه عبدِ الله . ثم ضربني المأمونُ لميلي إلى الامينِ . ثم ضربني المعتصمُ لمودَّةٍ كانت بيني وبينَ العبَّاسِ بنِ المأمون . ثم ضربني الواثقُ لشيءٍ بلغه من ذَهابي إلى المتوكِّل . وكلُّ ذلك يجري مجرى الوَلَعِ بي والتحذير لي . ثم أحضرني المتوكِّلُ وهو متغاضبٌ ، فقلتُ له : يا اميرَ المؤمنين ، إن كُنتَ تريدُ أن تضربني كما ضربَني آباؤك فاعلَم أنَّ آخِرَ ضَربٍ ضُربتُه بسببك . فضحِك وقال : بل أُحسِنُ اليك وأَصونُكَ وأُكرِمُك .

من جيد غزله :

تَتيهُ علينا أن رُزِقتَ مَلاحةً فمهلا علينا بعضَ تيهِكَ يا بدرُ
لقد طالما كُنا مِلاحاً وربما صَدَدنا وتِهنا ثم غيَّرَنا الدهرُ

قال الأبزاريُّ : دخلتُ على حسينِ بنِ الضحَّاكِ فقلت له : كيف انت ؟ فبكى ثم قال :

اصبحتُ من أُسَراءِ اللهِ مُحتَبَساً في الارض نحوَ قضاءِ الله والقَدَرِ
ان الثمانين اذ وَفَّيتُ عِدَّتَها لم تُبقِ باقيةً مني ولم تَذَرِ

السيد الحميري

السيِّدُ لقبُه واسمُه اسماعيلُ وكنيتُه ابو هاشم . شاعرٌ مشهورٌ ، وهو الذي هجا زيادا وبنيه ونفاهم عن آل حرب . حبسه عُبيدُ الله بنُ زيادٍ وعَذَّبَه ثم اطلقَه معاويةُ .

كان شاعرا متقدِّما مطبوعا . يقال إن أكثرَ الناس شعرا في الجاهلية والاسلام ثلاثةٌ : بشارٌ وابو العتاهيةِ والسيِّدُ .

وانما مات ذكرُه وهَجَرَ الناسُ شعرَه لِما كان يُفرِطُ فيه من سَبِّ اصحابِ الرسولِ وازواجِه

وازواجه في شعره . فتُحوميَ شعرُه وهَجَره الناسُ تَخوُّفاً . وله طِرازٌ من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلحَق فيه او يُقارَبُه .

كان السيِّدُ أسمرَ ، تامَّ القامةِ ، أشنبَ [1] ذا وَفرة [2] ، حسنَ الألفاظِ ، جميلَ الخِطاب . وكان مع ذلك انتنَ الناسِ إبطَين ، لا يَقدِرُ احدٌ على الجلوس معَه لنَتنِ رائحتِهما .

حدَّث التَّوَّزيُّ قال : رأى الاصمعيُّ جزُءاً فيه من شعر السيد ، فقال : لمن هذا ؟ فأخبرتُه فقال : أنشِدني قصيدةً منه . فأنشدتُه قصيدةً ثم اخرى وهو يَستزيدني . ثم قال : قبَّحَه اللهُ ما أسلَكَه لطريق الفحول . لولا مذهبُه ، ما قدَّمتُ عليه احداً من طبَقته .

قال اسماعيلُ ، راويةُ السيِّد : كنتُ عندَه يوما في جَناحٍ له ، فأجال بصرَه فيه ثم قال : يا اسماعيلُ ، طال ، واللهِ ، ما شُتِمَ اميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجَناح . قلت : ومَن كان يفعل ؟ قال : ابوايَ . وكان يَذهبُ مَذهبَ الكيسانية [3] ويقول بإمامة محمدِ بنِ الحنَفيةِ ثم رجَع عن مذهبه وقال بمذهب الإمامية . — أي إمامة أبناء علي من فاطمة الزهراء .

قال المَوصِليُّ : جمعتُ للسيِّد في بني هاشمٍ ألفين وثلثمئة قصيدة . فخِلتُ أن قد استوعبتُ شعرَه ، حتى جلس إلي يوما رجل ذو أطمارٍ رثَّة ، فسمعني أنشِدُ شيئاً من شعره ، فأنشدني له ثلاثَ قصائدَ لم تكن عندي . فعرفتُ حينئذ أن شعرَه لا يُمكِنُ جمعُه .

وقف السيِّد على بَشَّارٍ وهو يُنشِدُ الشعرَ ، فأقبل عليه وقال :

ايها المادحُ العبادَ ليُعطى ... إن للهِ ما بأيدي العبادِ
فاسأل اللهَ ما طلبتَ اليهم ... وارجُ نفعَ المُنزِّلِ العَوَّادِ
لا تَقُل في الجَواد ما ليس فيه ... وتُسمّي البخيلَ باسم الجَوادِ

قال بشَّار : مَن هذا ؟ فعرَّفَه . فقال : لولا أنَّ هذا الرجلَ قد شُغِل عنا بمدح بني هاشمٍ لأتعبَنا .

لما استقام الامرُ لبني العبَّاس قام السيِّدُ إلى أبي العبَّاس السفَّاحِ حين نزَل عن المنبر فقال :

دونَكُموها يا بني هاشمٍ ... فجدِّدوا مِن عهدِها الدارسا [4]
دونَكموها فالبَسوا تاجَها ... لا تَعدَموا منكمُ له لابِسا
لو خُيِّرَ المِنبرُ فُرسانَه ... ما اختار الا منكمُ فارسا
قد ساسها قبلَكم ساسةٌ ... لم يَترُكوا رَطبا ولا يابسا

(١) أشنب : متألق الأسنان بياضاً وبريقاً. (٢) ما جاوز من الشعر شحمة الأذنين. (٣) الكيسانية: فرقة تندرج في عداد الشيعة بمعناها الواسع ، تقول بامامة محمد بن الحنفية بعد أخيه الامام الحسين ، وبالبداء والرجعة الخ . واكتسبت اسمها نسبة إلى كيسان مولى الامام علي ، وأكبر ممثل لها المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وبعده تشعبت شعباً عديدة . (٤) الدارس : العافي المعالم .

فسُرَّ ابو العباس وقال له : احسنت يا اسماعيل . سَلْني حاجتك . قال تُوَلّي سليمانَ بنَ حبيبٍ الاهوازَ . ففعل .

تلاحى رجلان من بني دارمٍ في المفاضلة بعدَ الرسولِ فرضيا بحُكم أولِ مَن يَطلُع . فطلع السيِّد . فقاما اليه ، وهما لا يعرفانه . فقال له مُفضِّلُ عليٍ : إني وهذا اختلفنا في خير الناس بعدَ الرسول . فقلت : عليُّ بنُ ابي طالب . فقطع السيد كلامه ثُم قال : وايَّ شيءٍ قال هذا الآخَرُ ابنُ الزانية . فضحِك مَن حضر ووجَم الرجلُ ولم يُحِر جوابا .

جاء رجل إلى السيد فقال : بلغني أنك تقول بالرَّجعة : فقال : صَدَق الذي أخبرَك ، وهذا دِيني . قال : أفتُعطيني ديناراً بمئة دينارٍ إلى الرَّجعة ؟ قال السيِّدُ : نعم واكثرَ من ذلك إن وَثَّقتَ لي بأنك تَرجِعُ إنسانا . قال: وايَ شيء أرجِعُ. قال اخشى ان ترجِعَ كلبا او خِنزيرا فيذهبُ مالي . فأفحمه .

جلس المهديُّ يوما يعطي قريشا صِلاتٍ لهم ، وهو وَليُّ عهد . فبدأ ببني هاشمٍ ثم بسائر قريشٍ . فجاء السيِّدُ فرفع الى الربيع[1] رُقعةً مختومةً وقال : إن فيها وَصيةً للامير ، فأَوصِلها اليه . فأوصَلَها فاذا فيها :

قُل لابن عَبّاسٍ سَمِيِّ محمدٍ لا تُعطِيَنَّ بني عَديٍّ[2] دِرهما
أُحرُم بني تَيمِ[3] بنِ مُرَّةَ إنهم شَرُّ البريَّةِ آخِرا ومُقَدَّما
إن تُعطِهم لا يَشكُروا لك نعمةً ويُكافئوك بأن تُذَمَّ وتُشتَما
وإن ائتمنتَهمُ أوِ استعملتَهم خانوك واتَّخذوا خَراجَك مَغنَما
مَنعوا تُراثَ محمدٍ أعمامَه وابنَيه وابنتَه عديلةَ مريَما
لم يَشكُروا لمحمدٍ أنعامَه أَفَيشكُرون لغيره إن أنعما

وهي قصيدة طويلة . فرمى بها الى الكاتب ثم قال : إقطَعِ العَطاءَ . فقطعه ، وانصرف الناس . ودخل السيد اليه ، فلما رآه ضَحِك وقال : قد قَبِلنا نصيحتَك يا اسماعيلُ .

قيل للسيِّد: ما لك لا تستعمل في شعرك منَ الغريب ، كما يفعل الشعراءُ ؟ قال : لَأَن اقولَ شعرا قريبا من القلوب يَلَذُّه مَن سَمِعه خيرٌ من أن اقولَ شيئا متعقِّدا تَضِلُّ فيه الاوهام .

جلس السيِّدُ يوما الى قوم ، فجعل يُنشدهم وهم يَلغَطون ، فقال:

قد ضيَّع اللهُ ما جمَّعتُ من أدبٍ بين الحميرِ وبين الشاء والبَقَرِ

---

(١) حاجب المنصور . (٢) رهط عمر بن الخطاب . (٣) رهط أبي بكر .

لا يسمعون الى قولٍ أجيءُ بـــه وكيف تستمع الأنعامُ للبشـــرِ
اقولُ، ما سكتوا، إنسٌ، فإن نَطقوا قلتُ الضفادعُ بين الماء والشَجَرِ.

ويُحكى عنه أنه اجتمع في طريقه بامرأة تميميَّةٍ أباضيةٍ (١) فأعجبَها وقالت: أُريدُ أن أتزوَّجَ بك ونحن على ظهر الطريق.

قال: يكون كنِكاح امِّ خارجةَ (٢) قبلَ حضور وليٍّ وشهودٍ. فاستضحكت وقالت: نَنظُر في هذا، وعلى ذلك فمَن أنت؟ فقال:

إن تَسأليني بقومي تسألـــي رجـــلا في ذُروةِ العزِّ من أحياء ذي يَمَنِ
لي منزِلان بلَحجٍ مَنزِلٌ وَسَـــــطٌ منها ولي منزِلٌ للعزِّ في عَـــدَنِ
ثم الولاءُ الذي ارجو النَجاةَ بـــه من كَبَّةِ النار للهادي أبي الحَسَنِ

فقالت: قد عرفناك، ولا شيء اعجبُ من هذا: يَمان وتميميَّةٌ، ورافضيٌّ وأباضيَّةٌ، فكيف يجتمعان. فقال: لا يُنكرُ أحدُنا سلَفا ولا مذهبا. قالت: أفليس التزويجُ، اذا عُلِمَ، انكَشَفَ معَه المستورُ وظهرت خفَيَّاتُ الامور. قال: انا أعرِضُ عليك أُخرى. قالت: ما هي؟ قال: المتُعةَ (٣) التي لا يَعلمُ بها أحدٌ. قالت: تلك أُختُ الزنا. قال: أُعيذُكِ بالله أن تَكفُري بالقُرآنِ بعدَ الايمان. قالت: فكيف؟ قال: قالت الآيةُ: «فما استمتعتم به منهن فآتوهن أُجورَهن فريضةً ولا جُناحَ عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة». فقالت: استخيرُ بالله. فانصرفت معه وبات مُعرِساً بها.

قال ابو جعفر المنصور:

بلغني أن السيِّدَ مات بواسطٍ فلم يَدفِنوه. واللهِ، لئِن تَحقَّق عندي، لَأُحرِقَنَّها.

---

(١) الاباضية: أصحاب عبدالله بن أباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد، وهم قوم من الحرورية زعموا ان مخالفهم كافر لا مشرك تجوز مناكحته، وكفَّروا عليا واكثرَ الصحابة. (٢) هي عمرة بنت سعد. كان يأتيها الخاطب فيقول: خَطبٌ. فتقول: نُكحٌ. فيقول: انزلِي. فتقول: أنِخ. فضرب المثل بها، فيقال: اسرع من نكاح ام خارجة.
(٣) المتعة: أن يتزوج الرجل امرأة يتمتع بها أياماً ثم يخلي سبيلها، بأن يشارطها على شيء بأجل معلوم ويعطيها شيئاً فيستحلها بذلك ثم يخلي سبيلها وكانت مباحة ثم حرمت عند السنيين، وهي جائزة عند الشيعة.

متيم الهشامية

كانت من مُوَلَّدات البَصرة وبها نشأت وتأدَّبت وغنَّت . اخذت عن اسحاقَ وعن ابيه من قبله وعن طَبَقتهما من المغنّين . فاشتراها عليُّ بنُ هشام بعشرين الفَ درهم وهي اذ ذاك جُويريةٌ وكانت من احسن الناس وجهاً وغناءً وادبا . وحَظيت عندَه ، وهي امُّ وَلَدِه كلِّهم . وكان المأمونُ يبعث اليها فتَجيئُه فتُغنّيه .

وقيل إن المأمونَ سأل عليَّ بنَ هشام أن يَهَبَها له ، وكان بغنائها مُعجَبا . فدفعه بذلك ، ولم يكن له منها ولدٌ . فلما ألحَّ المأمونُ في طلَبها حرَص عليٌّ على أن تَعلَقَ منه حتى حَبِلت ويَئِس المأمون منها . فيقالُ إن ذلك كان سببا لغضبه عليه حتى قتله . ولما قُتِل عليٌّ عُتِقت .

اولُ مَن عقد من النساء في طرَف الإزار زُنّارا وخيطَ إبريسَم (حرير) ثم تجعلُه في رأسها فيَثبُتُ الإزارُ ولا يتحركُ ولا يزولُ ، متيَّمٌ .

مرَّت متيَّمٌ في نِسوة ، وهي مستخفية ، بقصر عليِّ بنِ هشام بعدَ أن قُتِل ، فلما رأت بابَه مُغلَقا لا أنيسَ عليه ، وقد علاه التُرابُ والغَبَرةُ وطُرِحَت في أفنيتِه المزابلُ ، وقفت عليه وتمثّلت :

يا منزِلا لم تَبلَ أطلالُه حاشا لأطلالِكَ أن تَبلى
لم أبكِ أطلالَك لكنني بكَيتُ عيشي فيك اذ ولّى

ثم بكت حتى سقطت من قامتها ، وجعل النِسوةُ يُناشِدنَها وقُلن : اللهَ اللهَ في نفسك . فبعدَ لأيٍ حُمِلَت تتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت المَوضِعَ .

قال ابن الدهقانة : إن جاريةً للمعتصم قالت له لما ماتت متيَّمٌ وإبراهيمُ بنُ المهديِّ وبَذلُ : يا سيدي ، اظن أن في الجنَّة عُرساً فطلبوا هؤلاء اليه . فنهاها المعتصم عن هذا القول وأنكره . فلما كان بعد ايام وقع حريق في حجرة هذه القائلة فاحترق كلُّ ما تملِكُه . وسمع المعتصم الجَلَبة فقال : ما هذا ؟ فأُخبر عنه . فدعا بها فقال : ما قِصَّتُك ؟ فبكت وقالت : يا سيدي ، احترق كل ما أملِكُه . فقال : لا تجزعي ، فان هذا لم يحترق وانما استعارَه أصحابُ ذلك العُرس .

جرير

هو جريرُ بنُ عَطيةَ بنِ الخَطَفَى ابنِ يَربوعِ ابنِ مُضَرَ. ويُكنّى ابا حَزرةَ.

رأت امُّ جريرٍ، وهي حاملٌ، كأنها ولدت حَبلا من شَعرٍ أسودَ. فلما سقط منها جعل يَنزو فيقَعُ في عُنُقِ هذا فيَخنُقُه حتى فعل ذلك برجال كثيرٍ. فانتبهت فَزِعَةً فأوّلت الرؤيا فقيل لها: تلدين غُلاما شاعرا ذا شرٍّ وشدّةٍ شكيمةٍ. فلما ولدته سمّته جريرا. والجرير: الحبل. ووُلِدَ لسبعة أشهرٍ. وكان الفرزدق يعيّره ذلك.

اتفقت العرب على أن اشعرَ اهلِ الاسلام ثلاثةٌ: جريرٌ والفرزدقُ والاخطلُ. واختلفوا في تقديم بعضِهم على بعضٍ. وكان ابو عمروٍ يُشبِّه جريرا بالاعشى والفرزدقَ بزُهيرٍ والاخطلَ بالنابغة. قال ابو عبيدة: يَحتجُّ مَن قدَّم جريرا بأنه كان اكثرَهم فُنونَ شعرٍ، واسهلَهم الفاظا، وأقلَّهم تكلُّفا، وارقَّهم نسيبا. وكان دَيِّناً عفيفا.

اجتمع جريرٌ وابنُ لَجَإٍ التَيميُّ بالمدينة وقد وَردَها الوليدُ بنُ عبدِ الملك، وكان يتألّه في نفسه، فقال: أتَقذفان المُحصَنات وتُغضبانهن! ثم امر أبا بَكرٍ محمدَ بنَ حزمٍ الأنصاريَّ، وكان واليا له بالمدينة، بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلُس (١) مَقرونَين، والتَيميُّ يومئذٍ أشَبُّ من جريرٍ فجعل يَشولُ (٢) بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المَشولُ به:

فلستُ مفارقا قَرَني (٣) حتى يَطولَ تَصعُّدي بكَ وانحداري

فقال ابن لجإٍ:

ولما أن قُرِنتُ الى جريرٍ ابى ذو بطنِه (٤) الا انحدارا

قال حَجناءُ بنُ جريرٍ: قُلتُ لابي: يا ابت، ما هَجوتَ قوما قطُّ الا فضحتَهم إلا التَيمَ. فقال: يا بُنيَّ، لم أجِد بِناءً أهدِمهُ ولا شرَفا أضَعُه. وكانت تَيمٌ رِعاءَ غنمٍ يَغدُون في غنمهم ثم يَروحون.

وقال جرير: لقد هجوتُ التيمَ في ثلاثِ كلماتٍ ما هجا فيهن شاعرٌ قبلي. قلت:

من الأصلابِ يَنزِلُ لُؤمُ تَيمٍ وفي الأرحامِ يُخلَقُ والمَشيمِ

---

(١) البلس: جمع بلاس أي بساط او ثوب من الشعر. (٢) يرتفع به. (٣) قرني: المشدود معي بحبل.
(٤) ذو البطن: الرجيع.

قال الاصمعي : كان ينهَش جريراً ثلاثةٌ واربعون شاعرا فينبذُهم وراءَ ظهرِه ويَرمي بهم واحدا واحدا . وثبَت له الفرزدقُ والاخطل .

قال الفرزدق : وإني وإياه لنَغترفُ من بحر واحد ، وتَضطربُ دِلاءُه عندَ طول النهر .

قال ابنُ سلاّم : مرَّ راكبٌ بالراعي (١) وهو يغنّي بيتين :

وعاوٍ عوى من غير شيءٍ رَميتُه بقارعةٍ (٢) أنفاذُها تَقطرُ الدَما
خَروجٍ (٣) بأفواهِ الرُواةِ كأنها قَرا هِندُوانيٍّ اذا هُزَّ صَمَّما

فأتبعَه رسولا يَسألُه : لِمَن البيتان ؟ قال : لجرير . قال : ويحكم أألامُ على أن يَغلبَني مثلُ هذا ؟

وقال الفرزدق : قاتله الله ، ما أخشى ناحيتَه وأشرَدَ قافيتَه . واللهِ لو تركوه لأبكى العجوزَ على شبابها ، والشابَّةَ على أحبابها . ولكنَّهم هَرُّوهُ فوجدوه عندَ الهِراشِ نابحا وعندَ الجِراءِ (٤) قارِحا . وقد قال بيتا لأن أكونَ قُلتُه أحبُّ اليَّ مما طَلَعَت عليه الشمس :

اذا غَضِبت عليكَ بنو تميمٍ حَسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

ثم قال : ما أحوجَه مع عفافه الى صَلابة شعري واحوجَني مع شهواني الى رِقَّة شعره .

قال العباس بنُ يزيدَ الكِنديُّ ، لما سمع هذا البيت ، يهجو جريرا :

ألا رَغِمَت أنوفُ بَني تَميمٍ فُساةُ التَمرِ إن كانوا غِضابا
لقد غَضِبت عليكَ بنو تميمٍ فما نَكَأت بغضبتها ذُبابا
لو اطّلع الغُرابُ على تميمٍ وما فيها من السَوْءاتِ شابا

كان راعي الإبل النُميريُّ قد ضَخُمَ أمرُه ، وكان بلغ جريرا أنه قال فيه :

يا صاحبَيَّ دنا الرَواحُ فَسيرا غَلَبَ الفرزدقُ في الهِجاءِ جريرا

ثم قال :

رأيتُ الجَحشَ جحشَ بني كليبٍ تَيمَّم (٥) حَوضَ دِجلةَ ثم هابا

قال جرير : فخرجت أتعرَّضُ له لألقاه من حِيالِ حيثُ كنت اراه يَمُرُّ اذا انصرف من مجلسه ، حتى اذا هو قد مر علي ببغلة له وابنُه جَندَلٌ يَسير وراءَه على مُهر له أحوى (٦) مَحذوفِ الذَنَب . فلما استقبلتُه قلت له : مرحبا بك يا ابا جندل . وضربت بشِمالي على مَعرَفَة (٧) بغلته . ثم قلت :

---

(١) شاعر : راجع الجزء الثالث والعشرين . (٢) بقصيدة . (٣) خروج : يتناقلها الرواة . (٤) المجاراة .
(٥) تيمم : قصد . (٦) يضرب إلى السواد من شدة خضرته . حذف الذنب : قطع طرفه . (٧) شعر الرقبة .

يا ابا جندل ، إن قولَكَ يُستَمَع وإنك تُفضِّل الفرزدقَ علي وانا امدحُ قومَكَ وهو يَهجوهم وهو ابنُ عمي . ويَكفيك من ذاك ، اذا ذُكِرنا ، أن تقولَ : كِلاهما شاعرٌ كريمٌ . ولا تحتمل مني ولا منه لائمةً . قال : فبينا انا ، وهو كذلك واقفا علي ، وما رَدَّ علي بذلك شيئا ، حتى لَحِق ابنُه جندلٌ فرفع كَرمانيةً معه فضرب بها عَجُزَ بغلته وقال : لا أراك واقفا على كلب من بني كُليب كأنك تخشى منه شرا او ترجو منه خيرا . وضرب البغلةَ ضربة ، فرمحَتني رَمحةً وقعت منها قَلَنسُوَتي . فوالله لو يُعرِّجُ [١] علي الراعي لَقُلت سفيهٌ غَوِيٌّ ـ يعني جندلا ابنه ـ ولكن لا ، والله ، ما عاج [٢] علي . فأخذتُ قَلَنسُوَتي فمسحتُها ثم أعدتُها على رأسي .

وانصرف جريرٌ غَضبانَ الى بيتِ رجل من أنصاره حتى اذا صلى العشاءَ في عِلِّيَّة له قال : ارفَعوا لي باطيةً من نبيذ ، وأسرِجوا [٣] لي . فأسرَجوا له وأتَوه بالنبيذ . فجعل يُهَمهِمُ . فسمعَت صوتَه عجوزٌ في الدار فاطَّلعت في الدَّرَجة حتى نظرت اليه ، فاذا هو يَحبُو على الفِراش عُرياناً لِما هو فيه . فانحدرت فقالت : ضيفُكم مجنونٌ ، رأيتُ منه كذا وكـذا . فقالوا لها : اذهَبي لِطِيَّتِك [٤] ، نحن أعلَمُ به وبما يُمارس . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ ثم اذا هو يُكَبِّرُ قد قالها ثمانين بيتا في بني نُمَير . فلما ختَمها بقوله :

فغُضَّ الطرفَ إنك من نُمَيرٍ .

وجعل يُردِّد ولا يَزيدُ ، اذا به قد وثب حتى أصاب السَّقفَ رأسُه وكَبَّر ثم صاح : فلا كعبا بلغتَ ولا كِلابا .

وقال : غَضَضتُه وأخزيتُه ، ورَبِّ الكعبة . ثم أصبح ، حتى اذا عرف أنَّ الناسَ قد جلسوا في مجالسهم بالمِربَد ، دعا بدُهنٍ فادَّهنَ وكفَّ [٥] رأسَه وكان حَسَنَ الشَعر ، ثم قال : يا غُلامُ ، أَسرِج [٦] لي . فأسرَجَ له حِصانا . ثم قصد مجلسهم . حتى اذا كان بموضِع السلام قال : يا غُلامُ ، ولم يُسلِّم ، قل لِعَبيد [٧] : أَبعَثَتكَ نِسوَتُك تُكسِبُهن المالَ بالعراق ! أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لَتَرجِعَنَّ اليهِنَّ بمَيرٍ [٨] يَسوءُهن ولا يَسرُّهُنَّ . ثم اندفع فيها فأنشدها . فلما بلغ الى قوله : بها بَرَصٌ بجانبِ إسكَتَيها :

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغَطَّى عَنفَقَتَه [٩] فقال جرير :

كَعَنفَقَةِ الفرزدقِ حين شابا

فقال الفرزدق : اللهمَّ أخزِه . ولما بلغ الى قوله :

وغُضَّ الطَرفَ إنك من نُمَيـــرٍ فلا كعبا بلغتَ ولا كِلابـــا

---

(١) يعرج : يميل ويلم بي . (٢) عاج : رجع وعطف عائداً . (٣) أسرج السراج . (٤) طية : حاجة ، نية ، جهة . (٥) كف شعره : جمعه وضم أطرافه . (٦) أسرج السرج . (٧) راعي الابل . (٨) مير : جمع الزاد . (٩) شعرات في الشفة السفلى .

قال الفرزدق : غَصَّة والله . ولما فرغ منها سار . وثَبَتَ راعي الإبلِ ساعةً ثم ركب بغلته بشرٍّ وعرٍّ[١] وقال لأصحابه : رِكابَكم رِكابَكم ، فليس لكم ها هنا مُقامٌ . فضحكم ، والله ، جرير . فقالوا له : ذاك شُؤمُ ابنك . فتشاءمت به بنو نُمَيرٍ وسَبُّوه وابنَه .

قال عِكرِمَةُ بنُ جرير : قلت لابي : يا أبت ، مَن أشعَرُ الناس ؟ فقال : الجاهليةَ تريدُ ام الاسلامَ . قلت : أخبرني عن الجاهلية . قال : شاعرُ الجاهلية زهيرٌ . قلت : فالإسلام ؟ قال نَبعةُ الشعرِ الفرزدقُ . قلت : فالاخطلُ ؟ قال : يُجيد صفةَ المُلوكِ ويُصيبُ نعتَ الخمر : قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دَعني فإني نحرتُ الشعرَ نَحراً .

وقال ابو عمروٍ :

سُئِل جريرٌ : ايُّ الثلاثة أشعَرُ ؟ فقال : إن الفرزدقَ فيتكلف مني ما لا يُطيقُه . واما الاخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للغَرَض . واما انا فمدينةُ الشعر .

حجَّ جرير وجاء الى باب سُكَينةَ بنتِ الحُسينِ يَستأذِنُ عليها فلم تَأذَن له . وخرجت اليه جاريةٌ لها فقالت : تَقول لك سيدتي : انتَ القائلُ :

طَرَقَتكَ[٢] صائدَةُ القُلوبِ وليس ذا وقتَ الزيارةِ فارجِعي بســـلامِ

قال : نعم . قالت : فَألّا أخذتَ بيدها فرحَّبتَ بها وأدنَيتَ مجلِسَها وقُلتَ لها ما يقال لمثلها ، انت عفيفٌ وفيك ضَعفٌ . فخُذ هذين الألفي درهمٍ فالحَق بأهلك .

وجاء الفرزدق حاجًّا ، فعَدَل الى المدينة فدخل الى سُكينةَ بنتِ الحُسينِ فسلَّم فقالت له : يا فرزدقُ ، مَن أشعَرُ الناس ؟ قال : انا . قالت : كَذَبتَ . أشعَرُ الناسِ صاحبُك جريرٌ الذي يقول :

بنفسي مَن تَجَنُّبُـــه عزيـــــزٌ عليَّ ومَن زيارتُـــه لِمـــامُ
ومَن أمسي وأصبِـــحُ لا أراه ويَطرُقُني اذا هَجعَ النيـــامُ

فقال : واللهِ لو أذِنتِ لي لأسمعتُكِ أحسنَ منه . فقالت : أقيموه . فأُخرِجَ . ثم عاد اليها من الغد ، فدخل عليها فقالت : يا فرزدقُ ، مَن أشعَرُ الناس ؟ قال : انا . قالت : كَذَبتَ . أشعرُ منك صاحبُك جريرٌ حيث يقول :

لولا الحَياءُ لعـــادني استعبـــارُ[٣] ولَزُرتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ
كانت اذا هجر الضَجيعُ فِراشَهـــا كُتِمَ الحديثُ وعَفَّتِ الأسرار[٤]

فقال : واللهِ ، لَئِن أذِنتِ لي لأسمعتُكِ أحسنَ منه . فأمرَت به فأُخرِجَ . ثم عاد اليها في اليوم

(١) عَرّ : شين وسوء . (٢) الطروق : الزيارة ليلا . (٣) جرت عبراته . (٤) الضجيع : الحليل . هجر : غاب . الاسرار : جمع السر وهو النكاح ، كما جاء في الآية : «ولكن لا تواعدوهن سراً.» فهو يصفها بانها عفيفة ، لا تعرف إلا حليلها .

الثالث، وحولَها مُوَلَّداتٌ كأنهن التماثيلُ فنظر الفرزدقُ الى واحدة منهن فأُعجب بها . فقالت له : يا فرزدقُ ، من أشعرُ الناس ؟ قال : انا . قالت : كَذَبتَ . أشعرُ منك صاحبُك حيثُ يقول :

إن العُيونَ التي في طَرفها حَوَرٌ[1] قَتَلنَنا ثم لم يُحيينَ قتلانـــا
يَصرَعنَ ذا اللُبِّ حتى لا حراكَ به وهُنَّ أضعفُ خَلقِ الله أركانـــا

فقال : والله لئِن تركتِني لأسمعتُكِ أحسَنَ منه . فأمرَت بإخراجه . فالتفتَ اليها وقال : يا بنتَ رسول الله ، إن لي عليكِ حقًّا عظيما . قالت : وما هو ؟ قال : ضَرَبتُ اليك آباطَ الابلِ من مكةَ إرادةَ التسليمِ عليك ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردي وتفضيلَ جريرٍ عليَّ ومنعَكِ إيايَ أن أُنشدَكِ شيئا من شعري ، وبي ما قد عيل منه صبري ، وهذه المنايا تَغدو وتروحُ ، ولعلّي لا افارقُ المدينةَ حتى أموتَ . فاذا انا مُتُّ فمُري بي أن أُدرجَ في كفني وأُدفَنَ في « جُحْر... » هذه . (يعني الجارية التي اعجبته) فضَحِكت سُكَينةُ وامرت له بالجارية . فخرج بها آخذا برَيطَتِها[2] فأمرتِ الجواري ، فدفعن في أقفيتِهما .

أوفدَ الحَجَّاجُ ابنَه محمداً إلى عبدِ الملك واوفدَ اليه جريرا معه وأوصاه به وامره بمسألة عبد الملك في الاستماع اليه . فلما وردوا استأذن له محمدٌ على عبد الملك فلم يَأذَن له ، وكان لا يَسمعُ من شعراءِ مُضَرَ ولا يَأذَن لهم لانهم كانوا زُبَيريَّةً[3] فقال له محمد : يا امير المؤمنين إن العرب تتحدث أن عبدَك وسيفَك الحجَّاجَ شَفَع في شاعرٍ قد لاذ به ثم رَدَدتَه . فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد . فقال له : وما عساك أن تقولَ فينا بعدَ قولِك في الحجاج :

مَن سَدَّ مُطَّلَعَ النِفـــاقِ عليكُــمُ ام مَن يَصولُ كصَولةِ الحَجَّـــاجِ

يا عاضَّ كذا وكذا من امه ، إن اللهَ لم يَنصُرني بالحَجَّاج وإنما نصر دينَه وخليفته . والله لَهَممتُ أن أطيرَ بك طَيرةً بطيئاً سُقوطُها ، أُخرُج عني .

فلما كان بعدَ ثلاثةِ ايام شَفَع اليه محمدٌ لجرير وقال : يا اميرَ المؤمنين لقد خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشمَتَّ به عدوَّه ، ولو لم تأذَن له كان خيرا له مما سَمِع . فأذِنَ له . فاستأذنه في الانشاد ، فقال : لا تُنشِدني الا في الحَجَّاج ، فانما انت للحجَّاج خاصَّةً . فأنشدَه وخرج بدون جائزة . فلما أزِفَ الرحيلُ قال جريرٌ لمحمد : ان رحلتُ عن امير المؤمنين ولم يَسمَع مني ولم آخُذ له جائزةً سقطتُ آخرَ الدهر . ولستُ بارحا بابَه أو يَأذَنَ لي في الإنشاد . إرحَل انت وأُقيمُ انا . فدخل محمدٌ فأخبره بقول جرير وسأله ان يَسمَع منه وقَبَّل يدَه ورجلَه فأذِن له . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

أَلَستُم خيرَ مَن رَكِبَ المطايـــا وأندى العالَمين بُطونَ راحِ[4]

---

(١) الحور في العين أن يكون السواد فيها شديد السواد والبياض شديد البياض . وهذه صفة في العين يستحسنها العرب . فأطلقوا على صاحبة الحور اسم حورية . وهي المرأة الجميلة . ومعنى البيت : ان العيون التي في نظرها حسن وجمال. (٢) بملاءتها . (٣) من حزب عبدالله بن الزبير الذي ادعى الخلافة فحاربه الحجاج وقتله . (٤) راح : جمع راحة وهي الكف اي العطاء والسخاء .

فتبسم عبد الملك وقال : كذلك نحنُ وما زلنا . وأمر له . بمئة ناقة وثمانية من الرُعاة .

وقف جرير على باب عبد الملك والاخطلُ عنده ، وقد كانا تهاجيا ولم يرَ احدٌ منهما صاحبَه . فلما اذن له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الاخطلُ ، فطَمَحَ طَرفُ جريرٍ الى الاخطلِ وقد رآه ينظُر اليه نَظَرا شديدا . فقال له : مَن انت ؟ فقال : انا الذي منعتُ نومَك وتَهضَّمتُ قومَك . فقال له جرير : ذلك أشقى لك كائنا مَن كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال : من هذا يا امير المؤمنين ؟ فضَحِك ثم قال : هذا الاخطلُ يا ابا حَزرةَ . فردَّ عليه بصرَه ثم قال : فلا حيَّاك اللهُ يا ابنَ النَصرانيَّة . أمَّا منعُك نومي فلو نِمتُ عنك لكان خيرًا لك . واما تَهَضُّمُك قومي ، فكيف تَتَهضَّمُهم وانت ممن ضُرِبَت عليه الذِلَّةُ وأدَّى الجزيةَ وهو صاغر . وكيف تَتَهَضَّمُ ، لا امَّ لك ، قوما فيهم النُبُّوةُ والخِلافةُ وانت لهم عبدٌ مأمورٌ ومحكوم عليه لا حاكمٌ [١]

سأل عبدُ الملك إعرابيا دخل مجلِسَه مع الناس ، مَن انت ؟ قال : من أخوالِك ، من عُذرَةَ . قال : اولئك فُصَحاءُ الناسِ . فهل لك عِلمٌ بالشعر ؟ قال : سَلْني عما بدا لك يا امير المؤمنين . قال : ايُّ بيتٍ قالته العرب أمدَحُ ؟ قال : قولُ جرير :

ألستم خيرَ من رَكِبَ المطايا   وأندى العالمين بُطونَ راحِ

وكان جرير في القوم ، فرفع رأسه وتطاول لها . ثم قال : فايُّ بيتٍ قالته العرب أفخَرُ ؟ قال : قولُ جرير :

اذا غَضِبت عليك بنو تميمٍ   حَسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

فتحرَّك لها جرير . ثم قال له : فأيُّ بيتٍ أهجى ؟ قال : قولُ جرير :

فغُضَّ الطَرفَ إنك من نُمَيرٍ   فلا كعبا بلغتَ ولا كِلابا

فاستشرف لها جرير . قال : فأيُّ بيت أغزَلُ ؟ قال : قولُ جرير :

إن العيونَ التي في طَرفِها حَوَرٌ   قَتَلْنَنا ثم لم يُحيين قتلانا

فاهتز جرير وطرِب . ثم قال : فأيُّ بيت قالته العربُ أحسنُ تشبيها ؟ قال : قولُ جرير :

سرى نحوَهم ليلٌ كأنَّ نجومَه   قَناديلُ فيهنَّ الذُبَالُ [٢] المُفتَّلُ

فقال جرير : جائزتي للعُذري ، يا اميرَ المؤمنين . فقال له عبدُ الملك : وله مِثلُها من بيت المال . ولك جائزتُك يا جريرُ لا تُنتَقصُ منها شيئا . وكانت جائزةُ جريرٍ اربعةَ آلافِ درهمٍ وتوابعَها من الحُملان والكُسوة . فخرج العُذريُّ وفي يده اليُمنى ثمانيةُ آلافِ درهمٍ وفي اليُسرى رِزمَةُ ثيابٍ .

قال رجل لجرير : مَن اشعرُ الناس ؟ قال له : قم حتى أُعَرِّفَك الجوابَ . فأخذه بيده وجاء به

(١) ترك جرير في رده المكانة الشعرية إلى المكانة الدينية . (٢) جمع ذبالة وهي الفتيلة توضع في قنديل الزيت .

الى ابيه عَطيّةَ وقد اخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يَمُصُّ ضَرعَها ، فصاح به: أُخرُج ، يا أبَت. فخرج شيخٌ دَميمٌ رَثُّ الهَيئةِ وقد سال لبنُ العَنزِ على لِحيته . فقال : الا ترى هذا ؟ قال نعم . قال : أوَ تَعرِفهُ ؟ قال : لا . قال : هذا ابي . أفتَدري لِمَ كان يَشرَبُ من ضرعِ العَنزِ ؟ قال : لا ، قال : مَخافةَ أن يُسمَعَ صوتُ الحَلَبِ فيُطلَبُ منه لبنٌ . ثم قال : أشعَرُ الناسِ من فاخر ثَمانين شاعِرا وقارَعهم وغلبَهم وهذا أبوه .

لَجَّ الهِجاءُ بين ذي الرُمَّةِ وهِشامِ بنِ قيسِ المَرئي . فأعانَ جريرٌ هِشاماً بأبيات ما سَمِعها ذو الرُمَّةِ حتى قال: كَذَبَ العَبدُ السَوءُ ليس هذا الكلامُ له . هذا كلامُ نَجديٍّ حَنظَليٍّ . هذا كلام ابنِ الأتان (١) .

فلقي ذو الرُمَّة جريرا فقال له: تَعصَّبتَ للمَرئيِّ وانا خالُك . فقال له جرير : اذهب الان فقل للمَرئي :

يَعُدُّ الناسبون الى تَميمٍ بُيوتَ المَجدِ أربَعَةً كِبارا
يَعُدون الرَبابَ وآلَ سَعدٍ وعَمرًا ثم حَنظلةَ الخِيارا
ويَهلِكُ بينها المَرئيُّ لَغوًا كما أَلغَيتَ في الديَةِ الحُوارا (٢)

فقال ذو الرُمَّة قصيدةً ألحَقَ فيها هذه الابياتَ . فلما سَمِعها المَرئيُّ جعل يَلطُمُ رأسَه ووجهَه ويقول : مالي ولجرير . فقيل له : واينَ جريرٌ منك ؟ هذا رجل يُهاجيك وتُهاجيه . فقال : هيهاتِ لا ، واللهِ ، ما يُحسِنُ ذو الرُمَّةِ أن يقولَ :

ويَذهب بينها المَرئيُّ لَغوًا كما أَلغَيتَ في الديَةِ الحُوارا

قيل: ومر الفرزدق بذي الرُمَّة وهو يُنشِدُ هذه القصيدة . فلما انشد الابياتَ الثلاثةَ فيها قال له الفرزدقُ : أعِد يا غَيلانُ (٣) . فأعاد . فقال له : أأنت تقولُ هذا ؟ واللهِ لقد نَحلَكَها أشدُّ لَحيينِ منك . هذا شعرُ ابنِ الاتان .

قال العَلاءُ بنُ جرير : كان يُقال : الاخطلُ ، اذا لم يَجيء سابقا (مجلّيا) فهو سُكَّيتٌ . والفرزدق لا يجيء سابقا ولا سُكَّيتا فهو بمنزلة المُصلّي (٤) أبدا . وجريرٌ يجيء مُجَلّيا ومُصَلّيا وسُكَّيتا . وقال ابن سلام : تأويلُه : إن للاخطلِ طِوالاً روائعَ ، غُرَرًا جِيادًا هو بهِن سابقٌ . وسائرُ شعرِه دونَ اشعارِهما ، فهو فيما بقي بمنزلة السُكَّيت . والسُكَّيتُ ، آخرُ الخيل في الرِهان . والفرزدق دونَه في هذه الروائع وفوقَه في بقية شعره . فهو كالمُصلّي ابدا. وجريرٌ له روائعُ هو بهن سابقٌ ، واوساطٌ هو بهن مُصَلٍّ وسفافات هو بهن سُكَّيتٌ .

---

(١) وابن المراغة: لقبان لجرير. (٢) ولد الناقة. يريد ان المرئي لا يؤبه له كما لا يؤبه لولد الناقة التابع امه اذا سيقت في دية القتيل.
(٣) ذو الرمة . (٤) صلى الفرس تصلية فهو المصلي، يأتي الثاني بعد المجلي أي واضعاً أنفه على صلا المجلي والصلا مؤخرة الظهر .

قال هِشامُ بنُ عبد الملك لِشَبَّةَ بنِ عِقالٍ ، وعندَه جريرٌ والفرزدقُ والاخطلُ : الا تُخبرني عن هؤلاء الذين مَزَّقوا اعراضَهم وهَتَكوا استارَهم وأغرَوا بين عشائرهم في غير خيرٍ ولا برٍّ ولا نَفعٍ ، ايُّهم أشعَرُ ؟ فقال شَبَّةُ : اما جريرٌ فيَغرِفُ من بحر ، واما الفرزدق فيَنحَتُ من صخر ، واما الاخطلُ فيُجيدُ المدحَ والفخر . فقال هشام : ما فسَّرتَ لنا شيئا نُحَصِّلُه . وقال لخالدِ بنِ صَفوانَ : صِفهم لنا يا ابنَ الأهتَم . فقال : اما اعظَمُهم فخرا ، وابعَدُهم ذِكرا ، واحسنُهم عُذرا ، وأسيرُهم مَثَلاً ، وأقَلُّهم غزَلا ، واحلاهم عِللا ، الطامي اذا زخر ، والحامي اذا زأر ، والسامي اذا خطر ، الذي ان هدر قال ، وان خطر صال ، الفصيحُ اللســان ، والطويلُ العِنان ، فالفرزدقُ . واما احسنُهم نعتا ، وامدَحُهم بيتا ، واقلُّهم فوتا ، الذي إن هجا وَضَع وان مدح رفع فالاخطلُ . واما اغزَرُهم بحرا ، وارقُّهم شعرا ، واهتكُهم لعدوه سترا ، الأغَرُّ الابلَقُ ، الذي إن طَلَب لم يُسبَق وان طُلِب لم يُلحَق ، فجريرٌ . وكلُّهم ذكيُّ الفؤادِ ، رفيعُ العِماد ، واري الزِناد . فقال له مَسلَمَةُ بنُ عبدِ الملك : ما سَمِعنا بمثلك يا خالدُ في الاولين ولا رأينا في الآخرين . وأشهَدُ أنَّك أحسَنَهم وصفا ، وألينَهم عَطفا ، وأعفَّهم مقالا ، واكرمَهم فَعالا . فضَحِك هِشامٌ وقال : ما رأيتُ كتَخالُصِك يا ابنَ صفوانَ في مدحِ هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعا وسَلِمتَ منهم .

من غزل جرير :

ان الذين غَدَوا بلُبِّــك غــادرُوا   وَشَلاً بعينك ما يَزالُ مَعِينا
غَيَّضنَ من عَبَراتِهن وقُلــنَ لــي   ماذا لَقِيتَ من الهوى ولقِينـــا ؟

غادروا : تركوا . والوَشل : الماء القليل . والمَعين : الماء الصافي الجاري . وغيَّضن من عبراتهن : أي كففنها ومسحنها حتى تفيض وتنقص .

قال ابن قُتَيبةَ : إن هذين البيتين للمَعلوطِ ، وإن جريرًا سرقهما منه وأدخَلَهما في شعره .

كانت لجرير أمةٌ وكان بها معجَبا ، فاستخفَّت المَطعمَ والمَلبَسَ والغِشيانَ واستقلَّت ما عنده ، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد ، اهلُ خِصبٍ ونَعمةٍ ، فسامته أن يبيعها وألحَّت في ذلك ، فقال فيها :

تُكلِّفُني معيشةَ آلِ زيـــــدٍ   ومَن لي بالمُرقَّقِ (١) والصِّنابِ (٢)
تقول ألا تَضُمُّ كضَـــمِّ زيــــدٍ   وما ضمي وليس معي شبابـــــي

فقال الفرزدق يُعيِّره ذلك :

فإن تُفقِرك عِلجةُ آلِ زيـــــدٍ   ويُعجزك المرقَّـــقُ والصِّنـــابُ

(١) المرقق : الأرغفة الواسعة ، الرقيقة ، الخبز المرقوق . (٢) والصناب : أدم يتخذ من الخردل والزبيب .

فقدماً كان عيشُ أبيك مُرّاً يعيش بما تعيش به الكلابُ

نُعي الفرزدقُ الى المُهاجرِ بنِ عبدِ الله وجريرٌ عنده فقال :

مات الفرزدقُ بعدَما جدّعتُه ليتَ الفرزدقَ كان عاشَ طويلا

فقال له المهاجرُ : بئسَ ، لعَمرُ الله ، ما قُلتَ في ابن عمك. أتهجو ميّتا . اما ، والله ، لو رثيتَه لكُنت أكرمَ العرب . فقال : إن رأى الامير أن يكتُمَها علي فإنها سوءة ثم قال :

فلا وَضعَت بعدَ الفرزدقِ حاملٌ ولا ذاتُ بعلٍ مِن نفاسٍ تعلّتِ

هو الوافدُ الميمونُ والراتقُ الثأى(١) اذا النعلُ يوما بالعشيرة زلّتِ .

ثم بكى ، ثم قال : اما ، والله ، اني لأعلم أني قليلُ البقاء بعدَهُ ، ولقد كان نَجمُنا واحداً . وقلّما مات ضِدٌ او صديقٌ إلاّ تَبعَه صاحبهُ . فكان كذلك ، ومات بعد سنة .

مختارات من ديوانه

قال يهجو الراعي :

أقلّي اللومَ عاذِلَ والعتابا وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

أعدّ الله للشعراء مني صواعقَ يُخضِعون لها الرقابا

أنا البازي المُدِلُّ على نُمَيرٍ أُتِحتُ منَ السماء لها انصبابا

اذا عَلِقَت مخالبُه بقِرنٍ أصاب القلبَ اوهتك الحِجابا

ولو وُزِنَت حُلومُ بني نُمَيرٍ على الميزان ما وزنت ذُبابا

فغُضّ الطرفَ إنك من نُميرٍ فلا كَعبا بلغتَ ولا كِلابا

اذا غضِبَت عليك بنُو تميمٍ حسِبتَ الناسَ كلَّهم غِضابا

وقال يمدح عبد الملك:

أتصحو بل فؤادُك غيرُ صاحِ عشيّةَ همّ صَحبُك بالرّواحِ

يقول العاذلاتُ : علاك شيبٌ أهذا الشيبُ يمنعني مِراحي

أغِثني يا فداك ابي وامي بسَيبٍ منك إنك ذو ارتياحِ (٢)

ألستم خيرَ مَن ركِبَ المطايا وأندى العالمين بطونَ راحِ

(١) الفتق والفساد . (٢) ترتاح للعطاء ، والسَّيب : العطاء

وقال يرثي زوجته خالدة :

لولا الحيـــاءُ لعـــادني استعبـــارُ ولزُرتُ قبرَكِ والحبيــبُ يُزارُ
ولَّهــــتِ قلبي اذ علتــــني كَبـــرةٌ وذوو التمائمِ (١) من بنيك صِغــــارُ
ولقـــد اراكِ كُسيـــتِ أجملَ منظـــرٍ ومـعَ الجَمال سكينـــةٌ ووَقـــارُ
والريـــحُ طيِّبــــةٌ اذا استقبلتِهـــــا والعِـــرضُ لا دَنِـــسٌ ولا خوّارُ
واذا سرَيــتُ رأيــتُ نارَكِ نَـــوَّرت وجهـــا أغــرَّ يَزينـــه الإسفـــارُ
صـــلّى الملائكة الـــذين تُخيِّـــروا والصالحـــون عليـــكِ والابـــرارُ
لا تُكثِرَنَّ اذا جعلـــتَ تلـــومُني لا يَذهبنَّ بحلمـــكَ الإكثـــارُ
لا يَلبَثُ القُرَنـــاءُ ان يتفرَّقـــوا ليلٌ يَكُـــرُّ عليهـــم ونَهـــارُ
كانت اذا هجر الحليـــلُ فِراشَهـــا كُتِمَ الحـــديث وعَفّتِ الاسرارُ

ه ه ه

بان الخليـــطُ بـــرامتين فودّعـــوا أوَ كلّما رفعـــوا لبينٍ تَجـــزعُ
وتقول بَوزَعُ : قد دبَبـــتَ على العصا هـــلاّ هـــزئتِ بغيرنا يا بَوزَعُ

بوزع اسم امرأة . وقد عابه الوليد بن عبد الملك من اجل هذه اللفظة ، وقال له : افسدت شعرك . — (وهذه اللفظة سببت لحماد الراوية ضربا وجلداً وسحلا . راجع حماداً الجزء السادس) — ومنها :

زعم الفرزدقُ أن سيقتلُ مَربَعـــا أبشِر بطـــول سلامـــةٍ يا مَربَعُ

ه ه ه

اعددتُ للشعـــراء سُمّاً نـــاقعـــا فسقَيت أولَهـــم بكـــأس الأولِ
لمـــا وضعتُ على الفرزدقِ مِيسَمي وضغـــا البعيثُ جدعتُ أنفَ الأخطلِ

ه ه ه

وقال يمدح الوليد :

ولقد سمـــوتَ الى النصارى سَمـــوةً رجَعـــت لوقعتهـــا جبالُ الدَيلمِ
ان الكنيسةَ كان هـــدمُ بنائِهـــا قَسرا فكان هزيمةً للأخرَمِ (٢)
فأراكَ ربُّـــكَ اذ كسرتَ صليبَهـــم نورَ الهُـــدى وعلِمتَ ما لم تَعلمِ

(١) تمائم : جمع تميمة أي عوذة تقي من العين والحسد والشر . (٢) اراد بالكنيسة كنيسة مار يوحنا في دمشق التي تحولت إلى المسجد المعروف بالجامع الاموي . الأخرم من ملوك بيزنطة .

وقال في بني نمير :

تُغَطِّي نُميرٌ بالعمائم لؤمَها … وكيف يُغطِّي اللؤمَ طيُّ العمائمِ
فان تحلقوا منا رؤوساً فاننا … حلقنا رؤوسا بالقنا والغلاصمِ (١)

وقال في الفرزدق :

لقد وَلَدت امُ الفرزدقِ فاسقا … وجاءت بوَزواز قصيرِ القوائمِ (٢)
يوصِّلُ حَبلَيه اذا جَنَّ ليلُه … ليَرقي إلى جاراته بالسلالمِ
تدلَّيتَ تَزني من ثمانين قامةً … وقصَّرتَ عن باعِ العُلى والمكارمِ
بسيفِ ابي رَغوانَ سيفِ مُجاشعٍ … ضربتَ ولم تضرِب بسيف ابن ظالمِ
لقد ذُقتَ مني طعمَ حربٍ مريرةٍ … وما انت إن جاريت قيساً بسالمِ

وقال يهجو الأخطل

يا ذا العَباءةِ إن بِشرَاً قد قضى … أن لا تجوزُ حكومةُ (٣) النَشوانِ
فدعوا الحكومةَ لستمُ من أهلها … ان الحكومة في بني شيبانِ
لعن الإلهُ مَنِ الصليبُ إلهُهُ … واللابسين برانِسَ الرُهبانِ
تَغشى الملائكةُ الكرامُ وَفاتَنا … والتغلبيُّ جنَازةُ الشَيطانِ
واذا وزنتَ بمجد قيسٍ تغلباً … رَجحوا عليك وشِلتَ في الميزانِ
تلقى الكرامَ اذا خُطِبنَ غواليا … والتغلِبيَّةُ مَهرُها فَلسانِ

وقال :

وماذا تبتغي الشعراءُ مني … وقد جاوزتُ حدَّ الأربعينِ

وقال في الأخطل :

ان الذي حرم المكارمَ تغلباً … جعل النُبوَّةَ والخلافة فينا
هذا ابنُ عمي في دمشقَ خليفةٌ … لو شئتُ ساقَكمُ إليَّ قَطينا (٤)

---

(٢) الغلاصم جمع غلصمة : اللحم بين الرأس والعنق . جرها لمجاورتها القنا . والوجه النصب . (٢) الوزواز : الكثير النزوان والتحرك . (٣) حكم . (٤) القطين : العبد الرقيق. لما سمع عبد الملك هذا البيت قال : ما زاد على ان جعلني شرطياً . لو قال . لو شاء ساقكم إلي قطينا ، سقتهم اليه .

وقال يهجو الهُجيم :

ان الهجـــيمَ قبيلـــةٌ مخسوســـة ثُـــطُّ اللحى متشابهـــو الألوانِ
لو يسمعـــون بأكلـــةٍ او شُربـــةٍ بعُمـــانَ اصبح جمعُهـــم بعُمانِ

وقال :

ان العيـــونَ التي في طَرفـــها حَـــوَرٌ قتلننا ثم لم يُحـــيِينَ قتلانا
يَصرعـــن ذا اللبِ حتى لاحِـــراكَ به وهن أضعفُ خلقِ الله أركانـــا
يا حبَّـــذا جبـــلُ الريَّانِ من جبلٍ وحبَّـــذا ساكنُ الريَّـــانِ مَن كانـــا

وقال :

واني لَعَفُّ الفقـــرِ مشتـــركُ الغنى سريعٌ ، اذا لم أرضَ داري ، احتماليا
وإني لمغـــرورٌ أُعَلَّـــلُ بالمُنـــى ليالِيَ أرجـــو أن مالَـــك ماليا
فانت ابي ، ما لم تكن لي حاجـــة ، فإن عَرَضـــت أيقنـــتُ أن لا أبـــاليا

جميل

هو جميلُ بنُ مَعمَرِ ابن عُذرَةَ . شاعرٌ فصيح مُقَدَّم جامعٌ للشعر وللرواية . قيل : آخِرُ من اجتمع له الشعرُ والروايةُ كُثَيِّرٌ : كان راويةَ جميلٍ ، وجميلٌ راويةَ هُدبةَ وهُدبةُ راويةَ الحُطيئة والحُطيئةُ راويةَ زُهيرٍ .

كان جميلٌ يَهوى بُثَينةَ ، فعُرِفُ بها . وكان اولَ ما عَلِق جميلٌ ببثينةَ أنه أقبل يوما بإبله حتى أوردَها واديا يُقالُ له بَغيضٌ واهلُ بُثينةَ بذَنَب الوادي . فأقبلت بُثينةُ وجارةٌ لها واردتَين الماءَ فمرتَّا على فصال لهُ بَروك[1] ، فنفرَّتهن بُثينةُ وهي اذ ذاك جُوَيريَةٌ ، فسبَّها جميلٌ ، فسبَّته ، فَمَلَح اليه سِبابُها ، وفي هذا يقول :

واولُ ما قـــادَ المَودَّةَ بينَنـــا بـــوادي بَغيضٍ يابُثَيـــنَ سِبـــابُ
وقُلنا لهـــا قَولا فـــجاءت بمثلـــه لكُلِّ كلامٍ يابُثَيـــنَ جـــوابُ

(١) بروك : جمع بارك أي الابل المجتمعة .

لقي الفرزدقُ كُثَيِّرا فقال له : يا ابا صخر ، أنتَ أنسَبُ العربِ حين تقول :

أُريــــد لِأَنسى ذِكـــرَها فكأنما تَمَثَّــلُ لي ليـلى بكلِّ سبيــلِ

يُعَرِّضُ له بسرقته من جميل . فقال له كُثَيِّر : وانت يا ابا فَراسٍ أفخرُ الناس حين تقول :

تــرى الناسَ ما سِرنا يَسيرون خلفَنا وإن نحــن أومأنا إلى الناس وَقَّفوا

ــ وهذا البيت ايضا لجميلٍ سرقه الفرزدق ــ فقال الفرزدق لكُثَيِّرٍ : هل كانت امُّك مرت بالبصرةِ ؟ قال : لا ، ولكن ابي فكان نزيلا لأمِّك .

قال طلحةُ : فوالذي نفسي بيده ، لَعَجِبتُ من كثيِّر وجوابهِ ، وما رأيتُ أحداً قطُّ أحمقَ منه .

سُئل نُصَيب : أجميلٌ أنسَبُ أم كثيِّرٌ ؟ فقال : انا سألت كُثَيِّراً عن ذاك فقال : وهل وَطَّأَ لنا النسيبَ الا جميلٌ ؟

لما أُخبِرَت بُثينةُ أن جميلا قد نَسَّب بها حلفت بالله لا يأتيها على خَلاءٍ الا خرجت اليه ولا تتوارى منه . فكان يأتيها عند غَفَلات الرجال فيتحدثُ اليها ، حتى نَمِيَ إلى رجالها ، وكانوا أصلافاً غُيُراً فرصدوه بجماعة ، وجاء على الصهباء ، ناقتِه ، حتى وقف على بُثينَةَ وأُختِها أمِ الجُسَيرِ وهما تُحدِّثانه وهو يُنشِدُهما حتى قال :

فليتَ رجــالا فيكِ قد نذروا دمــي وَهمُّــوا بقتلي يا بُثَيــنَ لَقُوني

اذ وثب عليه القومَ فرماهم بها فسبقت به . (أي ناقته الصهباء) .

وفي بُثينة يقول :

وتثاقَلَــت لما رأت كَلَفــي بها أحبِب إلي بذاك مــن مُتثاقِلِ
وأطعــتِ فيَّ عــواذلا فهجرتِــني وعَصَيتُ فيك ، وقد جَهَدنَ ، عواذِلي
وَيَقُلنَ إنــكِ يا بُثينَ بخيلـــةٌ نفسي فِداؤك من ضنينٍ باخــلِ

وفيها ايضا :

عَلِقــتُ الهــوى منها وليداً فلم يَزَل إلى اليوم يَنمي حُبُّها ويَزيـــدُ
وأَفنيــتُ عُمــري بانتظــاريَ وعدَها وأبلَيتُ فيهـا الدهرَ وهو جديــدُ
فلا انا مردودٌ بما جئــتُ طالبـــا ولا حُبُّها فيما يَبيــدُ يَبيــدُ
لكــلِّ حديــثٍ بينَهــنَ بَشاشــةٌ وكُلُّ قتيلٍ عندَهــن شَهيــدُ
وقد تَلتقي الأشتــاتُ بعدَ تفــرُّقٍ وقد تُدرَكُ الحاجــاتُ وهي بَعيــدُ

وقال :

الا ليتـــني أعمـى اصمٌ تَقـودُني   بُثينةُ لا يَخفى علـيَّ كلامُهـــا

حدَّث الهيثم بنُ عديٍّ قال : قال لي صالحُ بنُ حسَّانَ :

هل تعرف بيتا نصفُه أعرابيٌّ في شَمـلة (١) وآخرُه مُخنَّثٌ من أهلِ العَقيقِ يتقصَّف تقصُّفا (٢) ؟ قلت : لا . قال : قد اجَّلتُك حوْلا . فقلت : لو أجَّلتني حَوَلين ما علِمت . قال: قولُ جميلٍ :

الا ايُّهـــا النُّـوَّامُ ويحكُـمُ هُبُّوا

هذا أعرابي في شملة . ثم ادركه ما يُدرِكُ العاشقَ فقال :

أسائِلُكم هل يقتُلُ الرجُلَ الحبُّ ؟

كأنه من مخنثي العقيق .

سعت أمةٌ لبثينةَ بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما : ان جميلا عندها الليلةَ . فأتياها مشتملَين على سيفين ، فرأياه جالسا حَجرةً منها يُحدِّثها ويشكو بثَّه ، ثم قال لها : يا بثينةُ ، أرأيتِ وُدي اياك وشَغَفي بك ، الا تَجزينيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابَّين فقالت له : يا جميلُ ، أهذا تَبغي ؟ والله لقد كنتَ عندي بعيداً منه ، ولئن عاودتَ تعريضا بريبة لا رأيتَ وجهي ابدا . فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلاَّ لأعلَمَ ما عندَك فيه . ولو علِمتُ أنك تُجيبيني اليه لَعلِمتُ أنك تُجيبينَ غيري . ولو رأيتُ مُساعَدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا . فقال ابوها لاخيها : قم بنا ، فما ينبغي لنا بعدَ اليومِ أن نَمنعَ هذا الرجلَ من لِقائها . وخطبها فمُنِـع منها. ثم تزوجت فكان يزورها في بيت زوجها خفيةً . فشكَوه إلى السلطان فأهدَر دمَه لهم ان عاود . فاحتُبِس . فكان يَصعَدُ بالليل على قُورِ رملٍ (٣) يتنسَّمُ الريحَ من نحوِ حَيِّ بثينةَ ، فاذا بدا وَضَحُ الصُبحِ انصرف . وكانت بثينةُ تقولَ لجَوارٍ من الحي عندَها : ويَحكُن اني لأسمع انينَ جميلٍ من بعضِ القيرانِ . فيقلن لها : اتَّقي اللهَ ، فهذا شيءٌ يُخيِّلُه لك الشيطانُ لا حقيقةَ له .

لما نذر اهلُ بثينةَ دمَ جميلٍ وأباحَهم السلطانُ قتلَه ، أعذَروا (٤) إلى أهله . فمشت مَشْيَخَةُ الحيِّ إلى أبيه فشكَوه اليه وناشدُوه اللهَ والرَحِمَ وسألوه كَفَّ ابنه عما يتعرَّضُ له ويَفضَحُهم به في فَتاتِهم . فوعدهم كَفَّه ومَنعَه ما استطاع ، ثم انصرفوا . فدعا به فقال له : يا بني ! حتى متى انتَ عَمِهٌ (٥) في ضلالك ، لا تأنَف من أن تعلَّقَ بذات بَعلٍ يخلو بها وانت عنها بمَعزِلٍ ثم تقوم اليك فتَغرُّك بخِداعها وتُريك الصَفاء والمودَّةَ وهي مُضمِرةٌ لبعلها ما تُضمِره الحُرَّةُ

---

(١) كساء واسع كالعباءة يشتمل بها . (٢) يتقصف : يتثنى دلا ويكسر أعطافه تخنثاً . (٣) قور وقيران جمع قارة : أكمة . (٤) قدموا عذراً أي كأنهم معذورون في ما يفعلون . (٥) متردد في الضلال .

لمن مَلكَها . فيكونُ قولُها لك تعليلا وغُرورا . فاذا انصرفتَ عنها عادت الى بعلها على حالتها المبذولة ، إن هذا لَذلٌ وخيمٌ ! ما أعرِفُ أخيَبَ سهماً ولا أضيعَ عُمرا منك . فأنشُدُك اللهَ إلا كَفَفتَ(١) وتَأملتَ امرَك . ولو كان اليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملكُه فيها . ولكن هذا أمرٌ قد فات واستبدَّ به من قُدِّرَ له ، وفي النساء عِوَضٌ . فقال له جميل : الرأيُ ما رأيتَ ، كما قُلتَ فهل رأيتَ قبلي احدًا قَدَرَ ان يَدفعَ عن قلبه هواه ، او استطاع ان يدفع ما قُضِي عليه . واللهِ لو قَدَرتُ ان امحوَ ذِكرها من قلبي ، او أُزيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ . وانا امتنع من طروق هذا الحيِّ والإلمام بهم ولو مُتُّ كمدًا . وقام وهويبكي ، فبكى أبوه ومَن حَضَر جزَعا لِما رأوه منه . فذلك حين يقول :

ألا مَن لِقلبٍ لا يَمَـــلُّ فيَذهَـــلُ   أفِق فالتعزِّي عن بُثينةَ أجمَـــلُ
ففي اليأس ما يُسلي وفي الناس خُلَّـــةٌ   وفي الارض عمن لا يُؤاتيك مَعـــزَلُ
ولستَ كمن إن سِيمَ ضَيماً أطاعَـــه   ولا كامرِئٍ ان عَضَّه الدهرُ يَنكُلُ(٢)

وقال :

وَيقُلن إنك قد رَضِيتَ بباطلٍ   منها فهل لك في اجتنابِ الباطلِ
ولباطلٌ ممَّـــا أُحبُّ حديثَه   أشهى إليَّ منَ البغيضِ البـــاذلِ

قال ايوبُ بنُ عَبايَةَ : خرجتُ من تَيماءَ في أغباشِ(٣) السَحَر . فرأيت عجوزا على أتان فتكلمَت فاذا أعرابيةٌ فصيحةٌ . فقلتُ : مَن انتِ؟ فقالت : عُذرِيَّةٌ . فأجريتُ ذِكرَ جميلٍ وبُثينةَ . فقالتِ : واللهِ إنَّا لعلى ماءٍ لنا بالجَناب وقد تَنكَّبنا(٤) الجادَّةَ(٥) لجيوش كانت تأتينا من قِبَلِ الشام تريد الحِجازَ . وقد خرج رجالُنا لِسفَر وخلّفوا معنا أحداثا . فانحدروا ذاتَ عشيةٍ الى صِرمٍ(٦) ، قريبٍ منا يتحدثون الى جَوارٍ منهم ، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينةَ ، اذ انحدر علينا مُنحدِرٌ من هضبة تِلقاءَنا ، فسلَّم ونحنُ مستوحشون وَجِلون فتأمَّلتُه ورددتُ السلامَ فاذا جميل فقلت : أجميلُ؟ قال : إي واللهِ . واذا به لا يتماسك جوعا . فقُمت الى قَعبٍ لنا فيه أَقِطٌ(٧) مطحونٌ والى عُكَّةٍ(٨) فيها سمنٌ ورُبٌّ(٩) فعصرتُها على الأقِط ثم ادنَيتُها منه وقُلت : أَصِب من هذا . فأصاب منه . وقمت الى سِقاءٍ فيه لبنٌ فصببتُ عليه ماءً باردا ، فشَرِب منه وتراجعت نفسُه فقُلت له : ما أمرُك؟ قال : أنا ، واللهِ ، في هذه الهَضبةِ الّتي تَرَين منذ ثَلاث ما أَرِيمُها(١٠) انتظرُ أن ارى فَرجَةً . فلما رأيتُ مُنحدَرَ فِتيانكم أتيتُكم لأودِّعَكم وانا عامد الى مِصرَ فتحدَّثنا ساعةً ثم وَدَّعَنا وشَخَص . فلم تَطُل غيبتُه أن جاءَنا نَعيُه .

(١) الاكفف : أي ان تكف . (٢) سيم : كوي بميسم ترك فيه أثره وعلامته . والتعبير مجازي أي حمل على الخسف والذل . ينكل : ينكص ويتراجع هلعاً وجبناً . (٣) الغبش : ظلمة آخر الليل . (٤) تنكب : تجنب . (٥) الطريق . (٦) جماعة من الناس . (٧) لبن مجفف يابس يطبخ به . (٨) زليق صغير للسمن . (٩) ما يطبخ به من التمر . (١٠) أفارقها .

حدَّث رجل شَهِدَ جميلا لما حضرته الوفاةُ بمِصرَ أنه دعاه فقال : هل لك في ان أعطيَك كلَّ ما أُخلِّفهُ على ان تفعلَ شيئا أَعهَدُه اليك ؟ قلت : اللهم ، نعم . قال : اذا انا مُتُّ فخُذ حُلَّتي هذه التي في عَيبَتي (١) فاعزِلها جانبا ثم كُلُّ شيء سِواها لك ، وارحَل الى رَهطِ بني الأحبِّ من عُذرَةَ ــ وهم رَهطُ بثينةَ ــ فاذا صِرتَ اليهم فارتحِل ناقتي هذه واركَبها ، ثم البَسَ حُلَّتي هذه واشقُقها ثم اعلُ على شَرَفٍ (٢) وصِح بهذه الابياتِ وخَلاكَ ذَمٌّ . ثم أنشَدَ :

صَدَعَ النَعِيُّ وما كَنَى بجميـلِ ... وثوى بمِصرَ ثَواءَ غيرِ قُفُولِ (٣)

ولقد أجُرُّ الذيلَ في وادي القُرى ... نَشوانَ بينَ مَزارِعٍ ونَخيلِ

قُومي بُثَينةُ فاندُبي بعويلِ ... وابكي خليلَك دونَ كلِّ خليلِ

فلما قضى وواريتُه اتيتُ رهطَ بثينةَ ففعلتُ ما امرني به جميلٌ . فما استَتمَمتُ الابياتَ حتى برزَت الي امرأةٌ يتبعُها نِسوةٌ قد فرَعَتهن طولا وبرزَت امامَهن كانها بدرٌ قد برز في دُجُنَّة وهي تتعثَّرُ في مِرطِها (٤) حتى أتتني فقالت : يا هذا ، والله لئِن كُنت صادقا ، لقد قتلتَني ، ولئِن كُنت كاذبا لقد فضحتَني . قلت : والله ما انا إلا صادقٌ . وأخرجتُ حُلَّتَه .

فلما رأتها صاحت بأعلى صوتِها وصَكَّت (٥) وجهَها ، واجتمع نِساءُ الحيِّ يَبكين مَعَها ويَندُبنَه حتى صُعِقَت . فمكثَت مغشيًّا عليها ساعةً ثم قامت وهي تقول :

وإنَّ سُلُوِّي عن جَميلٍ لَساعةٌ ... منَ الدهر ما حانت ولا حان حينُها

سَواءٌ علينَا يا جميلُ بنَ مَعمرٍ ... اذا مُتَّ ، بَأساءُ الحياةِ ولينُها

قال : فلم أرَ يوما كان اكثرَ باكيا وباكيةً منه يومئذٍ .

دخلَت بثينةُ على عبدِ الملك بنِ مروانَ ، فرأى امرأةً مُوَلِّيَةً فقال لها : ما الذي راى فيك جميلٌ . قالت : الذي رأى فيك الناسُ حين استخلفُوك . فضَحِك عبدُ الملك حتى بدت له سنٌّ سوداءُ كان يَستُرُها .

---

(١) عيبة : وعاء من جلد يوضع فيه المتاع فهو أشبه بالحقيبة الصغيرة . (٢) شرف : المكان المرتفع المشرف .
(٣) ثوى : استقر في المكان استقرار من لا عودة له ولا قفول اي رجوع . (٤) كساء من صوف . (٥) لطمت .

يزيد بن الطثرية

اسمه يزيد بن الصمة احدُ بني قُشَير ، والطَثَريةُ امهُ كانت مُولَعةً بإخراج زَبَد اللبن ، فسُمِّيت الطثريةَ . وطَثْرةُ اللبن زُبدته . ويُكنّى ابا المكشوح [١] ويُلقّب المُودّق . سُمي بذلك لحُسن وجهه وحسن شَعره وحلاوة حديثه ، فكانوا يقولون : اذا جلس بين النساء ودّقهن [٢] ، وكان يقول : من أُفحِمَ عند النساء فليُنشِد شعري .

وأقبل صِرمٌ من جَرْم ساقته السَنةُ والجَدبُ من بلاده الى بلاد بني قُشَير . فأجارتهم قشيرٌ وأرعتهم طَرَفا من بلادها . وكان في جَرْم فتى يقال له ميّادٌ ، وكان غَزِلاً حسنَ الوجه تامَّ القامة آخذا بقلوب النساء .

والغَزَلُ في جَرْم حَسَنٌ ، وهو في قُشَير نائرةٌ [٣] . فلما نازلت جَرْمٌ قُشيرًا وجاورتها اصبح ميّادٌ الجَرميُّ فغدا الى القُشَيريّات يَطلُبُ منهن الغَزَل والصبا والحديثَ واستبرازَ الفتيات عند غَيبة الرجال . فدفعنَه عنهن وأسمعنه ما يَكرهُ . وراحت [٤] رجالُهن عليهن وهن مُغضَبات . فقال عجائزُ منهن : والله ما نَدري أَرْعَيتم جَرْماً المرعى ام أرعيتموهم نِساءَكم . فاشتد ذلك عليهم فقالوا : وما أدراكُنَّ ؟ قُلن : رجل منذُ اليوم ظلَّ مُجحِرا [٥] لنا ما يطلُع منا راسُ واحدة ، يَدورُ بين بيوتنا . فقال بعضُهم : بيِّتوا جَرْما فاصطلِموها [٦] . وقال بعضهم : قبيحٌ . قومٌ سقيتموهم مياهَكم وأرعيتموهم مراعيَكم وخلطتموهم بانفسكم وأجَرتموهم من القَحط والسَنَة تفتاتون [٧] عليهم هذا الإفتياتَ . لا تفعلوا . ولكن تُصبحوا [٨] وتقدَّموا الى هؤلاء القوم في هذا الرجل ، فانه سفيهٌ من سُفَهائهم فليأخذوا على يديه . فان يفعلوا فأتِمّوا لهم إحسانَكم ، وان يمتنعوا ويُقِرُّوا ما كان منه ، يَحِلَّ لكم البَسطُ عليهم وتَخرُجوا من ذِمَّتهم . فأجمعوا على ذلك . فلما أصبحوا غدا نَفَرٌ منهم الى جَرْم فقالوا : ما هذه البِدعةُ الّتي جاورتمونا بها . ان كانت هذه البدعةُ سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاءٌ ، فبَرِّزوا عنا انفسَكم وآذِنوا [٩] بحَرب . وان كان افتتانا فَغَيِّروا [١٠] على مَن فعله . فقام رجال من جَرْم وقالوا : ما هذا الذي نالَكم ؟ قالوا : رجل منكم أمسِ ظلَّ يَجُرُّ اذيالَه بين ابياتِنا ما ندري علامَ كان امرُه . فقهقهت جَرْمٌ

(١) كان على كشحه أي خاصرته كي نار . (٢) فتنهن . (٣) سبب العداوة . (٤) عادت إلى البيت مساء — ضد غدت . (٥) أجحره : ألجأه إلى أن يدخل جحره . ومجاحر القوم : أماكنهم . (٦) استأصلوها . (٧) تحكمون عليهم . (٨) مجزوم بلام الامر المحذوفة أي لتصبحوا . (٩) اعلموا . (١٠) انكروا وازجروا .

من جفاء القُشَيريين وعَجرفيَّتها وقالوا : إنكم لتُحسُّون من نسائكم ببَلاء ، ألا فابعثوا الى بيوتنا رجلا ورجلا . فقالوا : والله ما نُحِس من نسائنا ببَلاء ، وما نَعرف منهن الا العفةَ ، ولكن فيكم الذي قلتم . قالوا : فإنَّا نَبعث رجلا الى بيوتكم يا بني قشير اذا غدت الرجالُ وأخلفَ النساءُ ، وتبعثون رجلا الى البيوت ، ونَتحالف أنه لا يَتقدَّم رجل منا الى زوجة ولا أخت ولا بنت ولا يَعلمُها بشيء مما دار بين القوم ، فيَظَلُّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يردا علينا عَشيًّا الماءَ وتُخلي لهما البيوتُ ولا تَبرز عليهما امرأةٌ ولا تُصادقُ منهما واحدا فيُقبَلُ منهما صَرفٌ ولا عَدلٌ الا بمُوثِقٍ يأخُذُه عليها وعلامة تكونُ معه منها . قالوا : اللهم نعم . وباتوا ليلتَهم ، حتى اذا كان من الغد ، غدَوا الى الماء وتحالفوا أنه لا يعودُ الى البيوت احد دونَ الليل .

وغدا ميَّادٌ الجرْميُّ الى القُشيريَّاتِ وغدا يَزيدُ بنُ الطثريَّة الى الجرْميَّاتِ فظل عندهن بأكرمَ مَظَلٍّ لا يصير الى واحدة منهن الا افتَتَنت به وتابعتـه الى المودَّة والإخاء وقبض منها رهنا وسألته ألا يَدخُلَ من بيوت جرْمٍ إلا بيتَها . حتى صُلِّيت العَصرُ . فانصرف يزيدُ بفتَخٍ [1] كثيرٍ وبراقعَ وانصرفَ مكحولا مدهونا شَبعانَ ريَّانَ مُرجَّلَ [2] اللِّمة . وظل ميَّادٌ الجرْميُّ يدور بين بيوت القشيريَّات مَرجوما مُقصًى لا يَتقرَّبُ الى بيت إلا استقبلتـه الولائدُ بالعَمَد والجندل [3] فتهالك بهن حتى جهَدَه العطشُ فانصرف حتى جاء الى سَمُرةٍ [4] قريبا الى نصف النهار ، فتوسَّد يدَه ونام تحتَها نُوَيمةً حتى أفرجت عنه الظهيرةُ .

وفاءت الاظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألمِ الضرب وبَرَدَ عَطَشُه قليلا . ثم قَرُب الى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيدَ فوجد أمَةً تَذودُ غنَما فأخذ بُرقُعَها ، فقال : هذا بُرقُعُ واحدةٍ من نسائكم ، فطرحه بين يدي القوم . وجاءت الأمةُ تَعدو فتعلَّقت ببُرقُعها فرَدَّ عليها وخَجِلَ ميادٌ خجلا شديدا . وجاء يزيد مُمسياً وقد كاد القومُ أن يتفرقوا . فنثر كُمَّه بين أيديهم ملآنَ براقعَ وفَتَخاً ، وقد حلف القومُ ألاَّ يَعرِف رجلٌ شيئا الا رَفَعَه . فلما نَثَر ما معه اسودَّت وجوهُ جَرْمٍ وأمسكوا بأيديهم إمساكةً [5] . فقالت قُشيرٌ : انتم تَعرِفون ما كان بيننا امسِ من العهودِ والمواثيقِ ، فمَن شاء ان يَنصرفَ الى حَرامٍ فليُمسِك يدَه . فبسط كلُّ رجلٍ يده الى ما عرف فأخذه . وتفرقوا .

كان يزيد يتحدث الى نساء فُدَيكٍ الجَرْمي . فبلغ ذلك فُديكاً فشَقَّ عليه . فزجر نساءَه عن ذلك ، فأبَيْنَ إلا أن يَدخُلَ عليهن يَزيد . فدخل عليهن فُدَيكٌ ذاتَ يومٍ وقد جَمَعَهن جميعا ، اخواتـه وبناتِ عمـه وغيرَهن من حُرَمـه ، ثم قال لهن : قد بَلَغني أن يزيدَ دخل عليكن وقد نَهيتُكن عنه . وإن لله علي نَذرا واجبا — واختَرطَ سيفَه — إن لم أضرِب أعناقَكُنَّ به . فلما مَلأهُن رُعبا

(١) الفتخة حلقة من فضة لا فص لها ، والا فهي الخاتم . (٢) مسرح . (٣) العمد : قضبان الحديد . الجندل : الحجارة . (٤) شجرة الفضاء . (٥) أي لم يمدوا أيديهم إلى شيء مما نثر .

ضرب عُنُقَ غُلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصامٌ فقتله ثم أنشأ يقول :

جَعلتُ عِصاماً عِبــرةً حين رابَـني أناسيُّ مِن أهلي مِراضٌ قلوبُهـا

وأمر بزُبْيةٍ فحُفِرت على الطريق ثم أوقد فيها نارا لَيِّنَةً ثم اختبأ في مكان ومعه عبدانِ وقال لهما : تَبَصَّرا ، هل تَرَيان احداً ؟ فلم يَلبَثا إلا قليلا حتى خرجت بنتُ أخي فُدَيكٍ ، وكان يقال لها وَحشيَّةٌ تتهادى في بُرودِها لميعاد يزيدَ . فأيقظه العبدان . ومضت حتى وقعت في الزُبيةِ ، فاحترق بعضُها ، وامر بها فأُخرِجت ، واحتَمَلها العبدانِ فانطلقا بها الى داره . فبلغ ذلك يزيدَ فقال :

ستبرَأُ من بعد الضَمانةِ[١] رِجلُهـا وتأتي الذي تَهوى مُخَلَّى طريقَها

تُذيقونَها شيئا من النـار كلَّمـا رأت من بني كَعبٍ غُلاماً يَروقُها

وفي وحشيَّةَ يقول :

بنفسيَ مَن لو مَرَّ بَردُ بَنانِـه على كَبِدي كانت شِفاءً أناملُـه

ومَن هابَني في كل أمـرٍ وهِبتُـه فلا هو يُعطيني ولا انا سائلُـه

سمِع هذين البيتينِ ابو مَحضةَ الأعرابيُّ فقال : هذا من مَغنَجِ الكلام . -

كان يزيدُ صاحبَ غَزَلٍ ومُحادَثةٍ للنساء ، وكان متلافاً يَغشاه الدَينُ . وكان اخوه ثَورٌ سَيِّدا كثيرَ المال وكان متنسكاً كثيرَ الحجِّ والصَدَقة وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِعاءِ على اخيه يزيدَ فتُسقى على عينه . فبينا يزيدُ مارٌّ في الإبِلِ وقد صَدَر عن الماء اذ مَرَّ بخباءٍ فيه نِسوةٌ من الحاضِرِ – الحيِّ – فلما رأينَه قُلن : يا يزيدُ ، أطعِمنا لحما . فقال : أعطِينَني سِكِّينا . فأعطينه . فنحر لهن ناقةً من إبِلِ اخيه . وبلغ الخبرُ اخاه . فلما جاءه اخذ بشعره وفَسَّقَه وشتمه . فأنشأ يزيد يقول :

يا ثورُ لا تَشتِمَنْ عِرضي فِداكَ ابي فإنما الشَتمُ للقومِ العَواويرِ[٢]

ما عَقرُ نابٍ لأمثالِ الدُمى خُـرُدٍ عِيْنٍ كِرامٍ وأبكارٍ مَعاصيرِ[٣]

عَطفنَ حوليَ يَسألنَ القِرى أُصُـلاً وليس يَرضَين مني بالمَعاذيــرِ

هَبهُنَّ ضَيفا عَراكم بعدَ هَجعتِكـم في قِطقِطٍ[٤] من سَقيط الليل مَنثورِ

وليس قُربَكمُ شاءٌ ولا لبَـنٌ أيَرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبـورِ

ما خيرُ واردةٍ للمـاء صـادرةٍ لا تنجلي عن عقيرِ الرِجلِ مَنحـورِ

واستَعدَت جَرْمٌ على يزيدَ في وحشيَّةَ . فكتب بها صاحبُ اليمامةِ الى ثورٍ أخي يزيدَ وامره بأدبه . فجعل عقوبتَه حَلقَ لِمَّتِه فحَلَقها فقال يزيد :

(١) الزمانة والعاهة . يريد احتراق رجلها . (٢) الجبناء . (٣) خرد : جمع خريدة ، البكر . عِين جمع أعيَن: واسع العين . معاصير جمع مُعصِر . الجارية التي ادركت . (٤) قطقط : مطر خفيف .

اقولُ لثورٍ وهو يَحلِقُ لمتي ... بحَجناء[١] مَردودٍ عليها نِصابُها
ترفَّق بها يا ثورُ ليس ثَوابُها ... بهذا ولكن غيرُ هذا ثَوابُها
ألا ربما يا ثورُ قد غَلَّ[٢] وسطَها ... انامِلُ رَخصاتٌ حديثٌ خضابُها
فأصبحَ رأسي كالصُخيرةِ أشرقت ... عليها عُقابٌ ثم طارت عُقابُها

وقُتِل يزيدُ فقالت زينبٌ اختُه ترثيه :

فتى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا متضائلٌ ... ولا رَهِلٌ لبَّاتُه وبَآدِلُه[٣]
يَسرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً ... وكلُّ الذي حمَّلتَه فهوَ حامِلُه
اذا جَدَّ عندَ الجَدِّ أرضاك جِدُّه ... وذو باطلٍ إن شئتَ ألهاك باطِلُه
فتىً ليس لابن العم كالذئب إن رأى ... بصاحبِه يوما دماً فهو آكِلُه

جميلة

هي اصلٌ من أصول الغناء وعنها اخذَ معبدٌ وابنُ عائشةَ وحَبَابةُ وسَلاَّمةُ . كانت أعلمَ خلقِ الله بالغناء وكان معبدٌ يقول : اصلُ الغناء جميلةُ ، وفرعُه نحن ، ولولا جميلةُ لم نكن نحن مغنِّينَ .

قال اللَّهبي : اتى منزلَ جميلةَ ابنُ ابي عتيق وابنُ ابي ربيعةَ والأحوصُ فاستأذنوا عليها فأذِنت لهم . فلما جلسوا سألت عُمَرَ وأحفَت[٤] . فقال لها : إني قصدتُك من مكةَ للسلام عليك . فقالت : اهلُ الفضل انت . قال : وقد أحببتُ ان تُفرِّغي لنا نفسَك اليومَ وتُخلي لنا مجلِسَك . قالت : أفعلُ . فدعت بالعودِ وغنَّت :

تَمشي الهُوينا اذا مشت فُضُلاً ... مشيَ النزيفِ المخمور في الصُعُدِ[٥]

فلقد سُمِعت للبيت زلزلةٌ وللدار همهمةٌ . ثم سكنت وأخذوا في الحديث ، ثم اخذت العود وغنَّت :

شَطَّت سُعادُ وامسى البينُ قد أفِدا ... وأورثوك سَقاماً يَصدَعُ الكَبِدا[٦]

(١) او عصفاء وهي كل حديدة لوي طرفها . (٢) غل شعره بالطيب والغالية . (٣) جمع بأدلة : لحمة بين العنق والترقوة . (٤) أحفت : بالغت في الحفاوة . (٥) مشت فضلا : اي متبذلة بثوب واحد . النزيف السكران . الصعد : الصعود والارتفاع . (٦) شطت : بعدت . البين : البعد . أفد : استعجل

فاستخفَّ القومُ أجمعين وصفَّقوا بأيديهم وفحصوا بأرجلهم وحرَّكوا رؤوسهم . وأُحضِر الغَداءُ فتغدى القوم بانواعٍ من الاطعمة الحارَّةِ والباردة ومن الفاكهة الرَّطبة واليابسة ثم دعت بأنواعٍ من الاشربة فشَرِب القومُ . فغنَّت صوتا بشِعرٍ لعُمَرَ :

ولقد قالت لجاراتٍ لها   كالمهى يلعبن في حُجرتها
خُذنَ عني الظِلَّ لا يتبعُني   ومضت تسعى الى قُبَّتها (١)
لم تعانِق رجلا فيما مضى   طَفلَةٌ (٢) غَيداءُ في حُلَّتها

فصاح عمرُ : ويلاه ، ويلاه ، ثم عمد الى جيبِ قميصِه فشقَّه الى أسفله فصار قَباءً . ثم آب عليه عقلُه فندِم واعتذر ، وقال : لم املِك من نفسي شيئا . قال القوم : قد اصابنا كالذي اصابك وأُغمي علينا ، غيرَ أنَّا فارقناك في تخريق الثياب . فدعت جميلةُ بثياب فخلعتها على عمرَ ، فقبِلها ولَبِسها . وانصرفِ القوم . وكان عمر نازلا على ابن ابي عتيق فوجَّه الى جميلةَ بعشرة آلافِ درهمٍ وبعشرة اثوابٍ ، فقبِلتها جميلةُ .

وحجَّت جميلةُ فخرج معَها من المغنِّين ، حتى وافَوا مكةَ ورجَعوا معها ، معبدٌ ومالكٌ وابنُ عائشةَ وعزَّةُ الميلاءُ وحبَابَةُ وسلاَّمةُ وابنُ ابي عتيقٍ والأحوصُ وكُثَيِّرٌ ونُصَيبٌ ، وتخايروا في اتخاذ انواع اللباس العجيب الظريف وكذلك في الهوادج والقِباب . ولما قاربوا مكةَ تلقَّاهم ابنُ مسجَحٍ وابنُ سُرَيجٍ والغريضُ وابنُ مُحرِزٍ وعُمَرُ بنُ ابي ربيعةَ والحارثُ بنُ خالد المخزوميُّ والعَرجيُّ وجماعة من الاشراف ، فدخلت جميلةُ مكةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مُغنِّيةٌ الا وهو معها . وخرج اهل مكةَ ينظرون الى جمعها وحُسنِ هيئتهم . فلما قضت حجَّها سألها المكِّيون ان تجعلَ لهم مجلِسا . فقالت للغناء أو للحديث ؟ قالوا · لهما جميعا . قالت : ما كُنت لأَخلِطَ جِدًّا بهَزل . وأبَت ان تجلِس للغناء . فقال عمر بن ابي ربيعة : أقسمتُ على مَن كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلا خرج معها الى المدينة . فخرجت في جمع اكثرَ من جمعها ، فلما قَدِمت فدخلت أحسنَ مما خرجت . فلما دخلت منزلها وتفرَّق الجميع الى منازلهم ونَزَل اهلُ مكةَ على أقاربهم واخوانهم ، اتاها الناس مُسَلِّمين ، وما استنكف من ذلك كبير ولا صغير . فلما مضى لمَقدَمها عشرةُ ايامٍ جلست للغناء . فغصَّت الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء . فغنَّت بشعر عمرَ :

هيهاتَ مِن أَمَةِ الوَهَّابِ منزلُنا   اذا حللنا بسِيف البحر من عَدَنِ .

فضجَّ القوم من حسن ما سمِعوا ، ودَمَعت عين عمرَ حتى جرى الدمع على لِحيته وثيابه . ثم اقبلت على ابن سُرَيجٍ ، فقالت : هاتِ . فاندفع يغني بشعر عمرَ :

وقولي في مُلاطَفةٍ   لزينبَ نَوِّلي عُمَرا

---

(١) راجع شرح البيت في الصفحة ٢٠٤ . (٢) طفلة : رخصة الملمس .

ثم قالت لابن مسجَح : هاتِ يا ابا عثمانَ . فغنى . ثم قالت : يا معبدُ ، هاتِ ، فغنى . ثم قالت : هاتِ يا ابنَ مُحرز . فغنى . ثم قالت للغريض : هاتِ يا مولى العبَلات . فغنى . ثم اقبلت على ابن عائشةَ فقالت : يا ابا جعفرٍ ، هاتِ . فغنى . ثم قالت : يا مالِكُ ، هاتِ . فاندفع يغني . وقطعت المجلس وانصرف الناس . فلما كان اليومُ الثاني اجتمع الناسُ فضربت ستارةً واجلست الجواريَ كلّهن فضربن وضربت على خمسين وترا فتزلزلت الدارُ ثم غنت على عودها وهن يضرِبن على ضربها . ثم قالت للجواري : اكفُفنَ ، فكففن . وانقضى المجلس وعاد كل انسان الى وطنه .

قال سياط :

جلست جميلةُ يوما للوفادةِ عليها وجعلت على رؤوس جواريها شعورا مُسدَلةً كالعناقيدِ الى أعجازهن ، وألبستهن انواعَ الثيابِ المُصبَّغةِ ووضعت فوق الشعورِ التيجانَ ، وزينتهن بانواع الحلي ، ووجّهت الى عبد الله بنِ جعفر – بن ابي طالب – تستزيرُه ، وقالت لكاتبٍ أملت عليه : « بأبي انت وامي . قدرُك يجِلُّ عن رسالتي وكرمُك يحتمِل زلّتي . وذنبي لا تُقالُ[1] عثرتُه ولا تُغفَر حوبتُه[2] . فان صفحتَ فالصفحُ لكم معشرَ اهلِ البيت يؤثَر ، والخيرُ والفضلُ كلُّه فيكم مدّخَرٌ ، ونحن العبيدُ وانتم الموالي . فطوبى لمن كان لكم مقاربا والى وجوهكم ناظرا . وبالكتاب نسألُكم وبحقِّ الرسول ندعوكم إن كنتَ نشيطا لمجلسٍ هيّأتُه لك لا يحسُن إلا بك ولا يتِمُّ الا معك ، ولا يصلُح أن ينقَلَ عن موضعه » . فلما قرأ عبدُ الله الكتابَ قال للرسول : والله قد كنت على الركوب الى موضع كَدٍ ، واني جاعلٌ بعدَ رجوعي طريقي عليها . فلما صار الى بابها أدخَل بعضَ من كان معه وصرف بعضَهم . فنظر الى ذلك الحُسنِ البارعِ فاعجبه ووقع من نفسه وقال : يا جميلةُ ، ما أحسنَ ما صنعتِ . فجلس عبدُ الله وقامت على رأسه وقامت الجواري صفّينِ ، ثم غنّت . ثم دعت لكلِّ جاريةٍ بعودٍ وامرتهن بالجلوس على كراسي صغارٍ قد أعدّتهن لهن ، فضربن وغنّت عليهن . فقال عبد الله : ما ظننتُ أن مثلَ هذا يكون ، ثم دعا ببغلته فركبها وانصرف .

(١) تقال : يصفح ويتجاوز عنها . (٢) حوبة : إثم .

عنترة

هو عنترةُ بنُ شَدَّادٍ . وله لقب يقال له عنترةُ الفَلْحاءُ لتشقُّقِ شفتيه . وامُّه أَمَةٌ حَبَشيَّةٌ يقال لها زبيبةُ . وقد كانَ شدادٌ نفاه مرة ثم اعترف به فألحق بنسبه . وكانت العرب تفعَل ذلك . تستعبد بني الإماء ، فان أنجب (١) اعترفت به والا بقي عبدا .

كان عنترةُ قبلَ ان يدَّعيَه ابوه حرَّشت عليه امرأةُ ابيه وقالت : إنه يراودني عن نفسي . فغضب من ذلك شدادٌ غضبا شديدا وضربه ضربا مبرِّحا . فوقعت عليه امرأةُ ابيه وكفَّته عنه . فلما رأت ما به من الجِراح بكت ــ وكان اسمُها سُمَيَّةُ ــ فقال عنترةُ :

أمِن سُمَيَّةَ دمعُ العينِ مَذروفُ ... لو أنَّ ذا منكِ قبلَ اليومِ معروفُ

تَجَلَّلَتني إذ أهوى العصا قِبَلي ... كأنها صنمٌ يُعتاد مَعكوفُ

« صنم يُعتاد » اى يؤتى مرة بعد مرة . « ومعكوف » : يعكف عليه .

وكان سببُ ادعاءِ ابي عنترةَ اياه أنَّ بعضَ أحياءِ العرب اغاروا على بني عبسٍ فأصابوا منهم واستاقوا إبلا . فتَبِعهم العبسيون فلَحِقوهم فقاتلوهم عمَّا معهم ، وعنترةُ يومئذ فيهم . فقال له ابوه : كُرَّ يا عنترةُ . فقال : عنترةُ : العبدُ لا يُحسِن الكرَّ ، انما يُحسن الحَلْبَ والصرَّ . فقال : كُرَّ وانت حرٌّ . فكرَّ وقاتل قِتالا حَسَنا ، فادعاه ابوه بعد ذلك وألحق به نسبَه .

وعنترةُ احدُ أغرِبَةِ العرب (٢) وهم ثلاثةٌ : عنترةُ وامُّه زَبيبةُ ، وخُفَافٌ وامُّه نُدبَةُ ، والسُلَيكُ وامُّه السُلَكَةُ ، وفي ذلك يقول عنترة :

إني امرُؤٌ من خير عبسٍ مَنصِباً ... شَطري وأحمي سائري بالمُنصُلِ

واذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظت ... أُلفيتُ خيرًا من مُعِمٍّ مُخولِ

يقول : إن ابي من أكرمِ عبسٍ بشطري ، والشطرُ الاخرُ ينوب عن كرمِ امي فيه ضربي بالسيف . فأنا خيرٌ في قومي ممن عمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغني غَنائي .

قال الشيباني : غزت بنو عبسٍ بني تَميمٍ وعليهم قيسُ بنُ زُهيرٍ . فانهزمت بنو عبسٍ وطلبتهم بنو تميم . فوقف لهم عنترةُ ولَحِقتهم كَبكَبةٌ من الخيل ، فحامى عنترةُ عن الناس فلم يُصَب مُدبِرٌ وكان قيسُ بنُ زُهيرٍ سيِّدَهم ، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذٍ ، فقال حين رجَع :

(١) أنجب : بدت عليه مخايل النجابة . (٢) وهم الذين جاءهم السواد من قبل امهاتهم .

واللهِ ما حمى الناسَ الا ابنُ السوداءِ . وكان قيسٌ أكولا ، فبلغ عنترةَ ما قال ، فقال ، يُعرِّضُ به ، قصيدتَه التي يقول فيها :

ولقد أبيتُ على الطَّوى واظَلُّــه حتى انالَ به كريمَ المـَأكَــلِ

قال ابن عائشةَ : أُنشِدَ النبيُّ قولَ عنترةَ :

ولقد أبيتُ على الطَّــوى واظلُّــه حتى انالَ به كريمَ المأكــلِ

فقال : ما وُصِف لي أعرابيٌّ قطُّ فاحببتُ أن اراه الا عنترةَ .

قيل لعنترة : انت أشجعُ العرب واشدُّها . قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أُقدِمَ اذا رأيت الإقدامَ عزما ، وأُحجِم اذا رأيت الإحجامَ حزما . ولا ادخل الا موضعا ارى لي منه مَخرَجا ، وكنت اعتمد الضعيفَ الجبانَ فاضرِبُه الضربَةَ الهائلةَ يَطير لها قلبُ الشُجاع .

قال عُمرُ بنُ الخَطاب للحُطَيئة : كيف كنتم في حربِكم ؟ قال : كنا الفَ فارسٍ حازمٍ . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيسُ بنُ زهيرٍ فينا وكان حازما ، فكنا لا نَعصيه . وكان فارسَنا عنترةُ ، فكنا نَحمِل اذا حمَل ونُحجم اذا أَحجم . وكان فينا الربيعُ بنُ زيادٍ وكان ذا رأيٍ فكنا نَستشيرُه ولا نُخالفه . وكان فينا عُروةُ بنُ الوردِ فكنا نَأتمُّ[١] بشِعره . فكنا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدقتَ .

كان عَمرو بنُ مَعديكَربَ يقول : ما أُبالي مَن لَقيتُ من فُرسانِ العرب ، ما لم يَلقَني حُرَّاها وهَجيناها . يَعني بالحُرَّينَ عامرَ بنَ الطُفَيلِ وعُتَيبةَ بنَ شِهابٍ ، وبالعبدَين عنترةَ والسُلَيكَ .

شيء من المعلقة — ج ٩ ص ٢٢٣ —

قال عنترة هذه القصيدة لان رجلا من بني عبس سابَّه فذكر سوادَه وسواد امِّه واخوته وعيَّره ذلك . فقال عنترة : والله ، ان الناس ليَترافدون[٢] بالطُعمة ، فوالله ما حضرتَ مَرفَدَ الناس انت ولا ابوك ولا جدُّك قط . وإن الناسَ ليُدعَون في الفزع فما رأيتك في خيل قط ، ولا كنت في اول النساء . وإن اللَّبس (يعني الاختلاط) ليكونَ بيننا فما حضرتَ انت ولا احد من اهل بيتك لخُطَّة فَيصلٍ قط ، وكنت فقعا بقرقرة[٣] . ولو كنتُ في مرتبتك ومَغرِسك الذي انت فيه ثم ماجدتُك لمَجَدتُك ، او طاولتُك لطُلُتك . ولو سألتَ امك واباك عن هذا لأخبراك بصحته . وإني لأحتضر الوغى ، وأُوَفي المغنم ، وأعِفُّ عن المسألة ، وأجود بما ملكت ، وأفصِل الخُطَّــةَ الصمعاءَ[٤] . فقال له الآخر : انا أشعر منك . فقال : ستعلم . وكان عنترة لا يقول من الشعر الا

(١) نأتم : نتخذه إماماً وقدوة . (٢) يترافدون : يتعاونون بالصلات والأعطيات . (٣) فقع بقرقرة : مثل يضرب للمهين الذليل ؛ وأصل مورده ان الفقع أردأ الكمأ . (٤) صمعاء : الصلبة التي تحتاج الى عزمة ماضية .

البيت او البيتين في الحرب ، فقال هذه القصيدة ، ويزعمون انها اول قصيدة قالها . وكانت العرب تسميها المذهَّبة .

هل غادر الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ... ام هل عرفتَ الدارَ بعد توهُّمِ (١)
يا دارَ عبلةَ بالجَواءِ تكلَّمي ... وعِمِي صباحا دارَ عبلةَ واسلمي (٢)
حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقادمَ عهدُهُ ... أقوى واقفر بعد أُمِّ الهَيثمِ (٣)
ان كنتِ أزمعتِ الفِراقَ فإنما ... زُمَّت رِكابُكمُ بليلٍ مُظلمِ (٤)
فيها اثنتانِ واربعون حَلوبةً ... سودٌ كخافية الغُرابِ الأسحَمِ (٥)
وخلا الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ ... غَرِدًا كفعلِ الشاربِ المُتَرنِّمِ (٦)
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَه بذراعِه ... قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأجزمِ (٧)
إن تُغدِفي دوني القِناعَ فانني ... طَبٌّ بأخذ الفارسِ المُستَلئمِ (٨)
هلاَّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعلَمي
يُخبِرْكِ مَن شَهِدَ الوقيعةَ أنني ... أغشى الوغى وأعِفُّ عندَ المَغنَمِ (٩)
ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَه ... لا مُمعِنٍ هَرَبا ولا مُستسلِمِ (١٠)
بطلٌ كأن ثيابَه في سَرحَةٍ ... يُحذَى نِعالَ السِبتِ ليس بتَوأَمِ (١١)
لما رأيتُ القومَ أقبلَ جمعُهم ... يَتذامرون كررتُ غيرَ مُذَمَّمِ (١٢)
يَدعُون عنترَ والرِّماحُ كأنها ... أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الأدهَمِ (١٣)
فازورَّ من وقع القَنا بلَبانِه ... وشكا الي بعَبرةٍ وتَحمحُمِ (١٤)
لو كان يَدري ما المُحاورةُ اشتكى ... ولكان لو عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمَها ... قِيلُ الفوارسِ وَيكَ عنترَ أَقدِمِ (١٥)

(١) المتردم : الشيء الذي يسترقع ويستصلح . (٢) الجواء : مكان . عمي : انعمي . عبلة : ابنة عمه مالك التي أحبها ومنعها عمه منه فلاقى في حبها عذاباً . (٣) اقوى واقفر : خلا . ام الهيثم : كنية عبلة . (٤) زمت : ربطت بالزمام . ركاب : الابل . مفردها ركوب مثل قلوص وقلاص . (٥) حلوبة : ناقة تحلب . خافية : ريش في الجناح . الخوافي اربعة وفوقها القوادم اربعة . الاسحم : الاسود . (٦) بها : الضمير يعود الى روضة . غرد : من التغريد : التصويت . (٧) المكب : المقبل على الشيء . الزناد : جمع زند . وهو العود يحك بالعود ليقدح النار . الاجزم : الناقص اليد . وهو نعت المكب . (٨) الإغداف : الإرخاء . طب : حاذق . استلأم : لبس اللأمة اي الدرع (٩) الوقيعة : وقعة الحرب .. اغشى الوغى : آتي جلبة اصوات الحرب . (١٠) مدجج : لابس السلاح . ضد الاعزل . الكماة جمع كمي وهو المدجج . (١١) سرحة : شجرة عظيمة . يحذى : ينتعل الحذاء . السبت : نوع من الجلود يلبسه الاشراف. يصف هذا الفارس بانه كبير الجسم كانه شجرة وهو شريف ، وهو فريد لم تلد امه مثله . (١٢) يتذامرون : يتحاضون على القتال . أو يتلاومون . غير مذمم اي ممدوح بقتالي . (١٣) اشطان : حبال . لبان : صدر . الادهم : جواده الاسود . (١٤) ازور : مال . تحمحم : صهيل فيه حنين (١٥) قيل : مصدر قال . وهو القول .

ولقد ذكرتُكِ والسُيوفُ نواهِلٌ مني وبيضُ الهندِ تقطرُ من دمي
فوَددتُ تقبيلَ السُيوفِ لأنها لمعت كبارقِ ثغرِك المتبسِّمِ
فاذا شربتُ فانني مستهلكٌ ما لي وعِرضي وافرٌ لم يُكلَمِ
واذا صحَوتُ فما أُقصِّر عن نَدًى وكما علمتِ شمائلي وتَكرمي

من ديوانه :

حَكِّم سُيوفَكَ في رِقابِ العُذَّلِ واذا نزَلت بدار ذُلٍّ فارحَلِ
واذا بُليتَ بظالمٍ كُن ظالِماً واذا لَقيتَ ذوي الجَهالةِ فاجهَلِ
واذا الجَبانُ نَهاكَ يومَ كريهةٍ خوفا عليك من ازدحام الجَحفلِ (١)
فاعصِي (٢) مقالتَه ولا تَحفَل بها واقدُم اذا حَقَّ اللِقا (٣) في الأولِ
واختَر لنفسِك منزِلا تَعلو به أَو مُت كريما تحتَ ظِلِّ القَسطَلِ (٤)
فالموتُ لا يُنجيكَ من آفاته حُصنٌ ولو شيَّدتَه بالجَندَلِ (٥)
موتُ الفتى في عِزَّةٍ خيرٌ له من أن يموتَ أسيرَ طَرفٍ أكحلِ
إن كنتُ في عدد العبيدِ فهِمَّتي فوقَ الثُريَّا والسِّماكِ الأعزلِ (٦)
ورَمَيتُ مُهري في العَجاجِ فخاضَه والنارُ تَقدَحُ من شِفار الأنصُلِ (٧)
خاض العَجاجَ مُحجَّلاً حتى اذا شَهِدَ الوقيعةَ عادَ غيرَ محجَّلِ (٨)
وانا ابنُ سوداءِ الجبينِ كأنها ضَبُعٌ ترعرعَ في رُسوم المنزِلِ
الساقُ منها مثلُ ساقِ نَعامةٍ والشَعرُ منها مثلُ حَبِّ الفُلفُلِ
والثغرُ من تحتِ اللِثام كأنه بَرقٌ تلألأ في الظَّلامِ المُسدَلِ
واتت زَبيبةُ في الظَلام تلومُني خوفاً عليَّ من اقتحامِ الجَحفَلِ
وغدت تُخوِّفُني الحُتوفَ كأنني اصبحتُ عن غَرَض الحُتوفِ بمَعزَلِ
فأجبتُها إن المنيةَ مَنهلٌ لا بُدَّ لي من وِردِ هذا المنهلِ
كُفِّي مَلامَكِ يا أُميمةُ واعلَمي أَني امرُؤٌ سأموتُ إن لم أُقتَلِ
اني امرُؤٌ من خيرِ عبسٍ مَنصِباً شَطري وأَحمي سائري بالمُنصُلِ

---

(١) الجيش الكثير . (٢) ثبتت الياء لضرورة الشعر . (٣) اصلها اللقاء (٤) غبار الحرب . (٥) بالحجر .
(٦) نجم . (٧) العجاج : الغبار . (٨) المحجل الذي في قوائمه بياض. اي يعود مصبوغاً بالدم .

ولقد أَبيتُ على الطَّــــوى وأظلُّــــه   حتى أنالَ به كريمَ المَأكـــلِ
واذا الكتيبةُ أحجمت وتلاحظـــــت   ألفيتُ خيرًا من مُعِمٍّ مُخْـــولِ
لا تسقِني كأسَ الحيــــاةِ بذلَّـــةٍ   بل فاسقِني بالعزِّ كأسَ الحنظـــلِ
كأسُ الحياةِ بذلَّةٍ كجهنـــــمٍ   وجهنمٌ بالعزِّ أفضلُ منـــزلِ

• • •

وكتيبةٍ لبَّستُهـــا بكتيبــــةٍ   شَهباءَ باسلةٍ يُخافُ رَداها (١)
وأَغُضُّ طَرفي ما بدت لي جارتـــي   حتى يواريَ جارتي مأواهــــا
إني امرؤٌ سَمحُ الخليقـــةِ ماجـــدٌ   لا أتبعُ النفسَ اللَّجــوجَ هواهـــا

• • •

رمتِ الفـــؤادَ مليحةٌ عــــذراءُ   بسهامِ لَحظٍ مالَهُــنَّ دَواءُ
فاغتالني سُقمي الذي في باطنـــي   اخفيتُه فاذاعــه الإخفـــاءُ
خطرَت فقلتُ قضيبُ بانٍ حرَّكـــت   أعطافَه بعدَ الجَنوبِ صَبــاءُ
ورنت فقلتُ غزالـــةٌ مذعـــورةٌ   قد راعَها وسطَ الفلاةِ بَــلاءُ

• • •

لا يَحمِلُ الحِقدَ مَن تعلو به الرُتَبُ   ولا يَنالُ العُلا مَن طَبعُه الغضبُ
لئن يَعيبوا سَوادي فهو لي نَسَـــبٌ   يومَ النزال اذا ما فاتني النَسَـــبُ
ان كُنتَ تَعلمُ يا نُعمانُ أن يـــدي   قصيرةٌ عنك فالايامُ تنقلـــبُ
إن الافاعي وإن لانت ملامِسُهـــــا   عندَ التقلُّبِ في انيابها العَطَـــبُ
ليَ النفوسُ وللطير اللُحـــومُ وللوحـــ   ــشِ العِظامُ وللخيَّالةِ السَلَـــبُ
لا أبعدَ اللهُ عن عيـــني غطارفـــةً   إنساً اذا نزَلوا جِنًّا اذا ركِبـــوا
اسودُ غابٍ ولكن لا نيـــوبَ لهـــم   إلا الاسنَّةُ والهنديَّةُ القُضُـــبُ
ما زلتُ القى صدورَ الخيلِ مندفعـــاً   بالطعن حتى يضِجَّ السرجُ واللبـــبُ
فالعُميُ لو كان في أجفانهم نظـــروا   والخُرسُ لو كان في افواههم خطبوا

• • •

(١) شهباء : بيضاء لكثرة سلاحها المصقول . رداها : هلاكها .

حسناتي عندَ الزمـــانِ ذُنـــوبُ وفَعالي(١) مَذَمَّةٌ وعُيـــوبُ
ونصيبي من الحبيـــب بُعـــادٌ ولغيري الدُنُوُّ منه نصيـــبُ
فكأن الزمانَ يَهـــوى حبيبـــاً وكأني على الزمان رقيـــبُ(٢)

• • •

يُنادونَني في السِّلم يابنَ زَبيبـــةٍ وعندَ صِدامِ الخيل يابنَ الأطايبِ
ولولا الهوى ما ذَلَّ مثلي لمثلهـــم ولا خضعت أُسدُ الفَلا للثعالبِ

• • •

سيذكرُني قومي اذا الخيـــلُ أقبلـــت وفي الليلة الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ
يَعيبون لوني بالسَّـــوادِ جَهالـــةً ولولا سَوادُ الليلِ ما طلع الفَجـــرُ
مَحوتُ بذكري في الورى ذكرَ من مـــضى وسِرتُ فلا زيدٌ يُقالُ ولا عمـــرو

• • •

ضحكت عُبَيلةُ اذ رأتـــنيَ عاريـــا وبجانبَيَّ منَ الرِماحِ خُـــدوشُ
إني لأعجَبُ كيفَ ينظُـــرُ صورتـــي يومَ القِتالِ مُبارزٌ ويعيـــشُ

• • •

لي هِمَّةٌ عند وَقعِ السيفِ عاليـــةٌ وعِفَّةٌ عند وقعِ الطيرِ في الشَّـــرَكِ
لولا الذي تَرهبُ الافـــلاكُ سطوتَـــه جعلتُ متنَ حِصاني قُبَّةَ الفَلَـــكِ

• • •

يقول لك الطبيبُ دواكَ عنـــدي اذا ما جَسَّ كفَّكَ والذِراعـــا
ولو عَرَفَ الطبيـــبُ دواءَ داءٍ يَرُدُّ الموتَ ما قاسى النِزاعـــا
حِصاني كان دَلاَّلَ المنايـــا فخاض جموعَها وشرى وباعـــا
وسيفي كان في الهيجـــا طبيبـــا يُداوي رأسَ مَن يشكو الصُداعـــا
انا العبدُ الذي خُبِّـــرتَ عنـــه وقد عاينتَني فدَعِ السِماعـــا
ولو أرسلتُ رُمحي مع جبـــانٍ لكان بهيبتي يَلقى السِباعـــا
اذا الابطالُ فرَّت خـــوفَ بأســـي ترى الاقطارَ باعا او ذِراعـــا

---

(١) الفعل الحسن . (٢) العاذل يتجسس ما بين المحبين .

سَلي سيفي ورُمحي عن قِتـالـــي هما في الحرب كانا لي رِفاقـــا
سقيتُهما دماً لو كان يُسقـــى به جبَلا تِهامةَ ما أفاقَـــا

• • •

حاربيني يا نائبـــاتِ الليالـــي عن يميني وتارةً عن شِمالـــي
واجهَدي في عداوتي وعِنـــادي انتِ واللهِ لم تَلُمّي ببـــالـــي
إن لي همةً اشدَّ من الصخـــرِ واقوى من راسيات الجبـــالِ

• • •

أحبُّكَ يا ظَلومُ وانــتَ عنـــدي مكانَ الروحِ من جسد الجَبـانِ
ولو أني اقولُ مكـــانَ روحـــي لخِفتُ عليكَ بادرةَ الطّعـانِ

• • •

قالوا اللقاءُ غداً بمُنعَرَجِ اللّـوى واطولَ شوقِ المُستهامِ الى غدِ
وتَخالُ انفاسي اذا ردَّدتُهـــا فوقَ الطُلولِ تحت نُقوشَ المبرَدِ

• • •

وكررتُ والابطالُ بين تَصـــادُمٍ وتَهاجُمٍ وتحـزُّبٍ وتَشـــدُّدِ
وفوارسُ الهيجاء بيـــن مُمانِـــعٍ ومُدافعٍ ومُخادعٍ ومُعربِـــدِ
والبيضُ تَلمع والرِّمـــاحُ عواســلٌ والقومُ بينَ مُجَدَّلٍ ومقيَّـــدِ
وموسَّدٍ تحتَ التُـــرابِ وغيـــرُه فوقَ التُرابِ يَئِنُّ غيرَ موسَّـــدِ

• • •

تَرَى بطلا يلقى الفوارسَ ضاحكـــا ويَرجِـع عنهم وهو أشعثُ أغبَـــرُ
بصارمِ عزمٍ لو ضربـتُ بحـدِّه دُجى الليلِ ولىَّ وهو بالنَجم يَعثُرُ
ولا ينثَني حتى يُخلّي جماجمـــا تَمرُّ بها ريحُ الشِمالِ فتَصفُـــرُ

• • •

وعاد بي أبجري يَمشي فتزلِقُـــهُ جَماجمٌ ورسومٌ مالهـــنَّ بَقـــا
يَمشي على جيَفِ القتـلى بحدّتــهِ طَورا يَخُبُّ وطورًا يَحذَر الزَلَقـا
ولي معامعُ حَربٍ لو تُقـالُ لمــن فجعتُه ببنيه قال : قد صَدَقـا

• • •

ابو دلف

هو القاسمُ بنُ عيسى ابنُ بَكرِ بنِ وائلٍ ، ومحلُّه في الشجاعة عندَ الخلفاء وحُسنِ الادب وجودة الشعرِ محلٌّ ليس لكبير أحدٍ من نُظَرائه . فمن جيِّد شعره ، وله فيه صَنعةٌ ، قولُه :

في كل يومٍ ارى بيضـــاءَ طالعـــةً كأنما أُنبِتَت في ناظر البَصَـــرِ
لئن قصصتُكِ بالمِقراض عن بصــري لَما قطعتُكِ عن هَمّي وعن فِكَري

كان ابو دُلف في جُملةِ مَن كان مع الأفشينِ [1] خيذرَ بنِ كاووسَ لما خرج لمحاربة بابَكَ ، ثم تنكَّر له . فوجَّه يوما بمن جاء به ليقتُلَه . وبلغ المعتصمَ الخبرُ فبعث اليه بأحمدَ بنِ ابي دُوادَ وقال له : أدرِكه ، وما أراك تَلحقُه ، فاحتَل في خَلاصه منه كيف شئتَ .

قال ابن دُوادَ : فمضَيتُ ركضا حتى وافيتُه ، فاذا ابو دُلفٍ واقفٌ بين يديه وقد اخذ بيديه غُلامان له تُركيّان . فرمَيتُ بنفسي على البِساط ، وكنت اذا جئتُه دعا لي بمُصَلّى ، فقال لي : سُبحانَ الله ! ما حملَك على هذا ؟ قلت : انت اجلستَني هذا المجلِسَ . ثم كلَّمتُه في القاسم وسألتُه فيه وخضعت له . فجعل لا يزدادُ الا غِلظةً . فلما رأيت ذلك قلت في نفسي : هذا عبدٌ وقد اغرقتُ في الرفق به فلم ينفع ، وليس إلا أخذُه بالرهبة والصدق . فقُمت فقلت : كم تُراك قَدَّرتَ ! تقتُل اولياءَ اميرِ المؤمنينَ واحدًا بعدَ واحد وتُخالف امرَه في قائد بعد قائد . قد حمَلتُ اليك هذه الرسالةَ عن امير المؤمنين ، فهاتِ الجوابَ . قال : فذَلَّ حتى لَصِق بالارض وبان لي الاضطرابُ فيه . فلما رأيت ذلك ، نهضتُ الى ابي دلف وأخذت بيده وقلت له : قد اخذتُه بأمرِ امير المؤمنين . فقال : لا تفعل يا ابا عبد الله . فقلت : قد فعلت . وأخرجت القاسم فحملته على دابّةٍ ووافيت المعتصِمَ . فلما بَصُر بي قال : بك يا ابا عبدِ الله وَرَيتُ زِنادي [2] .

(١) وهو احد قواد المعتصم المقدمين ولاه حرب بابك ثم غضب عليه وقتله . (٢) اي بك قدحت ناري .

كان ابو دلف جَوادا مُمَدَّحاً وفيه يقول عليُّ بنُ جَبَلةَ :

انما الدنيـــا ابـــو دُلَـــــفٍ   بين مَغـــزاه ومُحتَضَـــــرِهْ
واذا ولّـــى ابـــو دُلَـــــفٍ   ولّتِ الدنيا عـــلى أثَـــــرِهْ
كلُّ مَن في الارض مـــن عـــربٍ   بين باديه الى حَضَـــــرِهْ
مستعيـــرٌ منه مَكـــرُمَـــــةً   يَكتَسيها يومَ مُفتَخَـــــرِهْ

وهذان البيتان أحفظا المأمونَ على عليِّ بنِ جَبَلةَ حتى سَلَّ لِسانَه من قَفاه .

قال عليُّ بنُ جَبَلَةَ : زُرتُ ابا دُلَفٍ فكان يُظهرُ من إكرامي وبِرِّي والتحَفّي [1] بي امرا مُفرِطا ، حتى تأخرت عنه حينا حَياءً . فبعثَ الي مَعقَلَ بنَ عيسى فقال : يقول لك الامير : قد انقطعتَ عني ، وأحسَبُكَ استقللتَ بِرِّي بك ، فلا يُغضِبَنَّكَ ذلك ، فسأزيدُ فيه حتى تَرضى . فقلت : والله ما قَطعَني إلا إفراطُه في البِرِّ . وكتبتِ اليه :

هجرتُك لم اهجُركَ من كُفرِ نعمـــةٍ   وهل يُرتَجى نَيلُ الزيادةِ بالكُفرِ
ولكنني لما أتيتُـــكَ زائـــــرا   فأفرطتَ في برّي عَجَزتُ عن الشُكرِ
فان زدتَني بِراً تزايــــدتُ جَفـــوةً   ولم تلقَني طولَ الحياةِ الى الحَشرِ

فلما قرأها قال : قاتلَه اللهُ ما أشعرَه وأدقَّ معانيَه . فأجابني لوقته :

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسطتُـــه   وآنستُه قبلَ الضيافةِ بالبِشـــرِ
وجُدتُ له فضلاً علـــيَّ بقَصـــده   الي وبِراً زاد فيه على بِــــرِّي
فزوَّدتُه مالاً يَقِـــلُّ بَقـــاؤه   وزَوّدَني مَدحا يَدومُ على الدَهـــرِ

وبعث الي بالابيات وبالف دينار .

---

(١) إظهار الحفاوة .

الأخطل

هو غِياثُ بنُ غَوثِ ابنِ تغلِبَ ويُكنّى ابا مالك . والاخطل لقب غلب عليه .

قال ابو عبيدة : ان كعبَ بنَ جُعَيلٍ كان شاعرَ تغلبَ ، وكان لا يأتي منهم قوما الا أكرموه وضربوا له قُبَّةً حتى أنه كان تُمَدُّ له حبالٌ بين وتدين فتُملأ له غنما . فأتى قومَ الاخطل ففعلوا ذلك به ، فجاء الاخطل ، وهو غُلامٌ ، فأخرج الغنمَ وطردها ، وكعبٌ ينظرُ اليه ، فقال : ان غلامكم هذا لأخطلُ — والاخطل السفيه — فغلب عليه . ولَجَّ الهجاءُ بينهما ، فقال الاخطل فيه :

سُمِّيتَ كعبا بشَـــرِّ العظـــــامِ وكان ابوك يُسمى الجُعَــلْ (١)
وإنَّ مَحلَّك مــــن وائــــلٍ مَحلُّ القُرادِ (٢) من آست الجَمَلْ

فقال كعب : قد كنت اقولُ: لا يَقهَرُني الا رجل له ذِكرٌ ونبَأٌ . ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أهجى بهما منذ كذا وكذا ، فغَلَب عليهما هذا الغلام .

وكان نصرانيا من اهل الجزيرة ، ومحلُّه في الشعر اكبرُ من ان يُحتاجَ الى وصف . وهو وجريرٌ والفرزدقُ طَبَقةٌ واحدة .

جاء رجل الى يونسَ فقال له : مَن أشعرُ الثلاثة ؟ قال : الاخطل . قال : مَن الثلاثة ؟ قال : ايَّ ثلاثةٍ ذكروا فهو أشعرُهم ، بانه اكثرُهم عددَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحشٌ واشدُّهم تهذيبا للشعر.

قال الاصمعي : كان الاخطل يقول تسعين بيتا ثم يختار منها ثلاثين فيُطَيِّرُها (٣) .

قال ابنُ سَلاّم : سمعت سَلَمةَ بنَ عيّاشٍ ، وذَكَرَ اهلُ المجلسِ جريرًا والفرزدقَ والاخطلَ ، ففضلَه عليهما . وكان اذا ذكر الاخطلَ يقول : ومَن مثلُ الاخطلِ وله في كل بيتِ شعرٍ بيتان . ثم يُنشِد قولَه :

ولقد علمتُ اذا العِشــارُ تروّحــت هَدَجَ الرِّئالِ تَكبُّهن شَمــالا
أنّا نُعجِّل بالعَبيــط لضيفنــــا قبلَ العِيالِ ونَضرِبُ الابطــالا

---

(١) خنفسة . (٢) دويبة تتعلق بالبعير وهي كالقمل للانسان . (٣) يذيعها .

ثم يقول : ولو قال :

ولقد علمتُ اذا العِشار تروّحت هَدَجَ الرئال

كان شعرا .

قال رجل من بني سعد : كنتُ مع نوحِ بنِ جريرٍ في ظلِ شجرة ، فقلت له : قبّحك اللهُ وقبح اباك . اما ابوك فأفنى عمره في مدح عبدِ ثقيفٍ (يعني الحجاج) . واما انت فامتدحتَ قُثَم بنَ العبّاسِ فلم تهتدِ لمناقبه ومناقبِ آبائه حتى امتدحتَه بقصرٍ بناه . فقال : والله لئِن سُؤتَني في هذا الموضعِ لقد سُؤتُ فيه أبي . بينا انا آكل معه يوما وفي فمه لُقمةٌ وفي يده اخرى ، فقلت : يا أبتِ، انت أشعرُ ام الاخطلُ . فجرض [1] باللقمة التي في فمه ورمى بالتي في يده وقال : يا بُنَيّ ، لقد سررتَني وسُؤتَني . فاما سرورُك اياي فلتعهّدك لي مثلَ هذا ، وسؤالك عنه . واما ما سؤتَني به فلذكرك رجلا قد مات . يا بُنَي ، ادركتُ الاخطلَ وله نابٌ واحد ولو ادركتُه وله نابٌ آخرُ لأكلَني به . ولكني أعانتني عليه خصلتان : كبرُ سنٍ وخبثُ دِينٍ .

سُئل حمّادٌ الراويةُ عن الاخطل فقال : ما تسألوني عن رجل قد حبّب شعرُه اليَّ النصرانية

قال ابو عمرو : لو ادرك الاخطلُ يوما واحدا من الجاهلية ما فضّلت عليه احدا .

قال أبو عبيدةَ : شعراءُ الاسلامِ الاخطلُ ثم جريرٌ ثم الفرزدقُ .

كان ابو عمرو يُشبّه الاخطلَ بالنابغة لصحّة شعره .

قال الاخطل : اشعرُ الناسِ قبيلةً بنو قيسِ بنِ ثعلبةَ . وأشعر الناس بيتا آلُ ابي سُلمى ، واشعر الناس رجلا ، في قميصي .

قال الاخطلُ لعبد الملك : يا اميرَ المؤمنين . زعم ابنُ المراغةِ (اي جرير) أنه يَبلُغُ مِدحتَك في ثلاثة أيامٍ ، وقد أقمتُ في مِدحتك :

– خفَّ القطينُ فراحوا منكَ او بَكَروا –

سنةً فما بلغتُ كلَّ ما اردت . فقال عبد الملك : فأسمِعناها يا أخطلُ . فأنشده اياها . فجعلتُ ارى عبد الملك يتطاول لها ، ثم قال : ويحك يا أخطلُ ، أتريدُ ان اكتُبَ الى الآفاق أنك أشعرُ العرب ؟ قلت : أكتفي بقول امير المؤمنين . وامر لي بجفنة كانت بين يديه فمُلِئت دراهمَ والقى علي خِلَعاً وخرج بي مولى لعبد الملك على الناس يقول : هذا شاعرُ امير المؤمنين ، هذا اشعرُ العرب .

قيل لابي العبّاسِ اميرِ المؤمنين : ان رجلا شاعرا قد مدحك ، فتَسمعُ شعرَه . قال : وما عسى ان يقولَ فيَّ بعد قولِ ابنِ النصرانيةِ في بني امية :

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً اذا قَدَروا

(١) غص .

دخل الاخطل على عبد الملك فاستنشده ، فقال : قد يَبِس حَلقي ، فمُر مَن يسقيني . فقال : اسقوه ماءً . فقال : شَرابُ الحمارِ ، وهو عندنا كثير . قال ؛ فاسقوه لبنا . قال : عن اللبن فُطِمت . قال : فاسقوه عسلا . قال : شَرابُ المريض . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : خمرا يا امير المؤمنين . قال : أوَ عَهِدتني أسقي الخمرَ ، لا أمَّ لك . فخرج فلقِيَ فرّاشاً لعبد الملك فقال : ويلَك ، ان امير المؤمنين استنشدني وقد صَحَل [1] صوتي ، فاسقِني شُربةَ خمرٍ . فسقاه . فقال : إعدِله بآخرَ . فسقاه آخرَ . فقال تركتَهما يعتركان في بطني ، اسقِني ثالثا . فسقاه ثالثا . فقال : تركتَني امشي على واحدة ، إعدِل مَيلي برابعٍ . فسقاه رابعا . فدخل على عبد الملك فأنشده إياها ، وهذا منها :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بَكَروا ... وأزعجتْهم نَوًى في صَرفِها غِيَرُ
يا قاتَلَ اللهُ وصلَ الغانياتِ اذا ... أيقنَّ أنّك ممن قد زها الكِبَرُ [2]
أعرَضنَ لما حَنى قوسي مُوتِّرُها ... وابيضَّ بعدَ سَوادِ اللِّمَّةِ الشَعَرُ

ويقول يهجو بني كليب جد جرير :

اما كليبُ بنُ يَربوعٍ فليس لها ... عند التفاخر إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُلَطَّمون بأعقار [3] الحياضِ فما ... يَنفكُّ من دارِمِيٍ [4] فيهم أثَرُ
بئسَ الصُحاةُ وبئسَ الشَربُ شَربُهم [5] ... اذا جرى فيهمِ المُزّاءُ والسَكَرُ
قومٌ تناهت اليهم كلُّ مُخزِيةٍ ... وكلُّ فاحشةٍ سُبَّت بها مُضَرُ
الآكلون خبيثَ الزادِ وحدَهمُ ... والسائلون بظَهر الغَيب : ما الخبرُ [6]

ويقول يمدح عبد الملك :

الخائضُ الغمرِ والميمونُ طائرُهُ ... خليفةُ اللهِ يُستسقى به المطرُ
وما الفُراتُ اذا جاشت غواربُه ... في حافتَيهِ وفي اوساطه العُشَرُ [7]
يوماً بأجودَ منه حينَ تسألُه ... ولا بأجهرَ منه حين يُجتَهَرُ [8]
في نَبعَةٍ [9] من قريشٍ يُعصَبون بها ... ما أن يُوازي بأعلى نَبتِها الشجرُ
شُمسٌ [10] العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً اذا قدروا

فقال عبد الملك : خذ بيده يا غلام فأخرجه ، ثم ألقِ عليه من الخلع ما يَغمره ، وقال : إن لكل قوم شاعراً وإن شاعرَ بني امية الأخطلُ .

---

(١) بُح . (٢) زها يعني استخفه وأضعفه . وزهاه اي رفعه في علوسنه عما يردن منه . (٣) مؤخر الحوض . (٤) قبلة الف ؛ دق (٥) جمع شارب . (٦) اي ان القبيلة تقرر امرا دون ان تسألهم رأيهم فيه ، فيسألون: ما الخبر ؟ (٧) جاشت : هاجت . الغوارب : المتون اي اعاليه وهي امواجه . العشر : الشجر . (٨) أجهر : اعظم وأحسن مرآه . اجتهرتَ فلانا : رايتَه عظيماً حسناً في عينيك . (٩) نوع من اجود الشجر . (١٠) جمع شَموس ، وهو الشديد في عداوته على من عانده .

أُنشِدَ عبدُ الملك قولَ كُثَيِّرٍ فيه :

فمـا تركـوها عنوةً عن مَـودَّةٍ   ولكن بحدِ المَشرَفيِّ استقالَهـا

فأُعجب به . فقال له الاخطل : ما قلتُ لك ، واللهِ ، يا امير المؤمنين أحسنُ منه . قال : وما قلتَ ؟ قال : قلت :

أَهَلُّوا من (١) الشهـر الحَـرامِ فأصبحوا   مواليَ مُلكٍ لا طريفٍ ولا غَصبِ

جعلتُه لك حقاً وجعلَك اخذتَه غصبا . قال : صدقتَ .

جاء رجل من بني شيبانَ إلى الأخطلِ فقال له : يا ابا مالك ، إنّا وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة ، تَجمعُنا ربيعةُ ، وإن لك عندي نُصحا . فقال : هاته . فقال : انك قد هجوتَ جريرا ودخلت بينه وبين الفرزدق وانت غنيٌّ عن ذلك ولا سيَّما أنه يَبسُط لسانَه بما ينقبض عنه لسانُك ، ويَسُبُّ ربيعةَ سباً لا تَقدرُ على سَبِّ مُضرَ بمثله والمُلك فيهم والنبوَّةُ مثلُه . فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشادَّته ومُهارَّته . فقال : صدقتَ في نُصحك وعرفتُ مُرادَك ، وَصلَتك رَحِمٌ . فوالصليبِ والقُربانِ لأتَخلَّصَنَّ إلى كليب – (قوم جرير) – خاصةً ، دونَ مُضَرَ ، بما يلبَسُهم خزيُه ويَشملُهم عارُه . ثم اعلَم أن العالِم بالشعر لا يُبالي، وحقِّ الصليبِ ، اذا مرَّ به البيتُ المُعايَر (٢) السائرُ الجيِّدُ ، أمُسلِمٌ قاله أم نَصرانيٌّ .

قَدِم الأخطلُ على عبد الملك فنزَل على ابن سرجونَ كاتبِه . فقال عبد الملك : على من نَزَلتَ ؟ قال : على فلان : قال : قاتلك اللهُ ، ما أعلمَك بصالحِ المنازل. فما تُريد ان يُنزِلَك(٣) قال : دَرمَكٌ(٤) من درمكِكم هذا ، ولحمٌ وخمرٌ من بيتَ رأسَ . فضحِك عبد الملك ثم قال : ويلَك، على أيِّ شيءٍ اقتتلنا إلا على هذا . ثم قال : ألا تُسلِم فنَفرِضَ لك في الفَيءِ ونُعطيَك عَشرةَ آلاف ؟ قال : فكيف بالخَمر ؟ قال : وما تَصنع بها ، وإنَّ اولَها لَمُرٌّ وإن آخرَها لَسُكرٌ . فقال : أمَّا اذا قلتَ ذلك فان فيما بين هاتين لَمنزلةً ما مُلكُك فيها الا كعَلقةِ ماء من الفُرات بالإصبع . وقد قلت في ذلك :

اذا مـا نديمـي علَّني ثم علَّنـي   ثلاثَ زُجاجـاتٍ لهـن هديرُ

خرجتُ اجُرُّ الذيـلَ زَهـواً كأنني   عليك اميرَ المؤمنيـن اميـرُ

فجعل عبد الملك يضحك ... ثم قال : ألا تَزورُ الحَجَّاجَ ، فانه كَتَب يَستزيرُك . فقال : أطائعٌ ام كارِهٌ ؟ قال : بل طائعٌ . قال : ما كُنتُ لأختارَ نوالَه على نوالِك ، ولا قُربَه على قربك ، انني اذاً لكما قال الشاعر :

كمُبتـاعٍ ليركَبَـه حمـاراً   تَخَيَّـرَه من الفَـرسِ الكبيرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم . وامره بمدح الحجاج ، فمدحه بقوله :

(١) خرجوا في استهلاله . (٢) المتداول . (٣) انزل الضيف : قدم له طعاماً وغيره . (٤) دقيق أبيض .

– صرمَتْ حبالَك زينبٌ ورَعــــومُ –

ووجه بالقصيدة مع ابنه اليه ، وليست من جيد شعره .

– العلماء يجمعون على الأخطل (١) –

قال اسحاق : حدثني ابو عبيدةَ أن يونسَ سُئِل عن جريرٍ والفرزدق والاخطلِ ، ايُّهم أشعر ؟ قال : اجمعَتْ العلماء على الاخطل . فقلت لرجل إلى جنبه : سَلْه ، ومَن هم ؟ فقال : مَن شئتَ . ابنُ ابي اسحاقَ وابو عمروِ بنُ العَلاءِ وعيسى بنُ عمروٍ وعنبسةُ الفيلُ وميمونٌ الأقرَن . هؤلاءِ طَرَقوا الكلامَ وما شَوه لا كَمن تَحكون عنهم ، لا بدويين ولا نَحَويين . فقلت للرجل : سَلْه وبأي شيءٍ فُضِّلَ على هؤلاءِ ؟ قال : بأنه كان أكثرَهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها فَحشٌ ولا سَقَطٌ.

قال ابو عبيدةَ فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطلِ عشراً بهذه الصِفةِ والى جانبها عشراً إن لم تكن مثلَها فليست بدونها ، ووجدنا لجريرٍ بهذه الصفة ثلاثاً .

قال اسحاق : فسألت ابا عبيدةَ عن العشرِ فقال :

عفــا واســطٌ من آلِ رَضوى فنَبتَــلُ

و تأبَّدَ الربــعُ منَ سلمى بأحفارِ

و خفَّ القطينُ فراحــوا منك او بَكروا

و كَذَبَتْكَ عينُك ام رأيتَ بواسِطِ

و دعِ المعمَّــرَ لا تسأل بمصرَعِــــهِ

و لمنِ الديارُ بحائــلٍ فوَعــالِ

قال اسحاق : ولم أحفظ بقية العَشر . قال : وقصائدُ جريرٍ :

حَيِّ الهــدمَلةَ مِــن ذاتِ المَــواعِينِ

و ألا طَرقتْــكَ وأهــلي هُجــودُ

و أهَوًى أراكَ برامتيــــــنِ وُقــــودا

وقال ابو عبيدة : الاخطل اشبه بالجاهلية واشدُّهم أسرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطا .

قال مَسْلَمَةُ بنُ عبدِ الملك في الشعراء الثلاثة : هم عندي كأفراسٍ ثلاثة ارسلتَهن في رِهان . فأحدُها سابقٌ الدهرَ كلَّه ، وأحدُها مُصَلٍّ ، وأحدُها يجيءُ أحياناً سابقَ الريح واحياناً سُكَّيتاً وأحيانا متخلِّفاً . فأما السابقُ في كل حالاته فالاخطل . واما المصلِّ في كل حالاته فالفرزدقُ . واما الذي يسبِقُ الريحَ احيانا ، ويتخلف احيانا فجريرٌ .

سأل سليمانُ بنُ عبد الملك عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ : أجريرٌ أشعرُ ام الأخطلُ ؟ فقال له : أَعفِني . قال : لا ، والله ، لا أعفيك . قال : ان الأخطلَ ضَيَّقَ عليه كُفُره القولَ . وان جريراً وسَّع عليه

(١) جعلنا لهذا الحديث عنواناً لكثرة ما قيل في هؤلاء الثلاثة، حتى بات طالب الادب يضيع في التقدير ولا يهتدي الى حكم عادل.

إسلامَه قولَه ، وقد بلغ الأخطلُ منه حيثُ رأيتَ . فقال له سليمانُ : فضَّلتَ ، والله ، الأخطلَ .

قال الاخطل : ما هجوت احدا قط بما تستحي العذراءُ أن تُنشدَه أباها .

لما استنزل عبدُ الملك زُفَرَ بنَ الحارثِ الكلابيَّ ، أقعدَه معه على سريره ، فدخل عليه ابنُ ذي الكَلاعِ (١) ، فلما نظر اليه مع عبد الملك على السرير بكى . فقال له : ما يُبكيك ؟ فقالى : يا اميرَ المؤمنين ، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يَقطُرُ من دماء قومي في طاعتهم لك وخلافه عليك : ثم هو معك على السرير وانا على الارض . قال : إني لم أُجلِسه معي أن يكونَ اكرمَ علي منك ، ولكن حديثُه يُعجبُني . فبلغت الاخطلَ وهو يَشرَبُ فقال : اما واللهِ لأقومَنَّ في ذلك مَقاماً لم يَقُمه ابنُ ذي الكَلاعِ . ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلما ملأ عينَه منه قال :

وكأسٍ مثلِ عينِ الديكِ صِرفٍ تُنَسِّي الشاربين لها العقولا
اذا شرِب الفتى منها ثلاثا بغيرِ الماء حاول أن يطولا
مشى قُرَشيَّةً لا شكَّ فيها وأرخى من مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما اخرج هذا منك يا ابا مالك إلا خطَّةٌ في رأسك . قال : أجل ، والله ، يا امير المؤمنين . حين تُجلِسُ عدوَّ اللهِ هذا معك على السرير وهو القائلُ بالأمس :

وقد يَنبُتُ المرعى على دِمَنِ الثرى وتَبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيَ

فقبض عبدُ الملك رجلَه ثم ضرب بها صدرَ زُفَرَ فقَلَبَه عن السرير وقال : أذهَبَ اللهُ حزازاتِ تلك الصدورِ .

فكان زُفَرُ يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلا تلك الساعةَ حين قال الأخطلُ ما قال .

اصبح عبد الملك يوما في غَداةٍ باردةٍ فتمثَّل قولَ الأخطل :

اذا اصطبح الفتى منها ثلاثا بغير الماء حاول أن يَطولا
مَشى قُرَشيَّةً لا شَكَّ فيها وأرخى من مَآزرِه الفُضولا

ثم قال : كأني انظرُ اليه الساعةَ مُجَلَّلَ الإزارِ مُستقبِلَ الشمسِ في حانوتٍ من حوانيتِ دمشقَ . ثم بعث رجلا يَطلبُه فوجده كما ذكره .

قال الاخطل يهجو بني تَيمٍ :

وكنتُ اذا لقيتُ عبيدَ تَيمٍ وتَيماً قلتُ أيُّهمُ العبيدُ
لئيمُ العالمين يسودُ تَيماً وسيِّدُهم وإن كرِهوا مَسودُ

---

(١) شهد معركة صِفين مع معاوية .

طَلَّق أعرابيٌّ امرأتَه فتزوجها الاخطل . وكان الاخطل قد طلَّق امرأته قبل ذلك . فبينا هي معه اذ ذكرت زوجَها الاولَ فتنفست . فقال الاخطل :

كِـلانا على همٍّ يَبيتُ كـأنمــا بجنبَيــهِ من مَسِّ الفِـراش قُروحُ
عــلى زوجِهــا الماضـي تنوحُ وإنـني على زوجتي الأخــرى كذاك أنـوحُ

قال رجل لابي عمروٍ : يا عجبا للاخطل ، نصرانيٌّ كافرٌ يهجو المسلمين . فقال ابو عمروٍ : يا لُكَعُ ، لقد كان الاخطلُ يَجيءُ وعليه جُبَّةُ خزٍّ وحِرزُ خزٍّ ، في عُنُقِه سِلسِلَةُ ذَهبٍ فيها صليبُ ذهبٍ تَنفُضُ لِحيتُه خَمراً حتى يَدخُلَ على عبد الملك بنِ مروانَ بغير إذنٍ .

حدَّثَ سَلَمةُ النُميريُّ أنه حضرهِشاما بنَ عبد الملك وحضر جريرٌ والفرزدقُ والأخطلُ عنده . فأحضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثِّلا :

أُنيخُها ما بدا لي ثم أُرحِلُها

ثم قال : ايُّكم اتمَّ البيتَ كما اريدُ فهي له . فقال جرير :

كأنهــا نِقنِقٌ (١) يَعــدو بصحراءِ

فقال : لم تصنع شيئا . فقال الفرزدق :

كأنها كاسِرٌ بالدَوِّ فَتخــــاءُ (٢)

فقال : لم تُغنِ شيئا . فقال الاخطل :

تُرخي المشافِــرَ واللَّحيـــينِ إرخـــاءَ

فقال : اركَبها ، لا حَمَلَكَ اللهُ .

قال اسحاق ابن عبذ المطَّلِب : قدِمت الشام ، فكنت أطوفُ في كنائسها ومساجدها ، فدخلتُ كنيسةَ دمشقَ ، واذا الأخطلُ فيها محبوسٌ . فجعلت انظرُ اليه . فسأل عني فأُخبِرَ بنسبي . فقال : يا فتى ، إنك لَرجلٌ شريفُ ، وإني اسألُك حاجةً . فقلت : حاجتُك مقضيَّةٌ . قال : ان القسَّ حبسني ها هنا ، فتُكَلِّمُه ليُخَلِّيَ عني . فأتيتُ القسَّ فانتسبت له ، فرحَّب وعظَّمَ . قلت : الاخطل تُخَلِّي عنه . قال : أُعيذُك بالله من هذا . مِثلُك لا يتكلَّمُ فيه . فاسقٌ يشتِمُ اعراضَ الناس ويهجوهم . فلم أزل أطلُبُ اليه حتى مضى معي مُتَّكِئا على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال : يا عدوَّ الله ، أتعودُ تشتِمُ الناس وتَهجوهم وتَقذُفُ المُحصَنات . وهو يقول : لستُ بعائد ولا أفعلُ ، ويستخزي له . فقلت له : يا ابا مالك ، الناس يهابونك ، والخليفةُ يُكرِمُك ، وقدرُك في الناس قدرُك ، وانت تَخضَعُ لهذا هذا الخُضوعَ وتَستخزي له ؟ فجعل يقول : انه الدينُ انه الدين .

وله خبر في هجاء الانصار — راجع النعمان بن بشير ، الجزء السادس عشر .

(١) ذكر النعام وهو الظليم . (٢) الكاسر : الطير الجارح اذا كسر جناحه لينقض . الفتخاء : للينة الجناح . الدو الفلاة الواسعة .

مختارات من ديوانه

يمدح عبد الملك ويهجو قوم جرير .

خف القطين فراحوا منـــك او بكروا — وازعجتهم نوًى في صَرفها غيَـرُ
كأنني شاربٌ يومَ استُبِـدَّ بهـــم — من قَرقفٍ ضُمِّنتها حِمصُ او جَدَرُ
جادت بها من ذوات القـــار مُتْرَعةٌ — كَلفاءُ يَنحتُّ عن خُرطومها المَدَرُ
حَثُّوا المَطيَّ فولَّتنا مناكِبَهـــا — وفي الحدور اذا باغمتَها الصُوَرُ

ويمدح عبد الملك :

الى امرىءٍ لا تُعدِّينـا نوافلُـــه — أظفرَه الله فليُهنِىء له الظَفَـرُ
في نبعةٍ من قريش يَعصِبـون بهـا — ما إن يُوازي بأعلى نبتها الشجـرُ
حُشدٌ على الحق عَيَّافو الخنا أُنُـفٌ — اذا أَلمَّت بهم مكروهةٌ صبَـروا
شُمسُ العداوة حتى يُستقادَ لهـم — وأعظمُ الناس احلاما اذا قَدَروا
همُ الذين يبارون الريـاحَ اذا — قلَّ الطعامُ على العافينَ او قَتَروا
بني اميَّةَ قد ناضلتُ دونكـمُ — ابناءَ قومٍ همُ آوَوا وهم نَصروا
أفحمتُ عنكم بني النجَّارِ قد عَلِمت — عُليا مَعَدٌ وكانوا طالما هَدروا
حتى استكانوا وهم مني على مضضٍ — والقولُ يَنفُذ ما لا تَنفذ الإبرُ
بني اميةَ اني ناصحٌ لكـمُ — فلا يبيتنَّ فيكم آمنا زُفَـرُ
إن الضغينة تلقاها وإن قَدُمَـت — كالعَرِّ يَكمُن حينا ثم ينتشـرُ
اما كليبُ بنُ يربوعٍ فليس لـه — عند التفارُطِ إيرادٌ ولا صَـدَرُ
صُفرُ اللِحى من وَقودِ الأدخِناتِ اذا — ردَّ الرفادَ وكفَّ الحالبَ القِـرَرُ
وأقسَم المجدُ حقا لا يحالفهـم — حتى يحالفَ بطنَ الراحةِ الشَعَـرُ

وقال يهجو جريراً :

أجريرُ إنك والذي تسمـو لـه — كأسيفةٍ فَخرَت بحِدجِ حَصَـانِ
حُمِلت لربَّتها فلما عُولِيـت — نَسَلَت تُعارِضها معَ الأظعـانِ
في دارِمٍ تاجُ الملـوك وصِهـرُها — ايامَ يَربوعٌ مع الرِعيـانِ

متلفّفٌ بعباءةٍ حَبَقيّةٍ بفِناء بيتِ مَذلّةٍ وهَوانِ
سبقوا اباكَ بكل مَجمعِ تَلعةٍ بالمَجد عند مَواقفِ الرُكبانِ
فاخسأ كليبُ اليك ، ان مُجاشِعا وابا الفوارسِ نهشلاً أخَوانِ
قومٌ اذا خطرت عليك قرومُهم طرحوك بين كَلاكِلٍ وجِرانِ
واذا وضعتَ اباكَ في ميزانهم رجحوا وشال أبوك في الميزانِ

وقال :

انّا نعجّل بالعَبيط لضيفنا قبلَ العيال ونقتُل الابطالا
ابني كليبٍ ان عَمّيَّ اللذا قتلا الملوكَ وفكّكا الاغلالا
وأبرنَ قومَكَ يا جريرُ وغيرَهم وأبرنَ من حَلَق الرِبابِ حِلالا
ما إن تَركن من الغواضرِ مُعصِرًا حتّى فَصمن بساقها خَلخالا
ولقد عَطفن على فَزارةَ عَطفَةً كرَّ المنيحِ وجُلن ثَمَّ مَجالا

ويهجو الانصار :

قوم اذا هدر العصيرُ رأيتَهم حُمرًا عيونُهمُ كجمر النارِ
ذهبت قريش بالمكارم والعُلى واللؤمُ تحت عمائمِ الانصارِ
فذَرُوا المعالي لستمُ من أهلها وخذوا مساحيَكم بني النَجّارِ
ان الفوارسَ يعرفون ظهوركم أولادَ كلِّ مقبَّحٍ أكّارِ
واذا نسبتَ ابنَ الفُرَيعةِ (١) خِلتَه كالجحش بين حِمارةٍ وحِمارِ

وقال يصف الخمرة :

فقلت اصبَحوني لا ابا لابيكمُ وما وضعوا الاثقالَ إلا ليفعلوا
أناخوا فجَرُّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودانِ لم يتسربلوا
فصبُّوا عُقارًا في إناءٍ كانّها إذا لمحوها ، جُذوةٌ تتأكّلُ
تمرُّ بها الايدي سنيحا وبارحاً وتُوضَع باللّهُمَّ حيِّ ، وتُحمَلُ
وتوقّف احيانا فيفصل بيننا غِناءُ مغنٍّ او شِواءٌ مُرعبَلُ
فلذّت لمرتاحٍ وطابت لشاربٍ وراجَعَني منها مِراحٌ وأخيَلُ
تدُبُّ دبيباً في العِظام كانه دبيبُ نِمالٍ في نَقىً يتهيَّلُ
فقلت اقتلوها عنكمُ بمزاجها فأَطيِب بها مقتولةً حين تُقتَلُ

(١) حسان بن ثابت

وقال فيها :

كُمِّتَ ثلاثةَ أحوالٍ بطينتها ... حتى اذا صَرَّحت من بعد تهدارِ
ليست بسوداء من مَيثاء مظلمةٍ ... ولم تُعذَّب بإدناءٍ من النارِ
لها رِداءان : نَسجُ العنكبوتِ وقد ... حُفَّت بآخرَ من ليفٍ ومن قارِ
عذراءُ لم يَجتلِ الخُطّابُ بهجتَها ... حتى اجتلاها عِباديٌّ بدينارِ
لما أتَوها بمصباحٍ ومبزَلهم ... سارت اليهم سؤورَ الأبجَلِ الضاري
تَدمى اذا طعنوا فيها بجائفةٍ ... فوقَ الزُجاج ، عتيقٌ غيرُ مُسطارِ

وقال :

شربنا فمتنا ميتةً جاهليةً ... مضى أهلُها لم يَعرِفوا ما محمَّدُ
ثلاثةَ ايامٍ فلما تنبهَت ... حُشاشاتُ أنفاسٍ أتتنا تَردَّدُ
حيينا حياةً لم تكن من قيامةٍ ... علينا ولا حَشرٍ أتاناه موعِدُ
حياةَ مِراضٍ حولَهم بعدَ ما صَحَوا ... من الناس شتّى عاذلون وعُوَّدُ
وقلنا لساقينا ، عليكَ ، فعُد بنا ... الى مثلها بالامس فالعَودُ أحمَدُ
فجاء بها كأنَّما في إنائه ... بها الكوكب المرِّيخ تَصفو وتُزبدُ
تفوح بماءٍ يُشبهُ الطيبَ طَيِّبُه ... اذا ما تعاطت كأسَها من يدٍ يَدُ
تُميت وتحيي بعد موتٍ ، وموتُها ... لذيذٌ ومَحيْاها الذُّ وأمجدُ

وقال في الضيافة :

وفي ليلة لا ينبحُ الكلبُ ضيفَها ... اذا نُبِّهَ المبلودُ فيها تَغمغما
فنبَّهتُ سعداً بعد نوم لطارقٍ ... اتانا ضئيلاً صوتُه حين سَلَّما
فقلت لهم : هاتوا ذخيرة مالكٍ ... وإن كان قد لاقى لبوساً ومطعما
اذا لم تَدُر ألبانُها عن لحومها ... حلبنا لهم منها باسيافنا دما

وقال للعاذلين :

اعاذِلَتَيَّ اليومَ ، ويحكما ، مهلا ... وكُفَّا الاذى عني ولا تُكثِرا عذلا
ذَراني تجُد كفي بمالي فانني ... سأصبح لا اسطيع جُوداً ولا بخلا
وليس بخيل النفس بالمال خالداً ... ولا مِن جوادٍ ، فاعلمي ، ميِّتٍ هَزَلا
وإني لمن عَلياء تغلبَ وائلٍ ... لأطولُها بيتاً وأثبتُها أصلا
وأنيَ ، يوماً . لا مُضيعٌ ذِمارَها ... ولا مُفلِّي هاجٍ هجا تغلباً بُطلا

سائب خاثر

من ساكني المدينة واصلُه من فَيء (١) كِسرى ، وكان منقطعا إلى عبدِ الله بنِ جعفرٍ . وهو اولُ من عَمِل العُودَ بالمدينة وغنّى به .

قَدِمَ رجلٌ فارسيٌّ يُسمى بنشيطٍ ، فغنى فأُعجِب عبدُ الله بنُ جعفرٍ به فقال له سائبٌ : أنا أصنعُ لك مثلَ غِناء هذا الفارسيِّ بالعربية ، فصنع :

لمن الديـــارُ رسومُهـــــا قَفَـــرُ

وهو اولُ صوتٍ غُنِّيَ به في الإسلام من الغناء العربيِّ المُتقَنِ الصَنعةِ . وكان صوتا فَروحا .

كان سائب خاثر ، ويُكنّى ابا جعفر ، موسِرا يَبيعُ الطَعامَ ، يخالطُ سَرَوَاتِ الناسِ واشرافَهم لظَرفه وحَلاوته وحُسنِ صوته .

اشرف معاوية بن ابي سُفيان ليلا على منزِل يزيدَ ابنهِ فسَمِع صوتا أعجبه ، واستخفَّه السِماعُ فاستمع قائما حتى مَلَّ ، ثم دعا بكُرسيٍّ فجلس عليه واشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيَّةَ ليلته حتى ملَّ . فلما اصبح غدا عليه يزيدُ فقال له : يا بني ، مَن كان جليسَك البارحةَ ؟ قال : ايُّ جليسٍ ، يا امير المؤمنين ؟ واستعجم عليه (٢) . قال : عَرِّفني ، فإنه لم يَخفَ علي شيءٌ من امرك . قال: سائب خاثر . قال : فأَخثِر (٣) له يا بني من بِرِّك وصِلتِك ، فما رأيتُ بمجالسته بأسا .

سلامة القس

كانت مولَّدةً من مولَّدات المدينة . واخذت الغناء عن معبدٍ وابنِ عائشةَ وجميلةَ ومالك فمَهَرت . وانما سُمِّيت سَلاَّمةَ القَسِّ لان رجلا يُعرَفُ بعبدِ الرحمنِ من قُرَّاء اهلِ مكةَ ، وكانَ

(١) الفيء : الغنيمة . (٢) استعجم : غمغم دون ان يفصح أو يبين . (٣) أكثر له .

يُلقَّبُ بالقَسِّ لعبادتِه ، شَغَفَ بها وشُهِر فغَلَبَ عليها لقبُه . واشتراها يزيدُ بنُ عبد الملك وعاشت بعده ، وكانت احدى من اتُّهِم به الوليدُ من جواري ابيه حين قال له قَتَلَتُه : نَنقَمُ عليك أنك تَطَأُ جواريَ أبيك .

وفُتِن القسُ بسلاَّمةَ وفيها يقول :

أَهابُــــكِ أن اقـــولَ بـــذَلتُ نفسي ... ولو أني أُطيـعُ القلـبَ قالا

حياءً منــــكِ حتى سُــلَّ جِسمــــي ... وشَقَّ عليَّ كِتمانــــي وطـــالا

وكان سببُ افتتانِه بها أنه سمِع غِناءَ سلاَّمةَ على غيرِ تَعمُّدٍ منه لذلك . فبلغ غناؤها منه كلَّ مبلغٍ . فرآه مولاها : فقال له : هل لك في أن أخرِجَها اليك أوْ تَدخُلَ فتَسمعَ ؟ فأبى . فقال مولاها : أنا أُقعِدُها في موضِعٍ تَسمعُ غِناءَها ولا تراها . فأبى . فلم يزل به حتى دخل ، فأسمعه غناءها فأعجبه . فقال له : هل لك في أن أُخرجَها اليك ؟ فأبى . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه . فتغنت فشُغِف بها وشُغِفت به . فقالت له يوما : انا ، والله ، أُحبُّك . قال : وانا ، والله ، أحبُّكِ . قالت : واحبُّ ان اضع فمي على فمك . قال : وانا ، والله ، احبُّ ذاك . قالت : فما يَمنعُك ؟ والله ، إن الموضعَ لخالٍ . قال : إني سمعت اللهَ ، عزَّ وجَلَّ ، يقول : « الأخِلاَّءُ يومَئِذٍ بعضُهم لبعضٍ عَدُوٌّ إلا المتَّقين . » وانا أكرَهُ ان تكونَ خُلَّةٌ ما بيني وبينَك تؤولُ إلى عداوةِ يومَ القِيامة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُسك ، وقال فيها :

ان التي طَرَقَتــــكَ بيــــنَ رَكائبٍ ... تَمشي بمِزهَرِها [1] وانتَ حَـــرامُ

لتَصيدُ قلبَــــك أو جَــزاءَ مَــودَّةٍ ... إن الرفيقَ له عليك ذِمــــامُ

قد كُنتُ أَعــذُلُ في السَفاهــةِ أهلَها ... فاعجَــب لِما تَأتي بــه الايــامُ

فاليومَ أَعذِرُهم وأَعلَــمُ أنمــــا ... سُبُلُ الضَلالةِ والهُــدى أقسامُ

حدث مُصعبٌ الحِزاميُّ قال :

لما قَدِم عُثمانُ بنُ حَيَّانَ المُرِّيُّ المدينةَ والياً عليها قال له قومٌ من وجوهِ الناس : إنك قد وَلِيتَ على كَثرةٍ من الفساد . فان كنتَ تُريدُ ان تُصلِحَ فطَهِّرها من الغِناء والزنا . فصاح في ذلك وأَجَّل اهلَها ثلاثاً [2] يُخرَجون فيها من المدينة . وكان ابنُ ابي عتيقٍ غائبا ، وكان من اهل الفضل والعَفاف والصَلاح . فلما كان آخرَ ليلةٍ من الاجل قَدِم ، فقال : لا أدخُلُ منزلي حتى أَدخُلَ على سَلاَّمةِ القَسِ . فدخل عليها فقال : ما دخلتُ منزلي حتى جئتُكم أُسَلِّمُ عليكم . قالوا : ما أغفلَك عن أمرِنا ؟ واخبروه الخبَرَ . فقال : اصبِروا عليَّ الليلةَ . فقالوا : نَخاف ألا يُمكِنَك شيءٌ ونُنكَظَ [3] . قال : إن خِفتم شيئا فاخرُجوا في السَحَر . ثم خرج فاستأذن على عثمانَ بنِ حيَّانَ ،

(١) المزهر : آلة من آلات الطرب تطلق على العود حيناً وعلى الدف الكبير حيناً ، والثاني هو الاكثر انطباقاً على الوصف هنا ولا سيما بعبارة « تمشي » التي تصدق على الدف لا العود وعلى الدفاف لا العواد . (٢) اي اهل المدينة من المغنين .
(٣) أنكظه : أعجله عن حاجته .

فأذن له ، فسلّم عليه وذكر له غيبتَه وأنه جاءه ليَقضيَ حقَّه . ثم جزاه خيرا على ما فعل من إخراجِ اهلِ الغناءِ والزنا ، وقال : ارجو ألا تكونَ عَمِلتَ عملا هو خيرٌ لك من ذلك . قال عثمانُ : قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ اصحابُك . فقال : قد أصبتَ . ولكن ما تقول — أمتعَ اللهُ بك — في امرأة كانت هذه صناعتُها وكانت تُكرَهُ على ذلك ثم تركَته وأقبلت على الصلاة والصيامِ والخير ، واتى رسولُها اليك تقول : أتوجّهُ اليك وأعوذُ بك ان تُخرِجَني من جِدارِ رسولِ الله ومسجدِه ؟ قال : فإني أَدَعُها لك ولكلامك . قال ابنُ ابي عتيق : لا يَدَعُك الناسَ . ولكن تأتيك وتَسمعَ من كلامها وتَنظُرُ اليها . فان رأيتَ أن مِثلَها ينبغي أن يُترَكَ تَركتَها . قال : نعم . فجاءه بها وقال لها : اجعلي معك سُبحةً وتَخَشّعي . ففعلت . فلما دخلت على عثمانَ حدّثته ، واذا هي من اعلمِ الناسِ بالناس ، وأُعجِبَ بها . وحَدّثته عن آبائه وامورهم فَفَكِه لذلك . فقال لها ابن ابي عتيق : إقرَئي للامير . فقرأت له . وقال لها : إحدي له . ففعلت . فكَثُرَ تعجبُه . وقال : لو سمِعتَها في صِناعتها . فلم يزل يُنزِلُه شيئاً شيئاً حتى أمرَها بالغناء . فقال لها ابن ابي عتيق : غنّي . فغنّت :

سَدَدنَ خَصاصَ الخَيمِ لما دخلنَه بكُلِّ لَبانٍ واضحٍ وجَبينِ[1]

فقام عثمانُ من مجلسه فقعد بينَ يديها ثم قال : لا ، واللهِ ، ما مِثلُ هذه تُخرَجُ ! قال ابن ابي عتيق : لا يَدَعُك الناس . يقولون : أقرَّ سلاّمةَ وأخرجَ غيرَها . قال : فدعوهم جميعاً . فتركوهم جميعاً .

قال يزيد بن عبد الملك: ما يُقِرُّ عيني ما أُتيتُ من أمرِ الخلافةِ حتى اشتريَ سَلاّمةَ وحَبابةَ . فلما اجتَمعَتا عنده قال : انا الانَ كما قال الشاعرَ :

فألقت عصاها واستقرَّ بهـا النَّوى كما قَرَّعينـاً بالإيابِ المُسافـرُ

لما قَدِمَ يزيدُ بن عَبدِ الملك واراد شِراء سلاّمةِ القسِّ وعُرِضَت عليه أمرَها ان تغنّيَه . فكان اولَ صوت غنّته :

ان التي طرقتـك بيـنَ ركائبٍ تمشي بمِـزهَرِهـا وأنت حَرام

فاستحسنه يزيدُ فاشتراها .

قال النوفلي : قدِمتُ في جَماعةٍ من قريشٍ على يزيدَ بنِ عبدِ الملك فألفيناه في عِلّته التي مات فيها بعدَ وفاة حَبابَة . فنزَلنا منزِلا لاصقا بقصرِ يزيد . فكنا اذا أصبحنا بعثنا بمولىً لنا يأتينا بخبره ، فكان يَثقُلُ في كلِ يوم . فإنّا لفي منزِلنا ليلةً اذ سمعنا هَمسا من بُكاء ثم يتَزيدُ ذلك ، ثم سمعنا صوتَ سلاّمةَ القسِّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوحُ وتقول :

قد لعمـري بِتُّ ليـلي كأخي الـداءِ الوجيـعِ

(١) خصاص : خروق . لبان : صدر .

ونجِيُّ الهمِّ منّي بات ادنى من ضجيعي
كلّما ابصرتُ رَبعا خاليا فاضت دموعي
لا تلُمنا إن خشَعنا أو همَمنا بخشوعِ

– الشعر للأحوص – ثم صاحت : وا أميرَ المؤمنين . فعلِمنا وفاتَه . ثم ندبَته بمَرثيةٍ ما سمعَ السامعون بشيء أحسنَ ولا أشجى ، ولقد أبكت العيون واحرقت القلوب وهي :

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ بالشام في طرَفِ الكثيبِ
لما سمعتُ أنينه وبُكاءه عندَ المغيبِ
اقبلتُ اطلُبُ طبَّه والداءُ يُعضِلُ بالطبيبِ

– الشعر لمسكين العُذريِّ يرثي به أباه –

العباس بن الاحنف

كان شاعرا غزِلاً ظريفا مطبوعا من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهبٌ حسَنٌ ، ولديباجةِ شعرِه رَونقٌ ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطفٌ . ولم يكن يتجاوزُ الغزَلَ الى مديحٍ ولا هجاءٍ ولم يكن من الخُلَعاء . وكان ظاهرَ النعمةِ شديدَ الترَفِ . وكان من عرب خُراسانَ ومَنشؤه بغدادَ . من غزله :

لو كنتِ عاتبةً لسكّنَ روعتي أملي رِضاكِ وزُرتُ غيرَ مُراقَبِ
لكن مَلِلتِ فلم تكن لي حيلةٌ صَدُّ الملولِ خِلافُ صَدِّ العاتبِ

حُكي عن الاصمعي انه أُنشِدَ للعباسِ بنِ الاحنفِ :

أتأذنون لصَبٍّ في زيارتِكم فعندَكم شهَواتُ السمعِ والبَصَرِ
لا يُضمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضميرِ ولكن فاسِقُ النظَرِ

فقال الاصمعي : ما زال هذا الفتى يُدخِلُ يدَه في جِرابه فلا يُخرِجُ شيئا ، حتى أدخلَها فأخرج هذا ، ومَن أدمَنَ طلَبَ شيءٍ ظَفِرَ ببعضِه .

ومن جيدِ شعره :

واللهِ لو أن القلوبَ كقلبها ما رقَّ للولد الضعيفِ الوالدُ

* * *

حتى اذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوى جاءت أمورٌ لا تُطاقُ كِبارُ

* * *

قد حَسَّنَ اللهُ في عينيَّ ما صَنعَت حتى أرى حَسَناً ما ليس بالحَسَنِ

تَعتَلُّ بالشُغلِ عنا ما تُكلِّمُنا والشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جرى بينهما عتبٌ : ان كنت تَستطيلُ بعزِّ الخلافةِ فانا أُدِلُّ بعزِّ الحُبِّ . أتُراك لم تسمع بخليفة عَشِق قبلَك قطُ فاستوفى من معشوقِه حقَه . ولكني لا ارى لي نظيرا في طاعتك . فقال الواثق : لله درُّ ابنِ الاحنفِ حيث يقول :

اما تَحسَبُني أرى العاشقينَ بلى ، ثم لستُ ارى لي نظيرا

لعلَّ الذي بيديه الامورُ سيجعلُ في الكُرهِ خيرًا كثيرا

وقال يصف طولَ عهده بالنوم :

قِفا خبِّراني ايُّها الرجلانِ عن النوم إن الهجرَ عنهُ نَهاني

وكيف يكون النومُ ام كيف طعمُه صِفا النومَ لي ان كنتما تَصِفانِ

وقال :

الحبُّ أملكُ للفؤاد بقهرِه من أن يُرى للسِّترِ فيه نصيبُ

واذا بدا سرُّ اللبيبِ فإنه لم يَبدُ الا والفتى مغلوبُ

قال ابو العتاهية : ما حسدت احدا الا العباسَ بنَ الاحنفِ في قوله :

اذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْه على قُربٍ فذاك هو البعيدُ

وقال :

قلبي الى ما ضَرَّني داعي يُكثِرُ أسقامي وأوجاعي

كيف احتِراسي من عدوِّي اذا كان عدوِّي بينَ أضلاعي

وقال :

أبكي الذين أذاقوني مَودَّتَهم حتى اذا أيقظوني للهوى ناموا

ومن جيد غزله :

نام مَن أهــدى ليَ الأرَقــا مستريحا زادني قَلَقــا
لو يَبيتُ النــاسُ كلُّهــمُ بسُهادي بيَّضَ الحدَقــا
كان لي قلبٌ أعيــشُ بــه فاصطلى بالحُــبِّ فاحترقــا
أنا لم أُرزَق مودَّتَــكــم انمــا للعبد ما رُزِقــا

وقوله :

تَحمَّل عظيمَ الذَّنبِ ممــن تُحبُّه وإن كنتَ مظلوما فقُل انا ظالــمُ
فإنك إلاَّ تَغفرِ الذنبَ في الهــوى يُفارِقك مَن تهوى وانفُك راغــمُ

وقوله :

نَزَفَ البُكاءُ دموعَ عينِك فاستعِــر عيناً لغيرك دمعُهــا مِدرارُ
مَن ذا يُعيرُك عينَه تَبكــي بهــا أرأيتَ عيناً للبُكاء تُعــارُ
الحبُّ اولُ ما يكون لَجاجــةٌ تَأتي به وتَسوقُــه الاقــدارُ
حتى اذا سلكَ الفتى لُججَ الهــوى جاءت امورٌ لا تُطاقُ كِبــارُ

وقال في فوز ، جارية كان يَتعشَّقُها ، وقد بلغه أنها مالت الى بعضِ الجند :

يا فوزُ لم اهجركُــمُ لمَلالــةٍ مني ولا لمَقالِ واشٍ حــاسدِ
لكنني جرَّبتُكــم فوجدتُكــم لا تَصبِرون على طَعامٍ واحــدِ

وقيل : سرقها من ابي نواس حيث يقول :

ومُظهِرَةٍ لخَلــقِ اللــهِ وُدًّا وتُلقى بالتحيَّــةِ والســلامِ
اتيتُ فؤادَهــا أشكــو إليــه فلم أخلُص اليه منَ الزِّحــامِ

غضب الرشيد على ام جعفرٍ ثم ترضَّاها فأبت ان ترضى عنه ، فأَرِقَ ليلةً ، ثم قال : افرُشوا لي على دجلةَ ، ففعلوا . فقعد يَنظُر الى الماء وقد زاد زيادةً عجيبة ، فسمع غناءَ هذا الشعرِ :

جرى السيلُ فاستبكانيَ السيــلُ اذ جرى وفاضت له من مُقلَتَيَّ غُــروبُ
وما ذاك الا حينَ خُبِّــرتُ أنــه يَمُرُّ بوادٍ انتَ منه قريــبُ
يكونُ أجاجاً دونَكم فاذا انتهــى اليكم تَلقَّى طيبَكم فيَطيــبُ
فيا ساكِني شرقيَّ دجلــةَ كلُّكــم الى القلب من اجلِ الحبيبِ حبيــبُ

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء فقيل : دار ابن المُسيَّبِ فبعث اليه : أنِ ابعَث بالمغني . فاذا

هو الزُبير بنُ دَحمانَ . فسأله عن الشعر ، فقال : هو للعبّاس بن الاحنف . فأُحضِر واستنشده . فأنشدَه والزبيرُ يغنيه ، يستعيدُهما حتى أصبح ، وقام فدخل الى ام ِ جعفرٍ . فسألت عن سبب دخوله فعرَّفتـه . فوجَّهت الى العبّاسِ بالف دينارٍ والى الزبيرِ بألف دينار .

ـ ج ٥ ص ٢٥٤ ـ مات ابراهيم المَوصليُّ ومات في ذلك اليوم ِ الكِسائيُّ النَحَويُّ والعبّاسُ بنُ الاحنف . فرُفِـع ذلك الى الرشيد ، فأمر المأمونَ ان يُصلّيَ عليهم . فخرج فصُفُّوا بين يديه . فقال : مَن هذا الاول ؟ قيل : ابراهيم . فقال : أخِّروه وقَدِّموا العبّاسَ بنَ الاحنف . فقُدِّمَ ، فصلّى عليهم . فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشمُ بنُ عبدِ الله الخُزاعيُّ فقال : يا سيدي ، كيف آثرتَ العباسَ بالتقدمة على من حضر ؟ قال : لقوله :

لما رأيت الليـلَ سدَّ طريقَـه ... عني وعذبني الظَـلامُ الراكـدُ
والنجمُ في كبِـدِ السماءِ كأنـه ... أعمى تحيَّر ما لديه قائـدُ
ناديتُ مَن طردَ الرُقـادَ بصَـدِّه ... عما أعالِجُ وهو خِلوٌ هاجـدُ
ياذا الذي صدع الفـؤادَ بهجـره ... انت البَـلاءُ طريفُه والتالـدُ
ألقيتَ بين جفونِ عيني حُرقـةً ... فالى متى انا ساهرٌ يا راقـدُ

كُثيِّر

هو كُثَيِّرُ بنُ عبدِ الرحمن بن ابي جُمعة ، وكُنيتُه ابو صخر ، وهو من فحول شعراء الاسلام . وكان غاليا في التشيُّع ، ويقول بالرجعة والتناسخ . وكان مُحَمَّقا مشهورا بذلك . وكان مِن أتْيَهِ الناسِ وأذهبِهم بنفسِه على كل أحد .

قال احدهم : اني لَأروي لكثيِّرٍ ثلاثين قصيدةً لو رُقِيَ بها مجنونٌ لَأفاق .

قال الوقّاص : رأيت كُثَيِّرًا يطوف بالبيت ، فمَن حدَّثكَ انه يَزيدُ على ثلاثةِ أشبارٍ ، فكَذِّبه .

وكان اذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول له : طأطِىء رأسَك لا يُصِبه السقفُ .

قال جرير لكثيِّر : ايُّ رجلٍ انت لولا دَمامتُك . فقال كثير :

وإن أكُ قَصْداً (١) في الرجال فإنني اذا حلَّ امرٌ ساحتي لَطويلُ

كان الحزينُ (٢) الكناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر ، منهم ابنُ ابي عتيقٍ . فجاء لأخذ درهميه ، على حمار له أعجفَ (٣) ، وكُثَيِّرٌ مع ابن ابي عتيق ، فدعا للحزين بدرهمين . فقال الحزين لابن ابي عتيق : مَن هذا معك ؟ قال – هذا ابو صخرٍ كُثَيِّرُ بنُ ابي جُمعةَ . فقال له : أتأذَنُ لي أن أهجُوَه ببيتِ شعر ؟ قال : لا ، لعمري لا آذَنُ لك ان تهجوَ جليسي ، ولكني اشتري عِرضَه منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما .

فأخذهما ثم قال : لا بُدَّ من هِجائه ببيت . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين . ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : ما انا بتاركه حتى أهجوَه . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين . فقال له كُثيِّر : إيذَن له ، ما عسى ان يقولَ في بيت ! فأذِن له فقال :

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيتِه يَعَضُّ القُرادُ باستِه وهو قائمُ

فوثب كُثيِّر فلكزه ، فسقط هو والحمارُ ، وخلَّص ابنُ ابي عتيق بينهما ، وقال لكُثيِّر :

قَبَّحك الله . أتأذَن له وتَسفَهُ عليه . فقال كثير : أوَ أنا ظننتُه أن يَبلُغَ بي هذا كلَّه في بيت واحد .

كان كُثَيِّرٌ يتشيع تشيُّعا قبيحا ، يَزعَم أن محمدَ بنَ الحنفيَّةِ لم يمت وقد قال فيه :

ألا إنَّ الأئمةَ من قريشٍ وُلاةَ الحقِ اربعةٌ سَواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بنيهِ هُمُ الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ
فسِبطٌ سبطُ إيمانٍ وبِرٍّ وسبطٌ غَيَّبَته كَربَلاءُ
وسِبطٌ لا تراه العينُ حتى يَقودَ الخيلَ يَقدُمُها اللِواءُ
تَغيَّبَ لا يُرى عنهم زمانا برَضوى عندَه عَسلٌ وماءُ

دخل عبدُ الله بنُ حسنٍ على كُثيِّر يعودُه في مرضه الذي مات فيه . فقال له كثير : أبشِر ، فكأنك بي بعدَ اربعين ليلةً قد طَلعتُ على فرس عتيق . فقال له عبدُ الله : مالَك ، عليك لعنةُ الله ! فوالله لئن مُتَّ لا أشهَدُك .

دخل كُثيِّرٌ على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فسأله عن شيء فأخبره به ، فقال : وحقِّ عليِّ بنِ ابي طالب ؟ قال كُثيِّرٌ : لو سألتني بحقِّك لَصَدقتُك . قال : لا أسألك الا بحقِّ ابي تُرابٍ (٤) . فحلف له به فرضي .

---

(١) الرَّبعة من الرجال . (٢) راجع ترجمته في الجزء ١٥ . (٣) أعجف : مهزول ، ضعيف .
(٤) ابو تراب لقب علي لقبه به النبي وذلك أن عليا دخل على فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد . فقال النبي : اين ابن عمك ؟ قالت : في المسجد . فخرج اليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب الى ظهره . فجعل يمسح التراب عنه ويقول له : اجلس يا أبا تراب .

لما اراد عبد الملك الخروجَ الى مُصعَبٍ لاذت به عاتكةُ بنتُ يزيدَ بنِ معاويةَ وهي امُّ ابنه يزيدَ وقالت : يا امير المؤمنين ، لاتخرج السنةَ لحربِ مُصعَبٍ ، وابعث اليه الجيوش . وبكت وبكى جواريها معها . فقال : قاتل اللهُ ابنَ ابي جُمعةَ ، فأين قولُه :

اذا ما اراد الغزوَ لم تَثنِ همَّــــه حَصانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزِينُهـــا

نَهته فلما لم ترَ النهيَ عاقَــــه بكت فبكى مما شجاها قطينُهـــا (١)

واللهِ لكأنه يراني ويراك يا عاتكةُ . ثم خرج .

ونظر الى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مُطرِقا ، فدعا به وقال : لأعلمُ ما أسكتَك وألقى عليك بثَّك (٢) . فإن اخبرتُك عنه أتَصدُقني ؟ قال : نعم ! قال : تقول : رجلان من قريش يلقى احدُهما صاحبَه فيحاربُه ، القاتلُ والمقتولُ في النار . فما معنى سيرى مع احدهما الى الآخر ، ولا آمَن سهما عائرًا (٣) لعلَّه أن يُصيبَني فيقتلَني فأكونُ معهما . قال : والله ، يا اميرَ المؤمنين ، ما اخطأتَ . قال : فارجِع من قريب . وامر له بجائزة .

قال حَفص الأموي : كنت اختلف (٤) الى كثيِّر اتروَّى شعرَه . فوالله ، إني لعنده يوما اذ وقف عليه واقفٌ فقال : قُتِل آلُ المُهلَّبِ بالعَقر (٥) . فقال : ضحَّى آلُ ابي سُفيانَ بالدِّين يوم الطَفِّ (٦) ، وضحَّى بنو مروانَ بالكرَم يوم العَقرِ . ثم انتضحت عيناه باكيا .

كان كُثيِّر عاقًّا لابيه ، وكان ابوه قد أصابته قَرحَةٌ في إصبَعٍ من أصابعِ يده . فقال له كُثيِّر : أتَدري لِمَ أصابتك هذه القَرحةُ في إصبَعك ؟ قال : لا ادري . قال : مما تَرفعُها الى الله في يمينٍ كاذبة.

ونُسبَ كُثيِّرٌ الى عَزَّةَ الضَمريةِ وعُرِف بها فقيل : كُثيِّرُ عَزَّةَ ، لكثرة تشبيبه بها . وكان اولُ عشقِ كثيرٍ عَزَّةَ ، أنه مرَّ بنِسوة من بني ضَمرةَ ومعه جلَبُ غنمٍ فأرسلن اليه عَزَّةَ وهي صغيرة ، فقالت : يَقلُن لك النسوةُ : بِعنا كَبشا من هذه الغنمِ وأنسِئنا (٧) بثمنه الى ان تَرجِعَ . فأعطاها ، وأعجبته . فلما رجَعَ جاءته امرأة منهن بدراهمه ، فقال : واين الصبيَّةُ التي اخذت مني الكَبشَ ؟ قالت : وما تصنع بها ؟ هذه دراهمُك . قال : لا آخُذُ دراهمي الا ممن دفعتُ الكبشَ اليها ، وخرج وهو يقول :

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّـــى غريمَه وعَزَّةُ ممطولٌ مُعَنًّى غريمُهـــا

وقال فيها ، وهي من جيِّد شعره :

نظرتُ اليها نَظرةً وهي عاتِـــقٌ (٨) على حينِ أن شَبَّت وبان نُهودُها

---

(١) القطين : الخدم والحشم . (٢) بثك : أساك وحزنك . (٣) عائر : لا يدري راميه ، والطائش .
(٤) اتردد . (٥) هو عقر بابل قرب كربلاء قتل عنده يزيد بن المهلب بن ابي صفرة ، وكان خلع طاعة بني مروان ودعا الى نفسه واطاعه اهل البصرة والأهواز وواسط وخرج في مئة وعشرين الفا . فندب له يزيد بن عبد الملك اخاه مسلمة فوافقه بالعقر فأجلت الحرب عن قتله . (٦) ارض من ضاحية الكوفة فيها كان مقتل الحسين . (٧) اجعل الدفع مؤجلا . (٨) الجارية اول ما تدرك .

مِنَ الخَفِراتِ البيضِ وَدَّ جليسُها ... اذا ما انقضت أُحدوثةٌ لو تُعيدُها

لقد هجرَت سُعدى وطال صُدودُها ... وعاود عيني دمعُها وسُهودُها

وكنتُ اذا ما زُرتُ سُعدى بأرضها ... ارى الارضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها

منعَّمةٌ لم تلقَ بؤسَ معيشةٍ ... هي الخُلدُ في الدنيا لمن يَستفيدُها

هي الخلدُ ما دامت لأهلِكَ جارةً ... وهل دام في الدنيا لنفسٍ خُلودُها

فتلك التي أصفيتُها بمودَّتي ... وليدًا ولما يَستبِن لي نُهودُها

وقد قتلَت نفسًا بغير جريرةٍ ... وليس لها عقلٌ[1] ولا مَن يُقيدُها

فكيف يَودُّ القلبُ مَن لا يَودُّه ... بَلى قد تُريد النفسُ مَن لا يريدُها

اذا ذكَّرتها النفسُ جُنَّت بذكرها ... وريعت وحنَّت واستُخِفَّ جَليدُها[2]

فلم تُبدِ لي يأسًا ففي اليأسِ راحةٌ ... ولم تُبدِ لي جُودًا فينفعَ جودُها

ثم أحبتّه عَزَّةُ بعد ذاك اشدَّ من حبه اياها .

قالت الاسلمية : سارت علينا عَزَّةُ في جماعة من قومها فسمعنا بها . فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر[3] انا فيهنَّ ، فجئناها فرأينا امرأةً حُلوةً حُمَيراءَ نظيفةً . فتضاءلنا لها[4] ، ومعها نِسوةٌ كلُّهن لها عليهن فضلٌ من الجَمال والخَلْق ، الى ان تحدَّثَت ساعةً فاذا هي ابرعُ الناسِ واحلاهم حديثا ، فما فارقناها الا ولها علينا الفضلُ في أعيننا .

سأل عبدُ الملك كُثَيِّرا عن أعجبِ خبرٍ له مع عَزَّةَ فقال :

حججتُ سنةً من السنين وحجَّ زوجُ عَزَّةَ بها ، ولم يعلم احدٌ منا بصاحبه . فلما كنا ببعض الطريق أمَرها زوجُها بابتياع سمنٍ تُصلِحُ به طَعاما لأهل رُفقَته[5]. فجعلت تدورُ الخيامَ خيمةً خيمةً حتى دخلت الي وهي لا تعلَمُ أنها خيمتي ، وكنت أبري سهما لي . فلما رأيتها جعلتُ أبري وانا أنظُرُ اليها ولا أَعلَمُ حتى بريتُ عِظامي مرَّاتٍ ولا أشعُر به والدمُ يجري . فلما تبيَّنَتْ ذلك دخلَتِ الي فأمسكَتْ يدي وجعلت تَمسَحُ الدمَ عنها بثوبها . وكان عندي نِحيٌ[6] من سمن ، فحلفتُ لتَأخُذَنَّه . فأخذته وجاءت الى زوجها بالسمن . فلما رأى الدمَ سألها عن خبره ، فكاتمته ، حتى حلف لتَصدُقَنَّه . فضربها وحلف لتَشتُمَنِّي في وجهي . فوقفت علي وهو معها فقالت : يا ابنَ الزانية ، وهي تبكي ! ثم انصرفا . فذلك حين اقول :

---

(١) عقل : دية .. يقيدها : يحملها على اعطاء الدية والقود . (٢) جليد : قوي صبور على المكاره . (٣) الحي .
(٤) تضاءل : تصاغر وبدا ضئيلا . (٥) رفقة : بالضم فقط ، الصحبة ؛ ومثلثة الاول بمعنى الصحاب وليس هو المقصود هنا بل الاول ليصح التركيب الاضافي « لاهل رفقته » . (٦) زق للسمن ومثله من الموائع .

خليليَّ هذا رَبعُ عَزَّةَ فاعقِلا قَلوصَيكُما ثم ابكيا حيثُ حلَّتِ
وما كنتُ ادري قبلَ عَزَّةَ ما البُكا ولا مُوجِعاتِ القلبِ حتى تَوَلَّتِ
يُكلِّفُها الخنزيرُ شَتمي ومَا بها هَواني ولكن للمليك استذلَّتِ

قالت عَزَّةُ لبُثَينةَ : تَصدَّي لكُثيِّرٍ وأطمِعيه في نفسك حتى أسمَعَ ما يُجيبُك به . فأقبلَت اليه وعَزَّةُ تمشي وراءَها مختفيةً . فعرضت عليه الوصلَ ، فقاربَها ثم قال :

رمتني على عَمدٍ بثينةُ بعد ما تولَّى شبابي وارجحنَّ[١] شبابُها

فكشفت عَزَّةُ عن وجهها ، فبادرها الكلامَ :

ولكنما تَرمِين نفسا مريضةً لَعزَّةَ منها صَفوُها ولُبابُها

فضحِكت ثم قالت : أولى لك بها[٢] ، قد نجوتَ . وانصرَفَتا تتضاحكان .

ج ١٢ ص ١١٤ — قدِم عُمَرُ بنُ ابي ربيعةَ المدينةَ ، ثم خرج الى مكةَ فخرج معه الاحوصُ واعتمرا . قال سائبٌ راويةُ كثيرٍ : لما مرَّا بالرَّوحاء استتلياني[٣] فخرجت أتلوهما حتى لحِقتُهما بالعَرج . فخرجنا جميعا حتى وردنا وَدَّانَ ، فحبسهما النُصَيبُ وذبح لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا النصيب . فلما جئنا كُلَيَّةَ[٤] عَدَلنا جميعا الى منزل كثيِّرٍ . فقيل لنا : هبط قُدَيدًا[٥] ، فذُكِر لنا أنه في خيمة من خيامها . فقال لي ابن ابي ربيعة . اذهبْ فادعُه لي . فقال النُصَيبُ : هو احمقُ وأشدُّ كِبرا من ان يأتيَك . فقال لي عمر : اذهب كما اقول فادعُه لي . فجئته ، فهشَّ لي وقال : « أذكُر غائبا تَرَهُ » ، لقد جئتَ وانا اذكُرك . فأبلغتُه رسالةَ عمرَ ، فحدَّد الي نظرة وقال : قل لابن ابي ربيعةَ : إن كنتَ قُرَشيًّا فأنا قرشيٌّ . وان كنت شاعرا فأنا أشعَرُ منك . فرجعت الى عمر فقال : ما وراءَك ؟ فقلت : ما قال لك نُصَيب . فضحِك صاحباه ظهرًا لبطن . ثم نهضوا معي اليه فدخلنا عليه في خيمة . فوجدناه جالسا على جِلد كَبشٍ ، فواللهِ ما أوسعَ للقرشي . فلما تحدثوا مليًّا فأفاضوا في ذكر الشعر ، أقبل على عمرَ فقال له : انت تنعت المرأةَ فتنسِبُ بها ثم تَدَعُها وتنسب بنفسك . أخبرني يا هذا عن قولك :

قالت تصدَّي له ليَعرِفَنا ثم اغمِزيه يا أُختُ في خَفَرِ
قالت لها قد غَمَزتُه فأبى ثم اسبطرَّت تشتدُّ في أثري[٦]
وقولُها والدموعُ تَسبقُها لَنُفسِدَنَّ الطَوافَ في عمرِ

أتُراك لو وصفتَ بهذا هِرَّةَ اهلِك ألم تكن قد قَبَّحت وأسأتَ وقُلتَ الهُجرَ[٧] . انما تُوصَف الحُرَّةُ بالحَياء والإباء والإلتواء والبُخل والامتناع ، كما قال هذا ، واشار الى الاحوص :

---

(١) اهتز نضارة وحسنا . (٢) اولى لك : كلمة تحذير اي : قاربك ما تخشاه فتنبه . (٣) طلبا الي ان أتبعهما.
(٤) قرية بين مكة والمدينة . (٥) قرب مكة . (٦) اسبطر : اسرع . (٧) القبيح من الكلام .

أدور ولولا أَن ارى امَّ جعفــــــرٍ بأبياتكم ما دُرت حيثُ ادورُ
وما كنت زَوّارًا ولكِنَّ ذا الهـــوى اذا لم يَزُر لا بُدَّ أن سيزورُ
لقد مَنعت معروفَها امُّ جعفــــــرٍ وإني الى معروفهــــا لفقيـــرُ

فدخلَت الاحوصَ أُبَّهةٌ وعُرِفَت الخُيلاءُ فيه . فلما استبانَ كُثَيِّرٌ ذلك فيه قال له : أبطَل آخرُك أولَك . أخبرني عن قولك :

فإن تَصِلي أَصِلكِ وإن تَبيني بصَرمِكِ بعدَ وصلِكِ لا أُبالي

اما ، والله ، لو كنتَ فحلا لَباليتَ ، ولو كَسَرت أنفَك . ألا قُلتَ كما قال هذا الاسودُ ، واشار الى نُصَيبٍ :

بزينبَ ألمِم قبلَ أن يَرحَلَ الرَّكبُ وقل إن تَمَلّينا فما مَلَّكِ القلبُ

فانكسر الاحوص ، ودخلت النصيبَ أُبَّهَةٌ . فلما نظر أنَّ الكبرياءَ قد دخلته . قال له : يا ابنَ السوداء فاخبرني عن قولك :

أَهيمُ بدعدٍ ما حَييتُ فإن أَمُـــت فوا كَبِدي مَن ذا يَهيمُ بها بعدي

أَهمَّك مَن « يَغشاها » بعدَك ! فلما أمسكَ كُثَيِّرٌ أقبلَ عليه عُمرُ فقال له : قد انصتنا لك فاسمَع يا مذبوبُ[١] إليَّ : أخبرني عن تَخَيُّرِك لنفسك وتخيُّرك لمن تُحبُّ حيث تقول :

الا ليتَنا يا عَزُّ كنا لذي غِنــــىً بعيرَين نَرعى في الخَلاء ونَعزُبُ[٢]
كِلانا به عَرٌّ[٣] فمن يَرَنا يَقُـــل على حُسنِها جَرباءُ تُعدي وأجرَبُ
اذا ما وَرَدنا منهلا صاح اهلُـــه علينا فما نَنفكُّ نُرمَى ونُضرَبُ
وَدِدتُ ، وبيتِ الله ، أنكِ بَكــرَةٌ هِجانٌ[٤] وأني مُصعَبٌ[٥] ثم نَهرُبُ
نَكون بعيرَي ذي غِـــنى فيُضيعُنا فلا هو يَرعانا ولا نحن نُطلَـــبُ

وقال : تمنَّيتَ لها ولنفسك الرقَّ والجَرَبَ والرميَ والطردَ والمَسخَ . فأيَّ مكروهٍ لم تَمَنَّ[٦] لها ولنفسك . فجعل يَختلجُ[٧] جسدُه كله . ثم اقبل عليه الاحوصُ فقال : الي ، يا ابنَ استِها ، أُخبِركَ بخَبَرِك وتَعَرُّضِك للشَّرِّ وعجزك عنه . أخبرني عن قولك :

وقُلنَ – وقد يَكذِبن – فيكَ تَعَيُّفٌ وشُؤمٌ اذا ما لم تُطَع صاحَ ناعِقُهْ
وأعييتَنا لا راضيــــا بكرامـــةٍ ولا تاركًا شكوى الذي انت صادِقُهْ
فأدركتَ صفوَ الوُدِّ منـــا فلُمتَنـــا وليس لنا ذَنبٌ فنحن مَواذِقُهْ[٨]

---

(١) مجنون . والمذبوب : الذي كثر عليه الذباب . (٢) نبعد ونختفي . (٣) جرب . (٤) ناقة بيضاء . مصعب : الجمل الفحل . (٦) لم تمن : أصله تتمنى . (٧) يضطرب . (٨) جمع ماذقة : يقال مذق الود ، اذا لم يخلصه

والله لو احتفلَ (١) عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤتَ (٢) به على نفسك . فخفق كما يخفق الطائر . ثم أقبل عليه النُصَيبُ فقال : أقبِل علي يا « ذكَرَ » الذُباب . فقد تمنيتَ معرفةَ غائبٍ ، عندي علمُه فيك ، حيث تقول :

وددتُ – وما تُغني الوَدادةُ – أنَّني ... بما في ضمير الحاجبيَّة (٣) عالِمُ
فإن كان خيرا سَرَّني وعلمتُه ... وإن كان شرًّا لم تَلُمني اللوائمُ

أُنظرُ في مرآتك واعرف صورةَ وجهك تعرف ما عندَ الحاجبيَّةِ لك . فاضطرب اضطرابَ العُصفورِ . وقام القومُ يضحكون . وجلستُ عنده . فلما هدأ شَأْوُه (٤) قال لي : أرضَيتُكَ فيهم ؟ فقلت له : أمَّا في نفسك فنعم . فقد نَحُس يومُك معَهم وقد بقيتُ انا عليك . فما عُذرُك – ولا عُذرَ لك – في قولك :

سقى دِمنتين لم نَجِد لهما أهلا ... بحقلٍ لكم يا عَزُّ قد رابَنا حَقلا
نَجاءُ الثريَّا كلَّ آخرِ ليلةٍ ... يُجودُهما جُودا ويَتبَعُه وَبلا

ثم قلت في آخرها :

وما حَسِبَت ضَمريَّةٌ حَدَريَّةٌ ... سوى التيسِ ذي القرنينِ أنَّ لها بَعلا

أهكذا يقول الناس ، ويحك ! ثم تَظُنُّ أن ذلك قد خَفِي ولم يَعلم به احدٌ ، فتَسُبُّ الرجالَ وتَعيبُهم ! فقال : وما انت وهذا ؟ وما علمُك بمعنى ما اردتُ ؟ فقلت : هذا أعجبُ من ذلك . أتذكُر امرأةً تَنسِبُ بها في شعرِك وتَستَغزِرُ لها الغيثَ في اول شعرِك ، وتَحمِل عليها التيسَ في آخره ! فأطرقَ وذلَّ وسكن .

– ج ١٢ ص ١٧٧ – لما قُتِل خَندَقٌ الأسديُّ وهو الذي ادخل كُثيِّرًا في مذهب الخشبية (٥) – رثاه كُثيِّر فقال :

أغاضرُ لو شهِدتِ غَداةَ بِنتُم ... حُنُوَّ العائداتِ على وِسادي
وغاضرةُ الغَداةَ وإن نَأتنا ... واصبح دونَها قَطرُ البِلادِ
أَحَبُّ ظعينةٍ وبناتُ نفسي ... اليها لو بَلَلنَ بها صَوادي (٦)

ثم يقول :

فلا تَبعَد فكل فتىً سيأتي ... عليه الموتُ يَطرقُ او يُغادي

(١) احتفل : جمع ما يخطر بالبال وما لا يخطر . (٢) بؤت : اعترفت واحتملت . (٣) أمرأة يهواها .
(٤) الشأو : الشوط والطلق . وهو يعني ما عراه من الاضطراب في الشأو الذي جرى بينه وبينهم . (٥) الخشبية : فرقة اختلف كثيراً في تعيين انتسابها المذهبي ، فقيل من الجهمية ، وقيل من الزيدية ، الى أقوال أخرى . والمحقق أنها تندرج في عداد الكيسانية القائلة بامامة محمد بن الحنفية ، والبداء والتناسخ والرجعة الخ . والتسمية ترجع في قول الى انهم قاتلوا بالاخشاب وفي قول الى انهم حملوا خشبة صُلب عليها بعض شهدائهم وقتلاهم . (٦) جمع صادية : عطشى .

وكُلُّ ذخيرةٍ لا بُـــدَّ يومـــا ولو بَقِيت تَصيرُ الى نَفـــادِ
يَعِزُّ علي أن نغـــدو جميعـــا وتُصبحَ ثاويا رَهناً بـــوادِ
فلو فُوديتَ مِن حَدَثِ المنايـــا وَقَيتُكَ بالطريـــفِ وبالتِـــلادِ(١)

– ج ١٢ ص ١٨٣ – قال السائبُ راويةُ كُثيِّر :

والله إني لأسيرُ يوما مع كثيِّر ، حتى اذا كنا ببطن جِدارٍ (جبل من المدينة على اميال) اذ انا بامرأة في رِحالةٍ متنقِّبة ، معها عبيدٌ لها يَسعَون معها ، فمرَّت جَنَابي فسلَّمَت ثم قالت : فمن الرجلُ ؟ قلت : مِن اهلِ الحجاز . قالت : فهل تروي لكُثيِّر شيئا . قلت نعم . قالت : اما والله ما كان بالمدينة من شيء هو احبُّ الي من ان ارى كُثيِّرًا واسمعَ شعرَه . فهل تَروي قصيدتَه :

أهاجكَ برقٌ آخرَ الليـــلِ واصِـبُ

قلت : نعم فانشدتُها اياها . قالت : فهل تروي قوله :

كأنك لم تسمع ولم تَرَ قبلَهـــا تَفَرُّقَ أُلاَّفٍ لهن حنيـــــنُ

قلت : نعم ، وانشدتُها . قالت : فهل تروي قولَه :

لِعَزَّةَ من ايام ذي الغُصـنِ شاقَـني

قلت : نعم ، وانشدتها . قالت : فهل تروي قوله :

أأطلالَ سُعدى باللِـــوى تتعَهَّـــدُ

قُلت : نعم ، وانشدتُها حتى أتيت على قوله :

فلم أرَ مثلَ العينِ ضَنَّـــت بمائِهـــا عليَّ ولا مِثلي على الدَّمع يُحسَدُ

قالت : قاتَلَه الله ! فهل قال مثلَ قولِ كُثيِّرٍ احدٌ على الارض . والله لأَن اكونَ رأيتُ كُثيِّرا وسمعتُ منه شعرَه احَبُّ الي من مِئة الف درهم . فقلت : هو ذاك الراكبُ امامَك ، وانا السائبُ راويتُه . قالت : حيَّاك اللهُ . ثم رَكَضَت بغلتَها حتى ادركتَه فقالت : انت كُثيِّرٌ ؟ قال : مالَكِ ويلَكِ . فقالت : انت الذي تقول :

اذا حُسِرَت عنه العِمامةُ راعَهـــا جميلُ المُحيَّا أغفلَته الدواهِنُ (٢)

. والله ما رأيتُ أعرابيا قط اقبحَ ولا احقرَ ولا ألأمَ منك . قال : انتِ واللهِ اقبحُ مني وألأمُ . قالت له : اولستَ القائلَ :

يُحاذِرنَ مِني غَيـــرةً قد عرفنَهـــا قديما فما يَضحَكن الا تبسُّمـــا

لعن اللهُ مَن يَفرَقُ(٣) منك . قال : بل لعنَكِ الله ، مَن انتِ ؟ قالت : لا يَضُرُّكَ إن لم

(١) الطريف : الحديث من المال .. التلاد : القديم منه . (٢) الدواهن : جمع داهنة أي مجمِّلة الشعر ومزيِّنته بالتطرية والدهون والتصفيف . والشاعر يريد القول: بلغ من روعة جماله ان الداهنة أغفلته . (٣) الفرق : الخوف .

تعرفني ولا مَن انا . قال : والله اني لأراكِ لئيمةَ الاصلِ والعشيرة . قالت : حيَّاكَ اللهُ يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل احبَّ اليَّ وجها ولا لقاءً منك . قال : لا حيَّاكِ اللهُ . والله ما كان على الارض احدٌ أبغضَ الي وجهًا منك . قالت : أتعرفني ؟ قال : اعرفُ أنكِ لئيمةٌ من اللئام . فتعرَّفت اليه فاذا هي غاضرةُ ام ولدٍ لبشرِ بن مروانَ . وسايرَها حتى سَنَدنا [1] في الجبل . فقالت له : يا ابا صخر ، أَضمنُ لكَ مئةَ الفِ درهمٍ عند بِشرٍ إن قدمتَ عليه . قال : أفي سبِّكِ ايَّايَ او سبِّي ايَّاكِ تضمنين لي هذا ؟ والله لا اخرجُ الى العراقِ على هذه الحال . فلما قامت تُودِّعُه سفَرت فاذا هي احسنُ مَن رأيتُ من اهلِ الدنيا وجها . فأمرَت له بعشرةِ آلافِ درهم . فبعدَ شدٌّ ما قبلها ، وامرَت لي بخمسةِ آلاف درهم : فلما ولَّوا قال : يا سائبُ انطلِق بنا نأكل هذه حتى يأتينا الموتُ . وذلك قوله لما فارقَتنا ، في قصيدة يرثي الخندقَ الاسديَّ :

شجا أظعانُ غاضــرةَ الغــوادي بغير مشورةٍ عرَضًا فــؤادي
أغاضرُ لو شهدتِ غــداةَ بنتُــم حُنُوَّ العائداتِ على وســادي

ج ١٥ ص ٢٨٣ — قال عمر بنُ شَبَّة :

كان كثيرٌ غاليًا في التشيُّع . وأُخبرَ عن قَطامِ صاحبةِ ابنِ مُلجَم [2] في قدمةٍ قدمَتها الكوفةَ فأراد الدخولَ عليها ليوبِّخَها ، فقيل له : لا تَردها فإن لها جوابا . فأبى واتاها فوقف على بابها فقرعه ، فقالت : مَن هذا ؟ فقال : كثيِّرُ بنُ عبدِ الرحمن الشاعر . فقالت لبنات عمٍّ لها : تنحَّينَ حتى يدخلَ الرجل . فولجن البيتَ وأذنت له . فدخل وتنحَّت من بينِ يديه ، فرآها وقد ولَّت . فقال لها : أنتِ قطامِ ؟ قالت : نعم . قال : صاحبةُ عليٍّ [3] بنِ ابي طالبٍ عليه السلامُ ؟ قالت : صاحبةُ عبدِ الرحمن بنِ مُلجَم . قال : أليس فيكِ قُتِل عليُّ بنُ ابي طالب ؟ [4] قالت : بل مات بأجَلِه . قال : اما والله لقد كنتُ أُحبُّ أن اراكِ ، فلما رأيتُكِ نَبَت عيني عنكِ ، فما احلَوليتِ في خَلَدي . قالت : والله إنك لقصيرُ القامةِ ، عظيمُ الهامةِ ، قبيحُ المنظرِ ، وإنك لكما قال الاول : « تسمعَ بالمعيديِّ خيرٌ من ان تراه » [5] . ثم قالت : انت كثيِّرُ عزَّةَ ؟ قال : نعم . قالت : الحمدُ لله الذي قصَّر بك فصرتَ لا تُعرَفُ الا بامرأة .

مات عكرمةُ وكثيِّرُ عزَّةَ في يوم واحد . فأُخرجت جنازَتاهما فما تخلَّفت امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جنازتيهما . وقيل : مات اليومَ أشعرُ الناس وأعلَمُ الناس . وغلَب النساءُ على جنازة كثيِّرٍ يبكينَه ويذكُرنَ عزَّةَ في نُدبتهن له . فقال ابو جعفرٍ محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحسين : افرجوا لي عن جنازةِ كثيِّرٍ لأرفعَها . فجعلوا يدفعون عنها النساءَ وجعل محمدٌ يضربُهن بكُمِّه ويقول : تنحَّين يا صَواحباتِ يوسفَ [6] . فانتدبَت له امرأةٌ منهن فقالت : يا ابنَ رسولِ الله ، لقد

(١) علونا . (٢) الذي قتل علي بن ابي طالب . (٣) لجأ الى هذا التعبير قصد العبث والهزء بها ، اي صاحبة مشاركة في جرم قتل علي . (٤) اي ان قطام طلبت من عبد الرحمن ان يقتل عليا لانه كان قتل اباها واخويها في معركة النهروان . (٥) راجع صفحة ٢٤ من اغاني الاغاني . (٦) اشارة الى يوسف وأمرأة فوطيفار .

صدقتَ . إنّا لَصواحباتُ يوسفَ وقد كُنّا له خيرًا منكم له . فقال ابو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تَجيئَني بها اذا انصرفنا . فلما انصرف أُتي بتلك المرأة كأنها شَرارةُ النار . فقال لها محمدٌ : انتِ القائلةُ إنّكن ليوسفَ خيرٌ منا ؟ قالت : نعم . تُؤمّنُني غَضَبَك يا ابنَ رسولِ الله ؟ قال : انتِ آمنةٌ من غضبي ، فأَبيني . قالت : نحن يا ابنَ رسول الله دعَوناه الى اللذّاتِ من المَطعم والمَشرب والتَمتُّعِ والتنعُّمِ . وانتم ، معاشرَ الرجال ، ألقيتُموه في الجُبِّ[1] وبعتُموه بأبخسِ الاثمانِ وحبَستموه في السجن . فأيُّنا كان عليه أحنى ، وبه أرأفَ . فقال محمدٌ : لله درُّكِ . ولن تُغالَبَ امرأةٌ إلا غلَبَت . ثم قال : ألكِ بَعلٌ ؟ قالت : لي من الرجال مَن انا بَعلُه . فقال : صدَقتِ . مثلُكِ من تَملِك بعلَها ولا يَملِكُها .

امرؤ القيس

هو امرُؤُ القيسِ بنِ حُجرِ بنِ الحارثِ الكِنديّ وامُّه فاطمةُ اختُ كليبٍ ومهلهلٍ . ويُكنّى ابا الحارث . وكان يقال له المَلِكُ الضِلّيلُ وذو القروحِ .

كان عَمرو بنُ حُجرٍ آكل المُرارِ ملكا بعد ابيه ولما مات مَلَك بعدَه ابنُه الحارثُ جَدُّ امرِىءِ القيسِ ، وكان شديدَ المُلك بعيدَ الصوت . ولما مَلَكَ قُباذُ بنُ فيروزَ خرج في ايام ملكه رجلٌ يقال له مَزدَكُ ، فدعا الناسَ الى الزندقة وإباحةِ الحُرَمِ وألاَّ يَمنعَ احدٌ منهم اخاه ما يُريدُه من ذلك . وكان المُنذرُ بنُ ماءِ السماء يومئذٍ عاملا على الحيرة ونواحيها . فدعاه قُباذُ الى الدُخول في ذلك ، فأبى . فدعا الحارثَ بنَ عمروٍ ، فأجابه . فشدَّد له مُلكَه وأطرَد المنذرَ عن مملكته . وكانت امُّ أنو شِروانَ بين يدَي قُباذَ يوماً ، فدخل عليه مَزدَكُ ، فلما رأى امَّ انو شِروانَ قال لقُباذَ : ادفَعها لي لأقضيَ حاجتي منها . فقال : دونَكها . فوثب اليه انو شروانُ فلم يزل يسأله ويَضرَعُ اليه أن يَهَبَ له امَّه حتى قَبَّلَ رِجلَه فتركها له . فكانت تلك في نفسه . فهَلَكَ قُباذُ ومَلَكَ ابنُه انو شروانُ . وبلغ المنذرَ هَلاكُ قُباذَ فأقبل الى انو شروانَ وقد عَلِم خِلافَه على ابيه فيما كانوا دخلوا فيه . فأذن انو شروانُ للناس . فدخل عليه مَزدكُ ثم دخل عليه المنذر . فقال انو شِروان : إني كنت تمنّيتُ أمنيّتين ارجو ان يكون اللهُ قد جمعهما لي . فقال مَزدكُ : وما هما ايُها الملكُ ؟ قال تمنّيتُ ان أملِكَ فأستعمِلَ هذا الرجلَ الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتُلَ هؤلاءِ الزنادقةَ .

(١) الجب : البئر ، تقصد يوسف بن يعقوب الذي رماه اخوته بالبئر ثم باعوه من تجار مصريين ثم حبس .

فقال مزدكُ : أَوَ تستطيعُ ان تَقتُلَ الناسَ كلَّهم ؟ قال : إنك لها هنا يا ابنَ الزانية . والله ما ذهب نَتَنُ ريحِ جَوربِك من أنفي منذ قَبَّلتُ رِجلَك الى يومي هذا . وأمر به فصُلِب وقُتِل . وأمر بقتل الزنادقة ، فقتل منهم في ضَحوةٍ واحدة مئةَ الف زِنديقٍ وصلبهم . وطلب انو شروانُ الحارثَ بنَ عمروٍ ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار ، فخرج هاربا في هَجائنه وماله وولده ، وتَبِعه المنذرُ بالخيل من تَغلبَ وبَهراءَ وإيادٍ وانتهبوا ماله . واخذت بنو تغلبَ ثمانيةً واربعينَ نفسا من بني آكلِ المُرارِ فقَدِم بهم على المنذر فضرب رقابهم في ديار بني مَرينا العِباديين بين ديرِ هندٍ والكوفةِ ، فذلك قولُ عمروِ بنِ كُلثومٍ :

فآبُوا بالنِهــابِ وبالسَبايـــا وأُبنا بالملــوكِ مُصَفَّدينـــا

وفيهم يقول امرُؤ القيس :

ملوكٌ من بني حُجرِ بــنِ عمــروٍ يُساقون العَشيَّةَ يُقتَلونـــا
فلو في يومِ مَعرَكةٍ أصيبـــوا ولكن في ديار بني مَرينـــا
ولم تُغسَل جماجمُهــم بغِســلٍ ولكن في الدِماء مُرمَّلينـــا (١)
تَظَلُّ الطيرُ عاكفــةً عليهــم وتنتزعُ الحواجبَ والعيونـــا

ولما مَلَكَ الحارثُ بعدَ ابيه عمروِ بنِ حُجرٍ نَزَلَ الحيرةَ . فلما تفاسدت القبائلُ من نِزارٍ اتاه اشرافُهم فقالوا : إنا في دِينك ونحن نخاف أن نتفانى فيما يَحدُث بيننا . فوجِّه معَنا بنيك ينزِلون فينا فيَكُفُّون بعضَنا عن بعض . ففرَّق ولده في قبائلِ العرب . فملَّك ابنَه حُجرًا — ابا امرِئِ القيس — على بني أسَدٍ وغَطَفان . وملَّك ابنه شُرَحْبيلَ على بَكرِ بنِ وائلٍ بأسرها وبني حنظلةَ بنِ مالكٍ والرِباب . ومَلَّك ابنَه مَعدِيكَرِبَ على بني تغلِبَ والنَمِرِ بنِ ساقطٍ والسعدِ بنِ زيدِ مَناةَ وطوائفَ من بني دارِمِ بنِ مالكِ بنِ حَنظَلةَ . ومَلَّك ابنَه عبدَ الله على عبد القيس . وملَّك ابنَه سَلَمةَ على قيس .

وكان حُجرٌ طرد ابنَه ، امرَأ القيس ، وهو أصغر ولده ، وآلى ألا يُقيمَ معه ، أَنَفَةً من قوله الشعرَ . وكانت الملوك تأنَف من ذلك . فكان يَسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذَّاذ العرب من طيِّءٍ وكَلبٍ وبكرِ بنِ وائلٍ . فاذا صادف غديرا أقام فذبح لمن معه وشرِب الخمر وسقاهم وغنَّته قِيانُه .

ولما طَعن الاسديُّ حُجرًا ولم يُجهِز عليه ، أوصى حُجرٌ ودفع كتابه الى رجل وقال له : انطلق الى ابني نافعٍ — وكان اكبرَ ولده — فان بكى وجَزِعَ ، فَالْهُ عنه. واستَقرِهم واحدا واحدا

(١) ملطخين .

حتى تأتي امرأَ القيس. فأيُّهم لم يَجزَع فادفَع اليه سِلاحي وخيلي وقدوري ووصيّتي . وقد كان بَيَّن في وصيَّته مَن قتله وكيف كان خبرُه. فانطلق الرجل بوصيته الى نافع ابنه. فأخذ التراب فوضعه على رأسه . ثم استقراهم واحدا واحدا ، فكلُّهم فعل ذلك ، حتى اتى امرأَ القيس فوجده مع نديم له يَشرَب الخمرَ ويلاعبه بالنَرد . فقال له : قُتِل حُجرٌ . فلم يلتفت الى قوله ، وأمسكَ نديمُه. فقال له امرُؤ القيس : اضرِب . فضرب . حتى اذا فرغ قال : ما كنتُ لأُفسدَ عليك دَستَك . ثم سأل الرسولَ عن امر ابيه كلِّه فأخبره . فقال : الخمرُ عليَّ والنساءُ حرامٌ حتى أَقتُلَ مِن بني أسَدٍ مئةً وأجُزَّ نواصيَ مئةٍ . وفي ذلك يقول .

أرِقتُ ولم يَأرق لِما بِيَ نافِــــعُ وهاج ليَ الشوقَ الهُمُـــــومُ الروادعُ

ثم قال : ضيَّعني صغيرا وحَمَّلني دمَه كبيرا. لا صحوَ اليومَ ولا سُكرَ غدا . اليومَ خمرٌ ، وغدا أمرٌ (١) .

ثم ان امرأَ القيس ارتحل حتى نزل بَكرا وتَغلِبَ فسألهم النصرَ على بني أسد ، فنصروه ، فقاتلهم حتى كَثُرت الجَرحى والقَتلى فيهم وحجز الليلُ بينهم ، وهربت بنو أسد .

وألحَّ المُنذرُ في طلب امرِىءِ القيس ووجَّه الجيوش في طلبه، وامدَّه انو شِروان بجيش من الأساورة . فتفرَّق عن امرِىءِ القيس مَن كان معه. فنجا ومعه ابنتُه هندٌ ويزيدُ ابنُ عمِّه وأدراعٌ خمسةٌ : الفضفاضةُ والضافيةُ والمُحصَّنةُ والخِربقُ وام الذيول ، كُنَّ لبني آكلِ المُرار يتوارثونها مَلِكا عن ملك . فخرج على وجهه حتى وقع في ارض طيِّءٍ ، ثم تحوَّل الى غيرهم وغيرِهم حتى قَدِم على السَمَوءَلِ فأنشده الشعر. فأنزل المرأة في قُبَّةِ أدَمٍ وانزل القوم في مجلِسٍ له بَراحٍ (٢) .

ثم طلب اليه ان يَكتُبَ له الى الحارثِ بنِ شَمِرَ الغسَّانيِّ بالشام ليُوصِلَه الى قيصرَ. فاستنجد له رجلا واستودع عنده المرأةَ والأدراعَ والمالَ ، واقام معها يزيدُ بنُ عمِّه(٣) . فمضى حتى انتهى الى قيصرَ. فقَبِلَه وأكرمه . فاندسَّ رجل من بني اسد يُقال له الطَمَّاحُ ، وكان امرُؤُ القيس قد قتل اخا له . حتى اتى الى بلاد الروم فأقام مستخفيا . ثم إنَ قيصرَ ضَمَّ الى امرِىءِ القيس جيشا كثيفا وفيهم جماعةٌ من ابناء الملوك . فلما فَصَل ، قال لقيصرَ قومٌ من اصحابه : إن العرب قومٌ غَدرٍ ، ولا تأمن من أن يَظفرَ بما يُريد ثم يَغزوَك بمن بعثتَ معه . وقال له الطَمَّاح : إن امرأَ القيس غَويٌّ عاهر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنه يراسل ابنتَك ويواصلها . وهو قائلٌ في ذلك أشعارا يُشهِّرها بها في العرب فيَفضَحُها ويفضحُك. فبعث، اليه حينئذ بحُلَّةٍ وَشيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب وقال له : إني ارسلت اليك بحُلَّتي التي كنت ألبَسها تَكرِمَةً لك ، فاذا وصَلت اليكَ فالبَسها باليُمن والبركة ، واكتب الي بخبرك من منزل منزل. فلما وصلت اليه لَبِسها واشتدَّ سرورُه بها . فأسرع فيه السُمُّ وسقط جلده . فلذلك سُمِّي ذا القُروح . ولما صار الى بلدةِ أنقرةَ احتُضِر بها .

(١) قالها قبله خاله المهلهل عندما بلغه مقتل كليب وكان يشرب مع أخي القاتل فقال : اليوم خمر وغداً أمر.

(٢) براح : متسع . (٣) في ترجمة الاعشى التي تلي ، تتمة لقصة الأدرع وامتناع السموءل عن تسليمها.

ورأى قبرَ امرأةٍ من ابناء الملوك ماتت هناك فدُفنت في سَفح جبلٍ يقال له عَسيبٌ فسأل عنها فأُخبر بقصّتها فقال :

أجارتَنا ان المَـــزارَ قريـــبُ   وإني مُقيمٌ ما أقام عسيـــبُ
أجارتَنا إنا غريبـــان ها هنـــا   وكلٌ غريبٍ للغريـــبِ نسيـــبُ

ثم مات فدُفن الى جَنب المرأة . فقبرُه هناك .

حدَّث عبدُ الملك بنُ عمَير قال : ان امرَأَ القيس آلى بأليةً[١] ألّا يتزوجَ امرأةً حتى يَسألَها عن ثمانيةٍ واربعةٍ وثِنتين . فجعل يخطُب النِساء ، فاذا سألَهن عن هذا ، قُلن : اربعةَ عَشَرَ.

فبينا هو يسير في جوف الليل اذا هو برجل يَحمِل ابنةً له كأنها البدرُ ليلةَ تمامه . فأعجبته . فقال لها : يا جاريةُ ، ما ثمانيةٌ ، واربعةٌ ، واثنتان ؟ فقالت : أما ثمانيةٌ ، فأطباءُ[٢] الكلبة . واما اربعةٌ ، فأخلافُ[٣] الناقة . واما اثنتان ، فثديا المرأة . فخطبها الى ابيها . فزوَّجه اياها . وشَرَطت هي عليه أن تسأله ليلةَ بِنائِها عن ثلاث خِصالٍ . فجعل لها ذلك ، وأن يسوقَ اليها مئةً من الابل وعشرةَ أعبُد وعشرَ وصائفَ وثلاثةَ افراسٍ . ثم انه بعث عبداً له الى الجارية واهدى اليها نِحيا[٤] من سمن ونحياً من عسلٍ وحُلَّةً من عَصْبٍ[٥] . فنزل العبد ببعض المياه فنشر الحُلَّةَ ولَبِسها فتعلَّقت بعُشَرَة[٦] فانشقَّت . وفتح النِحيين فطَعِمَ اهلُ الماءِ منهما فنقصا . ثم قَدِم على حيِّ الجارية ، وهم خُلوفٌ[٧] ، فسألها عن ابيها وامها واخيها ودفع اليها هديَّتها . فقالت له : أعلِم مولاك أن ابي ذهب يُقرِّب بعيدا ويُبعِد قريبا ، وأن امي ذهبت تَشُقُّ النَفس نفسين ، وأن أخي يُراعي الشمسَ ، وأن سَماءَكم انشقَّت ، وأن وِعاءَيكم نَضَبا . فقَدِم الغلام على مولاه فأخبره . فقال : أما قولُها إن ابي ذهب يُقرِّب بعيدا ويُبعِد قريبا ، فان اباها ذهب يُحالف قَوماً على قومه . واما قولُها : ذهبت امي تشقَ النفسَ نفسين ، فان امَّها ذهبت تَقبَل[٨] امرأةً نُفَساءَ . واما قولُها : ان اخي يراعي الشمسَ ، فان اخاها في سَرحٍ له يرعاه ، فهو ينتظر وُجوبَ الشمس ليَروحَ به[٩] . واما قولُها : ان سماءَكم انشقَّت ، فان البُردَ الذي بعثتُ به انشقَ . واما قولها : ان وِعاءَيكم نَضَبا ، فان النِحيين اللذين بعثتُ بهما نَقَصا ، فاصدِقني . فصَدَقَه . ثم ساق مئةً من الابل وخرج نحوها ومعه الغلام . فنزلا منزلا . فخرج الغُلام يَسقي الابِلَ فعَجَز ، فأعانه امرُؤ القيس . فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى اتى الجارية بالإبل ، واخبرهم انه زوجُها . فقيل لها : قد جاء زوجُك ، فقالت : والله لا ادري أزوجي هو ام لا . ولكن انحرُوا له جَزورا وأَطعِموه من كَرِشِها وذَنَبها . ففعلوا . فقالت : اسقوه لبنا حازرا . (حامضا) فسقَوه ، فشرب . فقالت : افرُشوا له عندَ الفَرثِ والدمِ[١٠] ففرشوا له ، فنام . فلما أصبحت ارسلت اليه : اني اريد أن أسألك . فقال : سَلي عما شِئتِ.

---

(١) ألية : يمين مغلظة . (٢) أطباء : جمع طبي أي حلمات الضرع . (٣) أخلاف : جمع خلف أي ضروع .
(٤) نحي : زق للسمن ومثله من الموائع (٥) عصب : نسيج صوف وقطن . (٦) عشرة : شجرة شائكة فيها حراق لا يقتدح بأجود منه ، ويرجح اليوم أنها من فصيلة الصقلابيات . (٧) غيب . (٨) قبلت القابلة المرأة : تلقت ولدها عند الولادة . (٩) الغدو : الخروج من البيت صباحاً . والرواح : الرجوع مساء . وجوب الشمس : غيابها .
(١٠) الفرث : ما يحتويه الكرش .

فقالت : مِمَّ تختلج شفتاك ؟ قال : لتقبيلي اياك . قالت : فمِمَّ يختلج فَخِذاك ؟ قال لتورُّكي إياك . قالت : عليكم العبدَ . فشُدُّوا ايديَكم به . ففعلوا .

ومر قوم فاستخرجوا امرأَ القيس من البئر ، فرجَع الى حيِّه ، فاستاق مئةً من الابل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجُك . فقالت : والله ما ادري أهو زوجي ام لا ، ولكن انحرُوا له جَزورا فأَطعِموه من كَرِشِها وذَنَبِها ، ففعلوا . فلما أتَوه بذلك قال : وأينَ الكَبِدُ والسَّنامُ والمَلْحاءُ [1] . فأبى ان يأكُلَ . فقالت : اسقوه لبنا حازرا . فأبى ان يَشربَه ، وقال : اين الصَّريفُ والرَّثيئةُ [2] . فقالت : افرُشوا له عند الفَرْثِ والدم . فأبى ان ينام وقال : افرُشوا لي فوق التَّلعة الحمراء واضرِبوا عليها خِباءً . ثم ارسلت اليه : هلُمَّ شريطتي عليك في المسائل الثَّلاث . فأرسل اليها أن سَلي عمَّا شئت . فقالت : مما تختلج شفتاك ؟ قال : لشُربي المُشَعشَعات [3] . قالت : فمِمَّ يختلج كشحاك ؟ قال : لِلُبسي الحَبَرات . قالت : فممَّ يختلج فَخِذاك ؟ قال : لركضي المطهَّمَاتِ . فقالت : هذا زوجي لعمري . فعليكم به واقتلوا العبد . فقتلوه . ودخل امرُؤ القيس بالجارية .

مختارات من شعره

شيء من المعلقة . والشرح يليه :

قِفا نَبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنزِلِ	بسِقط اللوى بين الدَّخولِ فحَومَلِ
فتوضِحَ فالمِقراةِ لم يَعفُ رسمُها	لِما نسجَتْه من جَنوبٍ وشَمألِ
كأني غَداةَ البَينِ يوم تحمَّلوا	لدى سَمُراتِ الحَيِّ ناقِفُ حَنظلِ
وُقوفا بها صَحبي عَليَّ مَطيَّهُم	يقولون : لا تَهلِك أسىً وتَجمَّلِ
ففاضت دموعُ العين مني صَبابةً	على النَّحر حتى بلَّ دمعيَ مَحمَلي
الا رُبَّ يومٍ لكَ منهن صالحٍ	ولا سيَّما يومٌ بدارةِ جُلجُلِ
ويومَ عَقَرتُ للعذارى مَطيَّتي	فواعجبي من رَحلها المُتَحمَّلِ [4]
ويومَ دخلت الخِدرَ خِدرَ عُنَيزَةٍ	فقالت لك الويلاتُ إنك مُرجِلي
تقول وقد مال الغبيطُ بنا معا	عَقرتَ بعيري يا امرأَ القيس فانزِلِ

(١) لحم في الصلب من الكاهل الى العجز . (٢) الحليب الحار ساعة يصرف من الضرع . والرثيئة : الحليب يصب عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته . (٣) الشراب الممزوج ماء . (٤) راجع الفرزدق ج ٢١ يروي خبر دارة جلجل .

فقلت لها سيري وأرخي زِمامَه ولا تُبعِديني من جَناك المُعَلَّلِ
أفاطِمَ مهلا بعضَ هذا التدلُّلِ وإن كُنتِ قد أزمعتِ صَرمي فأجمِلي
أغرَّكِ مني أن حُبَّكِ قاتلي وأنك مهما تأمُري القلبَ يَفعلِ
فقالت : يمينُ الله مالك حيلةٌ وما إن أرى عنك الغَوايةَ تَنجلي

• • •

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدولَه عليَّ بأنواع الهُموم ليبتلي
فقُلت له لما تمطَّى بصُلبه وأردفَ أعجازا وناءَ بكلكلِ
الا ايُّها الليلُ الطويلُ الا انجَلِ بصُبحٍ وما الإصباحُ فيك بأمثلِ
فيا لكَ من ليلٍ كأن نُجومَه بأمراسِ كتَّانٍ إلى صُمٍّ جَندَلِ
وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتِها بمُنجَرِدٍ قَيدِ الأوابدِ هَيكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقبِلٍ مُدبِرٍ معاً كجُلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ
كُمَيتٍ يزِلُّ اللِبدُ عن حالِ مَتنِه كما زَلَّتِ الصَفواءُ بالمُتنزَّلِ
دَريرٍ كخُذروفِ الوليدِ أمَرَّه تَتابُعُ كفَّيه بخيطٍ مُوَصَّلِ
له أيطلا ظَبيٍ وساقا نَعامةٍ وإرخاءُ سِرحانٍ وتَقريبُ تَتفُلِ

قفا : قيل : خاطب صاحبيه . وقيل : بل خاطب صاحبه وأخرج الكلامَ مَخرَجَ الخطابِ مع الاثنين ، لان العرب من عادتهم إجراء خِطاب الاثنين على الواحد . قال الشاعر :

فان تَزجراني يا ابنَ عفَّانَ أنزَجِر وإن تَرعَياني أحمِ عِرضاً مُمنَّعا

سِقط اللِوى : منقطع الرمل . والسِقط ما يتطاير من النار . والسِقط ايضاً المولود لغير تمام . وفيه ثلاث لغات : سِقط ، سُقط ، سَقط . اللِوى : رمل يعوجُّ ويلتوي . الدَّخول وحومل وتوضح والمقراة : أمكنة . قال الاصمعي : وقوله : « بين الدخول فحومل » خطأ ولا يجوز العطف الا بواو . لانه لا يجوز ان يقال : رأيت فلاناً بين زيد فعمرو ، بل وعمرو . ويقال : رأيت زيدا فعمراً ، اذا رأى الواحد بعد الاخر . يَعفُ : يَدرُس ويَمَّحي . الرَسم : الاثر الذي لا شخص له مثل البعر والرماد . وعكسها الطلل . نسجتها : ضربتها ريح الجنوب وريح الشمال . يقول : ان هذه الرسوم لم تَعفُ اذا غطَّتهاريح الجَنوب . فان ريح الشِمال تكشفها . غداة البين : غدوة الفراق والبعد . سَمُرات : جمع سَمَرة : من شجر الطَلح . ناقفٌ من نقف : شق بظفره . الحنظل : ثمر مر . وُقوفاً : جمع واقف ، مثل شاهد شهود . نصبت على الحال .

مَطيَّهم : جمع مطيَّة ، وهي المركوب ، مراكيب والرَكوبة ، الركائب . وسميت مطيَّة لانه يركبَ مَطاها اي ظهرها . دارة جلجل : موضع . خِدر : هودج . ويستعار للستر والحَجَلة . ومنها قولهم : خَدَّرت الجارية ، وجارية مُخدِرة ، اي مقصورة في خدرها لا تبرز منه . وقولهم : خَدَّر الاسد ، واسد خادر : اذا لزم عرينه . وعنيزة : اسم عشيقته ، وقيل : هو لقب لها واسمها فاطمة . الويلات ، جمع ويلة : شدة العذاب ، وهي دعاء منها له في معرض الدعاء عليه ، كما قالوا : قاتله الله ما أفصحه .

انك مُرجلي : أرجلَه : جعله راجلا . اي انزله عن المطية ليمشي . الغبيط : الرحل . جناك المعلَّل: جعل ما نال من عناقها بمنزلة الثمرة اي الجنى . والمعلَّل : المكرر . علَّ وعلَّل : كرَّر وألهى .

ازمعت صُرمي : اي عزمت على هجري . فأجملي : اي اهجري هجراً حسناً جميلا . والصرم : القطع ، ومنه السيف الصارم . أغرَّك : ألف الاستفهام للتقرير لا للاستفهام ، كما قال جرير :

ألستم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راحِ

يمينُ الله : اليمين : الحَلَف ، اي أحلف بالله . الغَواية والغَيُّ : الضلالة . وما إن : إن ، زائدة بعد ما النافية . تنجلي : تنكشف . تقول : مالك عذر في زيارتي . وما أراك نازعاً عن هواك وغيِّك . أرخى سدوله . السدول : جمع سِدل ، الستر . أرخى : ارسل . تمطى بصُلبه : امتدَّ . ناء بكلكل : نهض بصدره . وفيه تقديم وتأخير . اصله : ناء بكلكل واردف أعجازاً . والأعجاز جمع عَجُز ، وهو المؤخرة . وما الإصباح فيكَ بأمثل . الامثل : الافضل . يقول: اذا جاءني الصباح وانا فيك فليس ذلك بامثل ، لان الصبح قد يجيء والليل مظلم بعدُ ، اي اريد ان يجيء الصبح منكشفاً لاسواد فيه . الى صُمِّ جندل : الجندل : الحجر . الصم : الصلب. يقول : كأن نجوم الليل مربوطة الى صخور صلاب بأمراس كتان ، فهي لا تغيب . وامراس جمع مَرَس : ومرس : جمع مَرَسة وهي الحبلة ، فهو جمع الجمع .

وُكُناتها : جمع وُكُنَة ، مَوقع الطير . المنجرد من الخيل : القليل الشعر ، وذلك من العِتَق . الاوابد : الوحش ، من تأبد اي توحش . وقَيد الاوابد : اي ان الفرس هو قيد لها ، لسرعته فكأنه يُقيِّدها فلا تفوته . هيكل : عظيم الخَلق ، ومنه سُمِّي بيتُ النصارى الهيكل . والانثى : هيكلة . والجمع هياكل . قال ابو عبيدة : اول مَن قيَّد الاوابد امرؤ القيس . مكر ، مفر مقبل ، مدبر . اي انه لسرعته يكر ويفر ويُقبل ويُدبر معاً كما يريده . الجُلمود : الصلب . من علٍ ومن علُ ومن عُلا : واحد ، اي من أعلى الجبل ، فيكون اصلب واسرع انحطاطاً وانقضاضاً .

كُمَيت : صفة لمنجرد ، اي لونه بين الاسود والاحمر . يَزِلُّ اللِبدُ اي يتزلق عن حال متنه : عن مقعد ظهره كما يتزلق المطر عن الصخرة الملساء . وهي صفة للفرس لاكتناز لحمه وانملاسِ صلبه . درير : كثير الدرِّ اي كثير العَدْوِ والدوران والجري كخذروف الوليد . وهو حصاة مثقوبة يجعل

الصبي فيها خيطاً فيديرها على رأسها . الأيطل : الخاصرة : جمعها اياطل وآطال . إرخاء سرحان : ضرب من عَدْو الذئب . والتقريب : وضع الرجلين موضع اليدين في العَدْو . تتفل : ولد الثعلب : فهذا الفرس له خاصرتا ظبي . اي ضامرتان، وساقا نعامة اي طويلان . وله عَدْو كإرخاء الذئب لسرعته، وله نسق في عدوه كتقريب الثعلب . وقد جمع اربعة تشابيه في بيت واحد .

من ديوانه

وقال في سلمى :

أَلا عِم صباحاً ايها الطلل البالي ... وهل يَعِمَن من كان في العُصُر الخالي (١)
ويارُبَّ يوم قد لَهَوتُ وليلة ... بآنسة كأنها خَطُّ تِمثال
تَنَوَّرتُها من أذرِعات واهلُها ... بيَثربَ ادنى دارَها نَظَرٌ عال (٢)
نظرتُ اليها والنجومُ كأنها ... مصابيحُ رُهبان تُشَبُّ لِقُفَّال (٣)
سَمَوتُ اليها بعد أن نام اهلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالا على حال (٤)
فقالت سَباكَ اللهُ إنك فاضحي ... ألستَ ترى السُمَّارَ والناسَ أحوالي (٥)
فأصبحتُ معشوقاً واصبح بعلُها ... عليه القَتامُ سَيِّءَ الظنِّ والبال (٦)
يَغُطُّ غطيطَ البَكرِ شُدَّ خِناقُه ... ليقتُلَني والمرءُ لَيس بقَتَّال (٧)
أيقتُلني والمَشرَفيُّ مُضاجِعي ... ومَسنونةٌ زُرقٌ كأنياب أغوال (٨)
ايقتُلني وقد قَطَرتُ فؤادَها ... كما قَطَرَ المَهنوءةَ الرجلُ الطالي (٩)

وقال في زوجته امِّ جُندَب التي طلَّقها فتزوَّجت علقمةَ الفحل – راجع علقمة ج ٢١ .

خليليَّ مُرَّا بي على ام جُندَب ... نُقَضِّ لُبانات الفؤادِ المعذَّب (١٠)
ألم تَرياني كلَّما جِئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طيباً وإن لم تَطَيَّب

---

(١) وعم يعم بمعنى : نعم ينعم . يقصد بالطلل اهل الطلل . يقول قد تفرق اهلك ، فكيف تنعم بعدهم . (٢) تنورتها : تمثلت نارها وتوهمتها ، لان اذرعات من حدود الشام . ويثرب مدينة الرسول وبينهما مسافة بعيدة . (٣) تضاء لعائدين ليلا . (٤) اي نهضت اليها شيئا بعد شيء كحباب الماء يعلو بعضه بعضاً برفق . (٥) سباك اي أبعدك وفضحك . السمار جمع سمير . وهو الذي يسمر اي يسهر . (٦) القتام : الغبار . اي مغبراً كاسف البال . (٧) الغطيط : صوت المختنق . البكر الجمل الفتى . (٨) المشرفي : السيف . ومسنونة زرق : سهام محددة صافية شبهها بانياب الغول . (٩) قطر البعير : طلاه بالقطران . المهنوءة الناقة المطلية ، والفعل هنأ فهو هانىء . يقول انه هنأ فؤادها بالحب فشفاه كما تهنأ الناقة بالقطران فتشفى من ألم الجرب . (١٠) لبانات جمع لبانة وهي الحاجة .

وقال :

فدَعْ ذا وسَلِّ الهمَّ عنــــك بجَسْرَةٍ ... ذَمولٍ اذا صام النهارُ وهَجَّــــرا [١]
عليها فتىً لم تَحمِـــــلِ الارضُ مثلَه ... أبرَّ بميثــاقٍ وأوفــى وأصــــبرا
بكى صاحبي لمـــا رأى الدربَ دونَـــه ... وأيقن أنّـــا لاحقان بقيصـــرا [٢]
فقلت له لا تَبـــكِ عينُك إنمـــا ... نُحاولُ مُلكـــا او نموتَ فنُعـذَرا
لقد انكرَتـــني بعلبَكُّ وأهلُهـــا ... ولَابنُ جُرَيجٍ في قُرى حُمصَ أَنكَرا
اذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتُـــه ... وقَرَّت به العينان بُدِّلتُ آخَـرا
كذلك جَدِّي [٣] ما أُصاحبُ صاحبـاً ... منَ الناس إلا خانني وتغيَّـــرا

الاعشى

هو ميمونُ بنُ قيسِ ابنِ بكرِ بنِ وائلٍ ، ويكنى ابا بَصيرٍ،وهو احدُ الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم .

سُئل يونسُ النَحويُّ : مَن اشعرُ الناس ؟ قال : امرُؤُ القيس اذا غَضِب ، والنابغةُ اذا رَهِب ، وزهيرٌ اذا رَغِب ، والاعشى اذا طَرِب .

قال ابو عبيدة : مَن قَدَّم الاعشى يحتجُّ بكثْرة طِوالِه الجيادِ وتصرُّفِه في المديح والهجاء وسائرِ فنون الشعر . وكان يُغنّي بشعره ، فكانت العرب تسمّيه صَنَّاجَةَ العرب .

قال الشعبي : الاعشى أغزلُ الناسِ في بيت ، وأخنثُ الناسِ في بيت ، وأشجع الناسِ في بيت. فأما أغزلُ بيتٍ فقولُه :

غَرّاءُ فَرعــاءُ مَصقولٌ عوارِضُهـــا ... تَمشي الهُوَينى كما يَمشي الوَجِي الوَحِلُ [٤]

وأما أخنثُ بيتٍ فقوله :

---

(١) جسرة : ناقة تجسر على الهول والسير الصعب . ذمول : التي تسير الذميل وهو السير السريع . صام النهار : قام النهار : وقام والنصف . هجَّر : اشتدت هاجرته اي حره . (٢) هو عمرو بن قميئة ، راجع ترجمته ج ١٨ . (٣) حظي .
(٤) غراء مؤنث الأغر اي التي بين حاجبيها بلج اي تباعد ، وفي جبهتها اتساع . الفرعاء : الكثيرة الشعر . عوارضها : اسنانها . الهوينى : تصغير الهونى ، مؤنث الأهون . الوجي : من يجد ألماً في رجليه عند المشي . والوحل : الماشي في الوحل .

قالت هُرَيْــرةُ لمـــا جئتُ زائرَهـــا ويلي عليكَ وويلي منك يا رجــلُ

واما اشجعُ بيتٍ فقوله :

قالوا الطِرادُ فقلنـــا تلــك عادتُنـــــا أو تَنزلون فإنا مَعشَرٌ نُــــزُلُ

قال يحي بنُ متّى راوية الاعشى وكان نصرانيا : كان الاعشى قَدَرِيًّا (١) وكان لَبيد مُثبِتا .

قال لبيد :

من هــــداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتـــدى ناعمَ البالِ ومَــن شاء أضَـــلْ

وقال الاعشى :

إستأثـــــرَ اللهُ بالـــوفـــاء وبالـــ عدلِ وولّى الملامــــةَ الرجُــــلا

وقال : اخذ الاعشى مذهبه من العِباديين نصارى الحيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر ، فلقّنُوه ذلك .

كان الاعشى يوافي سوقَ عُكاظ في كل سنة . وكان المُحَلَّقُ الكِلابيُّ مئناثا مُملقا (٢) فقالت له امرأته : يا ابا كِلاب ، ماً يمنعُك من التعرُّض لهذا الشاعرِ ، فما رأيتُ احدا اقتطعَه إلى نفسه إلا وأكسبه خيرا . قال : ويحَكِ ! ما عندي الا ناقتي وعليها الحِمل . قالت : اللهُ يُخلِفُها عليك . قال : فهل له بُدٌّ من الشَراب والمسوح ؟ (٣) قالت : إن عندي ذخيرةً ولعلي أن أجمَعَها . فتلقّاه قبلَ ان يَسبِقَ اليه أحدٌ وابنُه يقوده ، فأخذ الخِطام . فقال الاعشى : مَن هذا الذي غلَبَنا على خِطامنا ؟ قال : المُحَلَّقُ . قال : شريفٌ كريم . ثم سلّمه اليه فأناخه . فنحر له ناقته ، وكشط له عن سَنامها وكَبِدهـــا ، ثم سقاه . واحاطت بناته به يَغمِزنه ويَمسَحنه . فقال : ما هذه الجواري حولي ؟ قال : بناتُ أخيك ، وهن ثمانٍ شريدَتُهن قليلةٌ . قيل : وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئا . فلما وافى سوقَ عُكاظٍ اذا هو بسَرحة قد اجتمع الناس عليها ، واذا الاعشى يُنشِدُهم :

لَعمري لقــد لاحت عيونٌ كثيـــرةٌ إلى ضَوءِ نارٍ باليَفاعِ تُحَـــرَّقُ
تُشَبُّ لمقروريـــن يَصطليانهـــــا وبات على النارِ النَدى والمُحَلَّقُ

فسلَّم عليه المحلّق ، فقال له : مرحبا يا سيدي سيِّدَ قومِه . ونادى : يا معاشِر العرب . هل فيكم مِذكارٌ يُزوِّجُ ابنَه إلى الشريف الكريم . فما قام من مقعده وفيهن مخطوبةٌ الا وقد زَوَّجها .

(١) القَدَرية : جاحدوا القَدَر اي ينكرون ان الله قَدَّر على عباده الشر أو الخير ، بل ان الانسان هو مسؤول عن عمله .
(٢) يلد الاناث ؛ أملق : أفتقر . (٣) جمع مسح وهو كساء من شعر كثوب الرهبان .

وفي اول القصيدة غناء :

أَرِقتُ وما هـذا السُّهادُ المُؤَرِّقُ وما بيَ من سُقمٍ وما بيَ مَعشَقُ

قيل : وأنشَد الاعشى قصيدتَه هذه كِسرى ففُسِّرَت له فقال : إن كان هذا سَهِر لغير سُقمٍ ولا عِشقٍ فما هو الا لِصٌ .

جاءت امرأة إلى الاعشى فقالت : ان لي بناتٍ قد كَسَدن علي . فَشبِّب بواحدة منهن لعلَّها أن تَنفُقَ . فشبَّب بواحدة منهن . فما شَعَرَ الاعشى الا بجَزورٍ قد بُعِث به اليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : زُوِّجت فلانةُ . فشبَّب بالاخرى . فأتاه مثلُ ذلك . فسأل عنها فقيل : زُوِّجت . فما زال يشبِّب بواحدة فواحدةٍ منهن حتى زُوِّجن جميعا .

– ج ٢٢ ص ١١١ – هجا الاعشى رجلا من كلب فقال :

بنـو الشَّهر الحَـرامِ فلستَ منهم ولستَ من الكِـرام بني عُبَيْـدِ
ولا من رَهط جبَّـارِ بنِ قُـرطٍ ولا من رَهط حارثةَ بنِ زَيـدِ

وهؤلاء كلُّهم من كلبٍ فقال الكَلبيُّ : لا أبا له ، انا أشرفُ من هؤلاء .

وسبَّهُ الناسُ بعدُ بهجاء الاعشى اياه . وكان متغيِّظا عليه . فأغار على قوم قد بات فيهم الاعشى فأسر منهم نَفَرا وأسر الاعشى وهو لا يَعرفه . ثم جاء حتى نَزَل بشُرَيحِ بنِ السَموءَلِ بنِ عادياءَ الغَسَّانيِّ بحِصنه الأبلقِ . فمرَّ شُرَيحٌ بالأعشى ، فناداه الاعشى :

شُريحُ لا تُسلِمَنِّي اليومَ إذ عَلِقَت حبالُك اليومَ بعدَ القِدِّ أظفاري (١)
كُن كالسموءَلِ اذ طـاف الهُمامُ بـه في جَحفلٍ كهزيعِ الليل جـرَّارِ
فقال غُدرٌ وثُكلٌ أنـتَ بينَهمـا فاختَر وما فيهما حَظٌّ لمُختـارِ
فشكَّ غيرَ طويـلٍ ثم قـال لـه اقتُل اسيرَك إنـي مانـعٌ جاري

وكان امرؤ القيسِ أودعَ السمؤلَ ادراعا فأتاه الحارثُ بنُ ظالمٍ ليأخُذَها منه ، فتحصن منه السموءَل . فأخذ الحارثُ ابنا له غلاما وكان في الصيد ، فقال : إما أن سَلَّمتَ الأدراعَ الي واما أن قتلتُ ابنَك . فأبى السَموءَلُ ان يُسلِّمَ اليه الادراعَ . فضرب الحارثُ وَسْطَ الغُلامِ بالسيف فقطعه قطعتين . فقال السموءَل في ذلك .

وَفَيـتُ بذِمَّةِ الكِنـديِّ إنـي اذا ما خان اقوامٌ وَفَيـتُ
بنى لي عاديـا حُصنـا حصينـا وماءً كلَّما شئـتُ استَقَيـتُ
واوصى عاديـا يومـا بـأن لا تُهدِّمَ يا سَموءَلُ مـا بَنيـتُ

(١) اي تعلقت يدي بعد القيد بحبلك ، وهو داع للجوار والدفاع عن الجار .

فجاء شُريحٌ إلى الكلبيِّ فقال له : هَب لي هذا الاسيرَ المضرورَ . فقال : هولك . فأطلَقَه . وقال له شريح : اقِم عندي حتى أكرِمَك واحبُوَك . فقال له الاعشى : إن من تَمامِ صنيعتك أن تُعطِيَني ناقةً نجيبةً وتُخلِّيَني الساعةَ . فأعطاه ناقة ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أنَّ الذي وهب لشُريحٍ هو الاعشى . فارسل إلى شريح : ابعَث إليَّ الاسيرَ الذي وهبتُ لك حتى احبُوَه وأُعطِيَه . فقال : قد مضى . فارسل الكلبيُّ في أثَرِه فلم يَلحَقه .

دخل الأخطل على عبد الملك بنِ مروانَ وقد شرب خمرا وتضمَّخ ، وعنده الشعبي . فقال عبد الملك : يا شعبي «كام» الاخطلُ امهاتِ الشعراء جميعا . فقال له الشعبي : بأي شيء ؟ قال : حينَ يقول :

وتَظَلُّ تُنصِفُنا[١] بها قَرَوِيَّةٌ إبريقُها برِقاعِهِ مَلثومُ
فاذا تعاورتِ[٢] الأكُفُّ زُجاجَها نَفَحت فشَمَّ رياحَها المَزكومُ

فقال الاخطلُ : سمِعتَ بمثلِ هذا يا شعبيُّ ؟ قال : إن أمِنتُكَ قلت لك . قال : أنت آمِنٌ . فقال : اشعرُ ، واللهِ ، منك الذي يقول :

وأدكَنَ عاتِقٍ جَحْلٍ رِبَحْلٍ صَبَحتُ براحِهِ شَرْباً كِراما[٣]
مِنَ اللائي حُمِلنَ على المطايا كريحِ المِسكِ تَستَلُّ الزُّكاما

فقال الاخطل : ويحَك . ومَن يقولُ هذا ؟ قال : الاعشى . فقال : قُدُّوسٌ ، قُدُّوسٌ ، «كام» الاعشى امهاتِ الشعراء جميعا ، وحقِّ الصليبِ .

قال سليمانُ النوفَليُّ : اتيتُ اليمامَة والياً عليها ، فمررت بمَنفوحةٍ وهي مَنزِلُ الاعشى . فقلت : هذه قريةُ الاعشى ؟ قالوا : نعم فقلتُ : اين منزِله ؟ قالوا : ذاك، واشاروا اليه . قلت : فأين قبرُه ؟ قالوا : بفِناء بيته . فعَدَلتُ اليه بالجيش فانتهيتُ إلى قبره فاذا هو رَطْبٌ . فقلت : مالي اراه رَطبا ؟ فقالوا : ان الفِتيانَ يُنادِمونَه ، فيَجعلون قبرَه مجلِسَ رَجلٍ منهم . فاذا صار اليه القَدَح صبُّوه عليه لِقوله : « أرجِعُ إلى اليمامةِ فأشبَعُ من الأطيبين : الزنا والخمر » .

من مختار شعره ـــ المعلقة : ج ٩ صفحة ١٥٢

ودِّع هُرَيرَة إن الرَكبَ مُرتحِلُ وهل تُطيقُ وَداعاً ايُّها الرجلُ[٤]
غَرَّاءُ فَرعاءُ مصقولٌ عوارِضُها تمشي الهُوَينى كما يَمشي الوجِي الوَحِلُ[٥]

(١) تخدمنا . (٢) تعاور : تعاطى وتداول (٣) ادكن : ضارب الى السواد . عاتق: قديم . جحل : سِقاء واسع. ربحل : ضخم . (٤) هريرة : امة سوداء كان يشبب بها . (٥) مضى شرحه .

كأن مِشيتَها من بيــــت جارتِهــــا مَرَّ السَحابةِ لا رَيثٌ ولا عَجَلُ (١)
تَسمَعُ للحَلْيِ وَسواساً اذا انصرفــت كما استعان بريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ (٢)
لم تَمشِ مِيلا ولم تَركَب على جَمَلٍ ولم ترَ الشمسَ إلا دونَها الكِلَــلُ (٣)
ليسَت كمن يَكرَهُ الجيرانُ طَلعتَهــا ولا تَراها لسرِّ الجارِ تَختَتِلُ (٤)
قالت هُرَيرَةُ لما جئتُ زائرَها وَيلي عليكَ وويلي منك يا رجلُ
عُلِّقتُها عَرَضــاً وعُلِّقَــت رجــلا غيري وعُلِّقَ أُخرى غيرَهــا الرجــلُ
وقــــد أقودُ الصِبا يومــاً فيتبَعُني وقـــد يصاحبني ذو الشارةِ الغَزِلُ (٥)
وقد غَدَوتُ الى الحانوتِ يتبعـــــني شاوٍ نَشولٌ مِشَلٌّ شُلشُلٌ شَوِلُ (٦)
في فِتيةٍ كسُيوفِ الهندِ قـــد عَلِمــوا أن ليس يَرفعُ عن ذي الحيلةِ الحِيَلُ
نازعتُهم قُضُبَ الرَيحانِ مُتَّكِئــــاً وقَهوةً مُزَّةً راووقُهــــا خَضِلُ (٧)

ويقول فيها :

كناطحٍ صخرةً يومــــاً ليَفلِقَهـــــا فلم يَضِرها وأوهى قَرنَه الوَعِلُ (٨)
قالوا الطِرادُ فقلنـــــا تلك عادتُنــــا أو تَنـــزِلون فإنـــا مَعشَرٌ نُــزُلُ

ومن أصوات معبد في شعر الاعشى : ــج ١٦ ص ٢٨١ ــ

عهدي بها في الحيِّ قـــد دُرِّعــت صفراءَ مثلَ المُهـــرةِ الضامـــرِ
قـــد حَجمَ الثـــديُ على صدرهـــا في مُشرِقٍ ذي بهجـــةٍ ناضـــرِ
لـــو أسندت ميتـــاً الى نحـــرها عـــاشَ ولم يُحمَـــل الى قابرِ (٩)
حتى يقـــولَ الناسُ ممـــا رأَوا يـــا عجباً للميِّتِ النـــاشرِ (١٠)

---

(١) الريث : المهل . (٢) الوسواس : الخشخشة . العشرق : نبت مقدار ذراع لها أكمام فيها حب ، اذا يبست فمر الريح تحرك الحب وخشخش . زَجِل : مصوت (٣) الكِلل جمع كِلَّة وهي غشاء رقيق يتوقى به من البعوض . (٤) تختتل او تختل ، اي لا تحتال لتسمع سر جارها . (٥) الشارة : الهيئة الحسنة . الغزِل : الذي يحب الغزَل . (٦) الحانوت : بيت الخمار ، يذكر ويؤنث . الشاوي : الذي يشوي . النشول : الذي ينشل اللحم من القدر . مشل : سواق سريع يسوق به . شلشل : خفيف . شول : طيب الريح . (٧) قهوة : خمرة . راووقها : اناء الخمر تروق فيه. خضل : دائم الندى. (٨) الوعل : الأيل . (٩) قابر : دافن ، وقيل اسم للقبر نفسه . (١٠) الناشر : الخارج من القبر .

الشماخ

هو ابنُ ضِرارِ بنِ سِنانِ ابنِ غَطَفانَ. اسمُهُ مَعقِل والشمَّاخ لقب. وهو مُخَضرَم أدرك الجاهليةَ والإسلامَ. وهو احدُ مَن هجا عشيرتَه وأضيافَه ومَنَّ عليهم بالقِرى.

قال فيه ابن سلاَّم: كان شديدَ متُونِ الشعر. وقال الحطيئة في وصيَّته. أبلغوا الشمَّاخ أنه اشعرُ غَطَفان.

خرج الشمَّاخُ يُريد المدينة فلقيَه عَرَابةُ بنُ أوسٍ، فسأله عَما أقدَمَه المدينةَ. فقال: اردت أن أمتارَ لأهلي. وكان معه بَعيرانِ. فأوقرَهما له بُرًّا وتمراً وكساه وبرَّه وأكرمَه. فامتدحه يقول:

رأيتُ عَرابَةَ الأوسيَّ يَسمو الى الخَيرات مُنقَطِعَ القَرينِ
اذا ما رايةٌ رُفِعَت لمجدٍ تَلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

قال معاويةُ لعرابةَ بنِ أوسٍ: بأي شيء سُدتَ قومَك؟ فقال: أعفو عن جاهِلهم، وأعطي سائلَهم، وأسعى في حاجاتِهم. فمَن فعل كما افعلُ فهو مثلي. ومن قَصَّر عنه فانا خيرٌ منه. ومن زاد فهو خيرٌ مني.

قال ابو نُواس: ما احسن الشمَّاخَ في قوله:

اذا بَلَّغتِني وحَمَلتِ رَحلي عرابةَ فاشرَقي بدمِ الوَتينِ (١)

لا كما قال الفرزدق:

متى تَردي الرُصافةَ تستريحي من التهجيرِ والدَّبَرِ الدوامي (٢)

أنشدَ عبدُ المَلك قولَ الشمَّاخِ في عَرابةَ:

اذا بلَّغتِني وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرَقي بدمِ الوتينِ

فقال: بِئستَ المكافأةُ كافأها، حمَلت رحلَه وبلَّغته بُغيتَه فجعل مكافأتَها نحرَها.

نصب عبدُ الملك بن مروان الموائدَ يُطعِمُ الناسَ. فجلس رجل من اهلِ العِراق على بعض تلكَ الموائدِ. فنظر اليه خادمٌ فأنكَره. فقال له: أعِراقيٌّ انت؟ قال: نعم. قال: انت جاسوس؟ قال: لا. قال: بلى. قال: ويحَك. دعني أتهنَّأ بزادِ اميرِ المؤمنينَ ولا تُنَغِّصني به. ثم إن عبدَ

(١) عرق في القلب، اذا انقطع مات صاحبه. (٢) التهجير: المشي في الهاجرة، وقت الحر. الدبر: قرحة الدابة.

الملك وقف على تلك المائدةِ فقال : من القائلُ :

اذا الأرطى توسّدَ أبرَدَيه   خُدودُ جَوازِئٍ بالرَّملِ عِينِ (١)

وما معناهُ ؟ ومن أجاب فيه أجزناه ، والخادمُ يسمع . فقال العراقي للخادم : أتحبُّ أن أشرَحَ لك قائلَه وفيمَ قاله ؟ قال : نعم . قال : يقوله عَديُّ بنُ زيد في صفةِ البطيخ الرمسيّ . فقال ذلك الخادم . فضَحِك عبدُ الملك حتى سقط . فقال له الخادم : أخطأتُ ام أصبتُ ؟ فقال : بل أخطأتَ . فقال : يا اميرَ المؤمنين هذا العراقيُّ ، فعلَ اللهُ به وفعلَ ، لَقّنَنيه . فقال : ايُّ الرجالِ هو؟ فأراه اياه . فعاد اليه عبدُ الملك وقال : انت لَقّنتَه هذا ؟ قالَ : نعم . قال : أفخطأً لقّنته ام صواباً ؟ قال : بل خطأً . قال : ولِمَ . قال : لاني كنتُ متحرّماً بمائدتك ، فقال لي كيت وكيت . فاردتُ ان أكفّه عني وأُضحِكَك . قال : فكيف الصواب ؟ قال : يقوله الشمّاخ بن ضِرار الغَطَفاني في صفة البقر الوحشيّة قد جَزَأت بالرَطبِ عن الماء . قال : صدقتَ . وأجازه . ثم قال له : حاجتَك ؟ قال : تُنحّي هذا عن بابك فإنه يَشينُه .

قال معاوية لعبد الله بن الزبير وهو عنده في المدينة : يا ابنَ الزبير ، ألا تَعذِرُني في حَسَنِ بنِ علي ! ما رأيتُه مذ قَدِمتُ المدينةَ الامرةَ . قال : دع عنك حَسَناً . فانت وهو كما قال الشمّاخ :

أُجامِلُ أقواماً حَياءً وقد أرى   صدورَهمُ تَغلي عليَّ مِراضُها

والله لو يَشاءُ حسنٌ ان يضرِبَك بمئة الف سيفٍ ضربَك . واللهِ لأهلُ العراقِ أرأَمُ له من أم الحُوارِ بحُوارِها . فقال معاوية : أردتَ أن تُغريَني به . والله لأصِلَنّ رَحِمه ولأُقبِلَنّ عليه . فقال ابن الزبيرِ : اما والله إني واياه لَيَدٌ عليك بحِلفِ الفُضول . فقال معاوية : مَن انت ! لا أعرِضُ لك وحِلفَ الفُضولِ . والله ما كنتَ فيها الا كالرهينة (٢) تُثخَنُ مَعَنا وتَردى هزيلا .

قيس بن ذَريح

كان رضيعَ الحسينِ بنِ علي ، أرضعته أمُّ قيس . وكان منزِلُ قومه في ظاهر المدينة ، وكان هو وابوه من حاضرة المدينة . فمرَّ قيسٌ لبعض حاجته بخيامِ بني كعبِ بنِ خُزاعةَ ، فوقف على

(١) الارطى : شجر . اي اذا توسد الارطى . الابردان : الظل والفيء او الغداة والعشي . الظل يصير فيئاً اذا تحولت الشمس الى الغروب فيتحول الظل من الغرب الى الشرق . فهو الفيء . الجوازىء بقر الوحش التي تجتزىء باكل النبات الاخضر عن الماء . العِين : الواسعات العيون . يقول اذا خدود الجوازىء توسدت من الارطى أبرديه .   (٢) المعنى : ان الرهينة تحارب واذا قتلت لا يدفع ثمن لدمها .

خيمةٍ منها والحيُّ خُلوفٌ والخيمةُ خيمةُ لُبنى بنتِ الحُبابِ الكَعبيَّة . فاستقى ماءً فسقته وخرجت اليه به وكانت امرأةً مديدةَ القامةِ شهلاء⁽¹⁾ حلوةَ المنظر والكلام . فلما رآها وقعت في نفسه . وشربَ الماء . فقالت له : أتنزلُ فتتبرَّدَ عندنا ؟ قال : نعم . فنزَل بهم . وجاء ابوها فنحر له وأكرمه . فانصرف قيسٌ وفي قلبه من لبنى حرٌّ لا يُطفأ . فجعل ينطِق بالشعر فيها حتى شاع ورُويَ . ثم اتاها يوماً آخرَ وقد اشتد وجدُه بها . فسلَّم فظهرت له وردَّت سلامَه وتحفَّت به . فشكا اليها ما يجدُه بها وما يلقى من حبها . وشكت اليه مثلَ ذلك فأطالت . فانصرف الى ابيه وأعلمه حالَه وسأله ان يزوِّجَه اياها . فأبى عليه وقال : يابُنَي ، عليك بإحدى بناتِ عمِّك فهن احقُّ بك . وكان ذَريحٌ كثيرَ المال ، مُوسِراً . فأحبَّ ألاَ يَخرُجَ ابنهُ الى غريبة . فانصرف قيس ، وقد ساءه ما خاطبه ابوه به . فأتى امه فشكا ذلك اليها واستعان بها على أبيه فلم يجد عندها ما يُحب . فأتى الحُسينَ بنَ عليٍ وابنَ ابي عتيقٍ فشكا اليهما ما به وما ردَّ عليه ابوه . فقال له الحسين : انا أكفيك . فمشى معه الى أبي لُبنى فلما بَصُر به أعظمَه ووثب اليه وقال له : يا ابنَ رسولِ الله ، ما جاء بك ؟ ألا بعثتَ الي فأتيتُك . قال : ان الذي جئت فيه يُوجِب قصدَك ، وقد جئتُك خاطباً ابنتَك لُبنى لقيس بنِ ذَريح . فقال : ما كنا لنَعصيَ لك امراً ، وما بنا عن الفتى رغبةٌ . ولكن أحَبُّ الامرِ الينا ان يَخطُبَها ذَريحٌ ابوه علينا وان يكونَ ذلك عن أمره . فإنا نَخاف إن لم يَسعَ ابوه في هذا أن يكونَ عاراً وسُبَّةً علينا . فأتى الحسينُ ذَريحاً وقومَه وهم مجتمعون . فقاموا اليه إعظاما له وقالوا له مثلَ قولِ الخُزاعيين . فقال لذريح : اقسَمتُ عليك إلاَّ خطبتَ لُبنى لابنك قيس . قال : السمعُ والطاعةُ لأمرِك . فخرج معه في وجوهٍ من قومه حتى اتَوا لبنى . فخطبها ذَريحٌ على ابنه الى ابيها فزوَّجه اياها . وزُفَّت اليه . وكان ابرَّ الناس بأمه . فألهته لبنى وعُكوفُهُ عليها عن بعض ذلك . فوَجدت⁽²⁾ امهُ في نفسها وقالت : لقد شَغَلَت هذه المرأةُ ابني عن بِرِّي . ثم لم تَرَ للكلام في ذلك موضِعاً ، حتى مرِض مَرَضاً شديداً . فلما بَرَأ من عِلَّته قالت امه لابيه : لقد خَشيتُ ان يموتَ قيسٌ وما يَترُك خَلَفاً ، وقد حُرِمَ الولَد من هذه المرأة . وانت ذو مال ، فيصير مالُك الى الكَلالة⁽³⁾ . فزوِّجه بغيرها لعلَّ اللهَ ان يَرزُقَه ولداً . وألحَّت عليه في ذلك . فقال له ابوه : يا قيسُ إنك اعتللتَ هذه العلَّةَ فخفتُ عليك ولا ولدَ لك ولا لي سواك . وهذه المرأةُ ليست بوَلود . فتزوَّج إحدى بناتِ عمِّك ، لعل اللهَ أن يَهَب لك ولداً تَقَرُّ به عينُك وأعينُنا . فقال قيسٌ : لست متزوجاً غيرَها ابداً . فقال له ابوه : فان في مالي سعَةً فتَسَرَّ بالاماء . قال : ولا أسوءُها بشيءٍ ابداً واللهِ . قال ابوه : فاني أقسِم عليك إلا طَلَّقتَها . فأبى وقال : الموتُ والله عليَّ اسهلُ من ذلك . ولكني أخيِّرُك خَصلةً من ثلاث خِصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوجُ انت فلعل اللهَ ان يَرزُقَك ولداً غيري . قال : فما فيَّ فَضلَةٌ لذلك . قال : فدَعني ارتحِلْ عنك بأهلي واصنع ما

---

(١) يخالط سواد عينيها زرقة . (٢) وجدت : حزنت في غضب . (٣) الورثة الابعدون .

كنتَ صانعاً لو مُتُّ في علّتي هذه . قال : ولا هذه . قال : فأدَعُ لبنى عندك وأرتحِلُ عنك فلعلي أسلوها . فقال : لا أرضى او تُطلّقَها . وحلف لا يَكُنُّه سقفُ بيتٍ ابداً حتى يُطلّقَ لبنى . فكان يَخرُجُ فيَقِفُ في حرِّ الشمسِ ، ويَجيءُ قيسٌ فيقف الى جانبه فيُظِلُّه بردائه وَيصْلَى هو بحرِّ الشمس حتى يَفيءَ الفَيءُ فينصرفُ عنه ، ويدخل الى لبنى فيعانقها وتعانقه ، ويبكي وتبكي معه وتقول له: يا قيسُ ، لا تُطِعِ اباك فتَهلِكَ وتُهلكَني . فيقول : ما كنت لأُطيعَ احداً فيك ابداً . ومكث كذلك سنةً ، ثم طلّقها . ولم يلبث حتى استُطير عقلُه وذهب به ولَحِقَه مثلُ الجنون . وتذّكر لبنى فأسِف وجعل يبكي ويَنشِجُ أحرَّ نشيجٍ .

وأقبلَ ابوها بهودج على ناقة وبإبلٍ تَحمِل أثاثَها ، وأُدخِلَت هودجَها ورحلت وهي تبكي . فسقط مَغشيّاً عليه لا يَعقِل . ثم أفاق ، ونظر الى خُفِ بعيرِها فأكبَّ عليه يُقبّلُه ، ورجع يُقبِّل موضِعَ مجلِسها وأثرَ قدمِها . فَليمَ على ذلك فقال :

وما أحببتُ أرضَكُمُ ولكن أُقبِّلُ إثرَ مَن وَطِىءَ الترابا

اذا نادى المنادي باسم لبنى عَيِيتُ فما أُطيقُ له جَوابا

فلما جَنَّ عليه الليلُ وانفرد وأوى الى مضجعه لم يأخُذه القَرارُ وجعل يتململ فيه تملمُلَ السَليمِ [١] ثم وثب حتى اتى موضِعَ خِبائها فجعل يَتمرَّغُ فيه ويَبكي ويقول :

وَيلي وعَولي ومالي حين تُفلِتُني من بعد ما أحرزَت كَفّي بها الظَفَرا

قد قال قلبي لطَرفي وهو يَعذِلُه هذا جزاؤكَ مني فاكدُمِ الحَجَرا

قد كنتُ أنهاك عنها لو تُطاوِعُني فاصبِر فما لك فيها أجرُ مَن صَبَرا

وقال ايضا :

فأصبحتُ الغداةَ ألومُ نفسي على شيء وليس بمُستطاعِ

كمغبونٍ يَعَضُّ على يديه تَبيَّنَ غَبْنَه بعد البِياعِ

وقال :

بَكَيتُ نعم بَكَيت وكلُّ إلفٍ اذا بانت قرينتُه بكاها

وما فارقتُ لُبنى عن تَقالٍ [٢] ولكن شِقوةٌ بلغت مداها

وقال : ج ٥ ص ٢٠٩ –

اذا خَدِرته رِجلي [٣] تذكرتُ مَن لها فناديتُ لُبنى باسمِها ودَعَوتُ

بَرَت نبلَها للصيد لُبنى ورَيَّشت ورَيَّشتُ أخرى مثلَها وبَرَيتُ

(١) الملدوغ . (٢) تقال : جفاء وقل وبغضاء . (٣) كان العرب اذا خدرت الرجل ينادون باسم الحبيب ليذهب خدرها

فلما رمتني أقصدتني [1] بسَهمهـــا وأخطأتُها بالسَهم حين رَمَيــتُ

وأقسم عليه ابوه إن يَسيرَ في أحياء العرب والنزُول عليهم فلعلّ عينَه ان تَقَع عَلى امرأة تُعجبُه . فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارةَ فرأى جاريةً حسناء قد حَسَرت بُرقُعَ خزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلةَ تِمِّه ، فقال لها : ما اسمُكِ يا جاريةُ ؟ قالت : لُبنى . فسقط على وجهه مَغشياً عليه . فنضحت على وجهه ماءً وارتاعت لِما عَراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيسُ ذَريح إنه لَمجنونٌ . فأفاق ، فنسَبَته ، فانتسب . فقالت : قد علمتُ أنكَ قيسٌ . ولكن نَشَدتُك بالله وبحق لُبنى إلا أصبتَ من طَعامنا . وقدَّمَت اليه طعاما . فأصاب منه بإصبَعه . ورَكِب . فأتى على أثَره اخٌ لها كان غائبا ، فرأى مُناخَ ناقته ، فسألهم عنه فأخبروه . فرَكِب حتى ردَّه الى منزله ، وحلف عليه ليُقيمَنَّ عنده شهرا . فقال له : لقد شَقَقتَ علي ، ولكني سأتبعُ هواك . والفَزاريُّ يزداد إعجابا بحديثه وعقله وروايته . فعرض عليه الصِّهرَ . فقال له ، يا هذا ، إن فيك لَرغبةً ، ولكني في شُغلٍ لا يُنتَفَعُ بي معه . فلم يزل به حتى أجابه وعَقَدَ الصهرَ بينه وبينه على أخته لُبنى ، وقال له : انا أسوقُ عنك صَداقَها . فقال : انا والله يا اخي اكثرُ قومي مالاً ، فما حاجتُكَ الى تَكلُّف هذا ؟ انا سائرٌ الى قومي وسائقٌ اليها المَهرَ . ففعل وساق المَهر ورجَع الى الفَزاريين حتى أُدخلَت عليه زوجتُه . فلم يَرَوه هَشَّ اليها ولا دنا منها ولا خاطَبَها بحرف ولا نظر اليها . ثم أعلمهم أنه يُريدُ الخروجَ الى قومه أياما فأذِنوا له . فمضى . فأتاه صديقٌ له فأعلَمه أن خبر تزويجه بلغ لُبنى فغمَّها وقالت : إنه لَغدّارٌ .

وقد كان ابوها شكا قيساً الى معاويةَ وأعلمه تعرُّضَه لها بعدَ الطلاق . فكتب الى مَروانَ بنِ الحَكَم يُهدِرُ دمه إن تَعرَّض لها . وامر اباها ان يُزَوِّجَها رجلا من آل كَثيرِ بنِ الصَلتِ . فزوَّجها ابوها منه .

وحج قيسٌ ، واتفق ان حجَّت لُبنى في تلك السنةِ فرآها والتقيا .

وبكيا حتى كادا يَتلَفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلَّته فيُخبِرُها ويسألُها فتُخبِرُه . ثم قالت : انشدني ما قلت ، فأنشدَها :

رمتني لُبنى في الفــؤاد بسهمهـــا وسهمُ لبنى للفــؤاد صَيُـــودُ
كأنيَّ من لبنى سَليـــمٌ مُسَهَّـــدٌ يَظَلُّ على أيدي الرجال يَميـــدُ
فلا اليأسُ يُسليني ولا القُربُ نافعـــي ولُبنى مَنوعٌ ما تَكادُ تَجـــودُ
فان ذُكِرت لُبنى هَشِشتُ لذكرهـــا كما هَشَّ للثديِ الدَرورِ وليـــدُ

وعاتَبته على تزوُّجه ، فحلف أنه لم ينظُر اليها ولا دنا منها ، فصَدَّقَته .

---

(١) أقصدتني : أصابت مقاتلي .

وبلغ الفَزاريين إلمامُه بلُبْنى فكاتبوه وعاتبوه . فقال للرسول : قل للفتى : يا أخي ما غرَرتُك من نفسي . وقد جعلتُ أمرَ أُختِك اليك . فتكرَّمَ الفتى عن أن يُفرِّقَ بينهما . فمكثت في حِبالِه مدةً ثم ماتت .

قال الخليلُ بن سعيد : مررتُ بسوق الطَّير ، فاذا الناسُ يَركَبُ بعضُهم بعضًا ، فاطَّلعتُ فاذا ابو السائبِ المخزوميُّ قائمٌ على غُرابٍ يُباع وقد أخذ بطرَف ردائه وهو يقول للغراب : يقول لك قيسُ بنُ ذَريحٍ :

ألا يا غُرابَ البَينِ قد طِرتَ بالـذي … أُحاذر مِن لبنى فهل انت واقـعُ ؟

لِمَ لا تَقَعُ ؟ ويَضرِبُه بردائه والغُرابُ يَصيحُ . فقال له قائلٌ : أصلحكَ اللهُ ، يا ابا السائبِ ، ليس هذا ذاك الغُرابَ . فقال : قد علِمتُ ، ولكن آخُذُ البريءَ حتى يقعَ الجَريءُ .

ولما بلغ لُبْنى قولُ قيسٍ هذا البيتَ من الشعر آلت الا ترى غُرابا إلا قتلته . فكانت كلَّما رأته او رأته خادمٌ[(١)] لها او جارةٌ ابتيعَ مِمَّن هو معه وذبحته .

وهذه القصيدةُ العينية من جيد شعر قيسٍ ، والمختارُ منها قولُه :

أتبكي على لبنى وانتَ تركتَهـا … وكنت كآتٍ حتفَه وهو طائـعُ
أُقضِّي نَهاري بالحديث وبالمُـنى … ويَجمعُني والهَمَّ بالليل جامـعُ
نَهاري نَهارُ الناس حتى اذا دجـا … ليَ الليلُ هزَّتني اليكِ المَضاجـعُ
لقد رسخَت في القلب منـك مَودَّةٌ … كما رسخت في الراحتين الأصـابعُ
وليس لأمرٍ حاولَ اللـهُ جمعَـه … مُشِتٌّ ولا ما فرَّق اللهُ جامـعُ

وشُهِر امرُ قيس بالمدينة وغنى في شعره الغريضُ ومعبدٌ ومالكٌ فلم يبقَ شريف ولا وضيع الا سمِع بذلك فأطربه وحزِن لقيس . وجاءها زوجُها فأنَّبها على ذلك وعاتبها وقال : قد فضحتِني بذكرِك . فغضبت وقالت : يا هذا ، إني ، والله ، ما تزوجتُك رغبةً فيك ولا في ما عندك ، ولا دُلِّس امري عليك . ولقد علِمتَ أني كنتُ زوجتَه قبلَك وأنه أُكرِه على طلاقي . والله ما قبِلتُ التزويجَ حتى أُهدِرَ دمُه إن ألمَّ بحيِّنا . فخَشِيتُ أن يَحمِلَه ما يَجِد[(٢)] على المُخاطرة فيُقتَلَ ، فتزوجتُك . وامرُك الان اليك . ففارِقني فلا حاجةَ بي اليك . فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يُغَنِّينَهَا بشِعر قيسٍ كيما يستصلِحَها بذلك فلا تزدادُ إلا تماديا وبُعدا . ولا تزال تبكي كلما سمعت شيئا من ذلك أحرَّ بُكاء .

وذكر القَحذَميُّ أن ابنَ ابي عتيقٍ صار الى الحَسَنِ والحسينِ ابنَي عليٍّ وعبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ وقال لهم : إنَّ لي حاجةً الى رجل اخشى ان يَرُدَّني فيها . واني أستعين بجاهكم فيها عليه . فمضى بهم

(١) خادم : للرجل والمرأة . (٢) يجد : يحس به من وجد .

الى زوج لبنى . فلما رآهم أعظمَ مصيرهم اليه وأكبَره . فقالوا : لقد جئناك في حاجة لابن ابي عتيقٍ . قال : هي مَقضيّةٌ كائنةٌ ما كانت . قال ابنُ ابي عتيق : قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مُلكٍ او مال او أهلٍ ؟ قال : نعم : قال : تَهَبُ لهم ولي لبنى زوجتَك وتُطلّقُها . قال : انها طالق ثلاثا . فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عَرفنا حاجته . ولو علمنا أنها هذه ما سألناك اياها . وعَوَّضه الحسنُ من ذلك مئةَ الفِ درهمٍ . وسأل القومُ اباها ، فزوَّجها قيسا . فلم تزل معه حتى ماتا .

عمر بن عبد العزيز

عمر بنُ عبدِ العزيز بنِ مروانَ ويُكنّى أبا حَفصٍ . وامُّه بنتُ عاصمِ بنِ عمرَ بنِ الخطاب . وكان يقال له : أشَجُّ قريشٍ ، لانه خرج وهو غلامٌ يلعب فرمَحَته (١) بغلةٌ على جبينه . فبلغ الخبرُ امَّه فقالت لعبد العزيز : اما الكبيرُ فيُخدَم ، واما الصغيرُ فيُكرمُ ، واما الوَسَطُ فيَضيع . لِمَ لا تتَّخذُ لابني حاضنا حتى أصابَه ما تَرى .

لما وَلِي عمرُ بنُ عبدِ العزيز ، بَدأ بلُحمَته (٢) واهلِ بيته فأخذ ما كان في أيديهم وسمّى اعمالَهم المَظالمَ . ففزِعت بنو اميّةَ الى فاطمةَ بنتِ مروانَ عمّته . فأرسلَت اليه : إنه قد عَناني امرٌ لا بُدَّ من لقائك فيه . فاتته ليلا ، فانزلها عن دابّتها ، فلما اخذت مجلسَها قال : يا عمّةُ ، انتِ أولى بالكلام لان الحاجةَ لك ، فتكلّمي . قالت : تَكلّم يا اميرَ المؤمنين : قال : إن اللهَ ، تبارك وتعالى ، بعث محمدًا رحمةً ، لم يبعثه عَذابا ، ثم قَبضَه اليه وترك لهم نهرا شِربُهم فيه سَواءٌ . ثم قام ابو بكرٍ فترك النهرَ على حاله . ثم وَلي عُمرُ فعمل على عمل صاحبه . فلما وَلي عُثمانُ اشتقَّ من ذلك النهر نهرا . ثم وَلِيَ مُعاويةُ فشقَّ منه الانهارَ . ثم لم يزل النهرُ يَشُقُّ منه يَزيدُ ومَروانُ وعبدُ الملك والوليدُ وسليمانُ حتى افضى الامرُ اليَّ ، وقد يَبِس النهر الاعظمُ ولن يَروَى اصحابُ النهرِ حتى يَعودَ اليهم النهرُ الاعظمُ الى ما كان عليه . فقالت له : قد اردتُ كلامَك ومذاكرتَك . فأما اذ كانت هذه مقالتك ، فلستُ بذاكرة لك شيئا ابدا . ورجَعت اليهم فأبلغتهم كلامَه . وقيل : قالت لهم : ذوقوا مَغبّةَ امرِكم في تزويجِكم آلَ عُمرَ بنِ الخطاب .

(١) رمحته : رفسته . (٢) قرابته .

وخطب عمرُ يوما في المسجد فقال :

لكل سَفَرٍ زادٌ لا محالةَ ، فتزوّدوا من الدنيا الى الآخرة التقوى . كونوا كمن عاين ما اعدّ اللهُ له من ثوابه وعقابه ، فعمل طَلَبًا لهذا وخوفا من هذا . اعوذُ بالله أن آمُرَكم بما أنهى نفسي عنه فتَخسرَ صَفقتي وتَظهرَ مسكنتي يومَ لا يَنفعُ فيه الا الحقُّ والصِّدقُ . فارتجَّ المسجدُ بالبُكاء ، وبكى عمر حتى بل ثوبه .

قال دُكَيْنُ الراجز : امتدحتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيز وهو والي المدينة . فقال لي : يا دُكَيْنُ ، إن لي نَفسا تَوّاقةً ، فإن صِرتُ الى اكبرَ مما انا فيه فَأتِني ولك الإحسانُ .

ثم قال : واني لَبِصحراءِ فَلْجٍ اذا ناعٍ يَنعى سُليمانَ . قلت : فمَن القائمُ بعدَه ؟ قال : عُمرُ بنُ عبدِ العزيز. فتوجّهت نحوه فلقيَني جريرٌ منصرفا من عنده ، فقلت : يا ابا حَزرةَ ، مِن أينَ ؟ فقال : من عند مَن يُعطي الفُقراءَ ويَمنعُ الشعراءَ . فانطلقتُ اليه فاذا هو في عَرصَةِ دارٍ وقد احاط به الناسُ ، فلم أخلُص اليه . فناديتُ :

يا عُمرَ الخيراتِ والمَكارمِ وعمرَ الدسائعِ [1] العظائمِ
إني امرُؤٌ من قَطَنِ بنِ دارمِ طلبتُ دَيْني من أخي مَكارمِ

فقال : ادنُ يا دُكَيْنُ . انا كما ذكرتُ لك . إن نفسي لم تنل شيئا الا تاقت لما هو فوقَه ، وقد نِلتُ غايةَ الدنيا فنفسي تتوق الى الآخرة . واللهِ ما عندي الا الفُ درهمٍ ، فخذ نصفَها . قال : فواللهِ ما رأيت ألفاً كان اعظمَ بَركةً منه .

ودكين هو الذي يقول :

اذا المرءُ لم يَدنَس من اللُؤمِ عِرضُه فكلُّ رِداءٍ يَرتديهِ جميلُ
وإن هو لم يَرفَع عن اللُؤمِ نَفسَه فليس إلى حُسنِ الثَناءِ سبيلُ

ــج ٦ ص ٣٣٧ــ قيل لعبدِ العزيز: إن بالمدينة مخنَّثا قد أفسد نساءَها. فكتب الى عامله بالمدينة أن يَحملَه. فأُدخِلَ عليه فاذا شيخٌ خَضيبُ اللحيةِ والأطراف مُعتَجِرٍ بسَبَنيَّة [2] قد حمل دُفًّا في خريطته . فلما وقف بين يدي عمرَ صَعَّد بَصرَه فيه وصَوَّبه وقال : سَوأةً لهذه الشيبة وهذه القامة ! أتحفَظُ القُرآنَ ؟ قال : لا ، والله ، يا أبانا . قال : قَبَّحك اللهُ ! أتقرأُ من المُفَصَّل شيئا ؟ قال : وما المُفصَّل ؟ قال : ويلَك ! أتقرأُ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأُ « الحمدُ لله » وأُخطِىءُ فيها في موضِعين او ثلاثة . قال: ضَعُوه في الحَبس ووَكِّلوا به معلِّما يُعلِّمُه القرآنَ وما يَجب عليه من حُدود الطَهارةِ والصَلاة، وأجرُوا عليه كلَّ يوم ثلاثةَ دراهمَ وعلى مُعلِّمه ثلاثةَ دراهمَ أُخرَ ، ولا يَخرُج من الحبس حتى يَحفَظَ القرآنَ أجمعَ . فكان كلَّما عُلِّم سُورةً نسي التي قَبلَها .

(١) الشمائل والعطايا . (٢) منسوبة الى سبن ، بلدة ببغداد ، وهي ازار اسود من الحرير يلبسه النساء .

فبعث رسولا الى عمر: يا اميرَ المؤمنين ، وجِّه إلي مَن يحمِل اليك ما أتعلَّمُه اولاً فأولا ، فاني لا اقدِر على حَملِه جُملةً واحدة . فبَئِس عمرُ من فَلاحه وقال : ما ارى هذه الدراهمَ الا ضائعةً . ولو أطعمناها جائعا أو أعطيناها مُحتاجا أو كسوناها عُريانا لكان أصلحَ . ثم دعا به . فلما وقف بين يديه قال له : إقرأ : « قل يا ايها الكافرون » . قال : أسألُ اللهَ العافيةَ ! أدخلتَ يدَك في الجراب فأخرجتَ شرَّ ما فيه وأصعبَه. فأمر به فوُجِئت عُنُقُه ونفاه . فاندفع يغني ، وقد توجهوا به :

عُوجي عليَّ فسلِّمي جَبرُ فيمَ الوُقوفُ وأنتمُ سَفْرُ
ما نَلتقي إلا ثَلاثَ مِنىً حتى يُفرِّقَ بيننا النَفْرُ

– الشعر للعرجي – فلما سَمِع الموكَّلون به حُسنَ ترنُّمِه خلَّوه وقالوا له : اذهب حيث شئت مُصاحَبا ، بعد استماعهم منه طَرائفَ غِنائِه سائرَ يومِهم وليلِهم .

لما حضرت عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ الوفاةُ جمع وَلَدَه حولَه ، فلما رآهم استعبر ثم قال : بأبي وامي من خَلَّفتُهم بعدي فقراءَ . ثم قال : إن وَلدي بين رجلين :

اما مُطيعٌ لله فاللهُ مُصلِحٌ له شأنَه ورازقُه ما يَكفيه ، أو عاصٍ له فما كنت لأُعينَه على معصيته . ولما مات وقف مَسلَمَةُ بنُ عبدِ الملك عليه بعدَ أن أُدرِجَ في كَفَنه فقال : رَحِمَك اللهُ يا امير المؤمنين . فقد أورثتَ صالحينا اقتداءً بك وهُدًى ، وملأتَ قلوبَنا بمواعظك خشيةً وتُقًى ، وأثَّلتَ[1] لنا بفضلك شَرَفا وفخرا .

قال ابراهيم بن مَيسَرةَ : ان عمر بن عبد العزيز اشترى موضِعَ قبرِه بعشرةِ دنانيرَ .

عدي بن الرقاع

كان شاعرا متقدِّما عند بني امية مَدّاحا لهم خاصًّا بالوليد بن عبد الملك، وكان منزِله بدمشقَ . وهو من حاضرةِ الشعراءِ لا من باديتهم .

دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وهو خليفةٌ وعندَه عديُّ بنُ الرِقاعِ العاملي . فقال الوليدُ لجرير : اتعرِفُ هذا ؟ قال : لا ، يا اميرَ المؤمنين . فقال الوليد : هذا عديُّ بنُ الرقاع . قال : فشرُّ

---

(١) أثل : أصل .

الثياب الرقاعُ . فمَن هو ؟ قال : من عاملةَ . قال : أمن التي قال الله فيها : « عاملةٌ ناصبةٌ تصلى نارا حاميةً » . فقال الوليد : والله ليَركبنّك . لشاعرنا ومادحنا والراثي لأمواتنا تقولُ هذه المقالةَ . يا غُلامُ ، علي بإكاف [١] ولجام . فقام اليه ابنُه عُمرُ فسأله ان يُعفيَه ، فأعفاه . فقال : والله لئن هجوتَه لأفعلنَّ ولأفعلنَّ .

كان عديٌّ ينزل بالشام ، وكانت له بنتٌ تقول الشعر ، فأتاه ناسٌ من الشعراء ليُماتنوه [٢] وكان غائبا . فسمعت بنتُه وهي صغيرة لم تبلُغ دَورَ وعيدهم ، فخرجت اليهم وانشأت تقول :

تَجمعتُم من كل أوبٍ وبلـــدةٍ ... على واحدٍ لا زلتم قِرنَ واحدِ

فأفحمتهم .

عزل الوليدُ بنُ عبد الملك عُبيدةَ بنَ عبد الرحمن عن الأردُنّ وضربَه وحلَقَه وأقامَه للناس وقال للمتوكلين به : مَن اتاه متوجعًا فأتوني به . فأتى عَديُّ بنُ الرقاعِ وكان عُبيدةُ اليه مُحسناً ، فوقف عليه وقال :

فما عزلوك مَسبوقــاً ولكـــن ... الى الخيرات مِسباقاً جَـــوادا
وكنت اخي وما ولَدتك امـــي ... وَصُولاً باذلا لي مُستَـــرادا
وقد هِيضت لنكبتك القُدامـــى [٣] ... كذاك اللهُ يفعل مـــا ارادا

فوثب المتوكلون به اليه فأدخلوه الى الوليد واخبروه بما جرى فتغيَّظَ عليه الوليدُ وقال: اتمدَحُ رجلا قد فعلتُ به ما فعلتُ؟ فقال: يا اميرَ المؤمنين، انه كان الي مُحسنا، ولي مُؤثرا وبي بَرًّا، ففي ايِّ وقت كنتُ أكافئُه بعدَ هذا اليومِ . فقال: صدقتَ وكرُمت . فقد عفوت عنك وعنه لك . فخذه وانصرف .

قال جرير : سمعت عديَّ بنَ الرقاع يُنشدُ :

تُزجي أغنَّ كأنَّ إبرَةَ رَوقِـــه [٤]

فرَحِمتُه من هذا التشبيه فقلت : بأي شيء يُشبِّهُه تُرى . فلما قال :

قَلَمٌ اصاب من الدَواةِ مِدادَهـــا

رَحِمتُ نفسي منه .

قال محمدُ بنُ المُنجّم : ما احدٌ ذُكر لي فأحببتُ ان اراه ، فاذا رأيتُه امرتُ بصفعه ، الا عديَّ بنَ الرقاع لقوله :

وعَلِمتُ حتى ما أُسائِـــلُ عالِمـــا ... عن عِلمِ واحدةٍ لكي ازدادَهـــا

---

(١) بردعة . (٢) ليعارضوه . (٣) هاض الجناح : كسره . القدامى : ريش الجناح الكبار . والخوافي: الصغار.
(٤) قرنه .

فكنتُ أَعرِضُ عليه اصنافَ العلوم ، فكلّما مَرَّ به شيءٌ لا يُحسِنُه امرتُ بصَفعِه .

كان ابو عبيدة يستحسن جداً بيتَ عديٍّ :

وَسنانُ أَقصَدَه النُعاسُ فرنَّقَت   في عينه سِنَةٌ وليس بنائِمِ

ويقول : ما قال أحدٌ في مثل هذا المعنى احسنَ منه .

الوسنان : النائم . الوَسَن : النوم ، الواحدة منه سِنة . أقصده : أصابه . والترنيق : الدنو من الشيء يريد ان يفعله . ويقال : رَنَّقت العُقابُ لصيدِها ، اذا دنت منه ومدَّت أجنحتَها فلم تَخفُق وترجَّحت .

دريد بن الصِمَّة

فارسٌ شُجاعٌ شاعرٌ فحلٌ . كان سيِّدَ بني جُشَمَ وفارسَهم وقائدَهم وكان مظفَّرا ميمونَ النقيبةِ(١) ، وغزا نحوَ مئة غَزاة ما أخفقَ في واحدة منها وادرك الإسلامَ فلم يُسلِم . امُّه رَيحانةُ بنتُ مَعدِ يكَرِبَ الزُبَيديِّ اختُ عَمرٍو ، كان الصِمَّةُ سباها وتزوَّجها فأولدها بنيه . وإياها يعني عمرٌو بقوله :

أمِن ريحانةَ الداعي السميعُ   يُؤرِّقُني وأصحابي هُجوعُ

اذا لم تَستطِع شيئاً فدَعهُ   وجاوِزه الى ما تَستطيعُ

قال ابو عمروِ بنِ العَلاء : احسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دريدٍ :

تَقول ألا تَبكي أخاك وقد أرى   مكانَ البُكا لكن بُنِيتُ على الصبرِ

فإنّا لَلَحمُ السيفِ غيرَ نَكيرةٍ   ونُلحِمُه(٢) حينا ولَيس بذي نُكرِ

يُغارُ علينا واترين فيُشتَفى   بنا إن أُصِبنا ، أو نُغيرُ على وِترِ(٣)

بذاك قَسمنا الدَهرَ شَطرين قِسمةً   فما يَنقضي الا ونحن على شَطرِ

وغزا عبدُ الله بنُ الصِمَّةِ ، اخو دريدٍ ، غَطَفانَ ومعه بنو جُشَمَ فظَفِر بهم وساق اموالَهم

(١) النقيبة : السجية ، والمشورة والمقصود هنا المعنى الثاني . (٢) تلحمه : نطعمه اللحم . (٣) الوتر : الفرد ضد الشفع . والوتر : الظلم والانتقام ، وهو المقصود هنا .

ومضى بها . ولما كان منهم غيرَ بعيدٍ قال : انزلوا بنا . فقال له اخوه دريد : يا ابا فُرعانَ ، نَشدتُك اللهَ ألاَ تنزلَ فإن غَطَفانَ ليست بغافلة عن اموالها . فأبى . فأدركتهم غطفانُ واقتتلوا بالمُنعرَجِ من رُمَيلةِ اللِوى ، وقُتِلَ عبدُ الله وجُرح دريدٌ واستنقذوا المال ونجا مَن هربَ . فقال دريدٌ يَرثي اخاه عبدَ الله :

امرتُهمُ أمري بمُنعرَجِ اللِوى ... فلم يَستبينوا الرُشدَ إلا ضُحى الغدِ
فلما عَصَوني كنتُ منهم وقد أرى ... غَوايتَهم أو أنني غيرُ مُهتَدِ
وهل انا إلا من غَزِيّةَ[1] إن غَوَت ... غَوَيتُ وإن تَرشُد غَزِيّةُ أرشُدِ
دعاني أخي والخيلُ بيني وبينَه ... فلما دعاني لم يَجِدني بقُعدُدِ[2]
نظرتُ اليه والرِماحُ تَنوشُه ... كوَقعِ الصَّيَاصي[3] في النسيجِ المُمَدَّدِ
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدت ... وحتى علاني حالكُ اللونِ أسوَدي[4]
فما رِمتُ حتى خرَّقتني رماحُهم ... وغُودِرتُ أكبو في القَنا المتقصِّدِ[5]

والابياتُ الثلاثُ الأوَلُ تمثَّلَ بها اميرُ المؤمنين عليُّ بنُ ابي طالبٍ عند مُنصرَفِه من صِفّين .

وعاتبَته امرأتُه لأنها رأته شديدَ الجزَعِ على اخيه ، وصغَّرت شأنَ اخيه وسبَّته ، فطلَّقها . فقالت : لقد أطعمتُكَ مَأدومي ، وبَثَثتُك مكتومي ، وأتيتُك باهِلاً[6] غيرَ ذاتِ صرار .

وقالت رَيحانةُ لدريد بعدَ حولٍ من مقتلِ اخيه : يا بُنَي ، ان كنتَ عَجِزتَ عن طلب الثأرِ بأخيك فاستعِن بخالك وعشيرته من زُبيد . فأنِف من ذلك وحلَفَ لا يَكتَحِلُ ولا يَدَّهِن ولا يأكُل لحما ولا يشرَب خمرا حتى يُدرِكَ ثأرَه. فأغار على غَطفانَ واستقراهم[7] حيًّا حيًّا ، فقتل مَن قتل وجاءها بذُؤابِ بنِ اسماءَ فقتله بأخيه بفِنائها وقال : هل بلغتُ ما في نفسك ؟ قالت : نعم،مُتِّعتُ بك . وقال في ذلك قصيدة منها :

قتلنا بعبدِ الله خيرَ لِداتِه ... ذُؤابَ بنَ أسماءَ بنِ زيدِ بنِ قاربِ

وأُنشِد عبدُ الملِك بنُ مروانَ شِعرَ دريدٍ هذا ، فقال : كاد دريدٌ ان يَنسُبَ ذؤابَ بنَ اسماءَ الى آدم .

مَرَّ دريدٌ بالخنساء وهي تَهنَأُ[8] بعيرا لها وقد تبذَّلت حتى فرِغَت منه ثم نَضَت عنها ثيابَها فاغتسلت ودرَيدٌ يراها وهي لا تَشعُر به ، فأعجبته . فلما أصبح غدا على ابيها فخطبها اليه . فقال له ابوها : مرحبا بك، ابا قُرَّةَ ، إنك لَلكريم لا يُطعَنُ في حسَبه ، والسيِّدُ لا يُرَدُّ عن حاجته ،

---

(١) قبيلة من هوازن ، رهط الشاعر . (٢) جبان قاعد عن المكارم . (٣) جمع صَيصَية وهي شوكة الحائك يسوّي بها السَداة واللُحمة . (٤) اسودي: اي اسوديٌّ ، خففت ياء النسبة. وافضل منه الرواية الاخرى : وحتى علاني أشقر اللون مُزبِدِ. (٥) رام يريم: مال. المتقصد: المتكسر. (٦) الناقة لا صرار عليها. اي اباحته نفسها. (٧) تتبَّعهم. (٨) تدهنه بالقطران.

والفَحلُ لا يُقرَعُ انفُه (١) . ولكن لهذه المرأةِ في نفسها ما ليس لغيرها . وانا ذاكرُك لها ، وهي فاعلة . ثم دخل اليها وقال لها : يا خنساءُ ، اتاك فارسُ هوازنَ وسيِّدُ بني جُشَمَ دُريدُ بنُ الصِمّةِ يَخطبُكِ وهو مَن تَعلمين . ودريدٌ يَسمع قولَهما . فقالت : يا ابتِ ، أتَراني تاركةً بني عمي مثلَ الرِماحِ العوالي وناكحةً شيخَ بني جُشَمَ هامةً (٢) اليومِ أو غَدٍ ! ثم قالت : انظُرني حتى أُشاوِرَ نفسي . ثم بعثت خلفَ دريدٍ وَليدةً فقالت لها : انظُري دريداً اذا بال ، فان وجدتِ بولَه قد خرَّقَ الارضَ ففيه بَقيّةٌ . وانْ وجدتِه قد ساح على وجهها فلا فَضلَ فيه . فاتَّبعَته وليدتُها ثم عادت اليها فقالت : قد ساح ! فأمسكت . فغضب دريدٌ وهجاها . فقيل لها : الا تُجيبينَه ؟ فقالت : لا أَجمعُ عليه أن أَرُدَّه وأهجُوَه .

لما فتح الرسولُ مكةَ اقام بها خمسَ عَشْرةَ ليلةً يَقصرُ (٣) . فاحتشدت ، لما سمعت به ، هوازنُ وثَقيفٌ ونَصرٌ وجُشَمُ وسعدٌ وبنو بَكرٍ ، جَمَعَها مالكُ بنُ عَوفٍ النَّصريُّ ، وكان دريد شيخا كبيرا فانيا ليس فيه شيء الا التيمُّنُ برأيه ومعرفته بالحرب . وكان مُحَرَّبًا . فلما أجمع مالكٌ المسيرَ حَطَّ مِعَ الناسِ اموالَهم وابناءهم ونِساءهم . فلما نزَلوا بوادي أوطاسَ ، فقال دريدٌ ، وهو في شِجارٍ (٤) يُقادُ به : بأيِّ وادٍ انتم ؟ قالوا : بأوطاسَ . قال : نِعمَ مجالُ الخيل . ما لي أسمَعُ رُغاءَ الإبِلِ ، ونَهيقَ الحميرِ ، وبُكاءَ الصغيرِ ، وثُغاءَ الشاءِ ؟ قالوا : ساق مالكُ بنُ عَوفٍ مع الناس ابناءهم ونساءهم واموالَهم . فقال : أينَ مالكٌ ؟ فدُعي له به . فقال له : يا مالكُ ، إنك قد اصبحتَ رئيسَ قومِك ، وإن هذا اليومَ كائنٌ له ما بعدَه من الايام . مالي اسمَعُ رُغاءَ البعير ونَهيقَ الحمير وبُكاءَ الصِبيانِ وثُغاءَ الشاءِ . قال : سُقتُ مع الناس نِساءهم واموالَهم . قال : ولِمَ ؟ قال : اردتُ ان اجعلَ مع كلِّ رجل اهلَه ومالَه ليقاتِلَ عنهم . فانقضَ به ووبَّخه ولامه ، ثم قال : راعي ضأنٍ ، والله ، (اي أحمق) وهل يَرُدُّ المنهزِمَ شيءٌ . إنها ، إن كانت لك ، لم يَنفَعكَ إلا رجلٌ بسيفه ورُمحِه . وان كانت عليك ، فُضِحتَ في أهلِك ومالك . ثم قال : يا مالِكُ ، إنك لم تصنع شيئاً بتقديمِ البَيضة (٥) بيضةِ هوازنَ الى نحورِ الخيلِ . ارفَعهم الى أعلى بلادِهم ثم الْقَ القومَ بالرجال على مُتونِ الخيل . فان كانت لك لَحِقَ بكَ مَن وراءَك . وان كانت عليك كنت قد أحرزتَ اهلَك ومالَك ولم تُفضَح في حريمك . قال : لا ، والله ، ما افعلُ ذلك ابدا . إنك قد خَرِفتَ وخَرِفَ رأيُك وعِلمُك . والله لَتُطيعُنَّني يا مَعشرَ هوازنَ أو لَأتّكِئَنَّ على هذا السيفِ حتى يَخرُجَ من وراءِ ظهري . فقالوا له : أطعناك وخالفنا دريدا . فلما لَقيَهم الرسولُ انهزموا ومعَهم مالكُ بنُ عَوفٍ .

وأدركَ الفتى ربيعةُ السُلَميُّ دريدًا فأخذ بخِطامِ جَمَلِه وهو يظن أنه امرأةٌ . فأناخ به

---

(١) اذا لم يكن الفحل نجيبا قرعوه اي ضربوه على انفه ليردوه عن الناقة . (٢) مشرف على الموت . (٣) قصر الصلاة : ترك من ذوات الاربع ركعتين وصلى ركعتين . (٤) مركب اصغر من الهودج . (٥) بيضة القوم: مجتمعهم .

فاذا هو برجل شيخ كبير ، ولم يَعرفه الغلامُ . فقال له دريدٌ : ماذا تريد ؟ قال : اقتُلُك . قال : ومَن انت ؟ قال : انا ربيعةُ بنُ رفيعٍ السُلَمِيُّ . ثم ضَرَبه بسيفه فلم يُغنِ شيئا . فقال له : بئسَ ما سَلَّحتكَ امُّك . خذْ سيفي هذا من مُؤخَّرِ رَحلي واضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغِ ، فإني كذلك كنتُ افعلُ بالرجال. ثم اذا اتيتَ امَّك فأخبِرها أنك قتلتَ دُريدَ بنَ الصِمَّةِ ، فرُبَّ يومٍ قد مَنعتُ فيه نساءك . قال ربيعةُ : لما ضربتُه بالسيفِ سقط فانكشف ، فاذا عِجانُه[1] وبَطنُ فَخِذَيه مثلُ القراطيسِ من رُكوبِ الخيل أعراءً[2] .

ولما رجَع ربيعة الى امه اخبرها بقتله اياه فقالت له : لقد أعتقَ قتيلُك ثلاثاً من امّهاتك.

ابراهيم بن العباس الصولي

ابراهيمُ بنُ العبّاسِ ابنِ صُولِ التُركي. كان واخوه عبدُ الله من وجوه الكُتّاب . وكان يقول الشعرَ ثم يختاره . ويُسقط رَذلَه ، ثمّ يُسقط الوَسَطَ ثم يُسقط ما يُسبَقُ اليه فلا يَدَعُ من القصيدة الا اليسيرَ ، وربما لم يَدع منها الا بيتا او بيتين . فمن ذلك قولُه :

ولكنَّ الجَوادَ ابا هِشامٍ ... وفيُّ العَهدِ مأمونُ المَغيبِ
بَطيءٌ عنك ما استغنيتَ عنه ... وطَلاّعٌ عليك معَ الخُطوبِ

وهذا ابتداء يَدُلُّ على أن قبلَه غيرَه .

ومن جيد شعره :

خَلِّ النِّفاقَ لأهلِه ... وعليك فالتمِسِ الطريقا
واذهب بنفسك أن تُرى ... إلا عدوًّا أو صديقا

ومن قوله :

أميلُ معَ الذِّمامِ على ابن أمي ... وآخذُ للصديقِ من الشقيقِ
وإن ألفيتَني حُرًّا مطاعاً ... فإنك واجدي عبدَ الصديقِ

(١) العجان : الدُبر . وقيل : هو مابين الدُبر والقُبُل . (٢) جمع عري : غير مسرج . وصفها بالمصدر فقيل خيل اعراء . ولا يقال فرس عريان كما لا يقال رجل عُرْي .

كان عبيدُ الله بنُ يحيى يقول للمتوكل: يا امير المؤمنين. ان ابراهيمَ بنَ العبَّاسِ فضيلةٌ خبَّأها اللهُ لك ، وذخيرةٌ ذَخرَها لدولتك .

كتب ابراهيمُ بنُ العبَّاسِ الى محمدِ بنِ عبدِ الملك الزَّيَّاتِ يستعطفُه: كتبتُ اليك وقد بلغتِ المُديةُ المَحزَّ ، وعدَتِ الايامُ بك علي بعدَ عَدوِي بك عليها . وكان أسوأَ ظني واكثرَ خوفي أن تَسكُنَ في وقت حركتِها، وتَكُفَّ عند أذاها، فصرتَ علي أضرَّ منها، وكَفَّ الصديقُ عن نُصرَتي خوفا منك ، وبادَرَ الي العدوُّ تقرُّباً اليك . وكتب في اسفلها .

وكنتَ اخي بإخــاءِ الزمـــانِ فلما نبا صِرتَ حربا عَوانا (١)
وكنتُ أذُمُّ اليـــك الزمـــانَ فأصبحتُ فيك اذُمُّ الزمانــا
وكنتُ أُعِـــدُّك للنائبـــاتِ فأصبحتُ أَطلُبُ منك الأمانـــا

قال ابراهيمُ بنُ العبَّاسِ لابي تَمَّام الطائي وقد انشده شعرا له في المعتصم: يا ابا تمام، أُمراءُ الكلامِ رعيَّةٌ لإحسانك . فقال له ابو تمام : ذلك لاني أستضيءُ بك وأَرِدُ شريعتَك (٢) .

ومن جيد شعره :

رَدَّ قولي وصَدَّق الأقـــوالا وأطاع الوُشـــاةَ والعُـــذَّالا
أتُراه يكـــون شهرَ صُـــدودٍ وعلى وجهِه رأيتُ الهِـــلالا

وقال يمدح الفضلَ بنَ سَهل:

لفضلِ بنِ سهـــلٍ يـــدٌ تَقاصرَ عنـــها الأمَـــلْ
فباطِنُهـــا للنَـــدى وظاهرُهـــا للقُبَـــلْ
وبَسطَتُـــهـــا للغنـــى وسطوتُهـــا للأجَـــلْ

وسرقه ابن الرومي فقال :

فامدُد اليَّ يداً تَعوَّدَ بطنُهـــا بَذلَ النَدى وظهورُها التقبيـــلا

وكان يُستحسَنُ قولُه :

لنا إبِلٌ كُومٌ (٣) يضيق بها الفَضَـــا ويَفترُّ عنها ارضُها وسَماؤُهـــا
ومن دونِها أن تُستباحَ دِماؤُنـــا ومن دونِنا أن تُستباحَ دِماؤهـــا

قال ابن رجاء : كنا بفَمِ الصُلحِ (٤) ايامَ بنى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحَسَنِ بنِ سهلٍ . فقَدِم ابراهيمُ بنُ العبَّاسِ ودخل الى الحسَن بنِ سهلٍ فأنشده:

(١) عَوان : متتابع فيها القتال . (٢) الشريعة : مورد الشاربة . (٣) الابل الضخمة : الواحد أكوَم والواحدة كوماء . (٤) نهر فوق واسط ، فيه كانت دار الحسن بن سهل .

ليَهنِئك أَصهارٌ أَذلَّت بعِزِّهـــا   خدودًا وجدَّعتِ الأنوفَ الرَّواغِما
جمعتَ بها الشملَين من آل هاشِـــمٍ   وحُزتَ بها للأكرمين الأكارِمـــا

فقال له الحسن : « شِنشِنَةٌ اعرِفُها من أَخزَمِ »[1] . اي أنك لم تزل تَمدَحُنا .

قال ابو العَيناءِ : كنتُ عند ابراهيمَ الصُولي وهو يَكتُب كتابا ، فنقَّطَ من القلم نُقطَةٌ مُفسِدةٌ فمسحها بكُمِّه ، فتعجبتُ من ذلك . فقال : لا تَعجَب ، المالُ فرعٌ والقلم اصلٌ . ومِن هذا السوادِ جاءت هذه الثيابُ . والاصلُ أحوجُ الى المُراعاةِ من الفرعِ . ثم فكَّر قليلا وقال :

اذا ما الفِكرُ وَلَّدَ حُسنَ لفـــظٍ   وأسلَمَه الوجودُ الى العيـــانِ
ووشَّاه فنمنمَـــه مُسِـــدٌّ[2]   فصيحٌ في المَقالِ بلا لِســـانِ
ترى حُلَلَ البَيـــانِ مُنشَّـــراتٍ   تَجلَّى بينَها صُوَرُ المعانـــي

وقال في الفضل بن سهل :

فلو كان للشُكر شخصٌ يَبيـــنُ   اذا ما تأمَّلَـــه الناظـــرُ
لَمثَّلتُه لك حتـــى تـــراه   فتعلَمَ أني امرُؤٌ شاكِـــرُ

وكان لابراهيم ابن قد يَفعَ وترعرع وكان مُعجَباً به ، فاعتل علَّةً لم تَطُل ومات فرثاه وجزع عليه ، ومما رثاه به قوله :

كنتَ الســـوادَ لمقلتـــي   فبكـــى عليـــك الناظـــرُ
من شاء بعـــدَك فليَمُـــت   فعليك كنـــت أُحـــاذرُ

مروان بن ابي حفصة

ويُكنَّى ابا السِمط . واسم ابي حَفصةَ يزيدُ . وكان يهوديا أسلمَ على يدَي مروانَ بنِ الحَكَم. كان مروانُ أبخلَ الناس على يَساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء لا سيَّما من بني العبَّاس ، فإنه كان رَسمُهم ان يُعطوه بكل بيتٍ يَمدحهم به ألفَ درهم . وكان لا يأكُل اللحمَ بُخلاً حتى يَقرَمَ[3]

(١) مثل قاله ابو أخزم الطائي وكان له ابن يقال له اخزم وكان عاقا فمات وترك بنين . فوثبوا يوما على جدهم فأدمَوه . فقال .
ان بنـيَّ ضرجوني بالدمِ   شنشنة اعرفهـا من أخزمِ
والشنشنة : العادة . (٢) مصيب السداد . (٣) يشتهيه .

اليه . فاذا قَرِم ارسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله . فقيل له : نراك لا تأكلُ إلا الرؤوسَ في الصيف والشتاء . فلِمَ تختارُ ذلك ؟ قال نعم : الرأسُ اعرِف سِعرَه ولا يستطيع الغلامُ ان يَغبِنَني فيه . وليس بلحم يَطبُخه الغلام فيقدِر ان يأكلَ منه . إن مسَّ عينا أو أُذنا او خَدًّا وَقفتُ عليه . فآكُل منه ألوانا . آكل عينيه لونا ، واذنيه لونا وغَلصَمتَه (١) لونا ، وأُكفَى مُؤنةَ طبخِه .

ارسل غلامَه بفَلسٍ وسُكُرُّجَةٍ (٢) ليشتريَ له زيتا . فلما جاء بالزيت قال لغُلامه : خُنتَني . قال : من فَلسٍ كيف أخونُك . قال : اخذتَ الفلسَ واستوهبتَ الزيتَ .

دخل مروانُ على موسى الهادي فانشده قولَه فيه :

تَشابَــــهَ يومَـــا بأسِه ونَوالِه فما أحدٌ يَدري لأَيِّهِمَـــا الفَضلُ

فقال له الهادي : أيّما احبُّ اليك ؟ أثلاثون الفاً مُعجَّلَةً ام مئةُ الف تُدوَّن في الدواوين ؟ فقال له: يا امير المؤمنين، انت تُحسن ما هو خيرٌ من هذا، ولكنك نَسيتَه . أَفتَأذَنُ لي أن أذكِّرَك ؟ قال : نعم . قال : تُعَجِّلُ لي الثلاثينَ الفاً وتُدوِّن المئةَ الألفَ في الدواوين . فضحِك وقال : بل يُعَجَّلان جميعاً .

قال مروانُ : اذا اردتُ ان اقولَ القصيدةَ رَفعتُها في حولٍ . اقولها في اربعةِ اشهرٍ وأتنخَّلُها في اربعةِ اشهرٍ ، وأعرِضُها في اربعة أشهر .

وقال مروان : اني ارى قوماً يقولون الشعر . لأن يَكشِفَ احدُهم سَوءَتَه ثم يمشي كذلك في الطريق ، أحسنُ له من أن يُظهِرَ مثلَ ذلك الشعرِ .

مدح مروانُ معنَ بنَ زائدةَ بقصيدة منها :

معـــنُ بـــنُ زائدةَ التي زِيدت به شرفاً الى شرفٍ بنـــو شيبـــانِ

فملأ يديه وأقام عنده حتى أثرى و اتسعت حالُه .

حدَّث مروان قال:

كان المنصورُ قد طلب معنَ بنَ زائدةَ طلباً شديداً ، وجعل فيه مالا . فحدَّثني معنٌ أنه اضطُرَّ ، لشدَّة الطلب، الى أن أقام في الشمس حتى لَوَّحت وجهَه وخفَّف عارضيه ولِحيتَه ولَبِس جُبَّةَ صوف غليظةً وركِب جملا ليَمضي الى الباديةِ فيُقيمَ بها وكان قد أبلى في حرب يزيدَ (٣) ابنِ هُبَيرةَ بَلاءً حسناً غاظ المنصورَ وجَدَّ في طلبه .

قال معنٌ : فلما خرجتُ من بغداد تَبِعني اسودُ متقلِّداً سيفاً ، حتى اذا غِبتُ عن الحَرَس قَبَض على خِطام جملي فأناخَه وقبض عليَّ ، فقلتُ له : مالك ؟ قال : انت طَلِبَةُ اميرِ المؤمنين .

(١) اللحم بين الرأس والعنق ، رأس الحلقوم . (٢) صحفة . (٣) احد رجالات مروان بن محمد في حرب الدعوة العباسية . قتله ابو جعفر المنصور

قلت : وَمَن انا حتى يطلُبَنِي اميرُ المؤمنين ؟ اتّقِ اللهَ ، واينَ انا من معنٍ . قالَ : دَعْ هذا عنك . فانا واللهِ أعرَفُ به منك . فقلت له : فإن كانت القصَّةُ كما تقول ، فهذا جوهرٌ حَملتهُ معي يَفي بأضعافِ ما بذلَه المنصورُ لمن جاء بي . فخُذه ولا تَسفُكْ دمي . قال : هاته . فأخرجتُه اليه . فنظر اليه وقال : صدقتَ في قيمته ولستُ قابلَه حتى أسألَك عن شيء . فإن صدَقتَني أطلقتُك . فقلت : قل : قال : إن الناسَ قد وصفوك بالجُود . فأخبِرني ، هل وهبتَ مالَك كلَّه ؟ قلت : لا . قال : فنِصفَه ؟ قلت : لا . قال : فثُلثَه ؟ قلت : لا . حتى بلغ العشرَ ، فاستحيَيتُ فقلت : أظُنُّ أني قد فعلتُ هذا . فقال : ما أراك فعلتَه . انا ، واللهِ ، راجِلٌ ورزقي من ابي جعفرٍ عشرون درهماً ، وهذا الجوهرُ قيمتُه آلافُ الدنانير ، وقد وهبتُه لك ، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس لتعلَمَ أن في الدنيا أجودَ منك ، فلا تُعجِبْك نفسُك ، ولتَحقِرَ بعدَ هذا كلَّ شيء تَفعلُه ، ولا تتوقَّفَ عن مَكرُمةٍ . ثم رمى بالعقد في حِجري وخلّى خِطامَ البعير وانصرف . فقلت : يا هذا ، قد ، والله ، فضحتَني . ولَسَفْكُ دمي اهونُ علي مما فعلتَ. فخُذ ما دفعتُه اليك فاني غنيٌّ عنه . فضحك وقال : اردتَ أن تُكذّبَني في مَقامي هذا . واللهِ لا آخُذُه ولا آخذُ بمعروف ثمناً ابداً . ومضى . فواللهِ لقد طلبتُه بعدَ أن أَمِنتُ وبذلتُ لمن جاءني به ما شاء فما عرَفت له خبراً . وكأنَّ الارضَ ابتلعته.

قال : وكان سببُ رضا المنصورِ عن معنٍ أنه لم يزل مستَتِراً حتى كان يومُ الهاشميَّةِ . فلما وثب القومُ على المنصور وكادوا يقتلونه وثب معنٌ وهو مُتلثِّمٌ فانتضى سيفَه وقاتل فأبلى بَلاءً حسناً وذَبَّ(١) القومَ عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعدُ . ثم جاء المنصورُ راكباً على بغلةٍ ولِجامُها بيد الربيع . فقال له : تَنحَّ ، فاني أحقُّ باللِجامِ منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غِناءً . فقال له المنصور : صَدَقَ ، فادفعه اليه . فأخذه ، ولم يزل يُقاتل حتى انكشفت تلك الحالُ . فقال له المنصور : مَن أنت ، للهِ أبوك ؟ قال : انا طَلِبَتُك يا امير المومنين ، معنُ بنُ زائدةَ . قال : قد أمَّنك اللهُ على نفسك ومالِك ، ومِثلُك يُصطَنَع . ثم اخذه معه وخلع عليه وحباه وزَيَّنه . ثم دعا به يوماً وولاَّه اليمين .

وقدِم معنٌ فدخل على المنصور فقال له : قد بلغ اميرَ المؤمنين أنك أعطيت مَروان بنَ ابي حفصةَ الفَ دينار لقوله فيك :

معنُ بنُ زائدةَ الذي زِيدت به ... شرفا إلى شرف بنو شيبانِ
إن عُدَّ ايامُ الفَعالِ(٢) فإنما ... يوماه يومُ نَدًى ويومُ طِعانِ

قال : والله يا امير المؤمنين ، انما اعطيتُه لقوله :

ما زِلتَ يومَ الهاشميَّةِ مُعلِما(٣) ... بالسيف دونَ خليفةِ الرحمنِ

(١) دفع وحامى . (٢) الفَعال: العمل الحميد . (٣) معلم : متخذ علامة الحرب والقتال، ومعمل في العدو سلاحه.

فمنعتَ حوزتَـــه وكُنـــتَ وِقـــاءه من وَقعِ كلِّ مُهنّــدٍ وسِنانِ

ثم قال : والله لولا مخافةُ النقمة عندك لأمكنتُه من مفاتيحِ بيوتِ الأموال وأبحتُه إياها . فقال له المنصور : لله درُّك من أعرابيٍّ ، ما أهونَ عليك ما يَعزُّ على الرجال وأهلِ الحزم .

دخل مروانُ على المهدي بعد وفاة معنِ بنِ زائدةَ في جماعة من الشعراء ، فأنشده مديحا فيه ، فقال له : ومَن انت . قال : شاعرُك يا اميرَ المؤمنين ، وعبدُك مرانُ بنُ ابي حفصةَ . فقال له المهديُّ : انت القائل :

أقمنـــا باليمامةِ بعـــدَ معـــنٍ مُقاما لا نُـريـدُ بـه زَوالا
وقُلنا اينَ نَرحـــلُ بعـدَ معـــنٍ وقد ذهب النَّوالُ فـــلا نَـوالا

قد ذهب النوالُ في ما زعمتَ ، فلِمَ جئتَ تطلُب نوالَنا . لا شيءَ لك عندنا . جُرُّوا برجله . فجرُّوا برجلهِ حتى أُخرِج !

فلما كان من العام المُقبِل تَلطَّف حتى دخل مع الشعراء — وكانت الشعراءُ تَدخُل على الخُلفاء في كل عام مرةً — فمَثَل بين يديه وأنشده :

طرَقَتك زائـــرةٌ فحَـــيِّ خَيالَـــها بيضاءُ تَخلِطُ بالجَمـــالِ دَلالَهـــا
قادت فؤادَك فاستقـــاد ومِثلُهـــا قاد القلـوبَ إلى الصِّبا فأمالَـــها

فأنصت الناس حتى بلغ إلى قوله :

هـــل تَطمِسونَ من السَّمـــاء نُجومَها بأكُفِّكم او تستُرون هِـــلالَهـــا
او تَجحَدون مَقالةً عـــن ربِّـــكم جبريلُ بَلَّغَها النبــــيَّ فقالَهـــا
شَهِدت من الأنفالِ [١] آخرُ آيـــةٍ بتُراثِهـــم فأردتُمُ إبطـالَـــها

فزحف المهديُّ من صدر مُصلاَّه حتى صار على البِساط إعجابا بما سمع ثم قال : كم هي ؟ قال : مئةُ بيتٍ . فأمر له بمئة الفِ درهمٍ . فكانت اولَ مئةِ الفِ درهمٍ أُعطيها شاعرٌ في ايام بني العبّاس .

قال الاضجم :

لما قال مروان :

أنّى يكـــونُ وليس ذاك بكائـــنٍ لبني البنـــاتِ وِراثـــةُ الأعمامِ
للبنتِ نِصفٌ كـــاملٌ من مالـــــه والعمُّ متـــروكٌ بغيرِ سِهـــامِ

(١) الأنفال : هي هنا السورة الثامنة من القرآن الكريم .

لزمتُه وعاهدتُ اللهَ أن أغتالَه. وما زلتُ ألاطفُه وأكتبُ أشعارَه حتى خُصصتُ به، فأنِسَ بي، وعرَفت ذاك بنو حفصةَ جميعا فأنِسوا بي. ولم أزل اطلُب له غِرَّةً حتى مَرِضَ، وخلا البيتُ يوما فوثبتُ عليه فأخذتُ بحلْقه فما فارقتُه حتى مات. فخرجتُ وتركتُه. فخرج اليه اهلُه بعدَ ساعةٍ فوجدوه ميتا، وارتفعت الصيحةُ فحضَرتُ وتباكيتُ واظهرتُ الجزَعَ عليه حتى دُفِن. وما فَطِن بما فعلتُ أحدٌ.

ابراهيم بن المهدي

هو أولُ اولادِ الخلفاءِ وأتقنُهم صَنعةً واشهرُهم في الغناء. وكان في اول امره لا يفعل ذلك إلا من وراء سترٍ وعلى حالِ تَصَوُّنٍ عنه وتَرَفُّعٍ الا أن يدعوَه اليه الرشيدُ في خلوةٍ، والامينُ بعدَه.

فلما أمَّنه المأمونُ تهتَّك بالغناء وشربِ النبيذَ بحضرته والخروجِ من عنده ثَملاً ومع المغنين خوفاً منه واظهارا له أنه قد خلَعَ رِبقةَ (١) الخلافة من عُنُقه حتى صار لا يَصلُح لها. وهو من المعدودين في طِيب الصوت. وكان مع علمه بالنغم والإيقاعات مُقَصِّرا عن إداء الغناء القديم، فكان يَحذِفُ نغمَ الأغاني الكثيرةِ العَمَلِ ويَخفِضُها على قَدْرِ ما يَصلُح له. فاذا عِيب ذلك عليه قال: انا مَلِكٌ وابنُ ملكٍ اغنّي كما اشتهي.

ويكنى ابراهيم ابا اسحاق، وامُّه شَكلةُ، مُوَلَّدةٌ فارسيةٌ سُبِيت بعدَ مقتل أبيها وحُملت إلى المنصور فوهبها لمُحيَّاةَ امِّ ولدِه. فربَّتها وبعثت بها إلى الطائفِ فنشأت هناك وتَفَصَّحت. فلما كبِرت رُدَّت اليها. فرآها المهديُّ فأعجبته فطلبها من محيَّاةَ فأعطته اياها فولدت منه ابراهيم. وكان ابراهيم عاقلا فَهِما اديبا شاعرا راويةً للشعر خطيبا فصيحا حسنَ العارضة. وكان الناس يقولون: لم يُرَ في جاهليةٍ ولا في اسلامٍ اخٌ ولا اختٌ احسنَ غناءً من ابراهيمَ بنِ المهديِّ واختِه عُلَيَّةَ. وكان يُماظُّ (٢) اسحاقَ ويجادلُه فلا يقومُ له ولا يفي به، ولا يزال اسحاقُ يَغلبه ويَغُصُّه بريقه ويَغُضُّ منه بما يَظهرَ عليه من السَقَطات وقصورِه عن إداء الغناء القديم.

قال ابن بَزيعٍ: كنت اضرب على ابراهيمَ بنِ المهديِّ صوتا، فغنَّاه على اربعِ طَبَقات، على الطبقة التي كان العودُ عليها، وعلى ضعفِها، وعلى إسجاحها، وعلى إسجاح الاسجاح. وهذا شيء ما حُكي عن احدٍ غيرِ ابراهيمَ. وهذا لا يُبلَغُ إلا بالصوت القوي.

(١) ربقة: حبل ذو عرى، وتقل مجازاً الى العهدة وهي هنا بهذا المعنى. (٢) يماظ: ينازع.

قال ابراهيم : حججتُ مع الرشيد . فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور في عرَصاتها . فانتهيتُ إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تستقي منها . فقلت : يا جاريةُ امتحي لي دَلواً . فقالت انا ، والله ، عنك في شُغلٍ بضريبةِ مَواليَّ علي . فنقرتُ بسوطي على سَرجي وغنَّيت :

كَفَّنانـــي ان مُــتُّ في دِرعِ أروى   وامتَحا لي من بئــرِ عُروةَ مائي

— الشعر للاحوص — فرفعت الجاريةُ رأسَها وقالت : أتعرفُ عُروةَ ؟ قلت : لا . قالت : هذه ، والله ، بئرُ عُروة . ثم سقتني حتى رَويتُ . وقالت : إن رأيتَ أن تُعيدَه . ففعلتُ . فطَرِبت وقالت : والله لأحمِلَنَّ قِربةً إلى رَحلِك . فقلت : افعَلي . ففعلت ، وجاءت معي تَحمِلُها . فلما رأت الجيشَ والخدم فزِعت . فقلت : لا بأسَ عليكِ . وكسوتُها ووهبتُ لها دنانيرَ وحبستُها عندي . ثم صِرتُ إلى الرشيدِ فحدَّثتُه حديثَها فأمر بابتياعها وعِتقِها . فاشتُرِيت وأُعتِقَت واخذتُ لها منه صِلةً وافترقنا .

قال ابن ابي ظَبيةَ : كنت اسمَع ابراهيمَ بنَ المهديِّ يَتنحنَحُ ، فأطرَبُ .

قال الربيعي : كنا عند ابراهيمَ وكان عنده كلُّ مطربٍ محسنٍ ، فترنم بصوت فريدةَ :

قال لي أحمدٌ ولــم يَــدرِ ما بــي   أتُحِبُّ الغَــداةَ عُتبَـــةَ حقّـــا

فلما فرغ منه ، ترنَّم به مُخارقٌ فأحسن وزاد على ابراهيمَ . فأعاده ابراهيمُ وزاد في صوته فعَفَّى على صوت مخارق . فلما فرغ ردَّه مخارقٌ وغنى به بصوته كلِّه وتحفَّظ فيه . فكدنا نَطيرُ سرورا . فاستوى ابراهيم جالسًا وكان مُتَّكِئا فغنَّاه بصوتِه كلِّه ، ونظرت إلى كَتِفيه تهتزّان وبدَنُه اجمعُ يتحرَّك ، ومخارقٌ شاخِصٌ نحوه يُرعِد وقد انتقع لونُه وأصابعُه تَختلِج ، فخُيِّل لنا ، واللهِ ، أن الإيوانَ يَسير بنا .

وقال منصورُ بنُ المهدي : غنى ابراهيمُ يوما للامين ، وكان في جُنينةِ الحيوانات ، على أشَدِّ طبَقَةٍ يُتناهى اليها في العُود ، ولقد رأيتُ منه شيئا عَجَبا لو حُدِّثتُ به ما صَدَّقتُ . كان اذا ابتدأ يغنّي أصغت الوحشُ اليه ومدَّت أعناقَها ولم تزَل تدنو منا حتى تكادُ أن تَضَعَ رؤوسَها على الدُكّانِ الذي كنا عليه . فاذا سكت نَفَرت وبَعُدت منا حتى تنتهي إلى أبعدِ غايةٍ يُمكِنُها التباعدُ فيها عنّا .

قال ابراهيم : قلت يوما للامين : يا اميرَ المؤمنين ، جعلني الله فداءك . فقال : بل جعلني الله فداءك . فأعظمتُ ذلك فقال : يا عمِّ ، لا تُعظِمه ، فانَّ لي عُمرا لا يَزيد ولا يَنقُص . فحياتي مع الأحبَّة أطيبُ من تَجرُّعي فقدَهم . وليس يَضُرُّني عيشُ مَن عاش بعدي منهم .

لما ظَفِر المأمونُ بابراهيم — وكان ادَّعى الخِلافةَ والمأمونُ في خُراسان — أحبَّ ان يُوبِّخَه على رؤوسِ الناس . فجيءَ بابراهيمَ يَحجُل في قيوده . فوقف على طَرَف الإيوان وقال : السلامُ عليك ، يا اميرَ المؤمنين ، ورحمتُه وبركاته . فقال له المأمون : لا سلَّمَ اللهُ عليك ولا حَفِظَك ولا رعاك

ولا كَلأَكَ يا ابراهيمُ : فقال له ابراهيم : على رِسلك (١) يا اميرَ المؤمنين ، فلقد اصبحتَ وليَّ ثأري ، والقُدرةُ تُذهِبُ الحفيظة (٢) . ومن مَدَّ له الاغترارُ في الأمل هجمَت به الأناةُ على التلَف . وقد اصبح ذنبي فوقَ كلِّ ذنبٍ كما أن عفوَك فوق كلِّ عفوٍ . فإن تُعاقب فبحقِّك ، وإن تعفُ فبفضلك . فقال له المأمونُ : هيهاتَ يا ابراهيمُ ، هذا كلامٌ سبقَك به فحلُ بني العاصِ بنِ اميةَ سعيدُ بنُ العاص وخاطب به معاويةَ . فقال له ابراهيم : مَهْ (٣) يا امير المؤمنين ، وانت ايضا إن عفَوتَ فقد سبقَك فحلُ بني حربٍ وقارحُهم إلى العفوِ . فلا تكن حالي عندَك في ذلك ابعدَ من حال سعيد عند معاوية . فانك اشرفُ منه وانا اشرفُ من سعيد وانا اقربُ اليك من سعيد إلى معاويةَ . وإنَّ أعظمَ الهُجنة (٤) أن تَسبِقَ اميَّةُ هاشما إلى مَكرُمَة . فتبسَّم المأمونَ وقال: إنَّ من الكلام ما يَفوقُ الدُرَّ ويَغلِبُ السحرَ . وإن كلامَ عمّي منه. أطلِقوا عن عمّي حديدَه ورُدّوه إليَّ مكرّما . فلما رُدَّ اليه قال : يا عمُّ ، صِر إلى المُنادمة وارجِع إلى الأنس ، فلن ترى مني ابدا الا ما تُحب .

كان ابراهيمُ شديدَ الانحراف عن عليِّ بن ابي طالب . فحدَّثَ المأمونَ يوما أنه رأى عليّا في النوم ، فقال له : من انت ؟ فأخبره أنه عليُّ بنُ ابي طالب . قال : فمشَينا حتى جئنا قَنطرةً فذهب يتقدَّمُني لعبورها. فأمسكتُه وقلت له: إنما انت رجل تَدَّعي هذا الامرَ ونحن احقُّ به منك. فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يُوصَفُ عنه. فقال المأمون : وأيَّ شيءٍ قال لك ؟ فقال : ما زادني على ان قال : سلاما ، سلاما . فقال له المأمون : قد واللهِ اجابك أبلغَ جوابٍ . قال : وكيفَ ؟ قال : عرَّفَك أنَّك جاهلٌ لا يُجاوَبُ مثلُك . قال الله عز وجل : « واذا خاطَبهم الجاهلون قالوا سلاما » . فخجِل ابراهيمُ وقال : ليتَني لم أُحدِّثك بهذا الحديث .

قال ابن رِياح : سألت مُخارقا : أيُّ الناسِ أحسنُ غناء ؟ قال : كان ابراهيمُ المَوصليُّ احسنَ غناءً من ابنِ جامعٍ بعشرِ طبَقات . وانا احسنُ غناءً من ابراهيمَ الموصليِ بعشرِ طبَقات . وابراهيمُ بنُ المهديِّ احسنُ مني بعشر طبَقات . ثم قال لي : أحسنُ الناس غناءً أحسنُهم صوتا وابراهيم بنُ المهديِّ احسنُ الجنِّ والإنسِ والوحشِ والطيرِ صوتا ، وحسبُك هذا .

(١) الرِسل : التؤدة والرفق ، ومن تعابيرهم الشائعة : على رِسلك يعني اتئد ولا تَعجَل . (٢) الحفيظة : حمية الغضب .
(٣) مه : اسم فعل امر بمعنى اكفف . (٤) الهجنة : العيب والقبح .

ابو النجم

اسمه المُفَضَّل وهو من رُجَّازِ الإسلام الفحولِ المُقَدَّمين . وكان اذا انشد أزبَدَ ووَحَش بثيابه . (أي رمى بها.)

قال الاصمعي : أَرجَزُ الناس : الأغلبُ ثم العَجَّاجُ ثم ابو النجمِ ثم رُؤبَةُ .

خرج العجَّاجُ متحفِّلا[١] عليه جُبَّةُ خَزٍّ وعِمامةُ خَزٍّ على ناقةٍ له قد أجاد رَحلَها حتى وقف بالمِربَد والناسُ مجتمعون ، فأنشدَهم وهجا ربيعةَ . فجاء رجلٌ من بكرِ بنِ وائلِ بنِ ربيعةَ إلى ابي النجم وهو في بيته فقال له : انت جالسٌ ، وهذا العَجَّاجُ يَهجونا بالمِربَد قد اجتمع عليه الناس ! قال : صِف لي حالَه وزِيَّه الذي هو فيه. فوصف له . فقال : أبغِني جَمَلا طَحَّانا قد أُكثِر عليه من الهِناء [٢] فجاء بالجمل اليه . فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها واتَّزر بالأخرى وركِبَ الجمل ودفع خِطامه الى مَن يقوده ، فانطلق حتى اتى المِربَد . فلما دنا من العَجَّاج قال : اخلَع خِطامَه . فخلعه . وأنشد :

تذكَّرَ القلبُ وجَهلاً ما ذَكَرْ

فجعل الجملُ يَدنو من الناقة يتشمَّمُها والعَجَّاجُ يتباعد عنه لئلا يُفسِدَ ثِيابَه ورَحلَه بالقِطران ، حتى اذا بلغ ابو النجمِ الى قوله :

شيطانُه أُنثى وشيطاني ذَكَرْ

تعلَّق الناسُ هذا البيتَ وهرب العَجَّاجُ .

ورد ابو النجمِ على هِشامِ بنِ عبدِ الملكِ في الشعراء : فقال لهم هِشامُ : صِفوا لي إبِلا ، فَقَطِّروها، وأَورِدوها، وأَصدِروها . حتى كأَني انظُر اليها . فأنشدوه وأنشدَه ابو النجم :

الحمدُ للهِ الوَهوبِ المُجزِلِ

حتى بلغ إلى ذِكرِ الشمس فقال : « وهي على الأفقِ كعينِ » ... واراد ان يقولَ « الأحول » ثم ذكر حَوْلَةَ هِشامٍ فلم يُتِمَّ البيتَ وأُرتِجَ عليه . فقال هِشامٌ : أجِزِ البيتَ . فقال : «كعين الأحوَل .» وأَتمَّ القصيدة . فأمر هِشامٌ فَوُجِئ [٣] عُنُقُه وأُخرِجَ من الرُّصافة وقال لصاحب شُرطته : يا ربيعُ ، اياك وأن أرى هذا . فكَلَّمَ وجوهُ الناسِ صاحبَ الشُّرطةِ أن يُقِرَّه[٤] ففعل . فكان يُصيب من فُضول اطعمةِ الناسِ ويَأوي إلى المسجِد.

---

(١) متزيناً . (٢) هنأ الجمل دهنه بالقطران . (٣) وجأ : ضرب باليد . (٤) يسمح له بالقرار في المدينة .

فاهتمّ هشامٌ ليلةً وامسى لَقِسَ النفسِ وأراد مُحدّثا يُحدثه . فقال الخادم له: إبغِني محدّثا أعرابيا ، أهوجَ شاعرا يَروي الشعر . فخرج الخادم إلى المسجد فاذا هو بأبي النجم . فضربه برجله وقال له : قُم أجِب امير المؤمنين . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إياك أبغي . فهل تَروي الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصرَ وأغلق الباب . ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبينَ نسائه سترٌ رقيق والشمعُ بين يديه تَزهَر [1] . فلما دخل قال له هشام : ابو النجم ؟ قال : نعم ، يا امير المؤمنين ، طريدُك . قال : اجلس . فسأله : اين كنت تأوي ومن كان يُنزلُك ؟ قال : كنت اتغدّى عند هذا واتعشّى عند هذا . قال : واين كنت تَبيت ؟ قال : في المسجد حيثُ وجدني رسولُك . قال : ومالك من الوَلد والمال ؟ قال : اما المالُ فلا مالَ لي . واما الولدُ فلي ثلاثُ بنات وبُنَيٌّ يُدعى شيبانَ . فقال : هل زوَّجتَ من بناتك احداً ؟ قال : نعم، زوجتُ اثنتين وبقيت واحدةٌ تَجمزُ في أبياتنا كأنها نعامةٌ . قال : وما وَصّيتَ به الأولى ؟ – وكانت تسمى بَرّةَ – فقال :

اوصَيتُ من بَرّةَ قلبا حُرّاً بالكلبِ خيرا والحَماةِ شَرّاً
لا تَسأمي ضَربا لها وجَرّاً حتى ترى حُلوَ الحياةِ مُرّاً

فضحك هشامٌ وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال :

سُبّي الحَماةَ وابهَتي [2] عليها وان دَنَت فازدَلفي اليها
وأوجعي بالفِهرِ [3] رُكبتَيها ومِرفَقَيها واضربي جَنبَيها

فضحك هشام حتى بدت نواجذُه وسقط على قفاه ، فقال : ويحك ! فما قلت للثالثة ؟ – وكانت تسمى ظَلامةَ – فقال :

كأن ظَلاّمةَ أُختَ شيبانْ يتيمةٌ ووالداها حيّانْ
الرأسُ قَملٌ كلُّه وصِئبانْ وليس في الساقَين إلا خَيطانْ
تلك التي يَفزَعُ منها الشيطانْ .

فضحك هشام حتى النساءُ لضَحكه ، وقال للخَصي : كم بقي من نفقتك ؟ قال : ثلاثُمئة دينارٍ . قال : أعطه اياها ليجعلَها في رجل ظَلاّمةَ مكانَ الخيطين .

دخل ابو النجم على هشام بن عبد الملك وقد اتت له سبعون سنةً ، فقال له هشام : ما رأيُك في النساء ؟ قال : إني لأنظر اليهن شَزْراً [4] وينظرن إلي خَزْراً [5] . فوهب له جارية وقال له : اغدُ

(١) زهر السراج : تلألأ . (٢) بهت : افترى بالبهتان . (٣) الحجر يملأ الكف . (٤) الشزر : اللحظ بجانب العين في إعراض . (٥) الخزر : اللحظ بمؤخرة العين في استهانة واستخفاف .

علي فأعلمني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعتَ ؟ فقال : ما صنعتُ شيئا ، وقد قلتَ في ذلك أبياتا ، ثم أنشده :

نَظرَت فأعجبها الذي في درعِها ... من حُسنه ونظرت في سِربالِيا
فرأت لها كَفَلا يَميل بخصرها ... وَعثاً[١] روادِفُه وأجثَمَ جاثيا
ورأيتُ منتشِرَ العِجانِ[٢] مُقَلَّصاً ... رِخواً مفاصِلُه وجلداً باليا
أُدني له الرَّكَبَ[٣] الحليقَ كأنما ... أُدني اليه عَقاربا وأفاعيا

فضحك هشام وامر له بجائزة .

وقال هشام : يا أبا النجم ، حدّثني . قال : عني او عن غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : لما كَبِرتُ عَرَض لي البولُ ، فوضعتُ عند رجلي شيئا ابولُ فيه . فقمت من الليل ابول . فخرج مني صوت ، فتشدّدتُ . ثم عُدت فخرج مني صوت آخر . فأوَيت إلى فراشي فقلت : يا امَّ الخيار — زوجته — هل سمعت شيئا ؟ فقالت لا ، ولا واحدةً منهما . فضحك هشام .

عُليَّة بنت المهدي

كانت عُليَّةُ بنتُ المهدي من احسنِ الناسِ واظرفِهم، تقول الشعرَ الجيِّدَ وتصوغ فيه الألحانَ الحسنة . وكان بها عيبٌ ، كان في جبينها فضلُ سَعَةٍ حتى تَسمَجَ . ، فاتخذت العصائبَ المُكلَّلةَ بالجوهر لتستُرَ بها جبينها . امُّها مكنونةٌ[٤] مغنِّيةٌ ، فاشتُرِيَت للمهدي في حياة ابيه بمئة الفِ درهمٍ ، فغلَبت عليه فولدت له عُليَّة .

من أشعارها في « طُغيان » جاريةِ أُمِ جعفرٍ (زوجة هارون الرشيد) تهجوها :

لطغيانَ خُفٌّ مذ ثلاثين حِجَّةً[٥] ... جديدٌ فلا يَبلى ولا يَتخرَّقُ
وكيف بِلى خُفٌّ هو الدهرَ كلَّه ... على قَدَميها في الهواء مُعلَّقُ

أُهدِيَت إلى الرشيد جاريةٌ في غاية الجمال والكمال فخلا معها يوما وأخرج كلَّ قَينةٍ في داره

(١) الوعث : اللين . (٢) العجان : قضيب ما بين السبيلين . (٣) الركب : جبهة الحيا الذي يكنى عنه بتل الزُهرة . (٤) ورد في ترجمة ابراهيم بن المهدي ان علية اخته لابيه وامه شَكلَة . (٥) حجة : عام .

واصطبح . فكان جميعُ مَن حضرَه من جواريه المغنيات والخَدَمَة في الشَّراب زُهاءَ ألفَي جاريةٍ في احسن زيٍّ من كل نوعٍ من انواع الثياب والجوهر . واتصل الخبرُ بأم جعفرٍ فغَلُظ عليها ذلك ، فأرسلت إلى عُليَّةَ تشكو اليها . فارسلت اليها عُليَّةُ : لا يَهولَنَّكِ هذا ، فوالله لأَرُدَّنَّهُ اليك ، قد عزمتُ ان اصنعَ شعرا واصوغَ فيه لحنا واطرحَه على جواريَّ ، فلا تُبقي عندك جاريةً الا بعثتِ بها إلي وألبسيهن الوانَ الثياب ليأخُذن الصوتَ مع جواريَّ ، ففعلَت ما أمرَتها به . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعُر الرشيدُ الا وعُلَيَّةُ قد خرجت عليه من حُجرتها ، وامُّ جعفرٍ من حُجرتها معها زُهاءُ ألفَي جاريةٍ من جواريها وسائرِ جواري القصر عليهن غرائبُ اللباس ، وكلُّهن في لحنٍ واحد صنعَته عُليَّةُ :

مُنفصلٌ عنّي وما قلبيَ عنه منفصِلْ
يا قاطعي اليومَ ، لمن نَويتَ بعدي ان تَصِلْ

فطَرِب الرشيدُ وقام على رجليه حتّى استقبل امَّ جعفرٍ وعُلَيَّةَ وهو على غاية السرور ، وقال : يا مسرورُ ، لا تُبقيَنَّ في بيت المال درهما الا نثرتَه . فكان مبلغُ ما نثره يومئذ ستةَ آلافِ ألفِ درهم .

ومن أشعار عُليَّةَ :

بُنيَ الحبُّ على الجَورِ فلو أنصفَ المعشوقُ فيه لَسَمُجْ
لا تَعيبَنَّ من محبٍّ ذِلَّةً ذِلَّةُ العاشقِ مِفتاحُ الفَرَجْ

ومنها أيضا :

تبصَّر فان حُدِّثتَ أن أخا هوًى نجا سالما فارجُ النجاةَ من الحُبِّ
اذا لم يكن في الحبِّ سُخطٌ ولا رِضاً فأين حلاواتُ الرسائلِ والكُتْبِ

ابو عيسى بن الرشيد

اسمُه صالحٌ وامُّه بربريةٌ. كان احسنَ الناس وجها ومجالسةً وعِشرةً وأمجَنَهم وأحدَّهم نادرةً واشدَّهم عبَثا ، وكان يقول شعرا ليِّنا طيِّبا ، ويُحسن الغناء .

قال الرشيد لابنه ابي عيسى وهو صبي : ليت جَمالَك لعبدِ الله . (يعني المأمون) فقال له : على أنَّ حظَّه منك لي . فعَجِب من جوابه على صِباه وضمَّه وقبَّله .

بينا المأمونُ يخطُب يومَ الجُمُعةِ على المِنبر بالرُصافةِ واخوه ابو عيسى تِلقاءَ وجهه في المقصورة ، اذ اقبل يعقوبُ بنُ المهديِّ (عمهما) وكان أفسى الناسِ ، معروفا بذلك ، فلما أقبل وضع ابو عيسى كُمَّه على أنفه ، وفهِم المأمون ما اراد ، فكاد يَضحَك . فلما انصرف بعث الى ابي عيسى فأحضره وقال له : والله لَهممتُ ان أبطَحَك فأضرِبَك مئةَ دِرَّةٍ [1] . ويلَك ! اردتَ ان تَفضحَني بين ايدي الناسِ يومَ الجمعة وانا على المنبر . اياك ان تعودَ لمثل هذه .

قال المهلَّبي : لما مات ابو عيسى بنُ الرشيد دخلتُ الى المأمون وعِمامتي علي ، فخلعتُ عِمامتي ونبذتُها وراءَ ظهري . — والخلفاءُ لا تُعزَّى في العمائم — ودنوتُ ، فقال لي يا محمدُ ، حالَ القَدَرُ دون الوَطَرِ ! فقلت : يا اميرَ المؤمنين ، كلُّ مُصيبةٍ أخطأتْك تَهون . فجعل اللهُ الحزْنَ لك لا عليك.

قال ابن عَبَّادٍ : لما تُوفِّي ابو عيسى بنُ الرشيد وَجَد [2] المأمونُ عليه وَجدا شديدا ، وكان له محبًّا واليه مائلاً . فرَكِب الى داره حتى حَضَر أمرَه وصلى عليه وحضره الناسُ ، وكنتُ فيمن حضر ، فما رأيت مُصابا حزينا قطُّ أجملَ امرأً في مُصيبة ولا أحرقَ وجدا منه من رجل صامتٍ تجري دموعُه على خدَّيه من غير كَلَحٍ ولا استنثارٍ [3] . ولم يزل يبكي ثم مسح عينيه وتمثل:

سأبكيكَ ما فاضت دموعي فان تَغِض فحسبُك مني ما تُجِنُّ الجوانحُ
كأن لم يمت حيٌّ سِواك ولم تَنُح على احدٍ الا عليك النوائحُ

ودخل عليه ابو العتاهيةِ ، فقال له المأمون : حَدِّثني ، يا ابا اسحاقَ بحديث بعضِ الملوك ممن كان في مثل حالِنا وفارقَها . فقال : يا اميرَ المؤمنين ، لَبِس سليمانُ بنُ عبدِ الملك أفخرَ ثيابه ، ومسَّ أطيبَ طيبه ورَكِب أفرَهَ [4] خيلِه وتقدم الى جميع من معَه أن يَركَبَ في مثل زيِّه وأكملِ

(١) درة : خيزرانة . (٢) وجد : حزن . (٣) كلح وجه الرجل كلوحاً : تكشر في عبوس ، او أفرط في تعبُّسه . والاستنثار : اخراج ما في الانف من أذى . (٤) أفره : الاملح الارشق .

سلاحه ، ونظر في مرآته فأعجبته هيئتُه وحُسنُه ، فقال : انا الملك الشابُّ . ثم قال لجارية له : كيف ترين ؟ فقالت :

أنت نِعمَ المتاعُ لو كنتَ تبقى ... غيرَ أنْ لا بقاءَ للانسانِ
انت خِلوٌ من العيوب ومما ... يَكرَهُ الناسُ غير أنّك فانِ

ـ الشعر لموسى شهوات ـ فأعرضَ بوجهه . فلم تَدُرْ عليه الجمعةُ الا وهو في قبره . فبكى المأمون والناس .

علي بن الجهم

كا شاعرا فصيحا مطبوعا ، وخُصَّ بالمتوكل حتى صار من جُلَسائه ثم أبغضَه لانه كان كثيرَ السعاية اليه بنُدَمائهِ والذكرِ لهم بالقبيح عنده . واذا خلا به عرَّفه أنهم يَعيبونه ويَثلبونه ويتنقَّصونه . فيَكشِفَ عن ذلك فلا يجدُ له حقيقةً ، فنفاه بعد أن حبسه سنةً . وكان ينحو نحو مروانَ بن ابي حفصةَ في هجاء آل ابي طالب وذمِّهم والإغراء بهم وهجاء الشيعة . وسمعه ابو العَيناء يوما يطعن على عليٍّ بن ِ ابي طالبٍ فقال له : انا أدري لِمَ تَطعنُ على عليٍّ امير المؤمنين ، لانه قتل الفاعلَ فِعلَ قوم ِ لوطٍ والمفعولَ به ، وانت أسفلُهما .

كتب عليُّ ابن الجهم من حبسه الى أخيه قصيدةً ، منها :

هي الايامُ تَكلِمُنا وتَأسو ... وتأتي بالسعادة والشقاءِ
وما يُجدي الثَراءُ على غنيٍّ ... اذا ما كان محظورَ العطاءِ
وجَرَّبنا وجَرَّب أولونا ... فلا شيءٌ اعزُّ منَ الوفاءِ
ولم نَدَعِ الحياءَ لمسِّ ضَرٍّ ... وبعضُ الضَرِّ يَذهبُ بالحَياءِ
ولم نَحزَن على دنيا تَولَّت ... ولم نُسبَق الى حُسن العَزاءِ
تَوقَّ الناسَ يا ابنَ ابي وامي ... فهم تَبَعُ المخافةِ والرَجاءِ
ولا يَغرُرك من وغدٍ إخاءٌ ... لأمرٍ ما غدا حَسَنَ الإخاءِ
الم ترَ مُظهِرين عليَّ عيبا ... وهم بالامسِ أُخوانُ الصَفاءِ

فلما أن بُليتُ غدَوا وراحـوا ... عليَّ اشدَّ اسبابِ البَلاء
وخافوا أن يُقالَ لهم خذَلتم ... صديقا فادَّعوا قِدَمَ الجفاء
اذا ما عُدَّ مثلُكمُ رجالا ... فما فضلُ الرجال على النساء

ونفاه المتوكل الى خُراسانَ وكتب الى طاهرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ بأن يُصلَبَ. فصُلب يوماً الى الليل مُجرَّدا ثم أُنزِل ، فقال :

ما عابَه أن بُزَّ عنه لِباسُه ... فالسيفُ أهولُ ما يُرى مسلولا
إن يُبتَذَل فالبدرُ لا يُزري به ... أن كان ليلةَ تِمِّه مبذولا
او يَحبِسوه فليس يُحبَسُ سائرٌ ... من شعرِه يَدَعُ العزيزَ ذليلا
ولتَعلَمَنَّ اذا القلوبُ تَكشَّفَت ... عنها الأكِنَّةُ مَن أضَلُّ سبيلا

واحسنُ ما قاله في الحبس ، هذه القصيدةُ :

قالت حُبِستَ فقلتُ ليس بضائري ... حَبسي وايُّ مُهنَّدٍ لا يُغمَدُ
أوَ ما رأيتِ الليثَ يألَفُ غِيلَه (١) ... كِبرًا وأوباشُ السِباعِ تَرَدَّدُ
والشمسُ لولا أنها محجوبةٌ ... عن ناظريكِ لما أضاء الفَرقَدُ
والنارُ في احجارِها مَخبوءةٌ ... لا تُصطَلى إن لم تُثِرها الأزنُدُ (٢)
والحبسُ ما لم تَغشَه لدنيَّةٍ ... شنعاءَ ، نِعمَ المَنزِلُ المتورَّدُ (٣)
كم من عليلٍ قد تخطَّاه الرَدى ... فنجا ومات طبيبُه والعُوَّدُ

كان عليُّ بن الجهم في مجلسٍ فيه قينةٌ فعابثها وجَمَّشها(٤). فباعدته وأعرضت عنه ، فقال فيها :

دَعِي البُخلَ لا أسمَعْ به منكِ إنما ... سألتُك امراً ليس يُعري لكم ظَهرا

فقالت له : صدقتَ، ليس يعري لنا ظهرا ، ولكنَّه يَملأ بطنا !

---

(١) غيل : عرين الاسد وأجمته . (٢) الأزند : جمع نادر لزند أي الأعواد التي تقدح بها النار . (٣) الذي يورد ويزار . (٤) جمش : غازل بقرص او ملاعبة .

ابو دلامة

هو زَنْدُ بنُ الجَوْنِ ، وهو كُوفيٌّ اسودُ مولى بني أسَد. كان ابوه عبدا لرجل منهم فأعتقه. انقطع الى ابي جعفرِ المنصورِ والمهدي . اشتهر بقصيدة مدح بها ابا جعفر وذكر قتلَه ابا مُسلِمٍ ، يقول فيها :

ابا مُسلِمٍ خوَّفتَني القتلَ فانتحَى   عليك بما خوَّفتَني الاسَدُ الوَرْدُ
ابا مُسلِمٍ ما غيَّر اللهُ نعمةً   على عبده حتى يُغيِّرَها العبدُ

انشدها المنصورَ في مَحفِلٍ من الناسِ ، فقال له : احتكِم . قال : عشرةُ آلافِ درهم . فأمر له بها . فلما خلا به قال له : والله لو تَعدَّيتَها لقتلتك .

كان ابو جعفر المنصور قد امر أصحابه بلُبس السَّوادِ وقلانِسَ طِوالٍ تُدعَم بعيدان من داخلها ، وان يُعلِّقوا السيوفَ في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : « فسَيكفيكَهُمُ اللهُ وهو السميع العليم » . فدخل عليه ابو دلامةَ في هذا الزِي ، فقال له ابو جعفر : ما حالُك ؟ قال : شرُّ حالٍ ، وجهي في نصفي ، وسيفي في استي ، وكتاب الله وراءَ ظهري ، وقد صبغت بالسواد ثيابي . فضحك منه ، واعفاه وحده من ذلك وقال له : اياك ان يسمع منك هذا أحد .

كان ابو دُلامةَ بينَ يدي المنصور واقفا ، فقال له : . سَلْني حاجتَك . قال ابو دلامة : كلبٌ أتصيَّدُ به . قال : أعطوه . قال : وغلامٌ يصيد بالكلب ويَقودُه . قال : أعطوه . قال : وجاريةٌ تُصلِح لنا الصيدَ وتُطعِمُنا منه . قال : أعطوه . قال: هؤلاء يا اميرَ المؤمنين عبيدُك فلا بُدَّ لهم من دار يسكنونها . قال : أعطوه دارا لجمعهم . قال : فان لم تكن لهم ضيعةٌ فمن اينَ يَعيشون ! قال : قد أعقبتُك مئةَ جَريبٍ (١) عامرةً ومئة جَريبٍ غامرةً . قال : وما الغامرةُ ؟ قال : ما لا نباتَ فيه . فقال ابو دلامة : قد اقطعتُك انا يا امير المؤمنين خمسَمئةِ الفِ جَريبٍ غامرةً في فيافي بني أسَد . فضحك وقال : اجعلوها كُلَّها عامرة .

قال الجاحظ : فانظُر الى حذقه بالمسألة ولُطفه فيها. ابتدأ بكلبٍ فسهَّل القِصَّةَ به وجعل يأتي بما يَليه على ترتيبٍ وفُكاهةٍ حتى نال ما لو سأله بديهةً لما وصل اليه.

(١) الجريب من الارض هو حاصل ضرب ستين في مثلها فيساوي : ثلاثة آلاف وستمئة ذراع .

وغدا يوما الى المنصور فأنشدَه :

لو كان يَقعُدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ لَقيل اقعُدوا يا آلَ عبّاسِ
ثم ارتَقُوا في شُعاعِ الشمسِ كلُّكمُ الى السماءِ فانتم اطهرُ الناسِ
وقَدِّموا القائمَ المنصورَ رأسَكمُ فالعينُ والانفُ والأذُنانِ في الراسِ

فاستحسنها وملأ له خريطة قد كان خاطَها من الليل، فمُلِئت فوسَعَت اربعةَ آلافِ درهمٍ .

لما مات ابو العبّاسِ السفّاحُ، وَوَلِي المنصورُ — اخوه — دخل عليه ابو دُلامةَ ، فقال له ابو جعفرٍ المنصورُ : الستَ القائلَ لابي العبّاسِ :

وكُنا بالخليفةِ قد عَقدنا لِواءَ الامرِ فانتقض اللِواءُ
فنحن رعيةٌ هلَكت ضَياعا تَسوق بنا الى الفِتَنِ الرِعاءُ[1]

قال : ما قلت هذا يا امير المؤمنين . قال : كَذَبتَ، واللهِ ، أفلستَ القائلَ :

هلَكَ النَدى اذ بِنتَ يا ابنَ محمدٍ فجعلتَه لك في التُرابِ عَديلا
ولقد سألتُ الناسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ اكرمَ مَن سألتُ بخيلا

فقال ابو دُلامةَ : ان أخاك غلبني على صبري وسلبني عزيمتي وعزّني بإحسانه اليَّ وجزَعي عليه، فقلتُ ما لم أتأمّله . فان أعطَيتَ ما أعطى ، اخذتَ ما أخذ . فأمر به فحُبس ثلاثا ثم خلّى سبيلَه ، ودعاه اليه فوصله .

وقال يوما للمهدي :

ادعوكَ بالرَّحِمِ التي هي جَمَّعت في القُربِ بين قريبِنا والأبعدِ

فغضِب المهديُّ وقال له : يا عاضَّ كذا من امِّه، ايُّ قرابة بيني وبينك ؟ قال : رَحِمُ آدمَ وحواءَ ، أنسيتَهما يا امير المؤمنين ؟ فضحك وقال: لا واللهِ ما نسيتُهما. وأجازه .

دخل ابو دُلامةَ على المهدي وهو يبكي، فقال له: مالَك . قال : ماتت امُ دُلامةَ ، وانشده :

وكنا كزوجٍ من قَطاً في مَفازةٍ[2] لدى خَفَضِ[3] عيشٍ ناعمٍ مُؤنِقٍ[4] رَغدِ
فأفردَني رَيبُ[5] الزمانِ بصَرفِه ولم أرَ شيئا قطُّ أوحشَ من فَردِ

فأمر له بثياب وطيب ودنانير . وخرج . فدخلت ام دُلامةَ على الخيزُران فأعلمتها أن ابا دُلامةَ قد مات . فأعطتها مثلَ ذلك ، وخرجت . فلما التقى المهديُّ والخيزُرانُ عرَفا حيلتَهما فجعلا يضحكان .

(١) جمع راع . (٢) مفازة : صحراء . (٣) خفض : خصب . (٤) مؤنق : معجب . (٥) ريب: حادث قارع .

خرج المهديُّ وعليُّ بنُ سليمانَ الى الصيد . فسنح لهما قطيعٌ من ظباء ، فأرسلت الكلابُ وأُجريت الخيلُ . فرمى المهديُّ ظبيا بسهم فصرعه . ورمى عليُّ بنُ سليمانَ فأصاب بعضَ الكلابِ فقتله . فقال ابو دلامة :

قد رمى المهديُّ ظبيا شكَّ بالسهم فؤادَهْ
وعليُّ بنُ سليمانَ رمى كلبا فصادَهْ
فهنيئا لهما كلُّ امرىءٍ يأكلُ زادَهْ

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه . وامر له بجائزة .

حجَّت الخيزرانُ ، فلما خرجت صاحَ بها ابو دُلامةَ . قالت : سَلُوه ما أمرُه . فقال : أدنُوني من مَحمَلِها . فقال : ايتها السيدةُ ، اني شيخٌ كبير واجرُك فيَّ عظيمٌ . قالت : فمَهْ ؟ قال : تَهَبين لي جاريةً من جواريك تُؤنسُني وتَرفُقُ بي وتُريحُني من عجوز عندي قد اكلَت رِفدي [١] وقد عاف [٢] جلدي جلدَها وتمنّيتُ بُعدَها وتشوّقتُ فَقدَها . فضحكت الخيزرانُ وقالت : سوف آمُر لك بما سألت . ولما رجَعت دعت بجارية من جواريها فقالت لها : خُذي كلَّ ما لك في قصري ، ففعلت . ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سَلِّمها الى ابي دُلامةَ . فانطلق الخادم بها ، فلم يصادفه في منزله ، فقال لامرأته : اذا رجَع فادفعيها اليه . فقالت له : نعم . فلما خرج دخل ابنُها دُلامةُ فوجد امَّه تبكي ، فسألها عن خبرها فأخبرته وقالت : إن اردتَ ان تَبَرّني يوما من الدهر فاليومَ . فقال : قولي ما شئت ، فأنا فاعلُه . قالت : تَدخُل عليها فتُعلِمُها أنك مالكُها وتَطَؤها فتَحرُمُ عليه ، والا ذهبَت بعقله وجَفاني وجَفاك . ففعل ودخل الى الجارية فوَطِئَها ووافقها ذلك منه ، وخرج . ثم دخل ابو دُلامةَ فقال لامرأته : اين الجاريةُ ؟ قالت : في ذلك البيتِ . فدخل اليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهب . فمدَّ يده اليها وذهب ليقبِّلَها . فقالت : مالَكَ ويلك . تنحَّ والا لطمتُك لطمةً دققتُ منها أنفك . فقال لها : أبهذا أوصَتك السيدةُ . فقالت : انها قد بعثت بي الى فتىً من حاله وهيئته كَيتَ وكَيتَ ، وقد كان عندي آنِفا ونال مني . فعلم أنه قد دُهي من امِّ دُلامةَ وابنِها . فخرج اليه فلطمه ولبَّبَه [٣] وحلف ألا يُفارِقَه الا عندَ المهدي . فمضى به ملبَّبا حتى وقف على باب المهدي ، فعُرِّفَ خبرَه فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك ، ويلَكَ . قال : عملَ بي هذا ابنُ الخبيثة ما لم يعمله ولدٌ بأبيه . ولا تُرضيني الا أن تَقتُلَه . فقال له : ويلَكَ ، ما فعل ؟ فاخبره . فضحك حتى استلقى ، ثم جلس ، فقال له ابو دلامةَ : أعجبَك فعلُه فتَضحكُ منه ؟ فقال : علي بالسيف والنِّطعِ [٤] . فقال له دُلامةُ : قد سمعتَ حُجَّتَه يا امير المؤمنين فاسمع حُجَّتي . قال : هات . قال : هذا الشيخُ أصفَقُ الناسِ وجها . يَطأُ امي منذ اربعين سنةً ، ما غضبتُ ، ووطِئتُ جاريته مرةً واحدةً فغضِب وصنع بي ما ترى . فضحك المهديُّ اكثرَ من ضَحِكه

(١) الرفد : العطاء والصلة . (٢) عاف : كره . (٣) أخذ بتلبيبه اي جمع ثيابه عند نحره في الخصومة .
(٤) النطع بساط من جلد يوضع تحت المحكوم بالقتل .

الاول . ثم قال : دَعها له يا ابا دلامة ، وانا اعطيك خيرا منها . فقال له : على ان تُخَبِّأها لي بينَ السماءِ والارض وإلا وَطِئتَها ، والله ، كما وَطِيءَ هذه .

دخل ابو دلامةَ على المهدي وعنده شاعر يُنشده ، فقال له : ما ترى فيه ؟ قال : انه قد جَهَدَ نفسَه لك فاجهَد نفسك له . فقال المهدي : وابيك انها لكلمةٌ عذراءُ منك ، أحسَبُكَ تَعرِفه . قال : لا ، والله ، ما عرَفتُه ، ولا قلتُ انا إلا حقا . فأمر للشاعر بجائزةٍ ولابي دُلامةَ بمثلها لحُسن مَحضَرِه .

دخل ابو دلامة على المهدي وبين يديه سَلَمةُ الوصيف واقفا ، فقال : اني اهديتُ اليك ، يا امير المؤمنين مُهرًا ليس لأحد مثلُه ، فإن رأيت ان تشرِّفني بقبوله . فأمر بادخاله اليه . فخرج وادخل دابته التي كانت تحته ، فاذا به بِرذَونٌ محطَّمٌ أعجفُ هرِمٌ . فقال له المهدي : ايُّ شيءٍ هذا ، ويلَكَ ! ألم تزعم أنه مُهرٌ ! فقال له: أوَ ليس هذا سَلَمةُ الوصيفُ بين يديك قائما تسمِّيه الوصيفَ وله ثمانون سنةً ، وهو عندك وصيف. فإن كان سَلَمةُ وصيفاً فهذا مُهرٌ. فجعل سَلَمةُ يشتمه والمهديُّ يضحك . ثم قال لسلمة : ويلَك ، إن لهذه منه اخوات ، وإن اتى بها في محفل فضحك . فقال ابو دلامة : والله لأفضحنَّه ، يا امير المؤمنين . فليس من مواليك احد إلا وقد وصلني غيرَه . فقال : قد حكمتُ عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلَّص منك. فمضى سَلَمةُ فحملها اليه .

زهير بن ابي سلمي

هو احدُ الثلاثةِ المقدَّمين على سائر الشعراء ، وهم : امرُؤ القيس وزُهير والنابغة . ومن قدَّم زهيرا احتج بانه كان احسنَهم شعرا وابعدَهم من سُخفٍ وأجمعَهم لكثير من المعاني في قليل من الالفاظ واشدَّهم مبالغةً في المدح واكثرَهم أمثالا في شعره .

قال عمر بن الخطاب : ان الذي يقول :

ولو أن حمدا يُخلِدُ الناسَ أخلَــدوا ‏ ‏ ولكنَّ حمدَ الناسِ ليس بمُخلِدِ

فذاك شاعرُ الشعراء لانه كان لا يُعاظِل [1] في الكلام وكان يتجنبُ وحشيَّ الشعر ولم يمدح احدا الا لما فيه .

قال زهير قصيدته المعلَّقةَ ومطلَعُها :

أمِن أُمِ أوفى دِمنَةٌ لم تُكَلَّمِ

(١) يعاظل : يداخل بعضه في بعض ، ويراكب ما بين أطرافه وحروفه ، وهوما يسميه البلاغيون التعقيد بقسميه اللفظي والمعنوي

قالها في قتل وَرد بن حابس العبسيّ هَرِمَ بن ضَمضَم المُرّيّ الذي يقول فيه عنترةُ وفي اخيه :

ولقد خَشيتُ بأن اموتَ ولم تَدُرْ للحرب دائرةٌ على ابنَي ضَمضَمِ

ويَمدحُ بها هَرِمَ بنَ سِنان والحارثَ بنَ عوف المُرّيّين لانهما احتملا ديتَه في مالهما .

قال الحارثُ بنُ عَوف المرّي : أتُراني أخطُب الى أحد فيَرُدّني؟ قالوا : نعم . قال : ومَن ذاك ؟ قالوا : اوسُ بنُ حارثةَ الطائي . فقال الحارث لغلامه : ارحَل بنا . ففعل . فركبا حتى اتيا أوساً في بلاده فوجده في منزله ، فلما رأى الحارثَ قال : مرحبا بك يا حارِ . قال : وبكَ . قال : ما جاء بك يا حارِ ؟ قال : جئتك خاطباً . قال : لستَ هناك . فانصرفَ ولم يُكلّمه . ودَخل اوسٌ على امرأته مُغضَباً وكانت من عَبس . فقالت : مَن رجلٌ وقف عليك فلم يُطِل ولم تُكلّمه ؟ قال : ذاك سيدُ العربِ الحارثُ بنُ عوفِ بنِ ابي حارثةَ المُرّي . قالت : فما لك لم تَستنزله ؟ قال : إنه استحمق . قالت : كيف ؟ قال : جاءني خاطبا . قالت : أفتريدُ ان تُزوّج بناتك ؟ قال : نعم . قالت : فاذا لم تزوّج سيدَ العرب ، فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارَك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تَلحقُه فتَرُدُّه . قال : وكيف وقد فرّط ما فرط اليه ؟ قالت : تقول له : إنك لَقيتَني مُغضَبا بامر لم تُقدّم فيه قولا ، فلم يكن عندي فيه من الجواب الا ما سمعتَ ، فانصرف ولك عندي كلُّ ما أحببت . فانه سيفعل . فركب في أثرهما . قال خارجةُ بن سِنان[1] : فوالله إني لأسير اذ حانت مني التفاتةٌ فرأيتُه ، فأقبلتُ على الحارث وما يُكلّمني غمّاً . فقلت له : هذا اوسُ بنُ حارثةَ في أثرنا قال : وما نصنع به ! امضِ . فلما رآنا لا نَقف عليه صاح : يا حارِ ، اربَع[2] علي ساعةً . فوقفنا له فكلّمه بذلك الكلام فرجع مسرورا . فبلغني ان أوسا لما دخل منزله قال لزوجته : ادعي لي فُلانةَ (اكبرَ بناته) فأتته . فقال : يا بُنَيّةُ ، هذا الحارثُ بن عوف سيدٌ من سادات العرب . قد جاءني طالبا خاطبا ، وقد اردتُ ان ازوّجك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تَفعل . قال : ولِمَ ؟ قالت : لاني امرأةٌ في وجهي رَدّةٌ[3] وفي خُلُقي بعضُ العُهدة[4] ، ولستُ بابنة عمه فيَرعى رَحِمي ، وليس بجارك في البلد فيستحيَ منك ، ولا آمَنُ أن يرى مني ما يَكرَه فيُطلّقَني فيكونَ عليّ في ذلك ما فيه . قال : قومي ، بارك الله عليك . ادعي لي فلانةَ . (الوسطى) فدعتها . ثم قال لها مثلَ قوله لأختها . فأجابته بمثل جوابها ، وقالت : اني خَرقاءُ وليست بيدي صناعةٌ . ولا آمَنُ ان يرى مني ما يَكرَه ، فيُطلّقَني فيكونَ علي في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيَرعى حقي ، ولا جارك في بلدك فيَستحييك . قال : قومي بارك الله عليك . ادعي لي بُهَيسةَ (الصغرى) . فأُتي بها فقال لها كما قال لهما . فقالت : انت وذاك . فقال لها : اني قد عرضتُ على أُختيك فأبتاه . فقالت : – ولم يذكر لها مقالتَيهما – لكني ، والله ، الجميلةُ وجهاً ، الصَّناعُ يدا ، الرفيعةُ خُلُقا ، الحسيبةُ اباً ، فإن طلّقني فلا أخلفَ اللهُ عليه بخير . فقال : بارك الله عليك .

ثم خرج الينا فقال : قد زوّجتُك ، يا حارثُ بُهَيسةَ بنتَ اوسٍ . قال : قد قبلتُ . فأمر أمها

(١) يظهر انه كان رفيق الحارث واهمل ابو الفرج ذكره في اول الحديث . (٢) اربع : انظر وتلبث . (٣) قبح مع شيء من الجمال (٤) ضعف .

ان تُهيِّئَها وتُصلِحَ من شأنها . ثم امر ببيت فضُرِب له وأنزله اياه . فلما هُيِّئت بَعث بها اليه . فلما أُدخلت اليه لَبِثَ هُنيهةً ثم خرج الي . فقلت : أفَرغتَ من شأنك ؟ قال : لا ، والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مددتُ يدي اليها قالت : مَهْ[1] . أعندَ أبي واخوتي ؟ هذا ، والله ، ما لا يكون . قال : فأمرَ بالرحلة ، فارتحلنا ورحلنا بها معنّا . فسرنا ، ما شاء اللهُ .

ثم قال لي : تقدَّم . فتقدمتُ ، وعَدَل بها عن الطريق . فما لَبِث ان لَحِق بي . فقلت : أفَرغتَ ؟ قالا : لا ، والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت لي : أكما يُفعَل بالأمةِ الجليبةِ او السبيَّةِ الأخيذة . لا ، والله ، حتى تَنحَر الجُزُرَ وتَذبحَ الغنمَ وتَدعوَ العربَ وتَعمَلَ ما يُعمَل لمثلي . قلت : والله اني لأرى هِمَّةً وعقلا ، وارجو ان تكونَ المرأةُ مُنجِبةً . فرحلنا حتى جئنا بلادَنا . فأحضرَ الإبِلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج الي . فقلت : أفَرغتَ ؟ قال : لا . قلت : ولِمَ ؟ قال : دخلت عليها اريدُها وقلت لها : قد أحضرنا من المال ما قد تَرَين . فقالت : والله لقد ذُكِرتَ لي من الشرف ما لا أراه منك . قلت : وكيف؟ قالت : أتَتفرغُ لنِكاح النساء والعربُ تَقتُل بعضَها . (وذلك في حرب عبس وذُبيان) قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرُج الى هؤلاءِ القومِ فأصلِح بينهم ، ثم ارجِع الى اهلِك فلن يَفوتَك . فقلت : والله اني لأرى هِمَّةً وعقلا . ولقد قالت قولا . قال : فاخرُج بنا . فخرجنا حتى اتينا القومَ ، فمشينا فيما بينَهم بالصُلح . فاصطلحوا على ان يَحتسبوا القتلى . فيُؤخَذُ الفضلُ ممن هو عليه . فحَمَلنا عنهم الدياتِ . فكانت ثلاثةَ آلافِ بعيرٍ في ثلاثِ سنين . فانصرفنا باجملِ الذِكر .

فذكرهما زهيرٌ — اي الحارثَ وهَرِما — في قصيدته فقال :

تداركتُما عبسا وذُبيانَ بعدما ... تَفانَوا ودَقّوا بينَهم عِطرَ مَنشَمِ[2]

وقال يمدح هَرِما :

قد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ ... والسائلون الى ابوابه طُرُقا

من يَلقَ يوما على عِلاَّتِه هَرِما ... يَلقَ السَماحةَ منه والندى خُلُقا

ومن اقواله في هرم :

لمن الديارُ بقُنَّةِ الحَجرِ ... أقوَين مذ حِجَجٍ ومذ دهرِ[3]

لعِب الرياحُ بها وغيَّرها ... بَعدي سَوافي الريحِ والقَطرِ

دَع ذا وعَدِّ القولَ في هَرِمٍ ... خيرِ الكهولِ وسيدِ الحَضَرِ

لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ ... كنت المُنَوِّرَ ليلةَ البدرِ

القُنَّة : الجبل الذي ليس بمنتشر . أقوَين : خلَون . السَوافي : ما تَسفي الرياحُ[4] والقَطرِ :

---

(١) مه : اكفف ، وسبق شرحها كثيراً . (٢) امرأة عطّارة من خزاعة تبيع عطراً وكافوراً لموتاهم اذا حاربوا، فتشاءموا بها . (٣) راجع ترجمة حماد الراوية — الجزء السادس — في شأن مطلع القصيدة. (٤) يعني ان الرياح والقطر اي المطر ترددت على هذه الديار حتى عفت رسومها وغيرت اثارها .

مخفوضة بنَسْقِهِ على الريح . وهذا تفعله العرب في المجاورة ، مثلَ قولِهم : جُحرُ ضبٍّ خَرِبٍ .

قال عمر لبعض ولد هَرِمٍ : أنشِدني بعضَ مدحِ زهيرٍ أباك . فأنشده . فقال عمر لَيُحسِنُ فيكم القولَ . قال : ونحن، واللهِ ، إن كان(١) لَنُحسِن له العَطاء. فقال : قد ذهب ما اعطيتموه وبقي ما اعطاكم .

حلف هَرِمٌ ألا يَمدحَه زهيرٌ الا اعطاه ، ولا يسألَه إلا أعطاه ، ولا يُسلِّمَ عليه الا اعطاه . فاستحيا زهير مما كان يَقبَل منه . فكان اذا رآه في مَلإٍ قال : عِموا(٢) صباحا غيرَ هَرِمٍ ، وخيرَكم استثنيت .

قيل : إن عُروةَ بنَ الزبيرِ لحق بعبد الملك بنِ مروانَ بعد قتلِ اخيه عبدِ اللهِ بنِ الزبير . فكان اذا دخل اليه منفردا أكرمه ، واذا دخل عليه وعنده اهلُ الشامِ استخفَّ به . فقال له يوما : يا اميرَ المؤمنين . بئس المَزُورُ انت ، تُكرِم ضيفَك في الخَلاء وتُهينه في المَلإ . لله دَرُّ زهيرٍ حيث يقول :

فَقَرِّي في بلادك إن قومـاً ... متى يَدَعوا بِلادَهم يَهونـوا

وهذا البيت من قصيدة اولها :

الا أبلِـغ لديك بـني تَميـمٍ ... وقد يأتيك بالخبر الظَّنـونُ

الظَّنون : الذي لست منه على ثقة . والظنين : المتهم .

من معلقة زهير :

أَمِن أمِّ أوفى دِمنَةٌ لم تَكلَّـمِ ... بحَومانةِ الدَرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ (٣)

وقفتُ بها من بعدِ عشرينَ حِجَّـةً ... فلأياً عرفتُ الدارَ بعد توهُّمِ (٤)

فلما عرفت الدار قلت لربعهـا ... الا عِم (٥) صباحا ايُّها الربعُ واسلَمِ

فأقسمتُ بالبيت الذي طـاف حولَـه ... رجالٌ بَنَوه من قريشٍ وجُرهُمِ

يميناً لَنِعمَ السيـدانِ وُجِدتُمـا ... على كل حالٍ من سَحيلٍ ومُبرَمِ (٦)

تداركتُما عبسا وذُبيـانَ بعدَمـا ... تفانَوا ودقُّوا بينهم عِطرَ مَنشِمِ

° ° °

(١) إن : زائدة . (٢) عموا : انعموا . (٣) ام أوفى كنية الحبيبة . دمنة : ما اسود من آثار الدار . لم تكلم : اي لم تتكلم . (٤) الحجة : السنة . لأيا : جهداً ومشقة . (٥) عم : أنعم ؛ حذفت منه الالف والنون تخفيفاً وقيل هو من «وعم» والأول هو الاصوب . (٦) يميناً : أي أقسم . السحيل : المفتول على قوة واحدة . والمبرم : المفتول على قوتين او اكثر . ويريد بالسيدين هرم بن سنان والحارث بن عوف . مدحهما لاتمامهما الصلح بين عبس وذبيان .

سَئِمتُ تكاليفَ الحيـــاةِ ومن يَعِش ... ثمانين حولاً لا أبا لكَ يَسأَمِ (١)
رأيتُ المنايا خبطَ عَشواءَ مَن تُصِـــب ... تُمِته ومَن تُخطِىء يُعمَّر فيَهرَمِ (٢)
ومَن لم يُصانِع في أمورٍ كثيـــرةٍ ... يُضَرَّس بأنيابٍ ويُوطَأْ بمَنسِمِ (٣)
ومَن يَجعلِ المعروفَ من دون عِرضِه ... يَفِرهُ ومَن لا يَتَّقِ الشتمَ يُشتَمِ (٤)
ومَن يكُ ذا فضلٍ فيَبخَلْ بفضلـــهِ ... على قومِه يُستغنَ عنه ويُذمَـــمِ
ومَن هاب اسبابَ المنايا يَنَلنَـــــه ... وإن يَرقَ اسبابَ السَماءِ بسُلَّمِ (٥)
ومَن يَجعلِ المعروفَ في غير أهلِـــه ... يَكُن حمدُه ذَمًّا عليه ويَندَمِ
ومَن لم يَذُد عن حوضِه بسِلاحِـــه ... يُهدَّم ومَن لايَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ (٦)
ومَن يَغترِب يَحسَب عدوًّا صديقَـــه ... ومَن لا يُكَرِّم نفسَه لم يُكَرَّمِ (٧)
ومهما تكن عندَ امرِىءٍ مِن خليقَـــةٍ ... وإن خالها تَخفى على الناس تُعلَمِ (٨)
لسانُ الفتى نِصفٌ ونِصفٌ فُـــؤادُه ... فلم يَبقَ الا صورةُ اللحمِ والدمِ (٩)
وإنَّ سَفاهَ الشيخِ لا حِلمَ بعـــدَه ... وإنَّ الفتى بعدَ السَفاهةِ يَحلُـــمِ

النابغة الذبياني

اسمه زيادُ بنُ معاويةَ ابنِ معاويةَ ابنِ ذُبيانَ ، ويُكنَّى ابا أُمامةَ (١٠). وهو أحدُ الاشرافِ الذين غَضَّ الشعرُ منهم . وهو من الطَبَقة الاولى المقدَّمين على الشعراء .

كان يُضرَب للنابغة قُبَّةٌ من أدَمٍ (١١) بسوقِ عُكاظَ فتأتيه الشعراءُ فتَعرِض عليه اشعارها .

---

(١) لا أباك : اي انك وحيد ليس لك اب ليلد مثلك . وهو مديح . (٢) خبط عشواء . اي تخبط خبط عشواء . والعشواء مؤنث أعشى . وهي الناقة لا تبصر ليلا . فتخبط بيديها على عمى . (٣) المصانعة : المداراة . المنسم للبعير كالسنبك للفرس وهو الحافر . (٤) يفر : يوفّره ، يحفظه. اي من يتقي عرضه بالمعروف يحفظه سليماً من المذمة. (٥) يقول: من هرب من المنايا نالته ولو صعد الى السماء بسلم . (٦) يقول : من لا يكف اعداءه عن حوضه بسلاحه هُدِم حوضه ويعني به عِرضه وحريمه استعارة او كناية . (٧) يقول : من يجرب الاغتراب يظن الاعداء اصدقاء . (٨) خليقة أي خصلة ، ومهما حاول المرء اخفاءها غلبته وشاعت (٩) هذا من قول العرب : المرء بأصغريه قلبه ولسانه .
(١٠) ويكنى احياناً بابنته الاخرى فيقال : ابو تمامة. (١١) أدم : جلد .

وأولُ مَن أنشده الاعشى ثم حسَّانُ بنُ ثابتٍ ثم الشعراء ثم الخنساء تَرثي اخاها :

وإن صخـــراً لتَأتَمُّ (١) الهُداةُ بـه كأنه عَلَمٌ في رأســه نارُ

فقال : والله لولا أن ابا بصيرٍ – الاعشى – انشدني آنِفا لقلت إنكِ اشعرُ الجنِ والإنس . فقامَ حسَّانُ فقال : والله لأنا أشعرُ منك ومن أبيك . فقال له : يا ابنَ أخي ، انت لا تُحسِن ان تقولَ :

فإنَّك كالليـل الـذي هو مُدرِكـي وان خِلتُ أنَّ المُنتأى عنك واسِعُ

فخَنَس حسان (٢) .

–ج ٩ ص ٣٤٠– وقيل : فقال : لولا ان ابا بصير انشدني قبلَكِ لقلتُ : إنكِ اشعر الناس ! انتِ والله أشعر من كل ذات مثانة . قالت : والله ومن كل ذي خصيتين . فقال حسَّان : انا والله أشعرُ منك ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث اقول :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعـنَ بالضُحـى واسيافُنا يَقطُرن من نجـدةٍ دَمـا

فقال : إنك لشاعر لولا انك قلت : « الجَفَنات » فقلَّلتَ العدد . ولو قلت : « الجِفانُ » لكان أكثرَ . وقلت « يلمعن في الضحى » ولو قلت « يَبرُقن بالدُجى » لكان أبلغَ في المديح ، لان الضيفَ بالليل اكثرُ طروقاً . وقلت : « يَقطُرن من نجدة دَماً . فدَلَّلت على قلة القتل . ولو قلت : « يَجرين» لكان اكثرَ لانصباب الدم . فقام حسَّان منكسراً منقطعاً .

كان النابغة كبيراً عند النعمان خاصاً به وكان من نُدمائه واهل أنسه . فرأى زوجته المتجرِدَةَ ، يوماً وغَشيَها بالفُجاءة(٣) فسقط نصيفُها(٤) واستترت بيدها وذراعها فقال قصيدتَه التي منها :

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائحٌ (٥) او مُغتَـدِ عجلانَ ذا زادٍ وغيـرَ مُـزَوَّدِ
زعـم البوارحُ أنَّ رِحلتَنـا غـداً وبـذاك تَنعابُ الغُرابِ الأسـودِ
لا مرحبـاً بغـدٍ وَلا اهلا بـه ان كان تفـريقُ الاحبةِ في غـدِ
أزِفَ التَرحُـلُ غيـرَ أن رِكابَنـا لمَّا تَزَل برِحالنـا وَكأنْ قَـدِ
في إثرِ غانيةٍ رَمَتـكَ بسَهمِهـا فأصاب قَلبَك غيرَ أن لم تُقصِدِ(٦)
سَقطَ النصيفُ ولم تُرِد إسقـاطَـه فتناولتـه واتَّقتنـا باليـدِ
بمُخضَّبٍ رخصٍ كـأن بَنانَـه عَنَمٌ عـلى أغصانـه لم يُعقَـدِ
وبفاحِمٍ رَجِـلٍ أثيـثٍ نَبتُـه كالكَرمِ مـال على الدِعـامِ المُسنَدِ
ورَنَت اليَّ بمقلتَـي مكحولـةٍ نَظرَ السقيمِ الى وُجـوهِ العُوَّدِ(٧)

(١) تأتم : تقتدي به وتتخذه إماماً . (٢) انقبض وتنحى . (٣) اي أتاها بما يشبه المفاجأة . (٤) الرداء والخِمار . (٥) اي انت رائح . (٦) تقتل . (٧) مكحولة اي الغزالة . العود : جمع عائد . اي نظرت كالمريض الذي ينظر الى زائريه ولا يقدر على الكلام .

العنم : يسَاريع[١] حمرٌ تكون في البقل في الربيع . الفاحم : الشديد السواد . الرَجل والرَجِل : الذي ليس بجعد . الاثيث : المتكاثف . الزاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم ورد تحية . البوارح : ما جاء من ميامنك الى مياسرك فولاَّك مياسرَه . وهم يتشاءمون بالبوارح . والسوانح ما جاء من مياسرك فولاك ميامنَه . وتَنعاب الغراب : صياحُه . وكان النابغة قال في هذا البيت :

« وبذاك خبَّرَنا الغُرابُ الاسودُ » .

وقال ايضاً : « عنَمٌ يكادُ من اللطافةِ يُعقَدُ » .

فلما قَدِم يَثرِبَ هابُوه أن يقولوا له : أقوَيتَ ، وهو اختلافُ اعراب القوافي . فَدَعَوا قينةً وامروها ان تغني في شعره ففعلت . فلما سمِع الغِناء : « غيرَ مزوَّدِ » و « الغرابُ الاسودُ » ومن اللطافة يُعقَدُ « فَطِن لموضِع الخطأ . فغيَّره وجعله :

وبذاك تنعابُ الغُرابِ الاسودِ .

وعَنَمٌ على اغصانه لم يُعقَدِ .

وكان يقول : وَرَدتُ يَثرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة ، فصَدَرتُ عنها وانا أشعرُ الناسَ .

وأنشدَ النُعمانُ هذه القصيدةَ فامتلاء غضباً فأوعد النابغةَ وتهدَّده فهرب منه فأتى قومَه ثم شَخَص الى ملوكِ غسَّانَ بالشام فامتدحهم .

وقيل ان الذي من اجله هرب النابغةُ من النعمان أنه كان والمُنَخَّلُ اليَشكُرِيُّ[٢] جالسَين عنده وكان النعمان دميماً ابرشَ قبيحَ المنظر ، وكان المنخَّلُ من اجمل العرب . وكان يُرمى بالمتجردة زوجةِ النعمان ، ويتحدث العرب أن ابنَي النعمانِ منها كانا من المنخَّل . فقال النعمان للنابغه : يا ابا أُمامةَ ، صِف المتجرِّدةَ في شعرك . فقال قصيدته التي وصفها فيها ووصف بطنها ورَوادِفَها وسائرَ اعضائها . فلَحِقت المنخَّلَ من ذلك غَيرةٌ . فقال للنعمان : ما يستطيعُ ان يقولَ هذا الشعرَ إلا مَن رأى وجرَّب . فوقَرَ ذلك في نفس النعمان ، وبلغ النابغةَ فخافه فهرب فصار في غسَّان .

ولما صار النابغةُ الى غسَّانَ نزَل بعمروِ بنِ الحارثِ الاصغرِ فمدحه بقصيدة منها :

كِليني لهَمٍّ يـا أُمَيمةَ[٣] نـاصِبِ ... وليلٍ أُقاسيه بطـيءِ الكـواكـبِ
تَقاعسَ حتى قلتُ ليس بمُنقَضٍ ... وليس الذي يُهـدي النجومَ بآئِبِ

فقوله : « يا اميمةَ » اجراه مجرى الترخيم : يا أميمَ . كِليني : دعيني . ناصب : متعِب . تقاعس : تأخر . والتقاعس : القهقرى اي الرجوع الى خلف . يهدي النجوم : اي الذي يمشي قدامَها الى المغيب ليس بعائد ، أي الشمس التي طال ايابُها . فهو ليل بدون نهار .

---

(١) جمع يسروع : دودة حمراء تكون في البقل تُشبَّه بها الاصابع . (٢) المنخل اليشكري : راجع ترجمته ج ٢١.
(٣) تصغير امامة وهي بنته . اقاسيه اكابده .

ومنها :

ولا عيبَ فيهم غيــــرَ أن سيوفَهــــم بهن فُلول(١) مـــن قِراعِ الكتائبِ
حَبَوتُ بهـا(٢) غسَّانَ إذ كنتُ لاحقـــاً بقومي واذ أعيَت عليَّ مـــذاهبـي

قال حسان بن ثابت :

قَدِمتُ على النُعمانِ بنِ المُنذرِ وقد امتدحتُه . فأتيتُ حاجبَه عِصامَ بنَ شَهبَرٍ فجلست اليه . فقال : اني لأرى عربيا ، أفَمِن الحجازِ انت ؟ قلت : نعم . قال : فكن قَحطانياً . فقلت : فأنا قَحطاني . قال : فكن يَثربياً . قلت : فانا يَثربي . قال : فكن خَزرَجياً . قلت : فانا خَزرَجِي . قال : حَسانَ بنَ ثابت . قلت : فأنا هو . قال : جئتَ بمِدحة الملك ؟ قلت : نعم . قال : فاني أرشدُك : اذا دخلتَ اليه فانه يسألُك عن جَبَلَةَ بنِ الأيهَمِ ويَسُبُّه ، فإياك أن تُساعِده على ذلك . ولكن أَمِرَّ ذِكره إمرارا لا تُوافِقُ فيه ولا تُخالِف ، فإنه يَختبرُك . فان ذكرتَ محاسنَه ثَقُلَ عليه ، وإن سألك عنه فلا تُطنِب في الثَناء عليه ولا تَعِبه ، امسَح ذِكرَه مسحا وقل : ما دخولُ مثلي ايها الملكُ بينَك وبين جَبَلَةَ وهو منك وانت منه . وإن دعاك الى الطَعام فلا تُؤاكِله . فإن أقسم عليك فأصِب منه اليسيرَ ، لا أكلَ جائعٍ سَغِبٍ(٣) ولا تُطِل محادثَتَه ولا تَبدَأْه بإخبار عن شيء حتى يكونَ هو السائلَ لك . ولا تُطِلِ الإقامةَ في مجلسه . فقلت : احسنَ اللهُ رِفدَك قد أوصَيت واعيا . ودخل ثم خرج الي فقال : ادخُل ، فدخلتُ فسلَّمتُ وحيَّيتُ تحيَّةَ الملوك . فجاراني من أمر جَبَلَةَ ما قاله عِصامٌ كأنه كان حاضرا ، وأجبتُ بما امرني . ثم استأذنتُه في الإنشاد فأذِن لي فانشدتُه . ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما امرني عِصامٌ به وبالشَراب ففعلت مثلَ ذلك . فأمر لي بجائزةٍ سنيَّةٍ وخرجتُ . فقال لي عصام : بقِيَت علي واحدةٌ لم أوصِك بها . قد بلَغَني أن النابغةَ الذُبيانيَّ قَدِمَ عليه . واذا قَدِم فليس لأحد منه حظٌ سواه . فاستأذِن حينئذ وانصرف مُكرَّما خيرٌ من ان تنصرفَ مَجفُوّاً . ثم قَدِم عليه الفَزاريّان وكان بينهما وبين النعمان دُخلُلٌ (اى خاصة) وكان معهما النابغةُ قد استجار بهما وسألَهما مسألةَ النعمانِ أن يرضى عنه . فضَرَب عليهما قُبَّةً من أَدَمٍ ، ولم يشعُر بأن النابغةَ معَهما . ودس النابغةُ قَينةً تُغنيه بشعره :

يا دارَميَّةَ بالعليــاءِ فالسَنَـــدِ أقوَت وطال عليها سالفُ الأمَـــدِ
أضحَت خَلاءً وأضحى اهلُها احتملوا أخنى عليها الذي اخنى على لُبَـــدِ

« يا دارمية » يريد : يا أهلَ دارمية . السند : الجبل . أقوت : أقفرت . أخنى : اتى عليها . لُبَد : آخِر نسور لُقمانَ التي اختار ان يُعَمَّرَ مثلَ أعمارِها . ومنها :

نُبِّئتُ أن ابا قابُوسَ أَوعدَنـــي ولا قَرارَ(٤) على زَأرٍ من الأسدِ

(١) فلول : ثلوم . وهذا في البديع مدح بصورة الذم ، وهو ابلغ في المديح (٢) حبوت : منحت . (٣) سغب : أصل معناه الجائع المتعب ، والمقصود به هنا النهم . (٤) قرار : اطمئنان .

مهلاً فِداءٌ لك الاقوامُ كلُّهـــــمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولـــدِ
إن كنتُ قلتُ الذي بُلِّغْتَ مُعتَمِـدا اذًا فلا رَفعَتْ سوطي اليَّ يـــدي

فلما سمع الشعرَ قال : أُقسِم بالله إنه لَشعرُ النابغةِ . وسأل عنه فأُخبِر أنه مع الفَزارِيَّين . فكلَّماه فيه فأَمَّنه واستنشده أشعاره . فانشده قصيدته الّتي يقول فيها :

فإنك شمسٌ والملـــوكُ كواكـــبٌ اذا طلعت لم يَبدُ منهن كوكـــبُ

ووردت عليه مئةٌ من الابل السُودِ الكلبيَّةِ فيها رِعاؤها وبيتُها وكلبُها . فقال : شأنَك بها أبا أُمامةَ فهي لك بما فيها .

فعند ذلك قال حسَّانُ : فحسدتُه على ثلاث لا أَدري على أيتِهن كنت له اشدَّ حسدا : على إدناء النُعمانِ له بعدَ المُباعدةِ والمسامرةِ له واصغائه اليه ، ام على جودة شعره ، ام على مئة بعيرٍ من عَصافيرِه (١) أمرَ له بها . فجمعتُ جراميزي (٢) وركبتُ الى بلادي .

وقيل : إن السببَ في رجوعه الى النعمان بعدَ هربه منه ، أنه بلغه أنه عليلٌ لا يُرجى . فلم يَملِك الصبرَ على البُعد عنه . فصار اليه وألفاه محمولا على سرير يُنقَلُ بين الغَمرِ وقصورِ الحيرة فقال لعِصامٍ حاجبِه :

ألم أُقسِم عليـــك لَتُخبِرَنِّـــي أمحمولٌ على النَعشِ الهُمـــامُ
فاني لا الومُك فـــي دخولـــي ولكن ما وَراءَك يا عِصـــامُ
فإن يَهلِك ابو قابوسَ (٣) يَهلِـــك ربيعُ الناسِ والشهرُ الحَـــرامُ

كانت ملوك العرب اذا مَرِضَ احدُهم حملته الرجالُ على أكتافها يتعاقبونه ، فيكون كذلك ، لانه عندهم أوطأُ من الارض .

وقوله « ربيعُ الناس والشهرُ الحرامُ » يريد انه كالربيع في الخَصب لمُجتَديه ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يُوصَلُ الى مَن أجاره ، كما لا يوصل في الشهر الحرام الى احد .

وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفضة والذهب من عطايا النعمان .

(١) العصافير : ابل نجائب كانت للنعمان . (٢) اي رفعت ما انتشر من ثيابي ومضيت . (٣) كنية النعمان .

مختارات من ديوانه :

اعتذارياته اشهر شعره . ومما قاله يعتذر للنعمان :

يا دارَ ميَّةَ بالعليـــاءِ فالسنـــــدِ أقوت وطال عليها سالفُ الأمَـــدِ
وقفتُ فيها أصيلاً كي اسائلَهـــــا عيَّت جوابا وما بالرَّبع من أحـــدِ
أضحت خَلاءً وأضحى اهلُها احتملــوا أخنى عليها الذي أخنى على لُبَـــدِ
كأنَّ رَحلي وقد زال النهـــار بنـــا يومَ الجليل على مستأنسٍ وَحِـــدِ
من وحشِ وَجرةَ مَوشِيٍّ أَكـــارِعُه طاوي المصيرِ كسيفِ الصَّيقلِ الفَرَدِ
فتلك تُبلغني النعمـــانَ إن لـــه فضلا على الناس في الادنى وفي البُعُدِ
ولا ارى فاعلاً في الناس يُشبهـــه ، ولا أحاشي منَ الاقوام من أحـــدِ
إلا سليمانَ اذ قال الالـــه لـــه قم في البريَّة فاحدُدها من الفَنَـــدِ
وخيِّسِ الجنَّ اني قد اذنت لهـــم يبنون تَدمرَ بالصُفَّاح والعَمَـــدِ
فمن أطاعك فانفعـــه بطاعتـــه كما اطاعك وادلُله على الرَشَـــدِ
ومن عصاك فعاقبـــه معاقبـــة تنهى الظلومَ ولا تَقعد على ضَمَدِ
إلا لمثلك أو مَن انت سابقـــه سبقَ الجوادِ اذا استولى على الأمَدِ

° ° °

أُنبئتُ أن ابا قابوسَ أوعدنـــي ولا قَرارَ على زأرٍ من الأســـدِ
مهلاً فداءٌ لك الاقوامُ كلُّهـــمُ وما أُثمِّرُ من مالٍ ومن ولـــدِ
هذا الثناء فان تسمع به حسنـــا فلم أُعرِّض – أبيتَ اللعنَ – بالصَفدِ

وقوله فيه :

أتاني ، أبيتَ اللعنَ ، أَنك لُمتنـــي وتلك التي اهتم منها وأنصَـــبُ
حَلفت ، فلم اترُك لنفسك ريبـــةً وليس وراءَ الله للمرءِ مَطلـــبُ
لئن كنت قد بُلِّغتَ عني خيانـــةً لَمُبلغُك الواشي أَغشُّ وأكـــذَبُ
فلا تترُكَنِّي بالوعيـــد كأنني الى الناس مَطليٌّ به القارُ أجـــرَبُ
فانك شمسٌ والملوكُ كواكـــبٌ اذا طلعت لم يبدُ منهن كوكـــبُ
فإن أكُ مظلوما فعبدٌ ظلمتَـــه وإن تَكُ ذا عُتبى فمثلُك يُعتِـــبُ

وقوله :

اتاك بقول لم أكن لأقولَه ولو كُبِّلت في ساعديَّ الجوامعُ
فإن كنتُ. لا ذو الضِّغن عني مكذِّبٌ ولا حلَفي على البراءة نافعُ
فانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ ان المنتأى عنك واسعُ
أتوعد عبدًا لم يَخُنك امانةً ويُترَك عبدٌ ظالمٌ وهو ظالعُ
وانت ربيعٌ يُنعش الناسَ سَيبُه وسيفٌ أعيرته المنيةُ قاطعُ.

وقال في مدح عمرو بن الحارث الاصغر الغسّاني الذي لجأ اليه هربا من غضب النعمان ابي قابوس:

كِليني لهم يا أُمَيمةَ ناصبِ وليلٍ اقاسيه بطيءِ الكواكبِ

° ° °

علي لعمرو نعمةٌ بعدَ نعمةٍ لوالده ليست بذات عقاربِ
وثقت له بالنصر اذ قيل قد غزت كتائبُ من غسّانَ غيرُ أشائبِ
اذا ما غزَوا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
ولا عيبَ فيهم غيران سيوفهم بهن فلولٌ من قِراع الكتائبِ
لهم شيمةٌ لم يُعطها اللهُ غيرَهم من الجود والاحلامِ غيرُ عوازبِ
رِقاقُ النعالِ طيِّبٌ حُجزاتُهم يُحيَّون بالريحان يومَ السَباسبِ
تُحيِّيهمُ بيضُ الولائدِ بينهم وأكسيةُ الإضريجِ فوق المشاجبِ
يصونون اجسادًا قديما نعيمُها بخالصة الاردنِّ خُضرَ المناكبِ
ولا يحسَبون الخير، لا شرَّ بعده ولا يحسَبون الشرَّ ضربةَ لازبِ

وقال يرثي النعمان بن الحارث الغسّاني:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازلُ وكيف تَصابي المرء والشيبُ شاملُ
وقفتُ بربع الدار قد غيَّر البِلى معارفها والساريـاتُ الهواكلُ
اسائل عن سعدى وقد مرَّ بعدنا على عرَصات الدار سبعٌ كواملُ
فان تك قد ودّعت غيرَ مُذمَّمٍ أَواسِيَ مُلكٍ ثبّتته الاوائلُ
فلا تَبعَدن ان المنيةَ موعدٌ وكلُّ امرئٍ يوما به الحال زائلُ
سقى الغيثُ قبرًا بين بُصرى وجاسمٍ بغيثٍ من الوسميِّ قطرٌ ووابلُ
بكى حارثُ الجَولانِ من فقد ربه وحَورانُ منه مُوحشٌ متضائلُ

الحارث بن حِلِّزة

هو الحارث بن حِلِّزَةَ بنِ مَكروهٍ ابنِ يشكُرَ بنِ بَكرِ بنِ وائلٍ . وهو من اصحاب المعلّقات . ومعلقتُه :

آذنتنـــا ببينهـــا أسمـــاءُ ربَّ ثـــاوٍ يُمَـــلُّ منه الثَّواءُ

كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارثَ الى قولها أن عَمْرَ بنَ هند المَلِكَ ، وكان جبَّاراً عظيمَ الشأنِ والمُلك ، لما جمع بكراً وتغلِبَ ابنيَ وائلٍ وأصلح بينهم ، اخذَ من الحَيَّين رهناً ، من كلِّ حيٍّ مئةَ غلامٍ ، ليَكُفَّ بعضُهم عن بعضٍ . فكانَ اولئك الرُهُنُ يكونون معه في مَسيره ويَغزُون معه . فأصابتهم سَمومٌ (١) في بعض مسيرهم فهَلَك عامَّةُ التغلبيين وسَلِم البكريون . فقالت تَغلِبُ لبَكرٍ : أعطونا دياتِ أبنائنا . فأبت بَكرٌ . فجاءت بَكرٌ بالنعمان بنِ هَرِمٍ ، وجاءت تَغلِبُ بعَمرِو بنِ كُلثومٍ واجتمعوا عند الملك . وقام الحارثُ بنُ حِلِّزة ــ البكري ــ فارتجل قصيدته هذه ارتجالا ، توكأ على قوسه وأنشدها وانتظم (٢) كفُّه وهو لا يَشعُرُ من الغضب حتى فرَغ منها .

وقيل لعمروِ بنِ هند : إن به وَضَحاً (٣) . فأمر ان يُجعَلَ بينَه وبينَه سِترٌ . فلما تكلم أُعجِب بمنطِقه . فلَم يزَل عمروٌ يقول : أدنُوه ، أدنُوه ، حتى امر بطرَح السترِ وأقعدَه معَه قريبا منه لإعجابه به .

كان ابو عمروٍ الشيبانيُّ يُعجَب لارتجال الحارث هذه القصيدةَ في موقف واحد ويقول : لو قالها في حَولٍ لم يُلَم . وقد جمع فيها ذِكرَ عِدَّةٍ من ايامِ العرب عَيَّر ببعضها بني تَغلِبَ تصريحاً وعرَّض ببعضها لعمروِ بنِ هندٍ .

فلما فرغ الحارثُ من هذه القصيدةِ حَكَم عَمرو بنُ هندٍ أنه لا يَلزمُ بكرَ بنَ وائلٍ ما حدث على رهائنِ تَغلِبَ . فتفرَّقوا .

---

(١) الريح السموم : الشديدة الحر . (٢) اي جرح كفة بحكها على الوتر . (٣) نوع من برص .

مختارات من معلقته :

آذنتنا ببينها أسماءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ (١)
بعدَ عهدٍ لنا ببُرقةَ شمَّا ... ءَ فأدنى ديارِها الخَلصاءُ (٢)
لأرى مَنْ عَهِدتُ فيها فابكي الـ ... يومَ دَلهاً ، وما يُحيرُ البُكاءُ (٣)
وأتانا من الحوادثِ والأنـ ... ـباءِ خطبٌ نُعنى به ونُساءُ
أن اخواننا الأراقمَ يَغلو ... نَ علينا ، في قيلِهم إحفاءُ (٤)
يَخلطون البريءَ منا بذي الـ ... ـذنبِ ، ولا يَنفعُ الخليَّ الخَلاءُ
أجمعوا أمرَهم عِشاءً فلما ... أصبحوا اصبحت لهم ضوضاءُ
من مُنادٍ ومن مُجيبٍ ومن تصـ ... ـهالِ خيلٍ ، خِلالَ ذاك رُغاءُ (٥)
هل علِمتم ايامَ يُنتَهَبُ النا ... سُ غِواراً لكلِّ حيٍّ عُواءُ (٦)
لا يُقيمُ العزيزُ بالبلدِ السهـ ... ـلِ ولا يَنفعُ الذليلَ النَّجاءُ
ايها الناطقُ المبلِّغُ عنا ... عند عمروٍ ، وهل لذاك انتهاءُ
مَن لنا عندَه من الخيرآيا ... تٌ ثلاثٌ في كلهنَّ القَضاءُ
فاتركوا الطَّيخَ والتعاشي وإما ... تتعاشَوا ففي التعاشي الداءُ (٧)
واعلموا أننا وإياكم في ... ما اشترطنا يومَ احتلفنا سَواءُ (٨)

---

(١) آذنتنا : اعلمتنا . بينها : بعدها وفراقها . الثاوي : المقيم . يقول : رب مقيم تمل اقامته ، ولم تكن اسماء منهم ، فانه ، وان طالت إقامتها ، لا يملها . (٢) العهد : اللقاء . يقول : عزمت على فراقنا بعد ان لقيتها ببرقة شماء . (٣) أحار يحير : رد وأرجع . الدَّلَه والدَّلَه : ذهاب العقل . يقول : ابكي على فراقها وقد ذهب عقلي . وهل يرد البكاء ما فقدته . (٤) الاراقم : بطون من تغلب . غلا يغلو : جاوز الحد . الإحفاء : الإلحاح . (٥) التصهال والصهيل : صوت الخيل . والرغاء صوت الإبل . (٦) انتهب الناس : أغار عليهم . غوار : مغاورة وهجوم . العواء : صوت الذئب : وهو مستعار للضجيج . (٧) الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي اي تكلف العشى والعمى . (٨) احتلفنا : عقدنا حلفاً .

عمرو بن كلثوم

هو عمرو بن كُلثوم بن مالك ابن تَغلِبَ بن وائل. امه ليلى بنتُ مهلهل اخي كليب. ساد قَومَه وهو ابنُ خَمسةَ عشرَ ومات وله مئةٌ وخمسون سنةً.

ذاتَ يوم قال عمرُو بنُ هند الملكُ لنُدَماته: هل تعلَمون احدا من العرب تَأنَفُ امُّه من خدمة امي؟ فقالوا: نعم، امُّ عَمرو بن كُلثوم. قال: ولِمَ؟ قالوا: لان اباها مهلهلٌ بنُ ربيعةَ، وعمَّها كليبُ وائل أعزُّ العرب، وبَعلَها كُلثومُ بنُ مالك أفرسُ العرب، وابنَها عمروٌ وهو سيدُ قومه. فارسل عمرُو بنُ هند الى عمرو بن كُلثوم يَستزيرُهُ ويسألُه أن يُزيرَ أمَّهُ أمَّه. فأقبل عمروٌ من الجزيرة الى الحيرة في جماعة بني تَغلبَ، واقبلت ليلى بنتُ مهلهل في ظَعن من بني تغلبَ. وأمر عمروُ بنُ هند برواقه فضُرِبَ فيما بينَ الحيرة والفُرات. وارسل الى وجُوه اهل مملكته فحضَروا في وجوه بني تَغلِبَ. فدخل عمروُ بنُ كُلثوم على عمرو بن هند في رواقه ودخلت ليلى وهندٌ في قُبَّة من جانب الرواق. وكانت هندٌ عمَّةَ امريء القيس بن حُجر الشاعر وكانت امُّ ليلى بنتَ خالِ امرؤ القيس. وقد كان عمروُ بنُ هند أمرَ امَّه ان تُنَحِّي الخدمَ اذا دعا بالطُرَف[1] وتستخدمَ ليلى. فدعا عمروٌ بمائدة ثم دعا بالطُرَف. فقالت هندٌ: ناوليني يا ليلى ذلك الطَبَقَ. فقالت ليلى: لِتَقُم صاحبةُ الحاجة الى حاجتها. فأعادت عليها وألَحَّت. فصاحت ليلى: واذُلاه! يا لَتغلب! فسمِعَها عمروُ بنُ كُلثوم فثار الدَمُ في وجهه، ونظر اليه عمروُ بنُ هند فعرف الشرَّ في وجهه، فوثب عمرو بنُ كُلثوم الى سيف لعمرو بن هند معلَّق بالرواق ليس هناك سيفٌ غيرُه. فضرب به رأس عمرو بن هند. ونادى في بني تغلبَ، فانتهبوا ما في الرواق وساقوا نجائبَه وساروا نحوَ الجزيرة. ففي ذلك يقول عمروُ بنُ كلثوم معلقته:

الا هُبِّي بصحنـــــك فاصبَحينـــــا ولا تُبقـــــي خُمورَ الأندَرينـــــا

وكان قام بها خطيباً بسوق عُكاظَ وقام بها في مَوسِم مكةَ. وبنو تغلبَ تُعَظِّمُها جداً ويَرويها صِغارُهم وكِبارهُم، حتى هُجُوا بذلك.

قال الفرزدق يرد على جرير في هجائه الاخطل:

مـــــا ضرَّ تغلبَ وائل أهجَوتَها ام بُلتَ حيثُ تناطـــحَ البحـــران

قومٌ هـــمُ قتلوا ابــــنَ هند عَنــوةً عَمراً وهم قَسَطـــوا[2] على النُعمان

---

(١) الطرف: هنا بمعنى الاواني الثمينة. (٢) قسط قسوطاً جارَ. أقسط وقسط قسطاً: عدل.

وكان لعمروِ بنِ كُلثومٍ اخٌ يقال له مُرَّةُ بنُ كلثوم، فقتل المنذرَ بنَ النعمانِ وأخاه. واياه عفى الاخطلُ بقوله :

أَبَنِي كليـــبٍ إن عمَّـــيَّ اللذا (١) قتلا الملـــوكَ وفكَّكـــا الأغلالا

لما حضرت عَمروَ بنَ كُلثوم الوفاةُ وقد اتت عليه خمسون ومئةُ سنةٍ جمع بنيه فقال : يا بَنِيَّ ، قد بلغتُ من العمرِ ما لم يبلغه احدٌ من آبائي ولا بُدَّ ان يَنزلِ بي ما نَزَلَ بهم من الموت . واني ، والله ، ما عَيَّرتُ احداً بشيء الا عُيِّرتُ بمثله: ان كان حقّاً فحقّاً، وان كان باطلا فباطلا ومَن سَبَّ سُبَّ ، فكُفُّوا عن الشتم ، فانه أسلمُ لكم . وأحسِنوا جِوارَكم يَحسُن ثَناؤكم . وامنعوا من ضيمِ الغريبِ فرُبَّ رجلٍ خيرٌ من الف ، ورَدٌّ خيرٌ من خُلف . وإذا حُدِّثتم فعُوا ، وإذا حَدَّثتم فأوجزوا . فإن مع الإكثار تكون الأهذار(٢) ، وأشجعُ القوم العَطوفُ بعدَ الكَرِّ . كما أن اكرمَ المنايا القتلُ . ولا خير فيمن لا رَويَّةَ له عند الغضب . ولا مَن اذا عُوتب لم يُعتِب(٣) ومِن الناس مَن لا يُرجى خيرُه ولا يُخافُ شرُّه . فبَكْؤُه(٤) خيرٌ من دَرِّه . وعُقوقه خيرٌ من بِرِّه . ولا تتزوجوا في حَيِّكم فانه يؤدي إلى قبيح البغض .

مختارات من معلقته :

ألا هُبِّي بصَحنك فاصبَحينـــا ولا تُبقي خمورَ الأندَرينـــا (٥)

مشعشعةً كأن الحُصَّ فيهـــا اذا ما الماءُ خالطها سَخينـــا (٦)

وكأسٍ قد شربتُ ببعلبـــكٍ وأخرى في دِمشقَ وقاصرينـــا (٧)

قِفي قبلَ التفرقِ يا ظعينـــا نُخبِّرْكِ اليقينَ وتُخبرينـــا (٨)

ابا هندٍ فلا تعجَـــل علينـــا وأنظِرنا نُخبِّركَ اليقينـــا (٩)

بأنَّا نُوردُ الرايـــاتِ بيضًـــا ونُصدِرُهن حُمرا قد رَوينـــا (١٠)

متى نَنقُل الى قـــومٍ رَحانـــا يكونوا في اللقاءِ لها طَحينـــا

نُطاعِنُ ما تراخى النـــاسُ عنـــا ونَضرِب بالسيوف اذا غُشينا (١١)

(١) اي اللذان : حذف النون تخفيفاً . (٢) جمع هذر : سقط الكلام . (٣) أعتبه: ترك ما كان لاجله يغضب عليه . (٤) انقطاع الحليب : يريد : منعه خير من عطائه . (٥) هبي: استيقظي من نومك. الصحن القدح الكبير. صَبَح وصَبَّحه: شرب الصبوح وسقاه . الاندرينا : قرى بالشام . (٦) شعشعتَ الشراب : مزجته بالماء . الحص : نبت يشبه الزعفران . سخيناً : لها معنيان : السخين الحار . وسَخِينا من سَخِيَ : اي جُدنا بالعطاء. (٧) بلدان. (٨) ياظعينا: مرخم ياظعينة : المرأة في الهودج (٩) ابا هند اي عمرو بن هند ملك الحيرة. انظرنا : امهلنا . (١٠) نورد الرايات: نسوقها الى الحرب . ونصدرهن : نرجعها وقد رويت من دم الابطال . (١١) تراخى : تباعد: غشينا: اتينا . يريد: نطعن بالرماح كلما ابتعدوا ، ونضرب بالسيوف كلما اقتربوا .

وَرِثنا المجدَ قد عَلِمت مَعَــــدٌّ ... نُطاعن دونَه حتى يَبينــــا
الا لا يَجهَلَنْ احدٌ علينــــا ... فنَجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينــــا
بأيِّ مشيئةٍ عَمرُو بنَ هنــــدٍ ... تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزدرينــــا
تُهددُنــــا وتُوعدنا ، رُويــــدًا ... متى كنا لأمِّكَ مُقتوينــــا (١)
فان قَنَاتَنا يا عمرو أعيَــــت ... على الأعداء قبلَك أن تَلينــــا
متى نَعقُد قرينتَنــــا بحبــــلٍ ... تَجُذّ الحبلَ او تَقِصِ القرينــــا (٢)
وقد عَلِم القبائلُ من معــــدٍ ... اذا قُبَبٌ بأبطحِها بُنينــــا
بأنا المانعــــون لِما أردنــــا ... وأنا النازلون بحيثُ شِينــــا
وأنا العاصمــــون اذا أُطِعنــــا ... وأنا العازمون اذا عُصينــــا (٣)
ونشرَبُ إن وَرَدنــــا الماءَ صَفــــوًا ... ويشرب غيرُنا كَدِرًا وطينــــا
ملأنا البرَّ حتى ضاق عَنــــا ... وماءُ البحرِ نَملَــــؤه سفينــــا
اذا بلغ الفِطــــامَ لنا صَبِــــيٌّ ... تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينــــا

عُفَيرة بنت عَبَّاد

كان عِمليقٌ ملكُ طَسْمٍ وجَديسٍ ابنَي لاوَذَ بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ – وكانت منازلهم في اليمامة – قد تمادى في الظُلم والغَشْمِ والسِّيرة بغير الحق . وكانت امرأةٌ من جَديسٍ ، يُقال لها هزَيلةُ ، وكان لها زوجٌ ، يقال له قَرقَسُ ، طلَّقها واراد اخذَ ولدها منها ، فخاصمته الى عمليق ، فقالت : يا ايُها الملكُ ، اني حملتُه تِسعا ، ووضعتُه دَفعا وأرضعته شِفعا ، حتى اذا تمَّت أوصاله ، ودنا فِصاله ، اراد ان يأخذَه مني كَرها ، ويتركَني من بعده وَلِهى . فقال لزوجها : ما حُجَّتُك ؟ قال : حُجَتي ايها الملك أني قد اعطيتُها المَهر كاملا ، ولم أُصب منها طائلا ، الا وليداً خامِلا ، فافعل ما كنتَ فاعلا . فأمر بالغلام ان يُنزَع منهما جميعا ويُجعَلَ في غِلمانه . وقال لهزَيلةَ :

(١) المقتوي : خدم الملوك . (٢) متى نقرن ناقتنا باخرى لقطعت الحبل او تكسر عنق القرين . وقص يقص : كسر .
(٣) نعصم اي نحمي الناس اذا اطاعونا ، ونعزم عليهم بالعدوان اذا عصونا .

ابغيه ولدا ، ولا تَنكحي احدا ، واجزيه صَفَدًا (١) . فقالت : اما النِّكاحُ فإنما يكون بالمَهر واما السِّفاحُ فإنما يكون بالقَهر ، ومالي فيهما من أمر.

فأمر عِمليقٌ بان تُباعَ هي وزوجُها ، فيُعطى زوجُها خُمسَ ثمنِها وتُعطى هي عُشرَ ثمنِ زوجها . فقالت :

اتينا اخا طَسمٍ ليَحكُـــمَ بيننـــا ... فأنفذ حُكما في هُزَيلةَ ظالمـــا

لعمري لقد حُكِّمتَ لا مُتَوَرِّعـــاً ... ولا كُنتَ في ما تُبرِمُ الحُكمَ عالما

فلما سمع عِمليقٌ قولَها امر ألا تُزَوَّجَ بِكرٌ من جَديسٍ وتُهدى الى زوجها حتى يَفترِعها هو قبلَ زوجها . فلَقُوا من ذلك بَلاءً وذُلا . فلم يزل يفعلُ هذا حتى زُوِّجت الشَّمُوسُ وهي عُفَيرَةُ بنتُ عَبَّادٍ . فلما ارادوا حَملها الى زوجها انطلقوا بها الى عِمليقٍ لينالَها قبلَه . فلما ان دخلت عليه افترعها وخَلَّى سبيلها . فخرجت الى قومها في دمائها شاقّةً دِرعَها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ وهي في أقبحِ منظرٍ ، وهي تقول :

أيَجمُلُ ما يُؤتى الى فتَياتِكـــم ... وانتم رِجالٌ فيكمُ عَدَدُ النمـــلِ

وتُصبح تَمشي في الدماءِ عُفَيـــرةٌ ... جِهارا وزُفَّت في النِساء الى بَعـــلِ

ولو أننا كُنا رِجـــالا وكنتـــمُ ... نِساءً لكنا لا نُقِرُّ بذا الفِعـــلِ

فموتوا كِراما او أميتـــوا عدوَّكـــم ... ودِبّوا لنارِ الحرب بالحَطَبِ الجَزلِ

وإلا فخَلُّوا بطنَها (٢) وتحمَّلـــوا ... الى بلدٍ قَفرٍ وموتوا من الهَزلِ

ولَلبيَنُ خيرٌ من مُقامٍ عـــلى أذًى ... ولَلموتُ خيرٌ من مُقامٍ على الذُلِّ

وإن انتمُ لم تَغضَبـــوا بعدَ هـــذهِ ... فكونوا نِساءً لا تُعابُ من الكُحـــلِ

ودونَكمُ طِيبُ العـــروسِ فانمـــا ... خُلِقتم لأثوابِ العَروسِ وللغِســـلِ

فبُعدًا وسَحقاً للذي ليس دافعـــا ... ويَختالُ يَمشي بيننا مِشيةَ الفَحلِ

فلما سمع الاسودُ اخوها ذلك وكان سيدا مُطاعا قال لقومه : يا مَعشرَ جَديسٍ ، ان هؤلاءِ القومَ ليسوا بأعزَّ منكم في داركم الا بمـا كان من مُلكِ صاحبهم علينا وعليهم . ولولا عجزُنا وادِّهانُنا (٣) ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَفُ (٤) . فأطيعوني فيما آمُرُكم به فإنه عزُّ الدهرِ وذَهابُ ذُلِّ العُمر ، واقبلوا رأيي ، فقالوا : نُطيعُك . قال : اني اصنع للمَلِك طَعاما ثُم أدعوهم له جميعا . فاذا جاؤوا يَرفُلون في الحُلَل ثُرنا الى سُيوفنا وهم غارُّون (٥)

(١) الصفد: العطاء. (٢) اي بطن الارض. (٣) الادهان: المداهنة والمصانعة. (٤) الانصاف. (٥) غافلون .

فأهمد ناهم بها . قالوا : نَفعلُ . فصنع طَعاما كثيرا وخرج به الى ظهر بلدهم ودعا عِمليقا وسأله ان يَتغدّى عنده هو واهلُ بيته . فأجابه الى ذلك . وخرج اليه مع اهله يَرفُلون في الحلِي والحُلَل . حتى اذا اخذوا مجالِسَهم ومدُّوا ايديَهم الى الطعام اخذوا سيوفهم من تحتِ اقدامِهم ، فشدَّ الاسودُ على عِمليقٍ فقتله . وكلُّ رجلٍ منهم على جليسه حتى اماتوهم. فلما فرغوا من الاشراف شدُّوا على السِفْلَةِ فلم يَدَعوا منهم احدا .

ابن مهجع العذري

قال حماد الراوية : اتيت مكةَ فجلست في حَلقة فيها عُمَرُ بنُ ابي ربيعة ، فتذاكروا العُذريين ، فقال عُمرُ بنُ ابي ربيعة: كان لي صديق من عُذرةَ يقال له الجَعدُ بن مِهجَعٍ وكان يَلقى مثلَ الذي ألقى من الصَبابة بالنساء والوجدِ بهن، على أنه كان لا عاهرَ الخَلوةِ ولا سريعَ السَلوةِ . وكان يُوافي المَوسِمِ في كل سنةٍ ، فاذا راث (أبطأ) عن وقته تَرَجَّمتُ[1] عنه الاخبارَ وتوكَّفتُ[2] له الاسفارَ حتى يَقدَمَ . فغمَّني ، ذاتَ سنةٍ ، إبطاؤه حتى قَدم حُجَّاجُ عُذرةَ فأتيت القومَ أنشُد صاحبي . واذا غُلام قد تنفس الصُعَداءَ ثم قال : أعَن أبي المُسهِرِ تَسأل ؟ قلت : عنه أسأل ، واياهُ اردت . قال : هيهاتَ هيهاتَ ؟ اصبح ، والله ، ابو المسهرِ لا مُؤيِسا فيُهمَلُ ولا مَرجُوًّا فيُعَلَّلُ . اصبح كما قال الشاعر :

لَعَمرُكَ ما حُبي لأسمـــاءَ تاركـــي أعيشُ ولا أقضي به فأمـــوتُ

قلت : وما الذي به ؟ قال : مثلُ الذي بك من تَهوُّرِكَما بالضلال ، وجَرِّكُما اذيالَ الخُسار ، فكأنما لم تَسمَعا بجنَّة ولا نارٍ. قلت : مَن انت منه يا ابنَ اخي ؟ قال : اخوه . قلت : اما ، والله ، يا ابنَ اخي، ما يَمنعُك ان تَسلُكَ مَسلَكَ اخيك من الأدبِ؟ ثم صرفتُ وجهَ ناقتي ثم انطلقت، حتى وقفتُ موقِفي من عَرَفاتٍ . فبينا انا كذلك اذا انا بانسان قد تَغيَّر لونُه وساءت هيئتُه ،

(١) تظننت . من الرجم . (٢) توقعت وانتظرت . والاسفار : جماعة المسافرين كما يقال : قوم أسفار ، وسفار وسفر وسفارة .

فادنى ناقته من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقني وبكى حتى اشتد بُكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرحُ العَذلِ وطولُ المَطْلِ ثم أنشأ يقول :

لئن كانت عُديّةُ ذاتَ لُبٍّ   لقد علمت بأن الحُبَّ داءُ
ولو أني تكلّفتُ الذي بي   لَقَفَّ(١) الكَلْمُ وانكشف الغطاءُ
فذاك العبدُ يبكيه الرشاءُ(٣)   اذا العُذريُّ مات خليَّ ذرعٍ(٢)

فقلت : يا ابا مُسهرٍ إنها ساعةٌ تُضرَبُ اليها أكبادُ الإبلِ من شرقِ الارض وغربها(٤) . فلو دعوتَ اللهَ كنت قَمِناً(٥) ان تَظفرَ بحاجتك . فتركني واقبلَ على الدُعاء . فلما نَزَلَت الشمسُ للغروب سمعتُه يتكلم بشيء فأصغيتُ اليه فاذا هو يقول :

يا ربَّ كلِّ غُدوةٍ ورَوحَه   انتَ حسيبُ الخَلقِ يومَ الدَوحَه

فقلت له : وما يومُ الدوحه ؟ قال : واللهِ لأخبرنّك ولو لم تسألني . فأقبل علي وقال :

اني رجل ذو مالٍ كثير من نَعَمٍ وشاءٍ ، فانتجعتُ أخوالي فأوسعوا لي وكنت فيهم في خيرِ أخوالٍ . ثم اني عزمت على موافقة ابلي بماءٍ يقال له الحَوذانُ ، فركبتُ فرسي وسَمَطتُ(٦) خلفي شَرابا ثم مضيت ، حتى اذا كنت بين الحي ومرعى النَعَمِ رُفِعَت(٧) لي دوحةٌ عظيمة . فنزَلت عن فرسي وشددتُه بغُصنٍ وجلست في ظلّها . فبينا انا كذلك اذ سطع غُبارٌ من ناحية الحي ورُفِعت لي شُخوصٌ ثلاثةٌ ، ثم تَبيّنتُ فاذا فارسٌ يَطرُدُ مِسحلاً(٨) وأتانا . فتأملتُه فاذا عليه دِرعٌ اصفرُ وعِمامةُ خزٍّ سوداءُ . واذا فُروعُ شَعره تَضرِبُ خَصريه . فقُلت : غُلامٌ حديثُ عهدٍ بعِرسٍ أعجلَته لذةُ الصيد فترك ثوبَه ولبِس ثوبَ امرأتِه . فما جاز علي إلا يسيرا حتى طَعَنَ المِسحَلَ وثَنّى طعنةً للاتان فصرعَهما . وأقبل راجعا نحوي وهو يقول :

نَطعَنُهم سُلكى ومَخلوجةً   كَرَّكَ لأمَينِ على نابِلِ(٩)

فقلت : إنكَ تَعِبتَ وأتعَبتَ ، فلو نزَلتَ . فثَنّى رِجلَه فنزل فشدَّ فرسَه بغُصنٍ من الدوحة وألقى رُمحه واقبل حتى جلس فجعل يُحدّثُني حديثا ذكرتُ به قولَ ابي ذُؤيب :

وإنَّ حديثا منكِ لو تَبذُلينه   جَنى النحل في ألبانِ عُوذٍ مَطافِلِ(١٠)

---

(١) قف : يبس اي التأم . الكلم : الجرح . يقول : لو حاولت الذي بي وتكلفته لبرئت مما بي . (٢) خلي الهم . (٣) الحبل . (٤) اي ساعة الحج . (٥) قمن : جدير وخليق . (٦) علقت . (٧) رفع لي الشيء : ابصرته من بعيد . (٨) حمار وحشي ، واتناه . (٩) الشعر لامرىء القيس. سلكى : الطعنة تلقاء الوجه. مخلوجة: المعوجة عن يمين او شمال . لأم : نبلة . نابل : يرمي النبل . يقول : نطعن بسرعة كانك تعطي نبلتين النابل . (١٠) عوذ: جمع عائذ : الناقة الحديثة النتاج وهي مطفل اي لها طفل .

فقمتُ الى فرسي فأصلحتُ من امره ثم رجعت . وقد حَسَرَ العمامةَ عن رأسه ، فاذا غلام كأن وجهَه الدينارُ المنقوشُ . فقلت : سُبحانَك اللهم ! ما أعظمَ قُدرتَك وأحسنَ صَنعتَك . فقال : مِمَّ ذاك ؟ قلت : مما راعني من جمالِكَ وبَهرَني من نُورِكَ . قال وما الذي يَروعُك من حبيسِ التُرابِ ، وأكيلِ الدَّوابِّ ، ثم لا يَدري أينعَمُ بعدَ ذلك أم يَبأسُ[1] . قلت : لا يَصنعُ اللهُ بكَ الا خيرا . ثم تحدثنا ، فأقبل علي وقال : ما هذا الذي ارى قد سَمَطتَ في سَرجِك ؟ قلت : شَرابٌ أهداه الي بعضُ اهلكَ . فهل لك فيه من أرَب ؟ قال : انت وذاك . فأتيتُه به . فشَرِبَ منه وجعل يَنكُتُ احيانا بالسَوطِ على ثناياه . فجعل واللهِ يتبيَّنُ لي ظِلُّ السَوطِ فيهن . قلت : مهلا فاني خائف ان تَكسِرَهن . فقال : ولِمَ ؟ قلت : لانهن رِقاقٌ وهن عِذابٌ . ثم رفع عقيرتَه يتغنى :

اذا قَبَّلَ الإنسانُ آخرَ يَشتهي ثناياه لم يَأثَمْ وكان له أجرا
فإن زادَ زادَ اللهُ في حَسَناتِه مَثاقيلَ يَمحو اللهُ عنه بها الوزرا

ثم قام الى فَرسه فأصلحَ من امرِه ثم رجَع . فبرقَتْ لي بارِقةٌ تحت الدرعِ[2] فاذا ثَديٌ كانه حُقٌّ عاجٍ . فقلت : نشدتُك اللهَ ، امرأةٌ ؟ قالت : إي واللهِ ، إلا أني أكرَه العشيرَ وأُحبُّ الغَزَلَ . ثم جلسَت فجعلَت تشرَبُ معي ما أفقدُ من أُنسها شيئا حتى نظرتُ الى عينيها كأنهما عينا مَهاة مذعورة . فوالله ما راعني إلا مَيلُها على الدَوحة سَكرى . فزُيِّنَ لي ، والله ، الغَدرُ وحَسُنَ في عَيني . ثم إن اللهَ عصمني منه . فجلستُ حَجرةً[3] منها . فما لَبِثَت الا يسيرا حتى انتبهَت فَزِعةً فلاثت[4] عمامتها برأسها وجالت في متنِ فرسها وقالت : جزاكَ اللهُ عن الصُحبةِ خيرا . قلت : أوما تُزوِّدينَني منكِ زادًا ؟ فناولتني يدَها . فقبَّلتُها . فشممتُ والله منها ريحَ المِسكِ المَفتوتِ . فقلت : واينَ الموعِدُ ؟ قالت : إن لي أخوةً شُرسا وأبا غَيورا . ووالله لأن اسُرَّكَ احبُّ اليَّ من أن أضُرَّك . ثم انصرفَت . فجعلتُ أُتبِعُها بصري حتى غابت . فهي ، والله ، يا ابنَ ابي ربيعةَ ، أحلَّتني هذا المَحلَّ . ثم بكى واشتد بُكاؤه . فقلت : لا تَبكِ . فلو لم ابلُغ حاجتَك بمالي لسعَيتُ في ذلك حتى أقدِرَ عليه.

ولما انقضى المَوسِمُ شَدَدتُ على ناقتي وشَدَّ على ناقته ودعَوتُ غُلامي فشد على بعير له ، وحمَلتُ عليه قُبَّةً حمراءَ من أدَمٍ وحملت معي الفَ دينارٍ ومِطرَفَ خزٍ وانطلقنا حتى أتَينا بِلادَ كَلبٍ . فنشَدنا عن ابي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، واذا هو سيدُ الحيِ ، واذا الناسُ حولَه . فوقفتُ على القوم فسلَّمتُ . فردَّ الشيخُ السَلامَ . ثم قال : مَنِ الرجلُ ؟ قلت : عمرُ بنُ ابي ربيعة . فقال : المعروفُ غيرُ المُنكَرِ ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطبا . قال : الكُفءُ والرَغبةُ . قلت : إني لم آتِ ذلك لنفسي من غيرِ زَهادةٍ فيك ولا جَهالةٍ بشرفك، ولكني اتيت في حاجةِ

(١) يأس : يحس بالبؤس . (٢) القميص . (٣) ناحية . (٤) لاث يلوث العمامة : لفها وعصبها .

ابن أُختكم العُذري، وها هو ذاك. فقال: والله انه لكَفِيءُ الحسبِ رفيعُ البيت. غير ان بناتي لم يَقَعن الا في هذا الحي من قريشٍ. فوجمت لذلك، وعرف التغيُّرَ في وجهي، فقال: أما إني صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك. قلتَ: وما ذاك؟ فمثلي مَن شكر. قال: أُخبِرُها، فهي وما اختارت. فأرسَلَ اليها: إن من الامر كذا وكذا. فأرسلت اليه: ما كنتُ لأستبِدَّ برأيٍ دونَ القُرَشيِّ، فالخيارُ في قولِه. حَكِّمهُ. فقال لي: انها قد ولَّتك امرَها، فاقضِ ما انت قاضٍ. فحَمدتُ اللهَ واثنيتُ عليه وقلت: إشهَدوا أني قد زوجتُها من الجَعدِ بنِ مِهجَعٍ وأصدقتُها هذا الألفَ الدينارَ، وجعلت تَكرِمَتَها العبدَ والبعيرَ والقُبَّةَ، وكسَوتُ الشيخَ المِطرَفَ، وسألتُه ان يَبنِيَ بها عليه في ليلته. فأرسَلَ الى امِّها: هَجِّري[1] في جِهازها. فما بَرِحتُ حتى ضُرِبَت القُبَّةُ في وَسْطِ الحريم. ثم أُهدِيت اليه ليلا. وبِتُّ انا عندَ الشيخ. فلما اصبحتُ اتيت القبةَ فصِحتُ بصاحبي، فخرج الي وقد أثَّرَ السرورُ فيه. فقلت: كيف هي بعدَك؟ قال: أبدَت لي كثيرا مما كانت أخفَته عني يومَ لَقِيتُها. فقلت: أقِم على اهلِك، بارك الله لك فيهم. وانطلقت.

ليلى الاخيلية

هي من النِساء المتقدمات في الشعر من شعراء الاسلام. وكان تَوبةُ بنُ الحُمَيِّرِ يتعشَّقُ ليلى ويقول فيها الشعر. فخطبها الى ابيها فأبى ان يزوِّجَه اياها وزَوَّجَها في بَني الأَدلَعِ.

وكان توبةُ اذا اتى ليلى خرجت اليه في بُرقُعٍ. فلما شُهِر امرُه شكَوه الى السُلطانِ فأباحَهم دمَه إن اتاهم. فمكثُوا له في المَوضِعِ الذي كان يَلقاها فيه. فلما عَلِمَت به خرجت سافِرةً حتى جلست في طريقه. فلما رآها سافرةً فَطِنَ لِما ارادت وعَلِم أنه قد رُصِد، فركَضَ فرسَه ونجا. وذلك قولُه:

وكنت اذا ما جِئتُ ليلى تبرقعَت فقد رابَني منها الغَداةَ سُفورُها
عليَّ دِماءُ البُدنِ إن كان زوجُها يَرى ليَ ذنبا غيرَ أني أزورُها
وإني اذا ما زُرتُها قلتُ يا اسلمي فهل كان في قولي آسلَمي ما يَضيرُها

خرج توبةُ الى الشام فمرَّ ببني عُذرةَ فرأته بُثَينةُ فجعلت تَنظُرُ اليه. فشقَّ ذلك على جميلٍ.

---

(١) أسرعي.

فقال له جميل : مَن أنت ؟ قال : انا تَوبةُ بن الحُمَيِّر . قال : هل لك في الصِراع ؟ قال : ذلك اليك . فصارعه فصرّعه جميلٌ . ثم قال : هل لك في النِضال ؟ (١) قال : نعم . فناضلَه ، فنَضَّله جميل . ثم قال له : هل لك في السِباق ؟ فقال : نعم . فسابقه ، فسبقه جميل . فقال له تَوبةُ : يا هذا ، انما تَفعلُ هذا بريحِ هذه الجالسةِ ــ اي بُثَينةَ ــ ولكن اهبِط بنا الواديَ. فصرعه توبةُ ونَضَله وسبَقه .

وقُتِل توبةُ فقالت ليلى تَرثيه :

لَعَمرُك ما بالموت عارٌ على الفتـــى اذا لم تُصبه في الحياةِ المَعايِـــرُ
وما احدٌ حيٌّ وإن عاش سالمــــا بأخلدَ مِمَّن غيَّبته المَقابـــرُ
وكلُّ شبابٍ او جديدٍ الى بِلـــىً وكلُّ امرىءٍ يوما الى الله صائـــرُ
فآليتُ لا أنفكُّ أَبكيكَ ما دعـــت على فَنَنٍ وَرقاءُ او طار طائـــرُ

قال وَرقاءُ العامريُّ : كنت عندَ الحَجَّاجِ بنِ يوسُفَ ، فدخل عليه الآذِنُ فقال : أصلَح اللهُ الامير ، بالباب امرأةٌ تَهدِرُ كما يَهدِرُ البعير النادُّ(٢) . قال : أدخلها . فدخلت امرأةُ طويلةٌ ، دَعجاءُ العينين ، حَسَنةُ المِشيةِ ، الى الفَوَه (٣) ما هي ، حَسَنةُ الثَغرِ ، فسلَّمت فردَّ الحجاجُ عليها ورحَّب بها وقال : دَراكِ (٤) ضَع لها وِسادةً يا غُلامُ ، فجلست فقال : ما اتى بك يا ليلى ؟ قالت : إخلافُ النجوم (٥) وقِلّةُ الغُيوم ، وكَلَبُ البَرد ، وشِدةُ الجَهد ، وكنتَ لنا ، بعدَ الله ، الردَّ (٦) ، وقد اصابتنا سنونَ مُجحِفةٌ مظلمةٌ لم تَدَع لنا فصيلا ، ولم تُبقِ عافِطةً ولا نافِطةً (٧) . فقد أهلكت الرجالَ ومزَّقت العيالَ ، وأفسدت الأموال . ثم انشدته :

نحن الأخايِلُ لا يَزال غُلامُنــــا حتى يَدِبَّ على العصا مَشهـــورا
تَبكي الرِماحُ اذا فَقدن أَكُفَّنـــا جزَعا وتَعرِفُنا الرِفاقُ بُحـــورا

فقال الحجاج لحاجبه : اذهب فاقطَع لسانَها. فدعا لها بالحَجَّام (٨) ليقطَعَ لسانها. فقالت: ويلَك، انما قال لك الاميرُ اقطَع لسانها بالصِلَةِ والعَطاءِ . فارجِع اليه واستأذِنه. فرجَع اليه فاستأمَرَه. فاستشاط عليه وهمَّ بقطعِ لسانه، ثم امر بها فأُدخِلت عليه . فقالت : كادَ ، واللهِ ، يَقطَعُ مِقولي . وانشدته :

حَجَّاجُ انت الذي لا فوقَه أحـــدٌ إلا الخليفةُ والمُستغفَرُ الصَمَـــدُ
حَجَّاجُ انت سِنانُ الحَرب إن نُهِجَت وانت للناس في الداجي لنا تَقِـــدُ

فأمر لها بمئتين . فقالت : زِدني . فقال : اجعلوها ثلاثَمئة . فقال بعضُ جلسائه : انها غَنَمٌ . فقالت : الاميرُ اكرمُ من ذلك واعظمُ قَدرا من أن يَأمُرَ لي إلا بالإبِل . فاستحيا وامر لها بثلاثمئة

(١) المباراة في الرمي . (٢) الشارد . (٣) سعة الفم . (٤) اسم فعل بمعنى أدرك . (٥) تريد قلة المطر . (٦) الكهف والمعقل . (٧) العافطة : الضأن . والنافطة : العنز . (٨) الحجام : من يسيل الدم بالمشرط .

بعير ، وانما كان امر لها بغنم لا إبِلٍ . ثم قال لها أنشدينا ما قُلتِ في تَوبةَ . فانشدته قولَها :

فتىً كان أحيا من فَتَــــاةٍ حَيِيَّـــــةٍ وأشجعَ من ليثٍ بخَفَّانَ[١] خادِرِ[٢]

فنِعمَ الفتى إن كان تَوبةُ فاجـــــرا وفوقَ الفتى إن كان ليسَ بفاجـــــرِ

فقال لها اسماءُ بنُ خارجةَ : ايتُها المرأةُ انك لتَصفِين هذا الرجلَ بشيء ما تعرِفه العربُ فيه . فقالت : ايُها الرجلُ ، هل رأيتَ توبةَ قطُّ ؟ قال : لا . فقالت : اما ، والله ، لو رأيتَه لودِدتَ أنَّ كلَّ عاتِقٍ[٣] في بيتك حامِلٌ منه . فكأنما فُقِيء في وجه اسماءَ حَبُّ الرُمانِ . فقال له الحجاجُ : وما كان لك ولها .

قال موسى بن يعقوب : دخل عبدُ الملك بنُ مروانَ على زوجته عاتكةَ بنتِ يزيدَ فرأى عندها امرأةً بدويةً أنكرها ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ قالت : انا الوالهةُ الحرَّى ليلى الأخيليَّةُ . قال : انت التي تقولين :

أُريقت جِفانُ ابن الخليعِ فأصبحَـــت حِياضُ الندى زالت بهنَّ المراتِبُ[٤]

قالت : انا التي اقول ذلك . قال : فما أبقيتِ لنا ؟ قالت : الذي أبقاه اللهُ لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نسباً قُرَشيًّا ، وعيشاً رَخيًّا ، وإمرَةً مُطاعةً . قال : أفردته بالكرم . قالت : افردتُه بما أفردَه اللهُ به . فقالت عاتكةُ : إنها قد جاءت تَستعين بنا عليك في عينٍ تُسقيها[٥] وتَحميها لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفَّعتُها في شيء من حاجاتها ، لتقديمها أعرابيا جِلفاً على امير المؤمنين . فوثبت ليلى فقامت على رِجلِها واندفعت تقول :

ستَحمِلُني ورَحلي ذاتُ وَخـــــدٍ عليها بنتُ آباءٍ كِـــرامِ[٦]

فليس بعائدٍ ابـــداً اليهـــم ذوو الحاجاتِ في غَلَسِ الظَــلامِ

أعاتِكَ لو رأيتِ غـــداةَ بِنَّـــا عَزاءَ النفسِ عنكم واعتزامـــي

إذاً لَعلِمتِ واستيقنـــتِ أنــــي مُشيَّعَةٌ ولم تَرعَي ذِمامـــي

أأَجعلُ مثلَ توبَةَ في نَـــداه أبا الذِبَّانِ فوهُ الدَهرَ دامـــي[٧]

لِئامُ المُلكِ حين تُعَدُّ كعـــبٌ ذوو الأخطارِ والخُطَطِ الجِســامِ

فقيل لها : ايُّ الكعبين عنَيتِ ؟ قالت : ما أخال كَعبا كَكعبي[٨] .

وأقبلت ليلى من سَفَر فمرت بقبر تَوبةَ ومعها زوجُها وهي في هَودجها فقالت : والله لا أبرَحُ حتى أُسلِّمَ على تَوبةَ . فجعل زوجُها يَمنعُها من ذلك وتأبى إلا أن تُلِمَّ به . فصعدت أَكَمةً

(١) مأسدة قرب الكوفة . (٢) ملازم عرينه . (٣) شابة.. (٤) اي بموت توبة ، والخليع من آبائه ، مات الندى ، وأريقت جفان الضيافة . (٥) اي تجعلها لها سقياً . (٦) ذات وخد : أي سير سريع ، وهي الناقة . (٧) ابا الذبان : كنية عبد الملك ، لشدة بخره وموت الذباب اذا دنت من فيه . (٨) كعب من آباء ليلى وكعب ، الآخر ، من آباء عبد الملك .

عليها قبرُ تَوبةَ فقالت : السلامُ عليكَ يا تَوبةُ . ثم قالت : ما عَرفتُ له كَذبَةً قطُّ قبلَ هذا. أليس القائلَ :

ولو أن ليلى الاخيليَّةَ سلَّمت ... عليَّ ودوني تُربةٌ وصفائحُ
لسلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أو زَقا(١) ... اليها صَدًى من جانبِ القبر صائحُ

فما بالُه لا يُسَلِّم عليَّ كما قال . وكانت الى جانب القبر بومةٌ كامنة ، فلما رأت الهودجَ فَزِعت وطارت في وجه الجمل ، فنفر ورمى ليلى على رأسها فماتت من وقتها . فدُفنت الى جنبه .

عَلُّويـة

هو عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ سَيفٍ ويُكنَّى ابا الحَسَن . وكان مغنّيا حاذقا ومؤدِّبا وصانعا متفننا وضاربا متقدِّما مع خِفَّة روحٍ وطيبِ مُجالسة ومَلاحةِ نوادرَ . وكان ابراهيمُ المَوصِلي علَّمه وخرَّجه وعُني به ، فبرع وغنّى لمحمدِ الامينِ وعاش إلى المتوكل . ومات بعد اسحاقَ الموصليِّ بمُديدَةٍ يسيرة .

قال اسحاق : قلت لابي : ايُّما افضلُ عندك ، مُخارقٌ او عَلُّويَةُ ؟ فقال : يا بُني ، علُّويةُ أَعرَفُهما فَهماً بما يَخرُج من رأسه ، وأعلمُهما بما يُغنّيه ويؤدِّيه ، ولوخُيِّرتُ بينهما مَن يُطارِحُ جواريَّ او شاورني مَن يَتَنصَّحُني لما أشرتُ إلا بعلُّويةَ . ومُخارقٌ بتمكُّنه من حلقه وكثْرة نَغَمه لا يُقنَع بالأخذ منه ، لانه لا يُؤدِّي صوتا واحدا كما أخذَه ولا يغنّيه مرتين غناء واحدا لكثْرة زوائده فيه . ولكنهما اذا اجتمعا عند خليفة او سُوقةٍ غَلَب مخارقٌ على المجلس والجائزةِ لطيب صوته وكثْرة نغمه .

قال الواثق : علُّوية أصحُّ الناس صَنعةً بعدَ اسحاقَ ، واطيبُ الناسِ صوتا بعد مُخارقٍ ، واضربُ الناس بعد زَبرب ومُلاحظ . فهو مُصلِّي(٢) كلِّ سابقٍ قادرٍ . وكان الواثقُ يقولُ : غِناء علُّويةَ مثلُ نَقرِ الطَّستِ ، يَبقَى ساعةً في السمعِ بعدَ سكوته .

قال ابن مخارق : كان علُّويةُ أعسرَ يَضرِب باليُسرى ، وكان عودُه مقلوبَ الأوتار : البَمُّ

(١) صاح . والصدى هنا طائر كالبومة كانت العرب تزعم انه يخرج من رأس القتيل ويصيح : اسقوني ، اسقوني ، حتى يؤخذ بثأره . (٢) المصلي في السبق : الحصان الذي يأتي ثانياً واضعاً انفه على صلا المجلي .

اسفلُ الاوتارِ كلِّها ، ثم المَثلَثُ فوقه ،ثم المَثنى ، ثم الزيرُ . فكان عودُه في يد غيره مقلوبا وفي يده مستويا .

غنى علُّويةُ يوما بين يدي الرشيد :

وأرى الغواني لا يُواصِلـــنَ امرءًا فقَدَ الشبابَ وقد يَصِلنَ الأمردا

فدعاه الرشيد وقال له : يا عاضٌ كذا من امه ، تُغني في مدح المُردِ وذمّ الشّيب وستارتي منصوبةٌ وقد شبتُ ، كأنك إنما عرّضتَ بي. ثم دعا بمسرورٍ فأمره ان يأخُذ بيده فيُخرِجَه فيَضربَه ثلاثين درّةً ولا يَرُدَّه إلى مجلسه . ففعل ذلك ، وجفا علُّويةَ شهرا .

لما وَلي المأمونُ غنّاه علويةُ بشعر الخَلَنجي — ابنِ اختِ علُّويةَ — وكان يُعاديه لمُنازَعةٍ كانت بينهما :

بَرِئتُ من الإسلام ان كــان ذا الــذي أتاكِ به الواشون عنّي كما قــالوا
ولكنهم لـــا رأوكِ غَـــرِيّـــــةً بهجري تواصَوا بالنميمة واحتــالــوا
فقد صِرتِ أذنا للوُشـــاةِ سميعـــةً يَنالــون من عِرضي وإن شِئتِ ما نالوا

فقال المأمون : مَن يقولُ هذا الشعرَ ؟ فقال : قاضي دمشقَ . فأمر المأمونُ بإحضاره ، فأُشخِص . وجلس المأمونُ للشَراب وأحضرَ علُّويةَ ودعا بالقاضي فقال له أنشِدني قولَك :

بَرِئتُ من الإسلام إن كان ذا الذي ...

فقال له ، يا امير المؤمنين هذه ابياتٌ قلتُها منذُ اربعين سنةً وانا صبيٌّ . والذي اكرمَك بالخلافة وورّثَك ميراثَ النبوّةِ ما قلت شعرا منذ اكثرَ من عشرين سنةً الا في زُهدٍ وعتابِ صديقٍ . فقال له : اجلِس . فجلس . فناوله قدحَ نبيذِ التمرِ او الزبيبِ ، فقال : لا ، واللهِ ، يا امير المؤمنينَ ، ما اعرف شيئا منها . فقال له : اما والله لو شربتَ شيئا من هذا ، لضربتُ عُنُقَك . وإنك صادق في قولك كلِّه ، ولكن لا يَتولّى لي القضاءَ رجلٌ بدأ في قوله : « بَرِئتُ من الاسلام » . انصَرِف إلى منزِلك . وامر علُّويةَ فغيَّرَ الكلمة وجعل مكانها : حُرِمتُ مُنايَ منكِ »

قال عُبيد الله بن طاهر : لو اقتصرتُ على رجلٍ واحد لما اخترتُ سوى علُّويةَ ، لانه ان حدّثني ألهاني ، وان غنّاني أشجاني ، وان رجَعتُ إلى رأيه كفاني .

قال ابراهيم الموصلي لعلُّويةَ : صنعتُ صوتا وما سَمِعَه مني احدٌ . وقد احببتُ ان أنفعَك وأرفعَ منك بان ألقيَه وأهبَه لك . واللهِ ، ما فعلتُ هذا باسحاقَ . فانتحِله وادّعِه . فألقى الصوت :

اذا كان لي شيئان يـــا امَّ مـــالــكٍ فان لجاري منهما ما تَخَيَّـــرا

— الشعرُ لحاتم طيْ — قال علوية : فأخذتُه وادّعيتُه وسترتُه طولَ ايام الرشيد وطولَ ايام الامين

حتى قَدِمَ المأمونُ من خُراسانَ وكان يَخرُجُ إلى الشَمَّاسيةِ دائما يتنزهُ . فركبتُ في زَلاّلٍ [١] وجئت أتبعهُ فرأيت حَرَّاقة المأمونِ ، فقلت للملاّح : اطرَح زَلاّلي على الحَرَّاقة . ففعل . واستُؤذِن لي ، فدخلتُ وهو يشرب مع الجَواري – وما كانوا يَحجبُون جواريَهم في ذلك الوقت ما لم يَلِدن– فاذا بين يديه متيّمٌ وبَذلُ من جواريه . فغنّيتُه الصوتَ فاستحسنه جدا وطَرِب عليه وقال : لمن هذا ؟ فقلت : هذا صوتٌ صنعتهُ واهديتهُ لك ولم يسمَعه احدٌ قبلَك . فازداد به طربا وقال لإحداهما : خُذيه منه . فألقيتُه عليها حتى اخذته فسُرَّ بذلك وطرب . وقال لي : ما اجدُ لك مكافأةً على هذه الهديةِ إلا أن أتحوّلَ عن هذه الحَرَّاقةِ بما فيها وأُسلِّمَه اليك أجمعَ . فتحوّل إلى أخرى ، وسُلِّمَتِ الحرَّاقةُ بخزانتها وجميعِ آلاتها إلي وكلُّ شيءٍ فيها . فبعتُ ذلك بمئةٍ وخمسين الفِ درهمٍ واشتريت بها ضيعتي الصالحيةَ .

قال موسى الهاشمي : كنت واقفا بين يدَي المعتصمِ وهو جالس على حَيرِ الوحشِ – جنينة الحيوانات – والخيلُ تُعرَضِ عليه وهو يشرب وبين يديه علُّويةُ ومخارقٌ يغنّيان . فعرُض عليه فرسٌ أحمرُ ما رأيت مثلَه قط . فتغامز علُّويةٌ ومخارقٌ ، وغنّاه علُّويةُ :

واذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كلَّ جوادٍ وطِمِرْ [٢]

فتغافل عنه ، وغناه مخارقٌ :

يَهَبُ البيضَ كالظباءِ وجُرداً [٣] تحت أجلالها وعيسَ الرِكابِ

فضحك ثم قال : اسكُتا يا ابنَي الزانيتين ، فليس يَملِكُه واحدٌ منكما . ثم غَنّى علُّويةُ :

واذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كلَّ بِغالٍ وحُمُرْ

فضحك وقال : أما هذا فنَعم . وامر لاحدِهما ببغلٍ وللآخرَ بحمارٍ .

عبد الله بن الحشرج

كان سيدا من سادات قَيسٍ واميراً من امرائها . وَلي اكثرَ اعمالِ خُراسانَ وكان جَوادا مُمدَّحا وفيه يقول زيادُ الاعجمَ :

إن السَماحةَ والشَجاعةَ والنَدى في قُبَّةٍ ضُرِبت على ابنِ الحَشرَجِ

(١) الزورق. (٢) الطمر من الخيل: الجواد الطويل القوائم. (٣) الجرد من الخيل: القصيرات الشعر وهو مدح فيها .

اعطى عبدُ الله بنُ الحشرج بخراسان حتى اعطى منشفةً كانت عليه واعطى فراشَه ولحافَه . فقالت له امرأتُه : لَشَدَّ ما تلاعبَ بك الشيطانُ ، وصرتَ من إخوانه مُبذِّراً ، كما قال اللهُ عز وجل : « ان المبذرين كانوا اخوانَ الشياطين » . فقال عبدُ الله لرفاعةَ النهديِّ ، وكان له اخا وصديقا : يا رفاعةُ ، الا تسمعُ إلى ما قالت هذه الورهاءُ (١) وما تتكلّمُ به فقال : صدقتَ وبرّت . إنكَ لَمُبذِّرٌ . فقال عبد الله :

سأجعلُ مالـي دونَ عِرضـي وِقايـةً   من الذمِّ ، انَّ المـالَ يَفنى ويَنفَدُ
ولا شيءَ يَبقـى للفتى غيـرُ جـودِه   بما ملكت كفَّاه والقـومُ شُهَّدُ
حسبُ الفتى مجـداً سماحـةُ كفِّـه   وذو المجدِ محمودُ الفَعـالِ مُحَسَّدُ

فقالت له امرأته : والله ، وما وفّقك اللهُ لحظّك ! أنهبتَ مالَك وبذّرتَه وأعطيتَه هيَّانَ بنَ بيَّان (٢) ، ومَن لا تدري من أيِّ هافية (٣) هو . فغضب فطلّقها ، وكان لها مُحبّاً وبها مُعجَبا . فعنّفَه ابنُ عمٍّ له وقال : نصحتك فكافأتَها بالطلاق . ولقد خاب سعيُك بعدَها عند ذوي الألباب . فقال له : يا بنَ عمٍ ، ان المرأةُ لم تُخلَق للمَشورة ، وانما خُلِقَت وِثاراً (٤) للباءة (٥) والله إن الرُشدَ واليُمنَ لفي خلاف المرأة . يا بن عم ، إياك واستماعَ كلامِ النساء والاخذَ به . فإنك ان أخذتَ به ندمتَ . فقال له ابنُ عمِّه : والله لَيُوشكَنَّ أن تحتاجَ يوما إلى بعض ما اتلفتَ فلا تَقدِر عليه ولا يُخلفُه عليك هَنٌ وهَنٌ (٦) . فقال :

ألامُ عـلى جُودي ومـا خِلتُ أنني   ببذلي وجودي جُرتُ عن منهَجِ القَصدِ
وجـدت الفتى يَفنى وتَبقى فِعـالُه   ولا شيءَ خيرٌ في الحديث منَ الحَمدِ

الطِرِمَّاح

الطِرِمَّاح : الطويلُ القامة . وهو من فُحول الشعراء الاسلاميين وفُصحائِهم . مَنشَؤه بالشام وانتقل إلى الكوفة .

كان الكُمَيتُ بنُ زيدٍ صديقا للطِرِمَّاحِ لا يكادان يفترقان . فقيل للكميت : لا شيءَ اعجبُ

(١) الحمقاء . (٢) من لا يُعرف هو ولا ابوه . (٣) هفت هافية من الناس : طرأت . (٤) الوثار : الفراش الوطيء اللين الوثير . (٥) الباءة : الوِقاع . (٦) اي فلان وفلان .

من صَفاءِ ما بينَك وبينَ الطرماحِ على تَباعُد ما يَجمعُكما من النسب والمَذهب والبَلد . هو شاميٌّ قَحطانيٌّ شاريٌّ ، وانت كوفيٌّ نِزاريٌّ شيعيٌّ . فكيف اتفقتما مع تَبايُنِ المذهب وشدة العصبيةِ ؟ فقال : اتفقنا على بُغض العامّةِ .

وأنشدَ الكميتُ قولَ الطِرمّاح :

اذا قُبِضَت نفسُ الطرماحِ أخلقَت(١)   عُرى المجدِ واسترخى عِنانُ القصائدِ

فقال : إي والله ، وعِنانُ الخَطابةِ والروايةِ والفَصاحة والشَجاعة .

وفد الطرماحُ والكميتُ على مَخلَد بن يَزيدَ المُهلّبيِّ . فجلس لهما ودعاهما . فتقدم الطرماح يُنشد فقال له : أنشِدنا قائما . فقال : كلا ، والله . ما قَدرُ الشعرِ أن أقومَ له فيَحُطَّ مني وأحُطُّ منه بضَراعتي ، وهو عَمودُ الفخرِ وبيتُ الذِكر لمآثرِ العرب . قيلَ له : فتَنَحَّ . ودُعي الكُميتُ . فأنشدَ قائما . فأمر له بخمسين الف درهمٍ . فلما خرج الكميتُ شاطرَها الطِرماحَ وقال له : انت ، أبا ضَبينةَ ، ابعدُ هِمّةً ، وانا ألطَفُ حيلةً .

قال ابو نُواس : اشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطرماح :

اذا قُبِضَت نفسُ الطِرماحِ أخلقَــت   عُرى المجدِ واسترخى عِنانُ القصائدِ

جلس الطرماح في حلقة فيها رجل من بني عبس ، فأنشد العبسيُّ قولَ كُثيِّرٍ في عبد الملك :

فكنــتَ المُعلّى إذ أُجيلَت قِداحُهم   وجال المنيحُ وَسطَها يتقلقــلُ

فقال الطرماح : أما أنه ما اراد به أنه أعلاهم كعبا . ولكنّه مَوَّهَ عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنه السابع من الخلفاء الذين كان كثيّر لايقول بإمامتهم ، لانه أخرج علياً منهم . فاذا أخرجه كان عبدُ الملك السابعَ ، وكذلك المعلّى السابعُ من القِداح فلذلك قال ما قاله . وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال :

وكان الخــلائقُ بعــدَ الــرسو   لِ لله كلُّهــمُ تابعــا
رشيدان من بعــد صِــدّيقهــم   وكان ابنُ حربٍ لهم رابعــا
وكان ابنُــه بعــدَه خامســا   مطيعــا لمــن قبلَــه سامعــا
ومــروانُ سادسُ مَــن قد مضى   وكــان ابنُــه بعــدَه سابعــا

فعجبوا من تنبُّه الطرماح لمعنى قول كُثيِّر ، وقد ذهب على عبد الملك فظنّه مدحاً .

قال ابن شُبرُمَةَ :

كان الطرماح لنا جليساً ففقدناه اياما كثيرة . فقُمنا بأجمعنا للنظر ما دهاه . فلما كنا قريبا من منزله اذا نحن بنعشٍ عليه مِطرفٌ أخضرُ . فقلنا : لمن هذا النعشُ ؟ فقيل : هذا نعشُ الطرماحِ .

---

١) أخلقت : رَثَّت وبليت .

فقلنا : والله ما استجابَ اللهُ له حيثُ يقول :

فيا ربِّ إن حانــت وفاتــي فلا تكن على شَرجَعٍ (١) يُعلى بخُضرِ المَطارفِ
ولكنَّ قبري بطنُ نَسرٍ مَقيلُــه بجوِّ السماءِ في نُسورٍ عواكِــفِ

محمد بن بُسخُنَّر

هو محمدٌ يُكنَّى ابا جعفر ، وكان يغني مرتجِلا . وكان أحسنَ الخلقِ أداءً وأسرعَه أخذاً للغِناء .

غنى اسحاقُ بحضرة الواثق لحنه :

ذكرتُكِ اذ مــرَّت بنا امُّ شــادِنٍ أمامَ المَطايا تَشرَئِبُّ وتَسنَحُ (٢)

— الشعر لذي الرُّمَّة — فأمره الواثقُ ان يُعيدَه على الجواري وأحلفَه بحياته ان يَنصَحَ فيه فقال : لا يستطيعُ الجواري ان يَأخُذنَه مني ، ولكن يَحضُر محمدُ بنُ بُسخُنَّرَ فيأخُذُه مني وتأخذه الجواري منه . فأحضِر وألقاه عليه فأخذه وألقاه على الجواري فأخذنَه .

قال حماد بن اسحاق: قال لي ابنُ بُسخُنَّرَ: اخذَت جاريةٌ للواثق مني صوتا اخذتُه من ابيك وهو :

اصبح الشيــبُ في المَفــارِقِ شاعــا واكتسى الرأسُ من مَشيــبٍ قِناعــا
وتــولَّــى الشبابُ إلا قليــلا ثم يَأبى القليلُ إلا وَداعــا

— الشعر والغناء لاسحاق — فسمعه الواثقُ منها فاستحسنه وقال لعلُّويَةَ ومُخارِق : أتَعرِفانه ؟ فقال مُخارق : أظُنُّه لمحمدِ بنِ بُسخُنَّرَ. فقالَ علُّويَةَ : هيهاتَ ، ليس هذا مما يدخُلَ في صَنعة محمد . هو يُشبِهُ صَنعةَ ذلك الشيطانِ اسحاقَ . فقال له الواثق : ما أبعدتَ . ثم بعث إلي فأخبرَني بالقِصَّة فقلت: صَدَقَ علُّويَةُ يا اميرَ المؤمنين.

ومن صَنعةِ ابن بُسخُنَّرَ هذا الصوتُ في شعر ابن ابي عُيينة :

ضَيَّعتِ عهــدَ فتىً لعهــدِكِ حافظٍ في حِفظه عَجبٌ وفي تَضييعِكِ
ان تَقتُليــه وتَذهــبي بفــؤادِهِ فبحُسنِ وجهِكِ لا بحُسن صنيعِكِ

(١) النعش . (٢) ام شادن : ظبية . تشرئب : ترفع رأسها تنظر . تسنح : تأتي عن شمالك الى يمينك .

معن بن اوس

شاعر مجيد فحل من مُخضرَمي الجاهليةِ والاسلام . وتُنسبُ قبيلتُه إلى مُزَينةَ بنتِ كلبِ بنِ وَبرةَ .

كان معاويةُ يُفضِّل مزينةَ في الشعر ويقول : كان اشعرُ أهلِ الجاهلية منهم ، وهو زهيرٌ . وكان أشعرَ اهلِ الاسلامِ منهم ، وهو ابنُه كعبٌ ومعنُ بنُ أَوسٍ .

كان معنُ بنُ اوسٍ مِئناثا وكان يُحسِنُ صُحبةَ بناتِه وتربيتهن . فوُلِد لبعض عشيرته بنتٌ فكرِهَها وأظهر جزَعا . فقال معنٌ :

رأيتُ رجالا يَكرَهون بناتِهم ... وفيهن — لا تُكذَبْ — نِساءٌ صوالِحُ
وفيهن ، والايام تَعثُرُ بالفتى ... نوادِبُ لا يَملَلْنَه ونوائِحُ

قَدِمَ معنُ بنُ اوسٍ المُزَنِيُّ البصرةَ فقعد يُنشِد في المِربَدِ : فوقف عليه الفرزدقُ فقال : يا معنُ ، من الذي يقول :

لَعمرُك ما مُزينةُ رهطُ مَعنٍ ... بأخفافٍ يَطَأنَ ولا سَنامِ

فقال معن : أتعرفُ يا فرزدقُ الذي يقول :

لَعمرُكَ ما تَميمٌ اهلُ فَلْجٍ [١] ... بأرداف [٢] الملوكِ ولا كِرامِ

فقال الفرزدق : حسبُك . إنما جَرَّبتُك . قال : قد جَرَّبتَ وانت أَعلَمُ . فانصرف وتركه .

ومن جيده شعره :

ورِثنا المجدَ عن آباءِ صِدقٍ ... أسأنا في ديارِهِمِ الصنيعا
اذا الحسبُ الرفيعُ تَواكلَتهُ ... بُناةُ السُوءِ أَوشَكَ أن يَضيعا

---

(١) واد فيه منازل بني تميم . (٢) جمع ردف . جليس الملك عن يمينه يشرب بعده .

مروان الأَصغر

كان مروانُ ، هذا ، آخرَ مَن بقِي من آلِ ابي حَفصةَ يُعَدُّ في الشعراء وكنيتُه ابو السِمط .

كان يتشبَّهُ في شعره بجَدِّه مروانَ الاكبرِ ابنِ ابي حفصة ، ويَمدَح المتوكِّلَ ويتقرَّبُ اليه بهجاء آلِ ابي طالب ، فتمكَّن منه ، وكسب منه مالا كثيرا . فلما أفضت الخلافةُ إلى المُنتصِر تجنَّب مذهبَ ابيه في كل امر ، فطرده ، لِما كان يَسمعُ منه في اميرِ المؤمنين عليٍّ بنِ ابي طالب .

قال مروان : لما دخلت إلى المتوكل مدحتُه ومدحتُ وُلاةَ العهود الثلاثةَ وانشدتُه :

سقى اللهُ نجدا والسلامُ على نجدِ ويا حبَّذا نجدٌ على النأيِ والبُعدِ
نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونَها لعَلّي أرى نجدا وهيهاتَ من نجدِ

فلما فرغتُ منها امر لي بمئةٍ وعشرين الفَ درهمٍ وخمسينَ ثوبا وثلاثةٍ من الظَهرِ : فرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ ، ولم أبرَح حتى قلتُ قصيدتي التي اشكرُه فيها وأقول :

فأمسِك نَدى كَفَّيكَ عني ولا تَزِد فقد كِدتُ أن أطغى وأن أتجبَّرا

قال لي : لا ، واللهِ ، لا أمسِكُ حتى أغرِقَك بجودي . سَلْني حاجتَك . فقلت : يا امير المؤمنين ، ضيعةٌ يقال لها السُيوحُ امر الواثقُ بإقطاعي اياها فمنعنيها ابنُ الزيّات . فأمر بإمضاء الاقطاع لي .

كان علي بن الجهم يَطعَنُ على مروانَ ويَثلُبه حسداً له على موضِعه من المتوكل . فقال له المتوكل يوما : يا علي ، أيُّما اشعرُ انت ام مروان ؟ فقال : انا ، يا امير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعتَ ، فما عندَك ؟ قال : كلُّ احد اشعرُ مني ، يا امير المؤمنين ، وما أَصِفُ نفسي ولا أُزكّيها . واذا رَضِيَني اميرُ المؤمنين ، فما أبالي مَنْ زَيَّفَني . فقال له : قد صدقتُك . علي يَزعمُ سرا وجهرا أنه اشعرُ منك . فالتفت اليه مروان فقال له : أأنت أشعرُ مني ؟ فقال : أتشُكُّ في ذلك ؟ قال : نعم ، أشُكُّ وأشُكُّ ، وهذا امير المؤمنين بيننا . فقال له علي : ان اميرَ المؤمنين يُحابيك . فقال المتوكل : هذا عِيٌّ منك يا علي . ثم قال لابن حَمدونٍ : أُحكُم بينَهما . فقال : طرحتَني ، واللهِ ، يا امير المؤمنين ، بين انيابٍ ومخالبِ أسدَين . قال : واللهِ لَتَحكُمَنَّ بينهما . فقال له : اما اذا حلفتَ ، يا امير المؤمنين ، فأشعرُهما عندي اعرفُهما في الشعر . فقال له المتوكل : قد سمعتَ يا علي . قال : قد عَرَف ميلَك اليه فمال معه . فقال : دَعنا منك ، هذا كلُّه عِيٌّ . فإن كنتَ صادقا فاهجُ مَروانَ .

قال : قد سَكِرتُ ولا فَضلَ فيَّ . فقال المتوكل لمروان : اهجُه انت . وبحياتي لا تُبقِ غايةً . فقال مروان :

ان ابنَ جَهمٍ في المَغيب يَعيبُني ويقول لي ، حَسَنا ، اذا لاقاني
صَغُرت مَهابتُه وعُظِّمَ بطنُه فكأنما في بطنه وَلدانِ
ويحَ ابنِ جَهمٍ ليس يَرحَمُ امَّه لو كان يَرحَمُها لما عاداني
فاذا التقينا «كام» شعري شعرَه ونزا على شَيطانِه شيطاني

فضحِك المتوكلُ والجُلَساءُ منه وانخزل[1] ابنُ جهمٍ ولم يأتِ بشيء . فقال المتوكل : ان كان عندكَ شيءٌ فهاتِه . فلم يأتِ بشيء . فقال لمروان : بحياتي إن حَضَرك شيء فهاتِه ، ولا تُقصِّر في شَتمِك . فقال مروان :

لَعمرُكَ ما الجَهمُ بنُ بَدرٍ بشاعر وهذا عليٌّ بعدَه يدَّعي الشعرا
ولكن ابي قد كان جاراً لأمِه فلما ادعى الأشعار أوهَمَني أمرا

فضحِك المتوكلُ وقال : زِدهُ ، بحياتي . فقال فيه :

يا ابنَ بدرٍ يا عَليَّه قُلتِ إني قُرَشيَّه
قلتِ ما ليس بحقٍ فاسكُتي يا نَبطيَّه
أسكُتي يا بنتَ جَهمٍ أسكتي يا حَلَقيَّه[2]

فأخذ عَبَّادةُ هذه الابياتَ فغناها على الطبل وجاوبه مَن كان يغني ، والمتوكلُ يضحكُ ويضرِب بيديه ورجليه . فغضب علي بن الجهم ولم يُجبه أَنَفَةً منه لانه كان يحتقره ويَستزِكه .

انشدَ مروانُ المتوكلَ ذاتَ يومٍ :

إني نَزَلتُ بساحةِ المتوكِّلِ وَنَزَلتُ في أقصى ديارِ المَوصِلِ

فقال بعضُ مَن حَضَر : فكيفَ الإتصالُ بين هؤلاء والمُراسلةُ ؟ فقال ابو العَنبَسِ الصَّيمَري : كان له حَمامٌ هُدًى[3] يَبعثُ بها اليه من المُوصِلِ حتى يُكاتبه على أجنحتها . فضَحِكَ المتوكل حتى استلقى ، وخَجِل مروانُ وحلف بالطلاقِ لا يُكلمُ العنبسَ ابدا . فماتا متهاجرَين .

قال ابو السمط : دخلت على عبد الله بن طاهر فقال : اني تذكرت في ليلتي هذه ذا اليمينين ، فبِتُّ أرِقاً حزيناً باكياً . فارثِه في مُقامِك هذا بأبياتٍ تجعلُ لي طريقاً الى شِفاءِ علتي ، ولك حُكمك . ففكرت هنيهةً ثم قلت :

(١) انقطع عن الكلام . (٢) داء الحُلاق في الاتان الحلقية : انها لا تشبع من السِفاد . (٣) حمام الزاجل .

إن المكـــارِمَ اذ تـــولىَّ طـــاهرٌ قطـــع الـــزمانُ يمينـها وشمالَها
لـــو كافحَته يـدُ المَنـونِ مُجاهِراً لاقـــت لـــوقع سُيوفه آجـالَهـا
بكت الأعنَّـــةُ والأسنَّـــةُ طاهراً ولَطالما أروى النجيـعَ نِهـالَهـا
مـــا كنتُ لـــو سَلِمت يمينًا طاهـرٍ أدري ولا أسَلُ الحـوادثَ مـا لها

فقال : أحسنت ، والله ، فاحتكم ، فقلت : خمسون الف درهم . فأمر لي بها ، وقال : ربحنا وخسرت . ولو لم تحتكم لزدتُك .

ابراهيم بن سيابة

مولى بني هاشم ، كان خليعاً ماجنا طيِّبَ النادرةِ وكان يُرمَى بالأُبنة (١) وهو من مُقارَبي شعراءِ وقته ، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف .

عشِق ابنُ سَيَّابةَ جاريةً سوداءَ فلامه اهلُه وعاتبوه ، فقال :

يكون الخال في وجهٍ قبيـــحٍ فيَكسُوه الملاحةَ والجَمـــالا
فكيف يُلامُ مفتونٌ عـــلى مَـــن يراها كلَّها في العيـــن خالا .

قال عليُّ بنُ الصبَّاح :

عاتَبنا ابنَ سَيَّابة على مجونه ، فقال : ويلَكم ! لأن ألقى اللهَ ، تبارك وتعالى ، بذُلِّ المَعاصي فيَرحَمَني ، أحبُّ الي من أن القاه اتبختَرُ إدلالا بحَسناتي فيَمقُتَني .

قال : ورأيتُ ابنَ سيَّابة يوما وهو سكرانُ ، وقد حُمِل في طبق يَعبُرون به على الجسر ، فسألهم انسانٌ : ما هذا ؟ فرفع رأسَه من الطبق وقال : هذا بَقيةُ مما ترك آلُ موسى وآلُ هارونَ تَحمِلُه الملائكةُ يا كِشخانُ (٢) .

قال ابن سيابة : اذا كانت في جيرانك جِنازةٌ ، وليس في بيتك دقيقٌ ، فلا تَحضُر الجِنازةَ ، فإن المُصيبةَ عندَك اكبرُ منها عند القوم ، وبيتَك اولى بالمَأتمِ من بيتهم .

جاء ابراهيم بن سيَّابة الى بشار فقال له : ما رأيتُ اعمى قطُّ الا وقد عُوِّض من بصره إما الحِفظَ

(١) الاستيلاط . (٢) الكشخان : الديوث الذي يتاجر بعرضه .

والذكاءَ وإما حُسنَ الصوت . فأيَّ شيءٍ عُوِّضتَ انت ؟ قال : ألاّ أرى ثقيلا مثلك . ثم قال له : من انت ويحك . قال ابراهيمُ بنُ سيَّابةَ . فتضاحك ثم قال : لو نُكِحَ الاسدُ لَذَلَّ وما افترس . وكان ابراهيمُ يرمى بذلك .

يزيد بن مزيد والوليد بن طريف

كان الوليدُ بنُ طريفٍ الشيبانيُّ رأسَ الخوارجِ واشدَّهم بأسا وصَولةً . فكان مَن بالشمّاسيّةِ لا يأمَنُ طُروقَه . فوجَّه اليه الرشيدُ يَزيدَ بنَ مَزيَدٍ الشيبانيَّ ، فجعل يُخاتِلُه ويُماكِرُه . وكانت البرامكةُ منحرفةً عن يَزيدَ بن مَزيدٍ فأغرَوا به اميرَ المؤمنين ، وقالوا : إنما يَتجافى عنه للرَّحِمِ [١] ، وإلا فشوكةُ الوليدِ يسيرةٌ . فوجَّهَ اليه الرشيدُ كتابَ مُغضَبٍ يقول فيه : « لو وَجَّهتُ بأحدِ الخدمِ لقام بأكثرَ مما تقوم به ولكنَّك مُداهِنٌ متعصِّبٌ . واميرُ المؤمنين يُقسِمُ بالله ، لئن أخَّرتَ مُناجَزةَ الوليدِ لَيُوجِّهَنَّ اليك من يَحمِلُ رأسَك . »

فلقيَ الوليدَ عشيةَ خميسٍ في شهر رمضانَ ويُقال : إن يزيدَ جُهِدَ عطشاً حتى رمى بخاتَمِه في فمه فجعل يَلوكُه ويقول : اللهم إنها شدةٌ شديدةٌ فاستُرها . وقال لأصحابه : فِداكم ابي وامي ، إنما هي الخوارجُ ولهم حملةٌ . فاثبُتوا لهم تحتَ التِراس [٢] ، فإذا انقضَت حملتُهم ، فاحمِلوا . فانهم اذا انهزموا لم يَرجِعوا .

فكان كما قال . واتَّبعَ يزيدُ الوليدَ بنَ طريفٍ فلحِقَه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسَه . ولما أخذ رأسَ الوليدِ صَبَّحَتهم اختُه ليلى بنتُ طريفٍ مستعدَّةً ، عليها الدرعُ والجَوشَنُ [٣] . فجعلت تَحمِلُ على الناس فعرُفت . فقال يزيدُ : دَعُوها . ثم خرج اليها فضرب بالرُمح قَطاةَ [٤] فرسِها . ثم قال : اغرُبي ، غَرَّبَ اللهُ عليك ، فقد فضحتِ العشيرةَ . فاستحيَت وانصرفت وهي تقول :

ايا شجرَ الخابورِ [٥] مالَك مورِقـاً ... كأنَّك لم تجزَن على ابنِ طريفِ
فتىً لا يُحِبُّ الزادَ إلا منَ التُقى ... ولا المالَ الا من قناً وسُيوفِ

---

(١) اي انهما من عشيرة واحدة . (٢) جمع تَرس . (٣) زرد يقي الصدر . (٤) عجز الفرس او مقعد الرديف منها . (٥) نهر يصب في الفرات .

فلا تجزعا يا ابنَي طريفٍ فانني | ارى الموتَ نزّالاً بكل شريفِ
فقدناك فقدانَ الربيعِ وليتنا | فديناك من دهمائنا بألوفِ

فلما انصرف يزيدُ بالظفر حُجب برأي البرامكة وأظهرَ الرشيدُ السُخطَ عليه. فقال: وحقِّ اميرِ المؤمنين، لأَصيفَنَّ وأَشتُوَنَّ على فرَسي او أدخُلَ. فارتفع الخبرُ بذلك فأذن له، فدخل. فلما رآه امير المؤمنين ضحك وسُرَّ وأقبل يَصيح: مرحباً بالأعرابي، حتى دخل وأُجلس وأُكرِم وعُرِف بَلاؤه ونقاءُ صدره. ومدحَه الشعراءُ بذلك فكان أحسنَهم مدحاً مُسلِمُ بنُ الوليدِ فقال فيه قصيدةً منها:

يَفترُّ عند افترارِ الحَرب مبتسماً | اذا تغيَّر وجهُ الفارسِ البطلِ
مُوفٍ على مُهَجٍ في يومِ ذي رَهَجٍ (١) | كأنه أجَلٌ يَسعى الى أمَلِ
يَنالُ بالرفق ما يَعيا الرجالُ به | كالموتِ مُستعجِلاً يأتي على مَهَلِ
لا يَرحلُ الناسُ إلا نحو حُجرتِه (٢) | كالبيت (٣) يُفضي اليه مُلتقى السُبُلِ
يَقري المنيةَ ارواحَ العُداةِ كما | يقري الضيوفَ شحُومَ الكُومِ والبُزُلِ (٤)
يَكسو السيوفَ رؤوسَ الناكثين به | ويَجعلُ الهامَ تيجانَ القَنا الذُبُلِ (٥)
تَراه في الأمنِ في دِرعٍ مُضاعَفَةٍ | لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدعى على عَجَلِ
الزائديُّونَ قومٌ في رماحهمِ | خوفُ المُخيفِ وأمنُ الخائفِ الوَجِلِ
يأبى لك الذمَّ في يومَيك إن ذُكِرا | عَضبٌ حُسامٌ وعِرضٌ غيرُ مُبتذَلِ (٦)

قال محمد بن يزيد: يعني الشاعرُ بقوله:
«تَراه في الامنِ في دِرعٍ مُضاعَفَةٍ» هذا الخبرَ:

عاتبت امرأةُ معنِ بنِ زائدةَ معناً في يزيدَ وقالت: إنك لَتُقدِّمُه وتؤخّر بنيك، وتُشيدُ بذِكره وتُخمِل ذكرَهم. ولو نبَّهتهم لانتبهوا. ولو رفعتَهم لارتفعوا. فقال معنٌ: إن يَزيدَ قريبٌ لم تَبعُد رَحِمُه وله علي حُكمُ الولد اذ كنتُ عمَّه. وبعدُ فإنه ألوَطُ (٧) بقلبي وأدنى من نفسي على ما تُوجِبُه الوِلادةُ للأبوّة من تقديمهم. ولكني لا اجدُ عندَهم ما اجدُه عنده. وسأريكِ في ليلتي هذه ما يَنفسِحُ به اللومُ عني ويتبعُني به عُذري. يا غُلامُ، اذهَب فادعُ جَسّاساً وزائدةَ وعبدَ اللهِ وفلاناً وفلاناً، حتى اتى على اسماء وَلدِه.

(١) غبار. (٢) بيته. (٣) مكة. (٤) جمع كَوماء: الناقة العظيمة. بزل: جمع بَزول. وهو ما بلغ من الابل تسع سنين. (٥) الناكثون: الناقضون العهد. الهام: جمع هامة. القنا: جمع قناة: الرمح. ذبل: جمع ذابل، من الرماح: الرقيق. (٦) عضب: سيف. حسام: قطاع. مبتذل: مبذول للذم. (٧) الصق.

فلم يلبَث ان جاؤوا في الغَلائل المطيَّبَة والنعال السنديَّة ، وذلك بعدَ هَدأة من الليل . فسلَّموا وجلَسوا . ثم قال : يا غُلامُ ، ادعُ لي يزيدَ ، وقد أسبَلَ سترًا بينه وبين المرأة . واذا به قد دخل عَجِلا وعليه السلاحُ كلُّه . فوضع رُمحَه بباب المَجلِس ثم اتى يَحضُر (١) . فلما رآه معنٌ قال : ما هذه الهيئةُ ، أبا الزُبَير ؟ – وكان هكذا يُكنى – فقال : جاءني رسولُ الامير فسبَقَ الى نفسي أنه يُريدُني لوجه ، فقلت : إن كان ، مَضَيتُ ولم أُعَرِّج ، وان يكن الامرُ على خلاف ذلك ، فنزعُ الآلة أيسرُ الخَطبِ . فقال لهم : انصرِفوا في حِفظ الله . فقالت المرأةُ : قد تَبيَّنَ عُذرُك .

عبد الله بن طاهر بن حسين

له في الادب محلٌ لا يُدفعُ ، وفي السَماحة والشجاعة ما لا يُقاربُه فيه كبير أحد . اعطى المأمونُ عبدَ الله بنَ طاهر مالَ مِصرَ لسنة خَراجَها وضياعَها فوهبَه كلَّه وفرَّقه في الناس ، ورَجع صِفرًا (٢) من ذلك . فغاظ المأمونَ فعلُه . فدخل اليه يومَ مَقدَمِه فأنشده :

نفسي فِداؤك والاعناقُ خاضعةٌ ... للنائبات أبيًّا غيرَ مُهتَضَمِ
أقفو مساعيَك اللاتي خُصِصتَ بها ... حَذوَ الشِراكِ على مِثلٍ من الأدَمِ (٣)
فكان فضليَ فيها أنني تَبِعٌ ... لِما سَنَنتَ من الإنعامِ والنِّعَمِ
ولو وُكِلتُ الى نفسي غَنِيتُ بها ... لكن بَدأتَ فلم أعجِز ولم ألُمِ

فضَحِك المأمون وقال : والله ما نَفِستُ عليك مَكرُمةً نِلتَها ، ولا أُحدوثةً حَسُنَ عنك ذِكرُها . ولكن هذا شيءٌ اذا عوَّدتَه نفسَك ، لم تَقدِر على لَمِّ شَعَثِك وإصلاحِ حالِك . وزال ما كان في نفسه .

قال العبَّاسُ الخُراساني ، وكان من وُجوه قُوَّادِ طاهرٍ وابنِه عبدِ الله ، وكان اديبا عاقلا :

لما قال عبدُ الله بنُ طاهرٍ قصيدتَه التي يَفخَرُ فيها بمآثِر ابيه واهلِه ، يَفخَرُ بقتلِهم المخلوعَ – الامين – عارضه محمدُ بنُ يَزيدَ الأمويُّ الحِصنيُّ ، وكان رجلا من وَلد مَسلَمةَ بنِ عبدِ الملك ، فأفرطَ في السَبِّ وتجاوزَ الحدَّ في قُبحِ الردِّ . فلما وُلِّيَ عبدُ الله مِصرَ وَرُدَّ اليه تدبيرُ امرِ الشامِ ،

---

(١) يسرع . (٢) صفر : خلو . (٣) الشراك : سير النعل على ظهر القدم ، أي رقعة لدت على مثال .

عَلِم الحصنيُّ أنه لا يُفلتُ منه إن هَرَب ولا يَنجو من يَدِه حيث حَلّ . فثَبَتَ في مَوضعه وأحرزَ حُرَمَه وترك أموالَه ودوابَّه وكلّ ما كان يَملكُه في موضعه ، وفتحَ بابَ حصنه وجلس عليه ونحن نتوقّعُ من عبدِ الله ان يُوقِع به . فلما شارَفنا بلدَه ، وكنا على ان نُصبِّحَه (١) ، دعاني عبدُ الله في الليل فقال لي : بِت عندي الليلةَ ، وليكن فرسُك مُعَدًّا عندَك لا يُرَدُّ . ففعلت . فلما كان في السَحَرِ أمرَ غِلمانَه وأصحابَه ألا يَرحلوا حتى تَطلُعَ الشمسُ . ورَكِب في السَحَر وانا وخمسةٌ من خواصِّ غلمانه ، فسار حتى صَبَّحَ الحصنيَّ فرأى بابَه مفتوحا ورآه جالسا مستَرسِلا . فقصدَه وسلَّم عليه ونزَل عنده وقال له : ما أجلَسَك ها هنا وحمَلك على أن فتحتَ بابَك ولم تتحصّن من هذا الجيشِ المُقبِل ولم تَتنحَّ عن عبد الله بنِ طاهرٍ مع ما في نفسه عليك وما بلَغَه عنك ؟ فقال : إن ما قلتَ لم يَذهب علي ولكني تأملتُ امري وعلمت أني أخطأت خطيئةً حملَني عليها نَزَقُ الشَباب وغِرَّةُ الحَداثة ، وإني إن هربتُ منه لم أفُتْه ، فباعدتُ البناتِ والحُرَمَ واستسلمتُ بنفسي وكلِّ ما املِكُ . فإنّا اهلُ بيتٍ قد أسرَعَ القتلُ فينا ، ولي بمَن مضى أُسوةٌ . فإني أثِقُ بأنّ الرجلَ اذا قتلني وأخذَ مالي شفى غيظَه . ولم يتجاوز ذلك الى الحُرَمِ ولا له فيهن أرَبٌ ، ولا يُوجِبُ جُرمي اليه اكثرَ مما بذلته .

قال : فوالله ، ما اتّقاه عبدُ الله الا بدموعه تجري على لِحيته . ثم قال : أتعرِفُني ؟ قال : لا ، واللهِ . قال : انا عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ ، وقد أمَّن اللهُ تعالى رَوعتَك وحقَن دمَك ، وصان حُرَمَك ، وحَرَس نعمتَك ، وعفا عن ذنبِك . وما تعجّلتُ اليك وحدي إلا لِتأمَنَ من قَبلِ هُجومِ الجيشِ ، ولِئلا يُخالِطَ عَفوي عنك رَوعةٌ تَلحقُك . فبكى الحصنيُّ وقام فقبَّل رأسه . فضمَّه عبدُ اللهِ اليه وأدناه ثم قال : يا اخي ، جعلني الله فِداك . قلتُ شعرا في قَومي أفخَرُ لهم ، لم أطعَن فيه على حَسَبِك ، ولا ادَّعيتُ فضلا عليك . وفَخرتُ بقتل رجلٍ هو ، وإن كان من قومِك ، فهم القومُ الذين ثَأرُك عندَهم . فكان يَسَعُك السكوتُ ، أو إن لم تَسكُت ، لا تُغرِق ولا تُسرِف . فقال : ايُها الاميرُ ، قد عفوتَ فاجعَله العفوَ الذي لا يَخلطُه تَثريبٌ (٢) ولا يُكدِّرُ صَفوَه تأنيبٌ . قال : قد فعلتُ . فقُم بنا ندخُلْ الى منزلك حتى نُوجِبَ عليك حقاً بالضِيافة . فقام مسرورا ، فأدخلَنا ، فأتى بطَعامٍ ، كان قد اعدَّه ، فأكلنا وجلسنا نشرَب في مُستشرِفٍ له . وأقبل الجيش . فأمر عبدُ الله أن اتلقّاهم فأرَحِّلَهم ، فنزَلتُ فرحَّلتُهم . واقام عندَه الى العَصر . ثم دعا بدَواة فكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين . وقال له : إن نَشطتَ لنا فالحَق بنا . والا فأقِم بمكانك . فقال : فانا اتجهّزُ وألحَقُ بالامير . ففعل فلَحِق بنا بمصر . ولم يزَل مع عبد الله ، لا يفارِقه ، حتى رحل الى العِراق ، فودَّعه وأقام ببلده .

اما الاصواتُ التي غنى فيها عبدُ الله بنُ طاهرٍ فكثيرة .

قال عبد الله بن عبد الله بن طاهر : كان ابي يَصنَع الصوتَ ولا يُحِبُّ ان يَشيعَ عنه شيءٌ من

(١) نأتيه صباحاً . (٢) لوم .

هذا ولا يُنسَبَ اليه لانه كان يَترفّعُ عن الغناء . وما جَسَّ بيده وَتَرا قطُّ ولا تعاطاه ولكنه كان يَعلَمُ من هذا الشأنِ بطول الدُربةِ وحُسنِ الثّقافةِ فصنع اصواتا كثيرةً والقاها على جَواريه فأخَذَتها عنه وغنَّيْنَ بها .

ابو زبيد الطائي

هو حَرمَلَةُ بنُ المنذر . كان نصرانيا وعلى دينه مات . وهو احدُ المُعَمَّرين . عاش مئةً وخمسين سنةً . كان طولُه ثلاثةَ عشرَ شِبرا . وكان اذا دخل مكةَ دخلَها متنكّرا لجَماله .

كان ابو زُبَيدٍ من زُوّار الملوكِ وخاصّةً ملوكَ العجم . وكان عالِما بسِيَرِهم . وكان عثمانُ بنُ عفّانَ يُقرِّبه على ذلك ويُدني مجلسَه. فتذاكروا يوما مآثِرَ العرب واشعارَها . فالتفت عُثمانُ الى ابي زبيدٍ وقال : يا اخا تُبَّعِ المسيحِ ، أسمِعنا بعضَ قولِك ، فقد أُنبئتُ أنك تُجيد . فأنشدَه قصيدةً فيها وصفُ الاسد . فقال عُثمانُ . تَاللهِ تَفتَأُ [1] تذكُرُ الاسدَ ما حييتَ . والله اني لأحسَبُك جبانا . قال : كلا يا امير المؤمنين ، ولكني رأيتُ منه منظرا وشَهِدتُ منه مَشهدا لا يَبرحُ ذِكرُه يتجدَّدُ ويتردَّدُ في قلبي ، ومعذورٌ انا ، غيرُ مَلُوم . فقال له عُثمان : وأنّى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في أشراف من قبائلِ العرب ذوي هيئة وشارة حَسَنَة نُريدُ الحارثَ بنَ ابي شَمِرٍ الغَسّانيَّ ، مَلِكَ الشام . فاخرَوَّطَ [2] بنا السيرُ في حَمَارّةِ [3] القَيظ ، حتى اذا عَصَبَتْ [4] الأفواهُ وذَبَلَت الشفاهُ وشالت [5] المياهُ ، وأذكَت الجَوزاءُ المَعزاءَ [6] وصرَّ الجُندَبُ [7] وضاف العُصفورُ الضبَّ وجاوَره في جُحرِه ، قال قائل : ايها الركبُ غَوِّروا [8] بنا في ضَوج [9] هذا الوادي . واذا واد ، كثيرُ الدَغَل [10] فحطَطنا رِحالَنا بأُصول دَوحات. فأصبنا من فَضَلاتِ الزادِ . فإنا لَنَتَصِفُ حَرَّ يومِنا ، اذ صَرَّ أقصى الخيلِ أذنَيه ، وفَحص الارضَ بيديه ، وما لَبِثَ أن جال ، ثم حمحم فبال ، ثم فعل فِعلَه الفرسُ الذي يَليه واحدا فواحدا . فتضعضعت الخيلُ ، وتَكَعكعت [11] الإبِل ، وتقهقرت البِغالُ . فعَلِمنا أن قد أُتينا وأنه السَبُعُ. ففَزِع كلٌّ منا الى سيفه فاستلَّه ثم وقفنا له صفًّا . واقبل ابو الحارث من أجَمته يَتَظالَعُ [12] في مِشيَته كأنه مَجنوبٌ [13] لصدره نَحيطٌ [14] ولطَرفِه وميضٌ ، ولأرساغِه نَقيضٌ [15] كأنما يَخبِط هشيما ، واذا هامةٌ

---

(١) اي تالله لا تفتأ . (٢) طال . (٣) شدة الحرارة . (٤) جفت . (٥) قلت . (٦) الارض الصلبة . (٧) الصغير من الجراد . (٨) غور : اتى الغور وهو ما انحدر من الارض. (٩) ضوج : منعطف. (١٠) الشجر الكثيف . (١١) تأخرت الى الوراء . (١٢) يغمز في مشيته كأنه يعرج . وأبو الحارث : كنية الليث . (١٣) به داء الجنب . (١٤) زفير (١٥) صوت .

كالمجَنِّ ، وخدٌّ كالمِسَنِّ ، وعينان سَجراوان (١) كأنهما سراجان يَقِدان ، وساعدٌ مَجدولٌ وعَضُدٌ مفتولٌ ، فضرَبَ بيده ، فأرهجَ (٢) وكشَّر فافرج عن أنيابٍ كالمَعاولِ وفمٍ أشدَقَ ، ثم تمطّى فأسرعَ بيديه ، وحَفَزَ (٣) وركَبَه برجلَيه حتى صار ظلُّه مِثلَيه . ثم اقعى فاقشعرَّ ، ثم مَثَّلَ (٤) فاكفهرَّ ثم تجهَّم فازبأرَّ (٥) . فلا ، وذُو (٦) بيتهِ في السماء ، ما اتّقَيناه الا بأولِ اخٍ لنا من فَزارةَ ، كان ضَخمَ الجُزارةِ (٧) فوقَصه (٨) ثم نَفَضَه نفضةً فقضقض متنَيه ، فجعل يَلِغُ في دمه . فذَمَرتُ (٩) أصحابي . فبعدَ لأيٍ ما استقدَموا . فهجهَجنا (١٠) به ، فكَرَّ مُقشعِرًّا بلُبدَتِه كأن به شَيهَماً حَولياً (١١) فاختَلجَ رجلا فنفضَه نَفضةً تزايلت منها مفاصلُه ، ثم نَهَمَ (١٢) ففَرفَرَ (١٣) ثم زَأر فجَرجَرَ (١٤) ثم لَحظ (١٥) فوالله لَخِلتُ البرقَ يَتطايرُ من تحتِ جُفونه . فأرعشَتِ الايدي ، واصطكَّتِ الأرجُلُ وأطَّت (١٦) الأضلاعُ وارتجَّت الأسماعُ وشَخَصتِ العيونُ ، وانخزَلت (١٧) المُتونُ . فقال له عُثمانُ : اسكُت ، قَطَعَ اللهُ لِسانَك ، فقد أرعبتَ قلوبَ المُسلمين .

قيل لابي زُبيدٍ الطائي : هل أتيتَ النُعمانَ بنَ المنذرِ ؟ قال : إي والله لقد أتيتُه وجالستُه . قالوا : صفه لنا . قال : كان احمرَ ، ابرشَ ، قصيرًا . وقد رأيتُ ملوكَ حِميرٍ في مُلكها ، ورأيتُ ملوكَ غسّانَ في مُلكها ، فما رأيتُ احدا قطُّ كان اشدَّ عِزًّا منه ، وكان ظهرُ الكوفةِ يُنبِت الشقائقَ (١٨) ، فحمى ذلك المكانَ ، فنُسِبَ اليه فقيل : شقائقُ النُعمان .

كان لابي زُبيدٍ نديمٌ يشرَب معَه بالكوفة . فغاب ابو زبيدٍ غَيبةً ثم رجَع فأُخبِر بوفاته ، فعدَل الى قبره قبلَ دخوله منزلَه . فوقف عليه فقال :

يا هاجري اذ جِئتُ زائرَه ... ما كان من عاداتك الهَجرُ
يا صاحبَ القبرِ السلامُ على ... مَن حال دونَ لِقائه القبرُ

ثم انصرف . وكان بعدَ ذلك يجيءُ الى قبره فيَشربُ عنده ويَصُبُّ الشرابَ على قبره .

لما صار الوليدُ بنُ عُقبةَ بنِ ابي مَعيطٍ الى الرَقّةِ صار ابو زبيدٍ اليه . فكان ينادمه ، وكان يُحمَلُ في كل احدٍ الى البِيعةِ (١٩) مع النصارى .

ولما احتُضِرَ الوليدُ اوصى لابي زبيدٍ بما يُصلِحُه في فِصحه (٢٠) وأعياده من الخَمر ولُحوم

(١) عين سجراء : يخالط بياضها حمرة . (٢) اثار الغبار . (٣) دفع . (٤) قام . (٥) تجهم : صار وجهه كريهاً . وازبأر : تنفش حتى ظهرت اصول وبر شعره . (٦) يعني : والذي ، في لغة طي . (٧) عظيم الجثة . (٨) دق عنقه . (٩) ذمر : حث وحض . (١٠) صحنا به وزجرناه ليكف (١١) الشيهم ذكر القنفذ. الحولي : الذي اتى عليه الحول اي العام . (١٢) أنَّ . (١٣) صاح . (١٤) ردد صوته في حنجرته . (١٥) نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً . (١٦) صوتت . (١٧) انكسرت الظهور . (١٨) الزهرة المشقوقة ، وهي معروفة . (١٩) الكنيسة ، وهي للنصارى كالجامع للمسلمين . (٢٠) عيد الفصح عند النصارى ، عيد القيامة .

الخنازير وما أشبهَ ذلك . فقال أهلُه وبنوه لابي زبيد . قد علِمتَ أنه لا يَحِل لنا هذا في دِيننا ، وإنما فَعلَه إكراما لك وتَعظيماً لحقك . فقدِّره لنفسك ما شئتَ أن تعيشَ وقَوِّم ما أوصى به لك حتى نُعطيَك قيمتَه ولا تَفضَحنا وتَفضَح آباءنا بهذا ، واحفَظه واحفَظنا فيه . ففعل ذلك ، وقَبِله منهم .

محمد بن امية

كان كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان يُنادم ابراهيمَ بنَ المهدي . وكان حَسَن الخطّ والبيَان .

قال محمد بن امية : كنت جالساً بينَ يدي ابراهيمَ بنِ المهدي ، فدخل اليه ابو العتاهيةَ وقد تنسَّك ولَبِس الصوفَ وترك قولَ الشعرِ إلا في الزُهد ، فرفعَه ابراهيمُ وسُرَّ به وأقبلَ عليه بوجهه وحديثه . فقال له ابو العتاهيةُ : ايُّها الامير ، بلَغني خبرُ فتى في ناحيتك وفي مَواليك يُعرَفُ بابن أميةَ يقول الشعرَ ، وأنشِدتُ له شعرا أعجبني ، فما فَعَل ؟ فضَحِك ابراهيمُ ثم قال : لعلّه اقربُ الحاضرين مجلِساً منك . فالتفت الي فقال لي : انت هو ، فديتُك ؟ فتشوَّرتُ[(١)] وقلت له : انا محمدُ بنُ اميةَ ، جُعِلت فداءك ، واما الشعرُ فانما انا شابٌّ أعبَث بالبيت والبيتين والثلاثة كما يَعبَثُ الشاب . فقال لي : فديتُك ، ذلك والله ، زمانُ الشعر . وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعُيونُه . وما قَصُرَ من الشعر وقيل في المعنى الذي تُومِيءُ اليه أبلغُ وأملحُ . ثم قال لابراهيم : إن رأى الاميرُ ، أكرمَه اللهُ ، ان يأمرَه بإنشادي ما حَضَر من الشعر .

فقال ابراهيم : بحياتي ، يا محمدُ ، أنشِده . فأنشدَه :

رُبَّ وعــــدٍ منكِ لا أنساه لــــي ... أوجبَ الشُكــــرَ وإن لم تَفعلي

كلَّما أمَّلـــــتُ يــومـــاً صالحـاً ... عرَض المكـــروهُ لي في أمَلــــي

وأرى الايـــامَ لا تُدنـــي الــذي ... أرتجــــي منكِ ، وتُــدني أجَلــي

فبكى ابو العتاهيةَ حتى جرت دموعهُ على لِحيته وجعل يُردِّد البيتَ الاخيرَ وينتحب .

ومن اقواله في جارية :

وَصائِــــفُ ابكارٌ وعُونٌ[(٢)] نواطقٌ ... بألسنــــةٍ تَشفــي جوَى الهائمِ الصَدِي

(١) استحييت . (٢) وصائف : جمع وصيفة وهي الجارية دون المراهقة . عون : جمع عوان . المرأة النصف . اي في منتصف العمر .

يُقارِبنَ أهلَ الوُدِّ بالقول في الهــــوى   ومـا النجمُ مـن معـروفهنَّ بـأبعدِ
يَزِدنَ اخـا الدُنيا مُجـوناً وفِتنــةً   ويَشغَفنَ قلبَ النـاسكِ المتعبِّـدِ

وقال فيها :

أُحِبُّكِ حُبّـاً لـو يُفَضُّ يَسيـرُه   على الخَلقِ مـات الخلقُ من شِدَّةِ الحبِّ
وأعلَمُ أنـي بعـدَ ذاك مُقصِّرٌ   لانك في أعـلى المـراتبِ من قلبي

قال حسين بن الضحاك :

دخلتُ انا ومحمدُ بنُ اميةَ منزِلَ نَحّاسٍ بالرَقَّةِ ايامَ الرشيد ، وعنده جاريةٌ تغني فوقعت عينُها على محمدٍ ووقَعت عينُه عليها . فقال لها : يا جاريةُ ، أتُغنيني هذا الصوتَ :

خبـريني مَن الـرسولُ اليـكِ   واجعَليـه مَن لا يَنِـمُّ عليـكِ
وأشيري اليَّ مَـن هـو باللَحـظِ لِيخفـى على الذيـن لديـكِ

فقالت له : ما أعرِفُه(١) . واشارت الى خادمٍ كان على رأسِها واقفاً . فمكثا زماناً والخادمُ الرسولُ بينهما . والشعر لمحمد بن امية .

المتوكل الليثي

هو مِن اهلِ الكوفة ، من شعراء الإسلام . كان في عصر معاويةَ وابنِه يزيدَ ومدحَهما ويُكنَّى ابا جَهمةَ .

قَدِم الاخطلُ الكوفةَ فنزلَ على قَبيصةَ بنِ والقٍ . فقال المتوكِّلُ الليثيُّ لرجل من قومه : انطَلِق بنا الى الاخطل نَستنشدُه ونَسمعَ من شعره . فاتياه فقالا : أنشِدنا يا ابا مالك . فقال : اني لَخاثِرٌ(٢) يومي هذا . فقال له المتوكل : أنشِدنا ايها الرجل ، فوالله لا تُنشِدُني قصيدةً إلا انشدتُك مثلَها او اشعرَ منها من شعري . قال : ومَن انت ؟ قال : انا المتوكِّل . قال : أنشِدني ، ويحَك ، من شعرك . فأنشدَه :

لا تنـهَ عن خُلُـقٍ وتـأتي مثلَـه   عـارٌ عليك اذا فعلـتَ عظـيمُ
والهمُّ إن لـم تُمضِـه لسبيلـه   داءٌ تَضَمَّنـهُ الضُلوعُ مُقيـمُ

---

(١) اي ما اعرف الصوت . (٢) خثرت نفسه : ثقلت وخبثت .

وانشده :

الشِعرُ لُـــبُّ المَـرء يَعرِضـــه ... والقـــولُ مثلُ مـــواقعِ النَبلِ
منها المُقصِّـــرُ عـــن رَمِيَّتِـه ... ونـــوافذٌ يَذهبـــنَ بالخَصلِ (١)

وانشده :

انتـــا معشَرٌ خُلِقنـــا صدورا ... مـــن يُسوِّي الصدورَ بـالأذنابِ

فقال له الاخطل : ويحَك يا متوكِّل ، لو نبحَت الخمرُ في جوفِك كنتَ اشعرَ الناس .

كانت للمتوكل امرأةٌ تكنى امَّ بَكرٍ فأُقعِدَت . فسألَته الطلاقَ فقال : ليس هذا حينَ طلاقٍ . فأبَت عليه ، فطلَّقها . ثم إنها بَرِئت بعدَ الطلاق ، فقال :

طرِبتُ وشاقَنـــي يـــا أمَّ بكـــرٍ ... دُعاءُ حمامةٍ تَـــدعـــو حَماماً
فبِتُّ وبـــاتَ هَمي لـــي نَجيّاً ... أُعزِّي عنـــك قلبـــاً مُستهاما
يَنامُ الليـــلَ كلُّ خلـــيٍّ هـــمٍ ... وتَأبى العيـــنُ مني أن تَنامـــا
أُراعـــي التاليـــاتِ مـن الثُريّـا ... ودمعُ العيـــن منحـــدرٌ سِجامـــا
سعى الـــواشون حتى أزعجـــوهـا ... ورَثَّ الحبلُ فـــانجزم انجزاما (٢)
اذا ابتسمت تـــلألأ ضوءُ بـــَرقٍ ... تَهلَّل في الـــدُجُنَّـةِ ثم دامـــا
وان قـــامت تأمَّلَ رائيـــاهـــا ... غَمـــامـــةَ صَيِّفٍ (٣) ولجت غَماما
فلو أشكـــو الذي أشكـــو اليهـــا ... الى حَجَرٍ لـــراجَعني الكَـــلامـــا

وقال يمدح يزيدَ بنَ معاوية :

سيَعلَمُ قومـــي أنني كنتُ سَورةً (٤) ... مـــن المَجد إن داعـــي المَنونِ دعاني
خليليَّ مـــا لام امرءًا مثـــلُ نفسِـه ... اذا هـــي لامت فاربَعا (٥) ودَعاني
خليليَّ لـــو كنتُ امرءًا بـيَ سَقطةٌ ... تضعضعتُ او زَلَّت بـــيَ القَدَمانِ
ولكننـــي ثَبتُ المَـــريرةِ حـازمٌ ... اذا صاح طُلاَّبـــي ملأتُ عِناني (٦)
ابـــا خالدٍ حَنَّت اليـــكَ مَطيَّتـي ... عـــلى بُعد مُنتابٍ (٧) وهَول جَنانِ
تناهت قَلـــوصي بعد إسآديَ السُرى (٨) ... الى مَلِكٍ جَزلِ العَطـاء هِجانِ (٩)

---

(١) الرهان . (٢) انجزم : انبت وانقطع . (٣) المطر الذي يجيء صيفاً . (٤) سورة : هنا بمعنى العلامة والارتفاع . (٥) اربعا : توقفا : دعاني : كفا واتركاني . (٦) ثبت المريرة : شجاع لا تضطرب مرته خوفاً . ملأت عناني : تركيب كنائي يراد به ، احد معنيين : شرفت وعظم سؤددي . أو ارخيت زمام الحصان وانطلقت . (٧) منتاب : مقصَد . (٨) الإسآد : الاسراع في السير . السرى : السير في اخر الليل . (٩) الرجل الحسيب

تَرى الناسَ أفــواجاً ينوبــون بابَــه ... لِبكــرٍ منَ الحاجاتِ او لعَــوانِ

بينا المتوكلُ في الحيرة رَمِد رَمَداً شديداً . فمرَّ به قَسٌ منهم فقال : مالَكَ ؟ قال : رمدتُ . قال : انا أُعالجُك . فذَرَّه[1] . فبينا القَسُّ عندَه ، وهو مذرورُ العينِ مُستَلقٍ على ظهره ، اذ أتاه غُلامٌ له فقال : بالباب امرأةٌ تدعوك. فمسحَ عينيه وخرج إليها. فسَفَرت[2] عن وجهها، فاذا الشمسُ طالعةٌ حُسناً . فقال لها : ما اسمُك ؟ قالت : امية . قال : فممَّن أنت ؟ فلم تُخبِره . قال : فحاجتُك ؟ قالت : بلغَني أنك شاعرٌ، فأحببتُ أن تَنسبَ بي في شعرك. فقال : أسفِري[3]. ففعلت : فكَرَّ طَرفَه في وجهها مُصعِّداً ومُصَوِّباً ثم تلثَّمت وولَّت عنه فقال :

أجَدَّ اليــومَ جيرتُكَ احتمــالا ... وحَثَّ حُداتُهـم بهـمِ الجمــالا

وفي الأظعــان آنِسةٌ لَعــوبٌ ... تَــرى قتــلي بغيــر دَمٍ حلالا

أميــةُ يــومَ ديرِ القَسِّ ضنَّــت ... علينــا ان تُنَــوِّلَنا نَــوالا

أبيني لــي فرُبَّ أخٍ مُصــافٍ ... رُزِئتُ ومــا أُحِبُّ به بِــدالا

مقتل جعفر البرمكي

قال مسرورٌ خادمُ الرشيدِ :

إن الرشيدَ لما أراد قتلَ جعفرِ بن يَحيى لم يُطلع عليه احداً . ودخل عليه جعفرٌ في اليومِ الذي قتلَه في ليلته فقال له : اذهَب فتشاغَل اليومَ بمَن تَأنَسُ به واصطبِح فإني مصطبِحٌ مع الحُرَمِ . فمضى جعفرٌ ، وفعل الرشيدُ ذلك . ولم يزل برُّ الرشيدِ وألطافُه[4] وتُحَفُه وتحياتُه تتابَعُ اليه لئلا يَستوحِشَ . فلما كان في الليل دعاني فقال لي : اذهَب فجئني الساعةَ برأسِ جعفرِ بنِ يَحيى . وضَمَّ الي جَماعةً من الغِلمانِ. فمشيت حتى هَجمتُ عليه منزلَه . واذا ابو زَكّارٍ الأعمى يُغنيه بقوله :

فلا تَبعَــد فكــلُّ فتىً سيأتي ... عليــه المــوتُ يَطرُقُ أو يُغادي

فقلت له : في هذا المَعنى ومثلِه ، واللهِ ، جئتُك فأجِب . فوثب وقال : ما الخبرُ يا ابا هاشِم ،

---

(١) طرح الذرور في العين وهو الكحل . (٢) سفر عن : كشف عن جانب منه . (٣) أسفري : اكشفي عن وجهك كله . (٤) الهدايا .

جعلني اللهُ فداءك . قلت : قد أُمرتُ بأخذِ رأسك . فأكبَّ على رجليَّ فقبَّلها وقال : اللهَ اللهَ ، راجعِ اميرَ المؤمنين فيَّ . فقلت : مالي الى ذلك سبيلٌ . قال : فأعهَدُ ؟(١) قلت : ذاك اليكَ . فذهب يدخُلُ الى النساء ، فمنعتُه وقلت : إعهَد في موضعك . فدعا بدَواة وكتَبَ أحرُفا على دَهَش ، ثم قال لي : يا أبا هاشم ، بَقِيت واحدةٌ . قلت هاتِها . قال : خُذني معَك الى امير المؤمنين حتى أخاطبَه . قلت : مالي الى ذلك سبيلٌ . قال : فخُذني واحبِسني عندَك في الدار ، وعاوِده في امري . قلت : أفعَلُ . فأخذتُه . فقال لي ابو زَكّار الاعمى : نشدتُك اللهَ إن قتلتَه إلاّ ألحقتَني به . قلت له : يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مُختار . قال : وكيف اعيشُ بعده وحياتي كانت معه وبه ، وأغناني عمن سِواه . فمضَيت بجعفرٍ وجعلتُه في بيتٍ واقفلتُ عليه ووَكَّلتُ به ، ودخلتُ الى الرشيد . فلما رآني قال : اينَ رأسُه ويلَك ؟ فأخبرتُه بالخبر . فقال : يا ابنَ الفاعلة ، واللهِ لئِن لم تجِئني برأسِه الساعةَ لآخُذَنَّ رأسك . فمضيت اليه ، فأخذت رأسَه ووضعتُه بين يديه .

منظور بن زبَّان

كان منظورُ بنُ زَبَّانَ سيدَ قومه غيرَ مُدافَع . امُّهُ قِهطِمُ ، وقد ولدت ايضا زُهَيرَ بنَ جَذيمة حَملت قِهطِم بمنظورٍ اربعَ سنواتٍ فولدته وقد جَمَع فاه فسمّاه ابوه منظوراً ، لطول ما انتظَره .

تزوج منظورٌ امرأةَ ابيه وهي مُلَيكة فولدت له هاشما وعبدَ الجبَّارِ وخَولةَ . ولم تَزَل معه الى خلافة عمَرَ بنِ الخَطّابِ ، فأحضرَه فقال له : أتنكِحُ امرأةَ ابيك وهي امُّك ؟ أوَما علِمتَ أن هذا نِكاحَ المَقتِ . وفَرَّقَ بينهما . فتزوجَها طَلحةُ بنُ عُبيدِ الله ، وتزوجَ محمدُ بنُ طَلحةَ خَولةَ بنتَ منظورٍ ، ثم قُتِل عنها يومَ الجمَلِ فتزوجَها الحسنُ بنُ علي فولدت له الحسَنَ بنَ الحسَنِ . ولما أسنَّتْ مات عنها . فكشفت قِناعَها وبَرزت للرجال . قال معبد : فأتيتُها ذاتَ يومٍ أطالِبُها بحاجة ، فغنيتُها لحني في شعرٍ قالَه فيها بعضُ بني فَزارةَ :

قِفـــا في دارِ خـــولةَ فاسألاهـــا ... تَقادَمَ عَهدُها وهَجـرتُماها
وتَرعـــى حيثُ شاءت من حِمانـــا ... وتَمنعُنا فلا نَرعـــى حِماهـــا

قال : فطرِبت العجوزُ لذلك وقالت : انا والله يومئذٍ أحسنُ من النارِ المُوقَدَةِ في الليلة القَرَّة .

ولما فرَّق عمرُ بينَ منظورٍ ومُلَيكةَ ، وتزوجت ، رآها منظورٌ يوما وهي تَمشي في الطريقِ ، وكانت جميلةً رائعةَ الحُسنِ ، فقال : يا مُلَيكَةُ ، لعنَ الله دِينا فَرَّق بيني وبينَك . فلم تُكلِّمه وجازت . وبلغ الخبرُ عمرَ ، فطلبه ليُعاقِبَه ، فهرب .

---

(٢) عهد : كتب وصيته او عهده

عبد الله بن معاوية

هو عبدُ الله بنُ معاويةَ بنِ عبدِ الله بنِ جعفرِ بنِ ابي طالبٍ . وامُّ عبدِ الله بنِ معاويةَ امُّ عونٍ بنتُ عبّاسٍ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطّلب .

كان عبدُ الله من فتيانِ بني هاشمٍ وجُوَدائهم وشُعرائهم ، ولم يكن محمودَ المذهبِ في دينه ، وكان يُرمى بالزندقة . قتَلَه ابو مُسلمٍ في خُراسانَ .

من شعره :

وعيـنُ الرضا عن كلِ عيبٍ كليلةٌ ولكنَّ عينَ السُخطِ تُبدي المعايبـا
وانتَ اخي ما لم تكـن لي حاجـةٌ فإن عرَضت أيقنتُ أن لا أخاليـا

وفيه يقول عبد الحميد بن عُبيد الله :

وانتَ اذا وَطِئـتَ تُـرابَ ارضٍ يَطيبُ اذا مَشَيـتَ بها التُرابُ
لأن نَـداك يُطفي المَحْـلَ عنهـا وتُحييهـا أياديـك الرِطـابُ

ومن جيد شعره :

سَلا ربـةَ الخِدرِ مـا شـأنُهـا ومن أيِّمـا شأنِنـا تَعجَـبُ ؟
فلسـتُ بـأولِ مَـن فـاتَـه على إربِه [١] بعضُ ما يَطلُـبُ
واصبحَ صَـدعُ الـذي بيننـا كصدعِ الزُجاجـةِ ما يُشعَبُ [٢]
وكالـدَرِّ ليسـت لـه رَجعـةٌ إلى الضَرعِ من بعـدِ مـا يُحلَبُ

(١) الارب : العقل والدهاء . منه الاريب . (٢) يشعب : يصلح ويجبر.

ابو وجزة واستسقاء المطر

اسمه يزيدُ بنُ عُبيدٍ ، لَحِق اباه ، وهو صبيٌّ ، سِباءٌ في الجاهلية فبيعَ بسوقِ ذي المَجازِ فابتاعَه رجل من بني سعدٍ واستعبده . فلما كَبِر استعدى عُمَرَ وأعلَمه قِصتَه ، فقال له : لا سِباءَ على عربي ، وهذا الرجلُ قد امتَنَّ عليك ، فإن شِئتَ فأقِم عنده ، وان شِئتَ فالحَق بقومك . فأقام في بني سعدٍ وانتسب اليهم هو وولدُه .

وبنو سعد أظآرُ [١] الرسول ، كان مسترضَعاً [٢] فيهم عند امرأةٍ يقال لها : حَليمةُ . فلم يزل فيهم حتى يَفَعَ . ثم اخذه جَدُّه عبدُ المُطَّلِب منهم فردَّه إلى مكة . وجاءته حليمةُ بعدَ الهجرة فأكرمَها وبَرَّها وبسطَ لها رِداءه فجلست عليه . وبنو سعدٍ تفتخرُ بذلك على سائرِ بني هوازنَ .

وأبو وَجزَةُ هو احدُ مَن شَبَّب بعجوزٍ حيث يقول :

يا أيُهــــا الرجلُ الموكَـــلُ بالصبـــا	فيمَ ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من دَدِ [٣]
حتّامَ انتَ موكَـــلٌ بقديمـــــةٍ	امست تَجَدَّدُ كاليمَاني الجَيِّـــدِ
زانَ الجَلالُ كمالَهـــا ورسا بهـــا	عَقلٌ وفاضلةٌ وشيمـــةُ سيِّـــدِ
ضَنَّت بنائلِهـــا عليـــك وانتُمـــا	غِرّانِ في طلـــبِ الشبابِ الأغيَـــدِ
فالآنَ ترجو ان تُثيبَـــك نائـــلا	هيهاتَ؟ نائلُهـــا مكانَ الفَرقَـــدِ

حدث ابو وجزة السعدي قال :

شهِدتُ عمرَ بنَ الخطابِ وقد خرج بالناس ليَستسقيَ عامَ الرَمادةِ . فقام وقام الناسُ خلفَه . فجعل يَستغفِرُ اللهَ رافعا صوتَه لا يَزيدُ على ذلك . فقلت في نفسي : ماله لا يَأخُذُ في ما جاء له ، ولم أعلم أن الإستغفارَ هو الإستسقاء . ثم قال في آخرِ كلامه: اللهم إني قد عَجزتُ وما عندَك أوسَعُ لهم . ثم اخذَ بيد العبَّاسِ ثم قال : وهذا عمُّ نبيِّك ، ونحن نتوسلُ اليك به . فلما اراد عمرُ أن ينزِلَ قَلَب رِداءه ثم نزَل . فتراءى الناسُ طُرَّةً [٤] في مَغرِب الشمسِ ، فقالوا : ما هذا !

(١) جمع ظئر ، وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له . (٢) يقال : استرضع المرأة ولده ، أي طلبها لترضع ولده . (٣) اللهو واللعب . (٤) طريقة من سحاب .

وما رأينا قبلَ ذلك قَزَعَةَ (١) سَحابٍ اربعَ سنينٍ . قال : ثم سمعنا الرعدَ ثم انتشر ، ثم اضطرب ، فكان المطرُ يقلدُنا (٢) قَلدا في كل خمسَ عَشْرةَ ليلةً حتى رأيتُ الأرينَةَ (٣) خارجةً من حِقاق العُرفُطِ (٤) تأكلُها صِغارُ الإبِل .

عَقيل بن عُلَّفة

يُكنّى ابا العَمَلَّسِ وابا الجَرباء . شاعرٌ مُجيدٌ مُقِلٌ من شعراء الدولة الاموية . كان اعرَجَ جافياً شديد الهَوَج والعجرفة والبذخ (٥) بنسبه في بني مُرَّة ، لا يرى أن له كُفئاً وكانت قريشٌ تَرغَبُ في مُصاهرته . تزوجَ اليه خُلفاءوها واشرافُها ، منهم يَزيدُ بنُ عبدِ الملك، تزوج الجَرباءَ . وتزوج بنتَه عَمرَةَ سَلَمَةُ بنُ عبدِ الله بنِ المُغيرةِ ، وكان من أشرافِ قريشٍ ، وجُوَدائها .

دخل عَقيل بنُ عُلَّفةَ على عُثمانَ بنِ حَيّانَ وهو يومئذٍ على المدينة ، فقال له عثمان : زوِّجني ابنتك . فقال : أبَكرَةً من إبِلي تَعني ؟ فقال له عثمان : وَيلَكَ ! مجنونٌ انت ؟ قال : ايَّ شيءٍ قلتَ لي ؟ قال : قلتُ لك : زوِّجني ابنتَك . فقال : أفعلُ إن كنتَ عنيتَ بَكرَةً من إبِلي . فأمر به فوُجِئَت عُنُقه .

كان لعَقيل بنِ عُلَّفةَ جارٌ من بني سلامانَ بنِ سعد . فخطب اليه ابنتَه ، فغضب عَقيلٌ واخذ السلامانيَّ فكتَّفَه ودهن استَه بشحمٍ وألقاه في قَريةِ النملِ ، فأكلن خُصيتَيه حتى وَرِم جسدُه ثم حلَّه وقال : يَخطُبُ إلي عبدُ الملكِ بنُ مروانَ فأرُدُّه وتجترىءُ انت علي ! واللهِ لأموتَن قبلَ أن أضَعَ كرائمي الا في الأكفاء .

غدا عقيل على افراسٍ له عند بيوتِه فأطلقَها ثم رجَع فاذا بنوه مع بناته وامهم مجتمعون ، وعُلَّفةُ ابنُه يقول :

قِفي يا ابنةَ المُرِّيِّ أسألْك ما الذي ... تُريدين فيما كنتِ مَنَّيتِنا قبلُ
نُخَبِّرْكِ إن لم تُنجزي الوعدَ أننا ... ذَوَا خُلَّةٍ لم يَبقَ بينهما وَصلُ

(١) قطعة . (٢) يقلد : يملأ الأحواض . (٣) الارينة : عشبة برية سوقها دقيقة لرعاء . (٤) العرفط : نوع من السنط وهو جنبة شائكة . (٥) الكبر والتطاول بالكلام .

فقال عَقيل : يا ابنَ اللخناء (١) متى مَنَّتك نفسُك هذا . وشَدَّ عليه بالسيف فجال بينه وبينه عَمَلَّسُ – اخوه لأمه – فشَدَّ على عَمَلَّسٍ بالسيف وترك عُلَّفَةَ لا يَلتفِتُ اليه فرماه بسهم فأصاب رِكبتَه فسقط عقيلٌ وجعل يَتمعَّكُ (٢) بدمه ويقول :

إنَّ بنيَّ سَربلوني بالدمِ من يَلقَ ابطالَ الرجال يُكلَمِ (٣)

ومَن يَكن ذا أَوَدٍ (٤) يُقَوَّمِ شِنشِنةٌ اعرِفُها من أخزَمِ (٥)

قال عُمر بنُ عبدِ العزيزِ لعَقيلِ بنِ عُلَّفةَ : انك تَخرجُ إلى أقاصي البلادِ وتَدَعُ بناتِك في الصَحراء لا كالِئَ لهن، والناسُ يَنسُبونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تُزوجَهن إلا الاكفاء . قال : إني استعين عليهن بخلَّتين تَكلآنِهن وأستغني عن سِواهما . قال : ما هما ؟ قال : العُريُ والجوعُ .

دخل عقيلٌ على يَحيى بنِ الحكَمِ وهو يومئذ اميرُ المدينة ، فقال له يَحيى : أنكِحني إحدى بناتك . قال : اما انت فنعم . قال : اما والله لأملأنَّك مالا وشرفا . قال : اما الشرفُ فقد حمَّلتُ ركائبي منه ما أطاقت ، وكلَّفتُها تَجَشُّمَ ما لم تُطِق ، ولكن عليك بهذا المالِ فان فيه صلاحُ الأيِّمِ (٦) ورِضا الأبيِّ . فزوجَه . ثم خرج فهداها اليه. فلما قَدِمت عليه بعث اليها يَحيى مولاةً له لِتَنظُرَ اليها . فجاءتها فجعلت تَغمِزَ عَضُدَها . فرفعت يدَها فدقَّت أنفَها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثتَني إلى أعرابية مجنونة صنعَت بي ما تَرى. فنهض اليها يَحيى فقال لها : مالَكِ؟ قالت : ما أردتَ أن بعثتَ إليَّ أمةً تنظر إلي . ما أردتُ بما فعلتُ إلا ان يكونَ نظرُك إليَّ قبلَ كلِ ناظرٍ . فان رأيتَ حَسَنا كنت قد سبَقتَ إلى بَهجتِه . وان رأيتَ قبيحا كنت أحَقَّ مَن سَتَرَه . فسُرَّ بقولها وحَظيت عندَه .

خطب يزيدُ بنُ عبدِ الملكِ إلى عَقيلِ بنِ عُلَّفة ابنتَه الجَربَاء فقال له عقيل: قد زوجتُكها ، على ان لا يَزُفَّها اليك أعلاجُك . (٧) اكون انا الذي اجيءُ بها اليك . قال : ذلك لك . وجاء بها حتى اناخَ بعيرَها على بابه ثم اخذ بيدها فأذعنَت . فدخل بها على الخليفة فقال له : إن انتما وُدِنَ (٨) بينَكما ، فبارك اللهُ لكما . وان كَرِهتَ شيئا فضَع يدَها في يدي كما وضعتُ يدَها في يدِك ثم برِئَت ذِمتُك .

كان عقيل قد أطرَدَ بنيه ، فتفرقوا في البلاد وبقي وحدَه . ثم ان رجلا من بني صِرمةَ ، يقال له بَجيلٌ ، حطَم بيوتَ عقيلٍ بماشيته ، ولم يكن احدٌ قبلَ ذلك يَقرُب من بيوتِ عقيلٍ إلا لقِيَ شراً . فطردت امةٌ له الماشيةَ فضربَها بَجيل بعصا فشجَّها . فخرج اليه عقيلٌ وحدَه – وقد هَرِم وكَبِرت سِنه – فزجره ، فضربه بَجيلٌ بعصاه واحتقره . فجعل عقيل يصيح : يا عُلَّفَةُ ،

---

(١) من اللَّخَن وهو النتن . (٢) يتمعك : يتمرغ . (٣) يكلم : يجرح . (٤) أود : اعوجاج .
(٥) شنشنة : طبيعة وعادة . والمثل منسوب الى ابي أخزم الطائي . كان اخزم عاقاً لابيه . فمات وترك بنين عقوا جدهم وضربوه فقال ذلك . (٦) الارمل . (٧) جمع علج . الرجل الشديد الغليظ . (٨) الوَدَن : حسن القيام على العروس .

يا عَمَلَّسُ ، يا فلانُ ، بأسماء اولادِه ، مستغيثا بهم ، وهو يَحسبُهم ، لهَرَمِه ، أنهم معه . فقال له أرطاةُ بنُ سُهَيَّةُ :

أكلتَ بنيــك أكــلَ الضبِّ حتـــى وَجدتَ مــرارةَ الكَلإِ الوبيـــلِ
ولو كانوا الألى غابـــوا شُهـــوداً منعتَ فِناءَ بيتِك من بَجيـــلِ

وبلغَ خبرُ عقيلٍ ابنَه العَمَلَّس وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نَزَل اليه ، ثم عَمَدَ إلى بَجيلٍ فضربه ضربا مبرِّحا وعقر عِدَّةً من إبلِه وأوثقَه بحبَل وجاء به يقودُه حتى ألقاه بين يدَي ابيه . ثم ركِب راحلتَه وعاد من وقته إلى الشامِ ، لم يَطعَم طَعاما ولم يَشرب شَرابا .

(ويختم الاصفهاني اخباره بقوله :)

تمت اخبارُ عقيلٍ ولله الحمدُ والمِنَّة .

يزيد بن الحكم

هو يزيد بن الحكم الثَقَفي .

دعا الحجاجُ بنُ يوسفَ بيزيدَ بنِ الحَكمِ فولاَّه كورةَ فارسَ ودفع اليه عهدَه بها . فلما دخل عليه ليُودِّعَه قال له الحجاجُ : أنشِدني بعضَ شعرِك ، وانما اراد ان يُنشِدَه مديحا له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول ؛ :

وأبي الذي سَلَبَ ابنَ كِسرى رايــةً بيضاءَ تَخفُق كالعُقابِ الطائـــرِ

فلما سمِع الحجاجُ فخرَه نهض مُغضَبا . فخرج يزيدُ من غيرِ ان يُودِّعَه . فقال الحجاج لحاجبه : ارتجع منه العهدَ . فاذا ردَّه فقل له : ايُّهما خيرٌ لك ، ما وَرَّثَك ابوك ، ام هذا ؟ فرد على الحاجبِ العهدَ وقال : قل له :

وَورِثتُ جَـدِّي مجـــدَه وفَعالَـــه وَوَرِثتَ جَدَّك أعنُزاً بالطائـــفِ

وخرج عنه مُغضَبا . فلَحِق بسليمانَ بنِ عبد الملكِ ومدحه بقصيدته التي أولُها :

امسى بأسماء هذا القلبُ مَعمــودا[١] اذا أقولُ صحا يَعتادُه عِيـــدا

(١) معمود : مضنى .

أَجري على مَوعِدٍ منها فتُخلفُني فلا أمَلُّ ولا تُوفي المواعِدا

كأنني يومَ أمسي لا تُكلمُني ذو بُغيةٍ يبتغي ما ليس موجودا

ومن الناس مَن ينسب هذه الابيات إلى عمر بن ابي ربيعة وذلك خطأ .

ثم يقولُ :

سُميتَ باسم امرئٍ أشبهتَ شيمتَه عَدلاً وفَضلا سليمانَ بنَ داودا

أَحمِد بِه في الورى الماضين من مِلكٍ وانت اصبحتَ في الباقين مَحمودا

فقال له سليمان : وكم كان اجرى لك لعمالة فارسَ ؟ قال : عشرين الفا . قال : فهي لك علي ما دُمتَ حيا .

قال عبدُ الملك بن مروان : كان شاعرُ ثقيف في الجاهلية خيراً من شاعرهم في الإسلام . اما شاعرُهم في الاسلام فيزيدُ بنُ الحكَمِ حيث يقول :

فما منك الشبابُ ولستَ منه اذا سألتك لِحيتُك الخِضابا

وقال شاعرُهم في الجاهلية :

والشيبُ إن يَظهَر فإنَّ وراءَه عُمراً يكون خِلالَه مُتَنَفَّسُ

لم ينتقِص مني المشيبُ قُلامةً ولَما بقى مني ألَبُّ [1] وأكيَسُ

قال العباسُ بنُ يزيدَ بنِ الحكم الثقفي ، وقد هرب من يوسفَ بنِ عُمَرَ إلى اليمامة : جلستُ في مسجدِها وغَشيَني قومٌ من اهلها . وإني لكذلك اذا انا بشيخ قد دخل يتَرجَّحُ في مِشيته . فلما رآني أقبل إلي ، فقال القوم : هذا جريرٌ . فأتاني حتى جلس إلى جنبي . ثم قال لي : السلامُ عليك . فمَن انت؟ قلت: رجل من ثَقيف . قال : أعرَضتَ الأديمَ . ثم مِمَّن ؟ قلت: رجل من بني مالِك ، فقال : لا الهَ الا اللهَ ، أمثلُك يُعرَف بأهل بيته . فقلت : انا رجل من وَلَد ابي العاصي . قالَ: ابنُ بِشرٍ ؟ قلت: نعم . قال: ايُهم ابوك ؟ قلت: يَزيدُ بنُ الحَكَم. قال : فمن الذي يقول :

فَنيَ الشبابُ وكلُّ شيءٍ فانٍ وعلا لِداتي شَيبُهم وعلاني

قلت : ابي . قال : فمَن الذي يقول :

الا لا مرحبا بفِراق ليلى ولا بالشيبِ اذ طَرَد الشَبابا

شبابٌ بانَ محمودا وشَيبٌ ذَميمٌ لم نَجِد لهما اصطحابا

فما منك الشبابُ ولستَ منه اذا سألتك لِحيتُك الخِضابا

(١) ألب : اكثر عقلا وأصح حكماً وحكمة .

قلت : ابي . قال:فمن الذي يقول :

تَعالَوا فعُدُّوا يَعلَمِ الناسُ ايُّنا لصاحبه في اول الدهرِ تابعُ
تَزَيَّدُ يَربوعٌ(١) بكم في عِدادها كما زِيدَ في عَرضِ الأديمِ الأكارعُ(٢)

فقلت : غفرَ اللهُ لك . كان ابي أَصوَنَ لنفسه وعِرضِه من أن يَدخُلَ بينك وبين ابنِ عمك (اي الفرزدق) فقال : رحِمَ اللهُ اباك . فقد مضى لسبيله . ثم انصرف . فَنَزَّلَني(٣) بكَبشين . فقال لي اهل اليمامة : ما نَزَّلَ احداً قبلَك قطُ .

ابو الاسود الدُؤَلي

اسمه ظالمُ ابنُ الدُئِل بن مُضَرَ وهم اخوةُ قريش.

وكان ابو الاسودِ من وجوه التابعين وفُقهائهم ومُحدِّثيهم من وجوه شيعة عليٍ.

استعمله علي على البَصرةِ بعدَ ابن عبَّاس، وهو كانَ الاصلَ في بِناءِ النَحوِ وعَقدِ أُصوله .

دخل ابو الاسودِ إلى ابنته بالبصرة ، فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرِّ . (رفعت اشد) . فظنَّها تسألُه وتَستفهِم منه: ايُّ زمانِ الحرِّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهرُ ناجِرٍ . (يريد شهر صَفَر) فقالت: يا أبتِ ، انما اخبرتُك ولم أسألك . فأتى اميرَ المؤمنين عليَّ بنَ ابي طالب فقال : يا اميرَ المؤمنين ، ذهبت لُغةُ العرب لمَّا خالطت العَجَمَ ، واوشكَ إن تطاولَ عليها زمانٌ أن تَضمحِلَّ . واخبره خبرَ ابنته . فأمره فاشترى صُحُفًا بدرهم وأملَّ(٤) عليه : « الكلامُ كلُّه لا يَخرجُ عن اسمٍ وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى ». (وهذا القولُ اولُ كتابِ سيبويه) ثم رسم اصولَ النحوِ كلَّها. فنقلها النحويون وفَرَّعوها .

قال الجاحظ : ابو الاسود الدؤلي معدودٌ في طَبَقاتٍ من الناس، وهو في كلِّها مُقدَّم . كان معدودا في التابعين والفُقهاءِ والشعراءِ والمحدِّثين والأشرافِ والفُرسانِ والأمراءِ والدُهاةِ والنَحَويين والحاضري الجوابِ والشيعةِ والبُخَلاءِ والصُلعِ الأشرافِ والبُخرِ(٥) الأشرافِ .

(١) قوم جرير . (٢) جمع كراع وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من المعزى ، وهو الساق . (٣) نزل الضيف : هيأ له . (٤) أمل عليه : أملى فكتب . (٥) البخر : جمع أبخر اي المتن رائحة الفم .

كان ابو الاسود قد أسنَّ وكَبِرَ وكان مع ذلك يَركَب إلى المسجد والسوق ويزورُ اصدقاءه . فقال له رجل : يا ابا الاسود ، اراك تُكثِرُ الركوبَ وقد ضَعُفتَ عن الحركة وكَبِرتَ ولو لَزِمتَ منزِلَك كان أودعَ لك . فقال له : صَدَقت ، ولكنَّ الركوبَ يَشُد أعضائي ، وأسمعُ من أخبارِ الناسِ ما لا اسمَعُهُ في بيتي . وأستنشي(١) الريحَ، وألقى إخواني. ولو جلستُ في بيتي لاغتمَّ بي أهلي، وأنِسَ بي الصبيُّ ، واجترأ علي الخادمُ ، وكلَّمني من اهلي مَن يَهابُ كلامي لإلفِهم إيايَ ، وجلوسِهم عندي ، حتى لعلَّ العَنزَ أن تَبولَ علي فلا يقولُ لها أحدٌ : هُس .

جاء أعرابي أبا الاسودِ فقال له : السلامُ عليك . فقال : كلمةٌ مَقولةٌ . قال: أدخُلُ؟ قال : وراءَك اوسعُ لك . قال : إن الرَمضاء(٢) قد أحرقت رِجلي . قال : بُل عليها او ائتِ الجبلَ يَفيءُ عليك . قال: هل عندَك شيءٌ تُطعِمُنيه؟ قال : نَأكلُ ونُطعِمُ العيال ، فان فَضَل شيء فانت أحَقُّ به من الكلبِ . فقال الأعرابي ما رأيتُ ألأمَ منك .

قال معاتبا :

ومِنَ العطيَّةِ ما يعودُ غَرامةً ... وملامةً تبقى وَمَنّاً كاذِبا
وَبَلَوتُ اخبارَ الرجالِ وفِعلَهم ... فمُلِئتُ علما منهمُ وتَجارِبا
فاذا وَعدتُ الوعدَ كنتُ كغارِمٍ ... دَيْنا أُقِرُّ بِهِ وأُحضِرُ كاتِبا
واذا فعلتُ فعلتُ غيرَ مُحاسِبٍ ... وكفى بربِّك جازيا ومُحاسِبا

كان ابو الاسود يُحدِّثُ يوما معاويةَ فتحرَّكَ فضرط. فقال لمعاويةَ : استُرها علي . فقال : نعم . فلما خرج حَدَّثَ بها معاويةُ عَمْرَ بنَ العاصِ ومَروانَ بنَ الحَكَمِ . فلما غدا عليه ابو الاسودِ قال عمرو : ما فعلَت ضَرطَتُك بالامس ؟ قال : ذهبَت كما تذهب الريحُ مُقبِلَةً ومُدبِرةً من شيخٍ ألانَ الدهرُ أعصابَه ولَحمَه عن إمساكِها ، وكُلُّ أجوفَ ضَروطٌ . ثم أقبلَ على معاويةَ فقال : إن امرءًا ضَعُفَت أمانتُه عن كِتمانِ ضَرطةٍ ، لَحقيقٌ بألاَ يُؤمَّنَ على أمورِ المسلمين .

كان ابو الاسودِ أبخَرَ فسارَّ معاويةَ يوماً بشيء فأصغى إليه مُمسِكا بكُمِّه على أنفه فنحَّى ابو الاسودِ يدَه عن أنفِه وقال : لا ، واللهِ ، لا تَسودُ حتى تَصبِر على سِرار المشايخِ البُخر .

نظر عبدُ الرحمنِ بنُ ابي بَكرةَ الى ابي الاسود في حال رَثَّةٍ فبعث اليه بدنانيرَ وثيابٍ ، وسأله ان يَنبسِط اليه في حوائجِه ويستمنِحَه اذا أضاق . فقال يمدحُه :

لقد أبقى لنا الحَدَثانُ منه ... اخا ثِقَةٍ منافِعُه كثيرَه
قريبَ الخيرِ سهلاً غيرَ وَعرٍ ... وبعضُ الخيرِ تَمنعُه الوُعورَه

(١) استنشي : أشم . (٢) الرمضاء شدة حر الرمل ، وغلواء القيظ .

لَعَمرُك ما حباك اللهُ نفسا بها جَشَعٌ ولا نفسا شَرِيرَه (١)
كأنا اذ اتيناه نزَلنا بجانبِ روضةٍ رَيّا مَطيرَه

وقال ابو الاسود لابنه ابي حَرب :

وأحبِب اذا أحببتَ حبًّا مُقارِباً فإنك لا تَدري متى انتَ نازِعُ
وأبغِض اذا أبغضتَ بُغضًا مُقارِباً فإنك لا تَدري متى انت راجِعُ

وقد ورد له خبر مع عمر بن أبي ربيعة صفحة ١٤

ابو الطمحان القيني

اسمه حنظلةُ بنُ الشَرقِيِّ أحدُ بني القَينِ، من قُضاعةَ . كان شاعرا فارسا خاربا (٢) صُعلوكا . وهو من المخضرَمين . ادرك الجاهلية والاسلام ، وكان تِرباً للزبير بنِ عبدِ المطّلِب في الجاهلية ونديما له.

عاتبت ابا الطمحانِ امرأتُه في غاراته ومخاطرته بنفسه ، وكان لِصًّا خبيثا ، واكثرت لومَه على ركوب الاهوال فقال لها :

لو كنتُ في رَيمانَ (٣) تَحرُسُ بابَه أراجيلُ أحبوشٌ وأَغضَفُ آلِفُ (٤)
اذًا لأتتني حيثُ كنتُ منيتي يَخُبُّ بها هادٍ بأمريَ قائِفُ (٥)

وقال يمدح بُجَيرَ بنَ أوسٍ الطائيَّ :

اضاءت لهم احسابُهم ووجوهُهُم دُجى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزعَ (٦) ثاقِبُهْ
لهم مجلِسٌ لا يَحصَرون (٧) عن النَدى اذا مَطلَبُ المعروفِ أجدبَ راكِبُهْ
وما زال منهم حيث كانوا مُسَوَّدٌ تسير المنايا حيث سارت كتائِبُهْ

---

(١) شريرة : ذات شر . (٢) خارب : لص الإبل ثم عم بمعنى اللص مطلقاً. (٣) حصن في اليمن . (٤) أراجيل: جمع ارجال ، جمع راجل عكس الفارس. أحبوش : جماعة الحبش . أغضف الكلب المسترخي الأذن . الآلف : المستأنس يحرس ولا يفارق. (٥) يخب : يسير بها خببا وهو ضرب من السير السريع . الهادي بالأمر : العارف به . القائف : متتبع الآثار . (٦) الخرز فيه سواد أو بياض وهو يختلط على ناظم العقد في الظلام . (٧) يحصرون : يبخلون .

جنى ابو الطمحان جناية وطلبه السلطان فهرب من بلاده ولجأ الى بني فزارة فنزل على رجل منهم يقال له مالك بن سعد . فآواه وأجاره وضرب عليه بيتا وخلطه بنفسه . فقال يمدحه :

سأمدحُ مالكاً في كلِّ ركبٍ ... لقيتُهمُ وأتركُ كلَّ رَذْلِ
لقد عرفَت كلابُكُم ثيابي ... كأني منكمُ ونسيتُ أهلي

قال اسحاق :

دخلتُ يوما على المأمون فوجدتُه حائرا متفكرا غيرَ نشيطٍ ، فأخذتُ أحدِّثُه بمُلَحِ الاحاديثِ وطُرَفِها ، أستميلُه لأن يَضحكَ او ينشطَ ، فلم يفعل .

وخطر ببالي بيتان فانشدتُه اياهما ، وهما :

ألا علِّلاني قبلَ نَوحِ النوائحِ ... وقبلَ نُشوزِ[1] النفسِ بينَ الجوانحِ
وقبلَ غدٍ يا لهفَ نفسي على غدٍ ... اذا راح أصحابي ولستُ برائحِ

فتنبَّه كالمُتفزِّعِ ثم قال : مَن يقول هذا ، ويحك ؟ قلت : ابو الطمحانِ القَيني ، يا امير المؤمنين . قال : صدقَ ، والله ، أعِدهما عليَّ . فأعدتُهما حتى حفِظَهما . ثم دعا بالطعام فأكل ، ودعا بالشراب فشرب وأمر لي بعشرين الفَ درهمٍ .

ومن جيد شعره :

حنَتني حانياتُ الدهرِ حتى ... كأني خاتِلٌ أسعى لصيدِ[2]
قصيرُ الخطوِ يحسَبُ مَن يراني ، ... ولستُ مُقيَّدًا ، أني بقيدِ

(١) نشوز : جيشان الهلع . (٢) راجع الشرح في الصفحة ٦٤.

ارطاة بن سُهيّة

هو أرطاةُ بنُ زُفَرَ ابنِ ذُبيانَ ، وسُهَيّةُ امُّه ، سَبِيّةٌ من كلب ، كانت لضِرارِ بنِ الأزوَرِ ثم صارت الى زُفَرَ وهي حامِلٌ فجاءت بأرطاةَ من ضِرارٍ على فراش زُفَرَ . فلما ترعرع جاء ضِرارٌ الى الحارثِ بنِ عَوفٍ فقال له :

يا حارِ أَطلِق لي بُنَيَّ من زُفَرْ   في بعضِ مَن تُطلِقُ من أسرى مُضَرْ

فأعطاه الحارثُ اياه وقال : انطلِق بابنك . فادركَه نَهشَلٌ فانتزعه منه وردَّه الى زُفَر . وفي تَصداقِ ذلك يقول ارطاةُ لبعض اولادِ زُفَر :

فاذا خَمِصتم قُلتُمُ يا عَمَّنا   واذا بَطِنتُم قلتُمُ ابنَ الأزورِ (١)

ولهذا غلَبَت امُه سُهَيّةُ على نسبه فنُسِب اليها . وضِرارُ بنُ الازورِ هذا قاتلُ مالكِ بنِ نُوَيرةَ الذي يقول فيه اخوه مُتَمِّم :

نِعمَ القتيلُ اذا الرياحُ تَناوحت   تحتَ البيوتِ،قُتِلتَ يا ابنَ الازورِ

وارطاةُ شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الاسلام المعدودين في دولة بني اميةَ لم يسبقها ولم يتأخر عنها . وكان امرَأً صِدقٍ شريفا في قومه جَوادا .

دخل ارطاةُ على عبد الملك بنِ مروانَ فقال له : كيف حالُك يا ارطاة ؟ — وقد كان أَسنَّ — قال : ضَعُفَت أوصالي ، وضاع مالي ، وقَلَّ مني ما كنتُ أُحِبُّ كثرتَه ، وكَثُرَ مني ما كنت احبُ قِلَّتَه . قال : فكيف انت في شعرك ؟ فقال : والله يا اميرَ المؤمنين ، ما أطرَبُ ولا أغضَبُ ولا أرغَبُ ولا أرهَب . وما يكون الشعرُ إلا من نتائجِ هذه الاربعِ ، على أني القائلُ :

رأيتُ المَرءَ تأكُلُه الليالي   كأكلِ الارضِ ساقِطةَ الحديدِ
وما تَبغي المنيّةُ حين تأتي   على نفسِ ابنِ آدمَ من مزيدِ
وأعلمُ أنها ستكُرُّ حتى   تُوَفّي نَذرَها بأبي الوليدِ

فارتاع عبدُ الملك ثم قال : بل تُوفّي نذرَها بك ، ويلَكَ مالي ولك ؟ فقال : لا تُرَع ، يا اميرَ

(١) أي : يا ابن الأزوري . وليته قال : واذا بطنتم قلتم يا أزوري .

المؤمنين ، فإنما عنَيتُ نفسي . ــ وكان ارطاةُ يُكنَى ابا الوليد ــ فسكن عبدُ الملك ، ثم استعبر باكيا وقال : اما والله على ذلك لتَتَلُمَنَّ بي .

وقال ارطاة يهجو شبيبَ بنَ البَرصاء وينفيه من عشيرته :

رمَتكَ فلم تُشوِ الفؤادَ جَنوبُ[1] ... وما كلُّ مَن يرمي الفؤادَ يُصيبُ
وما زوَّدَتنا[2] غيرَ أن خلطَت لنا ... أحاديثَ منها صادقٌ وكذوبُ
ألا مُبلِغٌ فِتيانَ قَومِيَ أنني ... هَجاني ابنُ برصاءِ اليدينِ شَبيبُ
وفي آلِ عَوفٍ من يَهودَ قبيلةٌ ... تَشابهَ منها ناشئون وشِيبُ
أبي كان خيرا من ابيك ولم يَزَل ... جَنيبا لآبائي وأنت جَنيبُ[3]
وما زِلتُ خيرًا منك مذ عَضَّ كارهاً ... برأسِك عاديُّ النِجادِ رَكوبُ[4]
فما ذنبُنا إن أمُّ حَمزَةَ جاورت ... بيَثربَ أتياسا لهن نَبيبُ[5]
فلو كُنتَ عَوفِيًّا عَميتَ وأسهلَت ... كُداكَ ولكنَّ المُريبَ مُريبُ[6]

ولمَّا قال ارطاةُ هذا الشعرَ في شبيبِ بنِ البرصاء كان كلُّ شيخٍ من بني عَوفٍ يتمنى أن يَعمى ــ وكان العمى شائعا في بني عَوفٍ ، كلما أسنَّ منهم رجل عَمِيَ ــ ومات ارطاةُ وعَمِيَ شبيبٌ ، فكان يقول : ليت ارطاةَ عاش حتى يراني أعمى فيعلَمَ بأني عَوفِي .

قال ارطاةُ بن سهية للربيع بنِ قَعنَبٍ :

لقد رأيتُك عُريانا ومؤتزِرًا ... فما عرفتُ أأنثى انتَ ام ذَكَرُ ؟

فقال له الربيع :

لكن سُهَيَّةُ تَدري اذ أتيتُكُمُ ... على عُرَيجاءَ لما احتَلَّتِ الأُزُرُ[7]

فغلبه الربيع .

تزوج عبدُ الرحمن بنُ سُهَيلِ بنِ عمرٍو امَّ هشامٍ بنتَ عبدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ الخطاب ، وكانت من اجملِ نِساء قريش ، وكان يَجِدُ بها وَجدا شديدا . فمَرِضَ مَرضتَه التي هَلَكَ فيها . فجعل يُديمُ النظرَ اليها وهي عندَ رأسه . فقالت له : إنك تنظُر الي نظرَ رجلٍ له حاجةٌ . قال : إي والله إن لي اليكِ حاجةً لو ظفرتُ بها لهان علي ما انا فيه . قالت : وما هي ؟ قال : اخافُ أن تتزوجي بعدي . قالت : فما يُرضيك من ذلك ؟ قال : ان تُوثِّقي لي بالأيمان المُغلَّظَة . فحلفت

(١) لم تشو : لم تصب الشوى ، وهو كل ما كان في غير مقتل من الأعضاء . وجنوب : اسم امرأة . (٢) زودت بمعنى سمحت بتقبيلها . (٣) المنقاد . (٤) عادي : قديم . النجاد : جمع نجد وهو الطريق . ركوب : المركوب . يريد ان يقول انه خير منه منذ خرج من بطن أمه . (٥) صوت التيس عند الهياج . (٦) كدى : الارض الغليظة . يقول : لو كنت عوفيا مثل كثيرين منهم عميت ولسهلت ارضك الغليظة ، ولكن في أصلك ريبة . (٧) عريجاء : موضع . احتلت اي انحلت . الازر : جمع إزار .

له بكل يمين سكنت اليها نفسُه . ثم هَلَك . فلما قضت عِدَّتَها (١) ، خطبها عُمرُ بنُ عبدِ العزيز — وهو اميرُ المدينة — فأرسلت اليه : ما أراك إلا وقد بلغتك يميني . فارسل اليها : لكِ مكانَ كلِ عبد وامة عبدان واقفان ، ومكانَ كلِ علقٍ (٢) علقان ، ومكانَ كلِ شيء ضعفُه . فتزوجته (٣) . فدخل عليها رجل من مَشْيَخةِ قريشٍ ، وكان مُغَفَّلا ، فلما رآها مع عمرَ جالسةً قال :

تبدَّلتِ بعدَ الخيزرانِ جريدةً ... وبعدَ ثيابِ الخزِّ أحلامَ نائمِ

فقال له عمر : جعلتَني ، ويلَك ، جريدةً واحلامَ نائم . فقالت امُّ هِشام : ليس كما قلتَ ، ولكن كما قال ارطاةُ بنُ سُهيَّةَ :

فكانت كذاتِ البَوِّ (٤) لما تعطَّفت ... على قِطَعٍ من شِلوهِ المتمزِّعِ
متى لا تَجِدْه تَنصرِفْ لِطِيَاتِها (٥) ... من الارض أو تَعمِدْ لإلفٍ فتَربَعِ

جعفر بن علبة الحارثي

يُكنَّى ابا عارم، شاعرٌ مُقِلٌ غَزِلٌ فارسٌ وهو من مخضرَمي الدولتين. وكان ابوه علبة شاعرا ايضا.

شرب جعفرٌ حتى سَكِر فأخذه السلطانُ فحبسه . فقال في حبسه :

لقد زعموا أني سَكِرتُ وربما ... يكون الفتى سَكرانَ وهو حليمُ
لَعمرُك ما بالسُّكر عارٌ على الفتى ... ولكنَّ عارا أن يُقال لئيمُ

كان جعفرُ بنُ عُلْبةَ يزور نِساءً من عُقَيلِ بنِ كعب ، فاخذته عُقَيلٌ فكشفوا دُبُرَ قميصه وربطوه الى جُمَّتِه وضربوه بالسِياط وكَتَّفوه ثم أقبلوا به على النِسوة اللائي كان يَتحدَّثُ اليهن على تلك الحالِ وجعلوا يَكشِفون عَورتَه بين ايدي النساء ويَضربونه ويُغرون به سُفَهاءَهم حتى شَفَوا انفسَهم منه ثم خَلَّوا سبيلَه . فلم تَمضِ إلا ايامٌ قليلة حتى عاد جعفرٌ ومعه صاحبان له فقتلوا من عُقَيلٍ رجلا وجرحوا آخرَ . فاستعدَت عليهم عُقَيلٌ عاملَ المنصور على مكةَ فأحضرهم وحبسهم. فأقاموا على جعفرٍ قَسامةً (٦) : أنه قتل صاحِبَهم ، فأقاد (٧) منه .

(١) عدتها : أشهر حدادها على زوجها المتوفى وهي أربعة أشهر وعشرة أيام . (٢) النفيس من كل شيء . (٣) لإبطال اليمين يجب تحرير عبيد واماء . (٤) البو : جلد ولد الناقة او البقرة اذا مات يحشى تبنا فيقرب من أمه فتعطف عليه فتدر.
(٥) طِيَات : اراد بها طِيّات، حذفت الشدة للشعر ، جمع طِيّة وهي القصد والغاية . (٦) أيمان تقسم على اولياء الدم .
(٧) القَوَد : القتل بالقتيل .

وقال جعفر في سجنه :

عجبتُ لمَسراها وأنّى تخلّصت إليّ وبابُ السِّجنِ بالقُفل مُغلَقُ
ألَمَّت فحيَّت ثم قامت فودَّعت فلما تَولَّت كادتِ النفسُ تَزهَقُ
فلا تحسَبي أني تخشَّعتُ بعدَكم لشيءٍ ولا أني من الموت أفرَقُ[1]
ولكن عَرَتني من هواكِ صَبابةٌ كما كنتُ القى منكِ اذ انا مُطلَقُ
فأما الهوى والوُدُّ مني فطامحٌ اليكِ وجُثماني بمكةَ مُوثَقُ

وقال :

ألا هَل الى فِتيانِ لهوٍ ولَذَّةٍ سَبيلٌ وتَهتافِ الحَمامِ المُطوَّقِ
وسَيري معَ الفِتيانِ كلَّ عشيَّةٍ أُباري مطاياهم بصَهباءَ سَيلقِ[2]
اذا كَلَحت[3] عن نابها مَجَّ شِدقُها لُغاماً[4] كَمُحِّ البَيضةِ المُتَرَقرِقِ

وقال عُلبَةُ لامرأته قبلَ أن يُقتَلَ جعفرٌ :

لَعمرُكِ إن الليلَ يا امَّ جعفرٍ عليَّ وإن علَّلتِني لَطويلُ

فأجابته :

أبا جعفرٍ أسلمتَ للقوم جعفراً فمُت كَمَدا أو عِش وأنتَ ذليلُ

وقيل ان بنتا ليحيى بن زيادٍ الحارثي حضرت الموسِمَ في ذلك العامِ لما قُتِل ، فكفَّنته وبكته وجميعُ مَن كان معَها من جواريها وجَعلن يَندُبنه بابياتِه التي قالها قبلَ قتلِه

أحقًّا عِبادَ اللهِ أن لستُ رائيا صَحاريَّ نجدٍ والرياحَ الذواريا

قيل : لما قُتل جعفرٌ قام نِساءُ الحيِّ يبكين عليه . وقام ابوه الى كلِّ ناقةٍ وشاةٍ فنحر اولادَها وألقاها بين ايديها وقال : إبكينَ معَنا على جعفر . فما زالت النوقُ تَرغو والشاءُ تَثغو والنِساء يَصِحن ويَبكين وهو يبكي معَهن . فما رُؤيَ يومٌ أوجَعَ وأحرقَ مأتماً في العرب من يومئذٍ .

(١) أخاف . (٢) ألا صهب والصهباء من الا بل : الذي يخالط بياضه حمرة . سيلق : الماضي في السير . (٣) كشرت .
(٤) زبد افواه الا بل . المح : صفار البيض .

العجير السلولي

شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الدولة الاموية .

قال عبدُ الملك لمؤدِّب ولده : اذا رَوَّيتَهم شعرا فلا تُروِّهم إلا مثلَ قولِ العُجَير السَّلولي :

يَبينُ الجارُ حيـنَ يبينُ عنـي ولم تَأنَس اليَّ كِلابُ جاري
وتَظعَنُ جارتي من جَنْبِ بيتـي ولم تُستَر بسترٍ من جِداري
وتَأمَنُ أن أُطالعَ حين آتـي عليها وهي واضِعةُ الخِمارِ
كذلك هَـديُ آبائـي قديمـاً تَوارَثَه النِجارُ عن النِجارِ (١)

عَرَضَ العجير لسليمانَ بن عبدِ الملك وهو في الطُّواف ، وهتف به فقال :

ودَلَّيتُ دلـوي في دِلاءٍ كثيـرةٍ اليك فكان الماءُ ريَّانَ مُعلَمـا (٢)

فوقف سليمان ثم قال : لله دَرُّه ما أفصحَه ، ما رَضِي أن قال ريَّانَ حتى قال مُعلَما . والله انه لَيُخيَّلُ الي أنه العُجَير ، وما رأيتُه قطُّ الا عندَ عبد الملك . فقيل له : هو العُجير . فأرسل اليه أن صِر إلينا اذا حَلَلنا . فصار اليه ، فأمر له بثلاثين الفاً وبصَدَقاتِ قومِه . فردَّها العجيرُ عليهم ووهبَها لهم .

نزل العُجيرُ بقوم فأكرموه وأطعموه وسَقَوه . فلما سَكِر قام الى جَمله فعَقَره وأخرج كَبِدَه وجَبَّ (٣) سَنامَه فجعل يَشوي ويأكُلُ ويُطعِمُ ويُغنِّي :

عَلِّلانـي إنما الدنيا عَلَـلْ واسقِياني عَلَلاً بعد نَهَـلْ (٤)
وانشُلا لي اللحمَ من قِدرَيكمـا واصبَحاني أبعَدَ اللـهُ الجَمَـلْ
أَصحَبُ الصاحبَ ما صَاحَبنـي وأَكُفُّ اللومَ عنه والعَـذَلْ

فلما أفاقَ سأل عن جمله فأُخبِر ما صنع به . فجعل يبكي ويصيح : واغُربَتاه ، وهم يَضحَكون منه ، ثم أعطَوه جملا وزَوَّدوه ، وانصرف .

---

(١) الاصل والنسب . (٢) ريان : كثير . معلما : فيه علامة . اراد انه مشهور معروف . (٣) جب : قطع
(٤) النهل : الشرب الاول . والعلل : الشرب الثاني .

المغيرة بن حبناء

حَبناءُ لقبٌ غلب على ابيه لِحَبَنٍ (١) كان أصابه ، وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية . ابوه شاعر واخوه صخر شاعر .

قَدِم المغيرةُ بنُ حَبناء على طَلحةِ الطلحاتِ فأنشده :

لقد كنتُ أَسعى في هــواك وأبتغــي رِضاكَ وارجو منكَ ما لست لاقيا
وأَبذُل نفســي في مَواطنَ غيرُهــا أَحَبُّ وأَعصي في هواكَ الأدانيــا
أُراني اذا استمطــرتُ منك رغيبــةً لِتُمطِرَني عادت عَجاجاً وسافيا (٢)
وأدليتُ دَلــوى في دِلاءٍ كثيــرةٍ فأُبنَ (٣) مِلاءً غيرَ دَلوي كما هيا
فان تَدنُ مني تَدنُ منــك مودَّتــي وإن تَنأَ عني تُلفِني عنك نائيا

فأمر طلحةُ خازنه فأخرج دُرجاً فيه حِجارةُ ياقوت ، فقال له : إختَر حَجَرين من هذه الاحجارِ او اربعين الفَ درهمٍ . فقال : ما كنتُ لأختارَ حِجارةً على اربعين الفَ درهمٍ . فأمر له بالمال . فلما قبضه سأله حجرا منها . فوهب له . فباعَه بعشرينَ الفَ درهمٍ .

عَيَّر زيادٌ الاعجمُ المُغيرةَ بنَ حَبناءَ في مجلس المهلَّبِ بالبَرَصِ . فقال له المُغيرةُ : ان عِتاقَ الخيلِ لا تَشينُها الأوضاحُ (٤) . ثم نشب بينهما الهِجاء .

كان المغيرة يوما يأكُل مع الفضل بنِ المُهَلَّبِ ، فقال له الفضلُ :

فلم أرَ مثلَ الحنظَليِّ ولونِــــه أكيلَ كِرامٍ او جليسَ أميـــرِ

فرفع المُغيرةُ يدَه وقام مُغضَباً ثم قال له :

إني امرُؤٌ حَنظَلِــيٌّ حين تَنسبُنُــي لامِ العتيكِ ولا أخواليَ العَوَقُ (٥)
لا تَحسَبَنَّ بَياضــا فيَّ مَنقصَــةً إن اللهاميمَ (٦) في ألوانها بَلَــقُ

وبلغ المهلَّب ما جرى فتناول المفضَّلَ بلسانه وشَتَمه وقال : اردتَ أن يَتمضَّغَ هذا أعراضَنا .

(١) ورم في البطن. (٢) الرغيبة : الشيء المرغوب . عجاج : غبار . السافي: الريح التي تحمل الغبار وتسفيه ، أي تذريه.
(٣) آب : عاد . (٤) جمع وضح : البياض والتحجيل في قوائم الخيل . (٥) أي لا من . عتيك وعوق قبيلتان .
(٦) جمع لهموم : الفرس الجواد .

ما حملَك على ان أسمعتَه ما كَرِهَ بعد مُواكلتِك إياه ؟ أما إن كنتَ تَعافُه فاجتنبه اولا تُؤذِه .

ثم بعث اليه بعشرةِ آلافِ درهمٍ واستصفحَه عن الفضلِ ، واعتذر اليه عنه . فقَبِل رِفدَه وانقطع بعدَ ذلك عن مُؤاكلةِ احدٍ منهم .

وقال يَهجو زيادًا الاعجمَ :

أزيادُ إنك والذي انـا عبـدُه ... ما دونَ آدمَ من أبٍ لك يُعلَمُ
تَهجو الكِرامَ وانت ألأمُ مَن مشى ... حَسَبًا وانت العِلجُ حينَ تَكَلَّمُ[١]

وقال فيه :

ومالَك اصلٌ يا زيـادُ تَعُـدُّه ... ومالَك في الارضِ العريضةِ والـدُ
الم ترَ عبدَ القيسِ منك تَبـرَّأت ... فلاقيتَ ما لم يَلقَ في الناس واحدُ
فأصبحتَ عِلجاً من يَزُرك ومن يَـزُر ... بناتِك يَعلَم أنهن ولائِدُ[٢]

كان المُغيرةُ ابرصَ ، واخوه صخرٌ اعورَ ، واخوه الآخَرُ مَجذوما ، وكان بأبيهم حَبَنٌ فلُقِّب حَبناءَ ، واسمُه جُبيرُ بنُ عمرٍو . فقال زيادٌ الاعجمُ يَهجوهم :

إن حَبناءَ كان يُدعـى جُبَيـرا ... فدَعَوه من لُؤمه حَبنـاءَ
وُلِد العُورُ منه والبُـرصُ والجَـذ ... مَى وذُو الداءِ يُنتِجُ الأدواءَ[٣]

وبلغ هذا الشعرُ المُغيرةَ فقال : ما ذنبُنا فيما ذكرَه ، هذه ادواءٌ ابتلانا اللهُ عزَّ وجل بها . واني لأرجو ان يَجمعَ اللهُ عليه هذه الادواءَ كلَّها . فبلغ زيادا قولَه وأنه ما أجابه بشيء فأمسَك عنه وتكافاً .

قال الاصمعي : لم يَقُل احدٌ في تفضيل اخٍ على اخيه وهُما لاب وام ، مثلَ قولِ المغيرةِ لاخيه صخرٍ :

ابوك ابي وانـت اخي ولكـن ... تفاضلَتِ الطبائـعُ والظُـروفُ
وامُّك حينَ تُنسَبُ امٌّ صِـدقٍ ... ولكنَّ ابنَها طَبِـعٌ سَخيفُ[٤]

---

(١) تتكلم . (٢) الوليدة : الجارية . (٣) الجذمى جمع أجذم : المقطوع اليد او الأنامل . (٤) طبع : دنيء الخلق . سخيف : قليل العقل .

سويد اليشكري

يُكنى سُويدٌ أبا سعد . شاعرٌ متقدِّم من مُخضرَمي الجاهلية والاسلام.

كان ابوه ابو كاهلٍ شاعرا . وامُ سويد كانت من بني غُبَر . وكانت قبلَ ابي كاهلٍ عندَ رجل من بني ذُبيان ، فمات عنها فتزوَّجها ابو كاهل وكانت حاملا ، فاستلاط [١] ابو كاملٍ ابنَها لما ولدته ، وسمّاه سُويدا واستخلفه . فكان سويدٌ اذا غَضِب على بني يَشكُرَ ادّعى الى بني ذُبيان .

وفي بني يَشكُرَ يقول زيادٌ الأعجمُ :

إذا يَشكُريٌّ مسَّ ثوبَكَ ثوبُه فلا تَذكُرَنَّ اللهَ حتى تَطَهَّرا [٢]
فلو انَّ مِن لُؤمٍ تموتُ قبيلةٌ اذاً لأماتَ اللؤمُ لا شكَّ يَشكُرا

ومن جيِّد شعرِ سُويدٍ :

بسَطَت رابعةُ الحبلَ لنا فوصَلنا الحبلَ منها ما اتَّسَعْ
كيف تَرجُون سِقاطي بعدَما جلَّلَ الراسَ بَياضٌ وصَلَعْ
رُبَّ مَن أنضجتُ غيظاً صدرَه قد تمنَّى لِيَ موتا لم يُطَعْ
ويَراني كالشَّجا في حَلقِه عَسِرًا مَخرجُه ما يُنتَزَعْ
ويُحَيِّيني اذا لاقيتُه واذا أُمكِنَ من لحمي رَتَعْ
وابيتُ الليلَ ما أهجَعُه وبعينَيَّ اذا النجمُ طَلَعْ

قرأ الاصمعي قصيدةَ سويدٍ هذه ففضَّلها . وكانت العرب تُقدِّمُها وتَعُدُّها من حِكمها ، وكانت في الجاهلية تسمى اليتيمة .

(١) ادعى ولدا ليس منه . (٢) أي : تتطهرا .

العتّابي

هو كُلثومُ بنُ عُمرو ابنِ عتّابِ ابنِ تغلبَ. شاعرٌ مترسّلٌ (١) بليغ مطبوع متصرِّف في فُنون الشعر ومقدَّم، من شعراء الدولة العباسية، ومنصورُ النَّمريُّ تلميذُه وراويتُه. كان منقطعا الى البرامكةِ فوصفوه للرشيدِ ووصلُوه به فبلغ عنده كلَّ مبلغٍ وعظُمت فوائدُه منه.

وَجِدَ (٢) الرشيدُ على العتّابي، فدخل سِرًّا مع المتظلّمين بغير إذنٍ فمثَل بين يدَي الرشيدِ وقال له:

أَخضني المَقامَ الغَمرَ إن كان غرَّني ... سَنا خُلّبٍ او زلّتِ القَدَمان (٣)
أتتركُني جَدبَ المعيشةِ مُقتِراً ... وكفّاك من ماء الندى تكفان (٤)
وتجعلُني سهمَ المطامعِ بعدما ... بلَلتَ يميني بالندى ولساني

فأعجبَ الرشيدَ قولُه. وخرج وعليه الخلعُ وقد امر له بجائزة.

عتِب الرشيدُ على العتّابي ايامَ الوليدِ بنِ طريفٍ فقطع عنه اشياءَ كان عوَّده اياها فأتاه مُتنصِّلا بهذه القصيدة:

ماذا شجاكَ بحُوّارينَ (٥) من طَلَلٍ ... ودِمنةٍ كشَفَت عنها الأعاصيرُ
في ناظريَّ انقباضٌ عن جفُونهما ... وفي الجفون عن الآماق (٦) تقصيرُ
لو كنتِ تدرين ما شوقي اذا جعَلت ... تنأى بنا وبكِ الاوطانُ والدُورُ
إذِ الركائبُ مَخسوفٌ نواظرُها ... كما تضمّنتِ الدُهنَ القواريرُ (٧)
مُستنبِطٌ عزَماتِ القلبِ من فِكَرٍ ... ما بينهن وبينَ اللهِ معمورُ
فُتَّ المدائحَ إلا أن انفُسَنا ... مستنطَقاتٌ بما تحوي الضمائرُ (٨)
ماذا عسى مادحٌ يُثني عليك وقد ... ناداك في الوَحي تقديسٌ وتطهيرُ

---

(١) مترسل : غير متكلف متصنع، من قولهم : ترسل الكاتب : درج فيه مرسلا من غير تقييد . (٢) وجد : غضب . (٣) الغمر : الماء الكثير . سنا خلب . : ضوء البرق الكاذب الذي لا يعقبه مطر . (٤) تقطران . (٥) قرية من قرى حلب . (٦) الآماق : جمع أمق أي طرف العين الذي يلي الأنف ؛ وهو ما يسمى المؤق . (٧) القوارير : جمع قارورة وهي وعاء زجاجي يحفظ فيه الطيب أو السوائل . والتشبيه بالغ الطرافة ، فنواظر الركائب بدت كأوعية زجاجية جامدة يبرق فيها دهن الطيوب . (٨) الضمائير : الضمائر واشبعت الكسرة ياء للضرورة .

فرضيَ عنه وردَّ ارزاقه ووصَله .

كلَّم العتَّابيُّ يحيى بنَ خالد في حاجة بكلمات قليلة . فقال له يحيى : لقد نَدَر كلامُك اليومَ وقلَّ . فقال له : وكيف لا يقِلُّ وقد تكنَّفَني ذُلُّ المَسألة ، وحَيرةُ الطلَب ، وخوفُ الردِّ . فقال : واللهِ لئن قَلَّ كلامُك لقد كثُرت فوائدُه . وقضى حاجته .

قال عثمان الورَّاق : رأيتُ العتَّابيَّ يأكلُ خبُزا على الطريق بباب الشام . فقلت له : ويحَك أما تستحي؟ فقال لي: أرأيتَ لو كنا في وادٍ فيها بقرٌ، كنتَ تستحي وتحتشمُ أن تأكلَ وهي تَراك؟ قلت : لا . قال: فاصبِر حتى أُعلِمَك أنهم بقرٌ. فقام فوعظ وقَصَّ ودعا حتى كثُر الزِحامُ عليه . ثم قال لهم: رَوى لنا غيرُ واحد ، أنه مَن بلغَ لسانُه أرنبَةَ أنفِه لم يَدخُلِ النارَ. فما بقي واحدٌ إلا وأخرجَ لسانَه يُومِيءُ به نحوَ أرنبةِ أنفِه (كما تفعل البقر) ويُقدِّرُه حتى يَبلُغَها ام لا . فلما تَفرَّقوا قال لي : ألم أُخبِرك أنهم بقر ؟

لما سَعى منصورٌ النَمريُّ بالعتابي الى الرشيد اغتاظ عليه، فطلبه . فستَره جعفرُ بنُ يَحيى عنه مُدَّةً ، وجعل يَستعطِفُه عليه حتى استلَّ ما في نفسه ، وأمَّنه . فقال يَمدح جعفرا :

ما زِلتُ في غَمَراتِ المـوتِ مُطَّرَحـا قد ضاق عني فسيحُ الارضِ من حيَلي
ولم تَزَل دائبا تَسعى بلُطفك لـي حتى اختلستَ حياتي من يدَي أجَلي

أنكرَ العتابي على صديق له شيئاً فكتب اليه : إما إن تُقِرَّ بذنبك فيكونُ إقرارُك حجَّةً علينا في العفو عنك، وإلا فطِب نفسا بالانتصافِ منك ، فان الشاعر يقول :

أقرِر بذنبك ثُمَّ اطلُـب تَجاوُزَنـا عنه فإن جحودَ الذنبِ ذنبـانِ

وقيل : انه قال له وقد اعتذر اليه : اني إن لم اقبل عُذرَك لكنتُ ألأمَ منك ، وقد قَبِلتُ عُذرَك . فدُم على لومِ نفسِك في حياتك تَزِد في قَبولِ عُذرِك .

قيل للعتابي : لو تزوَّجتَ . فقال : اني وجدتُ مُكابَدَةَ العفَّةِ أيسرَ علي من الإحتيال لمصلحة العيال .

كتب المأمون في اشخاص كُلثوم العتابي ، فلما دخل عليه قال له : يا كلثوم ، بلغَتني وفاتُك فساءتني ثم بلغتني وِفادتُك فسرَّتني . فقال له العتَّابي : يا امير المؤمنين ، لو قُسِمَت هاتان الكلمتان على اهلِ الارضِ لَوَسِعتاها فضلا وإنعاما . وقد خصصتَني منهما بما لا يَتَّسِع له أُمنيَّةٌ، ولا يُبسَطُ لسواه أمَلٌ ، لانه لا دِينَ إلا بك ولا دُنيا الا معك . فقال له : سَلني . فقال : يَدُك بالعطاء أطلقُ من لساني بالسؤال. فوصَله صِلاتٍ سنيَّةً وبلغ به من التقديم والاكرامِ أعلى مَحلٍّ .

قال جعفر ابن المفضل: رأيت العتَّابي جالسا بين يدى المأمون وقد أسنَّ . فلما اراد القيامَ قام المأمونُ فأخذ بيده ، واعتمدَ الشيخُ على المأمون ، فما زال يُنهِضُهُ رويدا حتى أقلَّه فنهض . فعجبتُ من ذلك . وقلت لبعض الخدَم : ما أسوأَ أدبَ هذا الشيخِ فمَن هو ؟ قال : العتَّابي .

قال دِعبلٌ : ما حَسدتُ احداً قطُّ على شعر كما حسدتُ العتابيَّ على قوله :

هيبةُ الاخـــوان قاطِعـــــةٌ لأخي الحاجاتِ عن طَلَبِـــهْ
فاذا ما هِبــتُ ذا أمَـــلٍ مات ما أمَّلْتُ من سَبَبِه[1]

فقال ابنُ مَهرَوَيه : هذا سَرَقه العتابيُّ من قولِ عليٍّ بنِ ابي طالب :

« الهيبةُ مقرونةٌ بالخيبة . والحَياءُ مقرونٌ بالحِرمانِ ، والفُرصةُ تمرُّ مَرَّ السَّحاب » .

قال طوقُ بنُ مالكٍ للعَتابي : اما ترى عشيرتك ، – يعني بني تغلب – كيف تُدِلُّ علي ، وتَتَمرَّغُ وتَستطيلُ وانا أصبِرُ عليهم ؟ فقال العتابي : ايُّها الاميرُ ، إن عشيرتَك مَن أحسَنَ عِشرتَك . وإن عَمَّك مَن عَمَّك خيرُه ، وإن قريبَك من قَرُبَ منك نَفعُه ، وإن أخَفَّ الناسِ عندَك اخفُّهم ثِقلا عليك ، وانا الذي اقول :

اني بَلَوتُ الناسَ في حالاتِهِـــم وخَبَرتُ ما وَصَلوا من الأسبـــابِ
فاذا القرابةُ لا تُقرِّبُ قاطعـــا واذا المَودَّةُ أقرَبُ الأنســـابِ

منصور النمري

كان منصورٌ شاعراً من شعراء الدولة العباسية من اهل الجزيرة ، وهو تلميذُ كُلثومٍ العَتَّابيِّ وراويتُهُ وعنه اخذ ومن بحره استقى وبمذهبه تَشبَّه . عرَف مذهبَ الرشيدِ في الشعر وإرادتَه ان يَصِلَ مدحَه اياه بنَفيِ الإمامةِ عن ولد عليٍّ بن ابي طالب والطعنِ عليهم ، وعلِمَ مَغزاه في ذلك مما كان يَبلُغه من تقديم مروانَ بنِ ابي حفصةَ وتفضيلِه اياه على الشعراء في الجوائز ، فسَلَك مذهبَ مروانَ ونحا نحوَه ولم يُصرِّح بالهجاء والسَّبِّ كما كان يَفعلُ مروانُ ولكنَّه حامَ ولم يَقَع وأومأ ولم يَحقِّق . لانه كان يَتشيَّع .

قدم منصورٌ على الرشيد ، وكان مسكنُه بالشام ، وصادف دخولُه اليه يومَ نوبةِ مروانَ . وكان مروانُ يقول قبلَ قدومِه : هذا شاميٌّ ، أفتَراه يكون أشعرَ مني . واستنشد الرشيدُ منصوراً فأنشده :

اميـــرَ المؤمنيـــنَ اليك خُضنـــا غِمارَ الهَــولِ من بلدٍ شَطيرِ[2]

(١) من وسيلته ومودته . (٢) بعيد .

بخُوصٍ(١) كالأهلَّةِ خافقاتٍ تَلينُ على السُّرى وعلى الهَجيرِ
حَمَلْنَ اليك أحمالا ثِقالا ومثلَ الصَّخرِ والدُّرِّ النَّثيرِ(٢)
فقد وَقفَ المديحُ بمنتهاه وغايتِه وصارَ الى المَصيرِ
الى مَن لا يُشيرُ الى سِواه اذا ذُكِرَ النَّدى كفُّ المُشيرِ

فقال مروان : وَدِدتُ واللهِ أنه أخذ جائزتي وسكَتَ .

ثم قال :

يُذَلِّلُ مَن رِقاب بني عليٍّ وَمَنٌّ ليس بالمَنِّ الصغيرِ
مَننتَ على ابن عبدالله يحيى وكان من الُحتوفِ(٣) على شَفيرِ
فان شَكَروا فقد أنعمتَ فيهم وإلا فالندامةُ للكَفورِ
وإن قالوا بنو بنتٍ فحقٌّ ورُدُّوا ما يُناسِبُ للذُّكورِ
وما لبني بناتٍ من تُراثٍ معَ الاعمامِ في وَرَقِ الزَّبورِ(٣)

وكان الرشيد يَبتسمُ ، ويأخذُ على(٥) بطنه ، ثم قال لمروانَ : أنشِد ، فأنشَد :

خلُّوا الطريقَ لمَعشرٍ عاداتُهم حَطمُ المناكِبِ كلَّ يومِ زِحامِ

وخرجت الجائزتان فأُعطي مروانُ مئةَ الفٍ والنَّمريُّ سبعين ألفاً، وقال: انتَ مريدٌ في وَلدِ عليٍّ .

قال محمدٌ الراويةُ ، المعروف بالبَيدق، وكان أحسنَ خلقِ الله إنشاداً، وكان قصيراً فلُقِّب بالبيدق : دخلتُ على الرشيد وعنده الفضلُ بنُ الربيع ويزيدُ بنُ مَزيَد ، وبينَ يَديه خِوانٌ لطيفٌ عليه جَدْيانِ ورُغفانُ سَميدٍ ودَجاجتان . فقال لي : أنشِدني . فأنشدتُه قصيدةَ النَّمري العينيَّةَ :

ما تَنقضي حَسرةٌ مني ولا جزَعٌ اذا ذَكرتُ شباباً ليس يُرتَجَعُ
بان الشبابُ وفاتَتني بلذَّتِه صُروفُ دهرٍ وايامٌ لها خُدَعُ
ما كنتُ أوفي شبابي كُنهَ غِرَّتِه حتى انقضى فاذا الدُّنيا له تَبَعُ

فلما بلغت الى قوله :

ايُّ امرِئٍ بات من هارونَ في سَخَطٍ فليس بالصَّلَواتِ الخَمسِ يَنتفعُ
ان المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلَّكَ اللهُ منها حيث تَجتمعُ

(١) جمع خَوصاء : الناقة الغائرة العين . (٢) اراد ان شعره كالصخر والدر المنثور . (٣) الحتوف . الهلاك . شفير كل شيء : حرفه . (٤) الزبور : يقصد به هنا الكتاب ويعني القرآن ، لا صحف داود التي اشتهرت بهذا الاسم عند الاطلاق ، وهي المعروفة بالمزامير . (٥) يأخذ على بطنه : تعبير كنائي يعني يمسك نفسه عن ان يهتز طرباً فيقهقه .

اذا رَفعتَ امـــرءًا فاللهُ يَرفَعُـــه ومَن وضَعتَ من الاقوام مُتَّضِعُ
إن أخلَفَ الغيثُ لم تُخلِف مَخايِلُه او ضاق امرٌ ذكرناهُ فيتَّسِعُ

فرمى بالخِوان بين يديه وصاح وقال : هذا والله اطيبُ من كلِّ طَعامٍ وكلِّ شيء . وبعث اليه بسبعةِ الافِ دينارٍ؛ ولم يُعطِني منها ما يُرضيني ، فأغضبني . فأنشدت هارون قوله في العلويين :

شاهٌ منَ الناسِ راتِـعٌ هـــامِـــلْ يُعلِّلــون النفوسَ بالبـــاطِـــلْ

ثم يقول :

إلا مساعيرَ يَغضَبـــــون لهـــا بسَلَّةِ البيضِ والقنـــا الذابِلْ

فغضب غضبا شديداً وقال للفضل بنِ الربيع : أَحضِره الساعةَ . فبعث الفضلُ في ذلك فوجدوه قد تُوفِّيَ . فأمر بنبشه ليُحرِقَه . فلم يزل الفضلُ يَلطُفُ له حتى كَفَّ عنه .

عبد الله بن الحجاج

كان عبدُ الله بنُ الحجّاجِ الثعلَبِيُّ شاعراً فاتِكاً[١] شُجاعاً من معدودي فُرسان مُضَرَ ذوي البأسِ والنَّجدةِ فيهم وصُعلوكاً من صعاليكِ العرب، مُتسرِّعاً الى الفِتَن. وكان ممَّن خرج مع عمرِو بنِ العاص . فلما ظَفِر به عبدُ الملك هَرَب الى ابنِ الزُبيرِ فكان معه حتى قُتِل. ثم احتال حتى دخل على عبد الملك وهو يُطعِمُ الناسَ فدخلَ حُجرةً فقال له: مالَك يا هذا لا تَأكُل ؟ قال : لا استَحِلُّ أن آكُلَ حتى تَأذَنَ لي . قال : إني قد أذِنتُ للناس جميعاً . قال : لم أعلَم فآكُلَ بأمرك . قال : كُل . فاكلَ ، وعبدُ الملك ينظُرُ اليه ويَعجَب من فِعاله . فلما اكل الناسُ وجلس عبدُ الملك في مجلسه ، وجلس خَواصُّه بين يديه وتفرَّق الناسُ، جاء عبدُ الله بنُ الحجاج فوقف بين يديه ثم استأذنه بالإنشاد فأذِن له ، فأنشدَه :

أبلِــــغ اميـــرَ المؤمنيـــن فإننـــي مما لَقِيـــتُ منَ الحَوادث مُوجَعُ
مُنِـعَ القَرارَ فجِئتُ نحوَك هـــارِبـــا جَيشٌ يَجُـــرُّ ومِقنَبٌ يتلمَّعُ[٢]

(١) فاتك : الذي يفعل ما يحلو له بدون مبالاة . (٢) مقنب من الخيل : بين الثلاثين والاربعين تجتمع للغارة . يتلمع : يبرق بما فيه من السيوف .

فقال عبدُ الملك : وما خوفُك ، لا امَّ لك ، لولا أنك مُريبٌ . فقال عبد الله :

إن البِلادَ عليَّ وهـــي عريضــــةٌ وَعَرت مذاهِبُها وسُدَّ المَطلَعُ

فقال له عبدُ الملك : ذلك بما كَسَبَت يداك . فقال عبدُ الله :

إن الذي يَعصيك منَّــا بعـدَهـــا من دينــه وحياتِــه مُتَوَدِّعُ
آتي رِضاك ولا اعـــودُ لمثلِهـــا وأُطيع أمرَك مـــا أمرتَ وأسمَعُ

فقال عبدُ الملك : اذا عُرِفَت الحَوبَةُ[1] قَبِلنا التوبةَ . فقال عبدُ الله :

ولقد وَطِئتَ بنـــي سَعيدٍ وطــأةً وابنَ الزُبيرِ فعرشُه مُتضعضِعُ

فقال عبدُ الملك : لله الحمدُ والمِنَّةُ على ذلك . فقال عبدُ الله :

مـــا زلتَ تَضرِبُ مَنكِبًا عن مَنكِبٍ تَعلو ويَسفُلُ غيرُكم ما يُرفَعُ
بيتٌ ابو العاصي بنـــاه برَبـــوةٍ عالي المَشارِفِ عِـزُّه ما يُدفَعُ

فقال له عبدُ الملك : إن تَوريتَك عن نفسك لَتُريبُني ، فأيُّ الفَسَقَةِ[2] انتَ ؟ وماذا تُريد ؟ قال :

فارحَم أُصَيبِيَتي ، هُديتَ ، فانَّهـــم حَجَلٌ تَدَرَّجُ بالشَرَبَّةِ جُوَّعُ[3]
مالٌ لهم مما يُضَـنُّ جمعتُـــهُ يومَ القَليبِ فَحيزَ عنهم أجمَعُ[4]

فقال له عبدُ الملك : لعلَّك اخذتَه من غير حِلِّه وانفقتَه في غير حَقِّه . فقال :

أدنو لِتَرحَمَني وتَجبُـــرَ فاقتـــي فأراكَ تَدفعُني فأينَ المَدفَعُ

فتبسَّم عبدُ الملك وقال له : الى النار ، فمَن انت ؟ قال : انا عبدُ الله بنُ الحجاجِ الثعلبي ، وقد وطِئتُ دارَك ، وأكلتُ طَعامَك ، وانشدتُك ، فان قتلتَني بعدَ ذلك فانتَ وما تَراه ، ثم نشدَه :

ضاقت ثِيابُ المُلبِسيـــن وفَضلُهـم عني فألبِسني فثَوبُك أوسَـعُ

فنبذ عبدُ الملك اليه رداءً كان على كَتِفه وقال : إلبَسه ، لا لَبِستَ . فالتحَفَ به . ثم قال عبدُ الملك أولى[5] لك ، والله ، لقد طاولتُك طَمَعاً في أن يقومَ بعضُ هؤلاء فيَقتُلَكَ ، فأبى اللهُ ذلك ، فلا تُجاوِرني في بلدٍ ، وانصرف آمِنا ، وقُم حيثُ شِئتَ .

وكتب عبدُ الملك الى الحَجاج بن يوسُفَ : إني قد عرَفتُ من خُبثِ عبدِ الله وفِسقِه ما لا يَزيدني عِلماً به . إلا انه اغتَفَلني مُتَنَكِّرًا فدخل داري ، وتَحرَّم بطَعامي ، واستكساني فكسوتُه

---

(١) الذنب . (٢) جمع فاسق : الخارج عن طريق الحق . (٣) أصيبية : تصغير أصبية جمع صبي . الشربة : بلد في نجد . (٤) حيز عنهم : انتزع من حوزتهم وحيل بينهم وبينه . (٥) أولى لك : كلمة تحذير تعني الأجدر بك هذا والا وقعت في الشر .

من ثيابي ، وأعاذَني فأعذتُه ، وفي دون هذا ما حَظَر علي دَمَه ، وعبدُ الله اقلُّ واذلُّ من أن يُوقِعَ امرا ، او يَنكُثَ عهدا . فإن شَكَر النعمةَ وأقام على الطاعة فلا سبيلَ عليه ، وان كَفَر ما أُوتي وشاقَّ اللهَ ، فاللهُ قاتِلُه بسيف البَغي الذي قُتل به نُظَراؤُه ومَن هو اشدُّ بأساً وشَكيمةً منه ، فلا تَعرِض له ولا لأحدٍ من اهلِ بيتِه إلا بخير ، والسلام .

ناهض بن ثومة

هو شاعر بدوي فارس فصيح ، من شعراء الدولة العباسية . كان يَقدَم البصرة فيُكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللغة . وكان يهجوه رجل من بني الحارث بن كعب ، يقال له : نافع بن أشقر الحارثي ، فأثرى[1] عليه ناهض . ومما قاله في جواب قصيدة هجا بها نافعٌ قبائلَ قيس :

الا يـا اسلَما يا أيُّهـا الطلـلانِ وهل سالـمٌ باقٍ على الحَدَثانِ
نظرتُ ودوني قيـدُ رُمحيـن نظـرةً بعينين انسانـاهما[2] غَرِقانِ
الى ظُعُنٍ بالعاقـرَيـنِ كـأنها قرائـنُ من دَوحِ الكثيب ثمانِ[3]
خليليَّ قـد اكثرتما اللومَ فاربَعا[4] كفانيَ ما بي لـو تُركتُ كفاني
لعمري لقـد قال ابنُ اشقرَ نـافعٌ مقالةَ مَـوطوءِ الحريمِ مُهـانِ
هجا نافـعٌ كعباً ليُدرِكَ وِتـرَه ولم يهـجُ كعبٌ نـافعـاً لأوانِ
ولم تَعفُ من آثـار كعبٍ بوجهِـه قوارعُ منهـا وُضَّحٌ وقَواني[5]
فلم يَهجُ كعبا نافعٌ بعد ضـربـةٍ بسيفٍ ولم يَطعنهُـمُ بِسنانِ
فما لك مَهجىً يا ابنَ أشعرَ فاكتعِـم على حَجرٍ واصبِر لكـلِّ هوانِ[6]

حدَّث الفضل بن العباس الهاشمي قال :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يفد على جدي فيمدحه ، ويصله جدي ، وكان بدويا جافيا كأنه

---

(١) فاثرى عليه : كان اكثر منه . (٢) انسان العين : بؤبؤها . (٣) ظعن : جمع ظعينة وهي الهودج فيه المرأة . العاقرين : ارضان في وادي العقيق . القرائن : المتهاثلات . الدوح : الشجر . الكثيب : الرمل . (٤) اربعا : توقفا . (٥) لم تعف : عفا يعفو : امحى . قوارع : اصابات . وضح : جمع واضحة وهي الشجة التي تبدي وضح العظم . القواني : الشديدة الحمرة . (٦) كعم البعير : شد فاه لئلا يعض .

من الوحش ، وكان طيِّبَ الحديث . فحدَّثه يوماً أنهم انتجعوا ناحية الشام ، فقصد صديقا له من ولد خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ كان ينزل حلب ، فاذا نزل نواحيها اتاه فمدحه ، وكان بَراً به ، قال:

مررت بقرية يقال لها قرية بكر بنِ عبد الله الهلالي ، فرأيت دُوراً متباينة وخُصاصاً[١] قد ضُم بعضُها الى بعض ، واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، عليهم ثيابٌ تَحكي ألوانَ الزهر . فقلت في نفسي : هذا احد العيدين : الأضحى او الفطر . ثم ثاب اليَّ ما عَزَب عن عقلي فقلت : خرجت من اهلي في بادية البصرة في صَفَر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي ارى؟ فبينا انا واقف متعجب اتاني رجل فأخذ بيدي فأدخلني داراً قَوراء[٢] وادخلني منها بيتاً قد نُجِّدَ في وجهه فُرُشٌ ومُهِّدت ، وعليها شاب يَنال فروعُ شعره مَنكِبَيه ، والناس حولَه سِماطان[٣] فقلت في نفسي : هذا الامير الذي حُكيَ لنا جلوسُه على الناس وجلوسُ الناس بين يديه ، فقلت وانا ماثل بين يديه : السلامُ عليك ايها الامير ورحمةُ الله وبركاتُه . فجذب رجلٌ يدي وقال : اجلس ، فان هذا ليس بأمير. قلت : فما هو ؟ قال : عروس . فقلت : واثُكلَ أماه ، لرُبَّ عروسٍ رأيته بالبادية أهونُ على أهله من « است » أمّه . فلم أنشَب[٤] أن دخل رجال يحملون هَنات مُدوَّرات ، امّا ما خفَّ منها فيُحمَل حَملا واما ما كبُر وثقَل فيُدحرج ، فوُضع ذلك امامنا ، وتحلَّق القوم عليه حَلَقاً ، ثم أُتينا بخِرَقٍ بيض فأُلقيت بين ايدينا ، فظننتها ثيابا ، وهممتُ ان اسأل القوم منها خِرقاً اقطعها قميصاً ، وذلك اني رأيت نسجا متلاحما لايبين له سَدىً ولالُحمةٌ ، فلما بسطه القوم بين ايديهم اذا هو يتمزَّق سريعا ، واذا هو ــ فيما زعموا ــ صنفٌ من الخبز لا أعرفه . ثم أُتينا بطعام كثير بين حلو وحامض ، وحارٍّ وبارد ، فأكثرت منه وانا لا اعلم ما في عَقِبه من التَخَم والبَشَم . ثم أُتينا بشراب أحمرَ في عِساس[٥] فقلت : لا حاجةَ لي فيه ، فاني اخاف ان يقتلني . وكان إلى جانبي رجل ناصحٌ لي ، أحسنَ اللهُ جزاءه ، فانه كان ينصح لي من بين اهل المجلس ، فقال : يا أعرابي ، إنك قد أكثرت من الطعام ، وإن شربت الماءَ هَمَى[٦] بطنك . فلما ذكرَ البطنَ تذكرت شيئاً اوصاني به ابي والأشياخ من أهلي ، قالوا : لا تزال حيا ما كان بطنك شديداً ، فاذا اختلف[٧] فأوصِ . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ، وجعلت أُكثِر منه فلا أَمَلُّ شربه ، فتداخلني من ذلك صَلَفٌ[٨] لا اعرفه من نفسي ، وبُكاء لا اعرِف سببَه ولا عهدَ لي بمثله ، واقتدارٌ على أمري اظن معه اني لو اردت نيلَ السقف لبلغتُه ، ولو ساورت[٩] الاسدَ لقتلته ، وجعلت التفت إلى الرجل الناصح لي فتُحدِّثني نفسي بهَتْم[١٠] اسنانه وهَشم أنفه ، وأهُمُّ أحيانا أن أقول له : يا ابنَ الزانية . فبينا نحن كذلك اذ هجم علينا شياطينُ اربعةٌ ، احدهم قد علَّق في عنقه جَعبةً فارسيةً مشنَّجةَ[١١] الطرفين دقيقةَ الوَسْط ، مشبوحةً بالخيوط شبحا مُنكَراً . ثم بدَر الثاني فاستخرج من كُمِّهِ هَنَةً سوداءَ كفيشلة[١٢] الحمار ، فوضعها في فيه

(١) بيوت من القصب . جمع خص . (٢) واسعة . (٣) صفان . (٤) اي ما زلت . (٥) جمع عس . القدح الكبير . (٦) انطلق . (٧) اصابه اسهال . (٨) تكبر وإعجاب . (٩) واثَبتُ . (١٠) يقال : هتم السن ، صلم الاذن ، هشم وجدع الانف ، وَقَصَ العنق ، كسر ودق العظم ، برى القلم ، حصد اليابس ، خضد الأخضر ... (١١) منقبضة . (١٢) رأس كل مستدير .

وضرط ضُراطاً لم اسمع – وبيت الله – أعجبَ منه، فاستتمّ بها أمرُهم، ثم حرّك أصابعَه على أجحرةٍ فيها فأخرج اصواتاً ليس كما بدأ تُشَبّه بالضُراط ولكنه اتى منها لما حرّك أصابعَه بصوت عجيب متلائمٍ متشاكلٍ بعضُه لبعض، كأنه – علِمَ الله – يَنطق. ثم بدا ثالثٌ كزٌّ (١) مَقيتٌ عليه قميصٌ وَسِخٌ، معه مرآتان، فجعل يصفّق بيديه احداهما على الاخرى فخالطتا بصوتهما ما يفعله الرجلان، ثم بدا رابعٌ عليه قميص مَصون وسراويلُ مصونة وخُفّانِ أجذمان (٢) لا ساقَ لواحد منهما، فجعل يَقفِز كأنه يثِب على ظهور العقارب، ثم التبط به على الارض، فقلت: معتوهٌ، وربِ الكعبةِ. ثم ما بَرِح مكانه حتى كان أغبطَ القومِ عندي. ورأيت القوم يَحذِفونه (٣) بالدراهم حذفا مُنكَراً، ثم ارسل النساءُ الينا: أن أمتعونا من لَهوكم هذا. فبعثوا بهم، وجعلنا نَسمع اصواتهن من بُعد، وكان معنا في البيت شاب لا آبَهُ (٤) له، فعلَتِ الاصواتُ بالثناء عليه والدُعاء، فخرج فجاء بخَشَبة عيناها في صدرها، فيها خيوط اربعة، فاستخرج من خلالها عوداً فوضعه خلفَ أذنه، ثم عَرَك آذانَها وحركها بخشبة في يده فنطقت – وربِّ الكعبةِ – واذا هي أحسنُ قَينة (٥) رأيتُها قط، وغنى عليها، فأطربني حتى استخفّني من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه وقلتُ: بأبي انت وامي، ما هذه الدابّة فلست اعرفها للأعراب وما أُراها خُلقَت الا قريبا. فقال: هذا البَربَط (٦). فقلت: بأبي انت وامي، فما هذا الخيط الاسفلُ. قال: الزير. قلت: فالذي يليه. قال: المَثْنى. قلت: فالثالث؟ قال: المَثْلث. قلت: فالأعلى؟ قال: البَمّ. قلت: آمنت بالله اولا، وبك ثانيا، وبالبربط ثالثاً، وبالبم رابعا.

قال الفضل: فضحك ابي، والله، حتى سقط، وجعل ناهض يَعجَبُ من ضحكه. ثم كان بعد ذلك يَستعيده هذا الحديثَ ويُطرف به اخوانه فيعيده ويضحكون منه.

غَيلان بن سلَمة الثقفي

شاعرٌ مُقلٌّ هاجرَ ومات بالشام في طاعون عَمْواس (٧). امُّه سُبَيعةُ بنت عبد شمس بن مَناف، أختُ اميّة. بنتُه باديةُ التي قيل فيها: إنها كَحلاءُ شَموعٌ نَجلاءُ خَمصانةٌ هَيفاءُ، ان مشَت تثنّت، وان جلست تبنّت، وان تكلّمت تغنّت، تُقبِلُ بأربعَ وتُدبِر بثمانٍ (٨).

---

(١) جهم متقبض. (٢) الاجذم المقطوع اليد. (٣) يرمون. (٤) اهتم به. (٥) مغنية. (٦) العود.
(٧) قرية بالقرب من بيت لحم. منها كان ابتداء الطاعون في ايام عمر، ثم فشا في الشام. (٨) شموع مَزّاحة، لعوب. نجلاء: واسعة العينين. خمصانة: ضامرة البطن. هيفاء: دقيقة الخصر. تبنت: صارت كالمبناة لكثرة لحمها. تقبل بأربع: أربع عكن البطن. تدبر بثمان: ثماني عكن: اربع من كل جهة تحت العجيزة. وهذه صفات كان يستحسنها العرب.

تزوج غَيلانُ خالدةَ بنت ابي العاص فولدت له عَمَّارا او عامرا . فهاجر عمارٌ إلى النبي وأسلم . فلما بلغه خبرُه ، عَمدَ خازنُ غيلانَ إلى مالٍ له فسرقه وأخرجه من حِصنه فدفنَه . وأخبر غيلانُ أن ابنه عَمَّارا سرق مالَه وهرب به . فأشاع ذلكَ غيلانُ وشكاه إلى الناس . فجاءت أمَةٌ لبعض ثَقيفٍ إلى غيلانَ فقالت له : ايُّ شيءٍ لي عليك ان دَلَلتُك على مالِك ؟ قال : ما شئت . قالت : تبتاعُني وتُعتقُني . قال : ذلك لك . قالت : فاخرُج معي . فخرج معها ، فقالت : اني رأيتُ عبدَك فلانا قد احتفر ها هنا ليلةَ كذا وكذا ودفن شيئا ، وإنه لا يزال يَعتادُه ويُراعيه ويَتفقَّدُه في اليوم مراتٍ ، وما اراه الا المالَ . فاحتفر الموضِع فاذا هو بماله . فأخذه وابتاع الأمةَ فأعتقَها . وشاع الخبرُ بينَ الناسِ حتى بلغَ ابنَه عمَّارا فقال : واللهِ لا يَراني غيلانُ ابداً ولا ينظرُ في وجهي .

خرج ابو سُفيانَ بنُ حربٍ في جماعة من قريشٍ وثقيفٍ يريدون العِراقَ بتجارة . فلما ساروا ثلاثا جمعَهم ابو سفيانَ ، فقال لهم : إنّا من مسيرنا هذا لعلى خطر. ما قدومُنا على ملكٍ جبَّار لم يأذَن لنا في القُدوم عليه وليست بِلادُه لنا بمَتجَرٍ ؟ ولكن ايُّكم يَذهبُ بالعِير [١] ، فإن أُصيب فنحن بَراءٌ من دمه ، وإن غَنِم فله نِصفُ الربح . فقال غيلانُ : دَعُوني ، فانا لها . ثم خرج في العِير ، وكان ابيضَ طويلا جَعدا ضَخما ، فلما قَدِم بِلادَ كِسرى تَخلَّق [٢] ولَبِس ثوبين أصفرين وجلس بباب كِسرى حتى أُذِن له . فدخل عليه وبينَهما شُبَّاكٌ من ذهب . فخرج اليه التَرجُمانُ وقال له : يقول لك الملكُ : من أدخلَك بِلادي بغير إذني ؟ فقال : قُل له : لستُ من أهل عَداوةٍ لك ، ولا أتيتُك جاسوسا لضدٍّ من أضدادك ، وإنما جئت بتِجارة تَستمتِعُ بها . فان اردتَها فهي لك . وان لم تُردها واذِنتَ في بيعها لرعيَّتك بعتُها ، وان لم تَأذَن في ذلك رَددتُها . فإنه لَيتكلَّم ، إذ سمِع صوتَ كِسرى فسجد . فقال له التَرجُمانُ : يقول لك الملكُ : لِمَ سجدتَ فقال : سمِعتُ صوتا عاليا حيثُ لا ينبغي لأحدٍ أن يَعلوَ صوتُه إجلالا للملك ، فعلِمتُ أنه لم يُقدِم على رفعِ الصوتِ هناك غيرُ الملكِ فسجدتُ إعظاماً له . قال : فاستحسنَ كِسرى ما فعل ، وامر له بمِرفَقَةٍ [٣] تُوضع تحته . فلما أُتي بها رأى عليها صورةَ الملكِ فوضعَها على رأسِه . فاستجهلَه كِسرى واستحمقَه وقال للتَرجُمان : قل له : انما بَعثنا اليك بهذه لتجلسَ عليها . قال : قد علِمتُ ، ولكني لما رأيت عليها صورةَ الملكِ فلم يكن حقُّ صورتِه على مثلي أن يجلسَ عليها ، ولكن كان حقُّها التعظيمَ ، فوضعتُها على رأسي لانه اشرفُ اعضائي واكرمُها علي . فاستحسن فِعلَه جدا . ثم قال له : ألَكَ ولدٌ ؟ قال : نعم . قال : فأيُّهم احبُّ اليك ؟ قال : الصغيرُ حتى يكبَرَ ، والمريضُ حتى يَبرَأَ والغائبُ حتى يَؤوبَ . فقال كِسرى: زِه . هذا فِعلُ الحُكماءِ وكلامُهم ، وانتَ من قوم جُفاة لا حِكمةَ فيهم، فما غِذاؤُكَ ؟ قال : خُبز البُرِّ . قال : هذا العقلُ من البُرِّ ، لا مِنَ اللبن والتَمر . ثم اشترى منه التِجارةَ بأضعافِ ثمنِها ، وكساه وبعثَ معه من الفُرس مَن بنى له أُطُماً [٤] بالطائفِ ، فكان أولَ أُطُمٍ بُني بها .

(١) العير : القافلة من إبل ودواب تجلب عليها الميرة ، والكلمة جمع لا واحد له في لفظه . (٢) تطيَّب بالخلوق : (٣) وسادة . (٤) القصر والحصن المبني بالحجارة .

من أشعاره :

أُسـلُ عن ليـلى عَـلاك مَشيـبُ   وتَصابي الشيخِ شيء عجيـبُ
واذا كان النّسيـبُ بسلمـى   لذّ في سلمـى وطاب النسيـبُ
انما شبَّهتُهـا اذ تـراءت   وعليها من عيونٍ رقيـبُ
بطلوع الشمس في يـوم دَجـنٍ   بُكرَةً او حـان منها غُـروبُ
إنني فاعـلَم وإن عـزّ أهـلي   بالسويـداءِ(١) الغَـداةَ غريبُ

لما حضرت غيلانَ الوَفاةُ وكان أَحصَنَ (٢) عَشْراً من نِساء العرب في الجاهلية ، قال : يا بَنِيَّ قد أحسنتُ خِدمةَ اموالِكم ، وأمجدتُ أُمَّهاتِكم ، فلن تزالوا بخيرٍ ما غَذَوتم من كريم وغذا منكم . فعليكم ببُيوتاتِ العرب، فإنها مَعارِجُ الكرم . وعليكم بكل رَمكاءَ (٣) مَكينةٍ رَكينةٍ ، او بيضاءَ رزينةٍ ، في خِدرِ بيتٍ يُتبَعُ ، واياكم والقصيرةَ الرَطلةَ (٤) فإنَّ أبغضَ الرجالِ إلي ، أن يُقاتِلَ عن إبِلي ، او يُناضِلَ عن حَسَبي ، القصيرُ الرَطلُ .

عبد الصمد بن المعذل

هو شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الدولة العباسية ، بَصريُّ المولِد والمنشَأ ، ويُكنَّى ابا القاسم . كان هَجّاءً خبيثَ اللسانِ شديدَ العارضةِ . وكان ابوه المعذَّلُ وجَدُّه غَيلانُ شاعرين . والمعذل هو الذي يقول :

ولستُ بمَيّـالٍ إلى جانب الغِنى   اذا كانت العَليـاءُ في جانب الفقرِ
واني لَصَبّارٌ عـلى ما يَنوبُـني   وحسبُك أن اللهَ أثنـى على الصبرِ

شرب عليُّ بنُ عيسى بنِ جعفرٍ الدُهَن — وهو اميرُ البصرةِ — فدخل اليه عبدُ الصَّمدِ بعد خروجه عنه فأنشدَه قوله :

بأيمنِ طائـرٍ وأسـرِّ فـالٍ   وأعلى رُتبـةٍ واجـلِّ حـالِ

(١) موضع بالحجاز على طريق الشام . (٢) تزوج . (٣) فيها حمرة مختلطة بسواد . (٤) الحمقاء .

شربتَ الدُهنَ ثم خرجتَ عنه خروجَ المَشرَفيِّ من الصِقالِ
تَكَشَّفَ عنكَ ما عانَيتَ منه كما انكشف الغَمَامُ عن الهِلالِ
وقد أهدَيتُ رَيحاناً طريفاً به حاجَتُ مستمعاً سؤالي
وما هو غيرَ ياءٍ بعدَ حاءٍ وقد سُبِقا بميمٍ قبلَ دالِ (١)
ورَيحانُ الشبابِ يعيشُ يوماً وليس يموتُ رَيحانُ المَقالِ
ولم يكُ مُؤثَراً تُفَّاحُ شَمٌّ على تُفَّاحِ أسماعِ الرِجالِ

حدث العِجليُّ قال :

كنت عند ابي سهلٍ وعندَه عبدُ الصَّمدِ ، فرَفَعَ اليه رجلٌ رُقعةً فقرأها فاذا فيها :

هذا الرحيلُ فهل في حاجَتي نَظَرٌ او ، لا ، فأَعلَمَ ما آتي وما أذَرُ (٢)

فدفعها إلى عبد الصمد وقال : الجوابُ عليك . فكتب فيها :

النفسُ تَسخو ولكن يَمنعُ العُسرُ والحُرُّ يُعذِرُ مَن بالعُسرِ يَعتذِرُ

ثم قال عبدُ الصمدِ لعليٍّ بن سهل : هذا الجوابُ قولاً . وعليك ، اعزَّك اللهُ ، الجوابُ فِعلا . ونُجحُ سَعيِ الآملِ حقٌّ واجبٌ على مثلك . فاستحيا وأمر للرجل بمئةِ دينار .

عبد الرحمن بن الحكم

هو عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَمِ بنِ ابي العاص بنِ أميةَ وامُّه امُّ اخيه مَروانَ بنِ الحَكَمِ . ويُكنَّى ابا مِطرَفٍ . شاعرٌ إسلامي متوسِّطٌ في شعراء زمانه .

قَدِم عبد الرحمن على معاويةَ بنِ ابي سفيانَ وقد عزَل أخاه مَروانَ عن الحِجازِ وولّى سعيدَ بنَ العاصِ ، واستصلحه .

قيل : كان عبدُ الرحمن بدمشق ، فلما بلَغَه خبرُ اخيه خرج اليه فتلقّاه ، وقال له : أقِم حتى

(١) اي : مدحي . (٢) أدع .

أدخُلَ إلى الرجل . فإن كان عزلَك عن مَوجِدة ، دخلتَ اليه مُنفردا ، وان كان عن غيرِ مَوجِدة دخلتَ اليه مع الناس . فأقام مروانُ ومضى عبدُ الرّحمن امامه . فلما قَدِم عليه دخل اليه وهو يُعَشّي الناسَ فأنشأ يقول :

أتتك العِيسُ تَنفُخُ في بُراها (١) ... تَكَشّفُ عن مَناكِبِها القُطوعُ (٢)

بأبيضَ من امية مَضرَحِيّ (٣) ... كأن جبينَه سيفٌ صنيعُ (٤)

فقال معاوية : أزائرا جئتَ ام مُفاخِرا ام مُكاثِرا ؟ فقال : أيَّ ذلك شئتَ. فقال له : ما أشاءُ من ذلك شيئا ، وأراد معاويةُ ان يَقطَعَه عن كلامه الذي عنَّ له ، فقال : على أيِّ الظَهرِ أتيتَنا ؟ قال : على فرسي. قال : وما صِفتُه ؟ قال : « أجَشُّ هَزيمٌ . » يُعرِّضُ بقول النَجاشِيِّ له :

ونَجّى ابنَ حربٍ سابحٌ ذو عُلالةٍ ... أجَشُّ هزيمٌ والرماحُ دَواني (٥)

اذا خِلتَ أطرافَ الرِماحِ تَنالُه ... مَرَتْه به الساقانِ والقَدَمانِ (٦)

فغضِب معاويةُ وقال : أما إنه لا يَركَبُه صاحبُه في الظُلَمِ إلى الرِيَبِ ، ولا هو مَن يَتسوّرُ على جاراته ولا يَتوثّبُ على كَنائنه بعدَ هَجعةِ الناسِ – وكان عبدُ الرحمن يُتَّهمُ بذلك في امرأة اخيه – فخَجِل عبدُ الرحمن وقال : يا اميرَ المؤمنين ، ما حمَلَك على عَزلِ ابنِ عمك ، ألِجنايةٍ أوجَبَت سُخطا ام لرأيٍ رأيتَه ، وتدبيرٍ استصلحتَه ؟ قال : لتدبيرٍ استصلحتُه . قال : فلا بأسَ بذلك . وخرج فلَقِيَ اخاه مروانَ ، فأخبرَه بما جرى ، فاستشاط غيظاً وقال : قَبَّحَك الله ، ما أضعفَك ، أعرَّضتَ للرجل بما أغضبَه حتى اذا انتصف منك أحجمتَ عنه ؟ ثم لَبِسَ حُلّتَه ورَكِب فرسَه ، وتقلّد سيفَه ، ودخل على معاويةَ ، فقال له حين رآه وتبيَّنَ الغضبَ في وجهه : مرحباً بأبي عبدِ الملك ، لقد زُرتَنا عند اشتياقٍ منا اليك . قال : لا ، ها (٧) الله ما زُرتُك لذلك ، ولا قَدِمتُ عليك فألفيتُك إلا عاقّاً قاطعا . والله ما أنصفتَنا ولا جزَيتَنا جَزاءنا . لقد كانت السابقةُ من بني عبد شمسٍ لآلِ أبي العاصِ والصِهرُ برسولِ الله ، والخلافةُ فيهم ، فوَصَلوكم يا بني حربٍ وشَرَّفوكم وَولَّوكم فما عزَلوكم ولا آثَروا عليكم ، حتى اذا وُلّيتُم وأفضى الامرُ عليكم ، أبَيتُم إلا أثَرَةً وسُوءَ صنيعة ، وقُبحَ قطيعة ، ، فرُوَيداً رويداً ، قد بلَغَ بنو الحكَمِ وبنو بنيه نَيِّفا وعشرين ، وانما هي أيامٌ قلائلُ حتى يُكمِلوا أربعين ، ويعلَمُ امرُؤٌ اينَ يكونُ منهم حينَئذٍ ، ثم هم للجزاء بالحُسنى والسُوءِ بالمِرصاد .

فقال له معاويةُ : عزلتُك لثلاث ، لو لم يكن منهن الا واحدةٌ لأوجبَتْ عزلَك : إحداهن أني أمَّرتُك على عبدِ الله بنِ عامر وبينَكما ما بينَكما ، فلم تستطِع أن تَشتفي منه . والثانيةُ كَراهتُك

---

(١) جمع بُرة : حلقة توضع في انف الابل . (٢) جمع قِطع : طنفسة توضع تحت الراكب . تكشف اي تتكشف .
(٣) السيد الكريم . (٤) مجلو ، مجرب. (٥) سابح : الفرس السريع . علالة : الجري بعد الجري . أجش : الغليظ الصوت من الانسان وغيره . هزيم : الفرس الشديد الصوت . والبيت من قصيدة يصف بها الشاعر هرب ابن ابي سفيان في موقعة . (٦) استدرت جريه . (٧) اي والله .

لأمرِ زيادٍ . والثالثةُ أن ابنتي رَملةَ استعدَتك[١] على زوجها عمرو بن عثمانَ فلم تُعْدِها[٢] .
فقال له مروان : اما ابنُ عامرٍ فاني لا أنتصر بسُلطاني . ولكن اذا تساوت الأقدامُ علِمَ اينَ موقعُه.
واما كَراهتي امرَ زيادٍ فانّ سائرَ بني امية كَرِهوه ، ثم جعلَ اللهُ لنا في ذلك خيراً كثيرا .
واما استعداءُ رَملةَ على عمرو ، فوالله إني لَتَأتي عليَّ سَنةٌ أو أكثرُ ، وعندي بنتُ عثمانَ فما أكشفُ لها ثوبا — يُعرِّضُ بأنّ رَملةَ إنما تستعدي عليه طلباً للنكاح — . فقال له معاوية : يا ابنَ الوَزَغ[٣] ، لستَ هناك . فقال له مَروانُ : هو ذاك الآنَ . والله إني لأبو عشَرة ، واخو عشَرة .
وقد كاد ولدي أن يُكملوا العِدّةَ — يعني اربعين — ولو قد بلَغوها لعلمتَ اين تَقعُ مني . فانخزل معاوية ثم قال :

فإن أكُ في شِرارِكُمُ قليلاً فإني في خِيارِكُمُ كثيرُ
بُغاثُ الطيرِ أكثرُها فِراخاً وأمُّ الصقرِ مِقلاتٌ نَزورُ[٤]

فما فَرغَ مَروانُ من كلامه حتى استخذى معاويةُ في يده وخَضَع له وقال : لك العُتبى[٥]
وانا رادُّك إلى عملِك . فوثَب مروانُ وقال له : كلا ، والله ، وعيشِك لا رأيتَني عائدا اليه ابدا.
وخرج .

فقال الاحنفُ لمعاويةَ : ما رأيتُ لك قطُّ سَقطةً مثلَها . ما هذا الخُضوعُ لمَروانَ ؟ وأيُّ شيءٍ يكون منه ومن بني ابيه اذا بلَغوا اربعين؟ وايَّ شيءٍ تَخشاه منهم ؟ فقال له : ادنُ مني أُخبِرك بذلك . فدنا منه فقال له : إن الحكَمَ بنَ ابي العاص كان احدَ مَن وَفد مع اختي امِّ حَبيبة[٦] لما زُفّت إلى النبي ، وهو الذي تَولّى نَقلَها اليه ، فجعلَ الرسولُ يُحِدُّ النظرَ اليه . فلما خرج من عنده قيل له : يا رسولَ الله ، لقد أحددتَ النظرَ إلى الحكَم . فقال : « ابنُ المَخزوميّةِ ، ذلك رجلٌ اذا بلغ ولدُه اربعين مَلَكوا الأمرَ بعدي» . فوالله لقد تلقّاها مَروانُ من عينٍ صافية .
فقال له الاحنفُ : لا يَسمعَنّ هذا احدٌ منك ، فإنك تَضعُ من قدرِك وقدرِ ولدِك بعدَك . وإن يَقضِ اللهُ ، عزّ وجل ، ، امراً يَكُن . فقال له معاويةُ : فاكتُمها علي يا أبا بحرٍ اذاً ، فقد ، لعمرى ، صَدقتَ ونَصحتَ .

لما ادّعى معاويةُ زياداً — ألحقَه بنسبه — قال عبدُ الرحمنِ في ذلك ، والناس يَنسُبونها إلى ابن مُفَرِّغٍ وذلك غلط :

ألا أبلِغ معاويةَ بنَ حربٍ مُغَلغَلةً من الرجُلِ الهِجانِ[٧]

---

(١) استعداه : استغاث به واستنصره . (٢) أعداه : نصره وأعانه . (٣) جمع وزغة : سام أبرص (ابو بريص) سميت بها لخفتها وسرعة حركتها . (٤) بغاث الطير : اضعفها وأصغرها . المقلات : التي تضع واحداً ثم لا تحمل . نزور : قليلة النسل . والبيت لابن مناذر (ج ١٨) . (٥) الرضى . (٦) هي رملة ، بنت ابي سفيان صخر بن حرب ، زوج الرسول . (٧) مغلغلة : الرسالة تحمل من بلد الى بلد . الهجان : الرجل الحسيب .

أتغضبُ أن يُقالَ ابوك عفٌّ ... وترضى ان يُقال ابوك زانِ
فأشهدُ أن رحمَكَ من زيادٍ ... كرحمِ الفيلِ من ولدِ الأتانِ
وأشهدُ أنها ولدت زياداً ... وصَخرٌ من سُمَيَّةَ (١) غيرُ دانِ

كان عبدُ الرحمن بنُ الحكَمِ عند يزيد بنِ معاويةَ ، وقد بعث اليه عُبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ برأسِ الحُسينِ بنِ علي ، فلما وُضِعَ بين يدي يزيدَ في الطَستِ بكى عبدُ الرحمنِ ثم قال :

أبلِغ اميرَ المؤمنين فلا تكُن ... كمُوتِرِ أقواسٍ وليس لها نَبلُ
سُمَيَّةُ امسى نَسلُها عَددَ الحصَى ... وبنتُ رسولِ اللهِ ليس لها نَسلُ

فصاح به يزيد : اسكُت يا ابن الحَمقاء ، وما انت وهذا ؟

مطيع بن إياس

هو شاعر من مخضرَمي الدولتين الاموية والعباسية ، ليس من فحول الشعراء . ولكنه كان ظريفا ، خليعا ، حلوَ العِشرة ، مليحَ النادرة ، ماجناً مُتَّهما في دينه بالزندقة . ويُكنَّى ابا سُلمى . مَولِده ومَنشَؤه الكوفة .

سئل رجل كان يَصحَبُ مطيعَ بنَ إياسٍ عنه فقال : وما سؤالُك إيَّايَ عن رجل كان اذا حَضَرَ ملَكَكَ ، واذا غاب عنك شاقَكَ ، واذا عُرِفتَ بصُحبته فَضَحَكَ .

قال حَكَمُ الوادي : غنَّيتُ الوليدَ بنَ يزيدَ ذاتَ ليلة :

إكليلُها ألوانُ ... ووجهُها فتَّانُ
وخالُها فريدٌ ... ليس لها جيرانُ
اذا مشت تثنَّت ... كأنها ثُعبانُ

فطَرِب حتى زَحَفَ عن مجلسه الي وقال : أعِد ، فديتُك ، بحياتي . فأعدتهُ حتى صَحِل (٢)

(١) كان من أنكحة الجاهلية ما يعرف بنكاح الرّهط ، وهو ان تختص امرأة بعدد من الأزواج فاذا حملت ووضعت ومر ليال ، ارسلت اليهم ليجتمعوا عندها ، فتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت. وهذا ابنك يا فلان، تسمي من اختارت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع الرجل ان يمتنع منه . وسمية ام زياد كانت زوجة من هذا القبيل واختارت لابنها اباً سفيان . (٢) بح .

صوتي . فقال لي : ويحك ، مَن يقولُ هذا ؟ فقلت : مطيعُ بنُ إياسٍ الكناني . فقال : واين محلُّه؟ قلت : الكوفةُ . فأمر ان يُحمَلَ اليه على البريد . فحُمِل اليه . فما أشعرُ يوما إلا برسوله قد جاءني ، فدخلت اليه ومطيعٌ واقف بين يديه ، وفي يد الوليدِ طاسٌ من ذهب يَشرَب فيه فقال لي : غنِّ هذا الصوتَ يا وادي . فغنيتُه اياه . فشرب عليه ، ثم قال لمطيع : مَن يقول هذا الشعرَ ؟ قال : عبدُك انا يا اميرَ المؤمنين . فقال له : ادنُ مني . فدنا منه . فضمَّه الوليدُ وقبَّل فاه وبين عينيه ، وقبَّل مطيعٌ رجلَه والارضَ بين يديه . ثم ادناه حتى جلس أقربَ المجالِس اليه ، واصطبح أُسبوعا على هذا الصوتِ .

كان المنصورُ يُريد البَيعةَ للمَهدي ، وكان ابنُه جعفرٌ يعترض عليه في ذلك . فأمر بإحضار الناسِ ، فحَضَروا . وقامت الخُطباء فتكلموا ، وقالت الشعراء فأكثروا في وصف المهدي وفضائله ، وفيهم مطيعُ بنُ إياسٍ . فلما فَرَغ من كلامه في الخطباء وانشاده في الشعراء قال للمنصور : يا اميرَ المؤمنين ، حَدَّثَنا فلانٌ عن فلان أن النبيَّ قال : « المهديُّ منا محمدُ بنُ عبد الله ، وامُّه من غيرنا ، يَملَؤها (١) عدلاً كما مُلِئَت جَورًا ». وهذا العَبَّاسُ بنُ محمدٍ اخوك يَشهَدُ على ذلك. ثم أقبلَ على العبَّاسِ فقال له : أنشُدُكَ اللهَ ، هل سمعتَ هذا ؟ فقال : نعَم . فأمر المنصورُ الناسَ بالبَيعةِ للمهدي .

ولما انقضى المجلس ، قال العبَّاسُ بن محمد: أرأيتم هذا الزنديقَ اذ كَذَب على الله ورسولهِ حتى استشهدَني على كَذِبه ، فشهِدتُ له خوفا من المنصور ، وشهِدَ كلُّ مَن حَضَر عليَّ بأني كاذبٌ ؟

كتب مُطيعٌ الى يحيى بن زيادٍ ، وقد تجافيا ، وكانا لا يفترقان :

كنتُ ويحيى كيَدٍ واحدةٍ نَرمي جميعا وتَرانا معا
إن عضَّني الدهرُ فقد عضَّهُ يُوجِعُنا ما بعضَنا أوجَعا
او نام نامت اعينٌ أربعٌ منا وإن أسهَر فلن يَهجَعا
حتى اذا ما الشيبُ في مَفرِقي لاح وفي عارضِه أسرَعا
سعى وُشاةٌ فمشَوا بينَنا وكاد حبلُ الوُدِّ ان يُقطَعا
لكنَّ اعداءً لنا لم يكن شيطانُهم يَرى بنا مَطمَعا
فلم يَزل يُوقِدُها دائبا حتى اذا ما اضطَّرمت أقلَعا

أُنشِدَ المَهديُّ قولَ مطيعِ بنِ إياسٍ في جَوهرَ ، جاريةٍ كان يهواها :

أما واللهِ يا جَوهرْ لقد فُقتِ على الجوهرْ
فلا واللهِ ما المَهديُّ أولى منكِ بالمِنبَرْ
فان شئتِ ففي كفَّيكِ خَلعُ ابنِ ابي جَعفرْ

(١) يملأها : اي الارض .

فقال المهدي : اللهمَّ العَنهما جميعا . ويلَكم . اجمَعوا بين هذين قبلَ أن تَخلَعَنا هذه القَحبةُ . وجَعَل يَضحَك من قول مطيع .

كان مطيع مع سَلم بنِ قُتيبةَ في فلسطين . فدعا المنصورُ سَلما ، فخرج اليه وامر مُطيعا بالخروج معه . قال مطيعٌ : وكانت لي جارية كنت أُحبها فاضطُررتُ الى بيع الجاريةِ ، فبعتُها وندِمتُ على ذلك بعد خروجي وتبعَّتها نفسي . ونزلنا حَلوانَ فجلستُ على العَقَبةِ انتظِرُ ثَقَلي [١] وانا مستندٌ الى نَخلةٍ والى جانبِها نخلةٌ أخرى ، فتذكرتُ الجاريةَ ، فقلتُ :

أسعِداني يا نخلتَـــي حَلـــوانِ [٢] وابكِيا لي من رَيبِ هذا الزمـــانِ
واعلَـــما أنَّ ريبَه لم يزل يَفـــــرُقُ بيـــنَ الأُلاَّفِ والجيـــرانِ
أسعِداني وأيقِنـــا أن نَحســـاً سوف يَلقاكُما فتَفترِقـــــان

لما خرج الرشيدُ الى طُوسَ هاج به الدمُ بحَلوانَ فأشار عليه الطبيبُ ان يأكُلَ جُمَّارًا [٣] فأحضرَ دِهقانَ [٤] حَلوانَ وطَلب منه جُمَّارا . فأعلمَه أن بلدَه ليس بها نخلٌ ، ولكن على العَقَبةِ نَخلتانِ فمُر بقطعِ إحداهما . فقُطِعت ، فأُتِي الرشيدُ بجُمَّارِها فأكل منها وراحَ [٥] فلما انتهى الى العَقبةِ نظر الى إحدى النخلتين مقطوعةً قائمة واذا على القائمة مكتوبٌ :

أسعِداني يا نَخلتَـــي حَلـــــوانِ وابكِيا لي من رَيبِ هذا الزمـــانِ
أسعِداني وأيقِنا أنَّ نحســـــا سوف يَلقاكمـــا فتَفترِقـــــان

فاغتمَّ الرشيدُ وقال : يَعزُ علي أن اكونَ نَحستُكما . ولو كنتُ سمعت بهذا الشعرِ ما قطعتُ هذه النخلةَ ولو قتلني الدمُ .

اجتمع حماد الراوية ومطيع بن اياس ويحيي بن زياد وحكم الوادي يوما على شراب لهم في بستان بالكوفة ، وذلك في زمن الربيع ، ودعَوا جوهرَ المغنية ، فشربوا تحت كرم مَعروشٍ حتى سكروا فقال مطيع في ذلك :

خرجنا نَمتطـــي الزَّهـــرا ونجعلُ سقفَنـــا الشَّجَـــرا
ونشربهـــا مُعتَّـــقــــةً تَخال بكأسهـــا شــــررا
وجوهرُ عندنـــا تحكـــي بدارةِ وجهها القمـــرا
يزيدك وجهُهـــا حسنـــا اذا ما زدتَـــه نظـــرا
وجوهـــرُ قـــد رأيناهـــا فلم نرَ مثلهـــا بَشَـــرا

---

(١) حمولتي . (٢) حلوان العراق مما يلي الجبال من بغداد . (٣) شحم النخل . (٤) رئيس الاقليم .
(٥) ارتاح ونشط .

كان لمطيع بن اياس مُعاملٌ من تجار الكوفة ، فطالت صُحبته اياه وعِشرته له حتى شرب النبيذ ، وعاشر تلك الطبقة وأفسدوا دينه . فكان اذا شرب يعمل كما يعملون وقال كما يقولون ، واذا صحا تهيّب ذلك وخافه . فمرّ يوما بمطيع بن اياس ، وهو جالس على باب داره ، فقال له : من اين أقبلت ؟ قال : شيّعت صديقا لي حج ، ورجَعت كما ترى ميتًا من الم الحر والجوع والعطش . فدعا مطيع بغلامه وقال له : اي شيء عندك ؟ فقال له : عندي من الفاكهة كذا ، ومن البوارد والحار كذا ، ومن الاشربة والثلج والرياحين كذا ، وقد رُشّ الخيش وفُرغ من الطعام . فقال له : كيف ترى هذا ؟ فقال : هذا والله العيشُ وشبهُ الجنة . قال : انت الشريك فيه على شريطة إن وَفَيت بها ، وإلا انصرفتَ . قال : وما هي ؟ قال : تشتم الملائكة وتَنزِل . فنفر التاجر وقال : قبّح الله عشرتكم قد فضحتموني وهتكتموني . ومضى . فلم يبعد حتى لقيه حماد عجرد ، فقال له : ما لي اراك نافرًا جَزِعاً ؟ فحدّثه حديثه . فقال : اساء مطيع ـ قبّحه الله ـ وأخطأ ، وعندي ، والله ، ضِعفُ ما وَصَف لك . فهل لك فيه ؟ فقال : اجل ، بي والله اليه اعظم فاقة . قال : انت الشريك فيه على ان تشتم الانبياء ، فانهم تعبّدونا بكل مُعنِت متعِب ، ولا ذنبَ للملائكة فنشتمَهم . فنفر التاجر وقال : أنت ايضا فقبّحك الله ، لا ادخل . ومضى فاجتاز بيحيى بن زياد الحارثي ، فقال له : مالي اراك ، يا ابا فلان ، مرتاعاً ؟ فحدثه بقصته . فقال : قبّحهما الله لقد كلّفاك شططا ، وانت تعلم ان مروءتي فوق مروءتهما ، وعندي والله أضعاف ما عندهما ، وانت الشريك فيه على خصلة تنفعك ولا تضرك ، وهي خلاف ما كلّفاك اياه من الكفر . قال : وما هي ؟ قال : تصلّي ركعتين تطيل ركوعهما وسجودهما ، وتصليهما وتجلِس ، فنأخذ في شأننا . فضجر التاجر وتأفف وقال : هذا شر من ذاك . انا تعب مَيّت ، تكلّفني صلاةً طويلة في غير برٍّ ولا لإطاعة يكون ثمنُها أكلَ سُحتٍ[1] وشربَ خمر وعِشرةَ فَجَرَة وسماعَ مغنيات قِحاب . وسبّه وسبّهما ومضى مُغضَب . فبعث خلفه غلاما وأمره برده ، فرده كَرهاً ، وقال : انزِل الآنَ على ألاّ تصليّ اليوم بَتّةً . فشتمه ايضا وقال : ولا هذا . فقال : انزل الآنَ كيف شئت وانت ثقيل غيرُ مُساعِد[2] . فنزل عنده . ودعا يحيى مطيعاً وحمّادًا ، فعبثا بالتاجر ساعة وشتماه . ثم قُدم الطعام ، فأكلوا وشربوا وصلّى التاجر الظهرَ والعصر . فلما دبّت الكاس فيه قال له مطيع : ايُّما احب اليك : تشتم الملائكة او تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له حماد : ايُّما احب اليك : تشتم الانبياء او تنصرف ؟ فشتمهم . فقال له يحيى : ايما احب اليك : تصلي ركعتين او تنصرف ؟ فقام فصلى الركعتين ، ثم جلس . فقالوا له : ايما احب اليك : تترك باقيَ صلاتك اليومَ او تنصرف ؟ قال : بل اتركها يا بني الزانية ولا انصرف . فعمل كل ما ارادوه منه .

جلس مطيع في العلة التي مات فيها في قُبةٍ خضراء وهو على فُرُشٍ خُضرٍ ، فقال له الطبيب : ايّ شيء تشتهي اليومَ ؟ قال : أشتهي ألاّ أموتَ .

ومات في علته هذه ، وذلك بعد ثلاثة اشهر مضت من خلافة المهدي .

---

(١) سحت : حرام . (٢) مساعد : مجارٍ في العبث واللهو .

محمد بن كُناسة الاسدي

شاعر من شعراء الدولة العباسية . كوفيُّ المولدِ والمَنشأ . ويُكنى ابا يحيى. وكان امرءاً صالحاً لا يتَصدّى لمدح ولا لهجاء. وكانت له جاريةٌ شاعرة مغنّيةٌ يقال لها دَنانيرُ وكان اهلُ الادبِ يقصدونَها للمُذاكرة والمُساجلة في الشعر . وهو الذي يقول يَرثي خاله ابراهيمَ بنَ ادهمَ العابدَ :

وكان يَرى الدنيـــا قليلاً كثيرُهـــا ... فكان لأمرِ اللهِ فيها مُعظِّمـــا

أهان الهوى حتى تجنّبه الهـــوى ... كما اجتنب الجاني الدمَ الطالبَ الدَما

وللحِلْمِ سُلطانٌ على الجَهلِ عنـــدَه ... فما يَستطيع الجهلُ ان يترَمرَما [1]

واكثرُ ما تلقاه في القـــوم صامتـــا ... وإن قال بَذَّ القائمين وأحكَمـــا

يُرى مُستكيناً خاضعـــاً متواضعـــا ... وليثاً اذا لاقى الكَتيبةَ ضَيغَمـــا

على الجَدَثِ الغربيِّ من آلِ وائـــلِ ... سَلامٌ وبِرٌّ ما أبرَّ وأكرَمـــا

أملَقَ محمدُ بنُ كُناسةَ فلامه قومُه في القعود عن السُلطان وانتجاعِ الأشرافَ بأدبِه وعِلمه وشِعره ، فقال لهم مُجيبا :

تُؤنّبُني أن صُنتُ عِرضي عِصابـــةٌ ... لها بينَ أطنابِ اللِئامِ بَصيصُ [2]

يقولون لو غمَّضتَ لازددتَ رِفعـــةً ... فقلت لهم إني اذن لَحريصُ [3]

أتَكلِمُ وجهي لا أبا لأبيكـــمُ ... مَطامعُ عنها للكِرامِ مَحيصُ [4]

مَعاشي دُوَينَ القُوتِ والعِرضُ وافـــرٌ ... وبَطني عن جَدوى اللِئامِ خَميصُ [5]

سأَلقى المنايا لم أُخالِط دنيّـــةً ... ولم تَسرِ بي في المُخزياتِ قَلوصُ [6]

وقال اسحاق الموصلي : أنشدَني ابنُ كُناسةَ لنفسه قال :

فيَّ انقباضٌ وحِشمـــةٌ فـــاذا ... صادفتُ اهلَ الوفاءِ والكـــرمِ

ارسلتُ نفسي عـــلى سَجيّتِهـــا ... وقلتُ ما قلتُ غيرَ مُحتشِـــمِ

(١) تحرك للكلام ولم يتكلم . (٢) بريق . (٣) الحرص الجشع . (٤) محيص : محيد . (٥) ضامر . (٦) الشابة من النوق .

فقلت له : وددتُ أنه نَقَص من عُمري سنتان وأني كنتُ سبقتُك الى هذين البيتين فقلتُهما .

وقال :

اذا اعتادتِ النفسُ الرَّضاعَ من الهوى فان فِطامَ النفسِ عنه شديدُ

ورأى ابنَه مع احداثٍ لم يَرضَهم فقال :

يُنبيكَ عن عيبِ الفتى تَركُ الصلاةِ أو الخَدينُ

فاذا تَهاونَ في الصلاةِ فما له في الناس دِينُ

إن العفيفَ اذا تكنَّفَه المُريبُ هو الظَّنينُ (١)

حدث حماد بن اسحاق بن كناسة قال :

اتيتُ امرأةً من بني أَوْدٍ تَكحلُني من رَمَد كان أصابَني ، فكَحلَتني ثم قالت : اضطجع حتى يَدورَ الدواءُ في عينيكَ . فاضطجعتُ ثم تَمثَّلتُ قولَ الشاعر :

أَمُختَرِمي رَيبُ المَنونِ ولم أَزُر طبيبَ بني أَوْدٍ على النأيِ زينبا (٢)

فضَحكت ثم قالت : اتدري في مَن قيل هذا الشعرُ ؟ قلت : لا واللهِ . قالت : فيَّ ، واللهِ ، قيل . فأنا زينبُ التي عناها ، وانا طبيبُ أَوْدٍ . أفتدري من الشاعر ؟ قلت : لا . قالت : عمُّك محمدٌ ابو سَماكٍ الأسَديُّ .

الشمردل

كان الشمردلُ بنُ شَريكٍ شاعرا من شعراء الدولة الاموية ومن شعراء بني تَميمٍ وكان في ايام جريرٍ والفرزدقِ .

قال يَرثي اخاه وائلا ، وهي من مُختار المَراثي وجيِّدِ شعره :

وَصُولٌ اذا استغنى وإن كان مُقتِراً من المال لم يُحفِ الصديقَ مَسائِلُهْ (٣)

مُحِلٌّ لأضيافِ الشتاءِ كأنما هُمُ عندَه أيتامُه وارامِلُهْ

(١) الظَّنين : المتهم . والظَّنون : السيء الظن . (٢) اخترم : أهلك . المنون : الموت . ريب المنون : حوادث الدهر . النأي: البعد . (٣) وَصول : يصل غيره بالعطاء . مقتراً : قليل المال . أحفى الصديق : ألح عليه بالسؤال.

وكنتُ أُعيرُ الدمعَ قبلَك مَن بكـــى فأنتَ على من مات بعدَك شاغلُــــه
لَعَمرُك إن الموتَ منـــا لَمُولَـــعٌ بمَن كان يُرجى نَفعُه ونَوافِلُـــه

ثم قُتِل اخوه حَكَمٌ ، فقال يرثيه :

أَخٌ لي لو دَعوتُ أجـــاب صوتـــي وكنتُ مجيبَه أنَّـــى دعانـــي
فقد أفنى البُكاءُ عليـــه دمعـــي ولو أني الفقيدُ اذًا بكانـــي
وكنتَ سِنانَ رُمحـــي من قَناتـــي وليس الرُمحُ إلا بالسِنـــانِ
وكنتَ بَنـــانَ كفي من يمينـــي وكيفَ صَلاحُها بعدَ البَنـــانِ

وقف الفرزدق على الشمردل وهو يُنشد قصيدةً له فمرَّ فيها هذا البيتُ :

وما بينَ مَن لم يُعطِ سمعا وطاعـــةً وبينَ تميمٍ غيرُ جَزِّ الحلاقـــمِ

فقال له الفرزدق : والله ، يا شمردلُ ، لَتَترُكَنَّ لي هذا البيتَ او لتَركن لي عِرضَك . فقال : خذه لا بارك الله لك فيه . فادَّعاه وجعله في قصيدةٍ أولها :

تَحِنُّ بزوراءِ المدينـــةِ ناقتـــي حنينَ عَجولٍ تَبتغي البَوَّ رائِمِ (١)

وبَلَغه أن رجلا من بني ضَبَّةَ سُرَّ في قتلِ اخوته ، فقال :

يا ايُّها المُبتغي شَتمـــي لأَشتُمَـــه إن كان أعمى فاني عنك غيرُ عَمِ (٢)
ما أَرضعَت مُرضِعٌ سَخْلاً (٣) أعقَّ بها في الناس لا عَرَبٍ منها ولا عَجَمِ
عوَى ليَكسِبَها شرًا فقلـــتُ لـــه مَن يَكسِبِ الشرَّ ثَديَي أمِّه يُلَمِ

ثم يقول :

اذا غدا المِسكُ يَجري في مَفارقِهـــم راحوا كأنَّهمُ مَرضى من الكَرَمِ
لَئِن نَجَوتَ من الأحداث او سَلِمـــت منهن نفسُك لم تَسلَم من الهَـــرَمِ

(١) زوراء : موضع عند سوق المدينة . قرب المسجد . عَجول : ثكلى . البو : جلد الحوار اي ولد الناقة يحشى تبناً فيقرب من امه فتخدع به فتدر . رائم : عاطفة. (٢) لم يقل : عنه غير عَمٍ : للالتفات . (٣) المولود الرذل.

الحصين بن الحُمام

كان الحصينُ سيدَ بني سَهم بن مُرَّةَ وذا رأيِهم وقائدَهم ورائدَهم . وكان يقال له : مانعُ الضَيم .

اتى ابنُ الحصينِ بابَ معاويةَ فقال لآذنه : استأذن لي على امير المؤمنين وقل : ابنُ مانع الضيم . فاستأذن له ، فقال له معاوية : ويحَك ، لا يكون هذا إلا ابنُ عُروةَ بنِ الورْدِ العَبسيّ او الحُصينَ بن الحُمامِ المُرّيّ ، أدخِله . فلما دخل اليه قال له : ابنُ مَن أنت ؟ قال : انا ابنُ مانعِ الضيمِ ، الحُصينِ بنِ حُمامٍ . فقال : صدقتَ . ورفع مجلِسَه وقضى حوائجَه .

وادركَ الحصينُ الإسلامَ ، ويَدلُّ على ذلك قولُه :

وقافيةٍ غيرِ إنسيَّةٍ قرضتُ من الشعر أمثالَها (١)
شرودٍ تَلَمَّعُ بالخافقينِ اذا أُنشِدَت قيل مَن قالَها (٢)
أعوذُ بربي مِنَ المُخزياتِ يومَ تَرى النفسُ أعمالَها
وخَفَّ المَوازينُ بالكافرينَ وزُلزِلتِ الارضُ زِلزالَها
ونادى مُنادٍ بأهلِ القبورِ فهبُّوا لتَبرزَ أثقالَها
وسُعِّرَتِ النارُ فيها العَذابُ وكان السلاسِلُ أغلالَها

محمد بن يسير الرياشي

كان شاعرا ظريفا لم يفارق البصرةَ ولا وَفَد الى خليفةٍ ولا شريفٍ مُنتجِعا ولا تجاوز بلده . وكان ماجِنا هَجّاءً خبيثا .

---

(١) غير انسية اي الهمه اياها أحد الجن . وكانت العرب تزعم ان لبعض الفحول من شعرائهم شياطين تلهمهم الشعر .
(٢) شرود : قافية سائرة منتشرة . تلمع : تبرق . اصله تتلمع حذفت احدى التاءين تخفيفاً . الخافقان : المشرق والمغرب .

كان لابن يسيرٍ بُستانٌ يدور حولَ منزِله ، غرَس فيه أصلَ رُمانٍ وفَسيلةً (١) لطيفة وزرع حواليه بَقلا فأفلتت شاةٌ لجار له فأكلت البقلَ ومَضغت الخُوصَ ودخلت الى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيسَ فيها شعرُه وأشياءُ من سَماعاته ، فأكلَتها وخرجت . قال يَهجو الشاةَ :

لِيَ بُستانٌ انيقٌ زاهِرُ ... ناضِرُ الخُضرَةِ ريَّانُ تَرِفْ (٢)
أُقحُوانٌ وبَهارٌ مُونِقٌ ... وسِوى ذلك من كل الطُرَفْ
إكفِهِ يا ربِّ وَقصاءَ الطُلَى ... ألحِمِ الكتِفين منها بالكَتِفْ (٣)
فاذا ما سَعَلت واحدَودَبَتْ ... جاوبَ البَعرُ عليها فخُصِفْ (٤)
لا ترى تيساً عليها مُقدِماً ... مُنِيَتْ من كلِ تيسٍ بالصَلَفْ (٥)

وقال يشكو :

إن كنتُ لا عَيرَ لي يوما يُبَلِّغُني ... حاجي وأقضي عليه حقَّ إخواني (٦)
فان رِجلَيَّ عندي – لا عدِمتُهما – ... رِجلا اخي ثِقَةٍ مُذ كان جَولاني
كأنَّ خلفي اذا ما جَدَّ جَدُّهما ... إعصارَ عاصفةٍ مما تُثيران

وهو القائل :

ان الامورَ اذا انسدَّت مسالِكُها ... فالصبرُ يَفتحُ منها كلَّ ما ارتَتَجا (٧)
لا تيأسَنَّ وان طالت مُطالَبةٌ ... اذا استعنتَ بصبر أن ترى فَرَجا
أخلِق بذي الصبرِ ان يُحظى بحاجته ... ومُدمِنِ القَرعِ للأبوابِ أن يَلِجا

ومن جيد قوله :

تُخطي النفوسُ معَ العِيانِ ... وقد تُصيبُ معَ المَظِنَّهْ
كم من مَضيقٍ في الفَضاءِ ... ومَخرَجٍ بين الأسِنَّهْ

---

(١) نخلة صغيرة . (٢) انيق : حسن . ناضر : شديد الخضرة ، يبالغ به في كل لون . فيقال : اخضر ناضر . احمر ناضر . تَرِفَ : تَنعَّمَ فهو تَرِف . وهنا تروى فهو ريان ترف . (٣) وقصاء مؤنث أوقص : قصيرة العنق . الطلى جمع طلية او طلاة : الاعناق . يدعو عليها بان تصير كتفاها كتفاً واحدة . (٤) خصف : لصق بجسمها . (٥) التعجرف والكبرياء . المصلف : من لا تحظى عنده النساء . (٦) عَير : حمار . حاج : جمع حاجة . (٧) رتج الباب وارتجه : أغلقه اغلاقاً وثيقاً . وارتتج : استغلق .

ديك الجن

ديك الجن لقبٌ غلب عليه واسمُه عبدُ السلام بنُ رَغبانَ ، وهو شاعر مُجيد يَذهب مذهبَ ابي تمام والشاميين في شعره . من شعراء الدولة العباسية وكان من ساكني حِمصَ . لم يبرح نواحيَ الشام ولا وَفدَ الى العِراق ولا الى غيره مُنتَجِعا بشعره ولا متصديًا لأحد . وكان يتشيّعُ تشيُّعا حسنا . وكانت له جاريةٌ يهواها ، فاتّهمها بغُلام له فقتلها ، واستنفد شعرَه في مراثيها .

قال فيها :

لم تَبلُ عينُك ابيضــاً في أســوَدٍ   جَمعَ الجَمالَ كَوجهِها في شَعرِها
وتمايلَت فضَحِكتُ من أردافهـــا   عَجَبًا ولكني بَكَيتُ لخَصرِهـــا
تَسقيكَ كأسَ مُدامــةٍ من كفّهــا   ورديةٍ ومُدامةً من ثغرِهـــا

وقال :

نَغفُلُ والايــامُ لا تَغفُــلُ   ولا لنا من زمــنٍ مَوئِــلُ
والدهرُ لا يَسلَــمُ من صَرفِــه   مُسَربَلٌ بالسَردِ (١) مُستَبسِــلُ
يُصفي جديداه الــى حُكمِــه   ويَفعل الدهرُ بمــا يَفعَــلُ (٢)
كأنه من فَــرطِ عِــزٍ بــه   أَشوَسُ إذ أَقبَلَ او أَقبَلُ (٣)

الأقبل الذي في عينه قَبَل ، وهو دون الحَوَل .

(١) الدرع المسرودة اي المنسوجة . (٢) الجديدان : الليل والنهار . (٣) الاشوس ، ضد الأقبل ، الذي ينظر بمؤخرة العين .

قيس بن عاصم المِنقري

هو شاعرٌ فارسٌ شجاعُ حكيمٌ كثيرُ الغاراتِ مُظَفّر ، ويُكنّى ابا علي . وهو أحدُ من وَأَدَ[1] بناتِه في الجاهلية . ثم أَسلم وحَسُن إسلامُه .

وكان سببُ وأدِ قيسٍ بناتِه أن المُشمرجَ اليَشكُريَّ أغارَ على بني سعدٍ ، فسبى منهم نساءً واستاق أموالا ، وكان في النساء امرأةٌ ، خالُها قيسُ بنُ عاصِمٍ . فرحل قيسٌ اليهم يَسألُهم أن يَهَبوها له او يَفدُوها . فوجد ابنَ المُشمرجِ قد اصطفاها لنفسه . فسألَه فيها . فقال : قد جعلتُ أمرَها اليها فإن اختارتك فخُذها . فخُيِّرت ، فاختارت ابنَ المُشمرجِ . فانصرف قيسٌ فوَأَدَ كلَّ بنتٍ . واقتدت به العربُ . فكان كلُ سيدٍ يُولَدُ له بنتٌ يَئِدُها خوفا من الفضيحة .

تزوجَ قيسٌ مَنفوسةَ بنتَ زيدِ الفوارسِ الضَبّيِّ ، وأتته في الليلةِ الثانية من بِنائه بها بطَعام ، فقال : فأينَ أكيلي ؟ فلم تَعلَم ما يُريد ، فأنشأ يقول :

أيا ابنةَ عبدِ اللهِ وابنـــةَ مالـــكٍ ويا ابنةَ ذي البُردَين والفَرَسِ الوَردِ[2]
اذا ما صنعتِ الزادَ فالتَمِسي لــــه أكيلاً فإني لستُ آكلَه وَحـــدي
وإني لَعَبدُ الضيفِ من غيرِ ذِلَّـــةٍ وما بيَ إلا تلكَ من شِيَمِ العَبدِ

قال الاحنف : ما تعلمت الحلم الا من قيس بن عاصم المِنقَريّ . فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بَحر ؟ فقال : قَتَل ابنُ اخٍ له ابناً له . فأُتي بابنِ اخيه مَكتوفا يُقادُ اليه ، فقال : ذَعرتُم الفتى . ثم أقبل عليه فقال : يا بُني ، نَقصتَ عَددَك ، وأوهَيت رُكنَك ، وأشمَتَّ عَدوَّك وأسأتَ بقومِك . خلّوا سبيلَه واحمِلوا الى أمِ القتيلِ دِيتَه . قال : فانصرف القاتلُ وما حَلَّ قيسٌ حَبوَتَه[3]

(١) وأد بنته : دفنها حية . (٢) ذو البردين هو عامر بن أحيمر لقب بذلك لان الوفود اجتمعوا عند عمرو بن المنذر بن ماء السماء فاخرج بردين وقال : ليقم اعز العرب فليلبسهما . فقام عامر. فقال له : انت اعز العرب ؟ قال : نعم. لان العز كله في معد ثم نزار ثم تميم ثم سعد ثم كعب . فمن أنكر ذلك فليناظر . فسكتوا. فقال: هذه قبيلتك ، فكيف انت في نفسك واهل بيتك ؟ فقال : انا ابو عشرة ، واخو عشرة ، ثم وضع قدمه على الارض وقال : مَن أزالها عن مكانها فله مئة من الابل . فلم يقم اليه احد . فأخذ البردين . الورد : بين الكميت والاشقر . (٣) حبوته : ادارة الثوب على الساقين والظهر وهو جالس القرفصاء.

ولا تغيرَ وجههُ (١) .

ان قيسَ بنَ عاصمٍ سَكِرَ من الخمر ليلةً قبلَ ان يُسلِمَ فغَمَزَ عُكنَةَ (٢) ابنتِهِ ، وقيل اختِهِ ، فهربت منه . فلما صحا قيل له : أوَما علِمت ما صنعتَ البارحةَ ؟ قال لا . فأخبروه بصُنعه . فحرَّمَ الخمرَ على نفسه وقال :

وَجدتُ الخمرَ جامحـــةً وفيهـــا ... خِصالٌ تَفضَحُ الرجلَ الكريمـــا

فلا واللهِ أشرَبُهـــا حياتـــي ... ولا أدعو لها ابدا نديمـــا

فإن الخمرَ تَفضَحُ شاربيهـــا ... وتُجشِمُهُم بها امرًا عظيمـــا

اذا دارت حُمَيَّاها (٣) تَعلَّـــت ... طوالعُ تُسفِهُ الرجـلَ الحليمـــا

قال قيسُ بنُ عاصمٍ :

اتيتُ رسولَ الله فرحَّبَ بي وادناني ، فقلت : يا رسولَ الله ، المالُ الذي لا يكونُ علي فيه تَبِعَةٌ ما تَرى في إمساكِه لضيف إن طَرَقني ، وعيالٍ ان كَثُروا علي؟ فقال : نِعمَ المالُ (٤) الاربعون ، والاكثرُ الستون ، وَويلٌ لأصحاب المئين – ثلاثا – إلا مَن أعطى من رِسلها (٥) وأطرَقَ فحلَها (٦) وأفقرَ (٧) ظَهرَها . ومَنَح غَزيرتَها (٨) وأطعم القانعَ والمُعتَرَّ (٩) . فقلتُ له : يا رسولَ الله ، ما أكرمَ هذه الاخلاقَ . إنه (اي مالُه) لا يُحَلُّ بالوادي الذى انا فيه من كَثرتِها . قال : « فكيف تَصنعُ بالإطراق ؟ » قلت : يَغدو الناسُ ، فمَن شاءَ أن يأخُذَ برأسِ بعيرٍ ذهب به . قال : « فكيف تَصنعُ في الإفقار ؟ » فقلت : إني لأُفقِرُ النابَ المُدبِرَةَ (١٠) والضَرَعَ (١١)

---

(١) جاء في العقد الفريد : قيل للاحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم؟ قال : من قيس بن عاصم المنقري . حضرته يوماً قاعداً بفناء داره محتبياً بحمائل سيفه يحدثنا ، اذ جاؤوه بابن له قتيل وابن عم له كتيف، فقالوا: هذا ابن اخيك قتل ابنك. فوالله ما حل حبوته ولا قطع كلامه ، حتى اذا فرغ من الحديث التفت الى ابن اخيه وقال له : يا ابن اخي، أثمت بربك، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك ، ثم قال لابن له آخر : يا بني ، قم الى ابن عمك فأطلقه والى اخيك فادفنه والى ام القتيل فأعطها مئة ناقة دية ابنها فانها غريبة لعلها تسلو عنه . ثم انشأ يقول :

انـي امـــرؤ لا يعتـري خُلُقـــي ... دنـس يُهَجِّنـه ولا أفَـــنُ (ب)

مـن منقر مـن بيـت مكـــرمـة ... والغصـــن يَنبـت حولَـه الغصـنُ

خطباءُ حيـنَ يقـــوم قـــائلهم ... بيض الوجـوه مَصاقِـــع لُسُنُ (ج)

لا يَفطَنــون لعيـبِ جـــارهم ... وهــمُ لحفـــظِ جِوارِه فُطُـنُ

(ب) الأفن : ضعف الرأي . (ج) مصاقع : جمع مِصقَع : بليغ عالي الصوت . لسن : جمع ألسَن .

(٢) عكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً . (٣) حُمَيَّا الخمر : سورتها وشدتها وإسكارها . (٤) المال عند العرب اكثر ما يطلق على الابل . (٥) الرسل : اللبن . (٦) اعاره . (٧) الظهر : الابل التي يحمل عليها ويركب . أفقره بعيره . اعاره اياه للركوب ثم يرده . (٨) اعطاها من يحلبها ويردها . (٩) القانع : الذي يسأل . والمعتر : المتعرض للمعروف من غير أن يسأل . (١٠) الناقة المسنة الهرمة التي ادبر خيرها . (١١) الضرع: الصغير من كل شيء ، والضعيف الضاوي النحيف .

الصغيرة . قال : « فكيف تصنعُ في المَنيحةِ ؟ قلت : إني لأمنحُ في السنة المئةَ . قال : « إنما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ او تصدّقتَ فأبقيتَ » .

وجمع قيسُ بنُ عاصمٍ ولدَه حين حضرته الوفاةُ وقال : يا بَنيَّ ، اذا مُتُّ فسوِّدوا كِبارَكم ، ولا تُسوِّدوا صغارَكم فيُسَفِّهُ الناسُ كبارَكم . وعليكم بإصلاحِ المالِ فإنه مَنبَهةٌ للكِرام ، ويُستغنى به عن اللئيم . واياكم والمسألةَ فانها آخرُ مَكاسبِ العبدِ . ثم جَمع ثمانين سَهما فربطَها بوترٍ ، ثم قال : اكسُروها . فلم يَستطيعوا . ثم قال : فرِّقوا . ففرَّقوا . فقال : اكسُروها سهماً سهما . فكسروها . فقال : هكذا انتم في الاجتماع وفي الفرقة .

ثم مات ، فقال عَبْدَةُ بن الطبيب يرثيه :

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمتُه ما شاءَ أن يَترحَّما
فما كان قيسٌ هُلكُه هُلكُ واحدٍ ولكنَّه بُنيانُ قومٍ تَهدَّما

محمد بن حازم الباهلي

هو من ساكني بغدادَ ويكنى ابا جعفر ، ومولدُه ومنشؤه البصرةُ . وهو من شعراء الدولة العباسية شاعر مطبوع إلا أنه كان كثيرَ الهجاءِ للناس ، فاطُّرِح ، ولم يمدح الا المأمونَ .

سُئِل عن صديقٍ له ، فقال :

راجعَ بالعُتبى فاعتبتُه وربما أعتبَك المُذنِبُ (١)
وإنَّ في الدهر ، على صَرفِه ، وبينَ الصديقين لَمُستَعتَبُ (٢)

وقال في مدح الشبابِ وذمِّ الشَّيب :

لا تَكذِبَنَّ فما الدنيا بأجمعِها من الشباب بيومٍ واحدٍ بَدَلُ
كَفاك بالشيب عيباً عند غانيةٍ وبالشَّباب شفيعا ايُّها الرجلُ

(١) العتبى : الرضا . أعتبه : أعطاه العتبى ورجع الى مسرته . (٢) استرضاء . تقول : استعتبته فأعتبني . اي استرضيته فارضاني . وكان الاولى ان يقول لمستعتباً ، اسم إن . ولكن في النصب يكون الواء اي تغيير في حركة القافية . فيكون الرفع على ان اسم ان ضمير الشأن وجملة : « في الدهر لمستعتب » ، خبرها .

بانَ الشبابُ وولّى عنـك باطِلُـه فليس يَحسُن منك اللهوُ والغَزَلُ

وقال في مدح الحَسَن بن سَهل :

وقالوا لو مدحتَ فتىً كريماً فقلتُ وكيف لي بفتىً كريمِ

بَلَوتُ الناسَ مُذ خمسين عاماً وحسبُك بالمُجرِّبِ من عليمِ

ويُعجِبُني الفتى وأظُنُّ خيراً فأكشِفُ منه عن رجلٍ لئيمِ

وطاف الناسُ بالحَسَنِ بنِ سهلٍ طَوافَهُمُ بزَمزمَ[1] والحَطيمِ[2]

فَجئتُ وللأمور مُبشِّراتٌ ولن يَخفى الأغرُّ من البَهيمِ[3]

وما الآمالُ تَعطِفُني عليه ولكنَّ الكريمَ أخو الكريمِ

وقال في اناس :

بَلَوتُ خيارَهم فبلَوتُ قوماً كُهولُهمُ أخَسُّ من الشبابِ

وما مُسِخوا كِلاباً غيرَ أني رأيتُ القومَ أشباهَ الكِلابِ

كان لابن حازم صديق ، فنال مرتبةً من السُلطان وعلا قَدرُه فجفاه وتغيَّر له فقال فيه :

وَصلُ الملوكِ الى التَعالي ووفا الملوكِ من المُحالِ

مالي رأيتُك لا تَدومُ على المودةِ للرجالِ

إن كان ذا أدبٍ وظَرفٍ قُلتَ ذاك أخو ضَلالِ

او كان ذا نُسُكٍ ودِينٍ قلتَ ذاك مِنَ الثِقالِ

فبمثلِ ذا – ثَكلتك امُّك – تَبتغي رُتَبَ المَعالي ؟

وتَنسَّك محمدُ بنُ حازمٍ الباهليُّ وتَرَك شُربَ النبيذ . فدخل يوما على ابراهيمَ بنِ المهدي ، فحادثه وناشده وأكل معه لما حَضَرَ الطُعامُ . ثم جلسوا للشَراب ، فسأله ابراهيمُ أن يَشرَب فأبى وانشأ يقول :

أبعدَ خمسينَ أَصبو ؟ والشيبُ للجَهلِ حَربُ

سِنٌّ وشَيبٌ وجَهلٌ أمرٌ لَعَمرُك صَعبُ

يا ابنَ الإمامِ فَهلاً ايامَ عُودي رَطبُ

وشَيبُ رأسي قليلٌ ومَنهَلُ الحُبِ عَذبُ

(١) زمزم : بئر إزاء الكعبة يستقي منه الحجيج . (٢) بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة . (٣) الاغر : ذو الغرة وهي بياض في الجبهة . والبهيم : الاسود .

واذ سِهامــــي صِيـــابٌ ونَصلُ سيفـــيَ عَضــــبُ
فالآنَ حيـــنَ رأى بـــي عَواذلـــي ما أحَبُّـــوا
آليـــتُ أشـــرَبُ كأســـاً ما حَـــجَّ للهِ رَكـــبُ

ومما يغنى في شعره :

خُذ منَ العَيـــشِ ما كفـــى ومنَ الدهرِ مـــا صَفـــا
حَسُنَ الغَـــدرُ في الأنـــامِ كما استُقبِـــحَ الوَفـــا
صِل أخا الوَصـــلِ إنـــه ليس بالهَجر مِـــن خَفـــا
عينُ مَن لا يُريـــدُ وصلَـــك تُبـــدي لك الجَفـــا

الحكم بن قُنبُر

بَصريٌّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية ، وكان يُهاجي مُسلِمَ بنَ الوليد الأنصاريَّ ثم غلبه مُسلِمٌ .

قال القسري : رأيتُ مسلِمَ بنَ الوليدِ والحَكَمَ بنَ قُنبُرٍ في مسجدِ الرُصافةِ في يومِ جُمُعةٍ وكُل واحدٍ منهما بإزاءِ صاحبِه ، وكانا يتهاجيان . فبدأ مُسلِمٌ فأنشد قصيدتَه :

أنـــا النارُ في أحجارِهـــا مستكِنَّـــةٌ فإن كنتَ مِمَّن يَقدَحُ النارَ فاقدَحِ

وتلاه بنُ قُنْبُرٍ فأنشد قولَه :

قد كِدتَ تَهوي وما قوسي بمُوتَـــرَةٍ فكيف ظَنُّك بي والقوسُ في الوَتَرِ

فوثب مسلمٌ وتَواخزا [١] وتَواثبا حتى حَجز الناسُ بينهما فتفرَّقا .

قال ابن سَلاّم : انشدَني ابنُ قنبر لنفسِه :

ويلي على مَن أطار النومَ وامتنعـــا وزاد قلبي على أوجاعِه وَجَعا
ظَبيٌ أغرُّ تَرى في وجهِـــه سُرُجـــاً تُعشي العُيونَ اذا ما نُورُه سَطعا
كأنما الشمسُ في اثوابِه بَـــزَغـــت حُسنا اوِ البدرُ في أردانِه[٢] طَلَعا

(١) تطاعنا طعنا غير نافذ . (٢) جمع رُدن : الكُم .

فقد نَسيتُ الكَرى من طول ما عَطِلت ... منه الجُفونُ وطارت مُهجتي قِطَعا

ثم قال ابن قنبر : لَقِيَتني جَوارٍ من جَواري سليمانَ بنِ عليٍّ في الطريق فقُلنَ لي : انت الذي تقول :

ويلي على من أطار النومَ وامتنعا .

فقلت : نعم . فقلن : أمع هذا الوجهِ السَمِجِ تقول هذا ؟ ثم جَعلن يَجذِبنَني ويَلهَون بي حتى أخرجنَني من ثيابي ، فرجعتُ الى منزلي عاريا .

علي بن الخليل

هو من اهل الكوفة ومولىً لمعنِ بنِ زائدةَ الشَيباني . اتُّهِم بالزَندقة .

جلس الرشيدُ بالرافقة[1] ، للمظالم ، فدخل عليه عليُّ بنُ الخليل وهو مُتوكّئٌ على عصا . وعليه ثِيابٌ نِظافٌ وهو جميلُ الوجه ، في يده قصيدةٌ ، فلما رآه أمرَ بأخذها ، فقال له : يا اميرَ المؤمنين انا أُحسنُ قِراءةً لها . فإن رأيتَ أن تأذَنَ لي في قِراءتِها فعلتُ . قال : اقرأها . فاندفع يُنشِدُه :

يا خيرَ مَن وَخَدت بِـأرحُلِـه ... نُجُبٌ تَخُبُّ بمَهمَهٍ جَلَسِ[2]

تَطوي السباسِبَ في أزِمَّتِها ... طَيَّ التِجارِ عمائِمَ البُرسِ[3]

لمّا رأتكَ الشمسُ اذ طَلَعت ... كُسِفَت بوجهك طَلعةُ الشَمس

من عِترةٍ طابت أَرومَتُهم ... اهلِ العَفافِ ومُنتهى القُدُسِ[4]

نُطُقٍ اذا احتُضِرت مجالِسُهم ... وعنِ السَفاهةِ والخَنا خُرُسِ

متهلّلين على أسِرَّتِهم ... ولدى الهياجِ مَصاعِبٍ شُمُسِ[5]

فمعَ السماءِ فروعُ نَبعتِهم ... ومع الحضيضِ مَنابِتُ الغَرسِ[6]

(١) بلد متصل بالرقة ، على ضفة الفرات ، بناه المنصور على بناء مدينة بغداد . (٢) وخد البعير : اسرع . ارحل : جمع رحل . مركب للبعير . نجب جمع نجيب : الجمل القوي السريع . مهمه : مفازة بعيدة . جلس : الغليظ من الارض . (٣) سباسب جمع سبسب : المفازة . ازمة جمع زمام . البرس : القطن . (٤) عترة الرجل : نسله ورهطه . الارومة الاصل . (٥) مصاعب جمع مُصعَب . وهو الفحل الذي لم يُركب . رجل مصعب : مُسوَّد . شمس : جمع شَموس من شمس الفرس : اذا منع ظهره . (٦) النبعة : شجرة للقِسي والسهام . الحضيض : القرار في الارض .

كم قـــد قطعتُ اليكَ مُــدَّرِعا ليلا بهيمَ اللونِ كالنقسِ(١)

فاستحسنها الرشيد وقال له : مَن أنت ؟ قال : انا عليُّ بنُ الخليل الذي يُقال فيه إنه زنديقٌ . فضحك وقال : انتَ آمن . وأمر له بخمسة الافِ درهمٍ .

قال علي في مشيبه :

على اللـــذّاتِ والــراحِ السَلامُ تَقضّى العهــدُ وانقطع الذمامُ
مضى عهدُ الصبـــا وخرجتُ منـــه كما من غِمدِه خرجَ الحُسامُ
وقرتُ عـــلى المشيبِ فليس منـــي وِصالُ الغانيـــاتِ ولا المُدامُ
وولّى اللهوُ والقَينـــاتُ عنـــي كما ولّى عن الصبحِ الظــلامُ

محمد بن الزف

هو مولى بني تميم . كوفيُّ الاصلِ والمولدِ والمَنشأ . كان مغنيا ضاربا ، طيِّبَ المسموع ، صالحَ الصَنعةِ ، مليحَ النادرة . اسرعُ خلقِ الله أخذاً للغناء . فما هو إلا أن يَسمعَ الصوتَ مرةً واحدةً حتى قد أخذه وألقاه . كان يَتعصَّبُ على ابن جامعٍ ويَميلُ الى ابراهيمَ المَوصِليِّ وابنه اسحاقَ ، فكانا يَرفعان منه ويَجتلبان له الرفد والصِلاتِ من الخُلفاء.

قال اسحاقُ : غنّى ابنُ جامعٍ يوماً بحضرة الرشيد :

أرسلـــت تُقرِئُ السَلامَ الـــرَبابُ في كتـــابٍ وقد أتانا الكتابُ

فأحسنَ فيه ما شاء . ونظرتُ الى الزفِّ فغمزتُه وقُمتُ الى الخَلاءِ ، فاذا هو قد جاءني . فقلت له : ايَّ شيءٍ عَمِلتَ ؟ فقال : قد فرغتُ لك منه . قلت : هاته . فردَّه علي ثلاثَ مراتٍ ، واخذتُه وعُدتُ الى مجلسي ، وغمزتُ عليه عَقيداً ومُخارقا ، فقاما فألقاه عليهما ، وابنُ جامعٍ لا يَعرف الخبرَ . فلما عادا الى المجلس عرّفاني أنهما قد أخذاه . فلما بلغ الدورُ الي كان الصوتُ اولَ شيءٍ غنيتُه . فحدَّد الرشيدُ نظَره الي ، وماتَ ابنُ جامعٍ وسُقِط في يده(٢) . فقال الرشيدُ من اينَ لك هذا ؟ قلتُ انا أرويه قديما ، وقد اخذه عني مُخارقٌ وعَقيدٌ . فقال : غَنّياه . فغَنّياه .

(١) مدرعا ليلا : اي لابساً الليل كانه الدرع الاسود . النقس : المداد . (٢) تحير .

فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية ، ما سبقه اليه احدٌ . فنظر الرشيدُ الي فغمزتُه بعيني أنه صدق . وجدّ الرشيدُ في العبث به . ثم سألني بعدَ ذلك عن الخبر فصدقتُه عنه وعن الزفّ . فجعل يضحكُ ويقول : لكل شيءٍ آفةٌ ، وآفةُ ابنِ جامعٍ الزفُّ .

ابو شبل البُرجُمي

اسمه عاصمُ بنُ وهبٍ ، مولدهُ الكوفةُ ونشأ وتأدّب بالبصرة .

قدم ابو الشبلِ الى سُرَّ مَن رأى في ايامِ المتوكلِ ومدحَه بقوله :

أقبلي فالخيرُ مُقبلْ ... واتركي قولَ المُعلِّلْ
وثقي بالنُجحِ إذ أبـ ... ـصَرتِ وجهَ المتوكِّلْ
ملِكٌ يُنصِفُ يا ظا ... لِمتي فيكِ ويعدِلْ
فهو الغايةُ والمأ ... مولُ يرجوه المُؤمِّلْ

فأمر له بألف درهم لكل بيت ، وكانت ثلاثين بيتاً .

قال ابو الشبل :

عذيري[1] من جواري الحـ ... ـيِّ إذ يرغبنَ عن وصلي
رأينَ الشيبَ قد ألبـ ... ـسَني أُبّهةَ الكهلِ
فأعرضنَ وقد كنَّ ... اذا قيلَ ابو الشبلِ
تساعينَ فرقّعنَ الـ ... ـكُوى بالأعينِ النُجلِ

وهذا سرقه من قول العُتبيِّ :

رأينَ ، الغواني ، الشيبَ لاحَ بمفرقي ... فأعرضن عني بالخدود النواضرِ
وكُنَّ اذا أبصرنَني أو سمعنَني ... سعَين فرقّعن الكُوى بالمحاجرِ

عابثَ ابو الشبلِ قينةً لهاشمٍ النحويِّ يُقالُ لها خنساء ، وكانت تقولُ الشعرَ ، فأفرط حتى

(١) عذيري : عاذري . اي : مَن عذيري .

أغضبها فقالت له : ليتَ شعري ، بأيِّ شيء تُدِلُّ ؟ انا ، واللهِ ، اشعرُ منك ، لئن شئتَ لأهجُوَنَّك . فأقبل عليها وقال :

حسناءُ قد أفرطت علينا فليس منها لنا مُجيرُ
تاهت بأشعارِها علينا كأنّما «كامها» جريرُ

فخَجِلت حتى بان ذلك عليها وأمسكت عن جوابه .

عبد الله بن الزبير الاسدي

هو شاعر كوفيُّ المنشأ والمنزل من شعراء الدولة الاموية ، وأحدُ الهجّائين المرهوبُ شرُّهم .

غضب عبدُ الرحمنِ ابنُ امِّ الحَكَمِ على عبدِ الله بنِ الزبير الاسدي لَمّا بلغه أنه هجاه ، فهدم داره . فأتى معاويةَ فشكاه اليه ، وقال : أحرَقَ لي داراً قد قامت عليَّ بمئة الف درهمٍ . فقال معاويةُ : ما اعلَمُ بالكوفة دارا أُنفِقَ عليها هذا القَدْرُ . فمَن يَعرف صحّةَ ما ادّعيتَ ؟ قال : هذا المنذرُ بنُ الجارودِ حاضرٌ ويَعلَم ذلك . فقال معاويةُ للمنذرِ : ماعندَك في هذا ؟ قال إني لم آبَه [١] لنفقته على داره ومبلغها ، ولكني لما دخلتُ الكوفةَ وأردتُ الخروج عنها ، أعطاني عشرينَ الفَ درهمٍ وسألني ان ابتاعَ له بها ساجاً [٢] من البصرة ، ففعلت . فقال معاوية : ان دارا اشتُرِيَ لها ساجٌ بعشرينَ الفَ درهمٍ لَحقيقٌ ان يكونَ سائرُ نفقتها مئةَ الفِ درهمٍ . وامر له بها

فلما خرجا اقبل معاويةُ على جُلَسائه ثم قال لهم : ايُّ الشيخين عندَكم أكذبُ ؟ والله إني لأعرِفُ دارَه وما هي الا خِصاصُ قصبٍ . ولكنَّهم يقولون فنَسمعُ ، ويُخادعوننا فنَنخدِع. فجعلوا يَعجَبون منه .

وكان عبدُ الرحمن ابنُ ام الحكم لما وَلِيَ الكوفةَ اساء بها السيرة وكان مُحَمَّقًا . فعزله خالُه معاويةُ واطّرحَه وقال له : يا بُنَي ، قد جهَدتُ أن أُنَفِّقَك وانت تزدادُ كَسادا .

وقالت له اختُه امُّ الحكم بنتُ ابي سفيانَ بنِ حربٍ : يا اخي ، زوِّج ابني بعضَ بناتك . فقال : ليس لهن بكُفءٍ. فقالت له: زَوَّجَني ابو سفيانَ أباه، وابو سفيان خير منك، وانا خير من بناتك. فقال لها: يا أُخَيَّةُ ، انما فعل ذلك ابو سفيان لانه كان حينئذٍ يَشتهي الزبيبَ ، وقد كثُرَ الانَ الزبيبُ عندَنا [٣]

(١) لم أحفل (٢) خشب الساج (٣) كان ابو عبد الرحمن من ثقيف الطائف حيث يكثر كروم العنب .

مَدَحَ عبدُ الله بنُ الزبير اسماءَ بنَ خارجةَ الفَزاريَّ فقال :

تَراه اذا مـــا جئتَه متهلّـــــلا كأنك تُعطيه الـــــذي انت نائلُهْ

اذا ما أتَـــوا ابوابَـــه قال مرحبـاً لِجُوا البابَ حتى يَقتُلَ الجوعَ قاتِلُهْ

ولو لم يكن في كفِّـــه غيرُ روحِه لجـــاد بها فليَتَّـــقِ اللهَ سائلُهْ

دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان ، ولما وقف بين يديه جعل يتأمل مَن حَواليه من بني اميةَ ويُجيلُ بصرَه فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم ، فقال له بشرٌ : إن نظرك يا ابن الزبيرِ لَيَدُلُ أن وراءه قولا . فقال : نعم . قال : قل . فقال :

كأنَّ بني اميـــــةَ حـــولَ بشـرٍ نجـــومٌ وَسطَها قمـــرٌ مُنيرُ

هـــو الفرعُ المقدَّمُ مـــن قريـشٍ اذا أخذت مآخـــذَهـــا الامورُ

لقـــد عمَّت نـــوافلُه فأضحـــى غنيًّا من نـــوافلِه الفقيـــرُ(١)

جَبرتَ مَهيضَنـــا وعـــدلتَ فينـا فعاشَ البائِسُ الكَلُّ الكَسيرُ(٢)

فانت الغيـــث قـــد علِمت قريـشٌ لنا ، والواكِفُ الجَونُ المَطيرُ(٣)

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

اتى عبدُ الله بنِ الزبير ابراهيمَ بنَ الاشترِ النخعيَّ فقال له : اني قد مدحتك بأبيات فاسمَعهنَّ . فقال : اني لستُ أُعطي الشعراءَ . فقال : اسمعها مني وترى رأيَك . فقال : هاتِ اذاً . فأنشدَه قوله :

اللهُ أعطـــاكَ المهـــابةَ والتُقـــى وأحلَّ بيتَـــك في العـــديد الأكثرِ

وأقـــرَّ عينَك يومَ وقعةِ خـــازِرٍ والخيـــلُ تَعثُر بالقنـــا المتكسِّـــرِ

اني مدحتُك اذ نبـــا بيَ منـــزلي وذممتُ اخوانَ الغنى من مَعشَـــرِ

فهلُمَّ نحـــوي من يمينِك نفحـــةً ان الزمـــانَ الحَّ يا ابنَ الأشترِ

فقال : كم ترجو ان أعطيَك ؟ فقال : الف درهم أُصلِحُ بها أمرَ نفسي وعيالي . فأمر له بعشرين الف درهم .

---

(١) نوافل جمع نافلة : العطية . (٢) المهيض من فعل هاض العظم والجناح : كسره . الكل : الكليل : الضعيف ، اليتيم ، العَيِّل . (٣) الواكف من وكف الماء : سال . الجون من الاضداد يطلق على الابيض والاسود . وهنا يعني الاسود اي الغمام الاسود الممطر يشبهه بالعطاء بالغمام

ثابت قطنة

هو ثابتُ بنُ كعبٍ ويُكنّى ابا العلاء ، ولُقِّب قُطنةً لان سهما أصابه في احدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك ، فكان يَجعلُ عليها قُطنةً . وهو شاعرٌ فارسٌ شجاعٌ من شعراء الدولة الاموية

وَلِي ثابتُ قُطنةَ عملا من اعمال خُرسانَ . فلما صَعَد المِنبرَ يومَ الجُمُعةِ رام الكلامَ فتعذَّر علَيه وحَصِر ، فقال : سيجعل اللهُ بعدَ عُسرٍ يُسرا ، وبعدَ عِيٍّ بَيانا . وأنتم الى اميرٍ فعّالٍ أحوجُ منكم الى اميرٍ قَوّالٍ .

وإلا أكُــن فيكم خطيبــاً فانّنــي   بسيفي اذا جَــدَّ الوغى لَخَطيبُ

فبلغت كلماتُه خالدَ بنَ صَفوانَ — ويقال : الاحنفَ بنَ قيسٍ — فقال : والله ما علا ذلك المنبرَ أخطبُ منه في كلماته هذه . ولو أن كلاما استخفّني فأخرجَني من بلادي الى قائلِه استحساناً له ، لأخرجتْني هذه الكلماتُ الى قائلِها .

وهذا الكلامُ بخالدِ بنِ صَفوانَ اشبهُ منه بالأحنفِ .

كان ثابتُ قطنةَ قد جالس قوماً من الشُراة[1] وقوماً من المُرجِئة[2] وكانوا يجتمعون فيتجادلون بخُراسان فمال إلى قول المُرجئة وأحبه فقال :

يــا هندُ إني اضِن العيش قــد نَفِــدا   ولا أرى الامر إلا مُدبــراً نَكِــدا

يــا هند فاستمعي لي ان سيرتنـــا   أن نعبُد الله لم نُشرك به أحــدا

نُرجي الامــورَ اذا كانت مشبَّهــةً   ونَصدُق القولَ فيمن جار او عَنَدا[3]

---

(١) يسمي الخوارج انفسهم الشُراة جمع شارٍ من شَرى بمعنى باع ، لقولهم : شرينا انفسنا في طاعة الله ، اي بعناها ووهبناها ، أخذ من قوله تعالى : « ومن الناس من يَشري نفسه ابتغاءَ مرضاةِ الله . » أو من شرى بمعنى اشترى بقولهم : شرينا الآخرة بالدنيا . اي اشتريناها . (٢) المرجئة ، فرقة من الفرق الاسلامية . والإرجاء على معنيين : احدهما التأخير ، من أرجأه ، اذا أخره ، والثاني : إعطاء الرجاء ، وعلى هذا فهو من أرجى ، اي بعث فيه الرجاء . اما اطلاق اسم المرجئة على هذه الجماعة بالمعنى الاول فلأنهم كانوا يؤخرون العمل عن الايمان . واما بالمعنى الثاني ، فلأنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة . وقيل : الارجاء تأخير حكم صاحب الكبيرة الى يوم القيامة ، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا . وقد غلت طائفة من المرجئة فقالوا : إن الايمان عَقد بالقلب ، وان أعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعَبَد الاوثان او لزم اليهودية او النصرانية في دار الاسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الاسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله ، من اهل الجنة . (٣) عند عنوداً عن الطريق : مال .

مَن يتقي اللهَ في الدنيـــا فـــإن لـــه أجرَ التقيِّ اذا وفّى الحسابَ غـــدا
كلُّ الخوارجِ مُخطٍ في مقالتـــــه ولو تعبَّد في ما قالَ واجتهـــدا

لما قُتِل المفضَّلُ بنُ المهلَّبِ دخل ثابتُ قُطنةٍ على هندٍ بنتِ المهلَّبِ ، والناسُ حولَها جُلوسٌ يُعزُّونها ، فأنشدَها :

يا هندُ كيف بنُصبٍ بـات يَبكيني وعائرٍ في سوادِ الليـلِ يُؤذيني (١)
كأن ليليَ والأصـداءُ هـاجِـدةٌ ليلُ السليمِ وأعيا مَن يُداويـني (٢)
اذا ذكرتُ ابـا غَسـانَ أرّقَـني همٌّ اذا عرَّس السازون يُشجيني (٣)
كان المُفضَّلُ عِـزًّا في ذوي يَمَـنٍ وعِصمةً وثِمالا للمساكيـنِ (٤)

فقالت له هند : اجلِس يا ثابت ، فقد قَضَيتَ الحقَ ، وما من المَرثِية بُدٌّ . وكم من ميتةِ مَيِّتٍ أشرفُ من حياة حيٍ . وليست المُصيبةُ في قتل ممن استُشهِد ذابًا عن دينه مُطيعا لربه . وانما المصيبةُ في مَن قلَّت بصيرتُه ، وخَمل ذكرُه بعدَ موته ،وأرجو ألا يكونَ المفضَّلُ عندَ الله خاملا .

يُقال : إنه ما عُزِّيَ يومئذٍ باحسنَ من كلامها .

وقال في قومه من الأزد عاتبا :

تَعفَّفتُ عـن شتمِ العشيرةِ إنـني وجدتُ ابي قد عفَّ عن شتمها قبلي
حليماً اذا ما الحلُم كان مَـروّةً واجهَلُ أحياناً اذا التمسوا جَهـلي

كعب الاشقري

هو شاعر خطيب فارس معدود من الشجعان ، من أصحاب المهلَّب . أوفد المهلَّب بنُ ابي صُفرةَ كعبا الاشقريَّ إلى الحجاج بخبرِ وقعةٍ كانت له مع الأزارقة . فلما قدِم عليه انشدَه قصيدة منها :

(١) نصب : داء وبلاء . عائر : كل ما اعل العين والقذي والعوار . (٢) الاصداء جمع صدى . هاجدة نائمة . السليم : الملدوغ : أعيا : أعجز . (٣) عرس القوم : نزلوا في آخر الليل للاستراحة . السارون من سرى : سار ليلا . اشجاه : أحزنه . (٤) الثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه .

باتت كتائبُنـــا تَردي مُسَوَّمَـــةً   حولَ المهلَّبِ حتى نَوَّرَ القمرُ[١]
تأبى علينا حزازاتُ النفوس فمـــا   تُبقي عليهم ، ولا يُبقون إن قدَروا

فضحك الحجاج وقال : إنك لَمُنصفٌ يا كعبُ . ثم قال : أخطيبٌ انت ام شاعر ؟ فقال شاعر وخطيب. فقال : كيف كان بنو المهلَّب ؟ قال : حُماةٌ للحريم نَهارا ، وفُرسانٌ بالليل أيقاظا . قال : صِفهم رجلاً رجلا. قال : المُغيرةُ فارسُهم وسيِّدهم . وكفى بيزيدَ فارسا شُجاعا ، ليثُ غابٍ وبحرٌ جَمّ العُباب . وجَوادُهم قَبيصةُ ليثُ المَغارِ وحامي الذِّمارِ . ولا يستحي الشجاعُ أن يَفِرَّ من مُدرِك ، فكيف لا يَفِرُّ من الموت الحاضر والأسدِ الخادر. وعبدُ الملك سُمٌّ ناقعٌ وسيفٌ قاطعٌ . وحبيبٌ الموتُ الذُعافُ[٢] . وابو عُيينةَ البطلُ الهمامُ والسيف الحسام . وكفاك بالمفضَّلِ نَجدةً . ليثٌ هَدّارٌ وبحر مَوّارٌ[٣] . ومحمدٌ ليثُ غابٍ وحُسامُ ضِرابٍ . قال : فأيهم أفضلُ ؟ قال : هم كالحَلقة المُفرَغةِ لا يُعرَفُ طَرَفاها . قال فكيف جماعةُ الناس ؟ قال : على أحسنِ حال . ادركوا ما رَجَوا ، وأمِنوا مما خافوا ، وأرضا هم العدلُ . قال : فكيف رِضا هم عن المهلَّبِ ؟ قال : احسنُ رِضاً قال : كان اعلمَ بك حيثُ بعثَك . وامر له بعشرةِ آلافِ درهمٍ ، وحَمَلَه على فَرس وأوفده إلى عبدِ الملك بنِ مروانَ ، فأمر له بعشرةِ آلافٍ أخرى .

قال الفرزدق : شعراء الاسلام اربعة : انا وجرير والاخطل وكعبٌ الاشقري .

كانَ عبد الملك بنُ مروان يقول للشعراء : تُشَبِّهوني مرةً بالأسد ، ومرةً بالبازي ، ومرة بالصَقر. ألا قلتم كما قال كعبٌ الاشقري في المهلَّب وولده . :

بَراكَ اللهُ حين بَـــراكَ بحـــرا   وفَجَّرَ منك انهـــارا غِـــزارا
بنـــوك السابقـــون إلـــى المعالـــي   اذا ما اعظمَ الناسُ الخِطارا[٤]
كأنَّهمُ نجـــومٌ حـــولَ بَـــدرٍ   دَراريٌّ تَكَمَّلَ ، فاستدارا[٥]
ملوكٌ يَنزلـــون بكـــل ثَغـــرٍ   اذا ما الهـــامُ يومَ الرَوعِ طارا[٦]
رِزانٌ في الامور تـــرى عليهـــم   من الشيخ الشمائـــلَ والنِجـــارا[٧]

---

(١) ردى يردي الفرس : رجم الارض بحوافره . مسومة : الخيل عليها العلامة . (٢) ذعاف وزعاف : السريع . (٣) ماريمور : هاج واضطرب . (٤) المراهنة . (٥) دراري جمع دري : النجم المضيء . تقدير البيت : كانهم نجوم دراري حول بدر تكمل فاستدارا . (٦) الهام جمع هامة : الرأس . ثغر : مرفأ ، ميناء . (٧) رزان جمع رزين . الشمائل جمع شِمال وهو الطبع . النجار : الاصل والحسب .

حماد عجرد

شاعر عباسي اصله ومنشؤه الكوفة . كان ابوه نَبَّالا يَبري النَبلَ . كان خليعا ماجنا مُتَّهَم في دينه مَرمِيّاً بالزندقة . وعجرد مأخوذ من المُعَجرِد ، وهو العريان في اللغة . يقال تعجردَ الرجلُ اذا تعرَّى . وعجردتُ الرجلَ عجردةً : عرَّيته .

ان حمادا لُقِب بعجرد لان أعرابيا مر به في يوم شديدِ البرد وهو عُريانُ يلعب مع الصبيان ، فقال له : تعجردتَ يا غلامُ . فسُمِّي عجردا . والعجرد ايضاً : الذهب .

كان بالكوفة ثلاثةُ نفرٍ يُقالُ لهم الحَمَّادون : حمادُ عجرد ، وحمادُ الراويةُ ، وحمادُ بنُ الزبرقان ، يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الاشعارَ ويتعاشرون مُعاشرةً جميلة ، وكانوا كأنهم نَفسٌ واحدة يُرمَون بالزندقة جميعا .

التهاجي بين بشار وحماد .

قال حماد في بشار :

ألا مَن مُبلِغٌ عني الـ ... ـذي والدُهُ بُردُ
اذا ما نُسِبَ الناسُ ... فلا قبلٌ ولا بَعدُ
ويا أقبَحَ من قِردٍ ... اذا ما عَمِيَ القِردُ

فلما سمع بشار هذا البيت بكى . فقال قائل : أتبكي من هجاء حَمَّاد ؟ فقال : والله ما ابكي من هجائه ، ولكني ابكي لانه يراني ولا اراه ، فيَصِفُني ولا أَصِفُه .

اتصل حماد عجرد بالربيع يُؤَدِّبُ ولدَه . فكتب اليه بَشارٌ رُقعةً :

يا ابا الفضلِ لا تَنَمْ ... وَقَعَ الذئبُ في الغَنَمْ
إن حمَّادَ عَجرَدٍ ... إن رأى غَفلةً هَجَمْ
ان خلا البيتُ ساعةً ... مَجمَجَ الميمَ بالقَلَمْ

فلما قرأها الربيع قال : أخرجوا حَمادا . فأُخرِج .

لما قال حمادُ عجردٍ ببشار :

نُسِبتَ الى بُردٍ وانتَ لغيرِه ... وهَبكَ لبُردٍ ، (كُمتَ) امُّك ، مَن بُردُ

قال بشار لراويته : ها هنا أحدٌ ؟ قال : لا. فقال: أحسنَ والله ما شاء ابنُ الزانية . تَهيَّأ له عليَّ في هذا البيتِ خمسةُ معانٍ من الهجاء . قولُه : «نُسبتَ إلى برد» معنى ، ثم قولُه : « وانت لغيره » معنى آخر. ثم قولُه : « وهَبك لبُردٍ » معنى ثالث . وقوله : «كمت امك » شتمٌ مفرد واستخفافٌ مُجدَّد ، وهو معنى رابع ، ثم ختمها بقوله : « مَن بردُ » . ولقد طلب جريرٌ في هجائه للفرزدق تكثيرَ المعاني ، ونحا هذا النحوَ ، فما تَهيَّأ له أكثرُ من ثلاثةِ معانٍ في بيت ، وهو قوله :

لَمّا وضعتُ على الفرزدقِ مِيسَمي … وضغا البَعيثُ جَدعتُ أنفَ الأخطلِ (١)

فلم يُدرِك اكثرَ من هذا .

قال راوية بشار: انشدتُ بشاراً قول حَماد :

ألا قُلْ لعبدِ اللهِ إنك واحدٌ … ومثلُك في هذا الزمانِ كثيرُ
قَطَعتَ إخائي ظالماً وهجرتَني … وليس اخي مَن في الإخاء يَجورُ
أديمُ لأهلِ الوُدِّ وُدّي، وإنني … لمن رام هجري ظالماً ، لَهَجورُ
فلا تَحسَبَنْ مَنحي لك الوُدَّ خالصاً … لِعزٍّ ولا أني اليك فَقيرُ

فقال بشار : ما قال حمادٌ شعرا قط هو أشدُّ علي من هذا . قلتُ : كيف ذاك ولم يَهجُك فيه ؟ قال : لان هذا شعرٌ جيدٌ ومثلُهُ يروى . وانا أنفَس(٢) عليه ان يقولَ شعرا جيدا .

أُنشِد بشارٌ قولَ حمادٍ :

أخي كُفَّ عن لومي فإنك لا تَدري … بما فعل الحبُ المُبرِّحُ في صدري
دَوائي ودائي عند مَن لو رأيتَه … يُقلِّبُ عينيه لأقصرتَ عن زَجري
فأُقسِمُ لو أصبحتَ في لوعة الهوى … لأقصرتَ عن لومي وأطنبتَ في عُذري
ولكن بَلائي منك أنّك ناصحٌ … وأنك لا تَدري بأنك لا تَدري

فطرِبَ بشار ثم قال : ويلَكم ، أحسنَ ، والله ، مَن هذا ؟ قالوا : حَمادُ عجرد . قال : أوَّه ! وكَلتُموني ، والله ، بقيةَ يومي بهَمٍّ طويلٍ . والله لا أطعمُ بقيةَ يومي طَعاما ، ولأصومُ غَمّاً بما يقولُ ابنُ الزانية مثلَ هذا !

اجمع العلماءُ بالبصرة أنه ليس في هِجاء حمادِ عجردٍ لبشار شيءٌ جيدٌ الا اربعينَ بيتاً معدودةً . ولبشارٍ من الهِجاء اكثرُ من الفِ بيتٍ جيدٍ . فسقط حمادٌ وتَهتَّكَ بفضل بلاغة بشارٍ وجودةِ معانيه ، وبقي بشارٌ على حاله لم يَسقُط .

(١) الميسم : المكواة توسم بها الابل . (٢) نفس عليه نفاسة الشيء : لم يره اهلا له .

كان محمد بن ابي العباس شديدا قويا جوادا ممدحا . وكان يَلوي العَمودَ ثم يُلقيه إلى أُختِه رَيطةَ فترُدُّه ، وفيه يقول حمادُ عجرد :

ارجــوك بعــدَ ابي العباسِ اذ بــانا ... يا اكرمَ الناسِ أعراقاً وعيدانـــا
فانت أكرمُ من يَمشي على قَـــدَمٍ ... وأنضَرُ الناسِ عنــد المَحلِ أغصانـا
لو مَــجَّ عودٌ عــلى قــومٍ عُصارتَه ... لَمَجَّ عودُك فينــا المِسكَ والبانـا

مات حماد ودفن على تَلعة . وقَتل المَهديُّ بَشّاراً فدُفن مع حمادٍ على تلك التلعةِ . فمرَّ ابو هشامٍ الباهليُّ الشاعرُ البَصريُ ، وكان يُهاجي بَشّاراً ، فوقف على قبرَيهما وقال :

قد تَبِــعَ الأعمــى قَفــا عَجــرَدٍ ... فأصبحـــا جارَيـــنِ فــــي دارِ
تجاوَرَا بعـــــدَ تنائيهمــــــا ... ما أبغــضَ الجـــارَ إلى الجـــارِ
صارا جميعا في يَـــدَي مـــالِـــكٍ ... في النار والكافــرُ في النــارِ .

مُضاض بن عمرٍو الجُرهُمي

هو مُضاضُ بنُ عمرِو بنِ الحارثِ بنِ مُضاض .

كان جدُّه مُضاضٌ قد زوجَ ابنتَه رَعلةَ اسماعيلَ بنَ ابراهيمَ خليلِ الرحمن . فولدت له اثني عَشَرَ رجلا . وكان ابوه ابراهيمُ امره بذلك لانه لما بنى مكةَ وانزلها ابنَه ، قَدِمَ عليه قَدمةً من قَدَماتِه ، فسمِعَ كلامَ العرب وقد كانت طائفةٌ من جُرهُمٍ نَزَلَت هناك مع اسماعيلَ ، فاعجبَته لغتُهم واستحسنَها ، فأمر اسماعيلَ ان يتزوجَ اليهم ، فتزوج بنتَ مُضاضٍ وكان سيدَهم . قيل : إن نابتَ بنَ اسماعيلَ وَلِيَ البيتَ بعدَ ابيه ثم تُوفّي . فوَلِيَ مكانَه جدُّه لأمه مُضاضُ بن عمرٍو الجُرهُميُّ ، فضمَّ ولدَ نابتِ بنِ اسماعيلَ اليه ونَزَلت جُرهُمٌ مع مَلِكهم مُضاضٍ بأعلى مكةَ . ونزلت قَطوراءُ مع مَلِكهم السَمَيدَعِ أجياداً ، اسفلَ مكةَ . وكان هذان البطنان خرجا سيَّارةً من اليَمَنِ . وكذلك كانو لا يَخرُجون الا معَ ملِك يُمَلِّكونَه عليهم . فكان مُضاضٌ يَعشِرُ[1] مَن جاء مكةَ من أعلاها ، وكان السُمَيدعُ يَعشِرُ مَن جاءها من أسفلها ، لا يدخلُ

(١) يأخذ عشر المال .

احدُهما على صاحبه في أمره . ثم إن جُرهُماً وقَطُوراءَ تنافسوا في المُلك حتى نَشبت الحربُ بينَهم . وكانت وِلايةُ البيتِ الى مُضاضٍ دونَ السُميدع . فخرج من بطن قُعَيقِعانَ مع كتيبةٍ في سِلاحٍ يتقعقعُ ، وبذلك سُميت قُعيقِعانَ ، وخرج السُمَيدعُ من شِعبِ أجيادٍ في الجِيادِ والرجالِ ، وبذلك سُمِّيت أجياداً ، حتى التقَوا بفاضحٍ ، فاقتتلوا ، وفُضِحت قطوراءُ ، بذلك سُمِّيَ فاضحا ، ثم تداعى القومُ الى الصُلح فساروا حتى نزلوا المطابخَ ، بأعلى مكةَ ، فاصطلحوا هناك وسلَّموا بالامر الى مُضاضٍ . فلما اجتمع له امرُ مكةَ وصار ملكَها نحرَ للناسِ فطبخوا هناك فأكلوا ، وبذلك سُمِّي الموضِعُ المطابخَ.

وجاء سيلٌ فدخل البيتَ فانهدم . فاعادته جُرهُمٌ على بِناء ابراهيمَ . ثم استخفت جُرهُمٌ بحق البيت وارتكبوا فيه امورا عِظاما وأحداثاً قبيحةً .

وقيل : دخل إسافٌ ونائلةُ البيتَ ففجرا فيه ، فمسخَهما اللهُ حَجرينِ ، فأُخرِجا من البيت . فلما كثُر بَغيُ جُرهُمٍ بمكةَ قام فيهم مُضاضُ بنُ عمروِ بنِ الحارثِ بنِ مُضاضٍ فقال : يا قومُ احذَروا البَغيَ ، فانه لا بَقاءَ لأهلِه . وقد رأيتم مَن كان قبلكم من العماليقِ ، استخفُّوا بالحَرَمِ ولم يُعظِّموه حتى سلَّطكم اللهُ عليه . فلا تستخفُّوا بحق حُرمةِ بيت الله . فانكم ان فعلتم ذلك تخوفتُ أن تَخرُجوا منه خروجَ ذُلٍ وصَغارٍ حتى لا يَقدِرَ احدٌ منكم ان يَصِلَ الى الحَرَمِ ولا الى زيارة البيتِ الذي هو لكم حِرزٌ وأَمنٌ . فقال منهم قائلٌ : ومَن الذي يُخرِجُنا منه ؟ ألسنا أعزَّ العربِ واكثرَهم مالا وسِلاحا ؟ فقال مُضاضٌ : اذا جاء الامرُ بَطَلَ ما تذكرون .

وسارت القبائلُ من أهل مأرِبٍ ، حين خافوا سيلَ العَرِمِ ، وعليهم مُزَيقِياءُ . فلما انتَهَوا الى مكةَ واهلِها ، ارسل اليهم مزيقياءُ : إنه لا بُدَّ من المُقام بهذا البلدِ حَولاً ، فان انزلتموني طوعا نزَلت وحمِدتُكم ، وان قاتلتموني قاتلتُكم ، ثم إن ظَهرتُ عليكم سَبَيتُ النساءَ وقتلتُ الرجالَ ولم اترُك احدا منكم ينزلُ الحَرَمَ ابدا . فأبت جُرهُمٌ أن تُنزِلَه طوعا وتَعَبَّت لقتاله . فاقتتلوا ثلاثةَ ايامٍ ، ثم انهزمت جُرهمٌ فلم يُفلِت منهم الا الشريدُ . وكان مُضاضُ بن عمروٍ قد اعتزل حَربَهم وقال : قد كنت أُحذِّرُكم هذا . ثم رحل هو وولدُه واهلُ بيتِه حتى نزَلوا قَنَونى [1] وما حولَه . فبقايا جُرهُمٍ به الى اليوم ، وفنيَ الباقون .

فلما حازت خُزاعةُ ، امرَ مكةَ وصاروا اهلَها جاءهم بنو اسماعيلَ وقد كانوا اعتزلوا حرب جُرهمٍ وخُزاعةَ ، فسألوهم السُكنى معهم فأذِنوا لهم . وأرسل مضاضٌ الى خُزاعةَ يستأذنها فأبت وقالت : مَن وجدَ منكم جُرهُميًا قد قارب الحَرَمَ فدمُه هَدَرٌ .

فنزعت إبِلٌ لمُضاضِ بنِ عمروٍ من قَنَونى تريد مكةَ ، فخرج في طلبها حتى وجد أثرَها قد دخلت مكةَ . فمضى على الجِبال نحوَ أجيادٍ ، حتى ظهر على ابي قُبَيس [2] يتبصَّر الابلَ في بطن

---

(١) واد من اودية السراة يصب الى البحر في اوائل ارض اليمن من جهة مكة . (٢) جبل بمكة .

وادي مكةَ . فابصرَ الابلَ تُنحرُ وتُؤكَلُ ولا سبيلَ له اليها . فخاف إن هبَط الواديَ أن يُقتَلَ فولّى منصرفا الى اهلِه وأنشأ يقول :

كأنْ لم يكن بينَ الحَجونِ الى الصفَا ... انيسٌ ولم يَسمُر بمكةَ سامِرُ[1]

بلى نحن كنا أهلَها فأبادنا ... صروفُ الليالي والجدودُ العواثِرُ[2]

وأبدَلنا ربي بها دارَ غُربةٍ ... بها الذئبُ يَعوي والعدوُّ المخامِرُ[3]

فصِرنا احاديثاً وكُنا بغبطةٍ ... كذلك عَضَّتنا السنونَ الغوابِرُ

وشحَّت دموعُ العينِ تَبكي لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ أمنٌ وفيها المَشاعِرُ

فهل فَرَجٌ آتٍ بشيءٍ تُحبُّه ... وهل جزَعٌ مُنجيكَ مِمَّا تُحاذِرُ

وقال ايضا :

يا ايُّها الحيُّ سيروا إنَّ قَصرَكُمُ[4] ... أن تُصبِحوا ذاتَ يومٍ لا تَسيرونا

إنَّا كما انتمُ كنا فغَيَّرَنا ... دهرٌ بصرفٍ كما صِرنا تَصيرونا

كنا زماناً ملوكَ الناسِ قبلَكُمُ ... نَأوي بلادا حَراماً كان مسكونا

بصبص

كانت جاريةَ ابنِ نُفَيسٍ مُوَلَّدَةَ من مُوَلَّدات المدينة حلوةَ الوجهِ حسَنةَ الغِناءِ قد اخذت عن الطَبَقة الاولى من المغنين .

قيل : إن المهدي اشتراها ، وهو وليُّ العهد ، سرًّا من ابيه بسبعةَ عشرَ الفَ دينارٍ فولدت منه عُلَيَّةَ بنتَ المهدي .

كان عبدُ الله بنُ مُصعَبِ بنِ ثابتِ بنِ عبدِ الله بنِ الزبير يأتي بصبصَ فيَسمعُ منها . وحين قَدِمِ المنصورُ مُنصرفا من الحج ومر بالمدينة قال عبدُ الله بن مصعب :

أراحلٌ انتَ ابا جَعفرٍ ... من قبلِ أن تسمَعَ من بصبصا

---

(١) الحجون : جبل بمكة . الصفا : من مشاعر مكة . سامر : جماعة المتسامرين على الحديث ليلا . (٢) جدود جمع جد : الحظ. العاثر: السيء . (٣) مخامر : مخاتل . (٤) قصركم وقصاراكم :مآلكم .

أحلفُ بالله يميناً ومَن يَحلِف بالله قد أخلصا
لو أنها تدعو الى بَيعةٍ بايعتُها ثم شَقَقتُ العصا (١)

فبلغت ابا جعفرٍ فغضب ، فدعا به ، فقال : أمَا إنكم يا آلَ الزبيرِ قديماً ما قادتكم النساءُ ، وشققتم معهن العصا ، حتى صرتَ انتَ آخرَ الحمقى تُبايعُ المغنِّيات . فدونَكم يا آلَ الزبيرِ هذا المرتعَ الوخيمَ .

ثم قال : ولكن الذي يُعجبني أن يَحدُوَ بي الحادي الليلةَ بشعرِ طريفِ العنبريِّ فهو آلَفُ في سمعي من غِناء بصبصَ ، وأحرى ان يختارَه اهلُ العقل . فدعا فلانا الحاديَ ، وكان اذا حَدَا وضعت الابلُ رؤوسَها لصوته ، وانقادت انقياداً عجيبا . فسألَه المنصورُ : ما بلغ من حُسنِ حُدائك ؟ قال : تُعَطَّشُ الابلُ ثلاثاً وتُدنَى من الماء ، ثم أحدو فتتبعُ كلُّها صوتي ولا تَقرَبُ الماءَ . فحفِظَ الشعرُ ، — من طريف — وكان :

إني وان كان ابنُ عمي كاشحاً لَمُزاحِمٌ من دونه وورائِه
وأكونُ مأوى سِرِّه وأصونُه حتى يَحِقَّ عليَّ يومُ أدائِه
واذا اتى من غَيبِه بطريفةٍ لم أطَّلِع ما ذا وراءَ خِبائِه
واذا تَحَيَّفَتِ الحوادثُ مالَه قُرِنَت صحيحتُنا الى جَربائِه
واذا تَريَّشَ في غِناه وَفَرتُه واذا تَصعلَكَ كنتُ من قُرَنائِه
واذا غدا يوما ليَركبَ مركَباً صعبا قعدتُ له على سِيسائِه (٢)

فلما كان الليلُ حدا الحادي بهذه الابيات ، فقال : هذا واللهِ أحثُّ على المَرؤةِ من غناء بصبصَ . وقال : يا ربيعُ ، أعطِه درهما . فقال له الحادي : يا اميرَ المؤمنين ، حَدَوتُ بهشامِ بنِ عبد الملك ، فأمر لي بعشرين الفَ درهمٍ ، وتَأمُرُ انت بدرهمٍ . قال : انَّا لله . ذكرتَ ما لم نُحِبَّ ان تَذكُرَه ، ووصفتَ أن رجلا ظالما أخذ مالَ اللهِ من غير حِلِّه ، وأنفقَه في غير حَقِّه . يا ربيعُ ، اشدُد يديك به حتى يَرُدَّ المالَ . فبكى الحادي وقال : يا اميرَ المؤمنين ، قد مضت لهذا السنونَ ، وقضيتُ به الديونَ ، وتمزَّقته النفقاتُ . ولا ، والذي أكرمَك بالخِلافةِ ، ما بقي عندي منه شيءٌ .

فلم يزل اهلُه وخاصَّتُه يسألونه حتى كَفَّ عنه ، وشرط عليه ان يَحدُو به ذاهبا وراجعا ولا يأخذَ منه شيئا .

اجتمع ذاتَ يوم عند بصبصَ جاريةِ ابنِ نُفَيسٍ عبدُ اللهِ بنُ مُصعَبٍ الزبيري ومحمدُ بنُ عيسى الجعفريُّ في أشرافٍ من اهل المدينة فتذاكروا ابا اسحاقَ المَدينيَّ صاحبَ النوادرِ وبُخلَه . فقالت بصبص : انا آخذُ لكم منه درهما . فقال لها مولاها : انتِ حُرَّةٌ لئن فعلتِ ، إن لم أشترِ لك

(١) شق عصا الطاعة : خالف وعصى . (٢) سيساء الظهر من الدواب : مجتمع الوسط .

مخنّقة (١) بمئة الف دينار وان لم اشترِ لك ثوبَ وشيٍ ، وأنحرْ لك بَدَنَة (٢) لم تُركب . فقالت : جيء به وارفع عني الغَيْرةَ . قال : انتِ حرّةٌ أنْ لو رَفع برجليك لأعنتُه على ذلك .

قال عبدُ الله بنُ مُصعب : فصلّيتُ الغداةَ في مسجدِ المدينة فاذا انا به ، فقلت له : ابا اسحاق ، اما تُحبُّ أن ترى بصبصَ ؟ فقال : امرأتُه طالقٌ إن لم اكن اسألُ اللهَ ان يُريَنيها منذُ سنة فما يفعل . فقلت اليوم اذا صليّتَ العصرَ فوافني هنا . قال : امرأتُه طالقٌ إن برحتُ من ها هنا حتّى العصرِ . قال : وكانت العصرُ فدخلتُ المسجد فوجدتُه فيه فأخذت بيده وأتيتُهم به . فأكلوا وشربوا وتساكَرَ (٣) القومُ وتناوموا (٤) . فأقبلت بصبصُ فقالت : ابا اسحاقَ ، كأن في نفسك تشتهي أن أغنّيَك :

لقد حثّوا الجمالَ ليهربوا منا فلم يئلوا (٥)

فقال : زوجتُه طالقٌ إن لم تكوني تَعلمين ما في اللوحِ المحفوظ . فغنّته ، ثم قالت : ابا اسحاقَ ، كأن في نفسك تَشتهي أن تقومَ فتجلسَ الى جانبي فتقرصَني قرصاتٍ وأغنّيَك :

قالت وقد ابثثتُها وجدي فبُحتُ به قد كنتَ قِدماً تُحبُّ السترَ فاستترِ

فقال:زوجتُه طالقٌ إن لم تكوني تعلمين ما في الأرحام . فغنّته ثم قالت : بَرِح الخَفاءُ (٦) ، انا أعلمُ أنك تشتهي أن تُقبّلني واغنيك هَزَجاً :

انا أبصرتُ بالليلِ غلاماً حسَنَ الدَّلّ

فقال : انت نبيةٌ مرسَلَةٌ . فغنته ، ثم قالت : ابا اسحاقَ ، أرأيتَ اسقطَ من هؤلاءِ ، يَدعونك ويُخرجوني اليك ولا يَشترون رَيحانا بدرهمٍ ، أي ابا اسحاق ، هَلُمَّ درهما نشتري به رَيحانا . فوثب وصاح : واحَرَباه (٧) أي زانيةُ ، انقطعَ واللهِ عنك الوحيُ الذي كان يُوحي اليك ! فعَطعطَ (٨) القومُ بها وعَلِموا أن حيلتَها لم تنفذ عليه ، وعاود القومُ مجلسَهم ، فكان حديثُهم حديثَ ابي اسحاقَ معها والضَحِكَ منه .

---

(١) قلادة . (٢) واحدة الابل او البقر . (٣) تساكروا : تظاهروا بالسكر . (٤) تناوموا : تظاهروا بالنوم . (٥) وَأَلَ يَئِلُ: نجا . (٦) مثل يقال لظهور الأمر وانكشافه . (٧) كلمة بمعنى يا ويلاه . (٨) صاح .

سلاّمة الزرقاء وابن الاشعث

كانت سلاّمةُ الزرقاءُ جاريةَ ابنِ رامينَ واحدى القَينات المُحسنات . وكان محمدُ بنُ الاشعثِ القرشي كاتبا ، وكان من فِتيان اهل الكوفةِ وظُرَفائهم وأُدبائهم وكان يقول الشعرَ ويتغنى به . من ذلك قولُه في الزرقاء ، وكان يألفُها :

امسى لسلاَّمـةَ الزرقـاءِ في كَبَدي ... صَدعٌ مُقيمٌ طَوالَ الدهـرِ والابدِ

لا يستطيعُ صَنـاعُ القـومِ يَشعَبـه ... وكيف يُشعَبُ صَدعُ الحبِ في الكبدِ (١)

وقال في قَينة يقال لها سَحيقة :

سَحيقةُ انـتِ واحـدةُ القِيـانِ ... فمالَـكِ مُشبِـهٌ فيهُـن ثـانِ

سجدن لـكِ القِيـانُ مكفِّـراتٍ ... كما سجد المَجوسُ لمَرزُبـانِ (٢)

ولا سِيْمـا اذا غَنَّيـتِ صوتـا ... وحرَّكتِ المَثالـثَ والمَثانـي (٣)

شربتُ الخمـرَ حتى خِلتُ أنـي ... ابو قابـوسَ او عبدُ المَدَانِ (٤)

اجتمع عند ابن رامين معنُ بنُ زائدةَ ، ورَوحُ بنُ حاتِمٍ ، وابنُ المقفَّع . فلما تغنَّت الزرقاءُ بعث معنٌ اليها بَدرةً فصُبَّت بين يديها . فبعث رَوحٌ اليها أُخرى ، ولم يكن عند ابنِ المقفَّعِ دراهمُ فبعث فجاء بصكٍّ ضيعتِه فقال : هذه عُهدَةُ ضيعتي ، خُذيها .

قال اسحاق :

كان رَوحُ بنُ حاتمِ المهلَّبي كثيرَ الغِشيانِ لمنزِل ابن رامين ، وكان يختلف إلى الزرقاء جاريته ، وكان يهواها مُحمدُ بنُ جميلٍ وتَهواه ، فقـال لها : إن رَوحَ بنَ حاتم قد ثَقُل علينا . قالت: فما أصنعُ ، قد غمر مولايَ ببِرِّه . فقال : احتالي له . فبات عندهم روحٌ ليلةً ، فأخذت سراويله وهو نائمٌ فغسلته . فلما أصبح سأل عنه ، فقالت: غسلناه . ففطِن أنه أحدثَ فيه ، فاحتيجَ إلى غسله ، فاستحيا من ذلك وانقطع وخلا وجهُها لابن جميلٍ .

(١) الصناع : الحاذق بالصنعة ، يقال للذكر وللانثى . الشعب : الاصلاح : يشعبه : منصوب بأن محذوفة .
(٢) كفر : اومأ الذمي او المجوسي برأسه او وضع يده على صدره أو سجد . (٣) سيما : مخفف سِيَّما . المثالث والمثاني : اوتار العود . (٤) كنية النعمان بن المنذر . وعبد المدان : سيد من سادات مذحج .

قال سليمان الخشّاب : دخلتُ منزل ابن رامين فرأيت الزرقاء جاريتَه وهي وصيفةٌ ، حين شال نهودُها ثوبَها عن صدرها، لها شاربٌ كأنه خُطَّ بمسكٍ يَلحَظُه الطَرفُ ويَقصُر عنه الوصف وابنُ الاشعثِ يُلقي عليها :

ايَّـــةُ حــالٍ يا ابنَ راميـــــنْ حالُ المحبيــــنَ المساكيـــنْ

تركتَهم موتـــى ومــا مُوِّتــوا قد جُرِّعــوا منك الأمَــرِّيــــنْ

يــا راعيَ الــذَّودِ لقــد رُعتَنــــا وَيلَـــكَ من رَوعِ المحبينْ[1]

فرَّقــتَ جمعا لا يُــرى مثلُهـــم فَجَّعتَهـــم بالرَبرَبِ العيـــنْ[2]

وفي جواري ابنِ رامين يقول اسماعيل بن عَمَّار ، وهو شاعر مُقِلٌ من شعراء الدولتين الاموية والهاشمية ، وكان ينزل الكوفة :

هل من شِفاءٍ لقلبٍ لَـــجَّ محزونٍ صبا ، وصَبَّ إلى ريمِ ابنِ راميـــنِ[3]

نُسقى طِـــلاءً[4] لعِمــرانٍ يُعتِّقُـــه يُمسي الأصِحَّاءُ منـــه كالمجانيـــنِ

تَمشي اليهـــا بِطاءً لا حَراكَ بنــــا كأنَّ أرجُلَنا تُقلَعن من طينِ

أو مشيَ عُميــانِ ديرٍ لا دليــلَ لهم إلا العِصِيُّ إلى يومِ السَعانيـــنِ[5]

نمشي وأرجُلُنــــا مَطويَّةٌ شَلَـــلاً مَشيَ الإوَزِّ التي تأتي مـــنَ الصينِ

الخنساء

هي تُماضِرُ بنت عمرِو بنِ الحارثِ بنِ الشَرِيد . والخنساءُ لقب غلَب عليها . (وردت بعض اخبارها مع اخبار دريد بن الصمة الجزء العاشر) .

اكتسح صخرُ بنُ عمروٍ اموالَ بني أسَدٍ وسبى نِساءهم . فأتاهم الصَريخُ[6] فتَبِعوه فاقتتلوا فطَعَن ربيعةُ بنُ ثورٍ الاسَديُّ صخرا في جنبه، فمرِض قريبا من حولٍ حتى ملَّه اهلُه . وسمِع

(١) الذود : الابل . (٢) الربرب : قطيع الظبي . العين : جمع عَيناء : واسعة العيون . (٣) صبا يصبو : مال . صب صبابة : عشق . الريم مخفف الرئم وهو الظبي الخالص البياض . (٤) الخمر . (٥) عيد للنصارى وهو الاحد السابق أحد الفصح . (٦) الصارخ بالقوم ينذرهم .

صخرٌ امرأةً وهي تسألُ سلمى امرأتَه : كيف بعلُك ؟ فقالت سلمى : لا حيٌّ فيُرجى ، ولا ميتٌ فيُنعى . لقينا منه الأمرّين . ثم مات . فقالت الخنساءُ ترثيه :

قَذًى بعينكِ ام بالعين عُوّارُ ... أم أقفرت اذ خلت من أهلها الدارُ
فانَّ صخرا لَوالينا وسيدُنا ... وان صخرا اذا نَشتو لَنَحّارُ
وان صخرا لَتأتمُّ الهُداةُ به ... كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ
لم ترَه جارةٌ يَمشي بساحتها ... لريبةٍ حينَ يُخلي بيتَه الجارُ(١)

وممّا رثت به الخنساء صخرا وغني به :

أعَينيَّ جُودا ولا تَجمُدا ... ألا تَبكيانِ لصخرِ النّدى
الا تَبكيانِ الجريءَ الجميلَ ... الا تبكيان الفتى السيدا
طويلُ النجادِ رفيعُ العما ... دِ سادَ عشيرتَه أمرَدا
اذا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ ... إلى المَجد مدَّ اليه يدا
فنال الذي فوقَ أيديهمُ ... منَ المجدِ ثم مضى مُصعِدا
يُحمِّلُه القومُ ما عالَهم ... وإن كان أصغرَهم مَولِدا
وان ذُكِرَ المجدُ ألفيتَه ... تأزَّرَ بالمجد ثُم ارتدى

وقالت ايضاً ترثي صخراً :

يُؤرِّقُني التذكّرُ حين أمسي ... فأصبِحُ قد بُليتُ بفَرط نُكسِ
يُذكِّرني طلوعُ الشمسِ صخراً ... واذكرُه لكل غروبِ شمسِ(٢)
ولولا كثرةُ الباكين حولي ... على اخوانِهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثلَ اخي ولكن ... أعزِّي النفسَ عنه بالتأسِّي

(من الديوان) وقالت تصف صخرا وقد ارادت مساواتَه بأبيها في سباقٍ مع مراعاة حقِّ الوالد :

جارى أباه فأقبلا وَهُما ... يَتعاوران مُلاءَةَ الفخرِ(٣)
حتى اذا نَزَتِ القلوبُ وقد ... لزَّت هناك العُذرَ بالعُذرِ(٤)
وعلا هُتافُ الناسِ : ايُّهما ؟ ... قال المُجيبُ هناك : لا أدري

(١) لم ترأه : على الاصل من رأى يرأى . ويرى : على التخفيف . (٢) تذكره عند طلوع الشمس اذ يذهب الى الغارة ، وعند غياب الشمس اذ ينحر للضيوف . (٣) الملاءة : الرابطة والقطعة من ثوب . (٤) جمع العذرة وهي الناصية وأصلها عُذُر ، سكنت الذال للشعر .

برزت صحيفةُ وجـــهِ والـــده ومضى على غُلَوائِـه يَجري[١]
أولى فأولـــى أن يُسَاوِيَــــهُ لولا جَـــلالُ السِنِّ والكِبَـــرِ
وهما كأنهمـــا وقـــد بـــرزا صَقرانِ قد حَطّا على وَكـــرِ[٢]

حَبابة

كانت مُولَّدة لرجل من اهل المدينة . وكانت حُلوةً جميلةَ الوجه طريفةً حسنةَ الغناء طَيِّبةَ الصوتِ ضاربةً بالعود . أخذت الغناء عن ابنِ سُريجٍ ، ومالكٍ ، ومعبدٍ ، وجميلةَ ، وعَزَّةَ المَيلاءِ . وكانت تُسمى العاليةَ ، فسماها يزيدُ لما اشتراها حَبابةَ .

قال يزيدُ من عبد الملك : ما تَقَرُّعيني بما أُوتيتُ من الخِلافةِ حتى اشتريَ سلاَّمةَ وحَبَابَةَ . فاشتُرِيتا له . فلما اجتمعتا عنده قال : انا الآن كما قال الشاعر :

فألقَت عصاهـــا واستقَرَّت بهـــا النَوى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ[٣]

وأقبل مَسلَمةُ بنُ عبد الملك على اخيه يزيدَ يَلومه في الإلحاح على الغناء والشُرب، وقال له: إنك وُلِيتَ بعَقِبِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وعدلِه ، وقد تشاغلتَ بهذه الأمةِ عن النظر في الامور ، والوفودُ ببابك ، واصحابُ الظَلاماتِ يَصيحون ، وانت غافلٌ عنهم . فقال : صَدَقتَ ، والله ، وأعتَبه ، وهمَّ بتَرك الشُربِ ، ولم يدخل على حَبابَةَ اياما . فدَسَّت حَبابةُ الأحوصَ أن يقولَ أبياتا في ذلك ، وقالت له : إن رددتَه عن رأيه فلكَ الفُ دينارٍ . فدخل الاحوصُ إلى يزيدَ ، فاستأذنه ، فأذِن له ، فأنشدَ :

بكَيتُ الصِبا جَهدي فمن شاء لامَـــني ومن شاء آسـى في البُكاءِ وأسعـدا
اذا انتَ لم تَعشَق ولم تَـدرِ ما الهوى فكن حَجَرا من يابسِ الصخرِ جَلمدا
فما العيشُ الا ما تَلَذُّ وتَشتَهـــي وإن لامَ فيه ذو الشَنانِ[٤] وفَنَّدا

---

(١) غلوائه : نشاطه . (٢) شبهت وصولهما الى الهدف كما يحط صقران على وكر اي بسرعة خاطفة تكاد العين ترى دخولهما واحداً. (٣) وهي من قصيدة قالها سفيان بن اوس الملقب بالمعقِّر، منها، كما جاء في الجزء الحادي عشر صفحة١٦٠ :

وكـل طَمـوحٍ في العِنان كـأنها اذ اغتمست في المـاء فتخـاءُ كـاسرُ
لهـا ناهض في المهـد قد مَهَّـدَت لـه كما مهـدت للبعـل حسنـاء عـاقر

وبهذا البيت سمي معقراً ، وانما خص العاقر لانها اقل دَلا على الزوج من الوَلود فهي تصنع له وتداريه . الفتخاء الكاسر : العقاب . الفَتَخ : اللِين في المفاصل . والعقاب اذا انحطت كسرت جناحيها . والناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقل للنهوض . (٤) العداوة والبغض .

ومكث جُمعةً لا يرى حبابةَ ولا يدعو بها . فلما كان يومُ الجُمعةِ ، قالتِ لبعضِ جواريها اذا خرج اميرُ المؤمنين إلى الصلاة فأعلميني . فلما اراد الخروجَ أعلمتها . فتلقَّتْه والعودُ بيدها ، فغنَّت البيتَ الاولَ . فغطى وجهَه وقال : مَهْ ، لا تفعلي . ثم غنت . :

فما العيشُ الا ما تَلَذُّ وتشتهي .

فعَدَلَ اليها وقال : صدقتِ والله ، فقبَّح اللهُ مَن لامني فيك . يا غلامُ ، مُر مَسلَمَةَ أن يُصَلِّيَ بالناس ، وأقام معها يَشرب وتُغنيه ، ثم قال لها : مَن يقول هذا الشعر؟ قالت : الأحوصُ . فأحضره فأمر له بأربعين الفَ درهمٍ .

. . . وإن حَبابَةَ وسلاّمةَ اختلفتا في صوت لمعبد . فاستدعى يزيدُ معبداً وقال له : إن هاتين اختلفتا في صوت لك ، فاقضِ بينَهما . فقال لحَبابَةَ : غني . فغنَّت . وقال لسلاّمة : غني . فغنت : فقال : الصوابُ ما قالت حَبابةُ . فقالت سلامةُ : والله ، يا ابنَ الفاعلةِ ، إنك لَتعلَمُ أنَّ الصوابَ ما قلتُ ، ولكنَّك سألتَ ايتُهما آثَرُ عندَ امير المؤمنين ، فقيل لك : حبابةُ ، فاتَّبعتَ هواه ، ورِضاه . فضحك يزيدُ وطرب ، واخذ وِسادةً فصيَّرها على رأسه ، وقام يدور في الدار ويرقُص ويصيح : « السمكُ الطريُّ اربعةُ ارطالٍ عندَ بيطارِ حيَّانَ » حتى دار الدارَ كلَّها ثم رجَع فجلس مجلِسَه ، وامر معبدا أن يغنّيَ فغنى . قال معبد : فطرِب يزيدُ وسُرَّ وكساني ووَصَلني . ثم لما انصرم مجلِسُه انصرفتُ الى منزلي الذي أُنزِلتُه فاذا ألطافُ سَلاّمةَ قد سبقت ألطافَ حَبابَةَ وبعثت الي : إني قد عَذَرتُك فيما فعلتَ ، ولكن كان الحقُّ أولى بك .

غنَّت حَبَابَةُ يوماً بين يدي يزيدَ فطرِب ثم قال لها : هل رأيتِ قطُّ أطربَ مني؟ قالت : نعم ، مولاي الذي باعني . فغاظه ذلك ، فكتب في حَمله مُقيَّدًا . وأُدخِل اليه يَرسُف في قيدِه . وأمرَها فغنَّت بغتةً :

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنـــــا ولَلدارُ بعدَ غـــدٍ أبعَـــــدُ

فوثب حتى ألقى نفسَه على الشمعة فأحرق لِحيتَه . وجعل يَصيحُ : الحريقُ ، يا أولادَ الزنا . فضَحِك يزيدُ وقال : لَعمري إن هذا لأطرَبُ الناسِ . فأمر بحَلِّ قيودِه . ووَصَله بألفِ دينارٍ ، ووصلَته حبَابةُ ، وردَّه الى المدينة .

نزل يزيدُ بنُ عبدِ الملك ببيتَ رأسَ بالشامِ ومعَه حَبابةُ فقال : زعموا أنه لا تَصفو لإحد عيشةٌ يوماً الى الليلِ إلا يُكدِّرُها شيءٌ عليه ، وسأُجرِّبُ ذلك . ثم قال لمن معه : اذا كان غداً فلا تُخبِروني بشيءٍ ولا تأتوني بكتاب . وخلا هو وحبَابةُ ، فأُتيا بما يأكلون . فأكلت رُمّانَةً فشَرقت بحبة منها فماتت . فأقام لا يَدفِنها ثلاثاً حتى تغيَّرت وأنتنت ، وهو يَشَمُّها ويَرشُفُها . فعاتبَه على ذلك ذوو قَرابتِه ، وعابوا عليه ما يَصنع ، وقالوا : قد صارت جيفةً بين يديك . حتى أذِن لهم في غَسلها ودَفنها . وأمر فأُخرِجَت في نِطعٍ فلم يستطعِ الرُكوبَ من الجزَع ولا المَشيَ ،

فحُمِل على منبرٍ على رقابِ الرجالِ حتى جلس على قبرها . وبعدَ ثلاثة ايامٍ اشتاق اليها ، فقال : لا بُدَّ من أن تُنبَشَ . فنُبِشَت وكُشِفَ له عن وجهها وقد تغيَّر تغيُّرًا قبيحا فقيل له : يا امير المؤمنين ، اتَّقِ اللهَ ، ألا ترى كيف قد صارت ؟ فقال : ما رأيتُها قطُ احسنَ منها اليومَ ، أخرِجوها . فجاءه مَسلَمةُ ووجوهُ اهلِه ، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها ، وانصرف فكَمِدَ كَمَدًا شديدا فما اقام الا خمسَ عشرةَ ليلةً حتى مات فدُفِن الى جنبِها .

ابو الطفيل

هو عامرُ بنُ واثِلةَ ، له صُحبةٌ برسول اللهِ وعُمِّر بَعدَه طويلا ، وكان مع امير المؤمنين عليٍّ وروى عنه ، وكان من وُجوه شيعتِه .

قال الصيرفي عن ابي الطفيل :

سمعت عليًّا يَخطُب فقال : سَلُوني قبلَ ان تَفقِدوني . فقام اليه ابن الكَوَّاء فقال : ما « الذاريات ذَروًا » ؟ قال : الرياح . قال : فَ« المقسِّمات أمرا » ؟ قال : الملائكة . قال : فمن « الذين بَدَّلوا نِعمةَ الله كُفرا ؟ قال : الأفجرانِ من قريشٍ : بنو اميةَ وبنو مَخزوم . قال : فما كان ذو القرنين ، أنبيًّا ام مَلِكا ؟ قال : كان عبدًا مؤمِنا – أو قال صالحا – احبَّ اللهَ واحبَّه ، ضُرِبَ ضَربةً على قَرنه الايمنِ فمات ، ثم بُعِثَ وضُرِبَ ضربةً على قرنِه الأيسرِ فمات . وفيكم مثلُه .

لما استقام لمعاويةَ امرُه لم يكن شيءٌ أحبَّ اليه من لِقاء ابي الطُفيل ، فلم يزل يُكاتِبُه ويَلطُف له حتى أتاه . فلما قدِم عليه جعل يُسائله في امر الجاهلية . ودخل عليه عمرُو بنُ العاصِ ونفرٌ معه ، فقال لهم معاويةُ : هذا خليلُ ابي الحَسَنِ . ثم قال : يا ابا الطُفيل ، ما بلغ من حُبِّك لعليٍّ ؟ قال حبُّ ام موسى لموسى . قال : فما بلغ من بُكائك عليه ؟ قال بُكاءُ العجوزِ الثَّكلى والشيخِ الرَقوب [1] والى الله اشكو التقصيرَ . قال معاويةُ : إن اصحابي هؤلاء لو سُئِلوا عني ما قالوا في ما قُلتَ في صاحبك . قالوا : اذًا واللهِ ما نقولُ الباطِلَ . فقال معاويةُ : لا واللهِ ولا الحقَّ تقولون .

من اقواله :

أيَدعونني شيخـــاً وقد عِشتُ حُقُبـةً وهُنّ من الازواجِ نَحوي نَــوازِعُ

(١) الذي مات ولده او الذي لم يبق له ولد .

وما شابَ رأسي من سنينَ تتابعـت عليَّ ولكن شيَّبَتْه الوقائـعُ

وقال في رثاء ابنه طُفيل :

فاملِك عَزاءَك إن رزءٌ بُليتَ به فلن يَرُدَّ بُكاءُ المرء مـا ذهبـا

وليس يَشفي حزينا من تذكُّـرِه الا البُكاءُ اذا ما ناح وانتحبـا

عمرو بن معديكرب الزبيدي

هو فارسُ اليمن ومُقدَّمٌ على زيدِ الخيلِ في الشدة والبأس ، ويُكنى ابا ثور .

بلغَ معديكَربَ أن خثعمَ تُريدهم، فجمع بني زُبيد وتأهبوا لهم . فدخل عمرٌو على أخته وقال : أشبِعيني ، إني غدًا لكتيبةٌ . فأخبرت اباها فقال : سَليه ما يُشبِعه ؟ فسألته ، فقال : فَرَقٌ من ذُرَة ، وعَنزٌ رَباعيَّةٌ . وكان الفرقُ ثلاثةَ أصوُعٍ [(١)] فصُنِع له ذلك . فجلس عليه فسَلَتَه [(٢)] جميعا . وأتتهم خثعمُ فلقُوهم . وجاء عمرٌو فاذا لِواءُ ابيه قد زال فقام كأنه سرحةٌ مُحرَقةٌ ، فتلقى اباه وقد انهزموا فقال : انزل عنها . — اي الفرس — فقال له : إليكَ يا مائقُ [(٣)] . فقال له بنو زبيد : خلِّه ، ايها الرجل ، وما يُريدُ ، فإن قُتِل كُفيتَ مؤنتَه ، وإن ظَهَر فهو لك . فألقى اليه سِلاحَه ، فركِبَ ثم رمى خثعمَ بنفسه حتى خرج من بين أظهُرِهم . ثم كرَّ عليهم . وفعل ذلك مِرارا ، وحملت عليهم بنو زبيد ، فانهزمت خثعمُ وقُهِروا ، فقيل له يومئذٍ : فارسُ زبيد .

قال عمرُو بنُ مَعديكرب : لو سِرتُ بظعينةٍ وحدي ما خفتُ أن أُغلَبَ عليها ما لم يَلقَني حُرَّاها أو عبداها . فاما الحُرَّانِ فعامرُ بنُ الطُفيلِ وعُتَيبةُ بنُ الحارثِ بنِ شِهابٍ . واما العبدان فأسودُ بني عبسٍ ، يعني عنترةَ ، والسُلَيكُ بنُ السُلَكةَ ، وكلُّهم قد لَقيت .

أغار الصِمَّةُ بنُ بكرٍ الجُشَميُّ (أبو دريد) في بني قيسٍ على بني زُبيدٍ فاستاق اموالَهم وسبى رَيحانةَ بنتَ مَعديكربَ وانهزمت زبيدٌ بين يديه . وتبعه اخوها عمرٌو يُناشده أن يُخلِّيَ عنها فلم يَفعل ، فلما يَئِس ولَّى وهي تُناديه بأعلى صوتها : يا عمرُو ، فقال :

أمِن ريحانـةَ الداعي السَميـعُ [(٤)] يُؤرِّقُني وأصحابي هُجـوعُ

سباها الصِمَّةُ الجُشَمِـيُّ غَصبـا كأنَّ بَياضَ غُرَّتِها صَديـعُ [(٥)]

---

(١) الصاع : مكيال يأخذ اربعة أمداد . (٢) سلت القصعة : مسحها باصبعه . (٣) وكان يقال له « مائق بني زبيد ». والمائق : الأحمق . (٤) سميع هنا بمعنى المسمع غيره لا السامع . (٥) الصديع : الفجر .

وصالت دونَها فُرســانُ قَيــسٍ تَكَشَّفُ عن سواعدِها الــدُروعُ
اذا لم تَستطِع شيئــا فدَعــه وجاوزه الى ما تَستطيــعُ
وكيف تُريد أن تُدعــى حكيمــا وانت لِكلِ ما تَهوى تَبــوعُ

قال قيس بن ابي حازم الأحمسي : شهِدتُ القادسيَّةَ وكان سعدٌ على الناس . فجاء رستُم فجعل يمر بنا ، وعمرُو بنُ مَعديكربَ يمر على الصفوف يَحُضُ الناسِ ، وهو ابنُ مئةٍ وستِ سنين . ويقول : يا معشرَ المُهاجرين ، كونوا أسداً أغنى شأنَه . فانما الفارسيُ تيسٌ بعدَ أن يُلقيَ نَيزَكَه . (رمح صغير) . وحمل على العِلجِ فاعتنقَه ، فسقطا الى الارض ، فقتله عمرٌو وسلَبَه .

قيل : وكانت فرسُ عمرو ضعيفةً فطلب غيرَها . فأُتي بفرس فأخذ بعُكوةِ ذَنَبه وأخلدَ به (١) الى الارضَ ، فأقعى الفرسُ فردَّه ، وأُتي با خرَ ففعل به مثلَ ذلك فتحلحل ولم يَقع ، فقال : هذا على كل حالٍ أقوى من تلك ، وقال لأصحابه : اني حاملٌ وعابرٌ الجسرَ ، فان أسرعتم بمقدارِ جَزرِ الجَزورِ وجدتُموني وسيفي بيدي أقاتلُ به تِلقاءَ وجهي . وان أبطأتم وجدتموني قتيلا . ثم حمل ، فحملوا فانتهَوا اليه وقد صُرِع عن فرسه وقد أخذ برِجلِ فرسِ رجلٍ من العجمِ فأمسكَها ، وإن الفارسَ يَضرِب الفرسَ فما تَقدِر ان تتحركَ من يده . فرمى الاعجميُ بنفسه وخلَّى فرسَه . فركِبَه عمرٌو وقال : انا ابو ثورٍ ، كِدتم تَفقِدوني . قالوا : اين فرسُك ؟ قال رُمي بنشَّابةٍ فشبَّ فصرعني وعارَ (٢) .

قال عمرو بنُ معديكربَ يومَ القادسيةِ : ألزِموا خراطيمَ الفِيَلةِ السيوفَ . فإنه ليس لها مقتلٌ إلا خراطيمَها . ثم شد على رستم ، وهو على الفيل ، فضرب فيلَه فجذَم عَرقوبَيه فسقط .

وبلغ عَمرًا أن ابنَ اختِه قيسُ بنُ مَكشوحٍ المُراديُ توعَّده ، فقال :

ولو لاقيتَنــي ومعي سِلاحــي تَكشَّفَ شحمُ قلبِك عن سَــوادِ
أُريد حباءَه ويُريــدُ قتلــي عَذيرَكَ (٣) من خليلك من مُــرادِ

وكان عليُ بنُ ابي طالبٍ اذا نظر الى عبدِ الرحمنِ بنِ مُلجَمٍ المُرادي (٤) قال :

اريد حبــاءَه ويريد قتلــي عَذيرَكَ من خليلك من مُــرادِ

ثم يقول : والذي نفسي بيده ، لتُخضبَنَّ هذه (٥) من هذا !

---

(١) أخلد : هنا بمعنى ألصق ، وقد استعمل مجازاً مرسلا بعلاقة اللزوم ، من قولهم: اخلد بالمكان نزل به واطمأن .
(٢) عار يعير عياراً : ذهب كانه منفلت . (٣) عذيرك من فلان : تركيب مألوف عند العرب بمعنى هات عذرك او من يعذرك فيلومه ولا يلومك . وفسره الزمخشري في الاساس: هلم من يعذرك منه إن أولعت به، أي هو اهل للايقاع به فان فعلت كنت معذوراً . (٤) الذي قتل عليا بطعنة خنجر . (٥) اي لحية علي من عبد الرحمن .

قس بن ساعدة الإيادي

هو خطيبُ العرب وشاعرُها وحليمُها وحكيمُها في عصره. يُقـال: إنه اولُ مَن علا على شرَف (١) وخطب عليه، واولُ مَن قال في كلامه: اما بعد، واولُ من اتكأ عندَ خُطبته على سيف او عصًا.

لما قدِم وفدُ إيادٍ على النبي قال: ما فعل قُسُّ (٢) بنُ ساعدةَ؟ قالوا: مات. قال: كأني انظرُ اليه بسوقِ عُكاظَ على جَملٍ له أورَقَ (٣) وهو يتكلم بكلام عليه حلاوةٌ ما أجِدُني أحفَظُه. فقال رجل من القوم: انا احفظُه، يا رسولَ الله. قال: كيف سمِعتَه يقول؟ قال: سمِعتُه يقول:

ايُّها الناسُ، اسمَعوا وعُوا. مَن عاش مات. ومَن مات فات. وكلُ ما هو آتٍ آتٍ. ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذاتُ ابراجٍ، بِحارٌ تَزخَر، ونجومٌ تَزهَر، وضوءٌ وظَلام، وبِرٌّ وآثام، ومَطعَمٌ ومَشرَب، ومَلبَسٌ ومَركَب. مالي أرى الناسَ يذهبون ولا يَرجِعون، أرَضَوا بالمُقامِ فأقاموا، ام تُرِكوا فناموا. وإلهِ قُسِّ بنِ ساعدةَ، ما على وجه الارضِ دِينٌ افضلُ من دينٍ قد أظلَّكم زمانُه وأدرككم أوانُه، فطوبى لمن ادركَه فاتَّبعَه، وويلٌ لمن خالفَه. ثم أنشأ يقول:

في الذاهبيـــنَ الأوليـــنَ من القُرونِ لنـا بَصائـــرْ
لَمـا رأيـــتُ مَــوارِدًا للموتِ ليس لهــا مَصــادِرْ
ورأيـــتُ قومـــي نحوَهـــا يَمضي الأصاغِـــرُ والأكابِـــرْ
أيقنـــتُ أنـــي لا مَحالـــةَ حيثُ صار القومُ صائِـــرْ.

متمم بن نُويرة واخوه مالك

مُتمِّم يكنَّى ابا نَهشَلٍ وأخوه مالكٌ أبا المِغوار.
كان مالك شريفا فارسا وكان فيه خُيَلاءُ وتقدُّم، قُتل في الرِدَّةِ (٤)، قتلَه ضِرارُ بنُ الأزورِ

(١) مكان مشرف. (٢) قس: مثلث الاول. (٣) أورق: المخضر الضارب الى السمرة. (٤) الردة: معارك جرت في خلافة ابي بكر كانت اشبه بقمع العصيان، فلم يكن كل من اخذته الحرب بنارها مرتداً أي راجعاً عن الإسلام بل منهم من امتنع عن دفع الزكاة فقط.

بأمر خالدِ بنِ الوليد في خلافة ابي بكر ، فطعَن عليه جماعةٌ من الصَحابة ، منهم عُمَرُ بنُ الخَطاب لانه تزوج امرأةَ مالكٍ بعدَه ، وكان يُقال إنه كان يَهواها في الجاهلية واتُّهم لذلك أنه قَتله مُسلِما ليتزوجَ امرأتَه بعدَه .

قال الأنصارى :

صلّى متمِّمٌ معَ ابي بكر الصبحَ ثم انشده :

نعمُ القتيلُ ، اذا الرياحُ تناوحت تحتَ الإزارِ ، قُتلتَ يا ابنَ الأزورِ
أدَعَوتَه باللهِ ثم قتلتَه لو هُوْ دَعاك بذِمَّةٍ لم يَغدُرِ
لا يُضمِرُ الفَحشاء تحتَ رِدائِه حلوٌ شمائلُه عفيفُ المِئزَرِ

ثم بكى حتى سالت عينه .

قال العبدي :

صلَّيتُ مع عمرَ بنِ الخطابِ الصبحَ . فلما انفتل من صلاته اذا هو برجل قصيرٍ متنكِّباً قوساً وبيده هَراوةٌ ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : مُتَمِّمُ بنُ نويرةَ . فاستنشده قولَه في أخيه ، فأنشده :

وكُنا كَنَدمانَي جَذِيمةَ حِقبةً منَ الدهرِ حتى قيل لن يَتصدَّعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لِطول اجتماعٍ لم نَبِت ليلةً مَعا

فقال عمر : هذا ، واللهِ ، التأبينُ . ولَوَدِدتُ أني أُحسِنُ الشعرَ فأرثي أخي زيدا بمثل ما رَثَيتَ به اخاك . فقال متمِمٌ : لو أن اخي مات على ما مات عليه اخوك ما رَثَيتُه . وكان قُتل باليمامةِ شهيدا ، واميرُ الجيش خالدُ بنُ الوليد . فقال عمرُ : ما عَزّاني أحدٌ عن اخي بمثل ما عزاني به متمِم .

مات عبدُ الرحمن بنُ ابي بكرٍ بالحَبَشي (١) فحُمِل فدُفِن بمكةَ ، فقَدِمت عائشةُ فوقفت على قبره وقالت متمثِّلةً :

وكُنا كَنَدمانَي جَذِيمةَ حِقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدَّعا
فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطولِ اجتماعٍ لم نبِت ليلةً معا

(١) جبل باسفل مكة بنعمان الاراك .

خبر جذيمة ونديميه

هو جَذيمةُ الابرشُ واصلُه من الأزد او الأسْد – وكان اولَ من مَلَكَ قُضاعةَ في الحيرة، وأول مَن حَذا النعال، وأدلجَ (١) من الملوك، ورُفعَ له الشمَع. قيل له الوَضَّاحُ لبرصٍ كان به. وكان يُعظِمُ أن يُسمى بذلك فجعل مكانَه «الابرشَ». قال يوما لجلسائه: قد ذُكِر لي عن غُلام من لَخمٍ يُدعى عَديًّا، مقيمٍ في أخواله من إياد، له ظَرفٌ ولُبٌّ، فلو بعثتُ اليه يكونُ في نُدَمائي، وولَّيتُه كأسي والقيامَ بمجلسي، كان الرأيَ. فقالوا: الرأيُ ما رأى الملكُ. ففعل. فلما قدِم فعل له ما اراد له. فمكث كذلك مُدةً طويلة. ثم أشرفت عليه يوما رَقاشِ، اختُ جذيمةَ، فلم تزل تراسلُه حتى اتصل بينهما. ثم قالت له: يا عدي، اذا سَقَيتَ القومَ فامزُج لهم، واسقِ الملكَ صِرفا. فاذا اخذت منه الخمرُ فاخطُبني اليه فانه يزوِّجُك، وأشهِد القومَ عليه إن هو فعل. ففعل عديٌّ ذلك فخطبَها فزوَّجَه. وانصرف عديٌّ بالخبر اليها. فقالت: عَرِّس بأهلك. ففعل. فلما أصبح غدا مُضرَّجا بالخَلوقِ (٢)، فقال له جَذيمةُ: ما هذه الآثارُ يا عديُّ؟ قال: اثارُ العُرسِ. قال: ايُّ عُرسٍ؟ قال: رَقاشِ. قال: فنخَر وأكبَّ على الأرض، ورفع عديٌّ جراميزَه (٣) فأسرع جذيمةُ في طلبه فلم يَحسِسه، وقيل إنه قتله، وكتب الى أُخته:

حدِّثيني رَقاشِ لا تَكذِبيني ... أَبِحُرٍّ زَنَيتِ ام بهجينِ
ام بعبدٍ فأنتِ اهلٌ لعبدٍ ... ام بدونٍ فانت اهلٌ لدونِ (٤)

فنقلها جَذيمةُ وحَصَّنها في قصره. واشتملت على حَملٍ فولدت منه غُلاما وسمَّته عَمراً وربَّته. فلما ترعرع عَطَّرته وألبسته وأرته خالَه. فأُعجِب به حتى اذا وَصَفَ (٥) التزمه جذيمةُ وحَباه وقَرَّبَه من قلبه، ثم ان الجنَّ استطارته فلم يزل يُرسِلُ في طلبه فلم يسمع له بخبر. ثم اقبل رجلان يُقال لأحدهما عَقيلٌ وللاخرِ مالكٌ، ابنا فالَج، وهما يريدان الملكَ لهديَّة. فنزَلا على ماء ومَعَهما قَينةٌ يقال لها امُ عُمرٍو. فنصبت قِدراً وأصلحت طَعاما. فبينما هما يأكُلانِ اذ

---

(١) الادلاج: السير في الليل. (٢) نوع من الطيب. (٣) الجراميز: القوائم، اي فر. (٤) فاجابته: «من مروج الذهب»

انت زوجتني وما كنت ادري ... وأنا في النساء للتزيينِ
ذاك من شُربك المدامةَ صِرفاً ... وتماديك في الصِبا والمُجونِ

(٥) وصف: صار وصيفاً اي شب، فهو وصيف وهي وصيفة.

أقبل رجلٌ أشعثُ أغبرُ قد طالت اظافرُه وساءت حالُه حتى جلَس مَزجرَ الكلبِ[١] . فمدَّ يَده فناولته شيئا فأكله . ثم مدَّ يده ، فقالت : « إن يُعطَ العبدُ كُراعاً يتسع ذِراعا . فأرسلتها مَثَلا . فقال الرجلان : ومَن أنت ؟ فقال :

إن تُنكراني او تُنكرا نَسَبي فانني عمروٌ وعَديٌّ أبي

فقاما اليه فلثماه ، وغَسَلا رأسَه وقلّما اظافرَه وقَصَّرا من لِمَّتِه[٢] ، وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كُنا لنُهديَ الى الملكِ هديَّةً أنفسَ من ابن اخته . فخرجا حتى اذا دَفَعا[٣] الى باب الملك بشَّراه به . فصرفَه الى أمه ، فألبسته ثيابا من ثياب الملوك وجعلت في عُنُقه طَوقا كانت تُلبِسُه اياه وهو صغير . وامرته بالدخول على خاله . فلما رآه قال : « شبَّ عن الطوق عَمروٌ » . فأرسلَها مثلا . وقال للرجلين عَقيلٍ ومالكٍ : احكُما ، فلكما حُكمُكما . قالا : منادمتُك ما بقيتَ وبَقينا . قال : ذلك لكما . فهما نديما جَذيمةَ ، وضَربت بهما الشعراءُ المَثَل .

قال ابو خِراشٍ الهُذَلي :

ألم تعلمي أن قد تفرّق قبلَنا خليلا صَفاءٍ مالكٌ وعَقيلُ

جذيمة والزباء[٤]

كان جذيمةُ اولَ من استَجمع له المُلكُ بأرضِ العِراق . فقصد في جُموعه عَمْرَ بنَ الظَرِبِ العامليَّ ، فجمع عمروٌ جموعَه ولَقيه جذيمةُ وفضَّ جموعَه . فَملّكوا عليهم ابنتَه الزبّاءَ وكانت من أحزمِ الناس . فلما اجتمع لها امرُها ، واستحكم مُلكُها أجمعت على غزوِ جذيمةَ ثائرةً بابيها . فقالت لها اختُها : إنك إن غَزَوت جذيمةَ فإنه امرُؤٌ له ما يَصُدُّه . فان ظَفِرت أصبت ثأرَك ، وان ظَفِر بك فلا بقيَّةَ لَك ، والحربُ سجالٌ ، ولا تَدرين كيف تكون ، ألَكِ ام عليك . ولكن ابعَثي اليه فأعلِميه أنك قد رغِبت في أن تتزوجيه وتَجمعي مُلكَكِ الى ملكه ، وسَليه ان يُجيبَك الى ذلك . لانه إن اغترَّ ففعل ظَفِرتِ به بلا مُخاطرةٍ .

---

(١) اي بقدر ما يزجر الكلب ، أي بعيداً . (٢) اللمة : شعر الرأس المجاوز لشحمة الأذن . (٣) انتهيا الى . (٤) مؤنث الأزبّ وهو كثيف الحاجبين يتدليان حتى يغطيا العينين . والجمل الازب هو عادة شرس الاخلاق، فقيل : كل أزب نفور .

فكتبت الزباءُ في ذلك الى جذيمةَ تقولُ له إنها قد رَغبت في صلة بلدها ببلده وإنها في ضُعف من سُلطانها وقلّة ضَبط لمملكتها، وإنها لم تجد كُفئاً غيرَه، وتسألُه الإقبالَ عليها وجمعَ ملكها الى ملكه. فلما وصل ذلك اليه استخفَّه وطَمِع فيه. فشاور أصحابَه فكلٌّ صوَّبَ رأيَه في قصدها وإجابتها، الا قَصيرُ بنُ سعيدِ ابنِ لَخمٍ، فقال: هذا رأيٌ فاترٌ وغدرٌ حاضر. فان كانت صادقةً فلتُقبِل اليك، وإلا فلا تُمكِّنها من نفسك. فتقعَ في حبالها وقد وتَرتَها في أبيها. فلم يوافِق جذيمةُ ما قال، ورحل. واستقبله رسُلُها بالهدايا والألطاف فقال: يا قَصيرُ، كيف ترى؟ قال: ستلقاك الخيولُ، فان سارت أمامَك، فالمرأة صادقةٌ وان اخذت في جَنبيك وأحاطت بك، فالقومُ غادرون. فلقيَته الخيولُ، فأحاطت به. فقال له قَصيرٌ: اركب العَصا، فانها لا تُسبَقُ ولا تُدرَكُ — يَعني فرسا له كانت تُجنَبُ — قبلَ ان يَحُولوا بينَك وبينَ جنودِك، فلم يفعل. فجال قصيرٌ في ظهرها، فمرّت به تعدو. وقيل إنها لم تقف حتى جرت ثلاثين ميلا، ثم وقفت فبالت هناك، فبُني على ذاك الموضعِ برجٌ يُسمى العَصا. وأُخِذ جذيمة فأُدخِل على الزبّاءِ فاستقبلته وقد كشفت عن عورتها. فقالت: يا جَذيمَ، أشَوارَ[1] عروسٍ ترى؟ قال: بل ارى متاعَ امة لَكعاءَ غيرِ ذات خَفَرٍ. قالت: والله ما ذاك من عَدَمِ مَواسٍ[2] ولكنَّها شيمةُ أُناس. ثم قالت لجواريها: خُذنَ بعَضُدِ سيِّدِكُنَّ. ثم دعت بنِطع[3] فأجلسته عليه وأمرت برواهشه[4] فقُطعت في طَستٍ من ذهبٍ يَسيل دمُه فيه. وقالت له: يا جذيمَ، لا يَضيعَنَّ من دمك شيءٌ فاني اريدُه للخبَل[5] فقال لها: وما يُحزِنُك من دمِ أضاعَه أهلُه. وانما كان بعضُ الكُهّانِ قال لها: ان نقطَ من دمه شيء في غير الطَست أُدرِكَ بثأره. فلم يزل دمُه يجري في الطست حتى ضَعُفَ. فتحرَّك فنقطت من دمه نقطة على أُسطُوانةِ رُخامٍ، ومات.

ومضى قصيرٌ الى عَمروِ بنِ عديٍّ ابنِ اختِ جذيمةَ فقال: هل لك في أن أصرِفَ الجُنودَ اليك على أن تَطلُبَ بثأر خالك؟ فقال وكيف وهي امنعُ من عُقابِ الجوّ؟ فقال: فاني جادِعٌ أنفي ومحتالٌ لقتلها. فأعِنّي، وخَلاكَ ذَمٌّ. فقال له عمروٌ: وأنت أبصَرُ. فجدَعَ قصيرٌ انفَه ثم انطلق حتى دخل على الزبّاء فقالت: مَن انت؟ قال: انا قصيرٌ، لا، وربِّ البَشرِ، ما كان على ظهرِ الارضِ احدٌ انصحَ لخدمته مني ولا أغشَّ لكِ حتى جَدعَ عمروُ بنُ عدي أنفي. فعرفتُ أني لن أكونَ مع احدٍ اثقلَ عليه منكِ. فقالت: أي قصيرُ، نَقبلُ ذلك منكَ، ونُصرِّفُكَ في بِضاعتنا. وأعطته مالا للتجارة. فأتى بيتَ مالِ الحيرةِ، فأخذ منه بأمرِ عمروِ بنِ عديٍّ ما ظَنَّ أنه يُرضيها، وانصرف اليها به. فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته. ولم يزلْ حتى أنِسَت به. فقال لها: انه ليس من مَلِكٍ ولا مَلِكة إلا وقد يَنبغي له أن يتخذَ نفقا يَهربُ اليه عندَ حُدوثِ حادثةٍ يَخافُها. فقالت: أما أني قد فعلت واتخذتُ نَفَقا تحت سريري هذا يخرُجُ الى نفقٍ تحتَ سريرِ اختي في مدينتنا. وأرته إياه. فأظهر لها سرورا بذلك. وخرج في تجارة كما

---

(١) شوار: حياء. تَشَوَّر: استحيا. (وقيل: أذات عروس ترى.) (٢) جمع موسى، يحلق بها أو به.
(٣) النطع: بساط من الجلد يفرش تحت المحكوم بالعذاب او بقطع الرأس. (٤) عروق في باطن الذراع.
(٥) الجنون وما اشبه.

كان يفعل . وعرفَ عمرو بن عدي ما فعله ، فركب في ألفَي دارع على ألف بعير في الجَوالق حتى اذا صاروا اليها تقدَّم قصيرٌ يَسبقُ الإبلَ ودخل على الزبَّاء فقال لها: اصعَدي في حائط مدينتك فانظُري الى مالك ، وتقدّمي الى بوّابك فلا يَعرُض لشيء من أعكامنا(١) فاني قد جئتُ بمال صامت . وقد كانت أمِنَته فلم تكن تتَّهِمُه ولا تَخافُه . فصعدت فلما نظرت الى ثِقل مَشي الجِمال قالت :

ما للجِمالِ مَشيُها وئيدا(٢) أجَندَلاً(٣) يَحمِلنَ أم حديدا
أم صَرَفاناً(٤) بارداً شديدا ام الرجالُ جُثَّماً قُعودا

فلما دخل آخرُ الجِمال نَخَس البوّابُ عِكما من الأعكام ، بمِنخَسة معه ، فأصابت خاصرةَ رجلٍ فضرط . فقال البوّابُ : شرٌّ ، واللهِ ، في الجَوالقِ . فثاروا باهلِ المدينة ضَربا بالسيوف. فانصرفت راجعةً ، فاستقبلها عمروُ بنُ عديٍّ فضربها فقتلها . وقيل : بل مَصّت خاتَمَها وقالت: «بيدي لا بيد عمروٍ.» وخُرِّبَت المدينةُ وسُبِيَت الذَراريُّ، وغَنِم عَمروٌ كلَّ شيءٍ كان لها ولأبيها ولأختها . وفي قصير قيل : لا يُسمَعُ لقصيرٍ رأي . وقيل : لأمرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفَه.

الحزين الدِيلي

الحزينُ لقبٌ غلبَ عليه واسمُه عمروُ بنُ سليمانَ ابنِ الدِيل. وهو من كِنانةَ صَليبةً . من شعراءِ الدولةِ الاموية ، حِجازيٌّ مطبوعٌ ، هَجّاءٌ خبيثُ اللسان ، يتكسَّبُ بالشرِّ وهِجاءِ الناسِ .

كان عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الملِك بنِ مروانَ من فِتيانِ بني اميةَ وظُرَفائهم ، وكان حَسَنَ الوجهِ حسنَ المذهبِ . قال له ابوه لما حجَّ : سَيأتيك الحزينُ الشاعرُ بالمدينة ، وهو ذَرِبُ اللِسان ، فإياك ان تَحتجبَ عنه ، وأرضِه ، وصِفَتُه أنه أشعرُ ، ذو بطنٍ ، عظيمُ الانف . فلما قَدِم عبدُالله المدينةَ وصفَه لحاجبِه وقال له : إياك ان تَرُدَّه . فلم يأتِ الحزينُ حتى قام فدخل لينامَ . فقال له الحاجب : قد ارتفع(٥) . فلما وَلّى ذَكَر ، فلَحِقَه فقال : ارجِع. فاستأذنَ له ، فأدخلَه . فلما صار بين يديه ورأى جمالَه وبهاءَه وفي يَدِه قضيبُ خيزران ، وقف ساكناً . فأمهله عبد الله حتى ظن انه قد أراح . ثم قال له : السلامُ ، رحِمَك اللهُ ، أولاً . فقال : عليكَ السلامُ وحيّاَ اللهُ وجهَك ايُها الاميرُ ، اني قد كنت مدحتُك بشعر ، فلما دخلتُ عليك ورأيتُ جَمالَك وبَهاءَك أذهلَني عنه فأُنسيتُ ما كنت قلتُه ، وقد قلتُ في مُقامي هذا بيتين . فقال : ما هما ؟ قال :

(١) العكم : العدل ما دام مليئاً . (٢) وئيد : بطيء . (٣) حجارة . (٤) تمر . (٥) نهض من مكانه .

في كفِّــــه خَيزُرانٌ رِيحهُ عَبِــقٌ مِن كَفِّ أروعَ في عِرنينِه شَمَمُ
يُغضي حَيَـــاءً ويُغضَى من مَهابتِــه فما يُكَلَّـــمُ إلا حينَ يَبتسِمُ

فأجازه . فقال : أَخدِمني [١] ، أصلحَك اللهُ ، فانه لا خادِمَ لي . فقال : اختر احدَ هذين الغُلامين . فأخذ الأصغر فقال له : أعلينا تُرذِلُ [٢] ، خذ الاكبرَ .

والناسُ يَروون هذين البيتين للفرزدق في أبياته التي يَمدحُ بها عليَّ بنَ الحسين ، وهو غلط ممن رواه . وليس هذان البيتان مما يُمدَحُ به مثلُ عليِّ بنِ الحسين ، — زينِ العابدين — وله من الفضل المتعالَمِ ما ليس لأحد .

قيل : كان عليُّ بنُ الحسين يَحمِل ليلا جِرابَ الخُبز على ظهره فيتصدَّقُ به ويقول : إن صَدَقَةَ الليلِ تُطفِئُ غضبَ الربِّ .

وكان ناسٌ من اهل المدينة يَعيشون ، ما يَدرُون من أينَ عَيشُهم . فلما مات عليُّ بنُ الحسينِ فَقَدوا ما كانوا يُؤتَون به .

ومن قصيدته في عبدِ الله بن عبد الملك :

لمـــا وقفتُ عليها في الجُموعِ ضُحىً وقد تَعرَّضتِ الحُجَّابُ والخَدَمُ
حَيَّيتُه بسلامٍ وهـــو مرتفِقٌ [٣] وضَجَّةُ القومِ عندَ البابِ تَزدحِمُ
في كفِّه خَيزُرانٌ رِيحُهــا عَبِـــقٌ مِن كفِّ أروعَ في عِرنينِه شَمَمُ
يُغضي حَياءً ويُغضَى مِـــن مَهابتِــه فما يُكلَّمُ إلا حينَ يَبتسِـــمُ
تَرى رُؤوسَ بني مَروانَ خـــاضعةً يَمشون حـــولَ رِكابَيه وما ظَلَموا
ان هَشَّ هشُّوا له واستبشروا جَذَلا وان همُ آنَسوا إعراضَه وَجَموا
كِلتا يديــــه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ بحرٌ يَفيضُ وهادي عارضٍ هَزِمُ [٤]

وللحزين خبرٌ مضى مع اخبار كثيِّر (الجزء التاسع) اذ هجاه ببيتٍ واحد من الشعر !
وقال يهجو عمرَ بنَ عمروِ بنِ الزبير :

لَوَ انَّ اللؤمَ كانَ معَ الثـــريـــا لكان حليفَه عمرُو بنُ عمـــروِ
ولـــو اني عرفتُ بأن عَمـــراً حليفُ اللؤمِ ما ضَيَّعتُ شعـــري

(١) اجعل لي خادماً . (٢) أرذل : اختار الرذل اي الدون . (٣) مرتفق : متكىء على مرفقه .
(٤) الهادي : المقدم . العارض : السحاب يعترض الافق . هزم : لا يستمسك .

وقال فيه :

وتَلقى الفتى ضخماً جميلا رُواؤه[(١)] ... يَروعُك في النادي وليس له عَقلُ
وآخــرَ تنبو العينُ عنــه مُهذّبٌ ... يَجودُ اذا ما الضخمُ نَهنَهَهُ البُخلُ

وقال يهجو عاصمَ بنَ عمروِ بنِ عثمان :

ظَلِلنا عليــه وهو كالتيسِ طاعِماً ... نَشُدُّ على أكبادِنا بالعمَائِمِ
ومــاليَ من ذنبٍ اليــه علِمتُه ... سوى أنني قد جئتُه غيرَ صائمِ

قال ابن عروة بن اذينة :

كان الحزينُ صديقا لابي وعشيراً على النبيذ ، وكان في المدينة قينةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها . فبيعت وأُخرجت عن المدينة ، فاتى الحزينُ ابي وهو كئيبٌ حزينٌ كاسمِه . فقال له ابي : مالك يا ابا حكيم ؟ قال : انا ، والله ، يا ابا عامر كما قال كثيِّر :

لعمــري لئن كــان الفؤادُ من الهوى ... بغى سَقَما إني اذا لَسَقيــمُ
سألت حكيماً ايــن شطّت بها النوى ... فخبَّرني ما لا أُحِبُ حكيــمُ

لبيد

هو لبيدُ بنُ ربيعةَ بنِ مالكٍ ويُكنّى أبا عقيل ، وعمُّه عامرُ بنُ مالكٍ ملاعبُ الأسِنَّة . امُّه عبسية . كان يقال لابيه : « رَبيعُ المُقتِرين[(٢)] » . لجوده وسخائه .

وهو احد شعراء الجاهلية المعدودين ، ومن اشراف الشعراء المجيدين . المعمَّرين ، يقال انه عُمِّر مئةً وخمسا واربعين سنة . وهو من أصحاب المعلقات ، ومن المخضرَمين .

قال لما تجاوز المئةَ سنةٍ :

ولقــد سَئِمتُ من الحياة وطــولِها ... وسؤالِ هذا الناسِ : كيف لبيدُ

وفد عامرُ بنُ مالك ، ملاعِبُ الاسنَّة،على النُعمان في رهطٍ من بني جعفرٍ ومعَه لبيدٌ وهو فتى .

---

(١) رواء : منظر حسن . (٢) المقتر : الذي قل ماله .

فوجدوا عنده الربيعَ بنَ زيادٍ العبسيَّ ، وكان الربيعُ نديماً للنعمان . وكانت بنو جعفرٍ له اعداءً . فلم يزل بالنُعمان حتى صدَّه عنهم .

فدخلوا عليه يوما فرأوا منه جَفاءً . وقد كان يُكرمهم ويُقرِّبهم فخرجوا غضابا ، ولبيدٌ متخلفٌ في رِحالهم يَحفَظ مَتاعهم ، ويَغدو بإبلِهم كلَّ صباحٍ يرعاها . فأتاهم ذاتَ ليلةٍ وهم يتذاكرون امرَ الربيعِ ، فسألهم: فيمَ أنتم ؟ وكانت ام لبيدٍ يتيمةً في حجر الربيع . فقالوا : خالُك قد غلبَنا على الملكِ وصَدَّعنَّا وجهَه فقال: هل تقدرون ان تَجمعوا بيني وبينَه فأزجرَه عنكم بقول مُمِضٍ لا يلتفت اليه النعمانُ ابدا ؟ فقالوا : وهل عندك شيءٌ ؟ قال : نعم . قالوا : فإنّا نَبلُوكَ (١). قال : وما ذاك ؟ قالوا : تَشتُم هذه البَقلةَ . — وقُدامَهم بقلةٌ دقيقةُ القضبانِ قليلةُ الورقِ ، لا صِقةٌ بالارض ، تُدعى التَربَةَ — فقال :

هذه التربة التي لا تُذكي نارا ولا تُؤهِل دارا ، ولا تَسُرُّ جارا عودُها ضئيلٌ وفَرعُها كليلٌ ، وخيرُها قليلٌ ، اقبحُ البُقولِ مرعىً ، واقصرُها فرعا واشدُّها قلعا ، بلدُها شاسعٌ ، وآكِلُها جائعٌ . فالقَوا بي اخا عبسٍ أَرُدَّه عنكم بتعسٍ ، وأترُكْه من امرِه في لَبسٍ . قالوا : نُصبِح ونرى فيك رأيَنا .

قال عامر : انظُروا الى غُلامكم هذا فان رأيتموه نائما ، فليس امرُه بشيء ، وان رأيتموه ساهرا ، فهو صاحبُه . فرَمقوه فوجدوه وقد رَكِب رَحلاً وهو يَكدُم (٢) وسطَه حتى أصبح . فقالوا : انت ، والله ، صاحبُه . فعَمدوا اليه ، فحلَقوا رأسَه وتركوا ذؤابتَه ، وألبسوه حُلَّةً ثم غدا معَهم وأدخلوه على النُعمانِ فوجدوه يَتغدّى ومعَه الربيعُ بنُ زيادٍ ، وهما يأكُلان لا ثالثَ لهما ، والدارُ والمجالِس مملؤةٌ من الوُفود . فلما فرَغ من الغَداءِ أذِن لهم فدخلوا عليه . فذكروا الذي قدِموا له من حاجتهم ، فاعترض الربيعُ في كلامهم ، فقال لبيدٌ :

أَكُلَّ يومٍ هامتي مُقَزَّعَـــــهْ (٣) ... يا رُبَّ هيجا هيَ خيرٌ من دَعَهْ (٤)
نحن خِيارُ عامرِ بنِ صَعصَعَـــــهْ ... الضاربون الهامَ تحتَ الخَيضَعَهْ (٥)
والمطعمون الجَفنَـــةَ المُدَعدَعهْ (٦) ... مهلا أَبيتَ اللعنَ لا تَأكُل مَعَـــهْ
ان استَه من بَرَصٍ مُلَمَّعَـــــهْ ... وإنه يُدخِلُ فيها إصبَعَـــــهْ
يُدخِلُها حتى يُواريَ أشجَعَـــهْ (٧) ... كأنَّه يَطلُبُ شيئا ضَيَّعَـــــهْ

فرفعَ النُعمانُ يدَه من الطَعام وقال : خبَّثتَ عليَّ طعامي يا غلامُ . فأقبل الربيعُ على النعمان فقال : كَذَب . والله ، ابنُ الفاعلة . ولقد فعلتُ بامِّه كذا وكذا . فقال له لبيد : مثلُك فعل ذلك بربيبةِ بيته والقريبةِ من اهله ، وإن امي من نساءٍ لم يكنَّ فواعلَ ما ذَكَرتَ .

---

(١) نمتحنك . (٢) يعض . (٣) مقزعة : محلوقة الا من خصل متفرقة في نواحي الرأس . (٤) دعة : سكون ، استكانة . (٥) صوت القتال . (٦) المملوة . (٧) الاشجع : مغرز الاصبع .

وقضى النُعمانُ حوائجَ الجعفريين وصَرَفهم . ومضى الربيعُ الى منزله من وقته . فبعث اليه النعمانُ بضِعفِ ما كان يَحبوه وأمره بالانصراف الى اهله . فلَحِق بأهله ثم أرسل الى النعمان يقول :

لئن رَحلتُ جِمالي لا إلى سَعَــــةٍ ما مثلُها سَعَةٌ عَرضا ولا طولا

فاثبُت بأرضِك بعدي واخلُ مُتَّكِئـــاً معَ النِطاسيِّ طُورا وابنِ تُوفيـــلا

فأجابه النعمان :

شَرِّد برحلِك عني حيثُ شِئتَ ولا تُكثِر عليَّ ودَعٍ عنك الأباطيـــلا

فقد ذُكِرتَ بشيءٍ لستُ ناسِيَـــه ما جاوَرَت مصرُ اهلَ الشامِ والنيلا

قد قيل ذلك إن حقاً وان كَذِبـــا فما اعتذارُك من قول اذا قيـــلا

كان لبيدٌ من جُوَداءِ العرب . وكان قد آلى في الجاهلية ان لا تَهُبَّ صَبا (١) إلا أطعَم . وكان له جَفنتان يَغدو بهما ويَروح في كل يومٍ على مسجدِ قومه فيُطعِمُهم . فهبت الصَبا يوما والوليدُ بنُ عُقبةَ على الكوفة ، فصعد الوليدُ المِنبرَ فخطب الناسَ ثم قال : إن اخاكم لبيدَ بنَ ربيعةَ قد نذر في الجاهلية ألاّ تَهُبَّ صَبا الا أطعَم . وهذا يومٌ من ايامه ، وقد هبَّت صَبا فأعينوه ، وانا اولُ من فعل . ثم نزَل من المِنبر فأرسل اليه بمئةِ بَكرةٍ ، وكتب اليه بابياتٍ قالَها :

أرى الجزّارَ يَشحــذُ شَفرَتَيـــهِ اذا هبَّت رياحُ ابي عَقيـــلِ

أشَمُّ الانفِ أصيَدُ (٢) عامـــرِيٌّ طويلُ الباعِ كالسيفِ الصَقيـــلِ

وَفى ابنُ الجعفريِّ بحَلفتَيـــهِ على العِلاّتِ والمالِ القليـــلِ

بنحر الكُومِ اذ سُحِبَــت عليــه ذيولُ صَباً تَجاوَبُ بالأصيـــلِ

فلما بلغت ابياتُه لبيدًا قال لابنته : أجيبيه . فقالت :

اذا هبَّت رياحُ ابي عقيـــلِ دعَونا عندَ هَبَّتِها الوليـــدا

أشَمَّ الانفِ أروعَ عَبشَميًّـــا (٣) أعان على مُرُوَّتِه لبيـــدا

بامثال الهِضابِ (٤) كأن رَكبـــا عليها من بني حامٍ قُعـــودا

ابا وَهبٍ جزاك اللـــهُ خيـــرا نَحرناها فأطعَمنا الثَريـــدا

فعُد إن الكريمَ له مَعـــادٌ وظَنّي يا ابنَ أروى أن تَعـــودا

فقال لها لبيد : أحسنتِ لولا أنك استطعمته . فقالت : إن الملوكَ لا يُستحيا من مَسألتهم . فقال : وانتِ ، يا بنيةُ ، في هذا أشعرُ .

---

(١) الريح الحارة. (٢) اصيد : شجاع كالأسد. (٣) نسبة الى عبد شمس جد القرشيين. (٤) نوق كبار كالهضاب

قدم الفرزدق فمرَّ بمسجد بني أُقيصر ، وعليه رجلٌ يُنشد قولَ لبيد :

وجَلا السُيولُ عن الطُلولِ كأنَّها ... زُبُرٌ تُجِدُّ متونَها أقلامُها [1]

فسجد الفرزدق ، فقيل له : ما هذا يا ابا فِراس ؟ فقال : انتم تعرِفون سجدةَ القُرآنِ ، وانا اعرِفُ سجدةَ الشعر .

كان المعتصمُ يُعجَبُ بشعر لبيد ، فقال لجُلَسائه : من منكم يَروي قولَه :

بَلينا وما تَبلى النجومُ الطوالِع .

فقال بعض الجلساء : انا . فقال : أنشِدنيها . فأنشد :

بَلينا وما تَبلى النجومُ الطوالعُ ... وتَبقى الجِبالُ بعدَنا والمَصانعُ

وقد كنتُ في أكنافِ دارِ مَضَنَّةٍ [2] ... ففارقَني جارٌ بأربدَ نافعُ

فبكى المعتصم حتى جرت دموعُه وترحم على المأمون (أخيه) وقال : هكذا كان رحمة الله عليه . ثم اندفع الرجُل يُنشد باقيَها :

فلا جَزِعٌ إن فرَّقَ الدهرُ بينَنا ... فكلُّ امرىءٍ يوما له الدهرُ فاجِعُ

ويَمضُون أرسالاً [3] ونَخلُف بعدَهم ... كما ضَمَّ إحدى الراحتين الأصابِعُ

وما البِرُّ إلا مُضمَراتٌ من التُقى ... وما المالُ إلا عارياتٌ ودائعُ

فأصبحتُ مثلَ السيفِ أخلقَ جَفنَه ... تَقادُمُ عهدِ القَينِ [4] والنَصلُ قاطِعُ

أُخبِّر اخبارَ القرونِ التي مضت ... أَدُبُّ كأني كلَّما قُمتُ راكِعُ

فلا تَبعَدَنْ إن المنيةَ موعِدٌ ... علينا فدانٍ للطُلوعِ وطالِعُ

لَعَمرُكَ ما تَدري الضَواربُ بالحَصى ... ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

نظر النابغةُ الذُبيانيُّ إلى لبيدِ بنِ ربيعةَ وهو صبيٌّ مع اعمامِه على باب النعمان ، فسأل عنه ، فنُسِب له ، فقال له : يا غلامُ ، إن عينَيك لَعينا شاعرٍ . أفتَقرِضُ من الشعر شيئا ؟ قال : نعم يا عمِّ . قال : فأنشدني شيئا مما قلتَه . فأنشدَه :

ألم تَربَع [5] على الدِمَنِ الخوالي ... لِسَلمى بالمَذانِبِ فالقُفالِ

فقال له : يا غلامُ ، انت اشعرُ بني عامر . زِدني يا بُنَيّ . فأنشده :

طَلَلٌ لخَولةَ بالرُسَيسِ قديمُ ... فبِعاقِلٍ فالأنعمَينِ رُسومُ [6]

(١) كشفت السيول عن أطلال الديار فأظهرتها جديدة بعد ستر التراب إياها لكأنها كتب تجدد الأقلام كتابتها فشبه كشف السيول عن الاطلال بتجديد سطور الكتاب الدارس . (٢) مضنة : نفيسة يبخل ويضن بها . (٣) أرسال : جمع رسل : جماعة بعد جماعة . (٤) الحداد . (٥) ربع : وقف وانتظر . (٦) الرسيس : واد بنجد . عاقل : واد آخر . الأنعمان : جبل .

فضرب بيديه إلى جنبيه وقال : انت اشعرُ هَوازِنَ ، زِدني ، فأنشده :

عَفَتِ الديـارُ محلُّهـا فمُقامُهـا   بمِنىً تأبَّدَ غَولُها فرِجامُهـا (١)

فقال له النابغة : اذهب فأنت أشعرُ العرب.

لما حضرت لبيداً الوفاةُ قال لابن أخيه ، ولم يكن له ولدٌ ذَكَرٌ : يا بُنَيّ إن أباك لم يَمُتْ ولكنَّه فَنِيَ. فاذا قُبِض ابوك فأقبِله القِبلةَ وسَجِّهِ بثَوبه ، ولا تَصرُخَنَّ عليه صارخةٌ . وقالَ لابنتيه :

تمنَّى ابنتـايَ أن يعيـشَ ابوهُمـا   وهل أنا إلا من ربيعةَ او مُضَـرْ

فإن حان يومـا ان يمـوتَ ابوكمـا   فلا تَخمُشا وجهاً ولا تَحلِقا شَعَرْ

إلى الحَول ثم اسمُ السلامِ عليكُمـا   ومَن يَبكِ حَولا كامِلا فقد اعتذَرْ

فكانت ابنتاه تَلبَسان ثِيابَهما في كلِ يومٍ ثم تَأتِيانِ مجلِسَ بني جَعفرٍ فتَرثيانه ولا تُعوِلان فأقامتا على ذلك حولاً ثم انصرفتا .

مختارات من معلقته

عَفَتِ الديـارُ محلُّهـا فمُقامُهـا   بمِنىً تأبد غَولُهـا فرِجامُهـا

وجـلا السيولُ عـن الطلولِ كأنها   زُبُرٌ تُجِـدُّ متونَهـا أقلامُهـا

فوقفتُ أسألُهـا ، وكيف سؤالُهـا   صُمّاً خوالدَ ما يبين كلامُهـا

عُرِيَت وكان بها الجميعُ فأبكـروا   منها وغودر نُؤيُهـا وثُمامُهـا (٢)

أوَ لم تكـن تـدري نَـوارُ بأنني   وصَّالُ عَقدِ حبائـلٍ جَذّامُهـا

تَرَّاكُ أمكنـةٍ اذا لـم أرضَهـا   او يَعتلِق بعضَ النفوسِ حِمامُهـا

بل أنتِ لا تدريـن كم مـن ليلـة   طَلقٍ لذيذٍ لهوُها ونِدامُهـا (٣)

إنّا اذا التقـتِ المجامـع لم يزل   منّا لِزازُ عظيمةٍ جُشّامُهـا (٤)

---

(١) عفا : درس وامحى . محل : ما ينزل فيه لأيام معدودات. مقام : ما طالت الاقامة فيه . تأبد: توحش . غول ورجام : جبلان . والمعنى : انمحت ديار الاحباب وتوحشت معالمها بارتحال قطانها وسكانها . (٢) نؤي: نهير يحفر حول البيت ينصب اليه الماء . ثمام : ضرب من الشجر رخو يسد به خلل البيوت. (٣) طلق : ساكنة لا حر فيها ولا قر . ندام : قيل جمع نديم ، وقيل مصدر بمعنى المنادمة . (٤) لزاز : قرين . جشام : مقتحم الصعاب . يقول اذا اجتمعت القبائل فلم يزل يسودهم رجل منا هو قريع الخصوم متحمل اعباء العظائم .

من معشر سَنَّت لهم آبـــاؤهـــم ولكلِّ قوم سُنَّةٌ وإمَامُهـــا
لا يَطبعـون ولا يَبورُ فَعَـالُهـم اذ لا يميـل مع الهوى احلامُهـا (١)
وهمُ السُعاةُ اذا العشيرة أُفظِعـت وهمُ فوارسُها وهم حُكَّامُهـا (٢)
وهـمُ ربيـعٌ للمجـاورِ فيهـمُ والمُرمِلاتِ اذا تطـاول عامُهـا

زياد الاعجم

هو زيادُ بنُ سليمانَ ، مولَى عبدِ القيس ، وكان ينزل إصطَخرَ فَغَلَبت العُجمةُ على لسانه فقيل له الأعجمُ ، ويُكنَّى أبا أُمامة .

كان شاعرا ، جَزلَ الشعرِ فصيحَ الالفاظِ على لُكنَةِ لِسانه .

قال يَرثي المُغيرَةَ بنَ المهلَّب :

قُل للقوافـل والغـزِيِّ (٣) اذا غَزَوا والباكرين وللمُجِـدِّ الرائـحِ
ان المَرؤةَ والسَماحَـةَ ضُمِّنـا قبراً بمَروَ علـى الطريـقِ الواضـحِ
فاذا مررتَ بقبـره فـاعقِر بـه كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرفٍ (٤) سابحِ
وانضَح جوانـبَ قبرِه بـدِمائها فلقد يكونُ أخا دَمٍ وذَبائـحِ

وهي معدودة من نقي المعاني ومختار الشعر والمراثي .

كان زياد الاعجم يخرج وعليه قَباءُ دِيباجٍ تَشَبُّها بالأعاجم ، فمرَّ به يزيدُ بنُ المهلَّبِ وهو على حالـه تلك ، فأمر به فقُنِّعَ أسواطا ، ومُزِّقَت ثيابُه ، وقال له : أبأهل الكُفر والشِرك تَتشبَّهُ ، لا أُمَّ لك ؟ فقال زياد :

لَعمرُك ما الديبـاجَ خَرَّقتَ وحـدَه ولكنَّما خَرَّقتَ جِلـدَ المُهلَّـبِ

فبعث المهلَّبُ إلى يزيدَ فأحضَره وقال له : صَدَق زيادٌ ، ما خرَّقتَ إلا جِلدي . تَبعثُ هذا على أن

(١) يطبع : يتدنس ويتلطخ . أحلام : جمع حلم أي لب وعقل. يقول : لا تتدنس اعراضهم بعار ولا تفسد أفعالهم إذ لا تميل عقولهم مع أهوائهم . (٢) السعاة : جمع ساع اي المسارع الى كشف الأهوال. أفظعت: أصيبت بمهولات الخطوب والاحداث . (٣) اسم جمع للغازي . (٤) الجواد الكريم الطرفين : الاب والام .

يَهجُوَني . ثم دعا وقال له : يا أبا أُمامةَ ، قلتَ شيئاً آخَرَ ؟ قال : لا ، والله ، ايها الامير . قال : فلا تَقُل . وأعتَبَه[١] وكساه وحمّله واستلَّ سَخيمتَه[٢] من صدره وأمرَ له بعشرة آلافِ درهمٍ وقال له : إعذِر ابنَ أخيك ، فانه لم يَعرِفك .

اتى زيادٌ الاعجمُ عُمرَ بنَ عُبيدِ الله بنِ مَعمرٍ بفارس فقال يمدحُه :

سألنـاه الجزيـلَ فما تَأبَّـى فأعطـى فوقَ مُنيتِنـا وزادا
وأحسنَ ثم أحسنَ ثم عُدنـا فأحسنَ ثم عُدتُ لـه فعـادا
مِـرارا مـا دَنَـوتُ اليـه إلا تَبَسَّم ضاحكا[٣] وثَنّى الوِسـادا
أخٌ لـكَ لا تـراهُ الدهـرَ إلا على العِلاّتِ بسّامـاً جَـوادا

فقال له عمر : أحسنتَ يا أبا أُمامة ، ولك لكل بيتٍ ألفٌ . قال : دَعني أُتِمَّها مئةً . قال : اما إنك لو كنتَ فعلتَ لفعلتُ . ولكن لك ما رُزِقتَ .

وقدِم على عبدِ الله بنِ الحَشرجِ وهو بسابور . فأنزله وألطفَه[٤] فقال فيه :

ان السَماحـةَ والمُـروءَةَ والنَـدى في قُبَّةٍ ضُرِبت على ابنِ الحَشرجِ
ملِكٌ أغَرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائِـلٍ للمُعتَفين يَمينُه لم تَشنَجِ[٥]
لما أتيتُك راجيـا لنوالِكـم ألفَيتُ بابَ نوالِكم لم يُرتَجِ[٦]

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

أقبل الفرزدق وزيادٌ يُنشدُ الناسَ في المِربَدِ وقد اجتمعوا حوله ، فقال : مَن هذا ؟ قيل : الاعجمُ . فقال له الفرزدق : ما زالت تُنازِعُني نفسي إلى هجاء عبدِ القيسِ منذُ دهرٍ ، وأصِفَ مِن فَسوِهم شيئاً . قال له زياد : كما انتَ حتى أُسمِعَك شيئا . ثم قال :

وما تركَ الهاجـون لي إن هجَوتُـه مَصَحّاً أراه في أديمِ الفرزدقِ
سأحطِمُ ما أبقَـوا له من عِظامـه فأنكُتُ عظمَ الساقِ منه وأنتقي[٧]
فإنّا وما تُهدي لنـا إن هجَوتَنـا لكالبحرِ مهما يُلقَ في البحر يَغـرَقِ

فقال له الفرزدق : حسبُك . هلم نتتارك[٨] . قال : ذاك اليك . وما عاوده بشيء .

وقال يهجو المغيرة بنَ حبناء وكان لج الهِجاءُ بينهما : (الجزء ١٣ ـ ٣٩٠)

أرى كلَّ قومٍ يَنسُلُ اللؤمُ عندهـم ولؤمُ بني حبنـاءَ ليس بناسـلِ

(١) أعتبه : أزال عتبه. (٢) السخيمة: الضغينة (٣) ثنى الوساد : كناية عن المبادرة بالعطاء. (٤) انزله: اعطاه منزلا . ألطفه : اتحفه بالهدايا والالطاف . (٥) تشنج : تيبس . منها التشنج . (٦) رتج الباب : أقفله . (٧) نكت العظم : ضرب طرفه ليخرج مخه . انتقى : استخرج النِقْيَ وهو المخ. (٨) نتهادن .

يَشُبُّ مع المولود مثـلَ شبـابـه ... ويلقاه مولوداً بأيدي القوابـل
ويُرضَعُه من ثـديِ أمٍ لئيمـة ... ويُخلَق من ماء امرىءٍ غيرِ طائلِ (١)
وما أنتمُ مـن مالكٍ غيـرَ أنـكم ... كمغرورة بالبَوِّ في ظل باطـلِ (٢)
بنو مالكٍ زُهـرُ الوجوهِ وأنـتمُ ... تبيَّنَ ضاحي لؤمِكم في الجحافلِ (٣)

وقال زياد يهجو بني يشكُر : (الجزء ١٣ — ٣٩١)

اذا يَشكُـريٌّ مَسَّ ثوبَك ثوبُـه ... فلا تذكُرَنَّ اللهَ حتى تَطهَّـرا
فلو أنَّ من لُؤمٍ تمـوت قبيلـةٌ ... اذاً لأَمات اللؤمُ لا شكَّ يَشكُـرا

وان شرا وقع بين الازد وبين عبد القيس ، فقال كعب الاشقري يهجو عبد القيس :

إني وإن كنتُ فرعَ الأزدِ قـد عَلِمـوا ... أخزى اذا قيل عبدُ القيسِ أخـوالي
فَهُمْ ابو مالكٍ بالمجـد شرَّفـني ... ودنَّس العبدُ عبدُ القيسِ سربـالي

فبلغ قولُه زياداً الأعجم فغضب وقال يهجوه :

نُبِّئتُ أشقرَ تهجونا فقلت لهـم ... ما كنت أحسبهم كانوا ولا خُلقـوا
لا يَكثُرون وإن طالـت حياتُهـمُ ... ولو يبول عليهم ثعلبٌ غَرِقـوا
ان الأشاقرَ قد أضحَوا بمنزلـةٍ ... لو يُرهَنون بنَعلَي عبدِنا غَلِقـوا (٤)

شارية

كانت شارية مولَّدة من مولَّدات البصرة. يقال إن اباها كان رجلا من بني لُؤَيٍّ — قرشي — وإنه جَحَدها. وكانت امُّها أمةً فدخلت في الرقّ وقيل : بل سُرِقت فبيعت فاشترَتها امرأةٌ من بني هاشمٍ فأدَّبتها وعلَّمتَها الغناء. فحملتها لتبيعَها ببغدادَ ، فعُرِضت على اسحاقَ المَوصِليِ فأعطى بها ثلاثمئةِ دينارٍ. ثم استغلاها بذلك ولم يُرِدها . فجيء بها إلى ابراهيمَ بنِ المهديِ فأُعجِب بها إعجابا شديدا فلم يزل يُعطي بها حتى بلغت ثمانيةَ آلافِ درهم . ثم دعا بقَيِّمته فقال : خذي هذه الجاريةَ

(١) غير طائل: الخسيس . (٢) ينفيهم من النسب الى مالك ، فهم كالبو ، اي جلد الحوار المحشي تبناً تخدع به امه فتدر .
(٣) الضاحي اي الابيض ، وهو برص كان في المغيرة . والجحافل ، جمع جحفلة ، وهي الشفة للخيل والحمير والبغال .
(٤) غلق الرهن : استحقه المرتهن .

ولا تُرينيها سنةً ، وقولي للجواري يَطرَحن عليها . فلما كان بعدَ سنة أُخرجت اليه فنظر اليها وسمعَها . فأرسَل إلى اسحاقَ فدعاه وأراه اياها واسمعه غناءها . وقال : هذه جاريةٌ تُباعُ . فبكم تأخذُها لنفسك ؟ قال اسحاقُ : بثلاثةِ آلافِ دينارٍ ، وهي رخيصةٌ بها . قال له ابراهيم : اتعرفُها ؟ قال : لا . قال : هذه الجاريةُ التي عرَضَتها عليكَ الهاشميةُ بثلثمئة دينار ، فلم تقبل . فبقي اسحاقُ متحيرا يَعجَب من حالها وما انقلبت اليه .

ثم امر المعتصِم بابتياعها بعدَ موت عمِّه ابراهيمَ ، فابتيعت بخمسةِ آلافٍ وخمسمئةِ دينارٍ ، فحوِّلت إلى داره فكانت في مُلكه حتى تُوفِّي .

قالت رَيِّقٌ :

استزار المعتصمُ من ابراهيمَ بنِ المهديِ جواريَه ، وكان في جَفوةٍ من السُلطانِ تلك الايامَ فنالته ضِيقةٌ . قالت : فتحمَّل ذَهابَنا اليه على ضُعفٍ . فحضَرنا مجلِسَ المعتصِمِ ونحن في سراويلاتٍ مُرَقَّعَةٍ ، فجعلنا نرى جواريَ المعتصمِ وما عليهن من الجَوهر والثياب الفاخرةِ ، فلم تستجمع الينا أنفسُنا حتى غَنَّوا وغَنَّينا . فطرِب المعتصمُ من غِنائنا ورآنا أمثلَ من جواريه ، فتحوَّلت الينا أنفسُنا في التيه والصَلَفِ ، وأمر لنا المعتصمُ بمئةِ الفِ درهمٍ .

كانت شاريةُ من أكرم الناس . عاشرها ابو الحسن عليُّ بنُ الحسين ثم أضاق في وقت ، فاقترض منها على غير رهن ، عشرةَ آلافِ دينار . ومكثت اكثرَ من سنة ، ما أذكرَته بها ، حتى ردَّها ابتداءً .

قال جحظةُ : كنت عند المعتَمِدِ يوما فغنته شاريةُ بشعر مولاها ابراهيمَ بنِ المهديِ ولحنِه :

يـا طولَ عِلَّةِ قلبيَ المُعتـادِ ... أَلِفَ الكِرامَ وصُحبَةَ الامجـادِ

فقال لها : احسنت واللہ . فقالت : هذا غِنائي وانا عاريةٌ فكيف لو كنت كاسيةً ؟ فأمر لها بألفِ ثوب من جميع انواع الثياب الخاصيَّة ، فحُمل ذلك اليها . فقال لي علي بن يحيى المنجم : هل بلغَكَ ان خليفةً امر لمغنية بمثل ما امر به اميرُ المؤمنين اليومَ لشاريةَ ؟ قلت: لا : فأمر باخراج سِيَرِ الخلفاء ، فأقبلَ بها الغِلمانُ يَحمِلونها في دَفاترَ عظامٍ ، فتصفَّحناها كلَّها ، فما وجدنا احدا قبلَه فعل ذلك .

قالت مُلَحُ العَطَّارةُ المغنيةُ : غنَّت شاريةُ يوما بين أيدي المتوكِّلِ :

بالله قولوا لي لمن ذا الرَشـا ... المُثقَلُ الردفِ الهضيمُ الحَشا
أظرفُ ما كان اذا ما صحـا ... وأملحُ الناسِ اذا ما انتشى
وقد بنى بُرجَ حَمـامٍ لـه ... أرسلَ فيه طائرا مُرعَشا
يا ليتـني كنتُ حمامـاً لـه ... او باشِقاً يَفعلُ بي ما يَشا
لو لبِس القُوهِيَّ من رِقـةٍ (١) ... أوجَعَه القُوهِيُّ أو خَدَّشا

(١) ضرب من الثياب البيض . منسوب الى قوهستان .

فطرِب المتوكلُ ، وقال لشاريةَ : لمن هذا الغناء . فقالت: اخذتُه من دار المأمونِ ولا أدري لمن هو . فقلت له : انا اعلم لمن هو. فقال : لمن هو يا مُلَحُ ؟ فقلت: اقولُه لك سرا . قال : انا في دار النساء وليس يَحضُرُني إلا حُرَمي . فقوليه . فقلت . الشعرُ والغناء جميعا لخَديجةَ بنتِ المأمونِ ، قالته في خادمٍ لابيها كانت تَهواه . فأطرقَ طويلا ثم قال: لا يَسمَعُ منك هذا أحدٌ .

الحسين بن مُطير

هو مولى لبني أسد ثم لبني سعد . وهو من مخضرَمي الدولتين : الاموية والعباسية . شاعرٌ فصيح متقدِّم في القصيد والرَجَز .

انشدَ رجلٌ في مجلس الأصمعيِّ لدِعبلِ بنِ عليٍّ :

لا تَعجَبي يا سَلمُ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى

فقال الاصمعي : هذا أخذه من قولِ لحسينِ بنِ مُطَير :

اينَ اهلُ القِبابِ بالدَهناءِ اينَ جيرانُنا على الإحساءِ
فارقونا والارضُ مُلبَسَةٌ نَورَ الأقاحي يُجادُ بالأنواءِ[1]
كلَّ يومٍ بأُقحُوانٍ جديدٍ تَضحَكُ الارضُ من بُكاءِ السماءِ

قال المهديُّ للمفضَّلِ الضبّيِّ : أسهَرَتني البارحةَ ابياتٌ لحُسينِ بنِ مُطَير . قال : وما هي يا امير المؤمنين ؟ قال : قولُه :

وقد تَغدُرُ الدنيا فيُضحي فقيرُها غنيًّا ويغنَى بعدَ بُؤسٍ فقيرُها
فلا تقرَبِ الامرَ الحَرامَ فإنه حلاوتُه تَفنى ويَبقى مريرُها
وكم قد رَأينا من تغيُّرِ عيشةٍ وأخرى صفا بعدَ إكدارٍ غديرُها

وكان المهديُّ رقيقا فاستعبر .

دخل الحسينُ بن مُطَير على المهدي فأنشده قولَه :

لو يَعبُدُ الناسُ يا مهديُّ أفضلَهم ما كان في الناس إلا انتَ معبودُ

(١) الامطار .

أضحت يمينُك من جودٍ مصـــوَّرةً لا بل يمينُك منها صُوِّر الجُـــودُ
لو أن من نُوره مِثقالَ خَردلـــةٍ في السُود طُرًّا إذن لابيضَّتِ السُودُ

فأمر له لكل بيت بألف درهم .

وقال ابنُ مُطَير في معنِ بنِ زائدةَ :

ايا قبرَ مَعنٍ كنتَ اولَ حُفْـــرةٍ من الارض خُطَّت للسماحة مَضجَعا
ايا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جـــودَه وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُترَعــا
بلى قد وَسِعتَ الجودَ والجودُ مَيِّتٌ ولو كان حيًّا ضِقتَ حتى تَصدَّعا (١)
فتىً عِيشَ في معروفه بعدَ موتِـــه كما كان بعدَ السَيلِ مجراه مُمرَعا (٢)
ولما مَضى معنٌ مضى الجود فانقضى واصبحَ عِرنينُ المكارمِ أَجدَعا (٣)

قيل لابي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال والله لوَددتُ أن الشعراء قاربته في قوله :

مُخَصَّرةُ الأوساطِ زانت عقودَهـــا بأحسنَ مما زيَّنتها عُقودُهـــا
فصِفرٌ تَراقيها (٤) وحُمرٌ أَكُفُّهـــا وسودٌ نواصيها وبيض خُدودُهـــا

النعمان بن بشير

كان النعمانُ عُثمانيًّا ، وشَهِد مع معاويةَ صِفِّينَ ، ولم يكن معه من الأنصار غيرُه ، وكان كريما عليه ، رفيعا عنده وعند يزيدَ ابنِه بعدَه . وعَمَّر الى خِلافة مروانَ بنِ الحَكَمِ وكان يَتولى حِمصَ . فلما بويع لمروانَ ، دعا الى ابن الزُبير وخالف على مَروانَ ، وذلك بعد قتلِ الضَحّاكِ بنِ قيسٍ بمرجِ راهطٍ . فلم يُجِبه اهلُ حمصَ الى ذلك ، فهرب منهم ، وتَبِعوه فأدركوه فقتلوه .

أَمرَ معاويةُ لاهلِ الكوفة بزيادةِ عَشَرةِ دنانيرَ في أعطيتِهم ، وعاملُه يومَئذ على الكوفة النُعمانُ بنُ بشيرٍ ، وكان يُبغِضُ اهلَ الكوفة لرأيِهم في علي . فأبى النُعمانُ ان يُنفِذها لهم . فكلَّموه وسألوه بالله ، فأبى ان يفعل . فصعد المِنبرَ يوما فقال : يا أهلَ الكوفة ! فصاحوا : نَنشُدُك اللهَ

(١) اي : تتصدعا . (٢) أمرع : أخصب . (٣) هذا البيت أضيف عن مجاني الادب . (٤) تراقيها : جمع تُرقوة وهي عظم أعلى الصدر .

والزِيادةَ . فقال : اسكُتوا . فلما اكثروا قال : أتدرون ما مَثَلي ومَثَلُكم ؟ قالوا : لا. قال : مثلُ الضَبُعِ والضَبِّ والثعلبِ . فان الضَبُعَ والثعلبَ اتيا الضبَّ في وِجاره ، فناداياه : أبا الحِسلِ . فقال : سميعاً دعوتُما . قالا : اتيناك لتَحكُمَ بيننا . قال : في بيته يُؤتى الحَكَمُ . قالت الضَبُعُ : اني حَلَلتُ عَيبتي،[1] قال : فعلَ الحُرَّةِ فعلتِ . قالت : فلقطتُ ثَمَرةً . قال : طَيِّبا لَقطتِ . قالت : فأكلَها الثعلبُ . قال : لنفسه نَظَرَ . قالت : فلطمتُه . قال : بجُرمِه . قالت : فلطمَني . قال : حُرٌّ انتصر . قالت : فاقضِ بيننا . قال : قد فعلتُ . ثم قال : حدِّث امرأةً حديثين ، فان لم تَفهم فعَشَرةً[2] .

ثم قال النعمان : فواللهِ لا أُجيزُها ولا أُنفِذُها ابدا .

شبَّب عبدُ الرحمنِ بنُ حسَّانَ بنِ ثابتٍ الانصاري برملةَ بنتِ معاويةَ . فبلغ ذلك يزيدَ بنَ معاويةَ فغضب ودخل على معاوية فقال: يا امير المؤمنين ، الا ترى الى هذا العِلج من اهل يَثربَ يتهكَّم باعراضنا ويشبب بنسائنا ؟ فقال : ومَن هو ؟ قال : عبد الرحمن بن حسان ، وانشده ما قال : فقال : يا يزيد ، ليس العقوبةُ من احد أقبحَ منها بذوي القدرة. ولكن أمهِل حتى يَقدَمَ وفدُ الانصار ، ثم أذكِرني به . فلما قدموا أذكره به . فلما دخلوا قال : يا عبد الرحمن ، ألم يبلغني انك شببت برملة بنت امير المؤمنين ؟ قال : بلى ، ولو علمت ان احدًا اشرفُ لشعري منها لذكرته . فقال : فاين انت عن اختها هند؟ قال : وإن لها لاختا يقال لها هند؟ قال : نعم . وانما اراد معاوية ان يشبب بهما جميعا فيكذِّبَ نفسه .

فلم يرضَ يزيد ما كان من معاوية في ذلك فأرسل الى كعبِ بنِ الجُعَيلِ ، فقال : اهجُ الأنصارَ . فقال : أفرَقُ[3] من امير المؤمنين ، ولكن أدُلُّك على الشاعر الكافرِ الماهرِ ، الاخطلِ . فدعاه ، فقال له : أهجُ الانصار . فقال : أفرَقُ من امير المؤمنين . قال : لا تخَف شيئا ، انا بذلك لك . فهجاهم :

وإذا نسبتَ ابنَ الفُريعةِ خِلتَه ... كالجَحشِ بين حِمارةٍ وحِمارِ[4]
قومٌ اذا هدر العصيرُ رأيتَهم ... حُمرًا عيونُهمُ من المِسطارِ[5]
خلُّوا المكارمَ لستمُ من اهلِها ... وخُذوا مساحيَكم بني النَجَّارِ[6]
ذهبت قريشٌ بالمكارم والعُلا ... واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصارِ

فبلغ ذلك النعمانَ بنَ بشيرٍ فدخل على معاويةَ ، فحسر عِمامتَه عن رأسه وقال : يا اميرَ المؤمنين ، أترى لؤما ؟ قال : بل ارى كَرَما وخَيرًا . فما ذاك ؟ قال : زعمَ الاخطلُ أن اللؤمَ تحتَ عمائمِ

(١) العيبة : الزنبيل ، الصندوق . (٢) اي كرر الحديث اذا لم تفهم من مرتين . يريد ان يقول : ان الضبع لم تفهم بانه أصدر حكمه ، لانها انثى . يضرب المثل لسوء الفهم . (٣) اخاف . (٤) الفريعة ام حسان بن ثابت . (٥) الخمر التي تصرع شاربها. ويروي أيضاً: المصطار وهو بمعناه (٦) المساحي: جمع مسحاة وهي المجرفة من حديد. يقول انهم زراعون حراثون .

الانصار . قال : أوَ فعل ذلك ؟ قال : نعم . قال : لك لسانُه . وكتب فيه ان يُؤتى به . فلما أُتي به ، سأل الرسولَ أن يُدخلَه الى يزيدَ اولا ، فأدخله عليه ، فدخل يزيدُ الى معاويةَ فقال : عَلام أرسل الى هذا الرجلِ الذى يَمدحُنا ؟ قال : هجا الانصارَ . قال : ومَن زعم ذلك ؟ قال : النعمانُ بنُ بشيرٍ . قال : لا تقبل قولَه عليه ، وهو المُدَّعي لنفسه ، ولكن تدعوه بالبيِّنة ، فان اثبت أخذتَ به له . فدعاه بالبينة ، فلم يأتِ بها .

تزوج معاويةُ امرأةً من كلبٍ . فقال لامرأتِه مَيسونَ ام يزيدَ بنِ معاويةَ ، ادخُلي فانظُري إلى ابنة عمك[١] هذه . فأتتها فنظرت اليها ثم رجَعت فقالت : ما رأيتُ مثلَها . ولقد رأيت خالا تحت سُرَّتِها لَيُوضَعَنَّ تحتَ مكانه في حِجرِها رأسُ زوجِها . فتطيَّر[٢] من ذلك ، فطلَّقها . فتزوجها حبيبُ بنُ مَسلَمةَ ثم طلَّقها . فتزوجَها النعمانُ بنُ بشير . فلما قتلَه اهلُ حمصَ واحتزُّوا رأسَه قالت امرأتُه الكلبيةُ : ألقوا رأسَه فِي حِجري فأنا احقُّ به . فألقَوه في حِجرها .

حضرت وفود الانصار بابَ معاويةَ فخرج اليهم حاجبُه ، سعدُ ابو دُرَّة . فقالوا له : استأذن للانصار . فدخل اليه وعندَه عمرُو بنُ العاص . فقال له : ما هذا اللقبُ يا أميرَ المؤمنين ، اردُد القومَ الى أنسابهم . فقال : إني اخافُ من ذلك الشُنعةَ . فقال : هي كلمةٌ تقولُها ، ان مضت نقصتَهم ، وإلا فهذا الاسمُ راجِعٌ اليهم . فقال له : اخرُج فقل : من كان ههنا من الأوسِ والخزرجِ فليدخل . فلم يدخل احدٌ . فقال معاوية . اخرُج فقل : من كان ها هنا من الانصار فليدخل . فدخلوا يَقدُمُهم النعمانُ بنُ بشيرٍ وهو يقول :

يا سعدُ لا تُعِدِ الدُعاءَ فمالَنـــا ... نسبٌ نُجيب به سوى الأنصـارِ
نسبٌ تَخيَّرَه الالــهُ لقومنــا ... أثقِل[٣] به نسباً على الكُفَّــارِ
ان الذين ثَوَوا ببدرٍ منكـــمُ[٤] ... يومَ القَليبِ همُ وقودُ النـارِ

قال معاويةُ لعمرٍو : قد كُنا أغنياءَ عن هذا . وقام النعمانُ مُغضبًا وانصرف فبعث معاويةُ فردَّه فترضَّاه وقضى حوائجَه ، وحوائِجَ مَن معه .

والنعمان بن بشير هو من المعروفين في الشعر سلفا وخلفا . جَدُّه شاعر وعمُّه شاعر وهو شاعر واولاد اولاده شعراء .

ودخل النعمان على معاويةَ لما هجا الاخطلُ الانصارَ ، فلما مَثَل بين يديه قال :

مُعاوِيَ إلاَّ تُعطِنا الحقَّ تعتــرِف ... لِحَيِّ الأزدِ مشدودًا عليها العمائِمُ
فان كنتَ لم تشهَد ببدرٍ وقيعـةً ... اذلَّت قريشاً والأنوفُ رواغِـمُ
ألم تَبتدِركم يومَ بدرٍ سيوفُنـا ... وليلُك عَمَّا نابَ قومَك نائِـمُ

(١) كانت ميسون كلبية (٢) تشاءم . (٣) أثقل به : صيغة التعجب اي: ما أثقله . (٤) اي من بني امية لانهم كانوا ضد الرسول في موقعة بدر ، والانصار هم الذين ناصروا ونصروا الرسول على قريش .

ضربناكمُ حتى تفــرَّقَ جمعكـــم وطارت أكُفٌّ منكُمُ وجماجـــمُ
وإني لأغضي عن امـــورٍ كثيــرةٍ سترقى بها يوما اليكَ السلالـــمُ
فما انتَ والامرَ الذي لستَ اهلَـــه ولكن وليُّ الحقِ والامرِ هاشـــمُ

المغيرة بن شُعبة

هو ثَقيفٌ ويُكنَّى ابا عبدِ الله. وكان يُكنَّى ابا عيسى، فغيَّرها عُمرُ بنُ الخَطَّاب وكنَّاه ابا عبد الله وقال: هل لعيسى من أب؟

كان المُغيرة اصهبَ الشعرِ أكشفَ، يَفرُقُ رأسَه قُرونا اربعةً، أقلَصَ الشفتين مَهتوما، ضخمَ الهامةِ، عَبلَ الذراعين، بعيدَ ما بينَ المَنكِبين. وكان اولَ من خَضَبَ بالسواد. خرج على الناس كان عهدُهم به ابيضَ الشعر، فعَجِب الناسُ منه.

كان المغيرة من دُهاة العرب وحَزَمَتِها وذوي الرأي منها والحيَل الثاقبة. وكان يقال: ما اعتلجَ في صدر المغيرة امران الا اختار أحزَمَهما.

ولاَّه عمرُ عِدَّةَ وِلايات، إحداها البصرةُ وبعدَها الكوفةُ، ولاَّه اياها ايضا معاويةُ فكان عليها الى ان مات بها. وكان اعورَ أصيبت عينُه في اليرموك.

ركِبَ المُغيرة بنُ شُعبةَ الى هندٍ بنتِ النُعمان بنِ المنذر، وهي بدير هند، متنصِّرةٌ عمياءُ، بنتُ تسعين سنةً. فقالت له: من انتَ؟ قال: انا المغيرةُ بنُ شُعبةَ. قالتْ: انت عاملُ هذه المَدَرة؟ تَعني الكوفةَ. قال: نعم. قالت: فما حاجتُك؟ قال جئتُك خاطبا اليكِ نفسَكِ. قالت: اما، واللهِ، لو كنتَ جئتَ تَبغي جَمالا او دِينا أو حَسَبا لزوَّجناك ولكنك اردتَ أن تجلِسَ في موسِمٍ من مواسمِ العربِ، فتقولُ: تزوجتُ بنتَ النعمان بنِ المنذرِ. وهذا، والصليبِ، امرٌ لا يكونُ ابداً. أوَ ما يَكفيك فخرًا أن تكونَ في مُلكِ النُعمان وبلادِه، تُديرُهما كما تُريد. وبكَت.

فخرج المغيرة وهو يقول:

ادركتِ ما مَنَّيتُ نفسيَ خاليـــا للهِ دَرُّكِ يا ابنةَ النُعمـــانِ
إني لِحَلفِكِ بالصليبِ مُصَـــدِّقٌ والصُلبُ أصدقُ حَلفَةِ الرُهبـــانِ

ولقد رددت على المُغيرةِ ذهنَــــه إن الملوكَ بطيئةُ الإذعـــانِ
يا هندُ حسبُكِ قد صَدقتِ فأمسكي والصِدقُ خيرُ مَقالةِ الإنســانِ

أحصَنَ المغيرةُ الى أن مات ثمانين امرأةً ، فيهن ثلاثُ بناتٍ لابي سُفيانَ بنِ حربٍ ، وفيهن حفصةُ بنتُ سعدِ بنِ ابي وَقّاصٍ . وكان مِطلاقاً . فكان اذا اجتمع عنده اربعُ نِسوةٍ قال : انكن لطويلاتُ الاعناقِ ، كريماتُ الأخلاقِ ، ولكني رجلٌ مِطلاقٌ . فاعتَددن [١] .

وكان يقول : النساءُ اربعُ ، والرجال اربعةٌ : رجل مذكَّرٌ وامرأة مؤنَّثةٌ فهو قَوّامٌ عليها . ورجل مؤنَّثٌ وامرأة مذكَّرةٌ ، فهي قَوّامةٌ عليه. ورجل مذكَّرٌ وامرأة مذكَّرة ، فهما كالوَعِلين يَنتَطِحان . ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة ، فهما لا يَأتيان بخير ولا يُفلِحان .

خرج المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة ومعه الهَيثمُ النَخَعيُّ ، يسير بظهرِ الكوفة فلَقِي احدَ بني تَيمِ اللهِ ، وهو لا يَعرِفُ المُغيرة . فقال له : من اين اقبلتَ يا أعرابي ؟ قال : من السَماوة . قال : ممن انت ؟ قال : من بكرِ بنِ وائلٍ . قال : أخبِرني عن النِساء قال : النِساءُ اربعُ . رَبيعٌ مُربِعٌ ، وجَميعٌ تَجمَعُ ، وشَيطانٌ سَمَعمَعٌ ، وغُلٌّ لا يُخلَعُ . قال : فَسِّر . قال : اما الربيع المُربع ، فالّتي اذا نظرتَ اليها سَرَّتك واذا أقسمت عليها أبَرَّتك . واما الّتي هي جميع تجمع ، فالمرأة تتزوجها ولها نَشَبٌ [٢] فتجمع نَشَبَك الى نَشَبِها . واما الشَيطان السمعمعُ فالكالحةُ في وجهك اذا دخلتَ ، والمُولولةُ في أثَرِك اذا خرجتَ . واما الغُلُّ الذي لا يُخلَع ، فبنتُ عمِّك السوداءُ القصيرةُ الفَوهاءُ الدَميمة الّتي قد نَثَرَت لك بَطنَها . إن طلَّقتَها ضاع ولدُك ، وان أمسكتَها فعلى جَدَعِ أنفِك . فقال له المغيرة : بل أنفَك . ثم قال له : ما تقول في اميرِك المُغيرةِ بنِ شُعبةَ ؟ قال : أعورُ زَنّاء . فقال الهَيثَمُ : فضَّ اللهُ فاك ! ويلَك ! هذا الاميرُ المُغيرةُ . فقال : انها كلمةٌ ، واللهِ ، تُقال . فانطلَقَ به المغيرةُ الى منزِله وعندَه يومَئذٍ اربع نِسوةٍ وسبعون أمَةً ، وقال له : ويحَك ، هل يَزني الحُرُّ وعندَه مثلُ هؤلاء ؟ ثم قال لهن : إرمِين اليه بحِلاكُن . ففعلن . فخرج الأعرابي بمِلءِ كِسائه ذَهبا وفِضةً .

جاء المغيرةُ الى عليٍّ بنِ ابي طالبٍ فقال له : أُكتُب الى معاويةَ فولِّه الشامَ ، ومُره بأخذ البَيعةِ لك ، فإنك إن لم تفعل وأردتَ عزلَه حاربَك . فقال علي : «ما كنتُ مُتَّخِذَ المُضِلّين عَضُدا» . فانصرف المغيرةُ . فلما كان من غدٍ جاءه فقال : إني فَكَّرتُ في ما أشرتُ به عليك امسِ فوجدتُه خطأً ووجدتُ رأيَك اصوبَ . فقال له عليٌّ : لم يَخفَ علي ما اردتَ . قد نصحتَني في الاولى ، وغششتَني في الآخِرة . ولكني ، واللهِ ، لا آتي امرا اجدُ فيه فَسادا لديني ، طلبا لصلاح دُنياي .

قال رجل من قريش لعمرَ بنِ الخَطّاب : ألا تتزوجُ امَّ كُلثومٍ بنتَ ابي بكر ؟ فقال عمر : بلى ، اني لَأُحب ذاك ، فاذهب الى عائشةَ [٣] فاذكُر لها ذلك وعُد اليَّ بجوابها . فمضى فاخبرها فأجابت الى ذلك وقالت : حُبًّا وكرامةً .

(١) اي لتستعد كل واحدة للطلاق . (٢) نشب : مال . (٣) بنت ابي بكر وزوج النبي .

ودخل اليها بعُقبِ ذلك المغيرةُ فرآها مهمومةً ، فقال لها : مالَكِ يا امَّ المؤمنين ؟ فاخبرته برسالة عمرَ وقالت : ان هذه جاريةٌ حَدَثَةٌ واردتُ لها أليَنَ عيشاً من عُمرَ . فقال لها : علي أن أكفِيَكِ . وخرج فدخل على عمر فقال : بالرفاءِ والبنين . قد بلغَني ما اتيتَه من صِلة ابي بكرٍ في اهله وخِطبتِك امَّ كُلثوم . فقال : قد كان ذاك . قال : إلا أنك ، يا اميرَ المؤمنين ، رجل شديدُ الخُلُقِ على أهلك ، وهذه صبيةٌ حَديثةُ السنِ ، فلا تَزالُ تُنكرُ عليها الشيءَ فتضربُها فتصيحُ : يا ابتاه . فيَغُمُّكَ ذلك ، وتتألَّم له عائشةُ ، ويَذكرون ابا بكرٍ فيَبكون عليه فتُجدِّدُ لهم المُصيبةَ به ، مع قرب عهدِها في كل يوم . فقال له : متى كنتَ عندَ عائشةَ ؟ وأصدِقني ؟ فقال : آنفا . فقال : أشهَدُ أنهم كَرِهوني ، وتَضَمَّنتَ لهم أن تَصرِفَني عما طلبتُ . قد أعفيتُهم . فعاد الى عائشةَ فأخبرَها .

الحسين بن علي وسُكينة

هو الحسينُ بنُ عليِّ بنِ ابي طالب بنِ عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ مَناف بنِ قُصَيِّ . واسم ابي طالب عبدُ مَناف . واسم عبدِ المطَّلِب شَيبة . وامُّ علي فاطمةُ بنتُ أسدِ بنِ هاشم . وكانت اولَ هاشميةٍ تزوَّجها هاشميٌّ . وامُّ حُسينٍ فاطمةُ بنتُ الرسول ، وامُّها خَديجةُ بنتُ خُويلِدِ بنِ اسدِ بنِ عبدِ العزَّى بنِ قُصَيِّ . وكانت خديجةُ تُكنَّى امَّ هند .

كان عليٌّ سمى الحسنَ حرباً . فسمَّاه الرسولُ الحسنَ . ثم وُلِد له الحسينُ فسمَّاه حرباً ، فسمَّاه الرسولُ الحسينَ .

قيل : كان على الحسنِ والحسينِ تَعويذتان حَشوُهما من زَغَبِ جَناحِ جِبريلَ ، عليه السلام .

قالت سُكَينةُ : عاتَب عمي الحسنُ ابي في أمي فقال :

لَعمرُكَ إنني لَأُحِبُّ دارا ... تكون بها سُكَينةُ والرَبابُ
أحِبُّهما وأبذُلُ جُلَّ مالي ... وليس لعاتبٍ عندي عِتابُ

سُكَينةُ اسمُها آمِنة ، وسكينة لقب .

قال عَوف المُرِّي . واللهِ إني لعندَ عمرَ بنِ الخطاب ، اذا اقبل رجل أفحجُ ، أجلى أمعر (١) ،

(١) افحج : الذي تتدانى صدور قدميه ويتباعد عَقباه اذا مشى . أجل : الذي انحسر مقدم شعره . أمعر : الذي سقط شعره.

يتخطى رِقابَ الناس ، حتى قام بين يدَي عُمرَ ، فحيّاه بتحيةِ الخلافة . فقال له عمر : فمن أنت ؟ قال : انا امرؤٌ نَصرانيٌّ ، انا امرؤُ القيسِ بنُ عَديٍّ الكلبي . فقال : فما تريد ؟ قال : اريد الإسلامَ . فعرضه عليه عمرُ فقَبِله . ثم دعا له برُمحٍ ، فعقد له على من أسلمَ بالشام من قُضاعةَ . فأدبرَ الشيخُ واللواءُ يَهتز على رأسه . قال عَوفٌ : واللهِ ما رأيتُ رجلا لم يُصَلِّ لله ركعةً قطُّ ، أُمِّرَ على جماعةٍ من المسلمين قبلَه .

ونهض عليُّ بنُ ابي طالب من المجلس ومعه ابناه الحسنُ والحسينُ حتى ادركَه فأخذ بثيابه فقال له : يا عمِّ ، انا عليُّ بنُ ابي طالب ابنُ عمِّ الرسولِ وصَهرُه ، وهذان ابنايَ الحسنُ والحسينُ من ابنته ، وقد رَغِبنا في صِهرِكَ فأنكِحنا . فقال : قد أنكحتُكَ يا عليُّ المُحيّاةَ بنتَ امرىءِ القيس ، وأنكحتُكَ يا حسنُ سَلمى بنتَ امرىءِ القيس ، وأنكحتُكَ يا حسينُ الرَّبابَ بنتَ امرىءِ القيس .

قال هِشامٌ الكلبيُّ : كانت الرَّبابُ من خِيار النساء وأفضلِهن . فخُطبت بعدَ قتلِ الحسينِ فقالت : ما كنتُ لأتّخِذَ حَماً بعد رسول الله .

رثت الربابُ ، امُّ سُكينةَ ، زوجَها الحسينَ حين قُتل فقالت :

إن الذي كان نُورا يُستضاءُ بهِ ... بكَربلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سبطَ النبيِّ جَزاكَ اللهُ صالحةً ... عنّا ، وجُنِّبتَ خُسرانَ الموازينِ
قد كنتَ لي جبلا صعبا ألوذُ بهِ ... وكنتَ تَصحَبنا بالرُحمِ (١) والدينِ
مَن لليتامى ومَن للسائلين ومَن ... يُغني ويأوي اليه كلُّ مِسكينِ
واللهِ لا ابتغي صِهرا بصِهرِكُمُ ... حتى أُغَيَّبَ بين الرملِ والطينِ

كانت سُكينةُ في مأتم فيه بنتُ عُثمانَ بنِ عفّانَ فقالت بنتُ عُثمانَ انا بنتُ الشهيد . فسكتت سُكينةُ . فلما قال المؤذّن : اشهَدُ أن محمدا رسولُ الله . قالت سُكينةُ : هذا ابي أو ابوك ؟ فقالت العُثمانيةُ : لا جرَمَ لا أفخَرُ عليكم ابدا .

كانت سُكينة تجيء في سِتارةٍ يومَ الجُمعةِ ، فتقوم بإزاء ابنِ مُطَيرةَ ، وهو خالدُ بنُ عبدِ الملك بنِ الحارثِ بنِ الحكَمِ ، اذا صعد المنبرَ ، فاذا شَتَم عليًّا شتمته هي وجواريها ، فكان يَأمُرُ الحرسَ فيضربون جواريَها .

كانت سُكينةُ عفيفةً سَلِمةً (٢) بَرزَةً من النساء تجالس الأجِلّةَ من قريش وتجتمع اليها الشعراءُ وكانت ظريفةً مَزّاحةً .

تزوجت سُكينةُ عِدّةَ ازواج ، اولُهم عبدُ الله بنُ الحَسَنِ وهو ابن عمِّها وابو عُذرَتِها . قُتِل عنها ولم تَلِد له . وخلَفَ عليها مُصعَبُ بنُ الزّبير على ألفِ ألفِ درهمٍ . فولدت له جارية

(١) الرحم : الرحمة . (٢) مسالمة .

ثم خَلَفَ عليها عبدُ الله بنُ عثمانَ بنِ حِزام، فنشزت عليه ، فطلّقها . ثم خَلَف عليها الأصبَغُ بنُ عبدِ العزيز بن مَرْوان ، فأصدَقَها صداقا كثيرا . وبلغ ذلك عبدَ الملك بنَ مروانَ فغضب وقال : أما تُزوِّجُنا أحسابُنا حتى تُزوِّجَنا اموالُنا ؟ فطلّقها . فخلف عليها زيدُ بنُ عمرو بنِ عثمانَ بنِ عفّانَ ، وشرطت عليه ألا يُطلّقها، ولا يمنعها شيئا تُريدُه ولا يُخالِفها في امرٍ تُريده. فطلّقها. فخلف عليها ابراهيمُ بنُ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ

خرجت بسُكينةَ سَلَعَةٌ [١] في أسفلِ عينها ، فكبِرت حتى اخذت وجهَها وعينَها ، وعَظُم شأنُها . وكان بَدرٌ رَاقِسُ مُنقطعا اليها في خدمتها ، فقالت له : الا ترى ما قد وقعتُ فيه ؟ فقال : أتصبرين على ما يَمَسُّكِ من الألم حتى أُعالجَك ؟ قالت: نعم . فأضجعها ، وشقّ جِلد وجهِها حتى ظهرت السلَعَةُ ، ثم كَشَطَ الجلدَ عنها أجمعَ ، وسلخ اللحم من تحتِها حتى ظهرت عروقُ السلَعَة ، وكان منها شيءٌ تحت الحدَقة ، فرفع الحدقةَ عنه حتى جعلها ناحيةً ، ثم سلَّ عروقَ السلَعَة من تحتها، فأخرجها جميعا، وردَّ العينَ إلى موضعها، وعالجها، وسُكينةُ مضطجعةٌ لا تتحرّكُ ولا تئنُّ ، حتى فرغ مما اراد . فزال ذلك عنها ، وبرِئت منها ، وبقي أثرُ تلك الجراحة في مؤخّرِ عينها ، فكان احسنَ شيءٍ في وجهها، وكان احسنَ على وجهها من كل حَلْيٍ وزينة ، ولم يُؤثّر ذلك في نظرها ولا في عينها .

اجتمع في ضيافة سُكينةَ جريرٌ والفرزدقُ وكُثيِّرٌ وجميلٌ ونُصَيبٌ، فأذنت لهم، فدخلوا عليها ، فقعدت حيث تراهم ولا يرونها ، وتسمعُ كلامَهم ، ثم أخرجت وصيفةً لها وَضيئةً [٢] وقد روت الاشعارَ والاحاديثَ فقالت: ايُّكم الفرزدقُ ؟ فقال لها : ها أنذا . فقالت : انت القائلُ :

هما دلّتاني من ثمانين قامةً كما انحطّ بازٍ اقتمُ الريشِ كاسِرُهْ
فلما استوت، رجلايَ بالأرض قالتا أحَيٌّ يُرَجّى ام قتيلٌ نُحاذِرُهْ
فقلت ارفعوا الامراسَ لا يَشعُروا بنا واقبلتُ في أعجازِ ليلٍ أُبادِرُهْ
ابادر بَوابَيْنِ قد وُكِلا بنا وأسمرَ من ساجٍ تَبِصُّ [٣] مسامِرُهْ

قال : نعم . قالت: فما دعاك إلى إفشاء سرِّها وسرِّك ؟ هلا سترتَها وسترتَ نفسَك . خذ هذه الالفَ ، والحق بأهلِك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت: ايُّكم جريرٌ ؟ فقال لها : هاانذا . فقالت: انت القائل :

طرقَتكَ صائدةُ القلوبِ وليس ذا وقتَ الزيارةِ فارجِعي بسلامِ

قال : نعم . قالت: أفلا اخذتَ بيدِها ، ورجعتَ بها ، وقلتَ لها ما يُقال لمثلِها ؟ انتَ عفيفٌ وفيك ضُعفٌ . خذ هذه الالفَ ، والحَق بأهلك .

---

(١) ورم كالخراج يكون حجمه اولا كالحمصة ثم يكبر الى حجم البطيخة . (٢) وضيئة : جميلة . (٣) في مكان آخر : تنط . والمعنى : تسمع صوتاً .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت: ايُّكم كُثَيِّرٌ؟ فقال: هاا انذا. فقالت: انت القائل.:

وأعجبتني يا عزُّ منك خلائقٌ كِرامٌ اذا عُدَّ الخلائقُ اربعُ
دُنُوكِ حتى يَطمعَ الطالبُ الصِبا ودفعُك اسبابَ الهوى حين يَطمعُ
فواللهِ ما يدري كريمٌ مماطَلٌ أينساكِ اذ باعدتِ ام يتضرَّعُ

قال: نعم. قالت: ملَّحتَ وشكَّلتَ. خذ هذه الثلاثةَ الآلافَ والحَق بأهلِك. ثم دخلت الى مولاتها وخرجت فقالت: ايُّكُم نُصَيبٌ؟ قال: ها انذا. فقالت: انت القائلُ:

ولولا أن يُقالَ صَبا نُصَيبٌ لقُلتُ بنفسيَ النَشَأُ الصِغارُ
بنفسيَ كلُّ مَهضومٍ حَشاها اذا ظُلِمَت فليس لها انتصارُ

قال: نعم. قالت: ربَّيتَنا صِغارا ومدحتَنا كبارا. خذ هذه الاربعةَ الآلافَ والحَق بأهلك. ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت: يا جميلُ، مولاتي تُقرئُك السلامَ، وتقول لك: واللهِ ما زلتُ مشتاقةً لرؤيتِك منذُ سمعتُ قولَك:

الا ليتَ شِعري هل ابيتَنَّ ليلةً بوادي القُرى إني اذا لَسعيدُ
لكلِ حديثٍ بينَهن بَشاشَةٌ وكلُّ قتيلٍ عندَهن شَهيدُ

جعلتَ حديثَنا بشاشةً، وقتلانا شُهداء، خذ هذه الاربعةَ الآلاف الدينارَ والحق بأهلك.

ولها خبر آخر مع الفرزدق،راجع جرير ص ٢٣٢

قال النوفَليُّ: لم يُصَلَّ على احدٍ بعد الرسول بغير إمامٍ الا سُكينةَ. فانها ماتت وعلى المدينة خالدُ بنُ عبدِ الملك. فأرسلوا اليه، فآذنوه بالجِنازة، وذلك في أول النهار في حرٍّ شديد فأرسل اليهم: لا تُحدِثوا حدَثا حتى أجيءَ فأُصلّيَ عليها. وجلسوا ينتظرونه حتى جاءت الظهرُ. فأرسلوا اليه. فقال: لا تُحدِثوا فيها شيئا حتى أجيءَ. فجاءت العصرُ. ثم لم يزالوا ينتظرونه حتى صُلِّيَت العشاءُ، كلُّ ذلك يُرسلون اليه فلا يأذَنُ لهم حتى صُلِّيَت العتَمةُ ولم يَجيء. ومكث الناسُ جلوسا حتى غَلَبَهم النُعاسُ. فقاموا فأقبلوا يُصلّون عليها جمعا جمعا وينصرفون. فقال عليُّ بن الحسين ــ زين العابدين ــ: مَن أعان بطيبٍ رَحِمَه الله. قال: وانما اراد خالدُ بنُ عبدِ الملك، في ما ظن قومٌ، ان تَنتَنَ. فأُتيَ بالمَجامر. فوُضِعت حولَ النعشِ. ونهض ابنُ أختِها مُحمدُ بنُ عبدِ الله العثمانيُّ، فأتى عَطّارا عندَه عُودٌ فاشترى منه بأربعمئةِ دينارٍ ثم أتى به فسَجَّر حول السَريرِ، حتى اصبحَ وقد فرغ منه. فلما صُلِّيَت الصُبحُ ارسل اليهم: صَلّوا عليها وادفُنوها. فصلى عليها شَيبةُ بنُ نِصاح(١).

(١) القاضي القارىء.

الفضل بن العباس اللهبي

هو الفضلُ بنُ العبَّاس بنِ عُتبةَ بنِ ابي لَهَبِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ، هاشميُّ الأبوين، احدُ شعراء بني هاشمٍ وفُصَحائهم ، أمُّه بنتُ العبَّاس بن عبد المطَّلِب . وكانَ شديدَ السَّواد من قِبَل جَدَّتِه وكانت حَبَشيةً ، ولذلك يقول :

طَرِبَ الشيخُ ولا حين طَــرَبْ　　وتَصابى وصِبا الشيـخِ عَجَبْ
وأنا الأخضــرُ مَن يعرفُنـــي　　أخضرُ الجِلدة مِن بيتِ العــربْ
من يُساجِلـــني يساجِـــل ماجِـداً　　يَملأ الدَّلوَ إلى عَقدِ الكَرَبْ

قدِمَ الفضلُ بن العباسِ على عبدِ الملك بنِ مروانَ فأنشده وعندَه ابنٌ لعُبيدِ الله بنِ زيادِ — ابن ابيه — فقال الزيادي : واللهِ ما اسمعُ شِعرا . فلما كان العَشِيُّ راحَ اليه الفضلُ فوقف بين يديه ثم قال : يا اميرَ المؤمنين :

أتيتُكَ خـالاً وابنَ عـمٍّ وعَمَّـــةٍ　　ولم أكُ شَعبا لاطَه بِكَ مَشعبُ[1]
فَصِل واشِجاتٍ[2] بيننا مـن قَرابـةٍ　　ألا صِلَةُ الأرحـامِ أبقى وأقرَبُ
ولا تجعلَنّي كامرِئٍ ليس بينـــه　　وبينَكم قُربـى ولا مُتنسَّبُ
أتَحدِبُ من دونِ العشيـــرةِ كلِّها　　فانتَ على مولاكَ أحنـى وأحـدَبُ

فقال الزيادي : هذا والله ، يا امير المؤمنين ، الشعرُ . فقال عبدُ الملك : النَخسُ يَكفيكَ البَطيءَ[3] . وجعل يَضحكُ وأحسن صِلتَه .

كان الحارثُ بنُ خالدِ المخزوميُّ يحسُدُ الفضلَ على شعره ويُعاديه . لان ابا لَهَب جَدَّ الفضلِ كان قامرَ جَدَّه العاصي بنَ هِشام على ماله فقَمَرَه . ثم قامَره على رِقِّه فقَمَرَه ، فاستلَمَه قَينا ، ثم بعث به بديلا يومَ بدرٍ فقتله عليٌّ . فكان اذا انشد شيئا من شعره يقول : هذا شعرُ ابن « حَمَّالة الحَطَب . »

(١) لاطه : ألصقه . وفيه تعريض بزياد بن ابيه واستلحاقه بنسب معاوية . مشعب : طريق (٢) واشجات : جمع واشجة أي الرحم المشتبكة المتصلة . (٣) مثل معناه : الحث يحرك الضعيف ويحمله على السرعة . اي ان الفضل نخس الزيادي فأقرله بالشعر .

فقال الفضل في ذلك :

ماذا تحاول من شتمي ومنقصتي ... ماذا تُعيّرُ من حمّالة الحطبِ
غرّاءُ سائلةٌ في المجد غُرّتُها ... كانت خليلةَ شيخٍ ثاقبِ النسبِ
أما ابوك فعبدٌ لستَ تنكرُه ... وكان مالكَه جدّي ابو لهبِ

قال عبد الملك لعمر بن ابي ربيعة : اخبرني عن مُنازعتك اللهبيَّ في المسجد الجامع فقد اتاني نبأُ ذلك . قال عمر : نعم ، يا امير المؤمنين . بينا انا جالس في المسجد الحرام ، في جماعة من قريش ، اذ دخل علينا الفضلُ بنُ العباس ، فسلّم وجلس ، ووافقني وانا أتمثّل بهذا البيت :

واصبحَ بطنُ مكةَ مقشعرّاً ... كأن الارضَ ليس بها هِشامُ(١)

فأقبل علي وقال : يا أخا بني مخزومٍ ، والله ان بلدةً تبحبحَ(٢) بها عبدُ المطّلبِ وبُعثَ منها رسولُ الله ، لحقيقةٌ ألاّ تقشعرَّ لهشامٍ ، وإن أشعرَ من هذا البيتِ واصدقَ قولُ من يقول :

انما عبدُ منافٍ جوهرٌ ... زيّنَ الجوهرَ عبدُ المطّلبْ

فأقبلت عليه وقلت : يا أخا بني هاشم ، ان اشعرَ من صاحبك الذي يقول :

ان الدليلَ على الخيرات أجمعها ... ابناءُ مخزومَ(٣) للخيرات مخزومُ

فقالَ لي : اشعرُ من صاحبك الذي يقول :

جبريلُ اهدى لنا الخيراتِ أجمعَها ... اذ أمَّ(٤) هاشمَ لا ابناءَ مخزومِ

فقلت في نفسي : غلبني والله . ثم حملني الطمعُ فخاطبتُه فقلت : بل اشعرُ منه الذي يقول :

ابناءُ مخزومَ الحريقُ اذا ... حرّكتَه تارةً ترى ضرَمَا
يخرج منه الشرارُ مع لهبٍ ... مَن حاد عن حرّه فقد سلِمَا

فوالله ما تلعثم أن أقبلَ علي بوجهه فقال: يا اخا بني مخزومٍ ، أشعرُ من صاحبك وأصدقُ الذي يقول :

هاشمُ بحرٌ اذا سما وطما ... أخمدَ حرَّ الحريق واضطرمَا
واعلم وخيرُ المقالِ اصدقُه ... بأنَّ مَن رام هاشماً هُشِمَا

قال : فتمنيتُ والله يا اميرَ المؤمنين ، أن الارضَ ساخت بي ، ثم تجلّدتُ عليه فقلت: يا اخا بني هاشمٍ ، اشعرُ من صاحبك الذي يقول :

أبناءُ مخزومَ انجمٌ طلعت ... للناس تجلو بنورها الظُلَما

(١) هو هشام بن اسماعيل المخزومي امير الحجاز . (٢) تمكن في المقام والحلول . (٣) مخزوم وهاشم : اسمان للقبيلتين ، فلذلك منعا من الصرف . (٤) قصد .

تجود بالنَيـــل قبـــلَ تُسألَـــه جُودا هنيئا وتَضرِبُ البُهَما(١)

فأقبل علي بأسرعَ من اللحظ ثم قال : اشعرُ من صاحبك واصدقُ الذي يقول :

هاشمُ شمسٌ بالسعـــد مَطلَعُهـــا اذا بدت أخفتِ النجومَ معـــا
إختار منها ربّي النبيَّ فمَـــــن قارعَها بعـــد أحمدَ قُرِعـــا

فاسودَّت الدنيا في عينيَّ ، ودِيرَ بي ، وانقطعتُ ، فلم أُحِر جوابا . ثم قلت له : يا أخا بني هاشمٍ ، ان كنت تفخَرُ علينا برسول الله ، فما يَسعُنا مُفاخرتُك . فقال : لا امَّ لك ، واللهِ لو كان منكَ لفخرتَ به عليَّ . فقلت: صدقت، إنه لَموضِعُ الفَخار . وداخلني السرورُ لقطعه الكلامَ . ثم إنه ابتدأ بالمُناقضة ، فقال : قد قلتَ فلم أجد بُدًّا

نحـــنُ الذين اذا سَما لِفَخارهـــم ذو الفخر أقعدَه هناك القُعدُدُ(٢)
قُل يا ابنَ مخزومٍ لكل مُفاخـــرٍ منا المُبارَكُ ذو الرِسالةِ أحمـــدُ
ماذا يقول ذوو الفَخـــارِ هُنالِكُـــم هيهاتَ ذلك هل يُنـــالُ الفَرقدُ

فحَصِرتُ والله ، وتبلّدت ، وقلت له : إن لك عندي جوابا فأَنظِرني ، وأفكرتُ مَلِيًّا ثم انشأتُ اقول :

لا فخـــرَ الا قد عـــلاه محمـــد فاذا فَخرتَ به فاني أشهَـــدُ
دَع ذا ورُح لغِناء خَـــودٍ بَضَّـــةٍ مما نطقتَ به وغنّى مَعبَـــدُ
مع فتيةٍ تَندى بطـــونُ أكفِّهـــم جُوداً اذا هَرَّ(٣) الزمانُ الأنكَـــدُ
يتَناولون سُـــلافَـــــةً عانِيَّـــةً(٤) طابت لشاربها وطـــاب المَقعَـــدُ

فواللهِ ، يا اميرَ المؤمنين، لقد أجابني بجوابٍ كان اشدَّ علي من الشعر. قال لي : يا اخا بني مخزومٍ ، أُريك السُّها وتُريني القمر . أتخرُج من المفاخرة إلى شُربِ الراح ، وهي الخمرُ المحرَّمةُ ؟ فقلت: أصلَحك اللهُ ، لا أجدُ للمستخذي شيئا أصلحَ من السكوت . فضحك وقال : استغفرُ اللهَ ، وقام عني.

فضحك عبدُ الملك حتى استلقى وقال : يا ابنَ ابي ربيعةَ ، أما علمتَ أن لبني عبدِ مَناف ألسنةً لا تُطاق ؟

---

(١) جمع بهمة : الشجاع ينبهم امره على خصمه فلا يدري من اين يصيبه. تسأله: منصوب بأن محذوفة . (٢) الخامل القاعد عن المكارم . (٣) ساء خلقه واشتد . (٤) منسوبة الى عانة ، قرية قريبة من الرقة اشتهرت بالخمر

حمزة بن بِيض

شاعرٌ اسلاميٌّ من شعراء الدولة الاموية ، كوفيٌّ خليعٌ، ماجنٌ .

اختصم ابو الجَون السُحَيمي وحمزةَ بنَ بِيضٍ ، فأنشأ السُحيميُّ يقول :

انت ابنُ بِيضٍ لعمري لستُ أُنكِرُه حقًّا يقيناً ، ولكن مَن أبو بِيضِ

فوجَم حمزةُ وقُطِع به. فقيل له : ويلَك ! مالَك لا تُجيبه ؟ قال : وبِمَ أُجيبه ؟ والله ، لو قلتُ له : عبدُ المطَّلِب بنُ هاشمٍ ابو بِيضٍ ما نَفَعَني ذلك بعدَ قوله : ولكن مَن ابو بِيضٍ . ؟

دخل حمزةُ بن بِيضٍ على يزيدَ بنِ المهلَّبِ السجنَ فأنشدَه :

أُغلِقَ دونَ السَماحِ والجودِ والنـ ـجدةِ بابٌ حديدُه أشِبُ (١)

ابنُ ثلاثٍ واربعيـن مضـت لا ضَرِعٌ واهِنٌ ولا نَكِبُ (٢)

لا بَطِرٌ إن تتابعـت نِعَـمٌ وصابرٌ في البَلاءِ مُحتَسِبُ

برَّزتَ سبقَ الجوادِ في مَهَـلٍ وقَصَّرت دون سعيك العربُ

فقال : والله ، يا حمزةُ ، لقد أسأتَ اذ نَوَّهتَ باسمي في غير وقتِ تنويه . ثم رفع مَقعدا تحتَه فرمى اليه بخِرقة مصرورةٍ وعليه صاحبُ خبرٍ (٣) واقفٌ ، فقال خذ هذا الدينارَ ، فوالله ما أملكُ ذهبا غيره . فأخذه حمزةُ وأراد أن يَرُدَّه ، فقال له سِرًّا : خذه ولا تُخدَع عنه . فقال حمزةُ : فلما قال لي : لا تُخدَع عنه ، قلت : والله ، ما هذا بدينار . فقال لي صاحبُ الخبرِ : ما أعطاك يَزيدُ ؟ فقلت : أعطاني دينارًا ، فأردتُ ان اردَّه عليه فاستحييتُ منه . فلما صِرت الى منزِلي حللتُ الصُرةَ فاذا فَصٌّ ياقوتٍ أحمرَ ، كأنه سِقطُ زَنْد (٤) ، فقلت : والله لئن عَرَضتُ هذا بالعِراق ليُعلَمَنَّ أني اخذتُه من يزيدَ فيؤخَذُ مني . فخرجتُ الى خُراسانَ فبعتُه من رجل يهوديٍّ بثلاثين الفا . فلما قبضتُ المالَ وصار الفَصُّ في يده ، قال لي : والله لو أبَيتَ إلا خمسين الفَ درهمٍ ، لأخذتُه منك . فكأنَّما قَذَف في قلبي جَمرةً . فلما رأى تَغيُّرَ وجهي قال : اني رجل تاجرٌ ، ولستُ اشُكُّ أني قد غَممتُك . قلت : إي ، واللهِ ، وقتلتَني . فأخرجَ اليَّ مئةَ دينارٍ فقال : أنفِق هذه في طريقك لتتوفَّر عليك تلك .

(١) أشب : ملتف . (٢) ضرع : ضعيف جبان . نكب : من يعدل عن الشيء كسلا أو جبناً . (٣) المخبر .
(٤) الزند العود المحترق : فهو أحمر .

قال حمزةُ : لما وفد الكُمَيتُ الى مَخلَد بن يزيدَ بنِ المهلَّبِ وهو يَخلُف اباه على خُراسان ، وله ثمانيَ عشْرةَ سنةً وقد مدحه بقصيدتين ، أعطاه مئةَ الف درهمٍ سوى العُروضِ (١) والحُملان . فقلت في نفسي : والله لأنا اولى من الكُميتِ بما نالَه من مَخلَد ، وإني لَحليفُه وناصرُه في العصبيَّة على الكُميتِ وعلى مُضَرَ جميعا . فهيَّأتُ لمَخلدٍ مديحا على رَوِيِّ قصيدَتَي الكميت وقافيتَيهما ، ثم شَخَصت اليه . فلما كان قبلَ خروجي اليه بيوم ، اتتني جماعة من ربيعةَ في خمسِ دِيات عليهم لمُضَرَ فقالوا : إنك تأتي مَخلداً وهو فتى العرب ، فاذا فرَغ من أمرك ، فأعلِمه مَمشانا اليك، ومسألتَنا إياك كلامَه . فلما قدمتُ اليه أنزلَني وفرَّش لي وأخدمَني (٢) وحَمَلني وكساني وخلَطني بنفسه ، فكنت أسمُر معَه . فقال لي ليلةً : أعليك دَينٌ يا ابنَ بِيض ؟ قلت : دَعني من مسألتك اياي عن الدَين ، إنك قد أعطيتَ الكُميتَ عطيةً لستُ ارضى باقلَّ منها ، وإلا لم ادخل الكوفةَ ، ولم أُعيَّر بتقصيرك بي عنه ، فضحك ، ثم قال لي : بل أزيدُك على ما اعطيتُ الكميتَ . فأمر لي بمئة الف درهمٍ ، كما أعطى الكميتَ ، وزادني عليه . فلما فرَغتُ من حاجتي اتيتُه يوما ومعي تَذكِرةٌ بحاجة القوم في الديات ، فلما جلس انشدتُه :

اتيناك في حاجةٍ فاقضِها ... وقُل مرحباً يَجِبُ المَرحَبُ
ولا تَكِلنا الى مَعشَرٍ ... متى يَعِدوا عِدَةً يَكذِبوا
بلغتَ لعشرٍ مضت من سنيكَ ... ما يبلُغ السيدُ الاشيبُ
فهمُّك فيها جِسامُ الامورِ ... وهمُّ لِداتِك (٣) أن يَلعبوا

فقال : مرحبا بك وبحاجتك ، فما هي ؟ فأخرجتُ اليه رُقعةَ القوم ، وقلت : حَمالات في دِيات . فتبسَّم ثم امر لي بعشرةِ الاف درهمٍ . فقلت : أوَ غيرُ ذلك ايُّها الامير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : أُدَلُّ على قبر المهلَّبِ حتى اشكُوَ اليه قَطيعةَ ولده . فتبسَّم ثم قال : زِد ه يا غُلامُ عشرةَ آلاف أخرى . فأبَيتُ وقلت : بل أُدَلُّ على قبر المهلَّب . فقال : زِد ه يا غلامُ عشرةَ الاف أُخرى . فما زلت أُكرِّرها ويَزيدُني عشرةَ الاف حتى بلغت سبعين الفا . فخشيتُ ان يكون يَلعَبُ او يَهزَأُ بي فقلت : وصَلَك اللهُ ايها الامير وآجَرَك وأحسنَ جزاءَك . فقال : اما والله ، لو أقمتَ على كلامك ، ثُم اتى ذلك على خراج خرسانَ لأعطيتُكَ .

حدَّث النَضرُ بنُ شُمَيلٍ قال :

دخلت على المأمون بمروٍ وعلي أطمارٌ مُتَرعبِلَةٌ (٤) . فقال لي : يا نضرُ ، تدخل على اميرِ المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : ان حرَّ مرو لا يُدفع الا بمثل هذه الأخلاق (٥) . فقال : لا . ولكنك متقشِّفٌ . فتجارَينا الحديثَ ، فقال : حدَّثني هُشَيمُ بنُ بشيرٍ قال : قال الرسول : « اذا تزوج الرجلُ

(١) العروض : جمع عَرَض أي المَتاع . (٢) اعطاني خادماً . وحملني : اعطاني ظهراً أركبه . (٣) لدة لدات : الذين هم من عمر واحد . (٤) ممزقة . (٥) اثواب بالية مفردها : خَلَق ، للمذكر والمؤنث فتقول : رداء خَلَق وجبة خَلَق .

المرأةَ لدينها وجمالها كان فيه سَداد من عوَز » . قال « سَداد » بالفتح . فقلتُ : صدقَ ، يا امير المؤمنين . حدثني عوفٌ الأعرابيُّ أن النبيَّ قال : « اذا تزوج الرجلُ المرأةَ لدينها وجمالها كان فيه سِدادٌ من عوَزٍ » . وكان المأمون متكئا ، فاستوى جالسا وقال : السَداد لَحنٌ(١) ، يا نَضر ؟ قلت : نعم ، ها هنا ، يا امير المؤمنين . وانما هُشَيم لَحَنَ ، وكان لحَّانةً . فقال : ما الفرقُ بينهما ؟ قلت : السَداد ، القصدُ في الدين والطريقةُ والسبيلُ . والسِداد ، البُلغةُ ، وكلُّ ما سددتَ به شيئا فهو سِداد . وقد قال العَرجي :

أضاعوني وايَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِدادِ ثَغرِ .

قال : فأطرقَ المأمون ملياً ، ثم قال : قبّح اللهُ مَن لا أدبَ له . ثم قال : انشدني يا نَضرُ ، أخلبَ بيتٍ للعرب . قلت : قولَ حمزةَ بن بيضٍ :

تقولُ لي والعيونُ هاجعةٌ أقِم علينا يوماً ، فلم أقِمِ
قالت فايُّ الوجوهِ ؟ قلت لها لأيِ وجهٍ إلا الى الحَكَمِ
متى يَقُل حاجبا سُرادِقِه : هذا ابنُ بيضٍ بالبابِ ، يبتسمِ

فقال المأمون : لله درُّك ، كأنما شُقَّ لك عن قلبي . وامر لي بثلاثينَ الفاً .

كان حمزةُ بنُ بيض يسامرُ عبدَ الملك بنَ بِشرِ بن مروانَ ، وكان عبدُ الملك يَعبَثُ به عبَثا شديدا . فوجَّه اليه ليلةً برسوله وقال : خُذه على ايِّ حالٍ وجدتَه عليها ، ولا تَدَعه يُغيِّرُها ، وحلّفه على ذلك وغلّظ الأيمانَ عليه . فمضى الرسولُ فهجمَ عليه فوجده يُريد ان يَدخُلَ الخَلاءَ فقال : أجبِ الاميرَ . فقال : ويحَك ، إني اكلتُ طَعاما كثيرا ، وشربت نبيذا حُلواً ، وقد اخذني بطني . قال : والله لا تفارقني أو أمضيَ بك اليه ولو سلَحتَ في ثيابك . فجهَد في الخَلاص فلم يقدِر عليه فمضى به الى عبد الملك فوجده قاعدا ، وجاريةٌ جميلةٌ ، كان يتحظَّاها ، جالسةٌ بين يديه تَسجُرُ(٢) النَدَّ . فجلس يُحادِثه وهو يُعالِجُ ما هو فيه .

قال : فعرضت لي ريحٌ ، فقلت : أُسرِّحها وأستريحُ ، فلعلَّ ريحَها لا يَتَبيَّنُ مع هذا البَخورِ ، فأطلقتُها . فغلبَت ريحَ الندِّ وغمرَته . فقال : ما هذا يا حمزةُ . قلت : عليَّ عهدُ الله وميثاقُه ، إن كنتُ فعلتُها ، وما هذا إلا عملُ هذه الفاجرة . فغضب وأُحفِظَ ، وخجِلت الجاريةُ فما قدرت على الكلام . ثم جاءتني أُخرى فسرَّحتُها ، وسَطَعَ ريحُها . فقال : ما هذا ، ويلَك ! انت ، والله ، الآفةُ . فقلت : امرأتي طالقٌ ثلاثاً ان كنتُ فعلتُها ، وما هو الا عملُ هذه الجاريةِ . فقال : ويلَكِ ، وما قصتُكِ ؟ قومي الى الخَلاء ان كنتِ تجدين حِسّاً . فزاد خجَلُها وأطرقت . وطَمِعتُ فيها ، فسرَّحتُ الثالثةَ ، وسطع من ريحها ما لم يكن في الحِساب . فغضب حتى كاد يَخرُجُ من جلده ، ثم قال : خذ يا حمزةُ بيد الزانيةِ فقد وهبتُها لك ، وامضِ فقد نغَّصتَ عليَّ ليلتي .

(١) اللحن في الكلام : خطأ في اللفظ أو الإعراب . (٢) تحرق .

فأخذتُ بيدها وخرجتُ. فلَقِيَني خادمٌ له فقال: ما تريدُ ان تصنعَ؟ قلت: أمضي بهذه قال: لا تفعل. فوالله، لئن فعلتَ لَيُبْغِضَنَّك بُغضا لا تنتفعُ بعدَها ابدا. هذه مئةُ دينارٍ خذ ها ودَع الجاريةَ فإنه يَتحظَّاها وسيندمُ على هِبَته اياها لك. قلت: والله لا نَقصتُك من خمسِ مئةِ دينارٍ. فلم يَزل يُزايدُني حتى بَلغَ مئتي دينار. فقلت: هاتِها. فأعطانيها، واخذَها الخادمُ.

فلما كان بعدَ ثلاث، دعاني عبدُ الملك. فلما قَرُبتُ من داره لَقِيَني الخادمُ فقال: هل لك في مئةِ دينارٍ وتقولُ ما لا يَضُرُّك ولعلّه أن يَنفعَك؟ قلت: وما ذاك؟ قال: اذا دخلت اليه ادَّعيتَ عنده الثلاثَ الفَسَواتِ ونسبتَها الى نفسِك وتَنفحُ[1] عن الجاريةِ ما قَرَّفتَها به. فقلت: هاتِها. فدفعَها الي، ودخلت على عبد الملك. فلما وقفتُ بين يديه قلت: أليَ الامانُ حتى أُخبِرَك بخبر يَسُرُّك وتَضحكُ منه؟ قال: لك الأمانُ. قلت: أرأيت ليلةَ حضوري وما جرى؟ قال: نعم. فقلت: فَعَليَّ وعَليَّ إن كان فسا تلك الفَسَوات غيري. فضحك حتى سقط على قفاه، ثم قال: ويلَك. فلِمَ لم تُخبِرني؟ قلت: اردتُ بذلك خِصالاً: منها، أن قُمتُ فقضيتُ حاجتي، وقد كان رسولُك منعني منها. ومنها، أني اخذتُ جاريتَك، ومنها أن كافأتُك على أذاك لي بمثلِه. فقال: فأين الجاريةُ؟ قلت: ما بَرِحتُ من دارك ولا خرجتُ حتى سلَّمتُها الى فلانٍ الخادمِ واخذتُ مئتي دينارٍ. فسُرَّ بذلك وامر لي بمئتي دينار اخرى.

قال حمزة: ودخلت اليه يوما، وكان له غُلام لم يَرَ الناسُ أنتنَ إبطا منه. فقال لي: يا حمزةُ، سابِق غُلامي حتى يَفوحَ صُنانُكما. فأيُّكما كان صُنانُه أنتنَ، فله مئةُ دينارٍ. فطمعت في المئة، ويئِست منها لِما أعلَمُه من نَتَن إبطِ الغُلام. فقلت: افعلُ. وتَعادَينا. فسبَقَني. فسَلَحتُ في يدي ثم لَطَختُ إبطي بالسُلاح. وقد كان عبدُ الملك جعل بيننا حَكَماً. فلما دنا الغلام منه فشمَّه وثَب وقال: هذا، والله، لا يُساجِلُه شيءٌ. فصِحتُ به: لا تعجَل بالحُكم، مكانَك. ثم دنَوتُ منه فألقمتُ أنفَه إبطي حتى علِمتُ أنه قد خالَط دِماغَه، وأنا مُمسِكٌ برأسه تحتَ يدي، فصاح: الموتُ، والله. هذا بالكُنُفِ أشبهُ منه بالآباطِ. فضحِك عبد الملك. فأخذتُ الدنانيرَ.

قال المَدائني:

كان حمزةُ بنُ بِيضٍ شاعرا ظريفا، فشاتم حَمَّادَ بنَ الزِبرِقان، وكان من ظُرَفاء اهل الكوفة، وكِلاهما صاحبُ شَراب، وكان حَمَّادٌ يُتَّهم بالزندقة فمشى الرجالُ بينهما حتى اصطلحا. فدخلا يوما على بعض وُلاةِ الكوفة، فقال لابنِ بيضٍ: أراك قد صالحت حَمَّادا. فقال ابن بيض: نعم، على ألا آمُرَه بالصلاة، ولا يَنهاني عنها.

دخل حمزةُ على سليمانَ بنِ عبدِ الملك، فلما مَثَل بين يديه انشأ يقول:

رأيتُك في المَنام شَننتَ خَــــزًّا عليَّ بَنَفسَجاً وقضيتَ دَيْنــي

---

(١) تدفع.

فصَدِّق يا فَدتك النفسُ رُؤيـــا رأتها في المَنام لديك عينـــي

قال سليمان : يا غلامُ ، أدخله خِزانةَ الكِسوةِ واشنُن (١) عليه كلَّ ثوبِ خزٍ بنَفسجيٍّ فيها . فخرج كأنه مِشجَبٌ (٢) ثم قال له : كم دَينُك ؟ قال : عشرةُ آلاف درهم . فأمر له بها .

ربيعة الرَّقِّي

هو ربيعةُ بنُ ثابتٍ الانصاريُّ ويُكنَّى ابا شَبَابةَ او ابا ثابتٍ . وكان ينزل الرَقّةَ وبها مولده ومنشؤه . فاشخصه المهديُّ اليه فمدحه بعدة قصائدَ ، وأثابه عليها . وهو من المكثِرين المجيدين . وكان ضريرا .

قيل لابي زيد النَحَويِّ : إن الاصمعي قال : لا يُقال شَتانَ ما بينَهما ، انما يقال : شتانَ ما هما ، وأنشد قولَ الاعشى :

شتانَ ما يُومـــي على كُورِهـــا

فقال : كَذَب الاصمعيُّ ، يقال : شَتانَ ما هما وشتانَ ما بينَهما . وأنشد لربيعةَ الرقيِّ واحتجَّ به :

لَشتانَ ما بينَ اليزيدَيـــن في النَـــدى يَزيدَ سُلَيمٍ والاغرِّ ابنِ حاتـــمِ

قال ابن المعتز : كان ربيعةُ اشعرَ غَزَلاً من ابي نُواس . لان في غزل ابي نواس بَرداً كثيرا ، وغَزَلُ هذا سليمٌ سهلٌ عذبٌ .

امتدح ربيعةُ الرَقيُّ العباسَ بنَ محمدِ بنِ عليِ بنِ عبدِ الله بنِ العباس بقصيدة لم يُسبَق اليها حُسنا ، يقول فيها :

لو قيل للعباس يـــا ابنَ محمـــدٍ قُل «لا» وانت مُخلَّدٌ ما قالهـــا
ما إن أعُدُّ مِنَ المَكارمِ خَصلـــةً الا وجدتُك عمَّها او خالَهـــا
واذا الملوكُ تسايروا في بلـــدة كانوا كواكِبَها وكُنتَ هِلالَهـــا

فبعث اليه بدينارين . وكان يُقدِّر فيه ألفينِ ، فكاد يُجَنُّ غيظا . وقال للرسول : خذ الدينارين ،

(١) شن : صب . وهنا : ألقى . شن وأشن الغارة : وجهها . (٢) ما تعلق عليه الثياب .

فهما لك ، على أن تَرُدَّ الرُقعةَ من حيثُ لا يَدري العباسُ ، ففعل الرسول ذلك . فأخذها ربيعةُ ، وأمَرَ مَن كتب في ظهرها :

مدحتُكَ مِدحةَ السيفِ المُحلّـى ... لِتَجريَ في الكِرامِ كما جَرَيتُ
فهَبها مِدحةً ذهبت ضَياعـاً ... كَذبتُ عليك فيها وافتريتُ
فأنتَ المرءُ ليس له وَفـاءٌ ... كأني اذ مدحتُك قد رَثَيتُ (١)

ثم دفعها الى الرسول وقال له : ضَعها في الموضِع الذي اخذتَها منه . فردَّها الرسولُ في موضِعها . فلما كان من الغد اخذَها العباسُ فنظر فيها ، فلما قرأ الابياتَ غضِب وقام من وقته فركِب الى الرشيد ، وكان أثيرا عنده ، يُبجِّلُه ويقدِّمه وكان قد همَّ ان يَخطُبَ اليه ابنتَه . فرأى الكراهةَ في وجهه ، فقال : ما شأنُك ؟ قال : هجاني ربيعةُ الرَقيُّ . فأُحضِر . فقال له الرشيد : يا ابنَ الزانية ، أتَهجو عمِّي ، وآثَرَ الخَلقِ عندي . لقد هممتُ أن أضرِب عُنُقَك . فقال : واللهِ ، يا اميرَ المؤمنين ، لقد مدحتُه بقصيدة ما قال مثلَها احدٌ من الشعراء في احد من الخلفاء . فان راى اميرُ المؤمنين ان يَأمرَه بإحضارها . فلما سمِع الرشيدُ ذلك منه سكَن غضبُه ، وأحبَّ ان ينظُر في القصيدة ، فأمر العباسَ بإحضار الرُقعة . فتلكَّأ العباسُ . فقال له الرشيد : سألتُـك بحقِّ اميرِ المؤمنين إلا أمرتَ بإحضارها . فعَلِم العباسُ أنه قد أخطأ وغَلِط . فأمر بإحضارها ، فأُحضِرت . فأخذها الرشيدُ واذا فيها القصيدةُ بعينها . فاستحسنها واستجادَها وأُعجِب بها ، وقال : واللهِ ما قال احدٌ من الشعراء في احد من الخلفاء مثلَها ، لقد صدَقَ ربيعةُ وبَرَّ . ثم قال للعباس : كم أثبتَه عليها ؟ فسكت العباسُ وتغيَّر لونُه ، وجَرَض بريقه . فقال ربيعةُ : أثابَني عليها ، يا اميرَ المؤمنين ، بدينارين . فغضِب الرشيدُ غضبا شديدا ونظر في وجهِ العباس وقال : سَوءَةً لك . أيَّةُ حال قَعدَت بك عن إثابته ؟ أقِلَّةُ المالِ ؟ فواللهِ قد موَّلتُك جَهدي . ام اصلُك ؟ فهو الاصلُ لا يُدانيه شيءٌ . ام نفسُك ؟ فلا ذنبَ لي ، بل نفسُك فعلت ذلك لك ، حتى فَضَحتَ أباك وأجدادَك وفضحتَني ونفسَك .

فنكَّسَ العباسُ رأسَه ولم يَنطُق . فقال الرشيد : يا غُلام ، أعطِ ربيعة ثلاثين الفَ درهمٍ وخلعةً ، واحمِله على بغلة . فلما حُمِل المالُ بين يديه ، وأُلبِس الخِلعةَ ، قال له الرشيد : بحياتي ، يا رَقِّيُّ ، لا تذكُره في شيءٍ من شعرِك تَعريضاً ولا تصريحاً . وفتر الرشيد عمَّا كان هَمَّ به أن يتزوج اليه .

وكان ربيعةُ لا يزال يَعبثُ بالعباسِ بحضرةِ الرشيدِ منذُ جرى بينَهما ما جرى .

فجاء العباسُ يوما الى الرشيد ببَرنيَّةٍ فيها غاليةٌ ، فوضعَها بين يديه ثم قال : هذه ، يا اميرَ المؤمنين ، غاليةٌ صنعتُها لك بيدي . اختيرَ عَنبرُها من شِحر عُمَانَ ، ومِسكُها من مفاوزِ التُبَّت ، وبانُها من قَعرِ تِهامةَ ، فالفضائلُ كلُّها مجموعةٌ فيها والنعتُ يَقصرُ عنها .

فاعترضَه ربيعةُ فقال : ما رأيتُ اعجبَ منك ، ومن صفتِك لهذه الغاليةِ ، عندَ مَن إليه كلُّ

(١) ومنهم من روى : كأني في مديحك قد زنيت . .

موصوف يُجلَبُ ، وفي سُوقه يَنفُقُ ، وبه اليه يُتَقَرَّبُ . وما قدرُ غاليتك هذه ، حتى تبلُغَ في وصفها ما بلغتَ . أأجريتَ بها اليه نَهرا ، ام حَملتَ اليه منها وِقرا . إن تعظيمَك هذا عند مَن تُجبى اليه خزائنُ الارض واموالُها من كل بلدة ، وتَذِلُّ لهيبته جبابرةُ الملوك وتُتحِفُه بطُرَف بُلدانِها ، وبَدائعِ ممالكِها ، حتى كأنك قد فُقتَ به على كل ما عندَه ، او أبدعتَ له ما لا يَعرِفُه ، او خصصتَه بما لا يَحويه مُلكُه ، لا تَخلو فيه من ضُعفٍ او قِصَرِ هِمَّة . أنشُدُكَ اللهَ ، يا امير المؤمنين ، إلا جعلتَ حظي من كل جائزة وفائدة تُوصِلُها الي ، مُدَّةَ سنتين ، هذه الغاليةَ حتى أتلقَّاها بحقِّها . فقال : ادفعوها اليه . فدُفعت اليه . فأدخل يدَه فيها ، وأخرجَ مِلئَها ، وحَلَّ سراويلَه ، وأدخلَ يدَه فطلى استَه ، وأخذ حَفنةً أخرى وطلى بها أنثيَيه ، واخرج حَفنتين فجعلها تحت إبطيه . ثم قال : يا اميرَ المؤمنين ، مُر غُلامي ان يَدخُلَ الي . فقال : أدخِلوه اليه ، وهو يَضحك . فأدخَلوه اليه ، فدفع اليه البَرنيَّةَ غيرَ مختومة وقال : اذهب الى جاريتي فلانةَ بهذه البَرنيَّةِ وقل لها : طيِّبي بها « استَيك » وإبطَيك ، حتى أجيءَ الساعةَ و « أغشاك » . فأخذها الغلام ومضى . وضحك الرشيد حتى غُشي عليه ، وكاد العباسُ يموت غيظا . وامر الرشيدُ لربيعةَ بثلاثينَ الفَ درهمٍ .

كان ربيعةُ الرقيُّ يَهوى جاريةً لرجل من اهل الكوفة ، وكان اهلُها يَنزِلون في جِوارِ جُعفيٍّ فقال فيها :

جُعفِيُّ جيرانُها فقد عَطِــــرَت جُعفِيُّ من نَشرِها ورَيَّاهــــا

فقال له رجل من جُعفيَّ :انا جارٌ لها بيتَ بيتَ ، والله ما شَممتُ من دارهم ريحا طيِّبةً قط . فتشمَّمَ ربيعةُ رائحتَه وقال : وما ذنبي اذا كنتَ أخشمَ[1] ، والله اني لأجِدُ ريحها وريحَ طيبها منكَ وانت لا تَجِده من نفسك .

نائلة بنت الفَرافصة

هي زوجةُ عثمانَ بنِ عفّانَ .

تزوج سعيدُ بنُ العاصِ وهو على الكوفة هنداً بنتَ الفَرافِصةَ بنِ الأحوصِ ابنِ حُصن بنِ ضَمضَمٍ ابنِ ثعلبةَ الكلبيةَ . فبلغ ذلك عثمانَ فكتب اليه :

(١) لا يشم .

« بسم اللهِ الرحمنِ الرحيمِ
اما بعدُ ، فانه قد بلغَني أنك تزوجت امرأةً من كلبٍ . فاكتُب اليَّ بنسبها وجَمالها » .
فكتب اليه :
« اما بعد ، فان نسبها انها بنتُ الفرافصةِ بنِ الأحوصِ . وجَمالها أنها بيضاءُ مديدةُ القامة » .
فكتب اليه : « ان كان لها اختٌ فزوِّجنيها » .

فبعث سعيدٌ الى الفَرافِصة يخطب احدى بناته على عثمان . فأمر الفرافصةُ ابنَه ضَبًّا فزوجَها اياه . وكان ضبٌّ مُسلِما ، وكان الفرافصةُ نَصرانيا . فلما ارادوا حَملها اليه قال لها ابوها : يا بنيةُ ، انك تَقدُمين على نِساءٍ من قريشٍ هن اقدرُ على الطيب منك . فاحفَظي عني خَصلتين : تكحَّلي وتطيَّبي بالماء ، حتى يكونَ ريحُكِ ريحَ شَنٍّ [1] اصابَه مطر .

فلما حُمِلت كَرِهت الغُربةَ وحزنت لفِراقِ اهلِها فأنشأت تقول :

ألستَ ترى يا ضبُّ باللـــه أننـــي مُصاحبةٌ نحوَ المدينة أركُبـــا [2]
اذا قطعوا حَزناً [3] تَخُبُّ رِكابهـــم كما زعزعت رَيحٌ يَراعاً [4] مُثقَّبا
لقد كان في ابناء حِصنِ بنِ ضَمضَمٍ لكَ الويلُ ، ما يُغني الخِباءَ المُطَنَّبا

فلما قدمت على عُثمانَ قعد على سريره ووضع لها سريرا حِيالَه فجلست عليه . فوضع عثمانُ قَلَنسيتَه فبدا الصَلَعُ ، فقال : يا ابنةَ الفرافصةِ لا يَهولَنَّكِ ما ترَين من صَلَعي ، فإن وراءه ما تُحبين . فسكتت . فقال : إما أن تقومي الي ، وإما ان اقومَ اليك . فقالت : أما ما ذكرت من الصَلَعِ ، فاني من نساءٍ أَحَبُّ بُعولتِهن اليهن السادةُ الصُلعُ . وأما قولك : إما أن تقومي الي واما أن اقوم اليك ، فواللهِ ما تجشَّمتُ من جَنَباتِ السَماوةِ أبعَدُ مما بيني وبينك ، بل اقومُ اليك . فقامت فجلست الى جنبه . فمسح رأسَها ودعا لها بالبركة ثم قال لها : اطرَحي رِداءَك . فطرحته . ثم قال لها : اطرحي خِمارَك . فطرحته . ثم قال لها : انزعي دِرعَك . فنزعته . ثم قال : حُلِّي إزارَك . فقالت : ذاك اليك . فحَلَّ إزارها . فكانت من أحظى نسائِه عنده .

قال ابو الجَرَّاح : كنتُ مع عثمانَ في الدار . اذ انا بالناس قد دخلوا من الخوخةِ [5] ونزَلوا بأمراسِ الحِبالِ من سُور الدار ، معَهم السيوفُ فرمَيت بسيفي ، وجلستُ عليه ، وسمِعتُ صِياحَهم فكأني انظُر الى مُصحَفٍ في يد عُثمانَ ، والى حُمرَةِ أديمِه ، فنشرَت نائلةُ بنتُ الفَرافصةِ شعرَها ، فقال لها عُثمانُ : خُذي خِمارَكِ ، فلعمري لَدخولُهم علي اعظمُ من حُرمة شعرِك . وأهوى رجلٌ اليه بالسيف ، فاتَّقته نائلةُ بيدها ، فقطع اصبعين من اصابعها . ثم قتلوه .

(١) القربة الخلق . (٢) جمع ركب . (٣) الارض الغليظة . (٤) قصبة . (٥) ممر بين دارين . والباب الصغير في الباب الكبير .

وكتبت نائلةُ بنتُ الفرافصةِ الى معاويةَ وبعثت بقميصِ عثمانَ مع النُعمانِ بنِ بشيرٍ :
من نائلةَ بنتِ الفرافصةِ الى معاويةَ بنِ سُفيانَ :

اما بعدُ ، اني أقُصُّ عليكم خبرَه لاني كنت مُشاهدةً امرَه كلَّه . ان اهلَ المدينة حصروه في دارِه ، قِيامٌ على ابوابه بسِلاحهم ، يَمنعونه كلَّ شيء قدروا عليه ، حتى منعوه الماء ، ويقولون له الإفكَ . فمكث هو ومن معه خمسين ليلةً ، واهلُ مصرَ قد أسندوا امرَهم الى محمد بنِ ابي بكرٍ وعمّارِ بنِ ياسرٍ ، وكان عليٌّ مع المحرِّضين من اهل المدينة ، ولم يقاتل مع امير المؤمنين ولم ينصُره .

فظلَّت تقاتل خزاعةُ وسعدُ بنُ بكرٍ وهُذَيلٌ وطوائفُ من مُزَينةَ وجُهينةَ وأنباطِ يثربَ .
ثم إنه رُمي بالنبل والحجارة ، فقُتل ممن كان في الدار ثلاثةُ نَفَرٍ . فأتَوه يصرخون اليه ، ليأذَنَ لهم في القتال ، فنهاهم عنه ، وأمرهم أن يَردُّوا عليهم نبلَهم . فردُّوها اليهم . فلم يَزدهم ذلك على القتال إلا جَراءةً ، وفي الأمر إلا إغراءً . ثم احرقوا بابَ الدار . فجاء ثلاثةُ نفرٍ من أصحابه ، فقالوا : ان في المسجد ناساً يُريدون ان يأخُذوا امرَ الناسِ بالعدل ، فاخرُج الى المسجد حتى يأتوك . فانطلق فجلس فيه ساعةً ، واسلحةُ القومِ مُطِلَّةٌ عليه من كل ناحية ، وما أُريَ احداً يَعدل ، فدخل الدارَ وقد كان نفر من قريشٍ على عامَّتهم السلاح . فلبِسَ درعَه وقال لأصحابه : لولا انتم ما لبِستُ درعا . فوثب عليه القومُ . فكلَّمهم ابنُ الزبير ، واخذ عليهم ميثاقا في صحيفةٍ بَعث بها الى عثمانَ ، فوَضعَ السلاحَ . فلم يكن إلا وَضعُه حتى دخل عليه القومُ يَقدُمهم ابنُ ابي بكرٍ حتى اخذوا بلِحيته ودَعَوه باللقب . فقال : انا عبدُ الله وخليفتُه . فضربوه على رأسه ثلاثَ ضرباتٍ ، وطعنوه في صدره ثلاثَ طعناتٍ ، وضربوه على مَقدَم الجبين فوق الانف ضربةً ، اسرعتْ في العَظم . فسقطتُ عليه وقد أثخنوه ، وبه حياةٌ ، وهمُ يُريدون قطعَ رأسه ، ليذهبوا به . فأتتني بنتُ شَيبةَ بنِ ربيعةَ فألقت نفسها معي عليه . فوُطِئنا وَطئا شديدا وعُرِّينا من ثِيابنا ، وحُرمةُ اميرِ المؤمنينَ أعظمُ . فقتلوه في بيته وعلى فِراشه . وقد ارسلتُ اليكم بثوبه ، وعليه دمُه .

فحلف رجالٌ من اهل الشام ألا يَطأوا النِساءَ حتى يقتلوا قَتَلتَه ، أو تذهبَ أرواحهُم .

ذات الخال

كانت جاريةٌ لقَرينِ المُكنّى بابي النَخّاسِ ويقال لها : خُنُثُ .

وكان ابراهيمُ المَوصليُ يتعشّقُها ويقول فيها الشعرَ ويغني فيه فشَهَرها بشعره وغِنائه وبلغ الرشيدَ خبرُها فاشتراها بسبعين الفَ درهمٍ . ودَعَته يوما ، فوعدَها ان يصيرَ اليها ، وخرج يُريدها ، فاعترضته جاريةٌ ، فسألته ان يدخُلَ اليها ، فدخل واقام عندها . فشقَّ ذلك على ذاتِ الخال وقالت : واللهِ لأطلُبَنَّ له شيئا أُغيظُه به . وكانت احسنَ الناس وجها ، ولها خالٌ على خدِّها لم يرَ الناسُ احسنَ منه في موضِعه . فدعت بمِقراضٍ ، فقصَّت الخالَ الذي كان في خدها . وبلغ ذلك الرشيدَ ، فشقَّ عليه ، وبلغ منه ، فخرج من موضِعه وقال للفضل بن الربيع : انظر مَن بالباب من الشعراء . فقال : العباسُ بنُ الاحنف . فقال : أَدخِله . فأدخَله فعرَّفه الرشيدُ القِصَّةَ وقال : إعمَل في هذا شيئاً . فقال :

تخلَّصتُ ممن لـم يكن ذا حفيظةٍ ومِلتُ الى مَن لا يُغيِّرُه حالُ
فان كان قطعُ الخالِ لما تطلَّعـت الى غيرها نفسي ، فقد ظُلِمَ الخالُ

فنهض الرشيدُ اليها مسرعا مسترضيا لها ، وامر للعباس بالفي دينارٍ .

وقال الرشيدُ يوما لذات الخال ، اسألُكِ عن شيء ، فان صدقتِني وإلا صَدَقَني غيرُكِ وكَذَّبتُكِ. قالت له : بل أصدُقُكَ. قال : هل كان بينَكِ وبينَ ابراهيمَ الموصلي شيء قط؟ فتلكَّأت ساعةً ثم قالت : نعم ، مرةً واحدة . فأبغضها ، وقال يوما في مجلسه : ايُّكم لا يُبالي ان يكون كَشخانا[1] حتى اهَبَ له ذاتَ الخالِ . فبدر حَمَّوَيهِ الوصيفُ فقال : انا . فوهبَها له .

واشتاقَها الرشيدُ يوما بعدما وهبَها لحَمَّويهِ ، فقال له : ويلَكَ يا حَمَّويه ، وهبنا لك الجاريةَ على ان تسمعَ غِناءها وحدَكَ ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، مُر فيها بأمرك . قال : نحن عندك غدا . فمضى فاستعدَّ لذلك واستأجر لها من بعض الجَوهريين بَدَنَةً[2] وعقودا ثمنُها اثنا عشرَ الفَ دينارٍ ، فأخرجها الى الرشيد ، وهو عليها ، فلما رآها انكره وقال : ويلَكَ يا حَمَّويهِ . من اينَ لك هذا ؟ فصدقَه عن امره . فبعث الرشيدُ الى أصحاب الجَوهر فأحضرهم واشترى الجوهرَ منهم ، ووهبه لها . ثم حلف

---

(١) الديوث . (٢) قميص لا كمي لها من ملابس النساء .

ألا تسألَه يومَه ذلك شيئا الا أعطاها ، ولا حاجةً الا قضاها . فسألته ان يُولّيَ حَمّويهِ الحربَ والخَراج بفارسَ سبعَ سنينَ ، ففعل ذلك .

وكانت ذاتُ الخالِ احدى الثلاثِ الجواري اللواتي كان الرشيدُ يَهواهن ، وهن : سِحرٌ ، وضِياءٌ ، وخُنُثٌ وفيهن يقول :

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني ... وحَلَلن من قلبي بكل مكانِ

مالي تُطاوعُني البريّةُ كلُّها ... وأُطيعُهن وهن في عِصياني

ما ذاك إلا أن سُلطانَ الهوى ... وبه عَزَزنَ ، أعزُّ من سُلطاني

ابو دواد الإيادي

هو جاريةُ بنُ الحَجّاجِ شاعرٌ قديمٌ من شعراء الجاهلية ، وكان وَصّافا للخيل ، واكثرُ اشعاره في وصفها . وكان على خيل المُنذرِ بنِ ماء السماء .

تزوج ابو دواد امرأةً من قومه فولدت له دُواداً ثم ماتت . ثم تزوج اخرى فأُولِعت[1] بدُوادٍ وامرت اباه ان يَجفوَه ويُبعِدَه ، وكان يُحبُّها . فلما اكثرت عليه قالت : أَخرِجه عني . فخرج به وقد اردفَه خلفَه ، الى ان انتهى الى ارضٍ جرداءَ ليس فيها شيءٌ ، فألقى سَوطه متعمِّداً وقال : إي دُوادُ ، انزِل فناوِلني سَوطي . فنَزَلَ . فدفع بعيرَه وناداه :

أدُوادُ إن الامرَ اصبحَ ما ترى ... فانظر دُوادُ لأيِّ ارضٍ تَعمِدُ

فقال له دُوادٌ : على رِسلِك[2] . فوقف له فناداه :

وبأيِ ظَنِّك أن اقيمَ ببلدةٍ ... جرداءَ ليس بغيرها مُتَلَدَّدُ[3]

فرجَع اليه وقال : انت والله ابني حقا . ثم ردَّه الى منزله وطلَّق امرأتَه .

قال ابو دواد :

الدهرُ يلعبُ بالفتى ... والدهرُ أروغُ من ثُعالَهْ[4]

والعبدُ يُقرَعُ بالعصا ... والحُرُّ تَكفيه المَقالَهْ

(١) أولعت به : أغريت به وأبغضته . (٢) مهلك . (٣) تلدد بالمكان : تلبث وأقام . (٤) الثعلب .

وقالوا :

لم يَصِف احدٌ قطُّ الخيلَ الا احتاجَ الى ابي دُوادٍ ، ولا وصف الخمرَ إلا احتاج الى اوسِ بن حَجَر ، ولا وصف احدٌ نَعامةً الا احتاج الى عَلقمةَ بنِ عَبَدةَ ، ولا اعتذر احد في شعره الا احتاجَ الى النابغةِ .

كان الحُطَيئةُ عند سعيدِ بنِ العاص ليلةً ، فتذاكروا الشعراء، وفضَّلوا بعضَهم على بعضٍ وهو ساكت .

فقال له : يا ابا مُلَيكةَ ، ما تقولُ : فقال : ما ذكرتم ، والله ، اشعرَ الشعراء ولا انشدتم اجودَ الشعرِ . فقالوا : فمن اشعرُ الناس؟ فقال : الذي يقول :

لا أَعُـــدُّ الإقتارَ عُدما ولـكــن　　　فقــدُ مَن قد رُزِئتُه الإعــدامُ

والشعرُ لابي دُوادٍ . قالوا : ثم مَن؟ قال : عَبِيدُ بنُ الابرص . قالوا : ثم من؟ قال : كفاكم ، واللهِ ، بي اذا اخذَتْني رغبةٌ او رهبةٌ ثم عَوَيتُ في إثر القوافي عُواءَ الفصيل في إثر أمه .

بينا ابو دوادٍ وزوجتُه وابنُه دوادٌ وابنتُه دوادةُ على رَبوة ، اذ خرج ثور[1] من أَجَمة فقال ابو دواد :

وبدت لـــه أُذنٌ تَــوَجَّــــسُ حُرَّةٌ　　　وأَحَـــمُّ وارِدْ[2]
وقوائـــمٌ عـــوجٌ لهـــا　　　من خلفها زَمَعٌ زوائِـــدْ[3]

ثم قال : أنفِذي[4] يا امَّ دُواد . فقالت :

وبدت لـــه اذن تَــوجَّـــسُ حُرة　　　وأُحَــمٌّ مُولِقْ[5]
وقــوائـم عــوج لهــا　　　مـن خلفِهـا زَمَعٌ مُعلَّقْ

ثم قال : أنفِذ يا دُوادُ .فقال :

وبـــدت لـــه اذن تَــوجَّـــس حـــرة　　　وأحـــم مُرهَفْ
وقوائـــم عـــوج لهـــا　　　مـــن خلفهـــا زمعُ مُلَفَّفْ

(١) ثور : هنا ذكر بقر الوحش . (٢) توجس : اي تتوجس : تتسمع الى الصوت الخفي . حرة : جيدة الاصغاء ، وهي نعت للاذن . الاحم : القرن الاسود . وارد : طويل . (٣) الزمع : زائدة ناتئة وراء الظلف او الرسغ . واحدته : زَمعة . (٤) الانفاذ . هنا اعادة الشعر مع تغيير القافية . (٥) مولق : طاعن كسنان الرمح .

ثم قال : انفذي يا دوادةُ . قالت : وما أقول مع مَن أخطأ . قالوا : ومن اين أخطأناه ؟ قالت : جعلتم له واحدا وله قرنان . قالوا : قولي . قالت :

وبـــدت لــــه اذن تَوجـــسُ حــــرة وأحَمَّتـــانْ
وقـــوائـــم عـــوج لهـــا مــــن خلفهـــا زَمَعٌ ثَمانْ

ابو تمام

هو حبيبٌ بنُ اوسٍ الطائي من نفس طَيِّء صليبةً . مولده ومنشؤه مَنبِج ، بقرية منها يقال لها جَاسم . شاعر مطبوع ، لطيفُ الفطنة ، دقيقُ المعاني ، غوّاصٌ على ما يُستصعَب منها ، ويَعسُر متناولُه على غيره . وله مذهب في المُطابَق ، هو كالسابق اليه جميعَ الشعراء ، وان كانوا قد فتحوه قبلَه ، وقالوا القليل منه . فإن له فضلَ الإكثار فيه ، والسليمُ من شعره النادرُ شيءٌ لا يَتعلّقُ به احدٌ ، وله اشياءُ متوسِّطةٌ ، ورديئةٌ رَذلةٌ جدا .

من شعره في المطابَق اي الجناس :

مطــــرٌ ابــــوك أبو أهلّةِ وائلٍ مــــلأ البسَيطــة عُدَّةً وعديدا
نسبٌ كـــأن عليـــه من شمس الضُحى نـــوراً ومن فَلَق الصباح عَمودا
ورثـــوا الابوةَ والحظوظَ فأصبحوا جمعوا جُدوداً في العَلا وجُدودا (١)

انشد ابو تمام احدَ الشعراء قصيدةً له احسن في جميعها الا في بيت واحد . فقال له : يا ابا تمام لو ألقيتَ هذا البيتَ ، ما كان في قصيدتك عيب . فقال له : انا والله اعلَمُ منه مثلَ ما تَعلمُ . ولكن مَثَلُ شعرِ الرجلِ عندَه مَثَلُ اولاده ، فيهم الجميلُ والقبيحُ ، والرشيدُ والساقطُ ، وكلُّهم حلوٌ في نفسه ، فهو ، وإن أحب الفاضلَ ، لم يُبغضِ الناقصَ . وإن هوى بَقاءَ المتقدِّم ، لم يَهوَ موتَ المتأخِّر .

قَدِم عُمارةُ بنُ عَقيلِ بنِ بَلالِ بنِ جريرٍ بغدادَ ، فاجتمع الناس اليه ، فكتبوا شعرَه وشعرَ أبيه ، وعرضو عليه الاشعار . فقال بعضهم : ها هنا شاعر يَزعم قومٌ أنه اشعرُ الناسِ طُرًّا ، ويَزعم

(١) جدود جمع جَد . الاولى بمعنى الآباء ، والثانية بمعنى الحظوظ . وهذا هو المطابق .

غيرُهم ضدّ ذلك . فقال : أنشدوني قولَه . فأنشدوه :

غَدت تستجيرُ الدمعَ خوفَ نوى غدٍ وعاد قَتاداً (١) عندَها كلُّ مَرقَدِ
وأنقذَها من غَمرةِ الموتِ أنــــه صُدودُ فِراقٍ لا صُدودُ تَعمُّدِ
فاجرى لها الإشفاقُ دمعــــاً مورَّداً منَ الدم يَجري فوقَ خدٍّ مورَّدِ
هــي البدرُ يُغنيها تودُّدُ وجهِهـا الى كلِّ مَن لاقت وإن لم تَوَدَّدِ

ثم قطع المنشدُ . فقال له عُمارةُ : زِدنا من هذا . فوصل نشيدَه وقال :

ولكننــي لم أحوِ وَفراً مجمَّعــا ففُزتُ به إلا بشملٍ مُبدَّدِ
ولم تُعطِنــي الايـامُ نوما مسكَّنا أَلَــذُّ بــه إلا بنومٍ مُشرَّدِ

فقال عمارة : لله درُّه . لقد تقدم في هذا المعنى من سبقَه اليه ، على كثرة القول فيه ، حتى لقد حَبَّبَ الي الاغترابَ . هيهِ . فأنشدَه :

وطولُ مُقامِ المرء في الحيِّ مُخلِقٌ (٢) لِديباجتَيــــهِ فاغترب تتجدَّدِ
فاني رأيتُ الشمسَ زيدت مَحبـــةً الى الناسِ أن ليسَت عليهم بَسرمَدِ

فقال عمارة : كَمَلَ واللهِ . لئن كان الشعرُ بجودة اللفظ ، وحسنِ المعاني واطِّرادِ المُراد ، وانسياق الكلام ، فان صاحبَكم هذا ، أشعرُ الناس . والقصيدة لابي تمام .

قال المهلبي : كنا في حَلقة دِعبلٍ ، فجرى ذكرُ ابي تمام ، فقال دِعبلٌ : كان يَتتبَّع معانيَّ فيأخُذُها . فقال له رجل في مجلسه : وايُّ شيءٍ من ذلك ؟ قال : قولي :

وان امرءًا أَسدى الــيَّ بشــافعٍ اليه ويَرجو الشُكرَ مني لأحمَقُ
شفيعَك فــاشكُـر في الحوائجِ إنه يصونك عن مَكروهها وهو يَخلَقُ

فقال الرجلُ : فكيفَ قال ابو تمام ؟ فقال : قال :

فلقيتُ بينَ يـــديـه حُلوَ عَطـائه ولقيتُ بين يديَّ مُرَّ سؤالِـهِ
واذا امــرُؤٌ أسدى اليــك صنيعةً من جاهِه فكأنهـا من مـالِـهِ

فقال له الرجل : احسنَ واللهِ . لئن كان اخذَه منك ، لقد اجاد ، فصار اولى به منك . وان كنتَ اخذتَه منه فما بلغتَ مبلَغَه .

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

كان عمارة بن عقيل عندنا يوما فسمع مؤدِّبا كان لولد أخي يُرَوِّيهم قصيدةَ ابي تمام : « الحقُّ أبلَجُ والسيوفُ عَوارِ . »

(١) شوك حاد . (٢) مخلق : مُبلٍ .

فلما بلغ الى قوله :

سُودُ اللِبـاسِ كـأنما نَسَجت لهم … أيدي السَّمومِ مَدارِعاً[1] من قارِ
بَكَروا وأسرَوا في متُونِ ضـوامرٍ … قِيدَت لهم من مَربَطِ النَجّارِ
لا يَبـرحـونَ ومَن رآهم خالَهم … ابداً على سَفَرٍ مـن الأسفارِ

فقال عمارة : لله دَرُّه . ما يَعتمِدُ معنىً إلا أصابَ أَحسنَه ، كأنه موقوف عليه .

قال ابراهيمُ بنُ العباس لابي تمام ، وقد أنشد شعرا له في المعتصِم : يا ابا تمام ، امراءُ الكلام رَعيَّةٌ لأحسانك .

لما قدم ابو تمام الى خُرسانَ اجتمع الشعراء اليه وسألوه ان يُنشِدَهم ، فقال : قد وعدني الاميرُ ان أُنشِدَه غدا وستسمعوني . فلما دخل على عبد الله بنَ طاهر انشده ، حتى قال :

ورَكبٍ كـأطرافِ الأسنَّـةِ عَرَّسوا … على مثلِها والليلُ تَسطو غياهِبُهْ
لأمرٍ عليهم أن تتـمَّ صُـدورُه … وليس عليهم ان تَتِمَّ عـواقِبُهْ

فصاح الشعراءُ بالامير ابي العباس : ما يستحقُ مثلَ هذا الشعر غيرُ الامير ، أعزَّه الله . وقال شاعر منهم يُعرَف بالرياحي : لي عندَ الامير ، اعزه الله ، جائزةٌ وعدَني بها ، وقد جعلتُها لهذا الرجلِ جَزاءً عن قوله للامير . فقال له : بل نُضعِفُها لك ونقوم له بما يجب له علينا . فلما فرغ من القصيدة نثر عليه الفَ دينار ، فلقطها الغُلمانُ ، ولم يَمَسَّ منها شيئا . فوجد عليه عبدُ الله وقال : يَترفَّعُ عن بِرِّي ويَتهاون بما أكرمتُه به . فلم يَبلُغ ما ارادَه منه بعد ذلك .

فكان يبعث اليه بالشيء ، كالقوت .

وقال قصيدتَه التي اولُها :

لم يبقَ للصَيفِ لا رسمٌ ولا طَلَـلُ … ولا قَشيبٌ فيُستَكسى ولا سَمِلُ[2]

فبلغت الابياتُ ابا العَمَيثَلِ شاعرَ آلِ طاهرٍ فأتى ابا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن طاهر وتضمَّن له ما يحبُّه . وقال لابن طاهر : ايها الاميرُ ، أتتهاون بمثل ابي تمام وتَجفوه ، وله بنُزوعه اليك عن الوطن وفِراقه للسكنِ عاقداً بك أملَه مُعمِلا اليك ركائبَه مُتعِباً فيك فِكرَه وجِسمَه ، ما يُلزِمُك قَضاءَ حقِّه ، فكيف ايها الاميرُ وهو القائل :

أمَطلِـعَ الشمسِ تَنوي أن تَؤُمَّ بنا … فقلتُ كلاً ولكن مطلِعَ الجُودِ

فقال عبدُ الله : لقد نبَّهتَ فأحسنتَ ، وشفَعتَ فلَطَفت ، ولك ولأبي تمام العُتبى . ادعُه يا غُلام . فدُعي له فنادمه وامر له بألفي دينارٍ وما يَحمِلُه من الظَهر ، وخَلَعَ عليه خِلعةً من ثِيابه .

(١) جمع مَدرَعة : قميص مشقوقة المقدم . القار : الزفت . (٢) سمل أسمال : خرقة ، ثوب بال .

قال جابر الكَرخي : حضَرتُ ابا دُلَفٍ القاسمَ بنَ عيسى العِجليِّ وعندَه ابو تمامٍ وقد انشدَه قصيدته :

على مثلِهـــا من أربُـــعٍ وملاعبِ أُذيلَت[1] مَصوناتُ الدموعِ السَواكبِ

فلما بلغ الى قوله :

اذا افتخرت يــوماً تميمٌ بقوسِها[2] وزادت على ما وطَّدت من مَناقِبِ
فانتم بــذي قارٍ أمالت سيوفُكــم عروشَ الذين استرهنوا قوسَ حاجِبِ
محاسِنُ مــن مجدٍ متى تَقرُنوا بهــا محاسنَ اقوامٍ تَكن كالمعـايبِ

فقال ابو دُلَف: يا مَعشرَ ربيعةَ ، ما مُدِحتم بمثلِ هذا الشعرِ قط . فما عندَكم لقائله ؟ فبادروه بمَطارفهم يَرمُون بها اليه . فقال ابو دُلَف : قد قبِلَها واعارَكم لِبسَها ، وسأنوبُ عنكم في ثَوابه . تَمِّم القصيدةَ يا ابا تمام . فتممها . فأمر له بخمسين الفَ درهمٍ ، وقال : واللهِ ما هي بإزاءِ استحقاقِك وقُدرتِك ، فاعذِرنا . ثم قال له : أنشِدني قولَك في محمدِ بنِ حُمَيد . فأنشده :

وما مــات حتى مات مَضرِبُ سيفِه من الضرب واعتلَّت عليه القَنا السُمرُ
فأثبتَ في مُستنقَعِ المــوت رِجلَه وقال لها من تحت أَخمَصِك[3] الحَشرُ
غدا غُدوةً والحمدُ حَشوُ رِدائِــه فلم يَنصرِف الا وأكفانُه الأجرُ
كأن بني نَبهــانَ يومَ مُصابِــه نُجومُ سَمَاءٍ خَرَّ من بينها البَدرُ

فقال : والله لودِدتُ أنها فيَّ . وقال : انه لم يَمُت من أُتِي بهذا الشعرِ .

قدِم ابو تمامٍ مادحا للحسن بنِ رجاءٍ ، فاستنشده قصيدتَه اللامية التي امتدحه بها ، فلما قال :

لا تُنكــري عَطَــلَ الكريم منَ الغنى فالسيلُ حربٌ للمكــانِ العالي
وتَنَظَّري حيثُ الرِكــابُ يَنُصُّها[4] مُحيي القريضِ إلى مُميتِ المالِ[5]

فقام الحسنُ على رجليه وقال : واللهِ لا أَتَممتَها الا وانا قائم . فقام ابو تمامٍ لقيامه وقال :

لما بلغنــا ساحةَ الحَسنِ انقضــى عنا تَملُّكُ دولةِ الإمحــال[6]
اغــلى عذارى الشعرِ إنَّ مُهورَهــا عندَ الكِرامِ وإن رَخِصنَ غوالِ
تَرِدُ الظُنــونُ بنــا عــلى تصديقِهــا ويُحَكِّمُ الآمــالَ في الأمــوالِ

(١) اهينت . (٢) قوس تميم التي رهنها حاجب بن زرارة ضماناً لعهده فوفى بها . (٣) باطن القدم .
(٤) يسوقها سوقاً حثيثاً . (٥) مثل هذا الطباق هو ما اشتهر به ابو تمام وكان يسميه تنافر الاضداد .
(٦) الإمحال : المحل والجدب .

كالغيثِ ليس له – أُريدَ غَمامُــــه او لم يُرَد – بُدٌّ من التَهطـــالِ

فقال له الحسن : ما احسنَ ما جلوتَ هذه العروسَ . فقال : واللهِ لو كانت من الحُورِ العِينِ لكان قيامُكَ لها أوفى مُهورِها .

ابو الشيص

هو محمدُ بنُ رَزين، تميميٌّ نَهشَليٌّ . وكنيتُه ابو جعفر ، وهو ابن عم دِعبلٍ لَحًّا . كان من اوصفِ الناسِ للشَرابِ وأمدحِهم للملوك .

قال ابو الشَّيص : لما مدحت عُقبةَ بنَ جعفرِ بنِ الأشعثِ الخُزاعيَّ ، كان اميرا على الرَقّةِ ، بقصيدتي التي اولُها :

لا تُنكري صَــــدّي ولا إعراضـــي ليس المُقِلُّ عن الزمان براضـــي

امر بأن تُعَدَّ ، وأعطاني لكل بيتٍ الفَ درهمٍ .

اجتمع مسلِمُ بنُ الوليدِ وابو النُواسِ وابو الشيصِ ودِعبِلٌ في مجلِس ، فقالوا : ليُنشِدْ كلُّ واحد منكم اجودَ ما قالَه من الشعر . فاندفع رجل كان معَهم فقال : اسمَعوا مني أُخبِركم بما يُنشِدُ كلُّ واحدٍ منكم قبلَ أن يُنشِد . فقال لمُسلِم : أما انت يا ابا الوليد فكأني بك قد أنشدتَ :

هلِ العيشُ إلا أن تروحَ مع الصبـــا وتَغدو صريعَ الكأسِ والأعينِ النُجلِ

فقال له مُسلم : صدقتَ . ثم اقبل على ابي نُواس فقال له : كأني بك يا ابا علي قد أنشدتَ :

لا تبكِ ليلى ولا تَطرَب الى هِنـــدِ واشرَب على الوَرد من حَمراءَ كالوردِ

تَسقيك من عينها خَمرًا ومن يدِهـــا خمرا فما لك من سُكرين من بُدٍّ

فقال له : صدقتَ . ثم اقبل على دِعبِلٍ فقال له : وانت يا علي ، فكأني بك تُنشدَ قولَك :

اينَ الشبابُ وايَّـــةً سلكـــا لا اينَ يُطلَبُ ضلَّ بل هلَكـــا

لا تَعجَبي يا سَلـمُ من رجـــلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكـــى

فقال : صدقتَ . ثم اقبل على ابي الشَّيص ، فقال له : وانت يا ابا جعفر ، فكأني بك وقد انشدتَ قولك :

لا تُنكري صَدِّي ولا إعراضي ... ليس المُقِلُّ عن الزمان براضِ

فقال له : لا . ما هذا اردتُ ان أُنشد ولا هذا بأجودِ شيء قلتُه . قالوا فأنشد ما بدا لك . فأنشدَهم :

وقف الهوى بي حيثُ انتِ فليس لي ... متأخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ

أجِدُ المَلامةَ في هواكِ لذيذةً ... حُبًّا لذكرِك فليَلُمْني اللُّوَّمُ

أشبهتِ اعدائي فصِرتُ أُحبُّهم ... اذ كان حظّي منكِ حظّيَ منهُمُ

فقال ابو نواس : احسنتَ والله وجَوَّدت . وحياتِك لأسرِقَنَّ هذا المعنى منك ، ثم لأغلِبَنَّك عليه ، فيَشتهِرُ ما اقولُ ، ويموتُ ما قُلتَ .

فقال في الخصيب :

فما جازَه جودٌ ولا حلَّ دونَه ... ولكن يَسيرُ الجودُ حيث يسيرُ

فسار بيت ابي نواس وسقط بيت ابي الشيص .

ومن جيد شعر ابي الشيص :

أكلَ الوجيفُ (١) لحومَها ولحومَهم ... فأتَوك أنقاضاً على أنقاضِ

بذل

كانت بذلُ صفراءَ مولَّدةً من مولَّدات المدينة ، ورُبِّيت بالبصرة، وهي احدى المُحسنات المتقدِّمات الموصوفات بكثرة الرواية . يقال: إنها كانت تغني ثلاثين الفَ صوت . ولها كتابٌ في الاغاني يشتمل على اثني عشرَ الفَ صوت ، عَمِلته لعليِّ بنِ هِشام . كانت حُلوةَ الوجه ، ظريفةً ، ضاربةً متقدِّمةً . ابتاعها جعفرُ بنُ موسى الهادي فأخذها منه محمدٌ الامين . وبَقِيت في داره الى ان قُتِل . ورغِب اليها وجوهُ القُوَّاد والكُتَّاب والهاشميين في التزويجِ فأبت وأقامت على حالها حتى ماتت .

كان ابراهيم بن المهديِّ يُعظِمَ بَذلاً ويتوافى لها، ثم تغيَّر ، استغناءً عند نفسه عنها . فصارت

(١) السير السريع .

اليه فدعت بعود فغنَّت في طريقةٍ واحدةٍ وإيقاعٍ واحدٍ واصبَعٍ واحدةٍ مئةَ صوتٍ لم يَعرف ابراهيمُ منها صوتا واحداً. ووضعت العودَ وانصرفت . فلم تدخل داره حتى طال تضرعُه اليها في الرجوع اليه .

خالف اسحاقُ بذلاً في نِسبة صوتٍ غنته بحضرة المأمون . فامسكت عنه ساعةً ثم غنت ثلاثةَ اصوات ، وسألت اسحاقَ عن صانعها فلم يَعرفه . فقالت للمأمون : يا امير المؤمنين ، هي ، والله لابيه اخذتُها من فيه . فاذا كان هذا لا يَعرِف غِناء ابيه فكيف يعرف غِناء غيره . فاشتد ذلك على اسحاق .

كعب بن زهير بن ابي سُلمي

هو من المخضرَمين ومن فحول الشعراء .

قال زهيرٌ بيتا ونِصفا ثم أكدى (١) . فمرَّ به النابغةُ فقال له : أبا أُمامةَ ، أَجِز . فقال : وما قُلتَ ؟ قال : قلتُ :

تَزيدُ الارضَ إما مُتَّ خِفًّا ... وتَحيا إن حَيِيتَ بها ثَقيلا
نَزَلتَ بمُستَقَرِّ العَرضِ منها

أجز . فاكدى النابغةُ . وأقبل كعبٌ ، وإنه لَغُلامٌ ، فقال ابوه : أجِز يا بُنَيَّ . فقال: وما أُجيز ؟ فأنشدَه . فقال :

وتَمنَعُ جانبَيها أن يَزولا

فضمَّه زهيرٌ اليه وقال : أشهَد أنك ابني .

قال حماد الراوية : تحرَّك كعبٌ وهو يتكلم بالشعر . فكان زهيرٌ ينهاه مَخافةَ أن يكونَ لم يستحكِم شعرَه فيُروى له ما لا خيرَ فيه . فكان يَضرِبه في ذلك . فكلَّما ضربه تزيَّد فيه . فطال عليه ذلك فأخذه فحبسه فقال : والذي أحلِف به ، لا تتكلَّمُ ببيتِ شعرٍ إلا ضربتُك ضربا يُنكِّلُك (٢) عن ذلك . فمكث محبوسا عدَّةَ ايامٍ . ثم أُخبر أنه يتكلم به . فدعاه فضربه ضربا شديدا ثم اطلقه

(١) لم يظفر بحاجته . (٢) يصرفك .

وسرَّحه في بَهمه (١) وهو غُلَيِّمٌ صغير . فانطلق فرعى ، ثم راح (٢) عشيةً وهو يرتجز :

كأنما أَحــدو ببَهمي عِيــرا   من القرى مُوقَرَةً شعيــرا

فخرج اليه زهيرٌ وهو غَضبانُ . فدعا بناقته فكفَلَها (٣) بكسائه ، ثم قعد عليها حتى انتهى الى ابنه كعبٍ . فاخذ بيده فأَردفه خلفَه . فقال زهير حين برَز الى الحي :

إني لَتُعديني عــلى الهَمِّ جَســرةٌ   تَخُبُّ بوَصَّالٍ صَرُومٍ وتُعنِقُ (٤)

ثم ضرب كعباً وقال له : أَجِز يا لُكَعُ . فقال كعبٌ :

كبُنيانَةِ القَرئِيِّ موضِــعُ رَحلِهــا   وآثارُ نِسعَيها من الدَّفِّ أَبلَقُ (٥)

فقال زهير :

على لاحِبٍ مثلِ المَجَرَّةِ خِلتَــه   اذا ما علا نَشزًا من الارضِ مُهرَقُ (٦)

أَجِز يا لُكَعُ . فقال كعب :

مُنيرٌ هدَاه ليلُه كنهــارِه   جميعٌ اذا يَعلو الحُزونةَ أَفرُقُ (٧)

فأخذ زهير بيدِ ابنه كعبٍ ثم قال له : قد اذِنتُ لك في الشعر يا بُنَي .

وخير شعرِه قصيدتُه :

بانت سُعادُ فقلبي اليومَ متبــولُ   مُتيَّمٌ عندَها لم يُجزَ مَكبــولُ

وما سُعادُ غداةَ البينِ اذ رحلــوا   إلا أغنُّ غضيضُ الطَرفِ مكحولُ (٨)

انشدها الرسول . فلما بلغ الى قوله :

إن الرسولَ لَسيفٌ يُستضاءُ بــه   مُهنَّدٌ من سُيوفِ اللهِ مسلــولُ

في فِتيةٍ من قريشٍ قال قائلُهــم   ببطن مكةَ لما أسلموا : زُولوا (٩)

اشار الرسولُ الى الحِلَقِ أن يسمعوا شعرَ كعبِ بنِ زهير .

وقال مُعرِّضا بالانصار :

كانت مواعيدُ عُرقوبٍ لها مَثَــلا   وما مواعيدُها الا الاباطيــلُ

---

(١) الصغار من ولد الضأن . (٢) جاء في العشي، ضد غدا (٣) وضع كساءه على كفلها . (٤) جسرة : الضخمة من نياق الابل . تعنق : تسرع . (٥) نسع: المفصل بين الكف والساعد، وهنا بمعنى بين الخف والقائمة . الدف: المشي والسير . وفي بعض الروايات : كقنطرة الرومي وهي الاجدر بالاعتبار . (٦) لاحب : الطريق الواضح كالجادة . المجرة: البياض السحابي المعترض في السماء ويعرف بدرب التبانة او نهر المجرة. النشز: الحرف المرتفع من الجبل. مهرق : هوهنا بمعنى الصحيفة البيضاء . (٧) الحزونة: هي هنا بمعنى الاسمي أي صلابة الارض . أفرق: جمع فرق أي الصبح . (٨) أغن: ولد الظبي ، وسمي كذلك لغنة صوته الخارج من خياشيمه . (٩) انتقلوا من مكان الى مكان، يعني الهجرة.

وعرقوب الذى عناه ، رجل من الأوس كان وعد رجلا ثَمَرَ نخلة . فلما أطلعت أتاه ، فقال : دَعها حتى تَلقَحَ . فلما لَقِحَت قال : دَعها حتى تُزهي . فلما أزهت اتاه فقال : دعها حتى تُرطِبَ . ثم اتاه فقال : دعها حتى تُتمِر . فلما أتمرت عدا عليها فجدَّها [١] . فضُرِب به في الخُلفِ المَثَلُ .

ابن الدمينة

الدُمَينةُ امهُ ، واسمهُ عبدُ الله بن عُبَيد الله احدُ بني تَيمٍ ويُكنَّى ابا السَّرِيّ.

من جيد شعره :

أقضي نهاري بالحديث وبالمُنى ... ويَجمعُني والهمَّ بالليلِ جامعُ
نهاري نهارُ الناسِ حتى اذا بدا ... ليَ الليلُ شاقتني اليكِ المضاجعُ
لقد ثَبَتَت في القلب منكِ محبةٌ ... كما ثَبَتَت في الراحتين الاصابعُ

وقالت أميمة امرأة ابن الدمينة تعاتبه وهو ايضا من جيد الشعر :

وانتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَني ... وأشمتَّ بي مَن كان فيك يلومُ
وابرزتَني للناسِ ثم تركتَني ... لهم غَرَضا أُرمى وانت سليم
فلو أن قولا يَكلُمُ الجِسمَ قد بدا ... بجسميَ من قول الوُشاةِ كُلُومُ

قال اسحاق :

كان العباسُ بنُ الاحنفِ اذا سمِع شيئا يستحسنه أطرَفني به . فجاءني يوما فوقف بين البابَين وأنشد لابن الدمينة :

الا يا صَبا نجدٍ متى هِجتَ من نجدِ ... فقد زادني مَسراكَ وجدًا على وجدِ
أأن هتفت ورقاءُ في رَونقِ الضُحى ... على فَنَنٍ غَضِّ النَبات من الرَّندِ [٢]
بَكَيتَ كما يَبكي الحزينُ صَبابةً ... وذُبتَ منَ الشوق المُبرِّح والصَدِّ
بكيتَ كما يبكي الوليدُ ولم تكن ... جَزوعا وأبديتَ الذي لم تكن تُبدي

---

(١) قطعها . (٢) نبات طيب الرائحة يشبه الآس .

وقد زعموا أن المُحبَّ اذا دنـــا يَمَلُّ وأن النأيَ يَشفي من الوجـدِ
بكلٍ تَداوينا فلم يُشفَ ما بنـــا على أن قُربَ الدارِ خيرٌ من البُعدِ
ولكنَّ قُربَ الدارِ ليس بنافـــع اذا كان مَن تَهواه ليس بذي وُدِّ

ثم ترنَّحَ ساعةً وترجَّح أُخرى ثم قال : أنطَحُ العَمودَ برأسي من حُسنِ هذا ؟ فقلتُ : لا . أرفُق بنفسك .

وأرسلت اليه امرأةٌ كان يهواها . إنَّ أهلي قد نَهَوني عن لِقائكَ ومُراسلتِكَ . فأرسلَ اليها :

أطعتِ الآمريكِ بقطع حَبلـــي مُريهم في أحبَّتِهم بـــذاكِ
فان همُ طاوعوكِ فطاوِعيهـــم وإن عاصَوك فاعصِي مَن عصـــاكِ

المقنَّع الكندي

المقنع لقب غلب عليه لانه كان اجملَ الناسِ وجهاً ، وكان اذا سَفَرَ اللِثامَ أصابته العينُ . فكان لا يمشي الا مُقنَّعا. واسمُه محمدُ بنُ ظَفَر. شاعرٌ مُقِلٌ من شعراء الدولة الاموية . كان سَمحَ اليـدِ بماله لا يَرُدُّ سائلاً حتى أتلفَ كل ما خلَّفه ابوه من مال. وهَوِيَ بنتَ عمِّه فخطبها الى اخوتها فردُّوه وعيَّروه بفقره وبما عليه من الدَّين وقال : (١)

يُعاتبُني في الدَّينِ قَومي وانمـــا تَدَيَّنتُ في أشياء تُكسِبُهم حَمدا (٢)
أسُدُّ به ما قد أخلُّوا وضيَّعـــوا ثُغورَ حقوقٍ ما أطاقوا لها سَدَّا
وفي جَفنةٍ ما يُغلَقُ البابُ دونَهـــا مُكَلَّلَةٍ لحماً مُدَفَّقةٍ ثُـــردا
وفي فَرَسٍ نَهدٍ عتيقٍ جعلتُـــه حِجاباً لبيتي ثم أخدمتُه عَبـــدا
وان الذي بينـــي وبينَ بني ابـــي وبينَ بني عمي لَمُختلِفٌ جِــدَّا
فإن أكلوا لحمي وَفَرتُ لُحومَهـــم وإن هَدَموا مجدي بنَيتُ لهم مجـدا
وإن ضيَّعوا غيبي حفِظتُ غيوبَهـــم وان هم هوُوا غَيِّي هَوِيتُ لهم رُشدا
وإن زَجَروا طيرًا بنحسٍ تَمُرُّ بي زَجرتُ لهم طيرًا تمرُّ بهم سَعـــدا

(١) ذكر ابو الفرج من القصيدة خمسة ابيات فقط ، فزدنا عليها ورتبناها حسب ديوان الحماسة . (٢) تدينت : اقترضت : والرواية الاشهر والأحب : ديوني – الخ – .

ولا أحمِلُ الحِقدَ القديمَ عليهـــمُ ... وليس رئيسُ القومِ مَن يحمِلُ الحِقدا
لهم جُلُّ مالي إن تتابعَ لي غِنـــىً ... وإن قلَّ مالي لم أكلِّفهُمُ رِفـــدا
وليسوا الى نَصري سِراعاً وإن هـــمُ ... دعَوني الى نصرٍ أتيتُهم شَـــدّاً
وإني لعبدُ الضيفِ ما دام نـــازلاً ... وما شِيمةٌ لي غيرَها تُشبِه العبـــدا

ابو قيس ابن الاسلت الوائلي

أبو قيس لم يقع الي [١] اسمُه غيرُ ابنِ الأسلتِ ، والاسلتُ لقب أبيه .

هو شاعر من شعراء الجاهلية . وهو القائل لابنه قيس :

أقَيسٌ إن هَلَكتُ وانتَ حـــيٌّ ... فلا تَعدَم مُواصلةَ الفقيـــرِ

قال المبرِّد : قال لي صالحُ بنُ حَسّانَ : أنشِدوني بيتا خَفِرًا في امرأةٍ خَفِرة شريفة . فقلنا: قولُ حاتمٍ :

يُضيءُ لها البيتُ الظليلُ خَصاصُـــه ... اذا هيَ يوماً حاولت أن تَبَسَّمَا

فقال : هذه من الأصنام . أُريد احسنَ من هذا . قلنا : قولُ الاعشى :

كأنَّ مِشيتَها من بيت جارتِهـــا ... مَرُّ السَحابةِ لا رَيثٌ ولا عَجَـــلُ

فقال : هذه خرّاجةٌ ولاّجةٌ كثيرةُ الإختلاف [٢] . قلنا : بيتُ ذي الرُمَّةِ :

تَنُوءُ بأخراها فلأيـــاً قِيامُهـــا ... وتَمشي الهُوينا من قريبٍ فتَبهَرُ [٣]

فقال : انما وَصفَ هذه بالسِمنِ وثِقَلِ البَدَن . فقُلنا : ما عندَنا شيءٌ . فقال : قولُ ابي قيسِ بنِ الأسلت :

ويُكرِمُها جاراتُهـــا فيَزُرنَهـــا ... وتَعتَلُّ عن إتيانِهنَّ فتُعـــذَرُ
وليس لها أن تَستهينَ بجـــارة ... ولكنَّها منهنَّ تَحيا وتَخفَـــرُ [٤]

فحكموا له عليهم بالتقدم .

(١) المعروف ان اسمه صيفي . (٢) الزيارة . (٣) تنوء باخراها : تنهض بردفيها مثقلة . تبهر : ينقطع نفسها من المشي لثقل أردافها . (٤) الخفر : الحياء .

عزة الميلاء

كانت مولاةً للانصار . مسكَنُها المدينةُ ، وهي اقدمُ مَن غنى الغناء الموقّعَ من النساء بالحجاز ، وماتت قبلَ جميلةَ . اخذ عنها معبدٌ ومالكٌ وابنُ مُحرز . وكانت من أجملِ النساء وجهاً وأحسنهن جسما وضَربا بالعود . وسُمّيت الميلاء لتمايُلِها في مشيها . وقيل : بل كانت مُغرَمَةً بالشَراب ، وكانت تقول : خُذ مِلاءً واردُد فارغا .

وكانت رائقةُ استاذتُها . وكان اهلُ المدينةِ اذا ذكروا عَزّة قالوا : لله درُّها ، ما كان احسنَ غِناءها ومَدَّ صوتَها وأندى حَلقَها وأحسنَ ضربَها بالمزاهرِ والمعازفِ وسائرِ الملاهي واجملَ وجهَها وأسخى نفسَها .

كان طُويسٌ اكثرَ ما يأوي منزلَ عَزّةَ ، وكان اذا ذكرها يقول : هي سيدةُ مَن غنّى من النساء ، مع جَمالٍ بارعٍ وخُلُقٍ فاضلٍ وإسلامٍ لا يَشوبُه دَنَس. تأمر بالخير وهي من أهلِه ، وتَنهَى عن السُوْ وهي مُجانِبةٌ له. فناهيكَ ما كانَ انبلَها وانبلَ مجلِسَها .

ثم قال : فكأن الطيرَ على رؤوس اهلِ مجلِسها ، مَن تكلّم او تحرَّك نَقر رأسَه .

غنّت يوما عمرَ بنَ ابي ربيعةَ لحنا لها في شيء من شعره ، فشقَّ ثيابَه وصاح صيحةً عظيمةً صُعِق منها . فلما أفاق قال له القومُ : لغيرِك الجهلُ يا ابا الخطاب . قال : إني سمعت ، واللهِ ، ما لم املِك معَه نفسي ولا عَقلي .

قال احدهم : إني وفتيةٌ من قريشٍ عندَ قينةٍ من قِيانِ المدينة ، ومعَنا عبدُ الرحمن بنُ حَسّانَ ، اذ استأذن حَسّانُ ، (وقد كُفَّ بصرُه) ، فكرِهنا دخولَه ، وشَقّ ذلك علينا . فقال لنا عبدُ الرحمن : أيَسُرُّكم ألا يجلِسَ ؟ قلنا : نعم . قال : فمرُوها ان تَرفَعَ عقيرَتَها وتُغني بشعر حَسّان:

اولادُ جفنةَ عندَ قبرِ ابيهمُ قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ

قال : فوالله لقد بكى حتى ظَنَنّا انه سَقطت نفسُه . ثم قال : أفيكم الفاسِقُ ؟ لعَمري لقد كرِهتُم مجلِسي . وقام وانصرف .

وتمام الصوت :

يَسقُون مَن وردَ البَريصَ[١] عليهمُ كأسا تُصفّقُ بالرحيق السَلسَلِ

(١) موضع في دمشق .

بيضُ الوُجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأنوفِ منَ الطِراز الأولِ
يُغشَون حتى ما تهرُّ كلابُهم لا يَسألون عن السَّوادِ المُقبِلِ
إن التي عاطيتَني فرددتُها قُتِلت، قُتِلتَ، فهاتِها لم تُقتَلِ
كِلتاهُما حَلَبُ(١) العصيرِ فعاطِني بزُجاجةٍ ارخاهُما للمِفصَلِ
بزُجاجة رَقَصت بما في قَعرِها رقصَ القَلوصِ براكبٍ مُستعجِلِ

ويروى للمَفصِلِ، وهو اللسان.

ومن اصواتها: ـ ج ١٢ ص ١٥٥

لمن الديارُ عرفتُها بالشُربُبِ ذهب الذين بها ولَمّا تذهبِ
إن الرجالَ لهم اليكِ وسيلةٌ إن يَأخذوكِ تَكَحَّلي وتَخَضَّبي
وانا امرُؤٌ إن يَأخذوني عَنوةً أُقرَن إلى سَيرِ الركابِ وأُجنَبِ
ويكونُ مَركَبُكِ القَعودَ وحِدجَه وابنُ النَعامةِ يومَ ذلكَ مَركبي

ـ الشعر لعنترة، وقيل، للحارث بن لوذان ـ. ابن النعامة: ظلّ الانسان أي أركب ظلي. وقيل: النعامة فرسُه. وابن النعامة ظِلُّها، اى يسير مقرونا الى فرسه.

الربيع بن زياد العبسي

امُّه فاطمةُ بنتُ الخُرشُبِ وهي إحدى المُنجِبات. كان يقال لبنيها: الكَمَلَة، وكانوا سبعةً. سُئِلت فاطمةُ عن بنيها: أيُّهم أفضلُ ـ فقالت: الربيعُ، لا بل عُمارةُ، لا بل أنَسٌ لا بل قَيسٌ، وعيشي، ما أدري. اما، والله، ما حَمَلتُ واحدا منهم تُضعاً، ولا ولدتُه يَتناً، ولا أرضعتُه غَيلاً، ولا منعتُه قَيلاً، ولا أبَتُّه على ماقَة.(٢)

اما قولها: ما حملتُ واحدا منهم تُضعا: لم احملـه في دُبُرِ الطُهرِ وقبلَ الحَيض. ولا ولدتُه يَتنا: هو ان تَخرُجَ رجلاه قبلَ رأسِه، ولا أرضعتُه غَيلا: اي ما ارضعتُه قَبلَ أن أحلُبَ

(١) اي الماء والخمر حلب العصير: العنب والغمام. (٢) ماقة: هكذا في النسخ وهو مصحف وصوابه: مأقة أي حرقة غيظ وبكاء من الجوع.

ثديي . ولا منعتُه قَيلا : اي لم امنعه اللبَن عند القائلة(١) . ولا أبتّهُ على ماقة : اي وهو يبكي .

ضاف فاطمةَ ضيفٌ فطرحت عليه شملةً من خزٍّ . فلما أعتَم(٢) دنا منها ، فصاحت به فكفَّ عنها . ثم إنه تحرَّك ايضاً فأرادها عن نفسها ، فصاحت ، فكفَّ . ثم إنه لم يَصبِر فواثبَها ، فبطشت به . فاذا هي من اشدِ الناس ، فقبضت عليه ثم صاحت : يا قيسُ ، فأتاها ، فقالت : إن هذا ارادني عن نفسي فما ترى فيه ؟ فقال : أخي أكبرُ مني ، فعليك به . فنادت يا أنَسُ . فأتاها ، فقالت : إن هذا ارادني عن نفسي ، فما تَرى فيه ؟ فقال لها : اخي اكبرُ مني فسَليه . فنادت : يا يا عُمارةُ ، فأتاها . فذكرت له ذلك ، فقال لها : السيفَ ، وارادَ قتلَه . فقالت له : يا بُنَي ، لو دَعَونا اخاك فهو أكبرَ منك . فدعت الربيعَ فذكرت له ذلك . فقال : أفتُطيعونني ، يا بني زيادٍ ؟ قالوا : نعم . قال : فلا تُزَنُّوا امَّكم ، ولا تَقتلوا ضيفَكم ، وخلُّوه يَذهبُ . فذهب .

اغار حَمَلُ بنُ بدرٍ الفَزاريُّ على بني عبسٍ ، فظَفَر بفاطمةَ امِّ الربيعِ راكبةً على جَملٍ لها ، فقادها بجملها . فقالت له : أي رجلُ ، ضلَّ حُلمُك والله لئن اخذتَني فصارت هذه الأكمةُ بي وبك التي امامَنا وراءنا ، لا يكونُ بينَك وبينَ بني زيادٍ صُلحٌ ابداً . لان الناسَ يقولون في هذه الحالِ ما شاؤوا ، وحسبُك من شرٍّ سَماعُه . قال : إني اذهبُ بك حتى تَرعَى علي إبلي . فلما أيقنت أنه ذاهبٌ بها رمت بنفسها على رأسِها من البعير فماتت خوفا من أن يلحَقَ بنيها عارٌ فيها .

(ولزياد قصة مع النعمان ذكرت في اخبار لبيد ، الجزء ١٥)

حرب داحس والغبراء

كان من حديثِ داحسٍ أن امَّه فرسٌ لقِرواشٍ من بني يَربوعٍ يُقال لها جَلوى وكان ابوه يُسمى ذا العُقَّال وكان لحَوطٍ من بني رياح .

وان قيسَ بنَ زُهيرٍ العبسيَّ اغار على بني يَربوعٍ فلم يُصِب احدا غيرَ ابنتَي قِرواشٍ ومئةً من الإبلِ لِقرواشٍ ولم يَشهَد من رجالِهم غيرَ غُلامين . فجالا في مَتن الفَرسِ مُرتَدفَيه وهو مُقَيَّدٌ بقيد من حديدٍ فأعجلَهما القومُ عن حَلِّ قيدِه واتَّبعَهما القومُ . فضبَر(٣) بالغُلامين

(١) القيلولة . (٢) اعتم : دخل في العتمة وظلام الليل بعد زوال الشفق . (٣) جمع قوائمه ووثب .

ضَبرا حتى نَجَوَا به . فلما رأى ذلك قيسٌ رغب في الفرس فقال للجاريتين : لكما حُكمُكما وادفعا الي الفرسَ . فقالا . او فاعلٌ انت ؟ قال : نعم . فدفعتا اليه الفرسَ . فاطلق الفتاتين وخلّى عن الابل .

ويقال إن الوَرد العبسيَّ ابا عُروةَ بن الورد اتى حُذَيفة بنَ بدرِ الفَزاريَّ زائرا . فعرض عليه حُذَيفةُ خيلَه . فقال : ما ارى فيها جواداً مُبِرّاً . والمبرُّ : الغالب . فقال له حُذَيفةُ : فعند من الجوادُ المُبِرُّ ؟ فقال له : هل لك أن تُراهِنَني عنه ؟ قال : قد فعلت . فراهَنَه على ذَكَرٍ من خيله وأُنثى . ثم إن العبسيَّ اتى قيسَ بنَ زُهيرٍ وقال : اني قد راهنتُ حُذيفةَ وأوجبتُ الرِهانَ .

وجعلوا الغايةَ من واردات إلى ذات الإصاد ، وذلك مئةُ غَلوة والثَنيَّةُ فيما بينهما ، وملأوا البِركةَ ماءً وجعلوا السابقَ أولَ الخيل يَكرعُ فيها . وجعلوا الخطرَ (أي السَبَق) عشرين من الإبِل . واجرى حُذيفةُ الخَطّارَ والحَنفاء ، وأجرى قيسٌ داحِسا والغبراءَ . وجعل بنو فَزارةَ كمينا بالثنيَّة . فاستقبلوا داحساً فعرَفوه فأمسكوه وهو السابقُ ، ولم يَعرِفوا الغَبراءَ وهي خَلفَه مُصَلِّيَةٌ حتى مضت الخيلُ واستهلّت من الثنية ثم ارسلوه . فتمطّرَ في آثارِها ، أي أسرعَ ، فجعل يَبدُرُها فرسا فرسا حتى سبقها إلى الغاية مُصَلِّيا ، وقد طرح الخيلَ غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت الغايةُ لسبَقها . فاستقبلها بنو فَزارةَ فلطموها ثم حَلأوها عن البِركةِ ، ثم لطموا داحِساً وقد جاءا متواليَين .

ووقعت الحربُ بين عبسٍ وفَزارةَ ، وقيل استمرت اربعين سنةً .

يزيد بن معاوية

كان يزيد بن معاوية اولَ من سن الملاهي في الإسلام وآوى المغنين وأظهر الفتك[1] وشرب الخمر ، وكان ينادم عليها سرجونَ النصرانيَّ مولاه والأخطلَ وكان يأتيه من المغنين سائبٌ خاثرٌ فيقيم عنده ، فيخلع عليه ويصله .

فغنّاه يوماً :

يا لَلرجــالِ لمظلــومٍ بضاعتُــه ببطن مكةَ نائي الأهــلِ والنَفَرِ

ــ راجع حلف الفضول ص ٥٠٥ ــ فاعتَرته أريحيةٌ فرقص حتى سقط ثم قال : اخلَعوا عليه خِلَعاً

(١) الفتك : هنا بمعنى المجون .

يغيب فيها حتى لا يُرى منه شيء. فطُرحت عليه الثيابُ والجبابُ والمطارفُ والخزُّ حتى غاب فيها .

وجّهَ معاويةُ جيشا إلى بلدِ الروم فأصابهم جُدَرِيٌّ فماتت أكثرُ المسلمين . وكان ابنُه يزيدُ مصطبِحا بدير مُرّانَ [١] مع زوجته ام كُلثومٍ فبلغَه خبرُهم فقال :

اذا ارتفقتُ علـى الأنماطِ [٢] مصطبِحا بديرِ مُرّانَ عندي ام كُلثـومِ

فما أُبالي بما لاقـت جنودُهـم بالغَذْقَدونةَ من حُمّى ومن مُومِ [٣]

فبلغ شعرُه اباه فقال : واللهِ لَيَلحقَنّ بهم فليُصيبنَّه ما أصابَهم . فخرج حتى لحق بهم وغزا حتى بلغ القسطنطينيةَ .

ومات معاويةُ ويزيدُ في حرب الروم . وتولى غَسلَه ودفنَه الضحّاكُ بنُ قيس ، فخطب الناسَ فقال : ان ابنَ هند قد تُوفّي ، وهذه اكفانُه على المنبر ، ونحنُ مُدرِجُوه فيها ، ومُخَلّون بينَه وبين ربه . ولو كان يزيدُ حاضراً لم يكن للضحّاكِ ولا غيرِه أن يفعلَ من هذا شيئا .

ونُعي معاويةُ إلى عبدِ الله بنِ الزُبير فصلى فنَشَج ثم قال : رحِم الله معاويةَ ، إن كُنا لَنَتخدَعُه فيتخادعُ لنا ، وما ابنُ انثى باكرمَ منه . وان كنا لَنَتعرفُه يتفارَقُ [٤] لنا وما الليثُ المُحَرَّبُ [٥] باجرأَ منه .

وان ابنَ عبّاسٍ اتاه نَعيُ معاويةَ وولايةُ يزيدَ وهو يُعشّي اصحابَه ويأكلُ معَهم وقد رفع الى فيه لُقمةً فألقاها وأطرقَ هُنيهةً ثم قال : جبلٌ تَدكدكَ ثم مال بجميعه في البحر واشتملت عليه الابحرُ . لله دَرُّ ابنِ هندٍ ما كان اجملَ وجهَه واكرمَ خُلقَه واعظمَ حِلمُه . فقطع عليه الكلام رجلٌ من اصحابه وقال : أتقولُ هذا فيه ؟ فقال : ويحَك ، إنك لا تَدري مَن مضى ومَن بَقِي عليك ، وستعلم .

قال الهيثمُ بنُ عَدِيٍّ : ج ٣ – ١٣٠

حجَّ معاويةُ حِجّتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلةً يَحجُ عليها نساؤه وجواريه . فرأى ، في إحداها ، شيخا يُصلي في المسجدِ الحَرام عليه ثوبان أبيضان ، فقال : مَن هذا ؟ قالوا : سَعيَةُ بنُ غَرِيضٍ ، وكان من اليهود ، فأرسل اليه يَدعوه ، فأتاه فلم يُسلّم عليه بالخِلافة ، فقال له معاوية : ما فعلت ارضُك التي بتَيماء ؟ قال : يُكسى منها العاري ويُرَدُّ فضلُها على الجار . قال : أفتبيعُها ؟ قال : نعم . قال : بكم ؟ قال : بستين الفَ دينارٍ ، ولولا خَلّةٌ [٦] اصابت الحيَّ لم أبِعها . قال : لقد أغليتَ . قال : أما لو كانت لبعض اصحابِك لأخذتَها بستمئة الفِ دينار ولم تُبَلْ [٧] . قال : اجل ، وإذ بَخِلتَ بأرضك ، فأنشِدني شعر ابيك يَرثي به نفسَه . فقال : قال ابي :

(١) دير مران اي دير مارون ، وهما ديران : الاول في الشام في سفح جبل قاسيون ، والثاني قرب معرة النعمان .
(٢) ارتفق : اتكا على مرفقه . أنماط جمع نمط : بساط . (٣) أشد الحمى . الغذقدونة : خلقيدونية ، مدينة على البسفور . (٤) يظهر الفَرَق اي الخوف . (٥) المحرب : المغضَب المغيَّظ . (٦) خلة : هنا بمعنى الحاجة والفقر . (٧) من فعل تبالي مجذوم .

يا ليتَ شِعري حيــنَ أندُبُ هالِكــا ماذا تؤبِّنُني بـــه أنــواحـــي
ولقد اخذتُ الحــقَّ غيرَ مُخاصِــمٍ ولقد رددتُ الحَقَّ غيرَ مُلاحــي [1]
واذا دُعيت لصَعبــةٍ سهَّلتُهـــا أُدعى بأفلِحْ مرةً ونَجـــاحِ

فقال : انا كنت بهذا الشعرِ اولى من أبيك . قال : كَذَبتَ ولَؤُمتَ . قال : أمَّا كذبتُ ، فنعم . واما لَؤُمتُ ، فلِمَ ؟ قال : لانك كنتَ مَيِّتَ الحقِّ في الجاهلية ومَيِّتَه في الإسلام . اما في الجاهلية فقاتلتَ النبيَّ ، حتى جعل اللهُ كيدَك المردودَ . واما في الاسلام ، فمنعتَ ولدَ رسولِ الله الخلافةَ ، وما أنت وهي ! وانت طليقٌ ابنُ طليقٍ [2] . فقال معاويةُ : قد خرَفَ الشيخُ فأقيموه . فأُقيمَ .

شُرَيح القاضي

هو شُرَيحُ بنُ الحارثِ الكِنديُّ ويكنّى ابا أُمية .

أخذ عمرُ بنُ الخطابِ من رجل فرساً على سَومٍ [3] فحَمَل على الفرس رجلا فعَطِبَ الفرسُ . فقال عمر : أجعَلُ بيني وبينك رجلا . فقال له الرجلُ : إجعَل شُرَيحا العراقيَّ . فقال شريح : يا اميرَ المؤمنين : اخذتَه صحيحا سليما على سَومٍ ، فعليك ان ترُدَّه كما أخذتَه . فأعجبَه ما قال وبعث به قاضيا ، وقال له : ما وجدتَه في كتاب الله ، فلا تسأل عنه احدا ، وما لم تَستَبِن في كتابِ الله فالزَم السُنَّةَ ، فان لم يكن في السُنَّةِ فاجتهد رأيَك .

وعَرَفَ عليٌّ وهو خليفةٌ دِرعا مع يهودي فقال : يا يهوديُّ ، دِرعي سقطَت مني يومَ كذا وكذا . فقال اليهوديُّ : ما أدري ما تقول ، دِرعي وفي يدي ، وبيني وبينَك قاضي المسلمين . فانطلقا إلى شُرَيحٍ . فلما رآه شريحٌ قام له عن مجلِسِه . فقال له عليٌّ : اجلِس . فجلَس .

ثم قال : ان خَصمي لو كان مُسلِما لجلستُ معه بينَ يديك . ولكني سمعتُ الرسولَ يقول : لا تساووهم في المجلِس ، ولا تَعودوا مرضاهم ، ولا تُشَيِّعوا جنائزَهم واضطَروهم إلى أضيقِ الطُرُقِ ، وإن سَبُّوكم فاضرِبوهم وان ضربوكم فاقتُلوهم [4] . ثم قال : درعي عرفتُها مع هذا

(١) ملاحي : منازع شتام . (٢) من الطلقاء وهم الذين حاربوا النبي من قريش ، وعفا عنهم . (٣) اي على أجر لبعض ايام . (٤) هذه الرواية كذب صراح فالمحفوظ عن علي عكس ذلك باتفاق المحدِّثين ومن يُعتَدُّ بروايته ، راجع كتابي : القضية علي الترمذي والسياسة الشرعية لابن قيم الجوزية .

اليهودي . فقال شريحٌ لليهودي : ما تقولُ ؟ قال : درعي ، وفي يدي. قال شريحٌ : صدقتَ ، واللهِ ، يا اميرَ المؤمنين ، إنها لَدرعُك كما قلت ، ولكن لا بُدَّ من شاهد . فدعا قَنبَراً فشهد له . ودعا الحَسنَ والحُسينَ فشَهدا له . فقال : أما شهادةُ مولاك فقد قبلتُها ، وأما شَهادةُ ابنَيك لك ، فلا . فقال علي : سمعتُ عُمرَ بنَ الخَطّاب يقول : إن الحسنَ والحسينَ سَيّدا شباب اهلِ الجَنَّة . قال : اللهُمَّ ، نعم ، قال : أفلا تُجيز شَهادةَ سيدَي شباب اهلِ الجنة ؟ واللهِ لَتَخرُجَنَّ إلى بانقيا[١] فلتَقضِيَنَّ بين اهلها إربعين يوما . ثم سلَّمَ الدرعَ إلى اليهودي. فقال اليهودي : اميرُ المؤمنين مشى معي إلى قاضيه فقضى عليه فرضيَ به ، صدَقتَ إنها لَدرعُك ، سقطت منك يومَ كذا وكذا عن جَمَلٍ أورقَ[٢] فالتقطتُها . وأنا أشهَدُ أن لا إلَه إلا اللهَ وأن محمدا رسولُ الله . فقال علي : هذه الدرعُ لك ، وهذه الفرسُ لك . وفرض له في تسعمئة . فلم يَزل معَه حتى قُتِل يومَ صِفّين .

قال الشعبي : قال لي شريح: يا شَعبيُّ ، عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساءُ . قلت : وكيف ذاك ؟ قال: انصرفتُ من جنازة ذاتَ يوم مُظهِراً[٣] فمررتُ بدُور بني تميم ، فإذا امرأةٌ جالسةٌ في سَقيفة على وسادة وتُجاهَها جاريةٌ رُؤدٌ – يعني التي قد بلغت – ولها ذُؤابةٌ على ظهرها جالسةٌ على وسادة ، فاستَقَيت ، فقالت لي : ايُّ الشرَاب أعجبُ اليك ، النبيذُ ام اللبنُ ام الماءُ ؟ قلت : ايُّ ذلك تَيَسَّر عليكم . قالت : اسقُوا الرجلَ لبناً فاني إخالُه عربيا . فلما شربتُ نظرتُ إلى الجارية فأعجبتني فقلت : مَن هذه ؟ قالت : ابنتي . قلت : ومِمَّن ؟ قالت : زينبُ بنتُ حُدَيرٍ إحدى نساء بني تميم . قلت : أفارِغَةٌ أم مشغولةٌ ؟ قالت : بل فارغةٌ . قلت أتُزوِّجينيها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كَفِيًّا[٤] ، ولها عَمٌّ فاقصده . فانصرفت ، فاذا عمُّها جالس فقال : يا أبا أمية ، حاجتُك ؟ قلتُ : اليك . قال : وما هي؟ قلت : بنتُ اخيك ، زينبُ بنت حُدَير. قال : ما بها عنك رَغبةٌ ، وإنك لَنُهزَةٌ[٥] وزَوَّجَني . ثم اقبلت نساؤها يُهادينها . فلما أُجلستْ في البيت اخذتُ بناصيتها فبرَكتَ . فقلت لها : يا هذه ، إن من السُنَّة اذ أُدخلت المرأةُ على الرجل ان يُصلّيَ ركعتين وتصلّيَ ركعتين ، ويسألا اللهَ خيرَ ليلتهما ويتَعوَّذا بالله من شرِّها . فقُمت أُصلي ، ثم التفتُ فاذا هي خَلفي . فصلَّيتُ ثم التفتُ فاذا هي على فراشها . فمددتُ يدي فقالت لي : على رِسلك . اني امرأة عربية ،وانت رجل غريب لا أعرف أخلاقَك . فحدِّثني بما تُحبُّ فآتيَه ، وما تَكرَهُ فأنزجرَ عنه . فقلت : قدمتِ على اهلِ دارِ زوجُك سيدُ رجالِهم ، وانت سيدةُ نسائهم ، أُحِبُّ كذا ، وأَكرَه كذا . قالت: أخبِرني عن أَختانك[٦] أتُحب أن يَزوروك ؟ فقلت: إني رجل قاضٍ ، وما أُحبُ أن تُملُّوني .

فكنتُ لا أرى يوما إلا هو أفضلُ من الذي قبلَه . حتى اذا كان عندَ رأسِ الحَول دخلتُ منزلي فاذا عجوزٌ تَأمر وتَنهي . قلت : يا زينبُ ، مَن هذه؟ فقالت : أُمي . قلت : حَيّاكِ اللهُ

---

(١) من نواحي الكوفة. (٢) يخالط بياضه سواد. (٣) داخلا في الظهيرة. (٤) الذي يكفي ويغني عن الغير . وقد تكون مخففة عن كفي، وهو المماثل ، تعني كفوا لها . (٥) الفرصة تنتهز . (٦) اهل الزوجة .

بالسلام قالت : أبا امية َ، كيف انت وحالُك ؟ قلت: بخير ، قالت : كيف زوجتُك ؟ قلت : كخير امرأة . قالت : ان المرأةَ لا تُرى في حال أسوأ خُلقا منها في حالتين : اذا حَظِيَت عند زوجها ، واذا ولدت غُلاماً . فان رابَك منها رَيبٌ فالسَّوطَ . فان الرجال ، والله ، ما حازت إلى بيوتها شَرًّا من الوَرهاءِ (١) المتدلِّلة . قلت : اشهَدُ أنها ابنتُك ، قد كَفَتِنا الرِياضةَ وأحسنتِ الأدبَ . قال : فكانت في كل حَولٍ تأتينا فتذكُرُ هذا ثم تنصرف .

ثم قال : وكان لي جار لا يزال يضرِب امرأته فقلت:

رأيتُ رجالا يضـربـون نِساءَهـم ... فشُلَّت يميني يومَ أَضرِب زينبا

أأَضرِبُها في غير جُرمٍ أتــت بــه ... إليَّ فما عُذري اذا كنتُ مذنبا

فتاةٌ تَزيـنُ الحَلـيَ إن هي حُلِّيت ... كأنَّ بفيها المِسكُ خالطَ مَحلبا (٢)

مالك بن اسماء

هو مالكُ بنُ أسماءَ بنِ خارجةَ بنِ حِصنِ بنِ حُذَيفةَ بنِ بَدرٍ الفَزاريُّ .

كان الحجّاجُ بنُ يوسفَ ولّاه بأصبهان ، بعد أن تزوّج اختَه هنداً ، بعد حبسٍ طويل في خيانةٍ ظهرت عليه ثم خلاَّه . وطالت ايامه بأصبهانَ فظهرت عليه خيانةٌ أُخرى فحَبَسَهَ وناله بكل مكروهٍ . ويُقال إنه هرب من الحبس ، وكتب اليه بعضُ اهلِه أن يَمضيَ إلى الشام فيَستجيرَ ببعض بني اميةَ ، وقد كان خالدُ بنُ عتَّابٍ الرياحيُّ فعل ذلك .

اما خبرُ خالدِ بنِ عتَّابٍ ، فان الحجاجَ كان استعمله على الريِّ . فكتب اليه الحجاج يقول : يا ابنَ اللَّخناء ، انت الذي هربتَ عن ابيك حتى قُتِل . وقد كان حلَف ألاَّ يَسُبَّ احدٌ امَّه إلا اجابه كائنا من كان ، فكتب اليه خالدٌ : كتبتَ إلي تُلَخِّنُني ، وتَزعمُ أني فررتُ عن ابي حتى قُتِل . ولَعَمري لقد فررتُ لكن بعد أن قُتل ، وحين لم اجد لي مُقاتلا . ولكن أخبِرني عنك يا ابنَ اللخناء المُستفرِمةِ (٣) بعَجَم زبيبِ الطائفِ ، حين فررت انت وابوك يومَ الحَرَّةِ على جمل

(١) الحمقاء . (٢) شجر له حب يطيب به . (٣) تغتسل وتطيب بعد الحيض .

ثَفال (١) ، ايُّكما كان امامَ صاحبه . فقرأ الحجاجُ الكتابَ وقال : صَدَق . ثم طلبه فهرب إلى الشام ، وأتى رَوحَ بنَ زِنباعٍ فقال : إني جئتُك مستجيرا . فقال : قد أجرتُك . قال : فاني خالدٌ . فتغيّر وقال : إني لا آمَنُ عبدَ الملك . فأتى زُفَرَ بنَ الحارثِ الكِلابيَّ فقال : إني جئتُك مستجيرا . قال : قد أجرتُك . قال : انا خالدُ بنُ عتّابٍ . قال : وإن كنتَ خالدا . فلما اصبح دعا ابنين له فتهادى بينهما وقد أسنَّ . فدخل على عبدِ الملكِ ، فلما رآه دعا له بكرسيٍّ فجُعِلَ عندَ فِراشه ، فجلس ثم قال : يا اميرَ المؤمنين ، إني قد أجرتُ عليك رجلاً ، فأجِره . قال : قد أجرتُه ، إلا أن يكونَ خالداً . قال : فهو خالدٌ . قال : لا ، ولا كرامةَ .

فقال زفر لابنيه : أنهِضاني . فلما ولّى قال : يا عبدَ الملك ، اما واللهِ ، لو كنتَ تعلمُ أن يدي تُطيقُ حَملَ القَناةِ ورأسَ الجَوادِ لأجرتَ من أجرتُ . فضحِك وقال : يا ابا الهُذَيل قد أجرناه فلا أُرَيَنَّه .

قال ابن المنجم للجاحظ :

إني قرأتُ في فصلٍ من كتابك المُسمّى بكتاب البيانِ والتبيين : انما يُستحسَنُ من النساء اللَحنُ في الكلام ، واستشهدتَ ببيتَي مالكِ بنِ أسماءَ :

وحديثٍ ألَــذُّه هــو ممّــا ... يَنعَتُ الناعتون يُوزَنُ وَزنــا
مَنطِقٌ صائبٌ وتَلحَــنُ أحيــا ... ناً وأحلى الحديثِ ما كان لَحنــا

قال : هو كذاك . فقال : اما سمعتَ بخبرِ هند بنتِ أسماءَ مع الحجّاج ، حين لَحَنت في كلامها ، فعابَ ذلك عليها ، فاحتجّت ببيتَي أخيها ، فقالَ لها : إن أخاك أراد أن المرأةَ فَطِنَةٌ ، فهي تَلحنُ بالكلام إلى غيرِ الظاهر بالمَعنى لتَستُرَ معناه ، وتُورِّيَ عنه وتُفهِمَه مَن أرادت بالتعريضِ ، كما قال الله : « ولَتَعرِفَنَّهم في لحن القول » . ولم يُرِدِ الخطأَ في الكلام ، والخطأُ لا يُستحسَنُ من أحد .

فوجَم الجاحظُ ساعةً ثم قال : لو سَقطَ الي هذا الخبرُ اولاً لما قلتُ ما تَقدَّم . فقلت له : فأَصلِحه . فقال : الانَ وقد سار به الكِتابُ في الآفاق !

(١) بطيء ثقيل لا ينبعث إلا كرهاً .

حلف الفُضول

كان سببُ حِلفِ الفُضول أن رجلا من اهلِ اليمنِ قدِمَ مكةَ ببِضاعةٍ فاشتراها رجل من بني سَهم فلوى الرجلُ بحقّه ، فسأله متاعَه فأبى عليه فقام في الحِجرِ [١] فقال :

يـــا للّرجـــالِ لِمظلومٍ بِضاعتُـــه ببطنِ مكةَ نائي الدارِ والنّفَرِ
وأشعثَ مُحرِمٍ لَم يَقضِ حُــــرمتَه بين المُقَـــامِ وبين الرُكنِ والحَجَرِ

فقام العبّاسُ وابو سُفيانَ حتى ردّا عليه . واجتمعت بطونُ قريشٍ فتحالفوا على ردّ الظُلم بمكةَ . وألاّ يُظلَمَ رجلٌ بمكةَ الا منعوه وأخذوا له بحقه . وكان حِلفُهم في دارِ ابنِ جُدعانَ . تحالفوا على مثلِ حِلفٍ تحالف عليه قومٌ من جُرهُمٍ ألاّ يُقرّوا ظُلما ببطن مكةَ إلا غيّروه . واسماؤهم : الفَضلُ بنُ شِراعةَ والفضلُ بنُ قضاعةَ والفضلُ بنُ سَماعةَ ، فسُمّيَ حِلفُ الفُضول .

ابو عطاء السندي

اسمه أفلَحُ بنُ يَسارٍ مولى بني اسد . مَنشَؤُه الكوفةُ وهو من مخضرَمي الدولتين. مدح بني اميةَ وبني هاشمٍ . كان أبوه سِندياً أعجميا لا يُفصِح . وكان في لسان ابي عطاءٍ لُكنَةٌ شديدةٌ ولَثغَةٌ ، فكان لا يُفصِح . وكان له غُلام فصيحٌ سماه عطاءً وتكنّى به وقال : قد جعلتُك ابني وسمّيتُك بكُنيتي ، فكان يُرَوّيه شعرَه .

لما أثرى ابو عطاءٍ أعنتَه مولاه عَنبرٌ الأسديُّ حتى ابتاع نفسَه منه فقال يهجوه :

اذا مـــا كنتَ متخذاً خليـــلا فـــلا تَثِقَنْ بكل أخي إخاءِ
وان خُيّرتَ بينَهمُ فـــألصِــق بـــأهلِ العقلِ منهم والحَيـــاءِ
فإن العقـــلَ ليس لـــه اذا مـــا تُذوكِرَتِ الفضائلُ مـــن كِفاءِ [٢]

(١) الحجر : ما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال . (٢) المعادلة .

وقال يَمدحُ يزيدَ بنَ هُبَيرةَ وهو يَبني مدينتَه الّتي على شاطىء الفُرات :

أقام عـلى الفُراتِ يزيدُ حَـولاً فقال النـاسُ ايُّهُـما الفُراتُ

قال النَوفِليُّ :

كنتَ جالسا مع سليمانَ بنِ مُجالد وعندَه ابو عطاءٍ ، اذ قام راويةُ ابي عطاءٍ يُنشِد سليمانَ مديحا لابي عطاءٍ ، وابو عطاءٍ جالسٌ لا يتكلمُ اذ قال الراويةُ في إنشاده :

فمـا فَضَلَت يمينُـك مـن يميـنٍ ولا فَضَلَت شِمالُك من شِمالِ

هكذا بالرفع ، فغضِب ابو عطاءٍ وقال : ويلَك ، فما مدهتُه اذاً ، انما هَزوتُه . يريد « ما مدحتُه اذاً انما هجوتُه . ثم انشد ابو عطاء :

فمـا فَزَلَت يمينَك مـن يميـنٍ ولا فَزَلَت شمالَك من شِمالِ

فكِدتُ أضحَك ولم أجسُر لاني رأيت القوم جميعا بهم مثلُ ما بي وهم لا يضحكون خوفا منه .

خالد بن يزيد بن معاوية

كان من رِجالاتِ قريشٍ سَخاءً وعارِضةً وفَصاحةً وكان قد شَغلَ نفسَه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عُمرَه . وقد غلبَه مَروانُ بنُ الحَكَمِ على المُلك وتزوّج امَّه امَّ هاشمٍ .

لما قُتل ابنُ الزُبير حجَّ خالدُ بنُ يزيدَ فخطب رَملةَ بنتَ الزُبير بنِ العَوّام وكانت قبلَ خالدٍ عند عُثمانَ بنِ عبدِ الله بنِ حكيمِ بنِ حِزامٍ فولدت له عبدَ الله وهو زَوجُ سُكَينةَ بنتِ الحسينِ . فأرسل اليه الحجّاجُ حاجبَه وقال له : ما كنتُ أراك تَخطُبُ الى آلِ الزُبيرِ حتى تُشاوِرَني . وكيف خَطبتَ الى قومٍ ليسوا بأكفاءٍ ، وهم الذين قارعوا اباك على الخلافة ، ورمَوه بكل قبيحة ، وشَهِدوا عليه وعلى جَدِّك بالضَلالة . فنظر اليه خالدٌ طويلا ثم قال له : لولا أنك رسولٌ والرسولُ لا يُعاقَبُ ، لقطَّعتُك إرْباً إرْباً ، ثم طرحتُك على باب صاحبِك . قل له : ما كنتُ ارى أن الامورَ بلغت بك أن أُشاوِرَك في خِطبة النِساء . واما قولُك لي : قارَعوا اباك وشهِدوا عليه بكل قبيحٍ ، فإنها قريشٌ يُقارعُ بعضُها بعضًا . واما قولُك : إنهم ليسوا بأكفاءٍ ، فقاتَلَك اللهُ ، يا حَجّاجُ ، ما اقلَّ عِلمَك بأنسابِ قريشٍ . أيكونُ العَوّامُ كُفئا لعبد المُطَّلبِ بنِ هاشمٍ بتَزوُّجِه صَفيّةَ ، وبتزوُّجِ رسولِ اللهِ خديجةَ بنتَ خُويلدٍ ، ولا تَراهم أهلا لأبي سُفيانَ ؟ فرجَع الحاجب إليه فأعلمَه .

وفي رَملةَ يقول خالدٌ :

أحِنُّ الى بنتِ الزُبيرِ وقد علَت بنا العِيسُ خَرقاً من تُهامةَ او نَقبا (١)
اذا نزلت ارضاً تحبَّبَ اهلُها إلينا وإن كانت منازلُها جَدبا
تَجول خلاخيلُ النساءِ ولا أجِد لرملةَ خَلخالاً يَجولُ ولا قُلبا (٢)
أقِلُّوا عليَّ اللومَ فيها فإنني تَخيَّرتُها منهم زُبَيريَّةً قَلبا (٣)
أحِبُّ بني العَوّامِ طرًّا لحُبِها ومن حُبِّها احببتُ اخوالَها كَلبا

قدِم الحجاجُ على عبد الملك ، فمرَّ خالدُ بنُ يزيدَ ومعه بعضُ اهل الشام . فقال الشاميُّ لخالد : مَن هذا ؟ قال خالدٌ كالمستهزىء : هذا عَمرو بنُ العاص . فعَدَل اليه الحجاجً فقال : ما انا بعمرِو بنِ العاصِ ولا وَلَدتُ عمرًا ولا وَلَدني ، ولكني ابنُ الغطاريفِ من ثَقيف والعقائلِ (٤) من قريش ، ولقد ضربتُ بسيفي هذا اكثرَ من مئةِ الفٍ ، كلُّهم يَشهدُ أنك وأباك وجَدَّك من أهلِ النار ، ثم لم أجِد عندَك أجرًا ولا شُكرًا . وانصرفَ عنه وهو يقول : عَمرو بنُ العاص ..

تزوج مروانُ بنُ الحَكَمِ — لما ولي الخلافةَ — امَّ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ . فناظر خالدًا يوماً وأراد ان يَضعَ منه في شيءٍ جرى بينهما ، فقال له : يا ابنَ الرَطبةِ . فقال له خالد : انت بهذا أعلَمُ . ثم اتى امَّه فاخبرَها وقال : انتِ صنعتِ بي هذا . فقالت له : دَعه فانه لا يَقولُها لك بعدَ اليومِ . فدخل مروانُ عليها فقال لها : هل أخبرَك خالدٌ بشيء ؟ فقالت : يا اميرَ المؤمنين ، خالدٌ اشدُّ تعظيماً لك من أن يَذكُرَ لي خبرا جرى بينَك وبينَه . فلما امسى وَضعَت مِرفَقةً على وجهه وقعدت عليها هي وجواريها حتى مات . وأراد عبدُ الملك قتلَها . وبلَغَها ذلك فقالت : أمَا إنه اشدُّ عليك أن يَعلَمَ الناسُ أن اباك قتلته امرأةٌ . فكَفَّ عنها .

حاتم طي

يُكنَّى ابا سَفَّانةَ وابا عَديٍّ . وسَفَّانةُ ابنتُه وعديٌّ ابنُه .

قال علي : يا سُبحانَ الله ما أزهدَ كثيرًا من الناس في الخير . عَجِبتُ لرجل يَجيئُه اخوه في حاجة فلا يَرى نفسَه للخير اهلاً . فلو كنا لا نرجو جَنَّةً ، ولا نَخاف نارًا ، ولا ننتظِر ثَواباً .

(١) الخرق : الارض الواسعة تنخرق فيها الرياح . والنقب : الطريق في الجبل . (٢) القلب السوار ، وفي البيت كناية عن أنها ملينة الساقين . (٣) اي خالصة النسب . (٤) جمع عقيلة .

ولا نخشى عِقاباً ، لكان ينبغي لنا ان نطلبَ مَكارمَ الاخلاقِ فإنها تَدُلُّ على سبيلِ النّجاة .

فقام رجل فقال : فِداك ابي وامي ، يا اميرَ المؤمنين ، أسمعتَه من رسول الله ؟ قال : نعم . وما هو خيرٌ منه . لما أُتينا بسبايا طَيّءٍ كانت في النِساء جاريةٌ حَمَّاءُ [١] ، حَوراءُ [٢] ، العينين ، لَعساءُ [٣] لَمياءُ [٤] ، عَيطاءُ [٥] ، شَمَّاءُ الانف ، معتدِلةُ القامةِ ، دَرماءُ [٦] الكعبين ، خَدَلَّجَةُ [٧] الساقين ، لَفَّاءُ الفَخذين ، خَميصةُ [٨] الخصرِ ، ضامرةُ الكَشحين [٩] مصقولةُ المتنين . فلما رأيتُها أُعجبتُ بها فقلت : لَأَطلُبَنَّها الى الرسول ليجعلَها من فَيئي . فلما تكلَّمت أُنسيتُ جَمالَها لِما سمعتُ من فصاحتها . فقالت : يا محمدُ هَلَكَ الوالدُ ، وغاب الوافدُ ، فإن رأيتَ أن تُخليَ عَني ، فلا تُشمِت بي أحياءَ العرب . فإني بنتُ سيدِ قومي . كان ابي يَفُكُّ العانيَ ، ويَحمي الذِمارَ [١٠] ، ويَقري الضيفَ ، ويُشبعُ الجائعَ ، ويُفَرِّجُ عن المَكروب ، ويُطعِمُ الطَعامَ ، ويُفشي السَلامَ ، ولم يَرُدَّ حاجةَ طالبٍ قطُّ . انا بنتُ حاتِمِ طَيّءٍ . فقال لها الرسول : يا جاريةُ هذه صِفةُ المؤمنِ . لو كان ابوك إسلاميا لترَحَّمنا عليه . خَلّوا عنها ، فان اباها كان يُحِبُّ مكارمَ الأخلاق . واللهُ يُحِبُّ مكارمَ الأخلاق .

وامُّ حاتِمٍ غنيةٌ ، كانت في الجود بمنزلةِ حاتم . لا تَدَّخِرُ شيئا ، ولا يسألُها احدٌ شيئا فتَمنعهُ . وكانت تقول :

لَعَمري لَقَدما عضَّني الجوعُ عَضَّةً ... فآليتُ ألاّ أمنعَ الدهرَ جائعا

فقولا لهذا اللائمي اليومَ أعفِني ... فإن انت لم تَفعل فعَضَّ الأصابعا

وما إن تَرونَ اليومَ إلا طبائعا ... فكيف بتَركي يا ابنَ امِّ الطبائعا

وكانت سَفَّانةُ بنتُ حاتِمٍ من أجودِ نساء العرب وكان ابوها يُعطيها الصِرمةَ [١١] بعدَ الصِرمة من إبِله فتُنهِبُها وتُعطيها الناسَ . فقال لها حاتم : يا بُنيةُ ، إن القَويَّينَ اذا اجتمعا في المال أتلفاه . فاما أن أُعطيَ وتُمسكي . أو أُمسِكَ وتُعطي . فإنه لا يَبقى على هذا شيءٌ . وكان حاتمٌ من شعراء العرب وكان جَوادا يُشبِه شعرُه جودَه ويَصدُق قولَه فعلُه . وكان مُظَفَّرا اذا قاتل غلب ، واذا غَنِم أنهب ، واذا سُئِل وهب واذا سابق سَبَق ، واذا أَسَر أطلَق . وكان يقول :

وإني لَمِعَفُّ الفَقرِ مُشتَرَكُ الغِنى ... وتارِكُ شَكلٍ لا يُوافِقُه شَكلي

وشَكلي شكلٌ لا يَقوم لمثلِه ... منَ الناس الا كلُّ ذي نيقَة مِثلي [١٢]

---

(١) الأحم . الابيض والاسود. أضداد. (٢) الحَوَر في العين : ان يكون السواد شديد السواد ، والبياض شديد البياض. والحورية صاحبة حور. (٣) في شفتها السفلى سواد مستحسن. (٤) في باطن شفتها سمرة. (٥) مرتفعة. (٦) دارى لحمها عظمها ، وهو أدرم . (٧) الضخمة الممتلئة . (٨) ضامرة . (٩) الخصر بين الظهر والسرة . (١٠) كل ما يلزمك حمايته . (١١) القطعة . (١٢) الاسم من تنوَّق : أي التجود والمبالغة فيه .

ومن اشعاره في ماويةَ التي تزوجها بعد امرأته فولدت له عَدِيّاً :

أمـــاويَّ إن المالَ غادٍ ورائـــحٌ ويبقى من المال الأحاديثُ والذِكرُ
أماويَّ إني لا اقـــول لسائـــلٍ اذا جاء يوما حَلَّ في مالِنا النَذرُ[١]
أماويَّ مـــا يُغني الثَراءُ عن الفتى اذا حَشرجَت[٢] يوما وَضاقَ بها الصدرُ
وقـــد علِمَ الأقـــوامُ لو أن حاتما اراد ثَراءَ المالِ كان له وَفـــرُ

وكانت ماوية عنده زمانا . وان ابن عمٍّ لحاتم كان يُقال له مالك قال لها : ما تصنعين بحاتم ؟ فوالله لئن وجدَ شيئا لَيُتلِفَنَّه ، وان لم يجد ليتكلَّفَنَّ . وان مات ليترُكَنَّ ولده عَيالا على قومِك . فقالت : صدقتَ ، انه كذلك . وكان النساءُ يُطلِّقنَ الرجالَ في الجاهلية ، وكان طَلاقُهن أنهن إن كُنَّ في بيت من شَعَرٍ حوَّلنَ الخباء ، فان كان بابُه قِبَلَ الشرقِ حوَّلنه قِبَلَ الغرب . فاذا رأى ذلك الرجلُ عَلِم أنها قد طلَّقته ، فلم يأتِها . وإن ابنَ عم حاتمٍ قال لماويةَ ، وكانت أحسنَ نساءِ الناس : طلِّقي حاتما وانا أنكِحُكِ ، وانا خيرٌ لكِ منه ، وأكثرُ مالاً ، وانا أُمسِكُ عليكِ وعلى ولدِك . فلم يزل بها حتى طَلَّقت حاتما . فأتاها حاتمٌ وقد حوَّلت بابَ الخباء . فقال : يا عَدِيُّ ، ما ترى امَّك غدا عليها ؟ قال : لا أدري غير أنها قد غيَّرت بابَ الخباء . وكأنه لم يَلحن[٣] لما قال . فدعاه فهبَط به بطنَ وادٍ . وجاء قومٌ فنزَلوا على بابِ الخباء ، كما كانوا ينزلون . فتوافَوا خمسين رجلا . فضاقت بهم ماويةُ ذَرعا وقالت لجاريتها : اذهبي إلى مالكٍ فقولي له : إن أضيافاً لحاتم قد نزَلوا بنا خمسين رجلا . فأرسِل بنابٍ نَقرِهم ، ولَبَنٍ نَغبُقُهم[٤] . وقالت لجاريتها : انظُري إلى جَبينه وفمه ، فان شافهَكِ بالمعروف فاقبَلي منه وان ضرب بلحيته على زَوره وأدخلَ يدَه في رأسه فاقفُلي ودَعيه . وإنها لما أتت مالكا وجدته متوسِّدا وَطباً[٥] من لبن وتحت بطنه آخرُ . فأيقظته ، فأبلغته ما ارسلتها به ماويةُ . فأدخل يدَه في رأسه وضرب بلحيته على زَوره وقال لها : إقرئي عليها السلامَ وقولي لها : هذا الذي امرتُكِ ان تُطلِّقي حاتما فيه . فما عندي من كبيرة[٦] قد تركَت العملَ . وما كنتُ لأنحرَ صَفيَّةً ، وما عندي لبنٌ يَكفي أضيافَ حاتم . فرجعت الجاريةُ فاخبرتها . فقالت لها : إئتي حاتما فقولي : إن أضيافَكَ قد نزَلوا الليلةَ بنا ولم يَعلموا بمكانك . فأرسِل الينا بنابٍ نَنحرْها ونَقرِهم ، وبلبن نَسقِيهم . فأتت الجاريةُ حاتما فصرخت به . فقال حاتم : لَبَّيكِ ، قريبا دَعوت . فقالت : إن ماويةَ تَقرأ عليك السلامَ وتقول : إن أضيافَكَ قد نزَلوا بنا الليلةَ ، فأرسِل اليهم بنابٍ نَنحرْها ولبن نَسقيهم . فقال نعم ، وأبي . ثم قام إلى الإبِل فأطلق ثَنيتَّين[٧] حتى اتى الخباء فضرب عراقيبَهما . فطفِقت ماويةُ تَصيح وتقول : هذا الذي طَلَّقتُكَ فيه ، تَترُك ولدَك وليس لهم شيءٌ . فقال حاتم :

---

(١) اي أصبح قليلا . (٢) اي الروح عند ساعة الموت . (٣) لم يفطن . (٤) نغبق : نسقي . (٥) سقاء .
(٦) اي ناقة . (٧) ابنة سنتين .

هل الدهرُ الا اليومَ أو أمسِ أو غداً كذاكَ الزمانُ بيننا يتَردَّدُ
فمهلاً فداكِ اليومَ أمي وخالتي فلا يأمُرَنّي بالدنيَّةِ أسوَدُ
فهل تُرِكَت قبلي حُصونٌ مكانَها وهل مَن أبى ضَيماً وخَسفا مُخَلَّدُ
اذا كان بعضُ المالِ رَبّا لأهلِه فإني بحمد الله مالي مُعَبَّدُ

وقال :

اذا كنتَ رَبًّا للقَلُوصِ فلا يكن رفيقُك يَمشي خلفَها غير راكبِ
أنِخها فأردِفه فإن حملَتْكما فذاك، وان كان العِقابُ فعاقِبِ (١)

وخرج حاتمٌ يطلب حاجةً فلما كان بارضِ عَنَزَةَ ناداه اسيرٌ لهم : يا ابا سَفّانَةَ ، أكلَني الإسارُ والقَملُ . فقال : ويلَك ، ما انا في بلاد قومي ، وما معي شيءٌ ، وقد أسأتَ بي اذ نَوَّهتَ باسمي . فساوَمَ به العَنَزيين فاشتراه منهم ، فقال : خلّوا عنه وانا أُقيم مكانَه في قيدِه حتى أُؤدّيَ فداءَه . ففعلوا فأُتِيَ بفِدائه .

قال مِلحانُ ابنُ اخي ماويَّةَ امرأةِ حاتم : قلت لماويَّةَ : يا عمَّةُ ، حدثيني ببعض عجائبِ حاتم ، فقالت : كلُّ امره عَجَبٌ . فعن أيَّة تسأل ؟ قلت : حدثيني ما شئتِ . قالت : أصابت الناسَ سنةٌ فأذهبت الخُفَّ والظِلفَ (٢) . فاني ليلةً قد أسهرَنا الجوعُ ، فأخذ عديًّا واخذتُ سَفّانَةَ ، وجعلنا نُعلِّلهم حتى ناما . ثم اقبل علي يُحدّثني ويُعلِّلني بالحديث كي انامَ . فرقَقتُ له لِما به من الجَهد . فأمسكتُ كلامه لينامَ . فقال لي : أنِمتِ ؟ مرارا ، فلم أُجِب . فسكت . فنظر في فَتقِ الخِباء فاذا شيءٌ قد أقبل . فرفع رأسَه فاذا امرأةٌ ، فقال : ما هذا ؟ قالت : يا ابا سفّانةَ ، أتيتُك من عند صِبيةٍ يتعاوَون كالذئاب جُوعاً . فقال : أحضِريني صِبيانَك ، فوالله لأُشبِعَنَّهم . فقُمتُ سريعا فقلت : يا حاتمُ ، ما نام صِبيانُك من الجوع إلا بالتعليل . فقال : والله لأُشبِعَنَّ صِبيانَك مع صبيانها . فلما جاءت قام إلى فَرَسِه فذبحها ، ثم قَدَح نارا ، ثم أجَّجها ثم دفع اليها شَفرةً فقال : اشتوي وكُلي . ثم قال لي : أيقظي صبيانَك . فأيقظتُهم . ثم قال : واللهِ إن هذا لَلُؤمٌ . تأكلون وأهلُ الصِرمِ (٣) حالُهم مثلُ حالِكم . فجعل يأتي الصرمَ بيتاً بيتا فيقولُ : انهَضوا ، انهضوا ، عليكم بالنار . فاجتمعوا حول تلك الفرسِ ، وتَقَنَّعَ بكسائه فجلس ناحيةً فما أصبحوا ومن الفرس على الأرض قليلٌ ولا كثيرٌ إلا عظمٌ وحافرٌ ، وإنه لأشدُّ جوعا منهم ، وما ذاقَه .

(١) اي تعاقبا على الركوب . (٢) الخف للجمال . والظلف ، الحافر المشقوق ، للبقر والغنم والماعز . (٣) الحي .

ذو الرُّمَّة

هو غيلانُ بنُ عقُبةَ ويُكنّى ابا الحارث وذو الرُمَّةِ لقب لقّبته به ميّةُ كان اجتاز بخبائها وهي جالسةٌ إلى جنب امِّها ، فاستسقاها ماءً فقالت : قومي فاسقيه ، فقامت فأتته بماء ، وكانت على كتفه رُمَّةٌ ، وهي قطعةٌ من حبل ، فقالت : اشرب يا ذا الرُمَّةِ . فلُقِّب بذلك .

كان ذو الرمة مدوَّرَ الوجه ، حسنَ الشَعرةِ ، جعدَها ، أقنى ، أنزعَ[1] ، خفيفَ العارضين ، أكحلَ ، حسنَ الضحك ، مفَوَّهاً ، أبلغَ الناسِ اذا كلّمك ، يَضَعُ لسانه حيث يشاء .

كان صالحُ بنُ سليمانَ راويةً لشعر ذي الرُمّة . فأنشد يوما قصيدة له ، وأعرابي يَسمع فقال : اشهَدُ أنك لفقيهٌ ، تُحسِن ما تتلوه ، وكان يَحسَبه قرآنا .

قال حمّادٌ الراوية : ما أخَّر القومُ ذِكرَه إلا لحداثة سنّه ، وإنهم لحسدوه . كان الفرزدقُ وجريرٌ يحسُدان ذا الرمة .

قال الاصمعي : ما اعلمُ احداً من العُشّاق والحَضَريين وغيرَهم شكا حُبّاً احسنَ من شكوى ذي الرمة مع عِفّةٍ وعقل رصين .

قال ابو عمرو : خُتِم الشعرُ بذي الرمة ، وخُتِمَ الرَجَزُ برؤبةَ . وقيل له : فما تقول في هؤلاء الذين يقولون ؟ قال : كَلٌّ على غيرهم . إن قالوا حَسَنا فقد سُبِقوا اليه ، وإن قالوا قبيحا فمِن عندِهم .

قال ابن سلاّم : احسنُ الجاهلية تشبيهاً امرؤُ القيس ، وأحسنُ اهلِ الإسلام تشبيهاً ذو الرمة .

قالت جاريةٌ كانت لأمِّ ميّ :

كنا نازلين بأسفلِ الدهناء ، وكان رهطُ ذي الرُمة مجاورين لنا . فجلست ميٌّ ، وهي حينئذ فتاةٌ حين نَهد ثدياها ، تَغسل ثيابا لها ولأمها في بيتٍ منفرد وكان بيتا رثّاً قد اخلَق،ففيه خُروقٌ . فلما فرغت ولبست ثيابَها جاءت فجلست عند أُمِّها ، فأقبل ذو الرمة حتى دخل الينا ، ثم سلّم ونَشَد ضالّةً[2] وجلس ساعة ثم خرج . فقالت ميّةُ : إني لأرى هذا العَدَوِيَّ قد رآني منكشفةً واطّلع علي من حيثُ لا أدري ، فإن بني عَدِيٍّ أخبثُ قومٍ في الأرض . فاذهبي فقُصّي أثَره . فخرجتُ فوجدتُه ما يَثبُتُ مُقامَه . فقصصتُ أثَره ثانيةَ حتى رأيتُه قد تردد اكثرَ من ثلاثين طَرقَةً ، كلُ ذلك يدنو فيَطلّعُ اليها ثم يرجِع على عَقِبَيه ثم يعود فيطلّعُ اليها . فأخبرتُها بذلك . ثم لم نَنشب أن جاءنا شعرُه فيها من كل وجه .

---

(١) اقنى : مرتفع قصبة الانف . انزع : منحسر الشعر عن جانبي جبهته. (٢) اي ناقة ضالة .

ضاف ذو الرمّة زوجَ ميٍّ في ليلةٍ ظلماء ، وهو طامعٌ في ألاّ يَعرِفَه فيُدخلُه بيتَه فيَقريه فيراها . ففَطِن له الزوجُ وعرفه فلم يُدخله ، وأخرج اليه قِراه وتَركه بالعَراء ، وقد عرفته ميٌّ . فلما كان في جَوف الليل تغنّى غِناء الرُكبان قال :

أراجعةٌ يا ميُّ ايامُنا الألى بذي الأثلِ ام لا ما لهنَّ رجُوعُ

فغضِب زوجُها وقال : قومي فصيحي به : يا ابنَ الزانية ، وأيُّ ايامٍ كانت لي معَك بذي الأثل ؟ فقالت : يا سُبحانَ اللهِ ، ضيفٌ ، والشاعرُ يقول . فانتضى السيفَ وقال : واللهِ لأضربنَّك به حتى آتيَ عليك او تَقولي . فصاحت به كما امرها زوجُها . فنهض على راحلته فركبها وانصرف عنها مُغضَبًا يريد أن يَصرفَ مودّتَه عنها إلى غيرها ، فاذا هو بجِوارٍ خارجاتٍ من بيتٍ يَرِدن آخرَ ، واذا خَرقاءُ فيهن ، وهي امرأةٌ من بني عامرٍ ، فاذا جاريةٌ حلوة شَهلاءُ . فوقعتْ عينُ ذي الرمة عليها . فقال لها : يا جاريةُ ، أترقَعين لهذا الرجل خُفَّه ؟ فقالت تهزأ به : أنا خَرقاءُ ، لا أُحسِن أعملُ . فسماها خَرقاءَ ، وترك ذِكرَ ميٍّ يُريد بذلك ان يُغيظَ ميًّا . فقال فيها قصيدتين او ثلاثاً ثم لم يَلبَث أن مات .

قال ذو الرمة يوما :

أحينَ أعاذت بي تميمٌ نساءَها وجُرِّدتُ تَجريدَ اليَماني من الغِمدِ
ومدّت بضَبعَيَّ الرِّبابُ ومالكٌ وعَمرٌو وشالت من ورائي بنو سعدِ (١)
ومن آل يربوعٍ زُهاءٌ كأنه زُها الليل محمودٌ النِكاية والرِفدِ (٢)

فقال الفرزدق لا تعودَنَّ فيها ، فأنا احقُّ بها منك . قال : واللهِ لا اعود فيها ولا أُنشِدُها إلا لك . فهي قصيدة الفرزدق التي يقول فيها :

وكُنا اذا القيسيُّ نَبَّ عَتودُه ضربناه فوق الأُنثَيين إلى الكَردِ (٣)

الانثيان : الاذنان . والكرد : العنق .

كان جرير يقول : ما أحببت ان يُنسب الي من شعر ذي الرمة إلا قوله :

ما بالُ عينِك منها الماءُ ينسكبُ ...

فان شيطانه كان له فيها ناصحا .

قال ابن قُتَيبة : مكثت ميّةُ زمانا لا تَرى ذا الرمة وهي تسمع مع ذلك شعرَه ، فجعلت لله عليها ان تنحرَ بَدَنةً يومَ تراه . فلما رأته رجلا دميما اسودَ ، وكانت من اجمل الناس ، قالت : واسوْأتاه ، وابؤساه واضيعةَ بَدَنتاه . فقال ذو الرمة .

على وجهِ ميٍّ مَسحةٌ من مَلاحةٍ وتحتَ الثيابِ الشَينُ لو كان باديا

(١) الضبعان : العضدان . شالت : ارتفعت في الميزان لخفتها . (٢) زهاء . عدد كثير . زها الليل : شخص الليل .
(٣) نب : صاح التيس عند الهياج . عتود : جدي .

فكشفت ثوبَها عن جسدها ثم قالت : أشَيناً ترى، لا أمَّ لك ؟ فقال :

ألم ترَ أن الماءَ يَخبُثُ طعمُه وان كان لونُ الماءِ ابيضَ صافيا

فقالت : اما ما تحتَ الثياب فقد رأيتَه وعلمتَ أن لا شَينَ فيه، ولم يبقَ إلا ان اقول لك: هلمَّ حتى تذوقَ ما وراءه . ووالله لا ذُقتَ ذلك ابدا . فقال :

فيا ضيعةَ الشعرِ الذي لَجَّ فانقضى بميٍّ ولم املِك ضَلالَ فؤاديا

ثم صَلَح الامرُ بينهما بعدَ ذلك .

قال محمدُ بنُ الحَجاجِ الأُسَيديُّ : مرَّت عليَّ ميَّةُ وقد أسنَّت . فوقفتُ عليها وانا يومئذٍ شابٌّ ، فقلت : يا ميَّةُ ، ما ارى ذا الرمَّةِ الا قد ضيَّع فيك قولَه حيث يقول :

أما أنتَ عن ذِكراكَ ميَّةَ مُقصِرٌ ولا انتَ ناسي العهدَ منها فتَذكُرُ

تَهيمُ بها ما تَستفيقُ ودونَها حِجابٌ وابوابٌ وسِترٌ مُستَّرُ

فضحكَت وقالت : رأيتَني يا ابنَ اخي وقد ولَّيتُ وذهبت محاسني . ويرحَم الله غيلانَ، فلقد قال هذا فيَّ ، وانا احسنُ من النار المُوقَدَة في الليلة القَرَّةِ في عين المقرور . ثم صاحت : يا اسماءُ ، اخرُجي . فخرجت جاريةٌ كالمَهاة ، ما رأيتُ مثلَها ، فقالت : اما لمن شَبَّبَ بهذه وهَويَها عُذرٌ ؟ فقلت : بلى . فقالت : والله لقد كنتُ أزمانَ كنتُ مثلَها احسنَ منها ، ولو رأيتَني يومئذٍ لازدريتَ هذه ازدراءَك ايايَ اليومَ . إنصرف راشدا .

كان ذو الرمَّة يقرأ ويكتُب ويكتُم ذلك . فقيل له : كيف تقول :

عزيزُ ابنُ الله او عزيزُ بنُ الله ؟ فقال . اكثرُهما حُروفا . قال عيسى بنُ عُمرَ : قال لي ذو الرمَّة : ارفع هذا الحرفَ . فقلت له . أتكتبُ ؟ فقال بيده على فيه : أُكتُم عليَّ فإنه عندَنا عيبٌ .

قيل لبِلالِ بنِ جرير : أيُّ شعرِ ذي الرمَّة أجودُ ؟ فقال :

هل حَبلُ خَرقاءَ بعدَ اليوم مَرمومُ

انها مدينةُ الشعر .

قال المُفَضَّل الضَبِّيُّ : كنت انزِل على بعض الأعراب اذ حججت ، فقال لي : هل لك ان أُريك خَرقاءَ صاحبتَه ؟ فقلت : إن فعلتَ فقد بَررتَ . فعدل بي عن الطريق قَدرَ ميلٍ ثم أتينا ابياتَ شَعَر . فاستفتح بيتا ففُتِح له . وخرجت امرأةٌ طويلة ، حَسَّانةٌ بها قوة ، فسلَّمتُ وجلست فتحادثنا ثم قالت لي : هل حججتَ قطُّ ؟ قلتُ : غيرَ مرة . قالت : فما مَنَعَك من زيارتي ؟ اما علمتَ أني مَنسِكٌ مِن مَناسِك الحج ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : اما سمعتَ قولَ ذي الرمَّة :

تمامُ الحجِّ أن تَقِفَ المطايا على خَرقاءَ واضعةَ اللثامِ

قال الزيات: حدّثني احدُهم قال: رأيت خرقاء بالبصرة وقد ذهبت اسنانُها وإن في ديباجةِ وجهها لَبقيَّةٌ . فقلت : أخبريني عن السبب بينك وبين ذي الرمَّة. فقالت : اجتاز بنا في ركب ونحن عدَّةُ جَوارٍ على بعضِ المياه ، فقال : اسفِرن . فسَفَرن غيري . فقال : لئن لم تَسفِري لأفضحنَّكِ . فسَفَرتُ . فلم يزل يقول حتى أزبدَ . ثم لم أرَه بعد ذلك .

ولج الهجاء بين ذي الرمة والمرئي .. راجع جرير ج ٨

وتُوفّي ذو الرمَّة وهو يُريد هِشامَ بنَ عبدِ الملك وله اربعون سنة. وقال في طريقه:

بلادٌ بها أهــلون لستُ ابــنَ اهلِهـــا ... وأُخرى بها أهلون ليس بها أهلُ

وكانت مِيتةُ ذي الرمَّة انه اشتكى النَوطَةَ[1] فوَجَعها دهرا فقال في ذلك:

أَلفِتُ كلابَ الحـــيِّ حتى عرفنَني ... ومُدَّت نِساجُ العنكبوتِ على رَحلي

ودُفن برأس حُزوى وهي الرملة التي كان يذكرها في شعره ، والتي قال فيها:

خليليَّ عُوجــا من صدور الرواحـــلِ ... بجَرعاء حُزوى وابكيـــا في المنازلِ

لعلَّ انحدارَ الدمعِ يُعقِب راحـــــةً ... من الوجد أو يَشفي نَجِيَّ البلابـــلِ[2]

كان ذو الرمة حسنَ الصَلاة حسنَ الخُشوع . فقيل له : ما احسنَ صلاتَك ؟ فقال : ان العبدَ اذا قام بين يدي اللهِ تبارك وتعالى لحقيقٌ أن يَخشَعَ .

وهو القائل :

يا مُخرِجَ الروحِ من جِسمي اذا احتُضِرَت ... وفارجَ الكربِ زَحزِحني عنالنـــارِ

عاتكة

تزوّج عبدُ الله بنُ ابي بكرٍ الصدّيقِ عاتكةَ بنتَ زيدٍ وكانت امرأةً لها جمالٌ وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها . وكانت قد غلبته على رأيه . فمرَّ عليه ابو بكرٍ ، ابوه ، وهو في علِيَّة ، يُناغيها في يوم جُمُعة ، وابو بكرٍ متوجهٌ إلى الجمعة ، ثم رجع وهو يُناغيها ، فقال: يا عبدَ الله ، أَجَمَّعتَ ؟ قال: أَوَقد صلّي الناسُ ؟ قال : نعم . فقال : — وقد كان شغلَته عن سُوقٍ

(١) غدة مهلكة . (٢) البلابل : جمع بلبال أي شدة الهم والوسواس .

وتجارة كان فيها – قد شغلتك عاتكةُ عن المعاش وقد ألهتك عن فرائض الله ، طلّقها . فطلّقها تطليقةً ، وتحوّلت إلى ناحية الدار . فبينا ابو بكر يُصلّي على سطح له في الليل اذ سمعه وهو يقول :

أعاتكَ ما أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ وما ناحَ قُمريُّ الحَمامِ المُطوَّقُ
أعاتكَ قلبي كلَّ يومٍ وليلةٍ لديكِ بما تُخفي النفوسُ مُعَلّقُ
فلم أرَ مثلي طلّقَ اليومَ مثلَها ولا مثلَها في غيرِ شيءٍ تُطلّقُ

فاشرف عليه وقد رَقَّ له فقال : يا عبدَ الله ، راجِع عاتكةَ . فقال : أُشهدُك أني قد راجعتُها . واشرف على غُلام له يقال له أيمنُ ، فقال له : يا أيمنُ انت حرٌّ لوجه الله ، أُشهدُك أني قد راجعتُ عاتكةَ . ثم خرج اليها يجري إلى آخرِ الدار وقال :

أعاتكَ قد طُلّقتِ في غير رِيبةٍ ورُوجِعتِ للأمر الذي هو كائنُ
فإنك مِمن زيَّنَ اللهُ وجهَهُ وليس لوجهٍ زيَّنَ اللهُ شائنُ

واعطاها حديقةً له حينَ راجعَها على أن لا تتزوجَ بعدَه . فلما مات انشأت تقول :

فأقسمتُ لا تنفكُّ عيني سخينةً عليكَ ولا ينفكُّ جِلديَ أغبرا
مدى الدهرِ ما غنَّت حمامةُ أيكةٍ[1] وما طردَ الليلُ الصباحَ المُنوَّرا

وخطبها عُمرُ بنُ الخطّابِ فقالت : قد كان أعطاني حديقةً على ألاّ أتزوّجَ بعده . قال : فاستفتي . فاستفتت عليَّ بنَ ابي طالبٍ فقال : رُدّي الحديقةَ على أهلِه وتزوّجي . فتزوّجت عمر . فلما قُتل عمرُ قالت ترثيه :

مَنَعَ الرُقادُ فعادَ عينيَ عيدُ[2] مما تضمّنَ قلبيَ المعمودُ
يا ليلةً حُبِست عليَّ نُجومُها فسهرتُها والشامتون هُجودُ[3]

فلما انقضت عِدّتُها خطبها الزُبير بنُ العوّام فتزوّجها . فلما قُتل عنها الزبير قتله ابن جُرموزٍ رثته فقالت :

شُلّت يمينُكَ إن قتلتَ لمُسلماً حلّت عليك عقوبةُ المتعمّدِ

فلما انقضت عِدّتُها تزوجها الحُسين بن علي . فكانت اول مَن رفع خدَّه من التراب وقالت ترثيه :

وحُسينا فلا نسيتُ حسيناً أقصدتهُ أسنّةُ الاعداءِ
غادروه بكربلاءَ صريعاً جادتِ المُزنُ في ذُرى كربلاءَ

---

(١) أيكة : الواحدة من الشجر الكثير الملتف . (٢) مايعتاد الانسان من هم وألم . (٣) رقود .

ثم تأيّمت بعد ذلك . فكان يُقال : مَن اراد الشهادةَ فليتزوّج عاتكةَ . ويقال إن مَروان بنَ الحكم خطَبها بعد الحُسين فامتنعت عليه وقالت : ما كنت لأتّخذَ حَماً بعدَ رسول الله !

وقيل : لما قتل الزبيرُ وخلَت عاتكةُ خطبها عليٌّ بنُ ابي طالب فقالت له : اني لأضَنُّ بك على القتلِ يا ابنَ عمّ رسول الله .

دنانير

كانت مولاةَ يحيى بنِ خالدِ البرمكيِّ وكانت من أحسنِ الناس وجها واكملهن وأحسنِهن ادباً، واكثرهن روايةً للغناء والشعر . وكان اعتمادُها في غنائها على ما اخذته من بذلٍ وهي خرّجتها. وكان الرشيدُ لشغَفه بها يُكثر مَصيرَه إلى مولاها ويُقيم عندَها ويُبرُّها ويُفرط، حتى شكته زُبيدةُ إلى أهله وعُمومته ، فعاتبوه على ذلك ، فقال : مالي في هذه الجاريةِ من أرَبٍ في نفسها ، وانما أربي في غنائها ، فاسمعوها ، ثم قولوا ما شئتم . ثم نقلهم إلى يحيى حتى سمعوها عنده فعذَروه ، وعادوا إلى أم جعفرَ فاشاروا عليها ان لا تَلجَّ في امرِها . فقبِلت ذلك ، واهدت إلى الرشيدِ عشرَ جوارٍ منهن ماردةُ امُّ المعتصم ، ومراجلُ امُّ المأمونِ وفاردةُ امُّ صالِح.

ودعا الرشيدُ بدنانيرَ بعد قتله البرامكةَ فأمرها ان تُغني ، فقالت : يا امير المؤمنين ، إني آليتُ أن لا أغني بعد سيدي ابدا . فغضب وامر بصفعها . فصُفِعت وأُقيمت على رجليها. وأُعطيت العودَ فأخذته وهي تَبكي احرَّ بُكاءٍ فغنّت :

يـا دارَ سَلمـى بنازح السَنَـدِ بين الثنايـا ومَسقَطِ اللبَـدِ
لما رأيـتُ الديـار قـد دَرَسـت ايقنتُ أن النعيمَ لم يَعُـدِ

فرقَّ لها الرشيدُ وامر باطلاقها ، فانصرفت . ثم التفت إلى ابراهيمَ بنِ المهديِّ فقال له : كيف رأيتَها ؟ قال : رأيتُها تَختلُه برِفقٍ وتَقهَرُه بحِذقٍ . (اي الصوت) .

وخطبها عقيدٌ مولى صالحِ بنِ الرشيد فلم تُجبه واقامت على الوَفاء لمولاها إلى أن ماتت .

والبة بن الحَباب

أَسديٌّ صليبةً، كُوفيٌّ، شاعر من شعراء الدولة العباسية، وهو أُستاذُ ابي نُواس . كان ظريفا، شاعرًا ، غَزِلا ، وصَّافا للشَراب والغُلمان المُرد . وقد هاجى بَشارا وابا العتاهيةِ فلم يصنع شيئا وفضحاه ، فعاد إلى الكوفة كالهارب وخَمَل ذكرُه بعدُ .

قال الجاحظ : كان والبةُ بنُ الحَبابِ ومطيعُ بنُ إياسٍ وابنُ المقفَّعِ وحَمّادُ عجرد وحَمّادٌ الراويةُ وبشارٌ نُدَماءَ يجتمعون على الشَراب وقولِ الشعر ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضُهم بعضا هَزلا وعَمدا ، وكلُهم مُتَّهَمٌ في دِينه .

حَدَّث والبةُ أنه كان ليلةً نائما وابو نُواسٍ غُلامُه إلى جانبه نائمٌ اذ أتاه آتٍ في منامه فقال له : أتَدري مَن هذا النائمُ إلى جانبك ؟ قال : لا . قال : هذا أشعرُ منك واشعرُ من الجن والإنس . لَأَفتُنَنَّ بشعره الثَقَلين، ولَأُغريَنَّ به اهلَ الشرقِ والغرب . قال : فعلمت أنه ابليسُ، فقلت له: فما عندَك ؟ قال : عصيتُ ربي في سجدةٍ فأهلَكَني . ولو أمرني ان اسجُدَ له الفا لسجدت[١] .

عمران بن حطّان

أصلُه من البصرةِ ويُكنَّى ابا سِماك . شاعرٌ فصيح من شعراء الشُراة ودُعاتِهم والمقدَّمين في مذهبهم . كان من اهل السُنَّةِ والعلمِ فتزوج امرأة من الشُراة من عشيرته وقال : ارادها عن مذهبها إلى الحقِّ، فأضلَّته وذهبت به . فلما اشتهر بهذا المذهب طلبه الحجَّاج فهرب إلى الشام . فكتب فيه إلى عُمّاله وإلى عبد الملك . ولم يزل يتنقل في أحياء العرب وقد قال في ذلك :

---

(١) ومن مختار شعره : ولها ولا ذنبَ لها حب كأطراف الرماحِ
في القلب يجرح دائباً فالقلب مجروح النواحي
ويروى الشطر الاول من البيت الثاني بروايات عدة ، وانظر تكملتها في كتاب اخبار ابي نواس لابن منظور الجزء الاول .

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حُبّاً بَناتي إنهن من الضِعافِ
مخافةَ أن يَذُقن البؤسَ بعدي وأن يَشربن رَنقا بعد صافي
ولولا ذاك قد سوَّمتُ(١) مُهري وفي الرحمن للضُعفاءِ كافي

ثم لحِق بالشام فنزَل برَوحِ بنِ زِنباعٍ الجُذاميّ فقال له روحٌ: ممن انت؟ قال: من الأزد.

وكان روحٌ يَسمُر عند عبد الملك، فقال له ليلةً: يا اميرَ المؤمنين، ان في اضيافنا رجلا ما سمعتُ منك حديثاً قطُّ إلا حدَّثني به وزادَني ما ليس عندي. قال: ممن هو؟ قال: من الأزد. قالَ: اني لأسمعُك تَصِف صِفةَ عِمرانَ بنِ حَطّانَ، لاني سمعتُك تذكر لُغةً نِزاريّةً وصَلاةً وزُهداً وروايةً وحفظا، وهذه صِفته. فقالَ رَوحٌ: وما انا وعِمرانَ بنَ حَطّانَ؟ ثم دعا بكِتاب الحَجّاج فاذا فيه:

اما بعد، فان رجلا من اهل الشِقاق، والنِفاق قد كان افسدَ علي اهلَ العِراق، وحبَّبهم بالشراية ثم إني طلبتُه، فلما ضاق عليه عملي تحوَّلَ إلى الشام، فهو يتنقل في مدائنها، وهو رجل ضَربٌ طُوالٌ أفوَهُ(٢) أزرَقُ. قال روحٌ: هذه، والله، صفةُ الرجل الذي عندي. ثم أنشد عبدُ الملكِ قولَ عِمرانَ يَمدح عبدَ الرحمن بنَ مُلجَمٍ بقتله اميرَ المؤمنين عليِّ بنِ ابي طالب:

يا ضربةً من كريمٍ ما اراد بها الا ليبلُغَ من ذي العَرش رُضوانا
إني لأُفكِرُ فيه ثم أحسَبُه أوفي البريّةِ عندَ اللهِ ميزانا

ثم قال عبدُ الملك: مَن يعرف منكم قائلَها؟ فسكت القومُ جميعا. فقال لروحٍ: سَل ضيفك عن قائلها. قال: نعم. انا سائلُه. وراح رَوحٌ إلى أضيافه فقال: إن امير المؤمنين سألَنا: من الذي يقول:

يا ضربة من كريم ما اراد بها ...

ثم ذكر الشعر. فلم يكن عند احد منهم علمٌ. فقال له عِمرانُ: هذا قولُ عِمرانَ بنِ حَطّانَ في ابنِ مُلجَم قاتلِ علي بن ابي طالب. قال: فهل فيها غيرُ هذين البيتين تُفيدُنيه؟ قال: نعم:

للهِ درُّ المُراديِّ الذي سفكت كفّاه مُهجةَ شرِّ الخَلْفِ(٣) إنسانا
امسى عشيّةَ غَشّاهُ بضربتِه مما جناه من الآثام عُريانا

فغدا رَوحٌ فأخبر عبد الملك. فقال: من اخبرك بذلك؟ فقال: ضيفي. قال: اظنُّه عِمرانَ بنَ حطّان. فأعلمه أني قد امرتُك أن تأتيَني به. قال: أفعل. فراح روحٌ الى اضيافه فأقبل على عِمرانَ فقال له: إني ذكرتُك لعبد الملك فأمرني ان آتيَه بك. قال: قد كنت أُحبُّ ذلك منك، وما منعني من ذكره الا الحياءُ منك. وانا مُتَّبِعُك. فانطلق فدخل روحٌ على عبد الملك، فقال له: اين

(١) سومه: أطلقه يرعى. (٢) ضرب: الخفيف في الحاجة، الظريف. الأفوه: ذو الفوه الواسع. (٣) الخلف: الذين يخلفون غيرهم.

صاحبُك ؟ فقال : قال لي : انا متَّبِعُك . قال : اظُنُّك ، والله ، سترجِعُ فلا تجدُه . فلما رجَع روحٌ الى منزله اذا عِمرانُ قد مضى واذا هو قد خلّف رُقعةً في كُوّةٍ عند فِراشه واذا فيها :

يا رَوحُ كم من اخي مَثوًى نزَلتُ به قد ظن ظنّك من لَخمٍ وغسّانِ
حتى اذا خِفتُه غادرتُ منزلَه من بعد ما قيل عِمرانُ بنُ حَطّانِ
قد كنتُ ضيفَك حَولاً لا تُروِّعُني فيه الطوارقُ من إنسٍ ولا جانِ
حتى اردتَ بي العُظمى فأوحشَني ما اوحشَ الناسَ من خوفِ ابن مَروانِ

اجتمعت الشعراء عند عبد الملك فقال لهم : أبَقِيَ احدٌ اشعرُ منكم ؟ قالوا : لا . فقال الاخطلُ : كذَبوا يا اميرَ المؤمنين، قد بَقِي من هو اشعرُ منهم . قال : ومَن هو ؟ قال : عِمران بن حطان . قال : وكيف ؟ قال : لانه قال وهو صادقٌ ففاقهم ، فكيف لو كذَب كما يكذِبون .

لما دخلت غَزالةُ الحَرورية[1] على الحجاج هي وشبيبٌ ، الكوفةَ تحصَّنَ منها وأغلقَ عليه قصرَه . فكتب اليه عِمرانُ بنُ حَطّانَ :

اسدٌ عليَّ وفي الحُروبِ نَعامةٌ رَبداءُ تَجفُلُ من صَفيرِ الصافرِ
هلاّ برزتَ الى غَزالةَ في الوغى بل كان قلبُك في جَناحَي طائرِ
صَدعت غزالةُ قلبَه بفوارس تركت مدابرَه كأمسِ الدابرِ

مرَّ عِمرانُ على الفرزدق وهو يُنشد والناسُ حولَه فوقف عليه ثم قال :

ايها المادحُ العبادَ ليُعطى إن لله ما بأيدي العبادِ
فاسألِ اللهَ ما طلبتَ اليهم وارجُ فضلَ المُقسِّمِ العوّادِ
لا تقل في الجَوادِ ما ليس فيه وتُسمّي البخيلَ باسم الجَوادِ

فقال الفرزدق : لولا ان اللهَ شغلَ هذا عنا برَأيِه لَلَقِينا منه شرًّا .

وقالت له امرأته : ألم تزعَم أنك لا تكذِب في شعرك ؟ قال : بلى : قالت : افرأيت قولَك :

وكذاك مَجزأةُ بنُ ثورٍ كان أشجعَ من أسامَه[2]

ايكون رجلٌ اشجعَ من الاسد ؟ قال : نعم . ان مجزأة بنَ ثورٍ فتح مدينةَ كذا ، والاسدُ لا يقدِر على فتح مدينة .

(١) الحرورية ، هم الخوارج ، نسبوا الى حوراء لاجتماعهم بها . (٢) أسامة : علم للأسد .

عمرو بن قَمِيئة

كان من قُدَماء الشعراء في الجاهلية ، واولَ من قال الشعر من نِزارٍ ، وهو اقدمُ من امرئ القيس . كان شاعرا فحلا مقدَّما ، وكان شابًّا جميلا حسنَ الوجه مديدَ القامةِ حسنَ الشعر . مات ابوه وخلَّفه صغيرا فكَفَلَه عمُّه مَرثَدُ بنُ سعدٍ ، وكان عمُّه مُحِبا له مُعجَبًا به ورفيقا عليه.

وكان لمرثدِ بنِ سعدٍ امرأةٌ ذاتُ جَمال ، فهَوِيت عَمرًا وشُغِفَت به ولم تُظهِر له ذلك . فغاب مرثدٌ لبعض امره ، فبعثت امرأته الى عمرٍو تدعوه على لسان عمه ، وقالت للرسول : ائتني به من وراءِ البيوت . ففعل . فلما دخل أنكر شأنها . فوقفت ساعةً ثم راودته عن نفسه فقال : لقد جئتِ بامر عظيم ، وما كان مثلي لِيُدعى لمثل هذا . واللهِ لو لم امتنع من ذلك وفاءً لعمِّي ، لأمتنعَنَّ منه خوفَ الدَّناءةِ والذِكرِ القبيح الشائعِ عني في العرب . فقالت : واللهِ لتَفعلَنَّ او لَأَسُوأنَّك . قال : الى المَساءة تَدعينني . ثم قام فخرج من عندها . وخافت ان يُخبِرَ عمَّه بما جرى فأمرت بجَفنة فكُفِئت [١] على أثَرِ عمرٍو . فلما رجَع عمُّه وجدها متغضِّبةً ، فقال لها : مالَكِ ؟ قالت : ان رجلا من قومِك قريبَ القرابةِ جاء يستامني نفسي ويريد فِراشَك منذ خرجتَ. قال : ومن هو ؟ قالت : اما انا فلا أسمِّيه ، ولكن قم فاقتفِ اثرَه تحت الجَفنة . فلما رأى الاثر عرفه . وكان لمَرثدٍ سيفٌ يُسمى ذا الفَقار ، فاتى ليضربَه به ، فهرب فأتى الحِيرةَ ، فكان عند اللَخميين .

وعُمِّر ابنُ قَميئةَ تسعين سنة فقال لما بلغها :

كأني وقد جاوزت تسعين حِجةً خلعتُ بها عني عِنانَ لِجامِ
على الراحتين مرةً وعلى العصا أَنُوءُ ثلاثاً بعدَهن قِيامي
رمتني بناتُ الدهر [٢] من حيثُ لا أرى فما بالُ مَن يُرمى وليس برامِ
فلو أن ما أُرمى بنبلٍ رميتُها ولكنما أُرمى بغير سِهامِ

نزل امرُؤُ القيس بنُ حُجرٍ ببكرِ بنِ وائلٍ وضرب قبَّته وجلس اليه وجوهُ بكر فقال لهم : هل فيكم احد يقول الشعر ؟ قالوا : ما فينا شاعر الا شيخٌ قد خلا من عمرِه وكَبِر . قال : فَأتوني به . فأتَوه بعمرِو بنِ قَميئةَ وهو شيخٌ ، فأنشده فأُعجِب به . فخرج به معه الى قيصر ، واياه عنى امرُؤُ القيس بقوله :

---

(١) كفئ : قلب . (٢) بنات الدهر : الدواهي .

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونَـــــه ... وأيقنَ أنّا لاحقان بقيصـــــرا
فقلتُ له لا تبكِ عينُك إنمــــــا ... نُحاول مُلكاً أو نموتَ فنُعذَرا

محمد بن مُناذر

يُكنّى ابا جعفر. شاعر فصيح متقدّمٌ في العلم باللُّغة وإمامٌ فيها ، وكان في اول امره يتألّه (١) ثم عَدَل عن ذلك فهجا الناس وتهتّك وخلَع وقَذَف أعراضَ اهلِ البصرة حتى نُفي عنها الى الحجاز ، فمات هناك . ولما عدل ابن مُناذر عما كان عليه من النسك والتألُّه وعَظَته المُعتزلةُ فلم يتّعظ ، وأوعدته بالمكروه فلم يزدجر ، ومنعوه دخولَ المسجد فنابذهم وطعن عليهم وهجاهم وكان يأخذ المِدادَ بالليل فيطرحُه في مطاهرهم ، فاذا توضّأوا به سَوَّد وجوهَهم وثيابَهم .

دخل ابنُ مُناذرِ المسجدَ الجامعَ بالبصرة فوقعت عينُه على غُلام مستند فخرج والتمس غلاماً ورُقعةً ودَواةً ، فكتب اليه ابياتا مدحه بها ، وسأل الغلام الذى التمسه ان يُوصِلَ الرُقعة الى الفتى المستندِ الى السارية . فذهب بها الغلام . فلما قرأها قَلَبها وكتب على ظهرها :

مِثلُ امتداحِك لي بــلا وَرِقٍ (٢) ... مِثلُ الجِدارِ بُني (٣) على خُــصِّ
وألذُّ عندي من مديحِـــكَ لـــــي ... سُودُ النِعالِ ولَيِّنُ القُمـــصِ
فاذا عزمتَ فهَيِّ لي وَرِقـــاً ... فاذا فعلتَ فلستُ استعصـــي

فلما قرأها ابن مُناذر قام اليه وقال له : ويلك أأنت ابو نُواس ؟ قال : نعم . فسلّم عليه وتعانقا .

اجتمع ابو العتاهية وابنُ مُناذر ، فقال له ابو العتاهية : كيف انت في الشعر ؟ قال : اقول في الليلة ، اذا سَنَح القولُ لي واتسعت القوافي ، عشرةَ ابياتٍ الى خمسةَ عَشَرَ . فقال ابو العتاهية : لكني لو شئت ان اقولَ في الليلة الفَ بيتٍ لقلت . فقال ابن مناذر : اجل ، والله لو اردتُ ان اقولَ مثلَ قولِك :

الا يـــا عُتبـــةَ الساعــــــهْ ... اموتُ الساعـــةَ الساعــــــهْ

لقلتُ ، ولكني لا أعوِّد نفسي مثلَ هذا الكلامِ الساقطِ ، ولا اسمح لها به . فخجِل ابو العتاهية وقام يَجُرُّ رجلَه .

(١) يتأله : يتنسك . (٢) الدراهم المضروبة . (٣) سكن الفعل الماضي لضرورة الشعر .

وقيل: لقيَ ابو العتاهية ابنَ مُناذر بمكةَ فجعل يمازحه، ثم دخل على الرشيد فقال: يا امير المؤمنين ، هذا ابن مُناذر شاعرُ البصرة يقول قصيدةً في سنة ، وانا اقول في سنة مئتي قصيدة . فقال الرشيد : أدخِله الي . فأدخلَه اليه وقدَّر أن يَضَعَه عنده . فدخل فسلم ودعا . فقال : ما هذا الذي يحكيه عنك ابو العتاهية ؟ فقال : وما ذاك يا امير المؤمنين ؟ قال : زعم أنك تقول قصيدةً في سنة، وانه يقول كذا وكذا قصيدةً في السنة . فقال: يا امير المؤمنين ، لو كنت اقول كما يقول :

الا يــا عُتبــةَ الساعــهْ اموتُ الساعــةَ الساعــهْ

لقلت منه كثيرا ، ولكني الذي اقول :

ان عبدَ المجيـد[1] يوم تولّـى هَدَّ رُكنا ما كان بالمَهـدودِ
ما درى نَعشُه ولا حاملـوه ما على النعشِ من عفافٍ وجُـودِ

فقال له الرشيد: هاتِها فانشدنيها. فأنشده . فقال الرشيد: ما كان ينبغي ان تكون هذه القصيدةُ إلا في خليفة أو ولي عهد . ما لها عيبٌ الا إنك قُلتَها في سُوقة . وامر له بعشرة آلاف درهم . فكاد ابو العتاهية يموت غمًّا وأسفا.

قال اسحاق : قال ابن مناذر : قلتُ :

يَقدَحُ الدهرُ في شماريخِ رَضـوى

ثم مكثت حولا لا أدري بمَ أتمه — وهي القصيدة التي يرثي بها عبد المجيد — فسمعتُ قائلا يقول : هَبُّود . قلت : وما هبود ؟ فقال لي : جُبيل في بلادنا . فقلت :

ويَحُطُّ الصخورَ مـن هَبُّـودِ

وسمع أعرابي هذا البيتَ فقال: ما اجهل قائلَه بهبود. والله انها لأكَيمةٌ ما تُواري الخارِىءَ، فكيف يحط منها الصخور .

وقال ابن كركرة : انشدني ابن مناذر قصيدته الدالية ، فلما بلغ الى قوله :

ويحط الصخور من هَبُّـودِ

قلت له : هبود اي شيء هو ؟ فقال : جبل . فقلت سخنت عينك . هبود ، والله ، بئر باليمامة ماؤها ملح ، وقد ، والله، خريت فيها مرّاتٍ. فلما كان بعد مدة وقفت عليه في مسجد البصرة وهو ينشدها. فلما بلغ البيت انشدها :

ويحط الصخورَ من عَبُّـودِ

فقلت له : عبود ايُّ شيء هو ؟ فقال : جبل بالشام ، فلعلّك ، يا ابن الزانية خريتَ عليه ايضا . فضحكت وانصرفت عنه .

---

(١) فتى كان يتعشقه ابن مناذر .

وقال ابن مناذر : حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحج معه الفضل بن الربيع ، وكنت مُضيقاً (١) مُملقاً ، فهيأتُ فيه قولا أجدتُ تنميقَه وتنوَّقتُ (٢) فيه . فدخلت اليه ، فاذا هو يسأل عني ويطلبني . فبدرني الفضل قبل ان اتكلم فقال : يا امير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ومادحُهم . وقد كان البِشرُ ظَهَرَ لي في وجهه لما دخلتُ ، فتنكَّر وعَبَس في وجهي . فقال الفضلُ : مُرْهُ يا اميرَ المؤمنين ان يُنشِدَك قولَه فيهم :

اتانا بنو الأملاك (٣) من آل برمك . . .

فقال لي : أنشِد . فأبيتُ . فتوعَّدني وأكرهني . فأنشدته :

اتانا بنو الأملاكِ من آل برمكٍ ... فيا طِيبَ أخبارٍ ويا حُسنَ مَنظرِ
اذا وردوا بطحاءَ مكةَ اشرقت ... بيحيى وبالفضلِ بنِ يحيى وجَعفرِ
فتُظلِمُ بغدادٌ ويجلو لنا الدُجى ... بمكةَ ما حَجُّوا ثلاثةَ أَقمُرِ
فما صَلُحت إلا لجودٍ أكفُّهم ... وأرجلُهُمُ إلا لأعوادِ مِنبَرِ
اذا راضَ يحيى الامرَ ذلَّت صِعابُه ... وحسبُك من راعٍ له ومُدبِّرِ

ثم قلت : كانوا أولياءك يا امير المؤمنين ايامَ مَدحتُهم ، وفي طاعتك لم يلحقهم سُخطُك ولم تحلُل بهم نَقمتُك ، ولم اكن في ذلك مُبتدعا ، ولا خلا احدٌ من نظرائي من مدحهم . وكانوا قوما قد أظلَّني فضلُهم ، وأغناني رِفدُهم فأثنيتُ بما أَولَوا . فقال : يا غلامُ ، أَلطُم وجهَه . فلُطِمتُ حتى سَدِرتُ (٤) وأظلَمَ ما كان بيني وبينَ اهلِ المجلس . ثم قال : اسحَبوه على وجهه . فسُحِبتُ حتى أُخرِجتُ ، وانصرفتُ وانا اسوأُ الناسِ حالا ، ولا والله عندي ما يُقيم يومئذ قوتَ عيالي . فاذا بشابٍّ قد وقف علي ثم قال : أَعزِز علي (٥) والله ، يا كبيرَنا بما جرى عليك . ودفع الي صُرَّةً وقال : تبلَّغ بما (٦) في هذه . فظننتُها دراهمَ ، فاذا هي مئةُ دينارٍ . فقلت له : من انت ، جعلَني الله فِداءك ؟ قال : انا اخوك ابو نُواس.

قال سُفيانُ بنُ عُيَينة : سمعتُ أعرابيةً تقول : من يَشتري مني الحَزاةَ ؟ فقلت لها : وما الحَزاةُ ؟ قالت : تشتريها النساءُ للطَشَّة والخَافية والإقلات. فسُئِل ابنُ مُناذرٍ عن تفسير ذلك فقال: الطشَّةُ : وجعٌ يُصيب الصبيانَ في رؤوسهم كالزُكام . والخافية : ما خَفي من العِلل المنسوبة الى أذى الجن . والإقلات : قلَّة الولد. وأنشد :

بُغاثُ الطيرِ اكثرُها فِراخاً ... وأمُّ الصقرِ مِقلاتٌ نَزورُ (٧)

وسُمِع ابنُ مُناذرٍ يقول: العذراءُ البتولُ ، والبَتورُ، والبَتيل واحد ، وهي المنقطعة الى ربِّها .

---

(١) مضيق : واقع في ضائقة . مملق : فقير . (٢) تأنقت . (٣) الأملاك : جمع ملك . (٤) تحيرت . (٥) صيغة للتعجب مثل : ما أعز علي ما جرى . (٦) التبلغ : ما يكفي من العيش. (٧) بغاث : كل طائر ليس من الجوارح . مقلات : التي لا تضع الا واحداً . نزور ، من فعل نزر اي قل .

أَشجع

كان اشجعُ بنُ عمرو السُلَميُّ يُكنّى ابا الوليد. وُلد في اليَمامة ونشأ في البصرة. قال الشعر واجاد وعُدَّ من الفحول. وكان الشعرُ يومئذ في ربيعةَ واليمنِ ولم يكن لقيسٍ شعرٌ معدودٌ. فلما نَجَم أشجعُ افتخرت به قيس. ثم خرج اشجعُ الى الرَقّة، والرشيدُ بها، ومدح البرامكة وانقطع الى جعفرٍ وأصفاه مدحَه فأُعجِب به ووَصَله الى الرشيد. ومدحه فأُعجب به ايضا. فاثرى وحَسُنت حالُه.

وانشد اشجعُ الرشيدَ:

قصرٌ عليه تحيّــــةٌ وســـــلامُ ... القت عليه جَمالَهــا الأيـــامُ

قصرٌ سُقوفُ المُزنِ دونَ سُقوفِــه ... فيه لأعلامِ الهُدى أعــلامُ

تَثْني على ايامِـــك الايـــامُ ... والشاهدانِ الحِلُّ والإحــرامُ

وعلى عدوِّك يا ابنَ عمِّ محمـــدٍ ... رَصَدانِ ضَوءُ الصُبحِ والإظــلامُ

فاذا تنبَّه رُعتَــه واذا غفـــا ... سَلَّت عليه سيوفَكَ الأحــلامُ

فطَرِب الرشيدُ وكان متّكئا فاستوى جالسا وقال: احسن والله، هكذا تُمدَح الملوك. وكان سعيدٌ الباهليُّ حاضرا. فاوما الى اشجعَ أن يَقطعَ الشعر، فلم يفعل. ولما انشده ما بعد البيتين فَتَر الرشيد. فلما فرغ قال له سعيد: غمزتُك أن تقطَع فلم تفعل. ويلَك، فهلاّ مُتَّ بعدَ البيتين أو خرِستَ فكُنتَ تكون أشعرَ الناس.

قال اسحاق الموصلي: اصطبح الواثقُ في يومٍ مَطيرٍ واتصل شُربُه وشربْنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صَرعى، وهو معنا على حالنا، فما حرَّك احدٌ منا عن مضجعه وخدمُ الخاصّة يطوفون علينا ويتفقدوننا، وبذلك أمرَهم وقال: لا تُحرِّكوا احدا عن موضعه. فكان هو اولَ من أفاق منا. فقام وامر بإنباهنا، فأُنبِهنا. فقُمنا فتوضأنا وأصلحنا من شأننا وجئتُ اليه وهو جالسٌ وفي يده كأسٌ وهو يَروم شُربَها والخُمارُ يَمنعُه، فقال لي: يا اسحاقُ انشِدني في هذا المعنى شيئا. فانشدتُه قولَ اشجعَ السُلَميّ:

ولقد طعنتُ الليــلَ في أعجــازِه   بالكأس بين غطارفٍ[1] كالانجُمِ
يتمايلون على النعيــم كأنهـــم   قُضُبٌ من الهنديِّ لم تَتثلَّمِ[2]
وسعى بها الظبيُ الغريرُ يزيدهــا   طيبا ويَغشِمُها اذا لم تَغشِمِ[3]
فاذا ادارتَها الاكفُّ رأيتَهــا   تَثني الفصيحَ الى لِسان الاعجَمِ
ولقد فضضناها بخاتَــم ربِّهــا   بِكرًا وليس البكرُ مثلَ الأيِّمِ[4]
ولها سُكونٌ في الإنــاء وخلفَهــا   شَغَبٌ يُطَوِّحُ بالكَميِّ المُعلَمِ[5]

فطرب وقال : احسن ، والله ، اشجعُ ، أعِد بحياتي . فأعدتُها ، وشرب كأسَه .

قال اشجع : دخلت على محمد الامين حين أُجلِسَ مجلِسَ الأدبِ للتعليم وهو ابنُ اربعِ سنينَ ، فأنشدتُه :

ملِكٌ ابوه وامُّه من نَبعــةٍ   منها سِراجُ الأمَّةِ الوهَّــاجُ
شَرِبت بمكةَ في رُبى بَطحائِهــا   ماءَ النبوَّةِ ليس فيها مِــزاجُ

فأمرت له زبيدة بمئة الف درهم . وقيل : لم يَملِك الخِلافةَ احد ابوه وامه من بني هاشمٍ الا اميرُ المؤمنين عليُّ ابنُ ابي طالب ومحمدُ ابنُ زُبيدةَ .

ومن شعر أشجع :

أمُفسِدَةٌ سُعــادُ عليَّ دينــي   ولائمتي على طول الحنيــنِ
وما تَدري سعــادُ اذا تخلَّــت   من الأشجانِ كيف اخو الشُجــونِ
وكنتُ اذا هزرتُ حُسامَ قـــولٍ   قطعت بِحجتي عِرقَ الوَتينِ[6]
وكنت اذا هجوتُ رئيسَ قـــومٍ   وَسَمتُ على الذؤابةِ والجبيــنِ
بخطٍّ مثلِ حَرقِ النار بــاقٍ   يلوح على الحواجب والعيــونِ
ولو كُشِفت سرائرُنا جميعــا   عَلمتِ مَنِ البريءُ من الظنيــنِ

(١) غطارف : جمع غطريف أي السيد الكريم النجار والأصل. والشاعر جعل من الكأس مثل فلق الفجر الذي يطعن ويفري كبد الظلام . (٢) النعيم : هنا كناية عن الشراب . تتثلم : تتفلل وتتكسر : يعني أنهم كانوا يترنحون وكؤوس الشراب تلمع في أيديهم لمعان السيوف التي لم يكسف تلألأها الفلول والصدوع . (٣) تغشم : تهنأ أي تصلح بما يزيدها قوة . وفي النسخ المطبوعة فسرت الكلمة بمعنى تظلم . وهو خطأ من وجهين : الأول ان يغشم بمعنى يظلم يكون بضم الشين لا الكسر ، والثاني أن ظلم الشراب هو باضعافه بزيادة الماء عليه ، وهذا ما يتنافى مع سياق الابيات . (٤) الأيم : الأرملة (٥) الشجاع الموسوم بسيماء الحرب . والمعنى انها تبدو راكدة ساكنة في زجاجتها، ولكن حين تذهب في الحلق تعقب عربدة لا يستمسك معها الفارس السابغ بالحديد . (٦) الوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي الجسم بالدم النقي الخارج من القلب .

وقال يمدح الفضل بن الربيع :

غَلَبَ الرُقادُ على جفون المُسهَدِ ... وغرقتُ في سَهرٍ وليلٍ سَرمَدِ
قد جدَّ بي سهرٌ فلم ارقُد له ... والنومُ يَلعب في جُفون الرُقَّدِ
لَهوٌ يُساعده الشَباب ولم اجِد ... بعدَ الشبيبةِ في الهوى من مُسعِدِ
وخفيفةِ الاحشاءِ غيرِ خفيفةٍ ... مجدولةٍ جَدلَ العِنانِ الأجرِدِ
غضبت على أعطافِها اردافُها ... فالحربُ بين إزارِها والمِجسَدِ(١)
خالفتُ فيها عاذلا لي ناصحا ... فرشَدتُ حين عَصَيتُ قولَ المُرشِدِ
للفضل اموالٌ أطاف بها النَدى ... حتى جُهِدنَ وَجودُه لم يَجهَدِ
وكفيتَني مِننَ الرجال بنائلٍ ... أغنى يديَ عنَ آن تُمَدَّ الى يدِ

وقال يمدح الفضل بن يحيى :

بديهتُه وفِكرتُه سَواءٌ ... اذا ما نابه الخَطبُ الكبيرُ
وأَحزَمُ ما يكون الدهرَ رأيا ... اذا عَيَّ المشاورُ والمُشيرُ
وصدرٌ فيه للهمِّ اتساعٌ ... اذا ضاقت بما تحوي الصدورُ

ابن مفرِّغ

هو يزيدُ بنُ ربيعةَ بنِ مُفَرِّغ . ولُقِّب جَدُّه مفرِّغا لانه خاطر على عُسٍّ لبنٍ أن يشربه كلَّه، فشربه كله حتى فرَّغه . ويكنى ابا عثمان وهو من حِمير .

دخل سعيدُ بنُ عُثمانَ على معاويةَ بنِ ابي سُفيانَ فقال : علامَ جعلتَ يزيدَ وليَّ عهدِك دوني . فوالله لأبي خيرٌ من ابيه وامّي خيرٌ من امّه وانا خيرٌ منه . وقد ولَّيناك فما عزلناك ، وبنا نِلتَ ما نِلتَ . فقال معاوية : اما قولُك إن اباك خيرٌ من ابيه فقد صَدَقتَ . واما قولُك إن امَّك خيرٌ من امّه فحسبُ المرأةِ أن تكونَ في بيت قومها وان يرضاها بعلُها ويَنجبَ ولدُها . واما قولُك إنك خيرٌ من يزيدَ ،

(١) المجسد : ثوب يلامس الجسد .

فوالله ، يا بنَي ، ما يَسرُّني أنَّ بيزيدَ ملءَ الغوطة مثلُك . واما قولُك إنكم ولَّيتُموني فما عزلتموني ، فما ولَّيتموني ، وانما ولاَّني ما هو خيرٌ منكم ، عُمرُ . فأقررتموني وما كنت بئسَ الوالي لكم . لقد قُمت بثأركم وقتلت قَتَلَةَ ابيكم ، وجعلت الامرَ فيكم ، وأغنيت فقيرَكم ورفعت الوضيعَ منكم . فكلَّمه يزيدُ في امره فولاَّه خُراسان .

لما وَلي سعيدُ بنُ عثمانَ بنِ عفَّان خُراسانَ استصحب يزيدَ بنَ مفرِّغ ، فأبى عليه وصَحِب عبَّادَ بنَ زيادٍ (زياد بن أبيه) . فقال له سعيد : اما اذا أبيت أن تَصحبَني وآثرتَ عبَّاداً فاحفظ ما أُوصيك به : إن عبَّادا لئيمٌ فإياك والدَّالَّةَ عليه ، وإن دعاك اليها من نفسه فانها خدعةٌ منه لك عن نفسك . واقلِل زيارتَه فانه طَرِفٌ[1] ملُولٌ . ولا تُفاخره وإن فاخرك فإنه لا يَحتمل لك ما كنتُ احتمله . ثم دعا سعيدٌ بمال فدفعه الى ابن مفرِّغ وقال : استعِن بهذا على سفَرِك ، فان صحَّ لك مكانُك من عبَّادٍ وإلا فمكانُك عندي مُمهَّدٌ فأْتني .

ولما بلغَ عُبَيدَ الله بنَ زيادٍ صُحبةَ ابنِ مفرِّغٍ اخاه عبَّادا شقَّ عليه . فدعا ابنَ مفرِّغٍ وقال له : إنك سألتَ عبَّادا أن تَصحبَه ، واجابك الى ذلك ، وقد شقَّ علي . فقال له : ولِمَ ، أصلحك الله ؟ قال : لان الشاعر لا يُقنعه من الناس ما يُقنع بعضَهم من بعض . لانه يَظُن فيجعل الظنَّ يقينا ، ولا يَعذِر في موضع العُذر . وان عبَّادا يَقدُم على ارضِ حربٍ فيشتغل بحروبه وخَراجِه عنك ، فلا تَعذِرْه انت وتُكسِبُنا شرًّا وعارا .

فقال له : لستُ كما ظن الامير . وإن عندي ، إن أغفل امري ، عذراً مُمَهَّداً . قال : لا ، ولكن تضمن لي إن أبطأ عنك ما تُحبه منه أن لا تَعجَل عليه حتى تكتُبَ الي . قال : نعم .

فقدِمَ عبَّادٌ خُراسانَ واشتغل بحربه وخَراجه ، فاستبطأه ابنُ مفرِّغٍ ولم يكتُب الى عُبيدِ الله بن زياد يشكوه كما ضَمِن له ، ولكنه بسط لسانه فذمَّه وهجاه . وكان عبَّادٌ عظيمَ اللحيةِ كأنها جُوالَقٌ . فدخلت الريحُ فنفشتها فضحك ابنُ مفرِّغٍ وقال لرجل من لَخمٍ كان الى جنبه :

الا ليتَ اللحى كانت حشيشـــــا ... فنَعلِفَها خُيولَ المسلمينـــــا

فسعى به اللخميُّ الى عبَّادٍ ، فغضب غضبا شديدا . فطلب عليه العِلَلَ . ودسَّ الى قوم كان لهم عليه دَينٌ فأمرهم ان يُقدِّموه اليه ، ففعلوا . فحبسه وأضرَّ به ، ثم أخرجه من السجن فهرب حتى اتى البصرة ثم الى الشامِ وجعل ينتقل في مدنها هاربا ويهجو زيادا وولده .

فكتب عُبَيدُ الله بنُ زياد الى يزيدَ بنِ معاويةَ يقول له : إن ابنَ مفرِّغٍ هجا زيادا وبني زيادٍ بما هتَكه في قبره ، وفَضح بنيه طولَ الدهر ، وتعدَّى ذلك الى ابي سُفيانَ فقذفه بالزنا وسبَّ ولدَه . فهرب من خُراسان وطلبتُه حتى لفظته الارضُ . فلجأ الى الشام يتمضَّغ لحومَنا بها ويَهتِك أعراضَنا . وقد بعثتُ اليك بما هجانا به لتنتصفَ لنا منه . فأمر يزيدُ بطلبه . فاتى البصرةَ . فقبض عليه عُبيدُ الله

(١) لا يثبت على حب .

بنُ زياد وامر بحبسه وكتب الى يزيدَ بنِ معاويةَ يسأله ان يأذنَ له في قتله . فكتب اليه : اياك وقتلَه . ولكن عاقبه ولا تَبلُغ نفسَه ، فان له عشيرةً هي جُندي وبطانتي .

وجَمع عَبَّادُ بنُ زيادٍ كلَّ شيء هجاه به ابنُ مفرِّغٍ وكتب به الى اخيه . فكان في ما كتب اليه قولُه :

اذا أودى معاويةُ بنُ حربٍ فبَشِّر شَعبَ قَعبِك بانصداعِ (١)
فأَشهَدُ أن امَّك لم تُباشِر ابا سُفيانَ واضعةَ القِناعِ
ولكن كان امرًا فيه لَبسٌ على وَجَلٍ شديدٍ وارتياعِ (٢)

وقال في سجنه :

هدم الدهرُ عرشَنا فتداعى فبَلينا اذ كلُ شيءٍ بالِ
اذ دعانا زوالُه فأجبنا كلُّ دُنيا ونِعمةٍ لِزَوالِ

وقال يمدح سعيدا ويهجو عبَّادا :

ايُّها الشاتِمُ جهلا سعيدا وسعيدٌ في الحوادثِ نابُ
ما ابوكم مُشبِهاً لابيه فاسألوا الناسَ بذاكُم تُجابوا
إن عاما صرتَ فيه اميرا تَملِكُ الناسَ لَعامٌ عُجابُ

فلما طال مُقام ابنِ مفرِّغٍ في السجن حَميَت اليمانيةُ وغضبوا ودخلوا الى معاويةَ فسألوه فيه فدفعهم عنه ، فقاموا غِضابا ، وعرف معاويةُ ذلك في وجوههم فردَّهم ووهبه لهم .

لَزِم يزيدَ بنَ مفرِّغٍ غرماؤهُ بدين ، فقال لهم : انطلقوا نجلس على باب الامير ، عسى أن يَخرُجَ الاشرافُ من عندِه فيَرَوني فيَقضوا عني . فانطلقوا به . فكان اولَ مَن خرج طَلحةُ الطلحاتِ فلما رآه قال : ابا عثمانَ ، ما أقعدَك ها هنا ؟ قال : غُرَمائي هؤلاءِ لَزِموني بدَين . قال : وكم هو ؟ قال : سبعون الفا . قال : علي منها عشرةُ آلافٍ . ثم خرج الاخرُ فسأله ، فقال : هل خرج احد قبلي ؟ قالوا : نعم ، فلان . قال : فما صنع ؟ قالوا : ضَمِن عشرةَ الافٍ . قال : فَعلي مثلُها . ثم جعل الناسُ يَخرجون ، فمنهم من يَضمَن الألفَ الى الاكثرِ ، حتى ضمِنوا اربعين الفَ درهمٍ . وكان ابنُ مفرِّغٍ يأمُلُ عُبيدَ اللهِ بنَ ابي بَكرةَ ، فلم يخرج حتى غَرُبَت الشمسُ فخرج مبادِرا ، فلم يرَه حتى كاد يَبلُغُ بيتَه ، فقيل له : إنك مررتَ بابنِ مفرِّغٍ ملزوما ، وقد مَرَّبه الاشرافُ فضَمِنوا عنه . فقال : واسوأتاه ، فكرَّ راجعا فوجده قاعدا . فقال له : ابا عثمانَ ، ما يُجلِسُك هنا ؟ قال : غُرَمائي هؤلاءِ يَلزَمونني . قال : كم عليك ؟ قال : سبعون الفا . قال وكم ضُمِن عنك ؟ قال : اربعون . قال : استمتِع بها وعليَّ دينُك .

---

(١) الشعب : الالتئام . القعب : القدح . انصدع : انكسر . (٢) راجع صفحة ٤٠٦ حاشية (١)

كان ابن مفرّغ يهوى أَناهيدَ بنت الأعنق ، وكان الاعنقُ دهقانا من الأهواز . ولما نزل ابن مفرّغ بالمَوصِل على أخواله من حِمير زوّجوه امرأةً منهم . فلما كان اليومُ الذي يكون البِناءُ في ليلته خرج يتَصيّد ومعه غلامه بُردٌ ، فاذا هو بدِهقان على حمار يَبيع عِطرا وأدهانا ، فقال له : من اينَ أقبلتَ ؟ قال : من الأهواز . قال: ما فعلتَ دِهقانةٌ يُقال لها أناهيدُ بنتُ الأعنق ؟ قال : أَصديقةُ ابنِ مفرّغ ؟ قال : نعم . قال : ما تَجِفُّ جفونُها عليه من البُكاء . فقال لغلامه : أي بُردُ ، ما تسمع ؟ قال : بلى . قال : هو بالرحمن كافرٌ إن لم يكن هذا وجهي اليها . فقال له بردٌ : أكرمَك القومُ وقاموا دونَك وزوّجوك كريمتَهم ، ثم تصنع هذا بهم وتَقدِم على ابن زيادٍ بعد خلاصك منه . أَبقِ ايُها الرجلُ على نفسك ، وأَقِم بموضعك ، وآبنِ بأهلك ، وانظُر في امرك . فان جَدَّ عُمرُك كنتَ حينئذ وما تَختاره . قال : دع عنك ذا . هو بالرحمن كافرٌ إن عدَل عن الاهواز . ومضى لوجهه من غير أن يُعلِمَ اهلَه . وكان عمروُ بنُ مفرّغٍ عمُّ يزيدَ بنِ ربيعةَ بنِ مفرّغٍ رَجلا له جاهٌ ، وكان ذا مالٍ وثروةٍ وذا دِينٍ وفضلٍ وصلاحٍ . فكان يُعنّف ابنَ اخيه في امرِ اناهيدَ عشيقتِه ويَعذِلُه ويُعيِّره بها . فلما اكثر عليه اتاه يوما فقال له : يا عمُّ ، جعلني الله فداك ، إن لي بالأهواز حاجةً ، ولي على قومٍ بها نحوٌ من ثلاثين الفَ درهمٍ قد خِفتُ ان تَتوَى[1] علي . فإن رأيتَ أن تتجشّمَ العَناءَ معي اليها حتى تُطالبَ لي بحقي وتعاونَني بجاهك على غُرَمائي . فلم يزل به حتى اجابَه الى الخروج . فاستأجر سفينةً وتوجّه الى الأهواز ، وكتب الى أناهيدَ أن: تَهيّئي وتَزيّني بأحسنِ زينتك وآخرُجي اليَّ معَ جواريك فاني مُوافيك . فلما نزلوا منزلها خرجت اليهم وجلست معهم في هيئتها وزيّها وحَليِها وآلتها . فلما رآها عمُّه قال له : قَبّحَكَ اللهُ ، أفهلاً كنتَ عَلِقتَ مثلَ هذه ؟ فقال : يا عمِّ . أو قد أَعجبَتك ؟ فقال : ومَن لا تُعجبُه هذه ؟ فقال : إنها ، والله ، هذه بعينها . فقال : يا خبيثُ ، إنما أشخصتَني لهذا . يا غلامُ إرحَل بنا . فانصرف عمُّه وأقام هو معها حتى مات بالطاعون في ايام مُصعَبِ بنِ الزُبير .

وفي اناهيد يقول :

سيري انـــاهيدُ بالعَيرَين آمنــــةً قد سلَّم اللهُ مِن قومٍ لهم طَبَعُ[2]

لا بارك اللهُ فيهم معشرا جُبُنـــاً ولا سقى دارهم قَطراً ولا رَبَعوا[3]

السارقين اذا جـــاءوا نزيلَهـمُ والأخبثين بطونا كلمـــا شَبعوا

لاتأمنَنَّ حِـــزامِيـــاً نَزَلتَ به قومٌ لديهم تناهى اللؤمُ والضَرَعُ[4]

(١) توى المال : هلك . (٢) الطبع : الدنس والعيب . (٣) ربعوا : اخصبوا . (٤) الضرع : هنا بمعنى الذل والخنوع .

الزبير بن دحمان

كان احدَ المحسنين الضُرّابِ المتقدِّمين في الصَنعة . قَدِم على الرشيد من الحجاز ، وكان المغنون حزبين : احدُهما في حِزب ابراهيمَ المَوصِليِّ وابنِه اسحاق ، والاخرُ في حزب ابن جامعٍ وابن المَهدي .

قال اسحاق : لما قَدِم الزبيرُ بنُ دَحمانَ على الرشيد ، قدم رجل ما شئتَ من رجل عقلا ودِينا وادبا وسكونا ووقَاراً ، وكان ابوه قبلَه كذلك، وقدِم معَه اخوه عبدُ الله. فلما وصلا وجلسا معنا تخيَّلتُ في الزبير الفضلَ ، فقلت لابي : يا ابت ، أَخلِق بالزبير[1] ان يكون افضَل من اخيه . فقال : هذا لا يجيء بالظَنّ والتخيُّل ، والجَوادُ إنما يُمتَحن في الميدان . فقلت له : فالجَوادُ عينُه فَرارُه[2] . فضحك وقال : ننظُر في فِراستك . فلما غنَّيا بانَ فضلُ الزبير وتَقدُّمه . فاصطفاه ابي وصار في حيِّزنا .

كان الرشيد بعد قتله البرامكة شَديدَ الأسفِ عليهم والتندُّمِ على ما فعلَه بهم . ففطن لذلك الزبير بنُ دحمانَ . فكان يُغنيه في هذا المعنى ويُحرِّكه . فغنَّاه يوما ، والشعرُ لامرأةٍ من بني أسدٍ :

مَـــن للخُصوم اذا جدَّ الخِصامُ بهم يومَ النِزال ومَن للضُمَّرِ القُودِ[3]
ولموقفٍ قـــد كفَيتَ الناطقين بـــه في مجمعٍ من نَواصي الناسِ مشهودِ
فرَّجتَـــه بـلسانٍ غيـرِ مُلتَبِسٍ عند الحِفاظ وقولٍ غيرِ مردودِ

فقال له الرشيد : أَعِد . فقال له : ويحَك ، كأن قائلَ هذا الشعرِ يَصِفُ به يَحيى بنَ خالدٍ وجعفرَ بنَ يحيى . وبكى حتى جرت دموعُه ، ووصل الزبيرَ صِلةً سنيّةً[4] .

---

(١) أي : ما أخلق ، ما أجدر . (٢) فَرَّ الدابة : كشف عن اسنانها . وهو مثل يضرب لمن يدل مظهره على مخبره ؛ والفرار بتثليث الفاء . (٣) جمع أقود : السهل الانقياد . (٤) يروى : دخلت امرأة على هارون الرشيد وقالت له : أقرَّ الله عينَك ، وأتم سعدَك ، وفَرَّحك بما آتاك ، لقد حكمت فقسطت . فقال لها: من أنت يا امرأة ؟ فقالت : انا من بني برمك ، الذين قتلتَ رجالَهم وأيَّمتَ نساءَهم ، وأيتمتَ أطفالَهم ، وأخذتَ اموالَهم . فقال لها : أما الرجال، فقد نفذ فيهم حكم الله ، واما المال فمردود عليك، اذهبي بسلام . والتفت الى من حوله وقال : ما عساها قالت هذه المرأة ؟ فقالوا: خيرا. فقال : لا . اسمعوا : أما قولها : أقر الله عينك ، فان العين اذا قرت جمدت واذا جمدت ماتت . وأما قولها : وأتم سعدك ، فقد أخذته من قول الشاعر :

اذا تم شيء بدا نقصـــه توقَّعْ زوالا اذا قيـــل تَمّْ

وأما قولها : وفرحك بما آتاك ، فقد أخذته من قوله تعالى : «حتى اذا فَرِحوا بما أُوتوا اخذناهم بغتةً» . وأما قولها : لقد حكمت فقسطت ، فقد أخذته أيضاً من قوله تعالى : «وأما القاسطون فقد جعلناهم لجهنم حطبا» ، والقاسطون : الظالمون . فتعجبوا من ذكاء المرأة وجرأتها وادراك الرشيد قولها وحلمه لها . وهي مأخوذة من كتاب الأذكياء لابن الجوزي .

العُماني

اسمُه محمدُ بنُ ذُؤَيبٍ دارِميٌّ صليبةً، وهو بَصريٌّ وانما قيل له العُمانيُّ لانه اقبل يوما وقد خرج من علّة ووجهه أصفر، فقال له بعض أصحابه : يا ابا عبد الله قد خرجت من هذه العلة كانك جملٌ عمانيٌّ .

وكانت جِمال عُمانَ تحمِل الوَرسَ من اليمن الى عُمانَ فتصفَرُّ. كان شاعرا راجزًا متوسطا من شعراء الدولة العباسية، لطيفا داهيا مقبولا فأفاد بشعره اموالا جليلة.

أدخل عبدُ الملك بنُ صالحٍ العُمانيَّ على الرشيد فأنشده :

يـــا ناعش الجَدِّ اذا الجَدُّ عَثَـــرْ وجابرَ العظمِ اذا العظمُ انكسَرْ
انت ربيعي والـــربيعُ يُنتظَـــرْ وخيرُ انواعِ الربيعِ ما بَكَرْ

فقال له الرشيد : اذاً يَبكُر عليك ربيعُنا . يا فضلُ، أعطِه خمسةَ الاف دينار وخمسون ثوبا .

لما وجه الفضلُ بنُ يحيى البرمكيُّ الوفدَ من خرُاسان الى الرشيد يَحضُّونه على البَيعة لابنه محمد – الامين – قعد لهم الرشيد، وتكلم القوم على مراتبهم وكان في مَن حضر العمانيُّ، فقام بين صفوف القُوّاد وانشد ارجوزة طويلة – فلما فرغ منها قال له الرشيد : بشِّر يا عمانيُّ بولايةِ محمدٍ العهدَ . فقال : إي، واللهِ، يا امير المؤمنين، بُشرى الارضِ المُجدِبةِ بالغيث، والمرأةِ النَزورِ بالولد[1] والمريضِ المُدنَف بالبُرء . قال : ولِمَ ذلك؟ قال : لانه نسيجُ وحدِه، وحامي مجدِه، ومُوري زَنْده[2] . قال : فمالك في عبد الله – المأمون –؟ قال : مرعى ولا كالسَعدان[3] . فتبسَّم الرشيد وقال : قاتله اللهُ مِن أعرابي، ما اعرفه بمواضع الرغبة واسرعَه الى اهل البذل والعائدة، وابعدَه من أهلِ الحزمِ والعزمِ والذين لا يُستمنَح ما لديهم بالثناء. اما والله اني لاعرِف في عبد الله – المأمون – حزمَ المنصور، ونُسكَ المَهدي، وعِزَّ نفسِ الهادي، ولو شاء أن أنسبَه الى الرابعة[4] لنسبتُه اليها

وجلس الرشيد يوما للشعراء، فدخل عليه العماني فأنشده ارجوزة منها :

قُلْ للإمـــامِ المقتـــدى بأمِّـــهْ[5] ما قاسِـــمٌ دونَ مـــدى ابنِ أُمِّـــهْ
وقَـــد رَضَينـــاه فقُـــم فسَمِّـــهْ

فتبسم الرشيد ثم قال : ويحَك، اما رضيت أن اوليَه العهدَ وانا جالس حتى اقومَ على رجلَيَّ؟

(١) لليلة الولد . (٢) أورى الزند : استنبط النار وأثارها اشتعالا . (٣) نبت له شوك وهو افضل ما ترعاه الابل، وهو مثل يضرب لما هو الاجل والاكرم . (٤) الرابعة : يعنى بها ولاية العهد كما يفهم من السياق . (٥) أم : صار إماماً .

فقال له العماني : ما اردتُ يا اميرَ المؤمنين قيامَك على رجليك ، انما اردتُ قيامَ العزم .

قال ابن عقال : كنا وقوفا والمَهديُّ قد أجرى الخيلَ فسبَقها فرس ٌ له يقال له الغَضبانُ . فطلب الشعراء فلم يحضُرْ احدٌ منهم الا ابو دُلامةَ ، فقال له : قلّده يا زَند ُ. فلم يفهم ما اراده فقلّدَه عِمامتَه . فقال له المهديّ : يا ابنَ اللخناء ، انا اكثرُ منك عَمائمَ ، انما اردت ان تقلّدَه شعرا . ثم قال : يا لَهفاه على العُماني . فلم يتكلم بها حتى اقبل العماني ، فقيل له : ها هوذا قد اقبلَ الساعةَ يا امير المؤمنين . فقال : قَدّموه . فقدّموه ، فقال : قَلّد فرسي هذا . فقال غيرَ متوقّف :

قد غَضِب الغَضبانُ اذ جدَّ الغضَبْ وجاء يَحمي حَسَبا فوق الحَسَبْ
من إرثِ عَبّاسِ بنِ عبد المُطّلِبْ وجاءت الخيلُ به تشكو التعَبْ
له عليها ما لكم على العرَبْ

فقال له المهدي : احسنتَ والله . وامر له بعشرة الاف درهم .

عروة بن أُذينة

يُكنّى ابا عامر وهو شاعرٌ غَزِلٌ مقدّمٌ من شعراء المدينة وهو معدودٌ في الفقهاء والمحدّثين.

حدّث يحيى بنُ عروةَ قال: اتى ابي وجماعةٌ من الشعراء هشامَ بنَ عبدِ الملك، فنسبهم . فلما عرف ابي قال له : انت القائل :

لقد علِمتُ وما الإشرافُ[1] من خُلُقي إن الذي هو رزقي سوفَ يَأتيني
أسعى له فيُعنّيني تَطلُّبُه ولو جلستُ أتاني لا يُعنّيني

فقال له : نعم انا قائلُها . قال أفلا قَعدتَ في بيتك حتى يأتيَك رزقُك ؟ وغَفَل عنه هشام ، فخرج من وقته وركِب راحلتَه ومضى منصرفا . ثم افتقده هشامٌ فعَرَف خبرَه . فأَتبعه بجائزة وقال للرسول : قل له : اردتَ ان تُكذّبَنا وتُصدّقَ نفسَك . فمضى الرسولُ فلحقه وقد نَزَل على ماء يتغدّى عليه ، فأبلغه رسالتَه ودفع الجائزةَ . فقال : قل له : صَدّقني ربي وكَذّبَك .

---

(١) الإشراف : التهالك في الحرص على الشيء ، ويروى ايضاً : الإسراف وهو أقرب الى التصحيف وان فيه ابن قتيبة في الشعر والشعراء .

ومما قاله بعد هذين البيتين :

كم من فقيرٍ غنيِّ النفسِ تعرفُـــه ومن غنيٍّ فقيرِ النفسِ مِسكينِ
ومن أخٍ لي طوى كَشحا [١] فقلتُ له إن انطواءك عني سوفَ يطويني
اني لأنطُق في ما كان من أدبـــي وأُكثِرُ الصمتَ في ما ليس يَعنيني
لا ابتغي وصلَ مَن يبغي مفارقتـــي ولا أَلينُ لمن لا يشتهي لِينـــي

قال عروة الزبيري : كان ابن اذينة في دار ابي بالعقيق فسمعه يُنشد هذه القصيدة :

(ولأنَّ هذه القصيدة من عيون الشعر الغزلي القديم نذكرها كاملة من مصادر شتى [٢]، لا سيما وقد وردت في الاغاني مضطربة مبتسرة) :

إن التي زَعمَت فؤادَك ملَّهـــا خُلِقت هواك كما خُلِقتَ هوىً لها [٣]
فيكَ الذي زعمت بها فكِلاكُمــا أبدَى لصاحبِه الصَّبابةَ كلَّهـــا
ولَعَمرُها لو كان حبُّك فوقَهـــا يوماً وقد ضَحِيَت إذاً لأظلَّهـــا
ويَبيتُ بين جوانحي حــبٌّ لهـــا لو كان تحتَ فِراشها لأقلَّهـــا [٤]
واذا وجدتُ لها وَساوِسَ سلـــوةٍ شَفَعَ الضميرُ الى الفؤاد فسلَّهـــا
بيضاءُ باكرَها النعيمُ فصاغهـــا بلباقةٍ فأدَقَّهـــا وأجلَّهـــا
لما عرَضتُ مُسلِّماً ليَ حاجـــةٌ أخشى صعوبتَها وأرجو ذُلَّهـــا
حَجبَت تحيَّتَها فقلتُ لصاحبـــي ما كان أكثَرَها لنا وأقلَّهـــا [٥]
فدنا فقال لعلهـــا معــــذورَةٌ في بعض رِقبتها فقلت لَعَلَّها [٦]

قال : فاتاني ابو السائب المخزومي وانا في داري بالعقيق ، فقلت له بعد الترحيب : بدت لك حاجةٌ؟ فقال : نعم . ابياتٌ لعُروةَ بلغني أنك سمعتَها منه . فأنشدتُه اياها . فلما بلغتُ الى قوله : « فقلت لعلَّها » . قال : أحسنَ ، والله ، هذا الدائمُ العهدِ ، الصادقُ الصَّبابةِ ، لا الذي [٧] يقول :

ان كان اهلُك يمنعونَك رَغبـــةً عني فأهلي بي أَضَنُّ وأرغَـــبُ

اذهب ، لاصحبكَ اللهُ ولا وَسَّعَ عليك . يعني قائلَ هذا البيت. فعرضتُ عليه الطعامَ فقال: لا ، والله ، ما كنت لآكُلَ بهذه الابياتِ طَعاما الى الليل . وانصرف .

(١) طوى كشحاً : يكني به عن الإعراض والقطيعة ، والكشح هو من السرة الى المتن . (٢) مثل المعارف لابن قتيبة ، والحماسة لابي تمام ، وامالي السيد المرتضى ، المؤتلف والمختلف للآمدي، الزهرة لابن داود الظاهري . (٣) في رواية اخرى « جعلت هواك » . (٤) ينسب هذا البيت لمجنون ليلى . (٥) في رواية « منعت تحيتها » . (٦) في رواية « رقبتنا » .. الرقبة : المراقبة ؛ التحفظ مخافة مترصد . (٧) هو عبد الله بن مسلم بن جندل الهذلي .

قال خالدٌ صامَةُ، وكان احدَ المغنين: قدمتُ على الوليد بنِ يزيدَ، فدخلت اليه وهو في مجلسٍ ناهيك به، وبين يديه معبدٌ ومالكٌ وابنُ عائشةَ فجعلوا يغنون، حتى بلغت النوبةُ اليَّ فغنيتُه:

سرى همّي وهمُّ المرءِ يَسري وغارَ النجمُ إلا قِيسَ (١) فِترِ
أُراقب في المَجرَّةِ كلَّ نجمٍ تَعرَّضَ للمجرةِ كيف يَجري
لِهَمٍّ ما أزالُ له مُديماً كأن القلبَ أُضرِمَ حرَّ جَمرِ
على بكرٍ أخي وَلّى حَميداً وايُّ العيشِ يَصفو بعدَ بَكرِ

فقال لي الوليد: مَن يقول هذا الشعرَ؟ قلت: عُروةُ بنُ اذينةَ يَرثي اخاه بكرا. فقال: وايُّ العيشِ لا يصفو بعدَه هذا العيشُ الذي نحن فيه على رَغم انفِه. والله لقد تحجَّر واسعا (٢).

وأُنشِدَت سُكَينةُ بنتُ الحسينِ هذا الشعرَ فقالت: مَن بكرُ هذا؟ أليس هو الاسودُ الدَحداحُ (٣) الذى كانَ يَمرُّ بنا؟ قالوا: نعم. فقالت: لقد طاب كلُّ شيء بعده حتى الخبزُ والزيتُ.

من مختار شعره في المجاميع الادبية

كأنَّ خزُامَى طَلّةٍ صابَها النَدى وحُقّةَ مِسكٍ ضُمِّنَتها ثيابُها
اذا اقتربت سُعدَى لَهِجتَ بحبِّها وإن تَغتَرِب يوماً يَرُعكَ اغترابُها
وكِدتُ لذِكراها أطير صبابةً وغالبتُ نفساً زادَ شوقاً غِلابُها
وعاد الهوى منها كظِلِّ سحابةٍ ألاحَت بِبَرقٍ ثم مَرَّ سَحابُها

• • •

اذا وجدتُ أُوارَ الحبِّ في كَبِدي أقبلتُ نحو سِقاءِ القوم ابتَرِدُ
هَبني بَرَدتُ ببردِ الماءِ ظاهِرَه فمَن لنارٍ على الأحشاء تتَّقِدُ؟

• • •

قالت وأبثَثتُها وجدي فبُحتُ به قد كنتَ عندي تُحِبُّ السترَ فاستَتِرِ
ألستَ تُبصِرُ مَن حولي فقلتُ لها غَطّى هَواكِ وما أَلقَى، على بصري

• • •

إلفانِ تَعنيهما للبَينِ (٤) فُرقَتُه ولا يَمَلاّنِ طُولَ الدهرِ ما اجتمعا
مُستَقبِلانِ نَشاصًا (٥) من شَبابهما اذا دعا عَودَةً داعي الهوى سَمِعا
لا يَعجَبانِ بقول الناس عن عُرُضٍ (٦) ويَعجَبانِ بما قالا وما صنعا

(١) مقدار، قياس. (٢) اي: بالغ كثيراً. (٣) القصير. (٤) البين: هنا بمعنى الوصل.
(٥) نشاص: المرتفع بعضه فوق بعض كمور السحاب. (٦) عرض: مجانبة، جانب، ناحية والمقصود هنا المعنى الاول.

مخارق

هو مولى الرشيد ويُكنّى ابا المُهنّأ . نشأ بالمدينة . كان ابوه جزّارا مملوكا . وكان مُخارقٌ وهو صبيٌّ ينادي على ما يَبيعهُ ابوه من اللحم . فلما بان طيبُ صوتِه علّمته مولاتُه عاتكةُ بنتُ شُهدة ، وهي من المغنيات المحسنات المتقدمات بالضرب ، طرَفاً من الغناء . ثم ارادت بيعَه فاشتراه ابراهيمُ الموصلي منها ، واهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيدُ منه وأعتقه ، وامر ابراهيمَ بتعليمه ، فعلّمه حتى بلغ المبلَغَ الذى بلَغه ، وكان يَقِف بين يدي الرشيد مع الغلمان لا يجلِس ، ويُغنّي وهو واقفٌ . فغنى ابنُ جامعٍ ذاتَ يوم بينَ يدي الرشيد :

هَوت هِرَقلةُ لما أن رأت عجباً   حوائماً ترتمي بالنفط والنارِ

فطرِب الرشيد واستعاده عدةَ مراتٍ ، واقبل على ابن جامع دونَ غيره . فغمز مخارقٌ ابراهيمَ بعينه ، وتقدّمه الى الخلاء . فلما جاءه قال له : مالي اراك منكسرا ؟ فقال له : اما ترى إقبالَ اميرِ المؤمنين على ابن جامع بسبب هذا الصوت ؟ فقال له : قد ، والله ، اخذتُه . فقال : ويحك ، إنه الرشيد ، وابنُ جامعٍ مَن تعلم ، ولا يُمكن معارضتُه الا بما يَزيد على غنائه ، والا فهو الموت . قال : دعني ، وخلاك ذمٌّ ، وعرِّفه بأني اغني به . فإن احسنتُ فاليك يُنسَبُ ، وان أسأتُ فاليَّ يعود .

فقال للرشيد : يا امير المؤمنين . اراك متعجبا من هذا الصوتِ بغير ما يَستحقُّه وأكثرَ مما يَستوجبه . فقال : لقد احسن ابن جامع ما شاء . قال : أوَ لابن جامعٍ هو ؟ قال : نعم ، كذا ذكر . قال : فان عبدَك مخارقا يُغنيه . فنظر الى مخارق . فقال : نعم ، يا امير المؤمنين . فقال : هاتِه . فغناه وتحفّظ فيه فاتى بالعجائب .

فطرِب الرشيد حتى كاد يطير فرحا وشرِب ثم أقبل على ابن جامع فقال له : ويلَك ، ما هذا ؟ فابتدأ يَحلِف بالطلاق وكلِّ مُحرِجة (١) أنه لم يُسمَع ذلك الصوتُ قط الا منه ، ولا صَنعه غيرُه . فاقبل على ابراهيم وقال : إصدقني بحياتي . فصدّقَه عن قِصّة مُخارق . فقال له : أكذلك يا مخارق ؟ قال : نعم ، يا مولاي ، فقال : اجلِس اذن مع اصحابك فقد تجاوزت مرتبةَ مَن يَقوم . ووصلَه بثلاثة آلافِ دينارٍ ، وأقطعه منزِلا وضيعةً .

قال هارون بن مخارق : كان ابي اذا غنى هذا الصوتَ :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طرَبا   زِدتَ الفؤادَ على عِلاّته وَصَبا (٢)

(١) اي يمين محرجة . (٢) الوصب : المرض والداء والعلة .

يبكي ويقول : انا مولى هذا الصوت . فقلت له : وكيف ذاك يا أبتِ ؟ فقال : غنّيتُهُ مولاي الرشيدَ فبكى وشرِب عليه رطلا ، ثم قال : أحسنتَ يا مخارق ، فسَلني حاجتَك ، فقلت : ان تُعتقني يا امير المؤمنين ، أعتَقَكَ اللهُ من النار . فقال : انت حرٌّ لوجه الله ، فأعدِ الصوتَ . فأعدته . فبكى وشرِب رطلاً ثم قال : احسنتَ يا مخارق ، فسَلني حاجتَك . فقلت: ضيعةٌ تُقيمني غَلّتُها . قال : قد امرتُ لك بها ، أعدِ الصوت . فأعدته . فبكى وقال : سَل حاجتَك . فقلت : يا امير المؤمنين ، تأمرُ لي بمنزِل وفَرْشٍ وخادم . قال : ذلك لك ، أعدِ الصوتَ . فاعدتُه . فبكى وقال : سَل حاجتَك . فقبّلتُ الارضَ بين يديه وقلت : حاجتي ان يُطيلَ اللهُ بقاءَك ويُديمَ عزَّك ويَجعلَني فداءك .

قال الواثق : خطأُ مُخارق كصواب عَلُّويةَ ، وخطأُ اسحاقَ كصواب مُخارق . وما غنّاني مخارقٌ قط الا قدّرتُ أنه من قلبي خُلق. ولا غنّاني اسحاقُ الا ظننت انه قد زِيد في مُلكي مُلكٌ اخر.

جاء ابو العتاهيةَ ومحمدُ بنُ سعيد الى باب مُخارق فطرقه واستفتح ، فاذا مخارق قد خرج اليه ، فقال له ابو العتاهيةَ : يا حسّانٌ هذا الاقليمِ ، يا حكيمَ ارضِ بابلٍ ، أُصبُب في أُذُني شيئا يَفرَح به قلبي ، وتَنعَم به نفسي . فقال : انزِلوا . فنزَلنا . فغناهما . قال ابنُ سعيد : فكِدتُ أسعى على وجهي طربا وجعل ابو العتاهية يبكي ، ثم قال له : يا دواءَ المجانين ، لقد رقّقتَ حتى كِدتُ أن أحسُوَك ، فلو كان الغناء طعاما لكان غِناؤك أدما ، ولو كان شرابا لكان ماءَ الحياة .

خرج مخارق مع بعض اخوانه الى بعض المتنزّهات فنظر الى قوسٍ مُذهَّبة مع احدِ مَن خرج معه . فسأله اياها ، فكأن المسؤولَ ضَنّ بها . وسَنَحت ظباءٌ بالقرب منه ، فقال لصاحب القوس : أرأيتَ إن تغنّيتُ صوتا فعطفتُ عليك به خدودَ هذه الظباء ، أتدفعُ الي هذه القوسَ؟ قال : نعم . فاندفع يغني :

ماذا تقول الظباءُ أفُرقةٌ أم لِقاءُ
مرّت بنا سانحاتٍ وقد دنا الإمساءُ
فما أحارت جوابًا وطال فيها العَناءُ

فعطفت الظباءُ راجعةً اليه حتى وقفت بالقرب منه مستشرفةً تنظُر اليه ، مُصغيةً الى صوته . فعَجب مَن حضَر من رجوعها ووقوفها ، وناوله الرجلُ القوسَ ، فاخذها وقطع الغناء . فعاودت الظباءُ نِفارَها ومضت راجعةً على سَنَنها (١) .

قال الباهلي : حضَرتُ عَلُّويةَ ومخارقاً مجتمعَين في مجلس . فغنى علويةُ صوتا فأحسن فيه وأجاده . فأعاده مخارقٌ وبرّز عليه وزاد . فردّه علُّويةُ وتَعمَّل فيه واجتهد فزاد على مخارق . فجثا مخارق على ركبتيه وغناه وصاح فيه حتى اهتز منكباه . فما ظننّا إلا أنّ الارضَ قد زُلزِلت بنا . ونظرت الى لون علويةَ وقد امتقع وطار دمُه . وكان مخارق اذا صاح قَطعَ اصحابُ النايات.

---

(١) على وجهها .

سَأل المأمونُ اسحاقَ عن ابراهيمَ بنِ المهديِّ ومخارق ، فقال: يا امير المؤمنين، اذا تغنّى ابراهيمُ بعلمه فَضَلَ مخارقاً . واذا تغنّى مخارقٌ بطبعه وفضلِ صوتِه فَضَلَ ابراهيمَ . فقال له: صدقت !

كان مخارقٌ يَهوى جاريةً لأمِّ جعفر[1] يُقال لها بَهارُ ، ويستُر ذلك عن أمِّ جعفرٍ حتى بَلَغها، فأقصَته ومنعته من المرور ببابها، وكان بها كَلِفاً[2]. وضاق ذَرعُه[3] بذلك. فبينا هو في زَلاّل[4] ، وقد انصرف من دار المأمونِ ، وامُّ جعفرٍ تَشرَب على دِجلةَ ، اذ حاذى دارَها ، فرأى الشمعَ يَزهَرُ فيها ، فلما صار بمسمعٍ منها ومرأى اندفع فغنّى :

إن تمنعوني ممرِّي قُــربَ دارِهــمُ ... فسوف أنظُرُ من بُعدٍ الى الـــدارِ
لا يَقدِرون على منعي ، ولو جَهَدوا ... اذا مررتُ ، وتسليمي بإضمـــاري

ـ الشعرُ للعباس بن الاحنف ـ فقالت امُّ جعفر: مخارقٌ، واللهِ ، رُدُّوه. فصاحوا بمَلاّحه: قَدِّم . وامره الخادمُ بالصعود، فصعد . وامرت له امُ جعفرٍ بكرسيٍّ وصينيَّةٍ فيها نبيذٌ ، فشرِب . وخلعت عليه وأمرت الجواريَ فغنَّين ، ثم ضربن عليه فغنّى :

قد حسَّن اللهُ في عينيَّ ما صنعـت ... حتى أرى حَسَنا ما ليس بالحَسَنِ

ـ الشعر للعباس بن الاحنف ـ فاندفعت بَهارُ فغنت كأنها تُبايِنُه[5] وانما أجابته عن معنى ما عَرَّض لها به :

تَعتلُّ بالشُغلِ عنا ما تَلِمُّ بنـــا ... والشُغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

ـ الشعر للعباس بن الأحنف ـ ففطِنت امُّ جعفرٍ أنها خاطبته بما في نفسها ، فضحِكت وقالت : ما سمِعنا بأملحَ مما صنعتُما . ووهبتها له .

وتُوفِّيَ في آخرِ خِلافة الواثق .

(١) زبيدة ، ام الأمين . (٢) كلفاً : مولعاً . (٣) الذرع: بسط اليد. ضاق ذرعه أي لم يقدر. (٤) نوع من السفن . (٥) تباريه .

ابو مِحجن الثقفي

هو من المخضرَمين الذين ادركوا الجاهلية والاسلام. وهو شاعرٌ فارسٌ شُجاع معدود في أولي البأس والنجدة . وكان من المعاقرين للخمر المحدودين في شُربها .

لما كان يومُ الكنائبِ – في حرب القادسية – اقتتل المسلمون والفُرسُ منذ أصبحوا الى ان انتصف النهار . فلما غابت الشمس تزاحف الناس فاقتتلوا حتّى انتصف الليل ، فتحاجز الناس وبات المسلمون ، واستلقى سعدٌ(١) لينام . وكان ابو محجن قد حبسه سعدٌ بكتاب عمرَ ، لشُربه الخمرَ ، وقيَّده في القصر . فصعد ابو محجن ، لما اشتد القتال ، الى سعد يَستعفيه ويستقيلُه ، فزَبره(٢) وردَّه. فنزل فأتى سلمى – زوجةَ سعد – فقال : يا ابنةَ آل ابي حَفصةَ ، هل لك الى خير؟ قالت : وما ذاك ؟ قال: تُخلّين عني وتُعيرينَني البَلقاء ، فلله عليَّ ، إن سلّمني اللهُ ، أن أرجع اليك حتى تضعي رجلي في قيدي . فقالت : وما انا وذاك ، فرجع يَرسُف في قيوده ويقول :

كفى حزَناً أن تَرديَ الخيلُ بالقنا … وأُترَكَ مشدودا عليَّ وِثاقيا
وقد شفَّ جسمي أنني كلَّ شارقٍ … أُعالجُ كَبلاً مُصمَتاً قد بَرانيا
فلله دَرِّي يومَ أُترَكُ مُوثَقا … وتَذهَلُ عني أُسرتي ورجاليا
حبيسا عن الحرب العَوانِ وقد بَدت … وإعمالُ غيري يومَ ذاكَ العواليا
ولله عهدٌ لا أَخيسُ بعهده … لئن فُرِجَت أن لا أزورَ الحَوانيا(٣)

فقالت له سلمى : اني قد استخرتُ اللهَ ورضيتُ بعهدك . فأطلقته وقالت : اما الفرسُ فلا أعيرها ، ورجعت الى بيتها . فاقتاد ابو محجنٍ الفرسَ وأخرجها من باب القصر الذي يلي الخَندقَ ، فركبها ثم دبَّ عليها ، حتى اذا كان بحيالِ الميمنة وأضاء النهارُ ، وتَصافَّ الناسُ ، كَبَّر ثم حمل على ميسرةِ القوم فلعِب برُمحه وسِلاحه بين الصَفَّين ، ثم رجع من خلف المسلمين الى القلب فبدر أمامَ الناس فحمل على القوم وكان يَقصِفُ(٤) الناس ليلتئذ قَصفا مُنكَرا . فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يَرَوه بالامس . فقال بعض القوم : هذا من اوائل اصحاب هشامِ بنِ عُتبةَ او هِشامٌ بنفسه . وقال قوم : ان كان الخَضِرُ(٥) يَشهَدُ الحروبَ فهو صاحب البَلقاء . وقال

(١) ابن ابي وَقّاص . (٢) انتهره . (٣) الحانات، الخمارات . (٤) يكسرهم. (٥) يعني في المفهوم الاسلامي ايليا النبي، وعرف بهذا اللقب لانه ما جلس الا على اخضر . واقتضى التنبيه لئلا يشتبه بمفهوم آخر شائع .

آخرون : لولا أن الملائكةَ لا تُباشر القتالَ ظاهرا لقُلنا هذا مَلَكٌ يُثَبِّتُنا . وجعل سعدٌ يقول : — وهو مُشرِف ينظر اليه — الطعنُ طعنُ ابي محجن ، والضَبرُ(١) ضبرُ البَلقاء . ولولا مَحبِسُ ابي محجنٍ لقلت : هذا ابو محجن وهذه البلقاء . فلم يزَل يقاتل حتّى انتصف الليل . فتحاجز اهل العسكرين واقبل ابو محجن حتّى دخل القصر ، ووضع نفسَه عن دابّتِه وأعاد رجلَيه في القيد وانشأ يقول :

لقد علِمت ثَقيفٌ غيرَ فخرٍ ... بأنّا نحن أكرَمُها سُيوفا
واكثرُهم دروعا سابغاتٍ ... واصبرُهم اذا كَرِهوا الوقوفا
وليلةَ قادسٍ لم يَشعُروا بي ... ولم أكرَه بمَخرَجِيَ الزُحوفا
فإن أُحبَس فقد عرفوا بَلائي ... وإن أُطلَق أُجرِّعهم حتوفا

فقالت له سلمى : يا ابا محجن ، في ايِّ شيءٍ حبَسك هذا الرجل ؟ فقال : اما ، والله ، ما حبسني بحرامٍ أكلتُه ولا شربتُه ، ولكني كنت صاحبَ شَرابٍ في الجاهلية ، وانا امرؤٌ شاعرٌ يَدُبُّ الشعرُ على لساني فينفثُه أحيانا ، فحبسني لاني قلت :

اذا متُّ فادفنّي الى أصلِ كرمةٍ ... تُرَوِّي عِظامي بعدَ موتي عُروقُها
ولا تَدفِنَنِّي بالفَلاةِ فإنني ... أخاف اذا ما متُّ ألاّ أذوقُها

وكانت سلمى قد رأت في المسلمين جَولةً ، وسعدٌ في القصر لعلّةٍ كانت به ، لم يَقدِر معها على حُضور الحرب ، وكانت قبلَه عند المُثنّى بنِ حارثةَ الشيباني ، فلمّا قُتل خلَفَ عليها سعدٌ ، فلما رأت شدّةَ البأس صاحت : وامثنّياه . فلَطَمها سعدٌ . فقالت : أُفٍ لك ! أجُبنا وغَيرَةً ؟ وكانت مُغاضِبةً لسعد حتّى تلك الليلةِ ، فاتته وصالحته وأخبرته خبرَ ابي محجنٍ . فدعا به واطلقه .

لما انصرف ابو محجن ليعود الى مَحبِسه رأته امرأة فظنته مُنهزِما فأنشأت تُعيِّرُه بفراره :

مَن فارسٌ كَرِهَ الطِعانَ يُعيرُني ... رُمحا اذا نزلوا بمَرجِ الصُفَّرِ

فقال لها :

إن الكِرامَ على الجيادِ مَبيتُهم ... فدَعي الرِماحَ لأهلِها وتعطّري

وقال في تركه الخمر :

رأيتُ الخمرَ صالحةً وفيها ... مناقبُ تُهلِكُ الرجلَ الحليما
فلا والله أشربُها حياتي ... ولا أسقي بها ابدا نديما

دخل ابنُ ابي محجن على معاويةَ فقال له : اليس ابوك الذى يقول :

(١) ضبر الفرس : جمع قوائمه ووثب .

اذا مِتُّ فادفِنّي الى جَنْب كرمــةٍ تُرَوّي عِظامي بعدَ موتي عُروقُها

فقال له : لو شئتَ لذكرتَ ما هو احسنُ من هذا من شعره . قال : وما ذاك ؟ قال :

لا تَسألي الناسَ عن مالي وكثرتــه وسائلي الناسَ ما فِعلي وما خُلُقي
أُعطي السِنانَ غَداةَ الرَوعِ حِصَّتَـه وعامِلَ الرُمحِ أُرويه من العلَقِ [١]
عَفُّ المَطالبِ عَمّا لستُ نائلَــه فإن ظُلِمتُ شديدُ الحِقدِ والحنَقِ
قد يُعسِرُ المرءُ حينا وهو ذو كــرمٍ وقد يَثوب [٢] سَوامُ العاجزِ الحَمِقِ
سَيَكثُرُ المالُ يوما بعد قِلَّتِــه ويَكتسي العودُ بعدَ اليُبسِ بالوَرَقِ

فقال معاوية : لَئِن كنا أسأنا لك القولَ ، لَنُحسِنَنَّ لك الصَفَدَ [٣] . ثم أجزل جائزتَه وقال : اذا وَلَدت النساءُ فَلتلِد مِثلَك.

وحدَّث احدهم : مررت بقبر ابي مِحجن في اذربيجانَ فرأيت قبرَه وقد نبتت عليه ثلاثةُ اصولِ كرمٍ قد طالت وأثمرت وهي مَعروشةٌ ،وعلى قبره مكتوبٌ : هذا قبرُ ابي مِحجنٍ الثَّقَفي . فوقفتُ اتعجَّبُ مما اتفق حتى صار كأُمنيَّةٍ بَلغَها حيث يقول :

اذا مِتُّ فادفِنّي الى أَصلِ كرمــةٍ تُرَوّي عِظامي بعدَ موتي عروقُها

زهير بن جَناب

شاعرٌ جاهليٌّ ، وهو احد المُعَمَّرين وكان سيدَ بني كلبِ ابنِ قُضاعةَ وقائدَهم . وكان شُجاعا مُظفَّرا ميمونَ النقيبةِ [٤] في غَزَواته وهو احدُ من مَلَّ عمرَه فشرِب الخمرَ صِرفا حتى قتلته . عاشَ مئتينِ وخمسين سنةً ، أوقع فيها مئتي وقعةٍ في العرب. ولم تَجتمع قُضاعةُ إلا عليه وعلى حَنٍّ بنِ زيدِ العُذريِّ . ولم يكن في اليمن اشجعَ ولا أخطبَ ولا أوجهَ عند الملوكِ من زُهير . وكان يدعى الكاهنَ لصحة رأيِه .

غزا زهيرٌ غَطَفانَ فقاتلهم فظَفَر بهم . ثم مَنَّ عليهم وردَّ النساءَ واستاق الاموال، وقال في ذلك :

---

(١) عامل الرمح : ما يلي السنان . والعلق : الدم . (٢) يجتمع . السوام : الماشية . (٣) العطاء . (٤) النقيبة : هي هنا بمعنى المشورة ونفاذ الرأي . ومن معانيها : الطبيعة والسجية .

ولم تَصبِر لنــا غَطَفانُ لمــا ... تَلاقَينــا وأُحرِزتِ النِســاءُ
فلــولا الفضلُ منــا ما رجعتم ... الى عــذراءَ شيمتُها الحَيــاءُ
ويَصدُقُ طعنُنــا في كلِّ يــومٍ ... وعنــدَ الطَعنِ يُختَبَرُ اللِقاءُ
نَفَينــا نَخــوةَ الأعداءِ عنــا ... بارمــاحٍ أسِنَّتُهــا ظمــاءُ

وجمع زهيرٌ بني كلبٍ ومَن تَجمَّع له من شُذّاذِ العرب والقبائل ومَن أطاعه من اهل اليمن فغزا بكرا وتَغلِبَ ابني وائلٍ وهم على ماءِ الحُبَيِّ ، فقاتلهم قِتالا شديدا فانهزمت بكرٌ وتَغلِبُ وأسر كُليباً ومُهلهِلا واستاق الاموالَ ، وقال :

تَبًّا لتغلِــبَ أن تُساقَ نِساؤُهــم ... سَوقَ الإماءِ الى المواسم عُطَّــلا (١)
إنّــا ، مهلهِلُ ، ما تَطيشُ رِماحُنــا ... ايامَ تَنقُفُ في يديك الحَنظلا (٢)
فلئِن قُهِرتَ لقــد أسرتُكَ عَنوةً ... ولئن قُتِلتَ لقد تَكونُ مُرَمَّلا

ثم يقول :

اين اين الفِــرارُ من حَذَرِ المــو ... تِ واذ يَتَّقــون بالأسلابِ
اذ أسرنــا مهلهِلا واخــاه ... وابنَ عمروٍ في القِدِّ وابنَ شِهابِ
وسبَينــا من تغلبٍ كلَّ بيضــاءَ ... رَقودِ الضُحى بَرودِ الــرُضابِ
فَضَلَ العِــزَّ عِزُّنــا حينَ نَسمو ... مثلَ فَضلِ السماء فوقَ السَحابِ

وقال زهير في كِبَرِه :

لقــد عُمِّرتُ حتى لا أُبــالي ... أحَتفي في صَباحي ام مَسائــي
وحُقَّ لمــن اتت مئتانِ عــامــاً ... عليه أن يَمَلَّ منَ الثَــواءِ
ونــادمتُ الملــوكَ مِنَ آلِ عمروٍ ... وبعدَهم بني مــاءِ السمــاءِ

كان زهير اذا قال : ألا إن الحيَّ ظاعنٌ . ظعنت قُضاعةُ . واذا قال : ألا إن الحيَّ مقيمٌ . نَزَلوا وأقاموا . فلما أن أَسَنَّ نَصَبَ ابنَ اخيه عبدَالله بنَ عُلَيمٍ للرياسة في كلبٍ ، وطَمع أن يكونَ كعمِّه وتَجتمِعَ قُضاعةُ كلُّها عليه . فقال زهيرٌ يوما : ألا إن الحيَّ ظاعنٌ . فقال عبدُ الله : ألا إن الحيَّ مُقيم . فقال زهير : مَن هذا المُخالِف علي ؟ فقالوا : ابنُ اخيك عبدُ الله . فقال : أعدى الناسِ للمرء ابنُ اخيه ، إلاّ أنه لا يَدَعُ قاتِلَ عمِّه أو يَقتُلَه . ثم شرِب الخمرَ صِرفا حتى مات . وممن شرب الخمر صرفا حتى مات، عمروُ بنُ كُلثومٍ التَغلِبي ، وابو بَراءٍ مُلاعِبُ الأسنَّة .

(١) المرأة العاطل هي التي لا تلبس الحلي . (٢) نقف الحنظل : شقه . والحنظل : ثمر مر .

وقال بعد معركة رَبِحها وهَزَم مهاجميه وقتل رئيسهم :

سائِل أُميَمــــةَ عني هل وَفَيتُ لها ام هل مَنعتُ منَ المَخزاةِ جيرانا
لا يَمنعُ الضيفَ الا مـــاجدٌ بطلٌ إن الكريمَ كريمٌ حيثُما كانــا
كم من كريمٍ هَوى للــوجه مُنعفِرا قد اكتسى ثوبُه في النَقعِ ألوانا

مسلم بن الوليد

ابوه الوليدُ مولى الانصار ، ويُلقَّب صريعَ الغواني . هو شاعرٌ متقدِّم من شعراء الدولة العباسية ، مَنشؤهُ ومولِده الكوفةُ . وهو اول من قال الشعر المعروفَ بالبديع وهو لَقَّب هذا الجنسَ البديعَ واللطيفَ ، وتبعه فيه جماعة ، واشهرُهم فيه ابو تمَّامٍ الطائي .

قيل : اولُ من أفسد الشعرَ مسلمُ بنُ الوليد ، جاء بهذا الذي سماه الناسُ البديعَ .

لقي مسلم بن الوليد ابا نواس فقال له : ما اعرف لك بيتا الا فيه سَقَطٌ . قال : فما تَحفظ من ذلك ؟ قال : قل انت ما شئتَ حتى أُريَك سَقَطَه فيه . فانشده :

ذكــــر الصَبوحَ بسُحرةٍ فــــارتاحا وأملَّه ديكُ الصَباحِ صيــاحـــا

فقال له مسلم : فلِمَ أملَّه وهو الذي أذكَرَه وبه ارتاحَ ؟ فقال ابو نواس : فأنشِد ني شيئا من شعرك ليس فيه خَلَلٌ . فانشده :

عــــاصَى الشبابَ فراح غيرَ مُفنَّدِ(١) وأقام بين عزيمةٍ وتَجلُّـــــدِ

فقال ابو النواس : قد جعلتَه رائحا مُقيما في حال واحدة ، وبيت واحد . فتشاغبا وتسابا ساعةً . وكِلا البيتين صحيحُ المعنى .

اجتمع اصحاب المأمون عنده يوما ، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء ، فقال بعضهم : اين انت ، يا اميرَ المؤمنين ، عن مسلمِ بنِ الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا :

ارادوا ليُخفـــوا قبــــرَه عن عدوِّهِ فطيبُ تُـــرابِ القبرِ دَلَّ على القبرِ

---

(١) مخطىء .

وهجا رجلا بقُبحِ الوجهِ والأخلاقِ فقال :

قَبُحَت مَنـــاظِرُه فحين خَبَرتُـــه حَسُنَت مناظِرُه لِقُبح المَخبَـــرِ

فقال المأمون : هذا أشعرُ من خُضتم اليومَ في ذِكره .

قال يزيدُ بنُ مَزيَدِ : أَرسل الي الرشيدُ يوما في وقت لا يُرسَل فيه الى مثلي . فأتيتُه لابسا سِلاحي ، مستعدًّا لأمرٍ إنْ اراده . فلما رآني ضَحِك اليَّ ثم قال : يا يزيدُ ، خبِّرني مَن الذي يقول فيك :

تُـــراه في الأمـــن في دِرعٍ مُضاعَفَةٍ لا يأمَنُ الدهرَ أن يُدعى على عَجَلِ
لله مـــن هـــاشم في ارضه جَبَـــلٌ وانت وابنُك رُكنَـــا ذلك الجَبَلِ

فقلت: لا أعرِفه يا امير المؤمنين . ثم قال : يا يزيد ، مَن الذي يقول فيك :

لا يَعبَقُ الطيبُ خَدَّيـــهِ ومَفرِقَه ولا يُمسِّح عينيه مِنَ الكُحُـــلِ
قد عَوَّدَ الطيـــرَ عـــاداتٍ وثِقنَ بها فهُنَّ يَتبعنَه في كلِّ مُرتَحَـــلِ

فقال : لا اعرف ، فقال له : سَوْءةً لك مِن سيدِ قومٍ يُمدَحُ بمثلِ هذا الشعرِ ولا تَعرِف قائلَه ، وقد بلغَ اميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائلَه ، وهو مسلم بن الوليد .

فخرج من عنده خَجِلا ، فدعا حاجبَه فقال له : مَن بالباب من الشعراء ؟ قال مسلم بن الوليد . فقال : وكيف حَجبتَه عني فلم تُعلِمني بمكانه ؟ قال : اخبرتُه أنك مُضيقٌ . قال : أَدخِله الي . فأدخلَه فأنشدَه قوله :

امـــا كفى البينَ أن أُرمى بأسهُمِه حتى رماني بلحظ الأعيُنِ النُجُلِ

فقال له : قد امرنا لك بخمسين الفَ درهمٍ فاقبضها واعذِر . فخرج الحاجبُ فقال لمسلم : قد امرني ان أرهَنَ ضيعةً من ضِياعه على مئة الفِ درهمٍ ، خمسون الفا لك ، وخمسون الفا لنفقته . وكتب صاحبُ الخبر بذلك إلى الرشيد . فأمر ليزيدَ بمئتي الفِ درهم وقال : إقضِ الخمسينَ الالفَ التي اخذها الشاعرُ وزِده مثلَها، وخذ مئةَ الفِ لنَفَقَتك . فافتكَّ ضيعتَه ، وأعطى مسلما خمسين الفا أخرى .

قالَ مسلم : ثم افضت بي الامورُ بعد ذلك إلى أن هَجَوت يزيد . فشكاني إلى الرشيد . فدعاني وقال : اتبيعُني عِرضَ يزيدَ ؟ فقلت : نعم ، يا امير المؤمنين . فقال لي : بكم ؟ فقلت : برغيف . فغَضِب حتى خِفتُه على نفسي ، وقال : قد كنت ارى أن أشتريَه منك بمال جسيم ، ولستُ افعلُ ولا كرامةَ . فقد علِمتُ إحسانَه اليك . وانا نَفيٌّ من ابي ، وواللهِ ، ثم والله ، لئن بلغني أنك هجوتَه لأنزعَنَّ لسانَك من بين فكَّيك . فأمسكت عنه ، وما ذكرته بخير ولا شر .

ركب يزيدُ يوما إلى الرشيد فتغلّف بغالية (١) ، ثم لم يلبث أن عاد فدعا بطَست فغسل الغاليةَ وقال : كَرِهتُ أن أُكذِّبَ قولَ مسلم بن الوليد :

لا يَعبَقُ الطيـبُ خدّيـه ومفرِقَـه ولا يُمَسِّحُ عينيه مـن الكُحُـلِ

كان مسلمُ بن الوليد أُستاذَ دِعبلٍ وعنه أخذ ومن بحره استقى .

قال دِعبلٌ إنه كان لا يزال يقول الشعر فيَعرِضه على مسلم فيقول له : إياك ان يكون اولُ ما يَظهَرُ لك ساقطا فتُعرفَ به ، ثم لو قُلتَ كلَّ شيءٍ حسنٍ كان الاولُ أشهرَ عنك . حتى قال دِعبِلٌ :

ايـن الشبـابُ وأيـةً سلكـا

فلما سمع مسلم هذا قال له : أظهِرِ الانَ شِعرَك كيف شئتَ .

قال ابن سعيد الحريري : ان ابا تمام حلف الا يُصلّيَ حتى يَحفَظَ شعرَ مسلمٍ وابي نُواسٍ . فمكث شهرين كذلك حتى حَفِظَ شعرَهما . قال : ودخلت عليه فرأيت شعرَهما بين يديه فقلتله : ما هذا ؟ قال : اللاّتُ والعُزّى وأعبدُهما من دون الله .

قال ابراهيم المَوصلي : قلت لمسلم بنِ الوليد : ويحك اما استحيَيت من الناس حين تَهجو خُزَيمَةَ بنَ خازمٍ ، ولا استحييت منا ، ونحن اخوانُك ، وقد علمتَ أنّا نتَولاّه وهو مَن تَعرف فضلاً وجودا ؟ فضحك وقال : يا ابا اسحاق ، لغيرك الجهلُ . اما تعلم أن الهِجاءَ آخذٌ بضَبُعِ (٢) الشاعر وأنه أجدى عليه من المديح المُضرِع ، وما مضى فلا سبيلَ إلى ردّه ، وقد وهبتُ لك عِرضَ خُزَيمةَ بعد هذا .

دخل مسلم يوما على الفضل بن يحيى البرمكي فأنشده قوله :

اتتكَ المطايـا تَهتـدي بمطيّـةٍ عليها فتى كالنصل مُؤنِسُـه النَصلُ

ومنها :

بكفِّ ابي العبّاس يُستمطَـرُ الغِـنى وتُستَنزَلُ النُعمى ويُسترعَفُ النَّصـلُ

فطرب الفضل طربا شديدا وأمر بأن تُعَدَّ الأبياتُ ، فكانت ثمانين ، فأمر له بثمانين الف درهم . وأمره بالجلوس معه والمُقام عنده لمنادمته . فأقام عنده وشرب معه . وكانت على رأس الفضل وصيفةٌ تسقيه كأنها لؤلؤةٌ ، فلمح الفضلُ مسلِماً ينظر إليها ، فقال : قد ، وحياتي يا ابا الوليد ، أعجبَتك فقل فيها ابياتا ، فقال :

إن كنتِ تسقين غيـرَ الراح فاسقيـني كأسا ألَـذُّ بها من فيكِ تَشفيني

عيناكِ راحي ورَيحـاني حـديثُك لـي ولونُ خدَّيكِ لونُ الوردِ يكفيـني

اذا نَهانيَ عن شُربِ الطِـلا حَرَجٌ فخمرُ عينيك يُغنيـني ويجزيـني

(١) الغالية : اخلاط من الطيب . (٢) ضبع : هي هنا بمعنى العضد ومنه الكناية الشائعة : فلان آخذ بضبعي أي ناصر لي.

فقال : خذها بورك لك فيها .

كان داودُ بنُ يزيدَ بنِ حاتمٍ المُهلَّبيُّ يجلس للشعراء في السنة مجلِسا واحدًا ، فيقصدونه لذلك اليومِ ويُنشدونه . فوجَّه اليه مسلم راويته بشعره فقدِم عليه يومَ جلوسه ولحِقه بعَقِبِ خروجهم عنه ، فتقدم إلى الحاجب وحَسر لِثامَه ثم قال : استأذِن لي على الامير . قال : ومن انت ؟ قال : شاعر . قال : قد انصرم وقتُك ، وانصرف الشعراء ، وهو على القيام . فقال له : ويحَك ، قد وَفدتُ على الامير بشعر ما قالت العربُ مثلَه . فقال : — وكان مع الحاجبِ ادبٌ يَفهمُ به ما يَسمعُ — هاتِ حتى أسمعَ ، فإن كان الامرُ كما ذكرت اوصلتُك اليه . فأنشده بعضَ القصيدة . فسَمِع شيئا يَقصُرُ الوصفُ عنه . فدخل على داودَ فقال له : قد قَدِم على الامير شاعر بشعرٍ ما قيلَ فيه مثلُه . فقال : أدخِل قائلَه . فأدخلَه . فلما مَثَل بين يديه سلَّم وقال : قَدِمتُ على الامير بمدح يَسمَعُه فيَعلمُ به تقدُّمي على غيري . فقال : هاتِ . فلما افتتح القصيدة قال :

لا تَــدعُ بي الشوقَ إني غيــرُ مَعمودِ نَهى النُهى عن هَوى البِيضِ الرَّعاديدِ

استوى جالسا وأطرقَ ، حتى أتى الرجلُ على آخرِ الشعر . ثم رفع رأسَه اليه ثم قال : اهذا شعرُك ؟ قال : نعم ، اعزَّ اللهُ الاميرَ . قال : في كم قُلتَه يا فتى ؟ قال : في أربعةِ أشهرٍ . قال : لو قُلتَه في ثمانيةٍ لكنتُ مُحسِنا . وقد اتَّهمتُك لجودة شعرِك وخُمول ذكرِك ، فان كنت قائلَ هذا الشعرِ فقد أنظَرتُك اربعةَ اشهرٍ في مثله ، فان جئتَنا بمثل هذا الشعرِ وهبتُ لك مئةَ الفِ درهم ، وإلا حرَمتُك . فقال : او الإقالةَ ، اعزَّ اللهُ الامير . قال : قد أقلتُك . قال : الشعرُ لمسلم بن الوليد وانا راويتُه والوافدُ عليك بشعره . فقال : انا ابن حاتمٍ ، إنك لما افتتحتَ شعرَه فقلت :

لا تَــدعُ بي الشوقَ إني غيــرُ مَعمودِ

سمعت كلامَ مسلمٍ يُناديني ، فأَجبت نِداءَه ، واستويتُ جالسا . ثم قال : يا غلامُ ، أَعطِه عشرةَ آلافِ درهم ، واحمِل الساعةَ إلى مسلم مئةَ الف درهم .

(— وهذا بعض القصيدة وقد بلغت مئة بيت وبيتاً نقل مع الشرح عن ديوانه المخطوط في المكتبة الشرقية في بيروت —)

لا تَدعُ بي الشوقَ إني غيرُ معمـــودِ نَهى النُهى عن هَوى الهِيفِ الرَّعاديدِ (١)

لوشِئتُ ، لاشِئتُ ، راجعتُ الصِّبا ومشت فيَّ العيونُ وفاتتني بمجلودِ (٢)

---

(١) المعمود : العاشق والمقروح القلب . النهى : العقل . الهيف : جمع هيفاء ، الضامرة . الرعاديد : المرتجات الأكفال . والرعديد : الجبان . يقول : لا تدعُني مشتاقاً فالعقل نهاني عن الهوى . (٢) المجلود : الجلد . أي لو شئت ، لا جعلني الله أشاء ، لمشت فيَّ عيون النساء لعشقهن لي ، فيفوتني الجلد .

سَل ليلةَ الخَيفِ هل أَمضيتُ آخِرَها ... بالراح تحت نسيمِ الخُرَّدِ الغيدِ (١)

شَجَجتُها بلُعابِ المُزنِ فاغتزلت ... نسجَينِ من بينِ مَحلولٍ ومعقودِ (٢)

كِلا الجديدينِ قد أُطعِمتُ حَبرتَه ... لو آلَ حيٌّ الى عُمرٍ وتخليدِ (٣)

لَأَجمعُ الحِلمَ والصهباءَ ، قد سكنت ... نفسي الى الماءِ عن ماءِ العناقيدِ

لم يَنهَني فَنَدٌ عنها ولا كِبَرٌ ... لكن صَحَوتُ وغُصني غيرُ مخضودِ (٤)

اذا تجافت بيَ الهِمَّاتُ عن بلدٍ ... نازعتُ ارضاً ولم أحفِل بتمهيدِ (٥)

اليكَ بادرتُ اسفارَ الصَّباحِ بها ... من جِنحِ ليلٍ رحيبِ الباعِ ممدودِ (٦)

حتى اتتك بيَ الآمالُ مُطَّلِعاً ... لليُسرِ عندك في سِربالِ محسودِ (٧)

وساورتني بناتُ الدهرِ فامتحنت ... رَبعي بمُمحِلَةٍ شهباءَ جارودِ (٨)

الى بني حاتمٍ ادَّى ركائبَنا ... خَوضَ الدُجى وسُرى المَهرِيَّةِ القُودِ (٩)

حلَّت بداودَ فامتاحت وأعجلَها ... حَذوَ النعالِ على أينٍ وتحريدِ (١٠)

اعطى فأفنى المُنى ادنى عطيَّتِه ... وأرهق الوعدَ نُجحاً غيرَ منكودِ (١١)

موحَّدُ الرأيِ تنشقُّ الظنونُ له ... عن كل ملتبِسٍ منها ومعقودِ

كالليثِ بل مثلُه الليثُ الهَصورُ اذا ... غنَّى الحديدُ غِناءً غيرَ تغريدِ

يلقى المنيَّةَ في امثالِ عِدَّتِها ... كالسيل يقذِف جُلموداً بجلمودِ (١٢)

آلُ المهلَّبِ قوم لا يزال لهم ... رِقُّ الصريحِ وأسلابُ المذاويدِ (١٣)

مُظفَّرون تُصيب الحربُ أنفسَهم ... اذا الفِرارُ تمطَّى بالمحاييدِ (١٤)

نفسي فداؤك يا داودُ اذ عَلِقت ... ايدي الردى بنواصي الضُمَّرِ القُودِ

---

(١) الخيف اسفل الجبل . امضى آخرها ، أي أمضى اولها الى آخرها بالشرب يتشمم نسيم النساء الخرد أي الأبكار ، والغيد جمع غيداء الطويلة العنق . (٢) شج الخمر ، مزجها بلعاب المزن أي ماء السحاب وهو أنقى . فاغتزلت أي اختلطت. نسجين أي ما ولي الماء من الخمر في الكأس فحله ، وما ولي منه القاع بقي على حسبه لم يحله الماء . (٣) الجديدين: الليل والنهار . الحبرة : النعيم . (٤) فند : لوم . غصني أي شبابي . المخضود : الواهن . (٥) نازعت أرضاً أي قصدتها . (٦) بها ، أي الناقة . رحيب الباع ، أي أتيتك قبل الصبح كأن الليل كان طويلا . (٧) أي أن الآمال التي حملتني اليك جعلتني محسوداً لعلم الناس بأنك ستغنيني . (٨) ساورتني : واثبتني . بنات الدهر : مصائبه ، فامتحنت منزلي بسنة ممحلة جردت الأرض من النبات . (٩) الركائب : جمع الركوبة من الخيل والإبل . المهرية، المنسوبة الى قبيلة مهرة . القود جمع قوداء وهي التي تقاد . (١٠) حلت أي نزلت النوق . فامتاحت،من الامتياح ، وهو اغتراف الماء بملء اليدين . أي انها ملأت يديها بالعطايا منه ، ولم يبطىء بل أعجلها ، والابل لم تسترح بعد الأين أي التعب ومن التحريد وهو داء يصيب الإبل في قوائمها . (١١) يقول ان ادنى عطاياه أي أقلها أفنى المنى وأرهق الوعد، بأن أتبعَه بالفعل وبالنُجح أي بانقضاء المطلوب بعد ادراكه. (١٢) يلقى الموت بعدة الموت اي التقتيل في المعركة.
(١٣) الصريح : الحر . المذاويد: من ذاد يذود اي دافع وحارب. يقول انهم يملكون الاحرار بالعطايا ويسلبون المحاربين .
(١٤) اي اذا استولى الفرار على الذين يتحايدون الحرب ، فهم يلقون بانفسهم للحرب لأنهم شجعان ، وهم مظفرون .

هُناك أنَّك مَغدى كلٍّ ملتمِسٍ جوداً وانك مأوى كلٍّ مطرودِ
عَوَّدتَ نفسَك عاداتٍ خُلِقتَ لها صُدقَ الحديثِ وإنجازَ المواعيدِ

كان مسلم يهاجي الحكَم بنَ قنبرٍ المازنيَّ، فغلَب عليه قنبرٌ مرةً وأخرسه . ثم اثاب مسلمٌ بعدَ ان انخذل وأُفحِم فهتك ابنَ قنبرٍ حتى كفَّ عن مناقضته .

ومما قاله مسلم في قنبر :

انا النارُ في أحجارِها مستكِنَّةٌ فان كنتَ ممن يَقدَح النارَ فاقدحِ

فأجابه ابن قنبر :

قد كنتَ تَهوي وما قوسي بمُوتَرَةٍ فكيف ظَنُّك بي والقوسُ في الوترِ

فوثب اليه مسلم وتواخذا وتواثبا ، وحجز الناس بينهما فتفرقا ..

كانت لمسلم زوجةٌ من اهله ، كانت تَكفيه امرَه وتَسُرُّه فيما تَليه له منه . فماتت فجَزِعَ جزعا شديدا ، وتنسَّك مدةً طويلة ، وعزم على ملازمته ذلك . فاقسم عليه بعضُ إخوانه ذاتَ يومٍ ان يزورهم ، ففعل . فأكلوا وقدَّموا الشراب ، فامتنع منه واباه وانشأ يقول :

بُكاءٌ وكأسٌ كيف يتَّفقانِ سبيلاهما في القلب مختلفانِ
دَعاني وإفراطَ البُكاءِ فإنني أرى اليومَ فيه غيرَ ما تريانِ

محمد بن وهيب

هو حِميَريٌّ صليبةً من شعراء الدولة العباسية . اصلُه من البصرة . كان يَستمنِح الناسَ بشعره ويتَكسَّب بالمديح . وهو متوسِّطٌ من شعراء طبقته .

من جيد شعره هذه الابيات من قصيدة في مدح المطَّلِب الخُزاعي ، والي المَوصِل ، وكان له صديقاً حفيّاً :

دِماءُ المحبين لا تُعقَلُ (١) أما في الهوى حاكمٌ يَعدِلُ
ونَظرةِ عينٍ تَعلَّلتُها غِراراً كما يَنظُر الأحولُ

(١) لا تدفع ديتها .

مقسَّمـــــةٍ بيـــنَ وجـهِ الحبيـــبِ وَطرفِ الرقيـبِ متى يَغفَـلُ

وقال يمدح الحسنَ بنَ سهلٍ بقصيدة طويلة منها :

قسمـــتَ صروفَ الدهـرِ بأساً ونـائلاً فمالُك موتورٌ وسيفك واتـرُ
ولو لم تكن إلا بنفسـك فاخـــراً لما انتسبـت إلا اليك المَفاخـرُ

فطرب حتى نزل عن سريره إلى الأرض ، وأمر له بخمسة آلاف دينار .

قال ابن الاعرابي : اهجى بيت قاله المحدَثون قولُ محمد بن وهيب في علي بن هشام :

لم تَندَ كَفَّاكَ من بذل النَوالِ كمـا لم يَندَ سيفُك مُذ قُلِّدتَـه بـدمِ

قال ابن هشام : اللهُ يعلم أني لأَدخل على الخليفة وعلي السيفُ وانا مستحٍ منه اذكُر قولَ ابنِ وُهَيب فيَّ : لم تَندَ كفاك ....

ومن جيد شعره :

نَم فقد وَكَّلـتَ بـي الأرَقــا لاهياً تُغـري بمـن عَشَقـا
إنمـا أبقيـتَ مـن جسـدي شَبَحـا غيـرَ الـذي خُلقـا
ما لمـن تَمَّـت محاسِنُـه أن يعادي طَرفَ مـن رَمَقـا
لـك ان تُبـدي لنـا حَسَنـاً ولنا أن نُعمِـلَ الحدَقـا

وقال في المأمون :

العُذرُ إن أنصفـتَ مُتَّضِـحٌ وشهودُ حبِّك أدمُـعٌ سُفُـحُ
فَضحَـت ضميرَك عـن وَدائعـه إن الجفـونَ نواطِـقٌ فُصُـحُ
يَختـال في حُلَـلِ الشباب بـه مَرَحٌ وداؤك أنـه مَـرِحُ
ما زال يُلثِمُـني مَراشِفَـه ويَعلُّـني الابريـقُ والقَـدَحُ
حتى استردَّ الليـلُ خِلعتَـه ونشا خِـلالَ سَوادِه وَضَـحُ
وبدا الصبـاحُ كـأن غُرَّتَـه وجـهُ الخليفةِ حيـن يُمتَدَحُ
واذا سَلِمـتَ فـكلُّ حادثـةٍ جَلَلٌ فلا بُؤسٌ ولا تـرَحُ(١)

كان المأمونُ كثيرا ما يتمثَّلُ إذا كَرِبَه الامرُ قولَ ابنِ وُهَيب :

ألا ربما ضـاق الفَضـاءُ بأهلـه وأمكنَ من بين الاسنَّةِ مَخـرَجُ
وقد يُركَبُ الخَطـبُ الـذي هو قاتلٌ اذا لم يكن إلا عليـه مُعـرَّجُ

(١) جلل معناها هنا : الهين ، الصغير . يقال للكبير والصغير : جلل . فهو من الاضداد . ومنه قول لبيد : كل شيء ما خلا الله جلل .

وسأل محمداً الزياتَ حاجةً فأبطأ فيها فوقف عليه ثم قال له :

طَبعُ الكريمِ على وفائِهْ وعلى التفضُّلِ في إخائِهْ
تُغني عِنايتُه الصديقَ على التعرُّضِ لإقتضائِهْ
حَسْبُ الكريمِ حَياؤه فكِلِ[1] الكريمَ إلى حَيائِهْ

فقال له : حسبُك ، فقد بلغت إلى ما أحببتَ ، والحاجةُ تسبقُك إلى منزلك ،

وقال وهو عليل :

نُراعُ لذكرِ الموتِ ساعةَ ذِكرِه وتَعترِضُ الدنيا فنلهو ونَلعَبُ
وآجالُنا في كلِّ يومٍ وليلةٍ الينا على غِرّاتِنا تتَقرَّبُ
وقد ذَمَّتِ الدُنيا إليَّ نعيمَها وخاطبَني إعجامُها وهو مُعرَبُ
ولكنني منها خُلِقتُ لغيرها وما كنتُ منه فهو عندي مُحبَّبُ

بكر بن النطَّاح الحنفي

يُكنّى ابا وائلٍ وكان صُعلوكا يُصيب الطريقَ ثم أقصرَ عن ذلك ، فجعله ابو دُلفٍ من الجند وجعل له رِزقا سُلطانيا ، وكان شُجاعا بَطَلا فارسا شاعرا .

قال يزيدُ بنُ مَزيدٍ : وَجَّه إلي الرشيدُ في وقتٍ يُرتابُ فيه البريءُ ، فلما مَثَلتُ بين يديه قال يا يزيد مَن الذي يقول

ومَن يَفتقِر منا يَعِش بحِسامِهِ ومَن يفتقر من سائرِ الناسِ يَسألِ

فقلت له : والذي شرَّفك بالخِلافةِ ما أعرفُه ! قال : فمَن الذي يقول :

وإن يكُ جَدُّ القومِ[2] فهرَ بنَ مالكٍ فجَدِّي لُجَيمٌ قَرمُ بكرِ بنِ وائلِ

قلت : لا والذي اكرمك يا امير المؤمنين ما اعرفه ، قال : والذي اكرمني وشرَّفني أنك لتَعرفُه . أتظُنُّ يا يزيدُ أني اذا أوطأتُك بِساطي وشرَّفتُك بصَنيعي أني أَحتمِلُك على هذا ؟ أَوَ تظُنُّ أني

(١) من فعل وكل (٢) اي جد العباسيين .

لا أُراعي امورَكَ وأتقصّاها وتَحسَبُ أنه يَخفى علي شيءٌ منها؟ والله إن عيوني لعليك في خلَواتك ومَشاهدك . هذا جلفٌ من اجلاف ربيعةَ عدا طورَه وألحقَ قُريشاً بربيعةَ ، فأتِني به .

فانصرفتُ وسألت عن قائل الشعر فقيل لي : هو بَكرُ بنُ النَطّاح ، وكان احدَ اصحابي فدعوتُه واعلمتُه ما كان من الرشيد فأمرتُ له بألفي درهمٍ ، واسقطتُ اسمَه من الديوان وامرتُه ألا يَظهرَ ما دام الرشيدُ حيًّا ، فما ظهر حتى مات الرشيد .

كانت لبكر جارية ، فقال فيها :

أُكذِّبُ طرفي عنكِ والطرفُ صادقٌ وأُسمِعُ أُذني منكِ ما ليس تَسمَعُ
ولم أسكُنِ الأرضَ التي تَسكُنينها لكي لا يقولوا صابرٌ ليس يَجزَعُ
فلا كَبِدي تَبلى ولا لكِ رحمةٌ ولا عنكِ إقصارٌ ولا فيكِ مَطمَعُ
لقيتُ امورا فيكِ لم ألقَ مثلَها وأعظمُ منها منكِ ما أتوقَّعُ

قيل : إن أبا دُلَفٍ لَحِقَ أكراداً قطعوا الطريقَ في عَمَلِه(١) ، وقد أردفَ فارسٌ منهم رفيقاً له خلفَه ، فطعنهما جميعًا فأنفذَهما . فتحدَّث الناسُ بأنه نَظَمَ بطعنة واحدة فارسين . فلما قَدِم دخل اليه بَكرٌ فأنشده :

قالوا ويَنظِمُ فارسينِ بطعنةٍ يومَ اللقاءِ ولا يَراه جليلا
لا تَعجَبوا فلوَ انَّ طولَ قناتِه ميلٌ اذاً نظمَ الفوارسَ ميلا

فأمر له ابو دلف بعشرة آلاف درهم . فقال بكر :

له راحة لو أن معشارَ جودِها على البَرّ كان البَرُّ أندى من البحرِ
ولو أن خلقَ اللهِ في جِسمِ فارسٍ وبارزَه كان الخليَّ من العُمرِ

وقال فيه ايضا :

اذا كان الشتاءُ فانت شمسٌ وان حَضَرَ المصيفُ فانت ظِلُّ
وما تَدري اذا أعطَيتَ مالا أتُكثِرُ في سَماحِك او تُقِلُّ

فقال : أعطُوه عشرة آلاف درهم .

قال عمارة بن عقيل بن جرير : قد قلت انا في قريب من هذا :

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ أكُفَّهم لإموالهم مثلُ السنينَ الحواطمِ

وقال بكر في جارية تدعى عَنانُ :

قالت عَنانُ وأبصرتني شاحباً يا بَكرُ مالَك قد علاك شُحوبُ

(١) عمل أعمال : مقاطعة ، ولاية .

فأَجبتُهــا يــا أُخــتُ لم يَلقَ الذي لاقيتُ إلا المُبتَـلى أيُّـوبُ
قد كُنتُ اسمَعُ بالهــوى فأظُنُّــه شيئا يَلَــذُّ لأهلِـه ويَطيـبُ
حتى ابتُليــتُ بحلُــوِه وبمُــرِّه فلَلحلُو منــه للقلـوبِ مُذيـبُ
والمرُّ يَعجِزُ مَنطِقي عــن وصفــه للمرِّ وصفٌ يا عَنــانُ عجيــبُ

وقال :

كنا وكنتم كالبنَــانِ وكفِّهــا فالكفُّ مُفرَدةٌ بغير بَنــانِ
خُلِقَ السرورُ لمعشــرٍ خُلِقـوا لـه وخُلِقتُ للعَبَـراتِ والأحــزانِ

مقتل مُصعَب بن الزبير

سنةَ اثنتين وسبعين استشار عبدُ الملك بن مروانَ في المسير إلى العراق ومُناجزة مُصعَب . فأمر الناسَ ، فاستعدُّوا للمسير . فلما أجمَعَ عليه قالت عاتكةُ زوجتُه : يا امير المؤمنين ، وجِّه الجنودَ وأقِم . فليس الرأي أن يُباشرَ الخليفةُ الحربَ بنفسه . فقال : لو وَجَّهتُ اهلَ الشام كلَّهم ، فعلم مُصعَبٌ أني لست معهم ، لهَلَك الجيشُ كلُّه .

بَلغ مُصعَباً مسيرُ عبدِ الملك فخرج ونَزَل ديرَ الجاثليقِ ، وبين العسكرين ثلاثةُ فراسخ . وقَدَّم عبدُ الملك محمدا وبِشرا أخويه ، كلَّ واحدٍ منهما على جيش ، وقَدَّم مصعبٌ ابراهيمَ بنَ الاشتر .

كتب عبدُ الملك إلى أشراف اهل الكوفةِ والبصرةِ يَدعوهم إلى نَفسه ويُمنِّيهم فأجابوه وشرَطوا عليه شروطا وسألوه ولاياتٍ . وكتب إلى ابراهيمَ بنِ الاشترِ : لك ولايةُ ما سقى الفُراتُ إن تَبِعتَني . فجاء ابراهيمُ بالكتاب إلى مُصعَبَ فقال : هذا كتابُ عبدِ الملك ، ولم يَخصُصني بهذا دونَ غيري من نُظرائي . ثم قال : فأَطِعني فيهم . قال : أصنَعُ ماذا ؟ قال : تَدعوهم فتَضرِبُ أعناقَهم . قال : أقتُلهم على ظنٍّ ظننتَه ؟ قال : فأَوقِرهم حديدا وابعث بهم إلى المدائنِ حتى تَنقضيَ الحربُ . قال : اذاً تَفسُدُ قلوبُ عشائرهم ، ويقول الناسُ : عَبَثَ مُصعبٌ بأصحابه . قال : فإن لم تفعل فلا تُمِدَّني بهم ، فانهم كالمُومِسةِ تُريد كلَّ يومٍ خليلا وهم يُريدون كلَّ يوم اميرا .

وارسل عبدُ الملك إلى مُصعبٍ رجلا يَدعوه إلى أن يَجعلَ الامرَ شُورى في الخلافة ، فأبى مصعبٌ . والتقى العسكران ، وانصرف اهلُ العراق وانهزم الناسُ وصَبر ابنُ الأشترِ يقاتل حتى

قُتِل . فترك قومٌ مصعبا واتَوا محمدَ بنَ مروان . فدنا محمدٌ إلى مُصعَبٍ وناداه : فِداك ابي وامي، إن القومَ خاذلوك ، ولك الامانُ . فأبى . ثم دعا محمدٌ عيسى بنَ مُصعبٍ ، فقال له ابوه : انظر ما يريد محمد . فدنا منه ، فقال له : إني لكم ناصح . إن القومَ خاذلوكم ولك ولأبيك الامانُ . فرجَع إلى أبيه فأخبره ، فقال : إني أظُنُّ القومَ سيَفون . فإن أحببتَ أن تَأتيَهم فأتِهم . فقال : والله لا تتحدث نساءُ قريش أني خذلتُك ورغبتُ بنفسي عنك . قال : فتقدَّم حتى أحتسِبَك . فتقدَّمَ وتقدَّم ناسٌ معه ، فقُتِل وقُتِلوا . وترك اهلُ العراقِ مُصعباً حتى بَقي في سبعة . وجاء رجل من اهلِ الشام ليَحتزَّ رأسَ عيسى ، فشدَّ عليه مُصعبٌ فقتله ، ثم شدَّ على الناس فانفرجوا . ثم رجَع فقعد على مِرفَقةِ ديباجٍ . ثم جعل يَقوم عنها ويَحمِل على اهل الشام فيَنفرِجون عنه ، ثم يرجِعُ فيَقعُد على المِرفَقة ، حتى فعل ذلك مِرارا . وأتاه عُبَيدُ الله بنُ زيادِ بنِ ظَبيان فدعاه إلى المبارزة . فقال له : اعزُب يا كَلبُ . وشدَّ عليه مُصعبٌ فضربه على البَيضة فهَشَمَها وجرحه . فرجع عُبيدُ الله فعَصب رأسَه . وجاء ابنُ فَروةَ كاتبُ مصعب فقال له : جُعِلتُ فِداءك قدتَركَك القومُ ، وعندي خيلٌ مُضمرَّة فاركبها وانجُ بنفسك . فدفع في صدره وقال : ليس اخوك بالعبدِ . ورجَع ابن ظَبيانَ إلى مُصعبٍ ، فحمل عليه . وزَرَق [1] زائدةُ بنُ قُدامةَ مُصعباً ونادى : يا لِثاراتِ المُختار ، فصرعه . وقال ابنُ ظَبيانَ لغُلامٍ له دَيلَمِي : احتزَّ رأسه ، فحمله إلى عبد الملك .

لما قُتل مصعب اجتمع الشاعر عبد الله بن الزبير [2] وعبيد الله بن زياد بن ظَبيان في مجلس فعرف ابن الزبير خبره ، فاستقبله بوجهه وقال له :

أبا مطرٍ شُلَّت يمينٌ تفرَّعت ... بسيفك رأسَ ابن الحَواريِّ مُصعَبِ [3]

فقال له ابن ظبيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجاةَ . هيهات ! «سَبَقَ السيفُ العذل» [4] .

قال : فكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يَقَظة ، كان يُهوَّل عليه في منامه فلا ينام ، حتى كَلَّ جسمُه ونُهِك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

قال الماجِشون : لما كان يومَ قُتِل مصعبٌ ، دخل الى سُكَينةَ بنتِ الحسينِ فنزع عنه ثيابَه

(١) رماه بالمزراق . (٢) راجع ترجمته في الجزء الرابع عشر . (٣) تفرعت : علت . الحواري : الناصر او ناصر الانبياء ، وهو الزبير بن العوام . قال الرسول : «الزبير ابن عمّي وحواريي من أمّتي» واصل الكلمة حبشية على ما انتهى اليه تحقيق الاب مرمرجي ، والحواريون كانوا رسل السيد المسيح الاثني عشر . (٤) قال هذا المثل ضبة بن أد وكان له ابنان يقال لاحدهما : سعد ، وللآخر سعيد . فنفرت له ابل تحت الليل فوجه ابنيه في طلبها ، فتفرقا ، فوجدها سعد فردها ، ومضى سعيد في طلبها ، فلقيه الحرث بن كعب ، وكان على الغلام بردان ، فسأله الحرث اياهما ، فأبى عليه ، فقتله واخذ برديه . فكان ضبة اذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال : أسعد ام سعيد ؟ ثم انه حج فوافى عكاظ ، فلقي بها الحرث بن كعب ، ورأى عليه بردي ابنه سعيد ، فعرفهما ، فقال له : هل انت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك . قال : بلى . لقيت غلاماً وهما عليه ، فسألته اياهما فأبى علي فقتلته واخذت برديه هذين . فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم . فقال : فأعطنيه انظر اليه ، فاني اظنه صارماً . فاعطاه الحرث سيفه . فلما أخذه هزه وقال : الحديث ذو شجون ، أي ذو طرق ، ثم ضربه به حتى قتله . فقيل له : يا ضبة ، أفي الشهر الحرام ! فقال : سبق السيف العذل ، اي اللوم .

ولَبِس غلالةً وتوشَّح بثوب وأخذ سيفَه ، فعلِمت سُكَينةُ أنه لا يُريد أن يرجِعَ. فصاحت : واحَرَباه (١) عليك يا مُصعَبُ. فالتفت اليها وقد كانت تُخفي ما في قلبها معه ، فقال : أَوَكلُ هذا لي في قلبك ؟ فقالت : واللهِ وما كنتُ أُخفي أكثرُ. فقال : لو كنت اعلمُ أن هذا كلَّه لي عندَك لكانت لي ولك حالٌ . ثم خرج ولم يَرجِع.

قال ابو جَنّاب : لما اتى عبدَ الله بنَ الزبير – أميرَ مكةَ – قتلُ أخيه مُصعبٍ ، أضرب عن ذكرهِ اياما حتى تَحدَّثت به إماءُ مكةَ في الطريق. ثم صعد المنبرَ فجلس عليه مَليًّا لا يتكلم والكآبة على وجهه وجبينُه يَرشَح عرَقا . فقالوا : ما له لا يتكلم ؟ أتُراه يَهابُ المَنطِقَ ؟ فوالله إنه لخطيبٌ . فما تُراه يَهابُ ؟ فقام فقال : الحمدُ لله الذي له الخَلقُ والامرُ. يُعزُّ مَن يشاء ويُذِلُّ مَن يشاء . ثم قال : إنه قد اتانا خبرٌ من العراق بلدِ الغَدر ، والشِقاقِ ، فساءنا وسرَّنا . اتانا أن مُصعبا قُتِل ، رحمةُ الله عليه . فأما الذي حزَنَنا من ذلك فإنَّ لفراقِ الحميمِ لذعةً يَجِدُها حميمُه عند المُصيبةِ . وأما الذي سرَّنا منه فإنا قد علِمنا أن قتلَه شَهادةٌ له . إن اهلَ العراق أسلموه وباعوه بأقلِّ ثمنٍ كانوا يأخذونه منه . ولَئِن قُتِل ، لقد قُتِل ابوه وعمُّه واخوه ، إنا ، واللهِ ، ما نموتُ حَتفَ أنوفنا ، ما نموت إلا قتلا ، بين قَصدِ الرماحِ وتحتَ ظِلالِ السُيوف . وإنما الدنيا عاريةٌ . فإن تُقبِل الدنيا علي لا آخذُها أخذَ الأشِرِ (٢) البَطِرِ . وإن تُدبِر عني لا أبكِ عليها بُكاءَ الخَرِفِ المُهتِر .

كان عُبَيدُ الله بنُ قيسِ الرُقَيّات عندَ عبدِ الملك، فأقبلَ غِلمانٌ له معهم عِساسٌ خَلَنجٌ، فقال عبدُ الملك : يا ابنَ قيسٍ ، اينَ هذا من عِساسِ مُصعَبٍ التي تقول فيها:

مَلِكٌ يُطعِمُ الطعَـامَ ويَسقـي لبنَ البُختِ في عِساسِ الخَلَنجِ

فقال : لا اينَ يا أميرَ المؤمنين ، لو طرحنا عِساسَك هذه في عُسٍّ من عِساسِ مُصعَبٍ لوَسِعَها وتغلغلت في جوفه . فضَحِك عبدُ الملك ثم قـال : قاتَلَك اللهُ ، يـا ابنَ قيسٍ ، فانك تأبى إلا كرما ووَفاءً .

قال عبد الملك : اشجعُ الناسِ مُصعبٌ . جمع بين عائشةَ بنتِ طلحةَ وسُكينةَ بنتِ الحسين ، وَوليَ العراقين ثم زحف الى الحرب . فبذلتُ له الامانَ فأبى ، وأطَّرَحَ كلَّ ما كان مشغولا به من ماله واهله وراءَ ظهره ، وأقبل بسيفه قُدُما يقاتل ، وما بقي معه الا سبعةُ نفرٍ حتى قُتِل كريما .

---

(١) واحرباه : تقال عند اظهار التفجع والتأسف . واصل الدلالة : واهلاكاه ، ويا ويلاه . (٢) الأشر : النزق ، المكابر المتهكم . (٣) عساس : جمع عس ، القدح او الاناء الكبير . خلنج : فضة . البخت : النوق السريعة .

أَشعب بن جبير

كنيته ابو العَلاء نشأ في المدينة في دُور آل ابي طالب.

كان أشعبُ مع عثمانَ في الدار، فلما حُصِر جرَّد مماليكُه السيوفَ ليقاتلوا. فقال لهم عثمان: من أغمدَ سيفَه فهو حرٌّ. قال أشعبُ: فلما وقعت في اذني كنت اولَ من أغمد سيفَه فأُعتِقتُ.

روى اشعبُ عن امِّه انها كانت تُغري بين ازواج الرسول، فدعا عليها الرسولُ فماتت. وأنها زنت فحُلِقت وحُمِلت على جمل، وطِيفَ بها فكانت تُنادي: مَن رآني فلا يَزنِيَنَّ. فقالت لها امرأة: يا فاعلةُ، نَهانا اللهُ، عز وجل، عنه فعصَيناه، أَوَ نُطيعُك وانتِ مجلودةٌ محلوقةٌ راكبةٌ على جمل؟

كان اشعبُ ازرقَ، احولَ، أكشفَ، أفدَعَ(١). وكان مع ملاحته ونوادره يغني اصواتا فيُجيدُها.

قال اشعب: تعلَّقتُ بأستارِ الكعبة فقلت: اللهم أذهِب عني الحِرصَ والطَلَبَ الى الناس. فمررت بالقرشيين وغيرهم فلم يُعطِني احدٌ شيئا. فجئت الى امي فقالت: مالك قد جئتَ خائبا؟ فاخبرتُها. فقالت: لا، والله، لا تَدخُل حتى ترجِعَ فتَستقيلَ ربَّك. فرجعت فقلت: يا ربِّ أَقِلني. ثم رجعت. فلم امرُر بمجلِسٍ لقريش وغيرهم إلا أعطَوني، ووُهِب لي غلام. فجئت الى امي بحمار مُوقَر من كل شيء فقالت: ما هذا الغلام؟ فخفت ان اخبرها بالقصة فتموت فرحا. فقلت: وَهبوا لي. فقالت: ايُّ شيء؟ قلت: غين. قالت: وأيُّ شيء غين؟ قلت: لام. قالت: وايُّ شيء لام؟ قلت: ألف. قالت: وايُّ شيء الف؟ قلت: ميم. قالت: ايُّ شيء ميم؟ قلت: غلام. فغُشِي عليها. ولو لم أُقطِّع الحروفَ لماتت الفاسقةُ فرَحا.

كان لأشعبَ خَرَقٌ في بابه، فينامُ ويُخرِج يدَه من الخَرَق ويَطمَعُ أن يَجيءَ إنسان فيَطرحَ في يده شيئا. فبَعث اليه بعضُ مَن كان يَعبث به مُجّانُ آلِ الزبير بعبدٍ له فسَلَح في يده. فلم يَعُد بعدَها الى أن يُخرِجَ يده.

صلى اشعبُ يوما الى جانب مروانَ بنِ أبانَ بنِ عُثمانَ، وكان مروانُ عظيمَ الخَلقِ والعجيزةِ، فأفلتت منه ريحٌ عند نهوضه لها صوتٌ، فانصرف اشعبُ من الصلاة، فوَهَم الناسُ

---

(١) الاكشف: الذي انحسر مقدم رأسه. الافدع: من اعوج رسغ يده او رجله.

أنه هو الذي خرجت منه الريحُ . فلما انصرف مروانُ الى منزله جاءه اشعبُ فقال له : الديةَ . فقال : ديةَ ماذا ؟ فقال : ديةَ الضرطةِ التي تحملتُها عنك ، وإلا شَهرتُك. فلم يدَعه حتى اخذ منه شيئا صالحا .

غذا أشعبُ جدياً بلبن امه حتى بلغ الغايةَ ، وقال لزوجته : أُحبُ أن تُرضعيه بلبنك ففعلت . ثم جاء به الى اسماعيل بن جعفرٍ فقال : بالله إنه لابني ، قد ارضعتهُ بلبن امرأتي ، وقد حبوتُك به ولم أرَ احدا يستأهلُه سواك . فأمر به اسماعيلُ فذُبح وسُمط . فاقبل عليه أشعبُ وقال : المكافأةُ. فقال : ما عندي اليومَ شيء ، ونحن مَن تَعرف ، وذلك غيرُ فائتٍ عليك . فلما يئس منه قام فدخل على ابيه جعفرٍ . ثم اندفع يَشهقُ حتى التقت اضلاعُه ، ثم قالَ : أخلِني . قال : ما معنا احدٌ يَسمعُ ، ولا عليك عينٌ . قال : وثَب ابنُك اسماعيلُ على ابني فذبحه ، وانا انظرُ اليه . فارتاع جعفرٌ وصاح : ويلَك ، وفيمَ ؟ وتُريدُ ماذا ؟ قال : والله مالي في اسماعيلَ حيلةٌ ، ولا يَسمعُ هذا سامعٌ بعدَك . فأخرج اليه مئتي دينارٍ وقال له : خذ هذه ، ولك عندَنا ما تُحبُ . وخرج الى اسماعيلَ لا يُبصر ما يَطأُ عليه ، فقال : يا اسماعيلُ ، أوَ فعلتَها بأشعبَ ؟ قتلتَ ولدَه ؟ فاستضحك وأخبرَه الخبرَ . فاخبره ابوه ما كان منه وصار اليه . وكان جعفرٌ يقول لاشعبَ : رُعتَني راعكَ اللهُ . فيقول : رَوعةُ ابنِك اياي في الجدْيِ اكبرُ من روعتي لك في المئتي الدينارِ .

وقف اشعبُ على امرأة تعمل طبقَ خُوصٍ . فقال : كبّريه . فقالت : لِمَ ؟ أتُريدُ أن تشتريَه ؟ قال : لا ، ولكن عسى أن يشتريَه إنسان فيُهدي اليَّ فيه ، فيكون كبيرا خيرٌ من أن يكونَ صغيرا .

قال اشعبُ لأمه : رأيتُك في النوم مَطليةً بعسلٍ وانا مَطليٌّ بعَذرَة [١] . فقالت : يا فاسقُ ، هذا عملُك الخبيثُ ألبسكَه اللهُ ، عز وجل . قال : إن في الرؤيا شيئا آخر . قالت : ما هو ؟ قال رأيتُني ألعَطُك وأنت تَلعَطينَني . قالت : لعنَك اللهُ يا فاسق .

قيل لاشعب : أرأيت احداً أطمعَ منك؟ قال : نعم . كلبا تَبعَنا اربعةَ اميالٍ على مَضغِ العِلك .

قال احدهم: سمعتُ جلَبةَ شديدةَ مُقبلةَ من البَلاط [٢] فأسرعتُ فاذا جماعةٌ مقبلة واذا امرأةٌ قد فَرعتَهم طولا ، واذا أشعبُ بين ايديهم بكفه دُفُ وهو يغني به ويَرقص ويُحرِّف استَه ويحرِّكُها ويقول :

ألا حيِّ التـــي خرجَـــت قُبَيل الصُبحِ فاختمـــرَتْ
يُقـــال بعينهـــا رَمَـــدٌ ولا واللهِ مـــا رَمَـــدَتْ

فاذا تجاوز في الرقص الجماعةَ رجَع اليهم حتى يُخالِطَهم ويَستقبِلَ المرأةَ ويغني في وجهها وهي تبتسم وتقول : حسبُك الآنَ . فسألت عنها فقالوا : هذه جاريةُ صُرَيم المغنيةُ استلحقَها عند موته واعترف بأنها بنتُه فخاصمت ورثتَه الى السلطان فألحقَها به وأعطاها الميراثَ .

(١) ما يخرج من جوف الانسان . الغائط . (٢) دار القضاء .

قال زَبَنَّجٌ: كان أبانُ بنُ عثمانَ بنِ عفّانَ من أهزلِ الناسِ وأعبثهم . فبينا نحن ذاتَ يوم عنده وعنده اشعبُ اذ اقبل أعرابيٌّ ومعه جمل له ، والأعرابي أشقَرُ أزعَرُ (١) غضوبٌ يتلظّى كأنه أفعى ويتبيّنُ الشرُّ في وجهه . فقال أشعبُ لأبانَ : هذا، والله ، من البابَة (٢)، ادعوه . فدُعي وقيل له : ان الاميرَ ابانَ بنَ عثمانَ يدعوك . فأتاه فسلّم عليه . فسأله ابانُ عن نسبه فانتسب له . فقال : حيّاك اللهُ يا خالي . فجلس . فقال له : إني في طلب جمل مثلِ جملك هذا منذُ زمان فلم أجده كما اشتهي بهذه الصفة ، وهذه القامة ، واللونِ والصّدرِ ، والوَرِك ، والأخفاف ، فالحمدُ لله الذي جعل ظفَري به من عند من أحبُّه . أتَبيعه ؟ قال : نعم ، ايُّها الاميرُ . فقال : إني قد بذلتُ لك به مئةَ دينار . وكان الجملُ يُساوي عشرةَ دنانيرَ . فطمع الأعرابيُّ وسُرَّ وانتفخ وبان الطمعُ في وجهه . فأقبل ابانُ على أشعبَ ثم قال له : ويلَك يا أشعبُ، إن خالي هذا من أقاربك — يعني الطمعَ — فأوسِع له مما عندك فقال : نعم، وزيادةً.

فقال أبان : يا خالي : إنما زدتُك في الثمن على بصيرة وإنما الجملُ يُساوي ستينَ دينارا ، ولكن بذلتُ لك مئةً لقلّة النّقد عندنا ، واني أُعطيك به عُروضا تُساوي مئةً . فزاد طمعُ الاعرابيِّ وقال : قد قَبلتُ ذلك ايُّها الاميرُ . فأسرَّ الى أشعبَ ، فأخرج شيئا مُغطّى فقال له : أخرج ما جئتَ به . فأخرجَ جَرْدَ (٣) عمامةِ خزٍّ خلَقٍ تساوي اربعةَ دراهمَ . فقال له : قَوِّمها يا اشعبُ . فقال له : عمامةُ الاميرِ تُعرَف به ، ويَشهَد فيها الأعيادَ ويَلقى فيها الخلفاء ، خمسون دينارا . فقال : ضَعها بينَ يديه . ووُضعت العمامةُ بين يدَي الأعرابي . فكاد يَدخُل بعضُه في بعضٍ غيظاً ، ولم يَقدر على الكلام . ثم قال : هات قَلَنسُوَتي . فأخرج قَلَنسُوةً طويلةً خلَقَةً قد علاها الوسخُ والدُهنُ وتخرّقت ، تُساوي نِصفَ درهم ، فقال : قَوِّم . فقال : قلنسوةُ الامير تَعلو هامتَه ، وصلّى فيها الصلوات الخمسَ ، ويَجلِس للحُكم ، ثلاثون دينارا . ووُضعت بينَ يدَي الأعرابي . فتَربَّد وجهُه ، وجَحظت عيناه ، وهَمَّ بالوُثوب . ثم تَماسَك وهو مُتقلقِل . ثم قال لاشعبَ : هاتِ ما عندَك . فأخرج خُفَّين خلَقين قد نَقِبا وتَقشّرا وتفتّقا . فقال له : قَوِّم . فقال : خُفّا الاميرِ ، يَطَأُ بهما الرّوضةَ ويَعلو بهما مِنبرَ الرسول ، اربعون دينارا . فقال : ضَعهما بينَ يدَيه . فوضعهما . ثم قال للأعرابي : أضمُم اليك مَتاعَك . وقال لبعض الأعوان : اذهَب فخُذ الجَمَل . وقال لآخَرَ : امض معَ الاعرابيِّ فاقبَض منه ما بَقي لنا عليه من ثَمن المَتاع وهو عشرون دينارا . فوثب الأعرابيُّ فأخذَ القُماشَ فضرب به وجهَ القوم ، ثم قال لأبانَ : أتدري من أي شيء أموتُ؟ قال : لا . قال : لم أُدرِك أباك عُثمانَ فأشترِكَ في دمه اذ وَلَد مثلَك. ثم نهض كالمجنون حتى اخذ برأس بعيره. وضحك أبانُ حتى سقط . وضَحك كلُّ مَن كان معه . وكان الاعرابي بعد ذلك اذا لقي اشعبَ يقول له : هلُمَّ الي يا ابنَ الخبيثة حتى أُكافِئَك على تقويمك المَتاعَ . فيهرُبُ أشعبُ منه .

(١) شرس الخلق . (٢) من الصنف الذي يصلح للسخرية والعبث . ويقال : هذا من بابتنا، اي من صنفنا. (٣) الثوب الجرد : البالي .

كانت عائشةُ بنتُ طلحةُ لا تَستُر وجهها من أحد ، ولم يكن لها شبه في زمانها حُسنا وجَمالا . فعاتبها زوجُها مُصعَبٌ بنُ الزبير في ذلك . فقالت : إن الله ، تبارك وتعالى ، وَسَمني بميسَم جَمال أحببتُ أن يَراه الناسُ . وكانت شَرِسةَ الخُلُقِ ، وكذلك نِساءُ بني تَيم هُنَّ أشرسُ خلْقِ الله وأحظاهُ عند أزواجهن . وكان اشعبُ يألَفُ مصعبا . فغضبت عليه عائشةُ يوما ، فشكا ذلك الى أشعبَ ، فقال : مالي ان رَضيَت ؟ قال : عَشرةُ آلافِ درهم . فانطلق حتى اتى عائشةَ . فقال : جُعِلتُ فِداك ، قد عَلمتِ حُبي لك ومَيلي قديما وحديثا اليك من غير مَنالة ولا فائدة ، وهذه حاجةٌ قد عَرَضت تَقضين بها حَقي . قالت : وما عَناكَ ؟ قال : قد جَعل لي الأمير عَشرةَ آلافِ درهم إن رَضيتِ عنه . قالت : ويحَك ، لا يُمكني ذلك . قال : بأبي انتِ ، فارضَي عنه حتى يُعطِيَني ، ثم عُودي الى ما عَوَّدَكِ اللهُ سُوءَ الخُلُقِ . فضَحِكت ورَضيت .

(وله خبر مع الوليد بن يزيد . راجع الوليد الجزء السابع ص ٢٠٨)

عبد الله بن العباس

هو عبدُ الله بنُ العبَّاس بن الفضل بن الربيع ويُكنَّى ابا العبَّاس. كان شاعرا مطبوعا، ومغنيا مُحسِنا ، حلوَ الشعر ، ظريفَه ليس من الشعر الجزل ولكنه من اشعار المُتْرَفين وأولادِ النعم .

كان عبد الله الربيعيُّ مصطبحا دهرَه لا يَفوتُه ذلك الا في يوم جُمعةٍ او صوم رِمضانَ، وكان يُكثِر المدحَ للصَبوح ويقول الشعر فيه ويغني في ما يقوله ، منه :

ومستطيلٍ على الصَهبــاءِ باكَرَهــا ... في فِتيةٍ باصطباحِ الراحِ حُـذّاقِ
فكلُّ شيءٍ رآه خالَــه قَدَحــا ... وكلُّ شخصٍ رآه خالَه الساقي

قالت بذلُ الكبيرةُ لعبد الله بن العباس : قد بلغَني أنك عَشِقتَ جاريةً يُقال لها عَساليجُ . فاعرِضها علي فإما أن عَذرتُك وإما أن عَذلتُك. فوجَّهَ اليها فحَضَرت ، وقال لبذلَ : هذه هي يا ستي ، فانظُري واسمَعي ثم مُريني بما شئت أُطعك . فاقبلت عليه عَساليجُ وقالت : يا عبدَ الله ، أتُشاوِرُ فِيَّ ؟ فوالله ما شاورتُ فيك لَمَّا صاحبتُك . فنَعَرت بذلُ وصاحت : وَايه ، أحسنت يا صبيَّةُ ، ولو لم تُحسني شيئاً ولا كانت فيك خَصلةٌ تُحمَدُ ، لوجب أن تُعشَقي لهذه الكلمة .

وقال في جارية :

جُدِلَــت كجَدلِ الخيــزُرا ... نِ وثُنِّيَــت فتثَنَّــتِ

واستيقنت أن الفؤاد يحبّها فأدلّت

قال الربيعي : لما صنعتُ لحني في شعرى :

يا ليلةً ليس لها صُبُح وموعدًا ليس له نُجُح
من شادنٍ مرّ على وعده الميلادُ والسُلاّقُ والدَنح

هذه اعيادُ النصارى – (السُلاق: الصُعود . الدنح : الغطاس) – غنيتُه الواثقَ فقال: ويلكم ، أدركوا هذا لا يتنصّرُ .

قال احدهم : دخلت يوما الى عبد الله بن العباس الربيعي ، وخادم له يسقيه، وبيده عودٌ وهو يغني هذا الصوتَ :

اذا اصطبحتُ ثلاثا وكان عُودي نديمي
والكأسُ تُغربُ (١) ضُحكا من كفِّ ظبيٍ رخيمِ
فما عليَّ طريقٌ لطارقاتِ الهُمومِ

قال ابنُ المرزُبان : كان عبدُ الله الربيعيُّ سببا لمعرفة أولياء العُهود . وكان منهم الواثقُ ، فانه أحبَّ ان يعرف هل يُولّيه المعتصمُ العهدَ بعدَه أو لا. فقال له عبدُ الله: انا أدُلُّك على وجهٍ تَعرف به ذلك . فقال : وما هو ؟ قال : تسألُ اميرَ المؤمنين ان يأذنَ للمغنين أن يصيروا اليك . فاذا فعل ذلك فاخلَع عليهم وعليَّ ، فاني لا أقبل خلعتَك لليمينِ التي علي أن لا أقبلَ رفدا إلا من خليفةٍ او وليّ عهدِه . فقعد الواثقُ ذاتَ يومٍ وبعث الى المعتصم وسأله الإذنَ للجلُساء فأذن لهم . فقال له عبدُ الله : قد علِم اميرُ المؤمنين يميني فقال له : امضِ اليه فإنك لا تحنثُ . فمضى . فخلَع عليه وعلى الجماعة فلم يقبَل عبدُ الله خلعتَه . فكتب الى المعتصم يشكوه ، فبعث اليه : إقبَل الخلعةَ فإنه وليُّ عهدي . ونمى اليه الخبرُ أن هذا كان حيلةً من عبد الله ، فنذَر دمَه ، ثم عفا عنه ، وسرَّ الواثقُ ، واقترض له ثلاثمئةِ الفِ درهمٍ ، ففرّقها على الجلُساء .

غضِب الواثقُ على فريدةَ لكلامٍ أخفته إياه فاغضبته ، وجلس للصَبوحِ فغنّاه الربيعيُّ :

لا تأمَني الصَرمَ مني أن ترَي كلَفي وإن مضى لصفاء الوُدِّ أعصارُ
ما سُمِّيَ القلبُ إلا من تقلُّبِه والرأيُ يُصرَفُ والأهواءُ أطوارُ

فاستعاده الواثقُ وشرِب عليه وأمر له بالف دينارٍ . والشعر للاحوص .

(١) تبالغ في الضحك .

ومن جيّد شعره في جارية نَصرانية :

يا شادِناً مَرَّ إذ را مَ في السَّعانِينِ قَتلي
يَقول لي كيفَ أصبحتَ كيف يُصبحُ مِثلي

وقال فيها :

إن في القلب منَ الظَّبيِ كُلُومْ فدَعِ اللومَ فإن اللومَ لُومْ (١)
لم اكن اولَ مَن سنَّ الهوى فدَعِ اللومَ فذا داءٌ قديمْ

سَلم الخاسر

سَلمُ بنُ عمرٍو مولى بني تميمِ بنِ مُرَّةَ ثم مولى آلِ ابي بَكرِ الصديقِ . بَصريٌّ شاعرٌ مطبوعٌ متصرِّفٌ في فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية . وهو راويةُ بشار بنِ بُردٍ وتلميذُه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف .

ولُقِّب بالخاسر لانه وَرِث من ابيه مُصحَفاً فباعه واشترى بثمنه طُنبورا ، فقالوا له : إنك لخاسرُ الصَفقةِ .

قال بشار :

مَن راقبَ الناسَ لم يَظفِر بحاجته وفاز بالطيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

فأخذ سلمٌ معنى هذا البيتِ وجعله في قوله :

مَن راقب النَّاسَ مات غَمّاً وفاز باللذة الجَسورُ

فبلغ بيتُه بشارا فغَضِب واستشاط ، وحلَفَ ألاّ يَدخُلَ اليه ما دام حيا . فاستشفع اليه بكل صديق له وكلِّ مَن يَثقُلُ عليه ردُّه . فكلَّموه فيه فقال: أَدخِلوه الي . فأَدخلوه ، فاستدناه فاجتذبه اليه وقَنَّعه (٢) بمِخصَرةٍ كانت في يده ثلاثا وهو يقول : يا فاسقُ ، أتجيء الى مَعنىً قد سَهِرَت له عيني وتَعِب فيه فكري ، وسبقتُ الناسَ اليه فتَسرِقُه ثم تَختصِرُه لفظاً تُقرِّبُه به لتُزريَ علي

(١) ملين اللزم . (٢) غشاه بالسوط

وتَذهبَ ببيتي ، وهو يَحلِفُ له ألاّ يعودُ. ثم كان يقول : سارَ ، واللهِ ، بيتُ سلَمٍ وخمَل بيتُنا . وكذلك كان .

كان عاصمٌ الغَسّانيُّ صديقا لسَلمٍ الخاسرِ كثيرَ البرِّ به ، وفيه يقول سلمٌ :

الجودُ في قحطانٍ ما بَقِيت غسّانُ
لعاصمٍ سماءٌ عارضُها تَهتانُ
أمطارُها اللُجَينُ والدُرُّ والعُقيانُ
ونارُه تُنادي اذا خَبَتِ النيرانُ
صَلَّت له المَعالي والسيفُ والسِنانُ
مَن غالَه مَخوفٌ فعاصِمٌ أَمانُ

وكانت سبعين بيتا فأعطاه عاصمٌ سبعين الفَ درهمٍ . وكان ما وصل الى سلمٍ بن عاصمٍ خمسُمئة الفِ درهمٍ. فلما حضَرته الوفاةُ دعا عاصما فقال له: إني ميتٌ ولا ورَثةَ لي. وإن ماليَ مأخوذٌ. فأنت احقُّ به . فدفع اليه خمسَمئةِ الفِ درهم .

قال ابو العتاهية يخاطب سلما :

تعالى اللهُ يا سلمُ بنَ عمرٍو أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ
هَبِ الدنيا تَصيرُ اليكَ عفوًا أليس مصيرُ ذاك الى زَوالِ

فغضِب سلمٌ وقال : ويلي على الجرّار (١) ابنِ الفاعلة الزنديقِ ، زَعمَ أني حريصٌ وقد كنَزَ البُدورَ (٢) وهو يَطلُب ، وانا في ثوبَيَّ هذينِ لا أملِكُ غيرَهما . وكتب الى ابي العتاهية :

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ يُزهِّدُ الناسَ ولا يَزهَدُ
لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيتَه المسجِدُ
ورفَض الدنيا فلم يَلقَها ولم يكن يَسعى ويَسترفِدُ
الرزقُ مقسومٌ على مَن ترى يَنالُه الأبيضُ والأسوَدُ

كان المهديُّ يُعطي مَروانَ بنَ ابي حفصةَ وسَلما الخاسرَ عطيّةً واحدة. فكان سلمٌ يأتي بابَ المهديِّ على البِرذَون الفارِه ، قيمتُه عَشرةُ آلافِ درهمٍ بسَرجٍ ولِجامٍ مُفضَّضَين ، ولِباسُه الخَزُّ ، ورائحةُ المِسكَ والطيبِ والغاليةِ تفوح منه . ويَجيءُ مَروانُ عليه فَرْوٌ كَبَلٌ (٣) وقميصٌ

(١) بائع الجرار او صانعها . (٢) جمع بدرة من المال اي صرة . (٣) قصير .

كَرابيسُ(١) وعِمامةٌ كرابيسُ وكِساءٌ غليظٌ وهو مُنتِنُ الرائحة . وكان لا يأكُل اللحمَ حتى يَقرَمَ(٢) اليه بُخلا . فاذا قَرِمَ ارسل غلامَه فاشترى له رأسا فأكله . فقال له قائل : اراك لا تأكل إلا الرأسَ . قال : نعم . أعرِف سِعرَه فآمَنُ خِيانةَ الغلام . ولا اشتري لحما فيَطبُخُه فيأكُل منه . والرأسُ آكُلُ منه ألواناً . آكُلُ منه عينيه لونا ، ومن غَلصَمته لونا ، ومن دِماغه لونا.

لما أنشد سلمٌ الخاسرُ الرشيدَ قصيدتَه فيه :

حَضَر الرحيلُ وشُدَّتِ الأحداجُ

امر له بمئة الفِ درهمٍ ، ثم قال للفضل بن الربيع : هل قال احدٌ غيرُ سلمٍ في طَيِّنا المنازل شيئا ؟ — وكان الرشيدُ قد انصرف من الحج وطوى المنازلَ ، فوصف ذلك سلمٌ — فقال الربيع : نعم ، يا امير المؤمنين ، النَمِريّ(٣) . فأمر سلما ان يَثبُتَ قائما حتى يَفرُغَ النَمِريُّ من إنشاده . فأنشده قولَه :

تَخرَّقَ سِربالُ الشبابِ معَ البُــــردِ

فقال الرشيد للعباس بن محمد : ايُّهما اشعرُ عندَك يا عَمّ ؟ فقال : كِلاهما شاعر . ولو كان كلامٌ يُستفحَلُ لجودته حتى يُؤخَذَ منه نَسلٌ لاستفحلتُ كلامَ النَمِري . فأمر له بمئة الف درهم .

فضل الشاعرة

كانت مولَّدةً من مولَّدات البصرة، حَسَنَةَ الوجهِ والجسمِ والقَوامِ ، اديبةً فصيحةً سريعةَ البديهة ، مطبوعةً في قول الشعر . فكانت تجلِس للرجال ويأتيها الشعراء .

لما دخلت فضلُ على المتوكِّل يومَ أُهدِيَت اليه قال لها: اشاعرةٌ انتِ ؟ قالت : كذا يَزعَم من باعني واشتراني . فضحِك وقال : أنشدينا . فأنشدته :

خِلافةٌ أفضت الـــى جَعفـــــرٍ ... وهو ابنُ سبعٍ بعدَ عشرينـــا
إنا لَنرجو يا إمـــامَ الهُــــدى ... أن تَملِكَ النـــاسَ ثمانينـــا

فأمر لها بخمسةِ آلافِ درهم ، وأمر عريبَ فغنَّت فيها .

---

(١) جمع كرباس وهو ثوب من القطن . (٢) قرم الى اللحم : اشتهاه . (٣) منصور النمري .

كتبت رقعة إلى سعيد بن حميد وكانت تتعشقه :

الصبرُ ينقُصُ والسقامُ يزيدُ والدارُ دانيةٌ وانتَ بعيدُ
أشكوك ام أشكو اليك فإنه لا يستطيع سواهما المجهودُ

قالت بُنانُ الشاعرة: اتكأ المتوكلُ على يدي ويدِ فضلَ، وجعل يمشي بيننا ثم قال : أجيزا لي قولَ الشاعر :

تعلَّمتُ اسبابَ الرضا خوفَ عتبِها وعلَّمها حُبي لها كيف تغضبُ

فقالت فضل :

تُصدُّ وأدنو بالمودّةِ جاهداً وتبعُدُ عني بالوصال وأقرُبُ

فقلت انا :

وعندي لها العُتبى على كل حاله فما منه لي بُدٌ ولا عنه مذهبُ

قال عليُ بنُ الجهم : كنت يوما عند فضلَ فلحظتُها لحظةً استرابت بها فقالت :

يا رُبَّ رامٍ حسنٍ تعرُّضُهْ يرمي ولا يشعُر أني غرَضُهْ

فقلت

ايُّ فتىً لحظُكِ ليس يُمرضُهْ وايُّ عقدٍ مُحكمٍ لا ينقُضُهْ

فضحكت وقالت : خذ في غير هذا الحديث.

قال المتوكل لعليِّ بنِ الجهم: قُل بيتا وطالِب فضلَ الشاعرةَ بأن تُجيزَه. فقال علي : أجيزي يا فضلُ :

لاذَ بها يشتكي اليها فلم يجد عندها ملاذا

فأطرقت هُنيهةً ثم قالت :

فلم يزل ضارعا اليها تهطِلُ أجفانُه رذاذا (١)
فعاتبوه فزاد عشقاً فمات وجدا فكان ماذا

فطرب المتوكل وقال : احسنتِ وحياتي يا فضلُ ، وامر لها بمئتي دينار .

خرجت قبيحةُ(٢) الى المتوكل وبيدها كأسُ بلورٍ بشرابٍ صاف فأخذها من يدها واذا على خدها : جعفر ، مكتوبا بالمسك . فشرب الكاس وقبّل خدّها، وكانت فضلٌ الشاعرة واقفةً على رأسه فقالت:

وكاتبةٍ بالمسك في الخدِّ جعفرا بنفسي سوادُ المسكِ من حيث أثّرا

(١) رذاذ : مطر خفيف دائم . (٢) جارية المتوكل .

لئن أثّرت بالمسك سطراً بخدها لقد اودعت قلبي من الحزن أسطرا
فيا مَن مُناها في السريرة جعفرٌ سقى اللهُ من سُقيا ثناياك جعفرا

إفتصد سعيدُ بنُ حميد ، فأهدت اليه فضلُ هدايا ، فكان منها الفُ جَدي وحَمَلٍ والفُ دَجاجةٍ فائقة ، والفُ طبقِ ريحان وفاكهة ، وطيبٌ كثيرٌ ، وشرابٌ ، وتُحَفٌ حسانٌ . فكتب اليها سعيد : إن سروري لا يتم إلا بحضورك . فجاءته في آخر الليل . فاستأذن غلامُه لبنان ، فأذن له ، فدخل بنانٌ وهو يومئذ شابٌ طريرٌ(١) ، حسنُ الوجهِ ، حسنُ الغناء ، نظيفُ الثياب ، شَكِلٌ(٢) ، فذهب بها كلَّ مذهب ، وأقبلت عليه بحديثها ونظرها . فتشمّز(٣) سعيد واستُطير غضبا . وتبيّن بنانٌ القصّةَ فانصرف . وأقبل عليها سعيدٌ يعذلُها ، فقالت :

أحلفتَني ألاّ أُسارقَ نَظرةً في مجلسي
فنظرتُ نظرةَ مُخطيءٍ اتبعتُها بتفرُّسِ
ونَسيتُ أني قد حَلفتُ فما عقوبةُ مَن نَسي

فقامَ فقبَّل رأسَها وقال : لا عقوبةَ عليه ، بل تُحتَملُ هفوتُه .

ابن الخياط

هو عبدُ الله بنُ محمد. شاعرٌ ظريفٌ ، ماجنٌ ، خليعٌ، هجّاءٌ خبيثُ اللسان ، من شعراء الدولتين الاموية والعباسية .

دخل على المهدي فقال يمدحه :

اخذتُ بكفّي كفّه ابتغي الغنى ولم أدرِ أن الجودَ من كفّه يُعدي
فلا انا منه ما أفادَ ذَوُو الغنى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عندي(٤)

فأمر له بخمسين الفَ درهمٍ .

(١) طلع شاربه . (٢) فيه دلال وغزل . (٣) تشمز : تقبض وتغير . (٤) هذان البيتان رويا عن بشار .

مر ابنُ الخياط بدار رجل كان يعرفه قبل ذلك بالضِعة وخَساسة الحال ، وقد شيَّد بابَها وطَرمحَ(١) بِناءها فقال :

أَطِله فما طُولُ البِنــاءِ بنافــعٍ   اذا كان فرعُ الوالدَين قصيــرا

مر رجل بيونسَ بنِ عبدِ الله الخياط وهو يَعصِرُ حَلقَ ابيه ، وكان عاقًّا به ، فقال له : ويلَك اتفعل هذا بأبيك؟ وخلَّصه من يده. ثم اقبل على الاب يُعزّيه ويُسكّن منه . فقال له : يا اخي ، لا تَلُمه . إنه ابني حقًّا . واللهِ لقد خنقتُ ابي في هذا الموضِع ، الذي خنقني فيه . فانصرف الرجل وهو يضحك .

علي بن جبلة

يُكنّى ابا الحسن ويُلقّبُ بالعَكَوَّك، من اهل بغدادَ وبها نشأ، وكان ضريرا. هو شاعر مطبوع أعذبُ اللفظ ، جزَلُه ، لطيفُ المعاني ، مدّاحٌ حسنُ التصرف . استنفد شعره في مدح ابي دُلَف القاسمِ بنِ عيسى العِجليّ ، وحُمَيدِ الطُوسي ، وزاد في تفضيلهما حتى فَضَّل ربيعةَ على مُضَرَ ، وجاوزَ الحدَّ ، فيقال إن المأمونَ طلبه حتى ظَفِر به فسلَّ لسانه من قفاه. ويقال: بل هرب ولم يزل متواريا منه حتى مات ، ولم يقدِر عليه ، وهو الصحيحُ من القولين .

قال في ابي دُلف:

ذادَ ورِدَ الغَيِّ عن صَــدَرِهْ   وارعوى واللهوُ من وَطَــرِهْ
وأبت إلا البُكـــاءَ لــه   ضحِكاتُ الشَّيبِ في شَعَــرِهْ
نَدَمي أن الشبــابَ مضـــى   لم أُبَلِّغه مــدى أَشَــرِهْ

ثم يقول

انما الدنيـــا ابو دُلَــفٍ   بين بــاديهِ ومُحتَضَــرِهْ
فاذا وَلَّـــى ابو دُلَــفٍ   وَلَّت الدنيــا على أَثَــرِهْ

(١) طوّله .

يا دواءَ الارض ان فسَدت ومُديلَ اليُسرِ من عُسُرِه

كلُّ مَن في الارض من عربٍ بين باديهِ الى حَضَرِه

مستعيرٌ منك مَكرُمةً يكتسيها يومَ مُفتَخَرِه

قيل : بينا ابو دلف يسير مع اخيه مَعقِلٍ اذ مر بأمرأتين تتماشيان . فقالت احداهما لصاحبتها هذا ابو دُلف . قالت: ومَن ابو دلف ؟ قالت : الذى يقول فيه الشاعر :

انما الدنيا ابو دُلفٍ بين باديهِ ومحتضَرِه

فاستعبر ابو دلف حتى جرى دمعه . فقال له مَعقِل : ومالك يا اخي تبكي ؟ قال : لاني لم أقضِ حقَّ عليِّ بنِ جبلة . قال : أوَ لم تُعطِه مئةَ الف درهم لهذه القصيدة ؟ قال : والله ، يا أخي ، ما في قلبي حسرةٌ تُقارِبُ حسرتي على اني لم اكن اعطيتُه مئة الف دينار ، ولو فعلت ذلك لما كنت قاضيا حقَّه.

قال احدهم : انشدتُ ابا تمام قصيدةَ علي بن جبلة البائية ، فلما بلغتُ الى قوله :

وردَ البيضَ (١) والبيضَ (٢) الى الأغمادِ والحُجُبِ

اهتزَّ ابو تمام من قَرنه الى قدمه ثم قال: احسنَ والله . لَوددتُ أنَّ لي هذا البيتَ بثلاثِ قصائدَ من شعري يَتخيَّرُها ويَنتحِلُها مكانَه .

قال ابنُ جبلة : قلت لحُمَيد الطُوسي : يا ابا غانم ، إني قد مدحت اميرَ المؤمنين بمدح لا يُحسِنُ مثلَه احدٌ من اهل الارض . فاذكُرني له . فأخذَ المديحَ وأدخلَه الى المأمون فقال له : يا حميدُ ، الجوابُ في هذا واضِح: إن شاء عفَونا عنه وجعلنا ذلك ثَوابا لمديحه . وان شاء جمعنا بين شعره فيك وفي ابي دُلَفٍ وبين شعره فينا . فان كان الذي قاله فيكما اجودَ ضربنا ظهرَه وأطلنا حبسَه . وان كان الذي فينا اجودَ اعطيناه لكل بيت الفَ دينارٍ . وان شاء أقَلناه . فاعرض ما قلتُ لك على الرجل . فقال لي حميد : ما تَرى ؟ فقلت : الإقالةُ أحبُّ الي . فأخبر المأمونَ بذلك ، فقال : هو أعلمُ . ثم قال حميد : يا ابا الحسن ، ايَّ شيء يَعني من مدائحك لي ولابي دلف ؟ فقلت : قولي فيك :

لولا حُمَيدٌ لم يكن حَسَبٌ يُعدُّ ولا نَسَبْ

يا واحدَ العُربِ الذي عزَّت بعزَّتِه العَرَبْ

وقولي في ابي دلف :

انما الدنيا ابو دلف . . . – البيتان –

فأطرق حُمَيد ثم قال: لقد انتقد عليك اميرُ المؤمنين فأجاد . وأمر لي بعشرةِ الاف درهم وخِلعةٍ وفرسٍ وخادمٍ . وبلغ ذلك ابا دُلَفٍ فأضعف لي العطيَّةَ. وكان ذلك في سرّ منهما ما علم به احد خوفا من المأمون .

---

(١) السيوف . (٢) النساء .

وقيل : ان المأمونَ لما أُدخِلَ عليه عليُّ بنُ جبلةَ قال له : اني لست أَستحِلُّ دمَك لتفضيلك ابا دُلف على العَرب كلِّها وفي ذلك قريشٌ ، وهم آلُ الرسولِ وعِترتُه ، ولكني استحِلُّه بقولك في شعرِك وكُفرِك حيث تقول :

انت الذي تُنزِلُ الايامَ مَنزِلَها ... وتَنقُلُ الدهرَ من حالٍ الى حالِ
وما مددتَ مدى طَرفٍ الى احدٍ ... إلا قَضَيتَ بارزاقٍ وآجالِ

كذَبتَ ، ما يَقدِرُ على ذلك احدٌ إلا اللهُ ، عز وجل ، المَلِكُ الواحدُ القهّار . سُلُّوا لسانَه من قَفاه .

خرج عليُّ بنُ جبلةَ الى عبد الله بن طاهر الى خُراسان ، وقد امتدحه . فلما وصل اليه قال له : ألست القائلَ :

انما الدنيا ابو دُلفٍ . . . — البيتان —

قال : بلى . قال : فما الذي جاء بك الينا وعَدَل بك عن الدنيا التي زعمتَ . ارجِع من حيث اتيتَ ، فارتَحلَ ومر بأبي دُلَفٍ وأعلَمَه الخبرَ ، فأعطاه حتى أرضاه .

وقال في حُمَيدٍ الطوسي :

علِّلاني بصفوِ ما في الدِنانِ ... واترُكا ما يقولُه العاذلانِ
علِّلاني بشَربةٍ تُذهِبُ الهَمَّ ... وتَنفي طَوارقَ الأحزانِ
نِعمَ عونُ الفتى على نُوَبِ الدهرِ ... سَماعُ القِيانِ والعِيدانِ
وكؤوسٌ تَجري بماءِ كُرومٍ ... ومَطِيُّ الكؤوسِ أيدي القِيانِ
من عُقارٍ تُميتُ كلَّ احتشامٍ ... وتَسُرُّ النُدمانَ بالنُدمانِ
فاشرَبِ الراحَ واعصِ مَن لام فيها ... إنها نِعمَ عُدَّةُ الفِتيانِ
واصحَبِ الدهرَ بارتحالٍ وحَلٍّ ... لا تخَفْ ما يجرُّهُ الحادثانِ

ثم يقول :

يا ابا غانمٍ بَقِيتَ على الدهرِ ... وخُلِّدتَ ما جرى العصرانِ
ما نُبالي اذا عَدَتكَ المنايا ... مَن أَصابَت بكلكلٍ وجِرانِ (١)

وقال يهجو أُناساً في تَركِ الضِيافةِ وإضاعةِ الضيفِ :

---

(١) جران البعير : مقدم عنقه . وكلكله : صدره .

أقاموا الدَّيدبانَ [١] على يَفــاعٍ [٢] وقالوا لا تَنَم للديدبــــانِ
فإن آنستَ شخصًا مــن بعيــدٍ فصفِّق بالبنــانِ على البنــانِ
تَراهم خِشيةَ الأضيــافِ خُرســاً ويأتُون الصَّــلاةَ بلا أذانِ

قال احمد بن عبيد : قلت لعلي : انشِدني مَرثيتَك حُميدًا ، فأنشدني :

نَعاءِ [٣] حُمَيدًا للسرايا اذا غــدت تُذادُ بأطرافِ الرِماحِ وتُوزَعُ [٤]

حتى اتى على آخرها فقلت له : ما ذهب علي النحوُ الذي نحوتَه ، وقد قاربتَه وما بلغتَه . فقال : وما هو ؟ فقلت : اردتَ قولَ الخُريمي في مَرثيته أبا الهيذامِ :

وأعددتُه ذُخــرًا لكلِ مُلِمَّــةٍ وسهمُ المنايا بالذخائر مُولَــعُ

فقال : صدقتَ والله . لقد نحوتُه وانا لا اطمَعُ في اللِحاق به . لا ، واللهِ ، ولا امرُؤُ القيسِ لو طلبه وارادهُ ما كان يَطمَعُ أن يقاربَه في هذه القصيدة .

ومن مرثيته هذه ، ومطلعها :

أَللدهر تَبكي أم على الدهرِ تَجــزَعُ وما صاحبُ الايامِ الا مُفَجَّــعُ
تَعزَّ بما عَزَّيتَ غيــرَك إنهــــا سِهامُ المنايا حائماتٌ ووُقَّــعُ
أُصبنا بيومٍ في حُميدٍ لَوَ آنــــه أصابَ عُروشَ الدهرِ ظَلَّت تَضَعضَعُ
ولما انقضت ايامُه انقضــت العُــلا وأضحى به انفُ الندى وهو أجدَعُ
على أيِّ شجوٍ تشتكــي النفسُ بعــدَه الى شجوه او يَذخَرُ الدمعَ مَدمَــعُ
ألم ترَ أن الشمسَ حال ضياؤهــــا عليه وأضحى لونُها وهو أسفعُ [٥]
وفارقتِ البِيضُ الخُدورَ وأبــرزَت عَواطِلَ حَسرى [٦] بعدَه لا تُقَنَّعُ

(١) الديدبان : الحارس ، الرقيب . (٢) يفاع : المرتفع المشرف . (٣) اسم فعل بمعنى انعه . (٤) تردع .
(٥) أسفع : أسود مشوب بحمرة . (٦) حسرى : حزنى طارحة القناع تفجعاً .

التيميّ

هو عبدُ الله بنُ ايوبَ ويُكنّى ابا محمد ، مولى بني تَيمٍ ، من اهل الكوفة من شعراء الدولة العباسية . وهو احد الخُلعاءِ المُجّانِ الوَصّافين للخمرِ .

حَدّثَ محمدٌ الراويةُ ، الذي يُقال له البيدقُ ، وكان يقرأُ شعرَ المُحدَثين على الرشيد ، قال : قال لي الرشيد يوما : أنشِدني مَرثيةَ مَروانَ بنِ ابي حفصةَ في مَعنِ بنِ زائدةَ التي يَقول فيها :

كأن الشمسَ يومَ أُصيبَ معنٌ ... منَ الأظلامِ مُلبَسةٌ جِلالا[1]
أقمنا باليمامةِ بعدَ مَعنٍ ... مُقاما لا نُريد به زِيالا[2]
وقُلنا اينَ نَذهبُ بعد معنٍ ... وقد ذهب النَوالُ فلا نَوالا

فانشدتُه اياها . ثم قال لي : أنشدني قصيدةَ ابي محمدٍ التَيمي في مَرثيةِ يَزيدَ بنِ مَزيدٍ ، فهي واللهِ احبُّ إليّ من هذه . فأنشدتُه[3] :

أحَقٌّ أنه أودى يزيدُ ... تَبَيَّن ايُّها الناعي المُشيدُ
أتدري مَن نَعيتَ وكيف فاهت ... به شفتاك ، كان بك الصَعيدُ[4]
أحامي المجدَ والإسلامَ أودى ... فما للارضِ ويحكَ لا تَميدُ
تأمّل هل ترى الإسلامَ مالت ... دعائمُه وهل شاب الوليدُ
وهل شيمَت سُيوفُ بني نِزارٍ ... وهل وُضِعت عن الخيل اللُبودُ
أما هُدّت لمصرعِه نِزارٌ ... بلى وتقوّضَ المجدُ المَشيدُ
وحَلَّ ضريحَه إذ حَلَّ فيه ... طريفُ المجدِ والحَسَبُ التَليدُ
فإن تَجمَد دموعُ لئيمِ قومٍ ... فليس لدمعِ ذي حَسَبٍ جُمودُ
أبعدَ يزيدَ تَختزِنُ البواكي ... دُموعا أو تُصانُ لها خُدودُ
فإن يهلِك يزيدُ فكلُّ حيٍّ ... فريسٌ للمنيةِ أو طَريدُ

---

(١) جلال : غطاء . (٢) زيال : فراق . (٣) ورد في الجزء الثامن عشر في ترجمة مسلم بن الوليد ان هذه القصيدة هي لمسلم رثى بها يزيد بن مزيد. (٤) الصعيد : التراب : والمعنى تراب بفيك .

ألــم تعجَـــب لـــه أن المنـايـا	فتَكنَ بـه وهُنّ لـه جُنـودُ
لقد عَــزّى ربيعــةَ أن يــومـــا	عليها مثل يومِـك لا يَعــودُ

فبكى هارون بكاءً اتسع فيه حتى لو كانت يديه سُكُرَّجَةٌ لملأها من دموعه .

كتب الحجاج إلى قُتيبةَ بنِ مُسلِم : اني قد نظرتُ في سِنّي فاذا انا ابنُ ثلاث وخمسينَ سنةً ، واناْ وانت لِدةُ عامٍ ، وإن امرءًا قد سار إلى مَنهلٍ خمسينَ سنةً لقريبٌ أن يَرِدَه ، والسلام .

وسمِع هذا ابو محمد التيميُّ فقال :

اذا ذهب القَرنُ الذي انــت فيهـــمُ	وخُلِّفتَ في قَرنٍ فانت غريــبُ
وإن أمرءًا قد سار خمسيــن حِجَّـــةً	إلى منهلٍ مِن وِرده لَقَريـــبُ

قال التيمي : دخلت على محمدٍ الامينِ اولَ ما وَلِي الخِلافةَ فقال : يا تَيميٌّ ، وَدِدتُ أنه قيل فيَّ مثلُ قولِ طُرَيحِ بنِ اسماعيلَ في الوَليد بن يزيدَ :

طوبى لفرعَيـكَ مِـن هُنـا وهُنـا	طوبى لأعراقِـكَ التي تَشِـجُ[1]

فاني والله احقُّ منه بذلك . فقلت : انا اقول ذلك يا اميرَ المؤمنين . ثم دخلت اليه من غدٍ فانشدتُه قصيدتي :

لا بُدَّ مِن سكرةٍ عــلى طَـــرَبِ	لعلّ رَوحاً يُديل من كُرَبِ[2]
فعاطنيهــــا صَهبـــاءَ صافيـــةً	تَضحَك من لُؤلُؤٍ على ذَهَـبِ
خليفـــةَ اللـه انـــت مُنتَخَـــبٌ	لخيـرِ أمٍ مــن هاشِمٍ وأبِ
اكرِم بأصلَيـــن انــت فرعُهمـــا	من الإمـامِ المنصورِ في النسـبِ

فتبسَّم وقال : يا تَيمي ، قد احسنتَ ولكن : « مَرعىً ولا كالسَّعدان » . ثم التفت إلى الفضل بنِ الربيع وقال : بحياتي أوقِر له زورَقَه مالا . فقال : نعم يا سيدي . فلما خرجتُ طالبتُ الفضل بذلك ، فقال : انت مجنونٌ ؟ . من اينَ لنا ما يَملأ زورقَك ؟ ثم صالَحَني على مئةِ الفِ درهمٍ .

(١) تشتبك . منها الوشائج جمع وشيجة : روابط . (٢) الروح : الراحة ، نسيم الريح ، الفرح . أدال : جعل الكرة له على الكرب .

اخبار ابي نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد افردت خاصة [١]

كانت جنانُ هذه جاريةً إلى عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، الذي كان ابن مناذر يتصحب ابنه عبدَ المجيد ، ورثاه بعد وفاته. وكانت حلوة جميلة المنظر اديبة تعرف الأخبار وتروي الاشعار . ويقال ان ابا نواس لم يتصدق في حبه امرأةً غيرَها .

وحجّت جنان فحج ابو نواس وقال وقد عاد :

ألم ترَ انني افنيت عمري ... بمطلبها ومطلبُها عسيرُ
فلما لم اجد سببا اليها ... يقرّبني وأعيتني الأمورُ
حججتُ وقلت قد حجّت جنانٌ ... فيجمعُني واياها المسيرُ

حدّث من شهده لما حج مع جنانَ ، وقد أحرم ، فلما جنّه الليلُ جعل يُلبّي [٢] بشعره ، ويحدو به ويطرب ، فغنى به كلُّ من سمعه ، وهو قوله :

إلهنا ما اعدلك ... مليكَ كلِّ من ملكْ
لبّيكَ قد لبّيتُ لكْ ... لبّيكَ إن الحمدَ لكْ
والملكَ لا شريكَ لكْ ... والليلَ لمّا أن حلكْ
والسابحاتِ في الفلكْ ... على مجاري المُنسلكْ
ما خاب عبدٌ امّلكْ ... انت له حيثُ سلكْ
لولاك يا ربُّ هلكْ ... كلُّ نبيٍّ وملكْ

---

(١) جاء في الحاشية لطبعة دار الثقافة – بيروت :

لا توجد ترجمة لابي نواس في المخطوطات التي بين ايدينا. وسقوط ترجمته من الاصول حمل بعض النقاد على ان يقولوا إن ابا الفرج نسي انه لم يترجم لابي نواس . وغير معقول ان يترك ابو الفرج الترجمة لابي نواس في حين انه ترجم لكثيرين من معاصريه ممن لم يبلغوا مبلغه. وهناك مخطوطة في مكتبة غوطا بالمانيا الشرقية رقم ٥٣٢ فيها ترجمة لابي نواس وسنحاول الحصول على مصورة منها ونلحقها ان شاء الله بالمجلد الاخير .

(ونحن ايضاً نستغرب اهمال ابي الفرج الترجمة لابي الطيب المتنبي)

(٢) يلبي : يقول في مناسك الحج لبيك اللهم لبيك .

وكلُّ مَن أهَلَّ لك ... سبَّح او لبَّى فلَكْ
يا مُخطئاً ما أغفلَك ... عجِّل وبادِر أجلَكْ
واختِم بخيرٍ عملَك ... لبَّيكَ إن المُلكَ لكْ
والحمدَ والنعمةَ لَك ... والعِزَّ لا شريكَ لكْ

اشرف ابو نواس من دار على منزِل عبدِ الوهاب الثقفي، وقد مات بعضُ اهله، وعندهم مأتمٌ، وجنانُ واقفةٌ مع النساء تلطُم وجهَها، في يدِها خِضابٌ، فقال:

يا قمراً ابرزه مأتمٌ ... ينْدُبُ شجواً بين أترابِ
يبكي فيُذري الدمعَ من نرجسٍ ... ويلطم الوردَ بعنّابِ
لا تبكِ ميتاً حلَّ في حُفرةٍ ... وابكِ قتيلا لكَ بالبابِ

ابن ابي عيينة

هو محمد بن ابي عيينة بن المهلَّب بن ابي صُفرة. شاعرٌ مطبوعٌ، ظريفُ، غَزِلٌ، هجَّاء، من شعراء الدولة العباسية، من ساكني البصرة.

قال في جارية قصيدةً من مشهور شعره، منها:

ضَيَّعتِ عهدَ فتًى لعهدِكِ حافظٍ ... في حِفظه عَجَبٌ وفي تَضييعكِ
إن تَقتُليه وتَذهبي بفؤادِه ... فبحُسنِ وجهِك لا بحُسنِ صنيعكِ

ويقول يَصِفُ قصرا. وهي من عجيب شعره:

لقد كنتُ يومَ القصرِ مما ظننتِ بي ... بريئاً كما اني بريءٌ من الشِّركِ
يُذكِّرني الفردوسَ طَوراً فأرعوي ... وطوراً يواتيني إلى القَصفِ والفَتكِ [1]
وسِربٍ منَ الغزلان يَرتعنَ حولَه ... كما انسلَّ منظومٌ من الدُرِّ من سِلكِ
وورقاءَ تَحكي المَوصِليَّ اذا غدت ... بتغريدها أحبِب بها وبمَن تَحكي
فيا طيبَ ذاك القصرِ قصراً ومنزِلا ... بأفيحِ سَهلٍ غيرِ وَعرٍ ولا ضَنكِ
كأنَّ قصورَ القومِ يَنظُرنَ حولَه ... إلى مَلِكٍ مُوفٍ [2] على مِنبَرِ المُلكِ
يُدِلُّ [3] عليها مستطيلا بفضله ... فيَضحكُ منها وهي مُطرِقةٌ تبكي

(١) الجاجة في ما تشتهي النفس، والمجون. (٢) أوفى: أشرف. (٣) يدل: يتدلل.

حُفِرَ حَفرٌ في بعض اقنيةِ مكةَ فوُجِد فيه حجرٌ عليه منقوشٌ :

ما لا يكـون فـلا يكـون بحيلةٍ أبداً وما هو كائنٌ فيكـونُ
يَسعى القويُّ فـلا يَنـالُ بسعيـه حظّاً ويَحظى عاجزٌ ومَهيـنُ

قيل : وأنشد جماعةٌ هذه الابياتَ لابن ابي عيينةَ .

وقال يرثي اخاه داودَ :

أنائحةَ الحَمَـامِ قِعـي فنُوحـي على داودَ رَهناً في ضريـحِ
وكوني مثلَـه اذ كان حَيّـاً جَوادا بالغبوقِ (١) وبالصَّبـوحِ (٢)
أنائحـةَ الحَمَـامِ .فـلا تَشِحّـي عليه فليس بالرَّجـلِ الشَّحيـحِ
ولا بمُثَمِّرٍ مـالا لدنيـا ولا فيها بمِعمـارٍ طَمـوحِ
يبيع كثيرَ ما فيهـا ببـاقٍ ثمينٍ من عواقبـه رَبيـحِ
ومن آلِ المهلَّـبِ في لُبابِ الـ ـلُّبابِ الخالصِ المَحضِ الصَّريـحِ
هُمُ ابنـاءُ آخِـرةٍ ودُنيـا وأهـدافُ المَراثي والمَديـحِ

وقال يهجو خالدَ بنَ يزيدَ ابنِ المهلَّبِ :

دُنيـا (٣) دعوتُـكِ مُسمِعاً فأجيبي وبما اصطفيتُكِ في الهوى فأثيبي
أبكي اليكِ اذا الحمامـةُ طَرَّبَـت يا حُسنَ ذاكَ إليَّ من تَطريبِ
وانا الغريـبُ فلا أُلامُ عـلى البُكـا إن البُكا حَسَنٌ بكـلِّ غريـبِ
تَبّاً لصُحبـةِ خالـدٍ من صُحبـةٍ ولخالدِ بنِ يزيدَ من مَصحـوبِ
لأمزِّقَنَّك قاعـدا بـك قائمـا ولأروينَّ عليـك كلَّ عجيـبِ
ولأوذِيَنَّك مثلَمـا آذيتَنـي ولأشلينَّ (٤) على نِعاجِـك ذيبي

لَقِي دِعبِلٌ ابنَ ابي عُيينةَ فقال له : أنشِدني قولَك في خالدِ ابنِ عمِّك . فأنشده . :

يا حَفصُ عـاطِ أخـاكَ عاطِـه كأساً تُهَيِّجُ من نَشاطِـه
دعـني وإيّـا خـالـدٍ فلأقطعَـنَّ عُرى نِياطِـه (٥)
يا خالِ صَـدَّ المجـدُ عنـك فلن تَجوزَ على صِراطِـه
وَعريـتَ مـن حُلَلِ النَـدى عُـريَ اليتيمِ ومن رِياطِـه (٦)
فاذا تطاولـتِ الـرؤو سُ فغطِّ رأسَك ثم طاطِـه (٧)

---

(١) الغبوق: شراب المساء . (٢) الصبوح : شراب الصباح . (٣) دنيا: امرأة كان يتعشقها. (٤) لاغرين.
(٥) ناط ينوط نياطاً: علق. والمقصود هنا الحبال. (٦) جمع رَيطة: ثوب يشبه الملحفة. (٧) ملين طأطه: اخفضه.

فقال له دعبل : اغرقتَ ، واللهِ ، في النَزعِ ، وأسرفتَ وهتكتَ ابنَ عمِّك وقتلتَه ، وغضضتَ منه ، ولو علِمتُ أنك بلغت به هذا كلَّه لما استنشدتُك .

وجعل دِعبلٌ يُعيد : فغطِّ رأسَك ثم طاطه. قتَلَه ، قتَلَه واللهِ .

قال الرشيدُ للفضل بنِ الربيع : مَن أهجى المُحدَثين عندَك ، يا فضلُ ، في عصرنا هذا ؟ قال: الذي يقول في ابن عمِّه:

لو كما ينقُصُ يَزدا دُ إذاً بلغَ السَّماءَ
خالدٌ لولا ابوه كان والكلبَ سِواءَ

فقال الرشيدُ : هذا ابن عيينة ، ولعمري لقد صدقتَ .

دعبل بن علي

اسمه محمد ، ودِعبلٌ لقبُه . والدعبل : البعير المُسِنّ .

مَنشؤه الكوفة ، ويُكنّى ابا علي ، شاعرٌ متقدم ، مطبوع ، هَجّاءٌ ، خبيث اللسان . لم يَسلم منه احد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادِهم ، ولا أفلت منه كبيرُ احد . وكان شديدَ التعصُّب على النِزاريّةِ للقَحطانيّةِ . وكان من الشيعة المشهورين بالمَيل إلى عليٍّ ، وقصيدتُه :

مدارسُ آياتٍ خلَت من تلاوةٍ ..

من احسنِ الشعر وفاخر المدائحِ المقولةِ في أهلِ البيت .

قال دعبل : دخلت على عليِّ بنِ موسى الرِضا بخُراسانَ ، فقال لي : أنشِدني شيئا مما أحدثتَ بعدي . فأنشدته :

مدارسُ آياتٍ خَلَت من تلاوةٍ ومَنزِلُ وحيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ

حتى انتهيتُ منها إلى قولي :

اذا وُتِروا مَدُّوا إلى وَاتريهِمُ أكُفّاً عن الاوتارِ مُنقبِضاتِ

فبكى حتى أُغمي عليه . وأومأ خادمٌ كان على رأسِه إليَّ أن اسكُت . فسكتُّ ساعة ، ثم قال لي : أعِد . فأعدتُ حتى انتهيت إلى هذا البيت ايضاً فأصابه مثلُ الذي اصابه في المرة الاولى وأومأ الخادمُ إليَّ ان اسكت، فسكتُّ. ثم مكث ساعةً اخرى ثم قال لي : أعِد . فأعدتُ حتى انتهيت إلى آخرها ، فقال لي : احسنتَ ، ثلاثَ مراتٍ ، ثم امر لي بعَشرةِ آلافِ درهمٍ مما ضُرِب باسمه ، ولم تكن وقعت إلى أحد بعدُ ، فاشتراها مني الشيعةُ ، في العراق كلَّ درهمٍ بِعَشرةِ دراهم .

وقال إنه استوهب من الرضا ثوبا قد لَبِسه ليجعلَه في أكفانه، فخلع عليه جُبّةً كانت عليه فأعطاه اياها. وبلغ اهلَ قُمٍّ خبرُها، فسألوه ان يَبيعَهم اياها بثلاثين الفَ درهمٍ، فلم يفعل. فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غَصباً، وقالوا: إن شئتَ أن تأخُذَ المال فافعل. والا فانتَ أعلَمُ. فقال لهم: إني والله لا أُعطيكم اياها طَوعا، وأشكوكم إلى الرضا. فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين الالفَ الدرهمَ وَفَردَكُمٍّ من بِطانتها، فرضي بذلك، وكان الكمُّ في اكفانه.

قيل لدِعبلٍ: ويحَك قد هجوتَ الخلفاءَ والوزراءَ والقُوَّادَ، ووترت الناسَ جميعا، فانت دهرَك كلَّه شريدٌ طريد هارب خائف. فلو كففتَ عن هذا. فقال: وجدتُ اكثرَ الناسِ لا يُنتَفَعُ بهم إلا على الرهبة، ولا يُبالي بالشاعر، وان كان مجيدا، اذ لم يُخَف شرُّه. وعيوبُ الناس اكثرُ من محاسنِهم، وليس كلُّ مَن شرَّفتَه بشعر شَرُفَ. فاذا رآك أوجعتَ عِرضَ غيرِه وفضحتَه اتّقاك على نفسه. ويحَك، إن الهِجاء المُقذِعَ آخَذُ بضَبعِ [1] الشاعر من المديح المُضرِعِ.

وكان يقول: ما كانت لأحدٍ قطُّ عندي منّةٌ الا تمنَّيتُ موتَه.

دعا رجل دِعبلاً إلى منزله وعندَه قينةٌ محسِنةٌ فغنت بشعر دعبلٍ:

اينَ الشبابُ وايَّةً سلكا ... لا اينَ يُطلبُ، ضلَّ بل هلَكا

لا تَعجَبي يا سَلمَ من رجلٍ ... ضَحِك المشيبُ برأسه فبكى

فارتاح دعبلٌ لهذا الشعر وقال: قد قُلتُ هذا الشعرَ منذُ سبعين سنةً.

قال احدُهم: كان دعبلٌ يُنشدني كثيرا هِجاءً قاله، فأقول له: في مَن هذا؟ فيقول: ما استحقَّه احدٌ بعينِه بعدُ. فاذا وَجَد [2] على رجلٍ جعل ذلك الشعرَ فيه وذَكر اسمَه.

قال دِعبل يَرثي ابنَ عمٍّ له من خزاعةَ:

كانت خزاعةُ ملءَ الأرضِ ما اتّسعت ... فقصَّ مرُّ الليالي من حواشيها

هذا ابو القاسمِ الثاوي ببَلقعةٍ ... تَسفي الرياحُ عليه من سَوافيها

اضحى قِرىً للمنايا اذ نَزَلن به ... وكان في سالفِ الايامِ يَقريها [3]

كان دعبلٌ يَخرجُ فيَغيبُ سنتين، يدور الدنيا ويَرجِع وقد أفاد وأثرى.

وقال دعبل في بُعدِ أسفاره.:

حَللتُ مَحلاً يَقصُرُ البرقُ دونَه ... ويَعجِزُ عنه الطَّيفُ أن يَتَجَشّما

قال البحتري: دعبل اشعرُ عندي من مُسلِم بنِ الوليد. لان كلامَ دعبلٍ أدخَلُ في كلام العرب من كلام مسلمٍ ومذهبَه اشبهُ بمذهبِهم.

---

(١) ضبع: هنا بمعنى عضد وانظر شرحه ص ٥٤٤. (٢) غضب. (٣) اي يضيفها في الحروب نفوس الاعداء.

وقال دعبل يهجو بني بسام :

حَواجِبُ كالجبالِ سودٌ إلى عَثانينَ (١) كالمَخالي
وأوجُهٌ جَهمَةٌ غِلاظٌ عُطلٌ منَ الحُسنِ والجَمالِ

كان المعتصمُ يُبغِض دِعبلاً لطول لسانه. وبلغ دعبلا أنه يُريد اغتيالَه فهرب إلى الجبل وقال يهجوه

بكى لشَتاتِ الدينِ مُكتئبٌ صَبُّ وفاض بفرط الدمع من عينه غَربُ (٢)
وقام إمامٌ لم يكن ذا هِدايةٍ فليس له دِينٌ وليس له لُبُّ
ملوكُ بني العبّاسِ في الكُتبِ سَبعَةٌ ولم تأتِنا عن ثامنٍ لهمُ كُتُبُ
كذلك اهلُ الكَهفِ في الكهفِ سبعةٌ خيارٌ اذا عُدُّوا وثامِنُهم كَلبُ
وإني لأُعلي كلبَهم عنكَ رِفعةً لأنك ذو ذَنبٍ وليس له ذَنبُ

وقال يهجو احمدَ بنَ ابي دُواد :

ان هذا الذي دُوادُ ابوه وإيادٌ قد أكثرَ الأنباءَ
ساحقت امُّه ولاط ابوه ليتَ شعري عنه فمِن أينَ جاءَ
لا سِفاحٌ ولا نِكاحٌ ولا ما يُوجِبُ الأمَّهاتِ والآباءَ

وقال يَرمي المتوكلَ بالأبنةِ :

ولستُ بقائلٍ قَذَعاً (٣) ولكن لأمرٍ ما تَعَبَّدَكَ العبيدُ

قال احدُهم : كنتُ مع دعبلٍ وقد جاء نَعْيُ المعتصمِ وقيامُ الواثقِ ، فقال دعبلٌ : أمَعَكَ شيءٌ تَكتُب فيه ؟ فقلت : نعم . فأملى عليَّ بَديهاً :

الحمدُ لله لا صبرٌ ولا جَلَدُ ولا عزاءٌ اذا اهلُ البَلا رقدوا
خليفةٌ مات لم يَحزن له احدٌ وآخرٌ قام لم يَفرح به احدُ

بُويع ابراهيمُ بنُ المهديِّ ببغدادَ ، وقد قلَّ المالُ عنده وكان قد لجأ اليه أعرابُ السَوادِ وغيرُهم من أوغاد الناس ، فاحتبس عليهم العَطاء ، إلى أن خرج اليهم رسولُه يوما ، وقد اجتمعوا وضجُّوا ، فصَرَّح لهم بأنه لا مالَ عنده . فقالوا : أخرِجوا الينا خليفتَنا ليُغَنِّيَ لأهلِ هذا الجانبِ ثلاثةَ اصواتٍ ، ولاهلِ هذا الجانبِ ثلاثةَ اصواتٍ ، فتكونَ عطاءً لهم . فأنشد دِعبلٌ بعدَ ايام :

يا مَعشَرَ الأجنادِ لا تَقنَطوا وارضَوا بما كان ولا تَسخَطوا

(١) العثنون : اللحية . (٢) غرب : مسيل . (٣) القذع : الخنا والفحش .

فسوف تُعطَون حُنَينيَّةً[١] يلتذُّها الأمردُ والأشمَطُ[٢]
والمَعبديّاتُ[٣] لقُوّادِكم لا تَدخُلُ الكيسَ ولا تُربَطُ
وهكذا يَرزُقُ قُوّادَه خليفةٌ مُصحَفُه البَربَطُ[٤]

قال احدُهم : قال لي دعبل وقد انشدتُه قصيدةَ بكرِ بنِ خارجةَ في عيسى الصيرفيِّ النَصرانيِّ :
زُنّارُه في خصره مَعقودُ كأنه من كبدي مَقدودُ
فقال : واللهِ ما أعلمُني حَسدتُ احداً على شعر كما حسدتُ بَكرا على قوله :
ـ كأنه من كبدي مقدودُ ـ
قال دعبلٌ : حضَرتُ مجلسَ محمدِ بنِ طاهرٍ ، وحضرَته مغنيةٌ مشهورة فغنَّت :
لا تَعجَبي يا سلمَ من رجلٍ ضَحِكَ المشيبُ برأسه فبكى
ثم غنت بعده :
لقد عَجِبت سلمى وذاك عجيبُ :
فقلت لها : ما اكثرَ تعجُّبَ سلمى هذه ؟ فعلِمَت أني أعبَثُ بها لأسمعَ جوابَها ، فقالت متمثِّلةً غير متوقِّفةٍ :
فهُلكُ الفتى ألاّ يَراحَ[٥] إلى نَدىً وألاّ يَرى شيئا عجيبا فيَعجَبا
قال : فعجبتُ ، واللهِ ، من جوابها وحدَّتهِ وسرعتهِ ، وقلت لمن حضر : واللهِ لو أجاب الجاحظُ هذا الجوابَ لكان كثيرا منه مُستظرَفا .
قال دِعبِل : ما زلت اقول الشعرَ واعرِضُهُ على مسلمٍ (استاذه) فيقولُ لي : اكتُم هذا ، حتى قلتُ :
اينَ الشبابُ وأيَّةً سَلَكا لا اينَ يُطلَبُ ضَلَّ بل هَلَكا
فقال : إذهب الآنَ فأظهِر شعرَك كيف شئتَ ولمن شئتَ .
قال دعبل : بينا انا جالس بباب الكَرخِ اذ مرَّت بي جاريةٌ لم أرَ احسنَ منها وجها ولا قدًّا ، تتثنّى في مَشيِها وتنظُر في أعطافِها فقلت متعرِّضا لها :
دموعُ عيني بها انبساطٌ ونومُ عيني به انقباضُ
فاجابتني بسرعة فقالت :
وذا قليلٌ لمن دهته بلحظِها الأعيُنُ المِراضُ

(١) نسبة الى حنين المغني . (٢) من خالط شعره البياض . (٣) نسبة الى معبد . (٤) العود . (٥) راح يراح للمعروف: تأخذه له اريحية .

فادهشتني وعجبتُ منها فقلت :

فهل لمولاي عطفُ قلبٍ ... وللذي في الحشا انقراضُ

فاجابتني غير متوقفة فقالت :

ان كنتَ تهوى الودادَ منّا ... فالودُّ في ديننا قراضُ[1]

فما دخل اذني كلامٌ قط أحلى من كلامها ، فعدلتُ بها عن ذلك وقلت :

أترى الزمانَ يسرُّنا بتلاقٍ ... ويضمُّ مشتاقاً إلى مشتاقِ

فاجابتني بسرعة فقالت :

ما للزمانِ وللتحكُّمِ بيننا ... انتَ الزمانُ فسُرَّنا بتلاقي

قال دعبل : حججنا انا وأخي رزينٌ واخذنا كتُبا الى المطّلب بن عبد الله بن مالك ، وهو بمصرَ يتولاها . فصرنا من مكةَ الى مصرَ . فصحبنا رجلٌ يعرف باحمدَ بن السرّاج . فما زال يحدّثنا ويؤنسنا طولَ طريقنا ، ويتولّى خدمتنا كما يتولاها الرفاقُ والأتباعُ ، ورأيناه حسنَ الادب ، وكان شاعرا ولم نعلم ، وكتمنا نفسه ، وقد علم ما قصدنا له . فعرضنا عليه أن نقولَ قصيدةً في المطّلب ننحلُه اياها ، فأظهر سرورا . فعملنا له قصيدةً . ووردنا مصرَ به ، فدخلنا الى المطّلب ، وأوصلنا اليه كتُبا كانت معنا ، وانشدناه ، فسُرَّ بموضعنا . ووصفنا له أحمدَ السرّاجَ هذا ، وذكرنا له أمرَه ، فأذن له . فدخل عليه ونحن نظنُّ أنه سينشده القصيدةَ التي نحلناه اياها . فلما مثَل بين يديه عدَل عنها وانشده :

لم آت مطّلباً إلا بمطّلبِ ... وهمّةٍ بلغت بي غايةَ الرتبِ

رحلتُ عيسي الى البيتِ الحرامِ على ... ما كان من وَصَبٍ فيها ومن نَصَبِ[2]

حتى اذا ما قضت نسكي ثنيتُ لها ... عِطفَ الزمامِ فأمّت سيدَ العربِ

اني استجرتُ بإستاريْن مستلما ... ركنين : مطّلباً والبيتَ ذا الحُجُبِ

فذاك للأجلِ المأمولِ ألمسُه ... وانتَ للعاجلِ المرجوِّ والطلبِ

هذا ثنائي وهذي مصرُ سانحةٌ ... وانتَ انتَ وقد ناديتُ من كثبِ

فصاح مطّلب : لبيكَ ، لبيكَ . ثم قام إليه فأخذه بيده وأجلسه معه وقال : يا غلمانُ ، البدرَ. فأحضرت ، ثم قال : الخلعَ . فنشرت . ثم قال : الدوابَّ . فقيدت . فأمر له من ذلك بما ملأ عينَه وأعيننا وصدورنا ، وحسدناه عليه . وكان حسدُنا له بما اتفق له من القبول وجودةِ الشعر ، وغيظُنا

(١) مراجحة حسب الشرط كما هو في المفهوم الشرعي . اي ان ودنا لا يكون الا مشروطاً . (٢) الوصب : الوجع والمرض . النصب : التعب .

بكتمه ايانا نفسه ، واحتياله علينا ، اكثر وأعظم . فخرج بما امر له به ، وخرجنا صفراً . [١]

وكانت القصيدة التي مدح بها دعبل المطلب ، التي يقول فيها :

أبعد مصر وبعد مطلب ترجو الغنى إن ذا من العجب
ان كاثرونا جئنا بأسرته او واحدونا جئنا بمطلب

ثم ولى المطلب دعبلاً أسوان . وكان دعبل قد هجا المطلب فقال :

تعلق مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصل
وعاديت قوما فما ضرهم وشرفت قوما فلم ينبلوا
شعارك في الحرب يوم الوغى اذا انهزموا : عجلوا عجلوا
فانت لأولهم آخر وانت لآخرهم أول

وبلغ المطلب هجاؤه فعزله عن اسوان .

ومما مدح به دعبل المطلب قوله :

كل الندى إلا نداك تكلف لم ارض بعدك كائنا من كانا
اصلحتني بالبر بل أفسدتني فتركتني أتسخط الإحسانا

نزل دعبل ورزين العروضي بقوم من بني مخزوم فلم يقروهما فقال دعبل :

عصابة من بني مخزوم بت لهم بحيث لا تطمع المسحاة في الطين

ثم قال لرزين : أجز . فقال :

في مضغ أعراضهم من خبزهم عوض بنو النفاق وأبناء الملاعين

فرد عليه ابو سعد المخزومي وهجاه فقال :

عدو راح في ثوبي صديق شريك في الصبوح وفي الغبوق
له وجهان ظاهره ابن عم وباطنه ابن زانية عتيق
يسرك معلنا ويسوء سرا كذاك يكون ابناء الطريق

وبلغه أن الرشيد مات فكافأه على ما فعله من العطاء السني والغنى بعد الفقر بأقبح مكافأة . فقال قصيدة مدح بها اهل البيت وهجا الرشيد :

إربع بطوس على القبر الزكي اذا ما كنت تربع من دين على وطر

(١) الصفر والصفر والصفر : الخالي . يقال : عادوا صفر اليدين ، اي خالين .

قبرانِ في طوسَ خيرُ الناسِ كلِّهمُ وقبرُ شرِّهمُ هذا منَ العِبَرِ
ما يَنفَعُ الرجسُ من قُربِ الزكيِّ ولا على الزكيِّ بقُربِ الرجسِ من ضَرَرِ
هيهاتَ كلُّ امرئٍ رَهنٌ بما كَسَبَت له يداه فخذ ما شئتَ او فَذَرِ

يعني قبرَ الرضا وقبرَ الرشيد .

دخل دعبلٌ على عبدِ الله بنِ طاهرٍ ببغدادَ فأنشده :

جئتُ بلا حُرمةٍ ولا سَببِ اليك الا بحُرمةِ الأدبِ
فاقضي ذِمامي فإنني رجلٌ غيرُ مُلِحٌّ عليكَ في الطلبِ

فانتعل عبدُ الله ودخل الى الحُرَمِ ووجَّه اليه بصُرَّةٍ فيها الفُ درهمٍ وكتب اليه :

أَعجلتَنا فأتاك عاجِلُ بِرِّنا ولوِ انتظرتَ كثيرَه لم يَقلِلِ
فخُذِ القليلَ وكن كأنكَ لم تَسَلْ ونكونُ نحن كأننا لم نَفعَلِ

هجا دعبل ، مالكَ بنَ طوقٍ فقال :

سألتُ عنكم يا بني مالكٍ في نازحِ الارضِ وفي الدانيهْ
طُرًّا فلم تُعرَف لكم نِسبَةٌ حتى اذا قلتُ بنو الزانيهْ

وبلغت الابياتُ مالكا فطلبه فهرب . فأتى البصرةَ وعليها اسحاقُ بنُ العباسِ بنِ محمدِ بنِ علي بنِ عبد الله بن العباس بن عبد المطّلبِ وقد كان بلغه هجاءُ دعبلٍ وابنِ ابي عُيينةَ نِزارًا . اما ابنُ ابي عيينة فانه هرب منه فلم يَظهر بالبصرةِ طولَ ايامه . واما دِعبلٌ فانه حين دخل البصرةَ بعث اسحاقُ فقبض عليه ودعا بالنِّطعِ والسيفِ ليُضربَ عُنقُه . فجحد القصيدةَ وحلف عليها بالطلاق ثَلاثاً ، وأن عدوًّا له قالها ونسبها اليه ليُغريَ بدمه ، وجعل يتضرَّعُ اليه ويُقبِّلُ الارضَ ويَبكي بين يديه . فرقَّ له وقال : اما اذا اعفيتُك من القتل فلا بُدَّ من ان أشَهِّرَك . ثم دعا له بالعصا فضُرِب بها حتى سَلَح . وأمر به فأُلقي على قفاه وفتح فمَه فردَّ سَلحَه فيه والمقارعُ تأخذُ رجلَيه ، فما رُفعت عنه حتى بَلَع سَلحَه كلَّه ، ثم خلّاه . فهرب الى الأهواز . وبعث مالكُ بنُ طوقٍ رجلا مِقداما وأعطاه سُمًّا وأمره ان يَغتاله كيف شاء . فلم يَزل يَطلُبه حتى وجده . فضربَ ظهرَ قدمِه بعُكازٍ لها زُجٌّ مسمومٌ . فمات من غدٍ .

مختارات من ديوانه

ذكرتُ محلَّ الرَّبعِ من عَرَفاتِ فأجريتُ دمعَ العين بالعَبَراتِ
وفَلَّ عُرى صبري وهاجت صَبابَتي رُسومُ ديارٍ أقفرت وعَراتِ

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تِـــلاوةٍ ومنزِلُ وحيٍ مُقفِرِ العَرَصـــاتِ
لآلِ رسولِ اللهِ بالخَيفِ من مِنـــىً وبالرُكنِ والتعريفِ والجَمَـــراتِ
ديارُ عليٍّ والحُسيـــنِ وجعفـــرٍ وحَمزةَ والسَجّادِ ذي الثَفِناتِ (١)
قِفا نسألِ الدارَ التي خَفَّ اهلُهـــا من عَهدها بالصومِ والصلـــواتِ
همُ اهلُ ميراثِ النبيِّ اذا اعتـــزَوا وهم خيرُ قاداتٍ وخيرُ حُمـــاةِ
اذا وُتِروا مَدُّوا الى واتريهـــمُ أكُفًّا عنِ الأوتارِ مُنقبِضـــاتِ (٢)
تَخَيَّرتُهم رُشدًا لأمـــري لأنهـــم على كلِّ حالٍ خِيرَةُ الخِيَـــرَاتِ
أُحِبُّ قَصِيَّ الاهلِ من اجل حُبِّكـــم وأهجُرُ فيكم زوجَتي وبَناتـــي
بناتُ زيادٍ في القُصـــورِ مَصونـــةٌ وآلُ رسولِ اللهِ في الفَلـــواتِ

• • •

لجَجتَ فعـــادَ ذاك عليـــكَ ذَمًّا واسبابُ البَلاءِ منَ اللَجـــاجِ

• • •

وما حُسنُ الوجوهِ لهـــم بزَيـــنٍ اذا كانت خلائِقُهم قِباحـــا

• • •

واذا التمستَ دخولَ امرٍ فالتمِـــس من قبلِ مَدخلِه سبيلَ المَخرَجِ

• • •

اني لأفتحُ عيني حيـــنَ افتَحُهـــا على كثيرٍ ولكن لا أرى أحـــدا

• • •

هدايا الناسِ بعضُهـــمُ لبعـــضٍ تُوَلِّدُ في قلوبِهم الوِصـــالا
وتَزرعُ في الضميرِ هَـــوًى ووُدًّا وتَكسوهم اذا حَضَـــروا جَمـــالا

• • •

يموتُ رديءُ الشعرِ من قبـــلِ أهلِـــه وجيِّدُه يَبقى وان ماتَ قائلُـــهُ

• • •

ولو أني بُليتُ بهـــاشمِـــيٍّ خُؤولَتُه بنو عَبدِ المَـــدانِ
صَبرتُ على عداوتِـــه ولكـــن تَعالَي فانظُري بمن ابتلانـــي

• • •

وإنَّ أَولى البرايا أن تُواسِيَـــهُ عندَ السُرورِ لمن واساكَ في الحَزَنِ
إن الكِرامَ اذا ما أسهلوا ذكَـــروا مَن كان يَألَفُهم في المَنزِلِ الخَشِنِ

---

(١) السجاد : هو لقب علي بن الحسين بن علي المعروف بزين العابدين ، لقب بذلك لان مساجده كانت كثفنة البعير من كثرة صلاته . والثفنة من الانسان : ركبته . (٢) الاوتار : جمع وِتر ووَتر. فاذا كانت الاولى فمعناه ان اكفهم منقبضة عن الجنايات . واذا كانت الثانية فمعناه ان كفهم منقبضة عن اوتار العود لأنهم اهل جد وصلاح .

مسكين الدارمي

مسكينٌ لقبٌ غلَبَ عليه . واسمهُ ربيعةُ بنُ عامرِ ابنِ دارِمِ ابنِ تميمٍ .
وانما لُقِّب مسكينا لقوله

انا مِسكينٌ لمـــن أنكرنـــي ولمن يعرِفُني جِدٌّ نُطُـــقْ (١)
لا أَبيعُ الناسُ عِرضـي إنني لو أَبيعُ الناسَ عِرضي لَنَفَـــقْ

وهو شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدقَ ثم كافَّه ، فكان الفرزدقُ يَعُدُّ ذلك في الشدائدِ التي أفلتَ منها .

اشعرُ ما قيل في الغَيرة قولُ مسكينِ الدارمي :

فما خيرُ عِرسٍ اذا خِفتَهـــا وما خيرُ عِرسٍ اذا لم تُـــزَرْ
تَغارُ على الناس أن يَنظُـــروا وهل يَفتُنُ الصالحاتِ النَظَـــرْ
وإني سأُخلي لهـــا بيتَهـــا فتَحفَظُ لي نفسَها أو تَـــذَرْ
اذا اللهُ لم يُعطِني حُبَّهـــا فلن يُعطيَ الحبَّ سَوطٌ مُمَرْ (٢)

وهو الذي يقول :

اخاك اخاك إن مَن لا أَخـــاً لـــه كَساعٍ الى الهَيجا بغير سِـــلاحِ
وإن ابنَ عمِّ المرءِ فاعلَم جَناحُـــه وهل يَنهَضُ البازي بغير جَنـــاحِ

خطب مسكينٌ الدارِميُّ فتاةً من قومه فكَرِهته لسَوادِ لونِه وقِلَّةِ ماله وتزوجت رجلا من قومه ذا يَسارٍ ليس له مثلُ نَسبِ مسكينٍ . فمرَّ بهما مسكينٌ ذاتَ يومٍ وتلك المرأةُ جالسةٌ مع زوجها فقال :

انا مسكينٌ لمـــن يَعرِفُنـــي لونيَ السُمرَةُ ألوانُ العَـــرَبْ
مَن رأى ظبياً عليـــه لُؤلُـــؤٌ واضِحَ الخدَّين مَقروناً بضَبّْ (٣)

(١) نطق: جمع نطاق وهي أعراض من حبال بعضها فوق بعض، يريد أنه مرتفع. (٢) مفتول. (٣) دويبة تشبه الحرذون.

كَسَبَته الوَرِقُ[١] البيضُ ابـــاً ولقد كان وما يُدعـى لأبْ
رُبَّ مهزولٍ سميـــنٍ بيتُـــه وسَمينِ البيتِ مهزولِ النَسَـبْ
لا تَلُمها إنهـا من نِســوةٍ صَخِباتٍ مِلحُها فوق الرُكَـبْ[٢]

كان يزيدُ بنُ معاويةَ يُؤثِر مسكينا الدارميَّ ويَصِله . فلما اراد معاويةُ البَيعةَ ليزيدَ تَهيَّب ذلك وخاف ألاّ يُمالِئَه عليه الناسُ لحُسنِ البَقيَّةِ فيهم وكثرةِ مَن يُرَشَّحُ للخلافة . فأمر يزيدُ مسكيناً أن يقولَ ابياتا ويُنشِدَها معاويةَ في مجلسه اذا كان حافلا وحَضَره وجوهُ بني اميةَ . فلما اتفق ذلك دخل مسكينٌ اليه وهو جالس وابنُه يزيدُ عن يمينه وبنو امية حواليه واشرافُ الناسِ في مجلسه ، فمَثَل بين يديه وأنشأ يقول :

إن أُدعَ مِسكيناً فإني ابنُ مَعشَـرٍ منَ الناس أَحمي عنهُمُ وأذودُ
إليكَ اميرَ المؤمنينَ رَحلتُهـا تُثيرُ القَطا ليلاً وهُنَّ هُجـودُ
الا ليتَ شِعري ما يَقولُ إبنُ عامـرٍ ومَروانُ ام ماذا يقول سَعيـدُ
بَني خُلَفاءِ اللهِ مهـلا فإنمـا يُبَوِّئُها الرَحمَنُ حيثُ يُريـدُ
اذا المِنبَرُ الغَربيُّ خَـلاّه رَبُّـه فان اميرَ المؤمنينَ يَزيـدُ
على الطائر الميمونِ والجَـدُّ صاعـدٌ لكلِّ أُناسٍ طائرٌ وجُـدودُ
فلا زِلتَ أعلى الناسِ كعبا ولا تَـزَل وُفودٌ تُساميها إليكَ وُفـودُ
قُدورُ ابنِ حربٍ كالجَوابي[٣] وحَولَها رجالٌ عليها سَيِّدٌ ومَسـودُ

فقال معاوية : نَنظُرُ في ما قلتَ يا مسكينُ ونستخيرُ اللهَ ، فلم يتكلم احدٌ من بني اميةَ في ذلك الا بالإقرارِ والمُوافقةِ . ثم وَصَله يزيدُ ومعاويةُ فأجزلا .

قال عقيد :

غنيت الرشيدَ ليلةً : « اذ المِنبَرُ الغربيُّ خلاّه ربُه » ثم فَطَنتُ لخطئي ورأيتُ وجهَ الرشيدِ قد تغير . فتداركتُها وقلت :

فان اميرُ المُحسنين عَقيدُ .

فطَرِب وقال : احسنتَ واللهِ بحياتي ، قل : فان اميرَ المؤمنين عقيدُ . فواللهِ لأنتَ احقُّ بها من يَزيدَ بنِ معاويةَ . فتعاظمتُ ذلك ، فحلف لا أُغنّيه إلاّ كما امرَ ، ففعلت . فشرب عليه ثلاثةَ ارطالٍ ووصلني صِلةً سنيَّةً .

---

(١) الدراهم المسكوكة. (٢) العرب تسمي الشحم ملحاً. اراد انها زنجية وشحم الزنج يكون على اوراكهم وأكفالهم.
(٣) جمع جابية وهي الحوض الضخم .

كانت لمسكينِ الدارمي امرأةٌ من منقَرٍ ، وكانت فارِكا (١) ، كثيرةَ الخُصومةِ والمُماظَّةِ (٢) له ، فاجتازت به يوما وهو يُنشِدُ قولَه في نادي قومه :

إن أكُ مسكينا فما قَصَّرت قِدري بيوتُ الحي والجُدُرُ

فوقفت عليه تَسمَعُ حتى اذا بلغ :

ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ واليه قَبلي تُنزَلُ القِدرُ

فقالت له : صدقتَ ، واللهِ ، يَجلِس جارُكَ فيطبُخُ قِدرَه ، فتَصطلي بنارِه ، ثم يُنزِلُها فيجلِسُ يَأكُلُ وانت بحِذائِه كالكلبِ ، فاذا شَبِع أطعَمَك . أجل ، واللهِ ، إن القِدرَ لَتُنزَلُ اليه قبلَك .

فأعرضَ عنها ومر في قصيدته حتى بلغ قولَه منها :

ما ضَرَّ جارًا لي أجاوِرُه ألاَّ يكونَ لبيتِه سِترُ

فقالت له : أجل ، إن كان له سِترٌ هتكتَه . فوثب اليها يَضرِبُها . وجعل قومُه يضحكون منهما .

ابو محمد اليزيدي

هو يَحيى بنُ المباركِ وقيل له: اليزيديُّ ، لانه اتصل بيزيدَ بنِ المنصورِ خالِ المهديِّ فوصله بالرشيد وأدَّب المأمونَ .

كان ابو محمدٍ عالما باللُغة والنحو ، راويةً للشعر ، متصرِّفا في علوم العرب . اخذ عن ابي عمروٍ بنِ العَلاءِ ويونسَ النحويِّ وأكابرِ البصريين .

قال ابو محمد : كنت ألقى الخليل بنَ احمدَ فيقول لي : أُحب ان تَجمَعَ بيني وبينَ عبدِ الله بنِ المُقفَّعِ . وألقى ابنَ المقفعِ فيقول : أُحب أن تَجمَعَ بيني وبينَ الخليلِ بنِ احمدَ . فجمعت بينهما . فمرَّ لنا أحسنُ مجلِسٍ وأكثرُه عِلما . فلَقيتُ الخليلَ فقلت له : يا ابا عبدِ الرحمن ، كيف رأيتَ صاحبَك ؟ قال : ما شِئتَ من عِلمٍ وادبٍ ، إلا أني رأيت كلامَه اكثرَ من عِلمه

(١) الفارك : التي تبغض زوجها . (٢) المشاتمة والمخاصمة .

وعَقله . ثم لَقيتُ ابنَ المقفع فقلت له : كيف رأيت صاحبك ؟ فقال : ما شئتَ من علم وادب إلا أن عقلَه وعلمَه اكثرُ من كلامه .

وقال ابو محمد : كنا مع المهدي قبلَ ان يُستَخلَفَ بأربعة اشهر ، وكان الكسائيُّ مَعَنا . فقال لي المهدي : كيف نَسَبوا إلى البَحرَين ، فقالوا : بَحراني ، ونسبوا إلى الحِصنين ، فقالوا : حِصني ، ولم يقولوا : حِصناني ؟ فقلت : أصلحَ اللهُ الاميرَ ، لو أنهم نسبوا إلى البحرين فقالوا : بحري ، لم يُعرَف إلى البحرين نسبوه او إلى البحر . فلما جاؤوا إلى الحِصنين لم يكن موضعٌ آخَرُ يقال له الحِصن يُنسَب اليه ، فقالوا الحِصني . فقال الكِسائي : انهم لما نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان ، فقالوا : حِصني ، اجتزاءً بإحدى النونين ، ولم يكن في البحرين إلا نونٌ ورحدة ، فقالوا : بَحراني . فقلت له : فكيف تَنسبُ رجلا من بني جِنان ؟ فإنه على قياسه ، يَلزَمُ أن يقولوا : جِنّي ، لان في جنان نونين . فان قالوا ذلك فقد سوَّى بينَه وبينَ المنسوبِ إلى الجنِّ . فقال لي المهديُّ ولَه : تَناظَرا في غيرِ هذا حتى نَسمَعُ . فقلت له : كيف تقول : إن من خيرِ القومِ أو خيرَهم نِيةً زيدٌ ؟ فأطال الفكرَ لا يُجيبُ بشيٌ . فقلت: اعز اللهُ الاميرَ،والله لأن يُجيبَ فيُخطىءَ فيتعلَّمَ أحسنُ من هذه الإطالة . فقال : إن من خيرِ القومِ او خيرُهم نيةٌ زيداً . فقلت : اصلح اللهُ الاميرَ ، ما رَضي أن يَلحَنَ وأحالَ[1] . قال: وكيف ذاك؟ قلت : لرفعه قبل أن يَأتيَ باسم إن ، ونصبه بعدَ رفعه . فقال شَيبةُ بنُ الوليدِ : أراد بأو بل ، فرفع . فقال الكِسائي : ما أردتُ غيرَ ذلك . فقلت: قد أخطأا جميعا ايُها الاميرَ . لو اراد بأو بل،رفع زيداً ، لانه لا يكون : بل خيرُهم زيداً . فقال له المهدي : يا كِسائي ، لقد دخلتَ علي مع سَلَمةَ النحويِّ وغيرِه فما رأيتُ كما اصابَك اليومَ .

حدَّث اسماعيلُ اليزيديُّ قال : لما بلغ المأمونُ وصار في حَدِّ الرجال ، أمرَنا الرشيدُ ان نَعملَ له خُطبةً يقوم بها يومَ الجُمُعة . فعملنا له خُطبتَه المشهورةَ ، وكان جَهيرَ الصوتِ حَسَنَ اللَهجَة . فلما خطَب بها رَقَّت قلوبُ الناسِ وأبكى من سَمِعَه ، فقال ابو محمدِ اليَزيدي :

لِتَهنِ اميرَ المؤمنينَ كرامةٌ ... عليه بها شُكرُ الالهِ وجُوبُ
بأنَّ وليَّ العهدِ مأمونَ هاشمٍ ... بدا فضلُه اذ قام وهو خطيبُ
فلما رماه الناسُ من كل جانبٍ ... بأبصارِهم والعُودُ منه صَليبُ[2]
رماهم بقولٍ أنصتوا عَجَبا له ... وفي دونه للسامعينَ عجيبُ
فأبكى عيونَ الناسِ أبلَغُ واعِظٍ ... أغَرُّ بِطاحيٌ[3] النِجارِ نَجيبُ
ولا واجبٌ فوقَ المنابرِ قلبُه ... اذا ما اعترى قلبَ الخطيبِ وَجيبُ[4]

فلما وصلت هذه الأبياتُ إلى الرشيدِ أمر لابي محمدٍ بخمسينَ الفَ درهمٍ .

---

(١) احال: اتى بالمحال أي الباطل . (٢) صلب . قاس . (٣) بطاحي، نسبة الى بطحاء مكة . النجار : الاصل والنسب .
(٤) وجب : خفق ورجف .

محمد بن ابي محمد اليزيدي

يُكنى ابا عبد الله . ومما يُغنى من شعره قوله :

أتيتُــــكِ عائـــذا بـــكِ منـــ ـــكِ لَمّا ضاقـتِ الحَيَـــلُ
وَصَيَّرنــــي هـــــواكِ وبــــي لِحَيْـني (١) يُضــرَبُ المَثَــلُ
فان سَلِمـت لكـــم نفســـي فمـــا لاقيتُـــه جَلَـــلُ
وإن قَتَـــلَ الهـــوى رجـــلاً فإني ذلــــك الرجـــــلُ

ومن جيد شعره قوله :

يا بعيـــدَ الـــدارِ موصـــو لاً بقلبــــي ولِســـاني
ربمـــا باعـــدكَ الـــدهـــ رُ وأدنتــــكَ الأمـــــاني

وقوله :

صَحيـحٌ وَدَّ لـــو أمسى عليــلاً لِتَكتُبَ أو يَرى منكم رَسـولا
رآكَ تسومُـــه الهِجـــرانَ حتـى اذا ما اعتـــلَّ كنتَ له وَصـولا
هما موتـــانِ : موتُ هوىً وهجـــرٍ وموتُ الهجرِ شَرُّهمـا سبيـلا

أَيمن بن خُرَيم

كان أيمنُ يتشيَّع ، وكان ابوه احدَ من اعتزل حربَ الجملِ وصِفّينٍ .

كان عبدُ الملك شديدَ الشَغَفِ بالنساء ، فلما أسنَّ ضَعُفَ عنهن وازداد غرامُه بهن . فدخَل اليه يوما ايمنُ بنُ خريمٍ فقال له : كَيف انت ؟ فقال : بخير يا امير المؤمنين . قال : فكيف قُوَّتُك ؟ قال

(١) الحين : الموت .

كما أُحِبُ ، ولله الحمدُ ، إني لآكُل الجَذَعة(١) من الضأن بالصاع من البُرِّ ، وأشرب العُسَّ المملوءَ اعبُّه عبًّا ، وأرتحلُ البعيرَ الصعبَ وأُنصبه(٢) ، وأركب المُهرَ الأرنَ(٣) فأُذَلِّلُه ، وأفترعُ العذراءَ ، ولا يُقعدُني عنها الكِبَرُ . فغاظ عبدَ الملكِ قولُه وحسده ، فمنعه العطاء وحجبَه ، حتى أثَّر ذلك في حاله . فقالت له امرأتُه : ويحَك ، اصدقني عن حالك ، هل لك جُرمٌ ؟ فقال : لا ، والله . قالت : فأيُّ شيءٍ دار بينَك وبينَ امير المؤمنين آخرَ ما لقيتَه ؟ فأخبرها . فقالت : إنا لله ، من ها هنا أُتيتَ . أنا احتالُ لك في ذلك حتى أُزيلَ ما جرى عليك ، فقد حسدَك الرجلُ على ما وصفتَ به نفسَك . فتهيّأت ولبست ثيابَها ، ودخلت على عاتكةَ زوجته فقالت : اسألُك ان تَستعديَ لي اميرَ المؤمنين على زوجي . قالت : وماله : قالت : والله ما أدري انا مع رجلٍ او حائط ؟ وإن له لسنينَ ما يَعرف فراشي ، فسَلْيه ان يُفرِّقَ بيني وبينه . فخرجت عاتكةُ إلى عبد الملكِ ، فذكرت له ذلك ، وسألته في امرها . فوجَّه إلى أيمنَ فحضَر . فسأله عما شكت منه ، فاعترف بذلك . فقال له : أوَ لم أسألك عاماً اولَ عن حالك ، فوصفتَ لي كيتَ وكَيتَ ؟ فقال : يا امير المؤمنين ، إن الرجلَ ليَتجمَّلُ عند سُلطانه ، ويتجلَّدُ على أعدائه بأكثرَ مما وصفتُ نفسي به ، وانا القائلُ :

لقيتُ من الغانياتِ العُجابا ... لو أدركَ مني الغواني الشَّبابا
ولكن جمعُ النساءِ الحسانِ ... عَناءٌ شديدٌ اذا المرءُ شابا
ولو كِلتُ بالمُدِّ للغانياتِ ... وضاعفتُ فوق الثيابِ الثيابا
اذا لم تُنلهنَّ من ذاك ذاك ... جَحدْنكَ عندَ الامير الكِتابا
علامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيونِ ... ويُحدِثن بعد الخضابِ الخضابا
ويَعرِكنَ بالمسكِ أجيادَهن ... ويُدنين عند الحجالِ العيابا(٤)
ويَبرُقن الا لِما تَعلمون ... فلا تحرموا الغانياتِ الضِرابا

فجعل عبد الملك يَضحك من قوله ، ثم قال : أولى لك ، يا ابنَ خُريم ، لقد لَقيتَ منهن تَرَحا . فما ترى أن نصنعَ فيما بينك وبين زوجتك ؟ قال : تَستأجلُها إلى أجلِ العِنِّين(٥) ، وأُداريها لعلي أستطيعُ إمساكَها . قال : افعل ذلك . فردَّها اليه ، وأمر له بما فاتَ من عطائه وعاد إلى بِرِّه وتقريبه .

قال عبدُ الملك : يا معشرَ الشعراءِ ، تُشبهوننا مرةً بالأسد الأبخر(٦) ومرةً بالجبل الأوعر ، ومرة بالبحر الأجاج(٧) ، ألا قلتم فينا كما قال أيمنُ بنُ خريمٍ في بني هاشم :

نَهارُكُمُ مُكابَدةٌ وصومٌ ... وليلُكُمُ صلاةٌ واقتراءُ(٨)

(١) الجذع من البهائم : الصغير ، الفتى . (٢) اتعبه . (٣) القوي . (٤) الحجال : جمع حَجَلة أي ستر يضرب للعروس في جوف البيت . العيابا : جمع عيبة اي الصدر . (٥) الذي يشكو العجز . (٦) البَخَر : رائحة الفم الكريهة . (٧) الشديد الملوحة . (٨) قراءة وتلاوة .

أأجعلُكم وأقواماً سواءً وبينَكمُ وبينهمُ الهَواءُ
وهم ارضٌ لأرجُلِكم وانتم لأرؤسِهم وأعينِهم سَماءُ

ومن جيد شعره :

اذا المرء وفّى الأربعين ولم يكن له دونَ ما يأتي حِجابٌ ولا سِترُ
فدعه وما يأتي ولا تعذُلَنّه وإن مدَّ اسبابَ الحياةِ له العمرُ

(وله خبر مع نُصيب وعبد العزيز بن مروان . راجع اخبار نصيب الجزء الأول) .

عمرو بن ابي الكنات

هو مولى بني جُمَحَ ، مكّيٌّ ، مغنٍّ محسنٌ ، موصوفٌ بطيب الصوت من طبقة ابن جامع . ويُكنّى ابا عثمان .

حدّث ابنُ فروةَ قال : قلت لاسماعيل بن جامع يوما : هل غلبك أحد في المغنين قط؟ قال : نعم . كنتُ ليلةً ببغدادَ اذ جاءني رسولُ امير المؤمنين هارونَ الرشيدِ يأمرني بالركوب ، فركبتُ حتى صِرتُ إلى الدار ، فاذا انا بالفضل بنِ الربيعِ معَه زلزلُ العوّادُ وبرصوما ، فسلّمتُ وجلستُ ، ثم طلع خادمٌ فقال للفضل : هل جاء؟ قال : لا . قال : فابعث اليه . فبعث ولم يزل المغنون يدخلون واحدا بعد واحد ، حتى كنا ستةً او سبعةً . ثم طلع الخادم فقال : هل جاء؟ فقال : لا . فقال : قم فابعث في طلبه . فقام فغاب غيرَ طويلٍ ، ثم اذا هو قد جاء بعمرو بنِ ابي الكنّات ، فسلّم وجلس إلى جنبي . فقال لي : مَن هؤلاء؟ قلت: مغنّون . وهذا زلزلُ ، وهذا برصوما . فقال : والله لأغنينّك غناءً يَخرُقُ هذا السقفَ ، وتُجيبُه الحيطانُ . ثم طلع الحصيُّ بكراسيٍّ ، وخرجت الجواري . فلما جلس قال الخادم للمغنين : سَوُّوا . فسوَّوا عيدانهم . ثم قال : يُغني ابنُ جامع . فغنيتُ . ثم قال : اسكت ، وليغنِّ ابراهيمُ الموصليُّ . فغنى ثم سكت . ثم لم يزل يمرُّ القومُ كلُّهم واحداً واحداً حتى فرَغوا . ثم قال لابن ابي الكنّات : غنِّ . فقال لزلزل : شُدَّ طبقتَك . فشدَّ . ثم اخذ العودَ من يده فجسّه حتى وقعت على الموضِع الذي يُريده ، ثم قال : على هذا . وابتدأ الصوت ، واولُه : ألا لا . فوالله لقد خُيِّلَ إلي أن الحيطانَ تُجاوبُه ثم رَجَّعَ النغمَ فيه . فطلع الحصيُّ فقال له : اسكت ، لا تُتِمَّ الصوتَ . فسكت . ثم قال : يَجلِس عمرو

بنُ ابي الكَنّاتِ ويَنصرِفُ باقي المغنين . فقُمنا بأسوأ حالٍ وأكسفِ بالٍ . وبات عمرٌو ليلتَه عندَ الرشيد ، ثم انصرف من عنده بجوائزَ وصِلاتٍ وطُرَفٍ سنيّةٍ .

قال احدُهم : واقفتُ ابنَ ابي الكَنّاتِ على جسر بغدادَ فحدثتُه بحديثٍ عن ابنِ عائشةَ أنه فعلَه ايامَ هِشامٍ وهو أنه وقف في المَوسِمِ فمرَّ به بعضُ أصحابه فقال له : ما تَعمَل ؟ فقال : إني لأعرِف رجلاً لو تكلم لحبس الناسَ . فقال له : ومَن هذا الرجل ؟ قال : انا ، ثم اندفع يغني :

جَـــرت سُنُحـــاً فقلت لها اجيـــزي   نَـــوىً مشمولـــةً فمتى اللقـــاءُ

بنفسي مَـــن تَذَكُّـــرُهُ سَقـــامٌ   أُعالِجُـــه ومَطلَبُـــه عَنـــاءُ

ـ الشعر لزهير بن ابي سلمى ـ الجزء العاشر ـ

فحبس الناسَ ، واضطربت المحاملُ ، ومَدّت الإبِلُ أعناقَها ، وكادت الفتنةُ تقعُ . فأُتي به هِشامٌ فقال : يا عدوَّ الله ، اردتَ ان تَفتِنَ الناسَ . فأمسَكَ عنه . ـ وكان ابنُ عائشةَ تَيّاهاً ـ ثم قال له : ارفُق بتيهك . فقال ابنُ عائشةَ : حُقَّ لمن كانت هذه قُدرتُه على القلوبِ أن يكونَ تَيّاهاً . فضحك وأطلَقه .

فبرق ابن ابي الكَنّاتِ ـ كان مُعجَباً بنفسه ـ وقال : انا افعلُ كما فعل ، وقدرتي على القلوب اكثرُ من قدرته كانت . ثم اندفع فغني في هذا الصوتِ ونحن على جسر بغدادَ وكان اذ ذاك على دَجلةَ ثلاثةُ جسورٍ معقودة . فانقطعت الطُرُقُ ، وامتلأتِ الجسورُ بالناس وازدحموا عليها . واضطربت حتى خيف عليها ان تَنقطِعَ لثِقل مَن عليها من الناس . فأُخِذ فأُتي به الرشيدُ . فقال : يا عدوَّ الله ، اردتَ ان تَفتِنَ المؤمنين . فقالَ : لا ، والله ، يا أمير المؤمنين . ولكنه بلغني أن ابنَ عائشةَ فعل مثلَ هذا في ايام هشامٍ ، فأحببتُ أن يكونَ في ايامِك مثلُه . فأُعجِب من قوله ذلك وامر له بمال وامره ان يُغني ، فسَمِعَ شيئا لم يَسمَع مثلَه ، فاحتبسه عنده شهرا . ثم انصرف بأموال جسيمة .

اسماء بن خارجة وابنته هند

زَوّج اسماءُ بنُ خارجةَ الفَزاريُّ بنتَه هنداً من الحجّاجِ بنِ يوسف . فلما كانت ليلةُ زَفافِها قال لها اسماءُ : يا بُنيّةُ ، إن الأمهات يُؤدِّبن البنات ، وإن امَّكِ هَلَكت وانت صغيرةٌ . فعليكِ بأطيبِ الطيبِ الماءُ ، وأحسنِ الحُسنِ الكُحلُ . واياكِ وكثرةَ المُعاتبة فإنها مَقطعةٌ للوُدِّ . واياكِ والغَيرةَ فإنها مِفتاحُ الطَلاقِ . وكوني لزوجك أمةً يكن لك عبدا . واعلمي أني القائلُ لأمكِ :

خُــذي العفوَ مني تستديمي مودتــي ولا تَنطُقي في سَورتي حينَ أغضَــبُ
ولا تنقُريني نَقــرةَ الــدُفِّ مــرةً فانكِ لا تدرينَ كيفَ المُغيَّــبُ
فاني وجــدتُ الحبَّ في الصدر والأذى اذا اجتمعا لم يَلبثِ الحبُّ يَذهبُ

وكانت هندٌ امرأةً مجرَّبةً ، قد تزوجها جماعةٌ من أمراءِ العِراقِ . فقبلت من ابيها وصيَّتَه فكان الحجاجُ يصِفُها في مجلِسه بكل خير .

قالت احداهن : كنتُ في مَن زَفَّها ، فدخلنا اليه وهو في بيت عظيم ، في أقصاه سِتارةٌ ، وهو دونَ الستارةِ على فَرشه . فلما دخَلَتْ سلَّمت . فأومأ اليها بقضيبٍ كان في يده . فجلست عند رجليه ، ومكثت ساعةً وهو لا يتكلمُ ، ونحن وُقوفٌ . فضربت بيدِها على فخذِه ثم قالت . ألَم تَبعُد من سُوءِ الخُلُقِ ؟ فتبسَّم وأقبل عليها ، واستوى جالسا ، فدعَونا له وخرجنا ، وأُرخيت السِتارة .

وكانت هندٌ مع عُبَيدِ الله بنِ زيادٍ وهو أبو عُذرِها . فلما قُتل ، كانت أشدَّ خَلقِ الله جَزَعا عليه . ولقد قالت يوما : إني لأشتاقُ إلى القيامةِ لأرى وجهَ عُبَيدِ الله . فلما قَدِم بِشرُ بنُ مروانَ الكوفةَ تزوَّجها . فولدت له عبدَ الملكِ بنَ بشرٍ . ومات بِشرٌ فلم تُكثِر جزَعها عليه . ثم تزوَّجت الحجَّاجَ .

وقَدِم الحجَّاجُ البصرةَ وحمل هندا معه . فلما بنى قصرَه قال لها : هل رأيتِ أحسنَ من هذا القصرِ؟ قالت : ما احسنَه . قال : اصدقِيني . قالت : اما اذ أبيتَ فواللهِ ما رأيتُ احسنَ من القصر الأحمرِ . وكان ابنُ زيادٍ بناه بطينٍ احمَر . فغضب وطلَّقها ، وهدم القصر الاحمَر .

السُلَيك بن السُّلَكَة

ابوه عمرٌو والسُلَكَةُ امُّه ، وهي أَمَةٌ سوداءُ ، وهو احدُ صعاليكِ العربِ العدَّائين الذين كانوا لا يُلحَقون ولا تَعلَق بهم الخيلُ اذا عَدَوا .

كان السُّلَيكُ ، اذا كان الشتاءُ ، استودع ببيضِ النَعامِ ماءَ السماء ثم دفنَه . فاذا كان الصيفُ ، وكان ادلَّ من قَطاةٍ ، يَجيءُ يقفُ على البيضةِ .

وكان من أشدِّ رجال العرب وأشعرِهم .

قيل : انه أملق حتى لم يبقَ له شيء. فخرج على رجليه رجاءَ أن يُصيبَ غِرّةً من بعض مَن يَمُرُّ به ، حتى امسى في ليلة من ليالي الشتاء فاشتمل الصَمّاءَ ونام – واشتمالُ الصماء أن يَرُدَّ فضلَ ثوبه على عَضُدِه اليمنى ثم ينام عليها – فبينا هو نائمٌ اذ جَثَم رجل فقَعد على جَنبه وقال له : استأسر. فرفع السُليكُ رأسَه وقال : الليلُ طويلٌ وأنتَ مُقمِر. فأرسلَها مثلاً [١] . فجعل الرجلُ يَلهَزُه [٢] ويقول : يا خبيثُ استأثر. فلما آذاه ، أخرج السُليكُ يَدَه فضمَّ اليه الرجلَ ضمّةً ضرط منها وهو فوقَه . ثم قال له : مَن انت ؟ فقال : انا رجل افتقرتُ فقلت : لأخرُجَنَّ فلا ارجِعُ إلى أهلي حتى استغنيَ . قال : انطلِق معي . فوجدا رجلا قِصّتُه مثلُ قصّتِهما . فاصطَحبوا جميعا حتى اتَوا حَوفَ مُراد . فلما اشرفوا عليه اذا فيه نَعَمٌ قد ملأَ كلَّ شيءٍ من كثرته . فهابوا ان يُغيروا فيُطرِدوا بعضَها فيَلحَقُهم الطلبُ ، فقال لهما سُليكٌ : كونا قريباً مني حتى آتيَ الرِعاءَ [٣] فأعلَمَ لكما عِلمَ الحيِّ ، أقريبٌ ام بعيدٌ. فان كانوا قريبا رجَعتُ اليكما ، وان كانوا بعيدا أوميءُ اليكما . فأتى الرِعاءَ فلم يزل يتسقَّطُهم [٤] حتى اخبروه بمكان الحيِّ فاذا هم بعيدٌ . إن طُلِبوا لم يُدرِكوا : فقال السليكُ للرِعاء : ألا أُغنيكم ؟ فقالوا : بَلىٰ . فغنى :

يـا صاحبَـيَّ ألا لا حـيَّ بالوادي ... سوى عبيدٍ وآمٍ [٥] بينَ أذوادِ

فلما سمعا ذلك أتيا السُليكَ فأطردوا الإبِلَ فذهبوا بها ولم يَبلُغ الصريخُ الحيَّ حتى فاتوهم بالابل .

ورأت طلائعُ جيشٍ لبكرِ بنِ وائلٍ السُلَيكَ ، وكانوا جازوا منحدرين ليُغيروا على بني تَميمٍ ولا يَعلمُ بهم احدٌ ، فقالوا : إن عَلِم السليكُ بنا أنذر قومَه . فبعثوا اليه فارسين على جوادين . فلما هايجاه خرج يَمحَصُ [٦] كأنه ظبيٌ . وطارداه سحابةَ يومِه ففاتَهم وتَمَّ إلى قومه فأنذرهم فكذَّبوه لبُعدِ الغايةِ فأنشأ يقول :

يُكذِّبُني العَمّـرانِ عمرُو بنُ جُندَبٍ ... وعمرُو بنُ سعدٍ والمُكذِّب أكذبُ

ثكِلتُكمـا إن لـم أكُـن قد رأيتُها ... كراديسَ يهديها إلى الحيِّ مَوكِبُ

وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم .

اغار السليكُ على بني عُوارةَ فلم يَظفَر منهم بفائدةٍ ، وارادوا مُساورتَه [٧] فقال شيخ منهم إنه اذا عدا لم يتعلق به شيءٌ . فدَعُوه حتى يَرِدَ الماءَ . فاذا شَرِب ثَقُل فلم يستطع العَدْوَ وظَفِرتم به . فأمهلوه حتى وَرَد الماءَ فشرِب ، ثم بادرُوه . فلما عَلِم انه مأخوذٌ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم . حتى وَلج على امرأةٍ منهم يُقال لها فُكَيهةُ ، فاستجاربها ، فمنعته وجعلته تحت دِرعِها ، واختَرطت السيفَ وقامت دونَه . فكاثروها . فكشفت خِمارَها عن شعرِها وصاحت بأخوتها . فجاؤوها ودفعوا عنه حتى نجا فقال السليك :

(١) مثل يضرب للذي يغتر فلا يأخذ حذره . (٢) يلهزه : يلكزه . (٣) الرعاء جمع راع . (٤) يتسقطهم : اي يستقصي اخبارهم . (٥) جمع أمة الى العشر . (٦) يسرع (٧) مواثبته .

لَعمرُ ابيكَ والأنباءُ تُنمى لَنِعمَ الجارُ اختُ بني عُوارا
مِنَ الخَفِراتِ لم تَفضح اباها ولم تَرفع لأخوتها شَنارا [١]
كأن مجامعَ الأردافِ منها نَقىً [٢] دَرجَت عليه الريحُ هارا [٣]
يَعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قلبي وَيَتبعُ المُمنَّعةَ النَوارا
وما عجزت فُكَيهةُ يومَ قامت بنصلِ السيف واستلبوا الخِمارا

(راجع فليح بن العوراء وخبر هذه الأبيات – الجزء الرابع ص ١٣٩).

المنخَّل اليشكري

هو المنَخَّلُ بنُ عمروِ ابنِ يَشكُرَ بنِ بكرِ وائلِ. شاعرٌ مُقِلٌّ من شعراء الجاهلية. وكان النُعمانُ بنُ المنذرِ قد اتَّهَمه بامرأته المتجرِّدَةِ. وقيل: بل وجدَه معها فقتله، وقيل: دفنه حيًّا. والعرب تَضرِب به المثلَ بأنه هَلَكَ ولم يُعلَم له خبرٌ.

كانت المتجرِّدةُ من أجملِ أهلِ زمانها، وكان النُعمانُ قصيراً دميماً أبرشَ. وكان المنخَّلُ جميلا. فأمر النعمانُ النابغةَ بوصفها فقال قصيدتَه التي اولُها:

من آلِ مَيَّةَ رائحٌ او مُغتدي عَجلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ

ووصفها فأفحش. فغار المنخَّل وقال: هذه صفةُ مُعايِنٍ. فهمَّ النعمانُ بقتلِ النابغةِ حتى هرب منه. وخلا المنخَّلُ بمُجالسته، وكان يَهواها وتَهواه وقد ولدت للنعمان غلامَين جميلين يُشبهان المنخَّلَ.

وقال المنخَّلُ في المتجرِّدة:

ولقد دخلتُ على الفَتاةِ الخِدرَ في اليومِ المَطيرِ
الكاعبِ الحسناءِ تَرفُلُ في الدِمَقسِ وفي الحريرِ

---

(١) الشنار: العار. (٢) قطعة من الرمل. (٣) انهار.

دافعتُها فتدافعت ... مَشيَ القَطاةِ الى الغديرِ
ولثمتُها فتنفّست ... كتنفُّسِ الظبيِ البَهيرِ [١]
ورنت وقالت يا منخّلُ ... هل بجسمك من فُتورِ
وأُحِبُّها وتُحِبُّني ... ويُحِبُّ ناقتَها بعيري [٢]
ولقد شربتُ من المُدامةِ ... بالكبيرِ وبالصغيرِ
فاذا سكَرتُ فإنني ... رَبُّ الخَورنَقِ والسَدير [٣]
واذا صَحَوتُ فإنني ... رَبُّ الشُويهةِ [٤] والبعيرِ

امية بن الاسكر

شاعرُ فارسٌ مخضرَمٌ أدرك الجاهلية والاسلام. وكان من سادات قومه وفُرسانهم.

هاجر كِلابُ بنُ اميّةَ بنِ الاسكرِ الى المدينة في خلافة عمر، فلقي ذاتَ يومٍ طَلحةَ والزُبيرَ فسألهما: ايُّ الاعمال افضلُ في الاسلام؟ فقالا: الجهادُ. فسأل عمرَ، فأغزاه في جيش. وكان ابوه قد كَبِر وضَعُف. فلما طالت غيبتُه عنه قال:

لِمَن شيخانِ قد نَشدا كِلابا ... كتابَ اللهِ إن قَبِلَ الكتابا
تركتَ اباك مُرعَشَةً يداه ... وامَّك ما تُسيغُ لها شَرابا
فإنك والتماسَ الأجرِ بعدي ... كباغي الماءِ يَتَّبِعُ السَرابا

فبلغت ابياتُه عمرَ فلم يَردُد كِلاباً. وطال مُقامُه فأُهتِرَ [٥] اميّةُ وخلّط جزَعا عليه. ثم اتاه يوما وهو في مسجدِ الرسولِ فوقف عليه ثم انشأ يقول:

أعاذِلَ [٦] قد عذَلتِ بغير قَدرٍ ... ولا تَدرين عاذِلَ ما أُلاقي
فإما كنتِ عاذلَتي فرُدّي ... كِلاباً اذ تَوجَّهَ للعِراقِ

---

(١) المتابع الانفاس من العَدْو. (٢) حب فاض به قلبان فما يحس شيئاً إلا مشى فيه بسحره، حتى مطيتاهما تحسان حسهما بعدوى الانتقال الحي، او هكذا شعر المحبان. (٣) قصران للنعمان. (٤) تصغير شاة. (٥) فقدِ عقله.
(٦) مرخم عاذلة.

فلـــو فَلَقَ الفؤادَ حَمــاطُ[١] وَجد لَهَمَّ سَوادُ قلبـــي بـــانفلاقِ
ساستعـــدي على الفاروقِ رَبـــاً لـــه دَفعُ الحجيجِ الى بُساقِ[٢]

فبكى عمرُ وكتب بردّ كلاب الى المدينة . فلما قَدِم دخل عليه فقال له : ما بلغ من بِرِّك بأبيك ؟ قال : كنت أُدثِّرُه وأكفيه امرَه . وكنت اعتمد، اذا اردت أن أَحلُبَ له لبنا ، أغزرَ ناقة وأسمنَها فأُريحُها واتركُها حتى تستقرَّ ثم أغسلِ أخلافَها حتى تَبرُدَ ثم أحلِبُ له فأسقيه . فبعثَ عمرُ الى أُميَّةَ مَن جاء به اليه، فأدخلَه يتهادى . وقد ضَعُف بصرُه وانحنى ، فقال له : كيف انت يا ابا كلاب ؟ قال : كما تَراني ، يا اميرَ المؤمنين . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم . أشتهي ان ارى كِلابا فأَشُمُّه شَمَّة، وأضُمُّه ضَمَّةً قبل أن اموتَ. وبكى عمر وقال : ستبلُغُ في هذا ما تُحب. ثم امر كِلابا ان يَحتلِبَ لابيه ناقةً كما كان يفعلُ ويَبعثَ اليه بلبنها . ففعل .

فناولَه عمرُ الإناءَ وقال : دونَك يا أبا كلاب . فلما اخذَه وأدناه الى فمه قال لعمرَ : والله يا اميرَ المؤمنين ، اني لأجِدُ رائحةَ يدَي كلاب من هذا الاناء . فبكى عمرُ وقال : هذا كلابٌ عندَك حاضرٌ قد جئناك به . فوثب الى ابنه وضمَّه اليه وقبَّله وجعل عمر يَبكي ومَن حَضَره . وقال لكلاب : الزَم ابوَيك فجاهِد فيهما ما بَقيا ، ثم شأنَك بنفسك بعدَهما .

عُمِّرَ اميَّةُ طويلا حتى خَرِف. فكان ذاتَ يوم جالسا في نادي قومه وهو يُحدِّثُ نفسَه اذ نظر الى راعي ضأنٍ يتعجَّبُ منه فقام ينَهَض فسقطَ على وجهه فضَحِك الراعي منهُ. وأقبل ابناه اليه فلما رآهما قال :

يـــا ابنَي اميَّةَ إني عنكما غاني ومــا الغنى غيرَ أني مُرعَشٌ فاني
اصبحتُ فرداً لراعي الضأنِ يَلعب بي ماذا يُريبُك منـــي راعيَ الضأنِ

عبْدة بن الطبيب

شاعر مُجيدٌ ليس بالمُكثِر وهو مخضرَم ادرك الاسلام فأسلم.

قال الاصمعي : ارثى بيت قالته العربُ قولُ عَبْدةَ بنِ الطبيبِ :

وما كان قيسٌ هُلكُه هُلكُ واحـدٍ ولكنَّه بنيانُ قـــومٍ تَهدَّمـــا

(١) الحرقة . (٢) جبل قرب المدينة .

وتمامُ هذه الابياتِ لعبدةَ يرثي قيسَ بنَ عاصمٍ المِنقَريَّ :

عليكَ سلامُ اللهِ قيسَ بنَ عاصمٍ ورحمتُه ما شاءَ أن يترحَّما
تحيَّةُ مَن اوليتَه منك نِعمةً اذا زارَ عن شَحطٍ بلادَك سلَّما

قال عبدُ الملك يوما لجُلَسائه : ايُّ المناديلِ أشرَقُ ؟ قال قائلٌ منهم : مناديلُ مِصرَ . وقال آخَرُ : مناديلُ اليَمنِ . فقال عبدُ الملك : مناديلُ اخي بني سَعدٍ عَبْدَةَ بنِ الطبيبِ حيثُ يقول :

لمَّا نزَلنا نَصَبنا ظِلَّ أخبِيةٍ وفارَ للقوم باللحمِ المَراجيلُ[١]
ثُمَّتَ قُمنا الى جُردٍ مُسوَّمةٍ أعرافُهن لأيدينا مَناديلُ[٢]

الاغلب العجلي

هو ابن سعد بن عجل ابن بكر بن وائل ، وهو احد المُعَمَّرين . ادرك الاسلامَ فأسلم واستشهد في وقعةٍ بنَهاوَندَ . وهو اولُ من رجز الاراجيز الطوال .

كتب عمر بن الخطاب الى المُغيرةِ بنِ شُعبةَ وهو على الكوفة : استنشد مَن قِبلَك من شعراء مِصرِك ما قالوا في الاسلام . فارسل الى الاغلب العِجلي فاستنشده فقال :

لقد سألتَ هيِّنا موجودا أرَجَزًا تُريدُ ام قَصيدا

ثُمَّ ارسل الى لَبيد فقال له : إن شئت مما عفا الله عنه – يعني الجاهليةَ – فعلتُ . قال : لا . أنشِدني ما قلتَ في الإسلام. فانطلق لبيدٌ فكتب سُورةَ البَقَرةِ في صحيفة وقال : أبدلَني اللهُ بهذه في الاسلامِ مكانَ الشعر . فكتب المغيرةُ بذلك الى عمر. فنقص عمرُ من عَطاءِ الاغلب خمسَمئة وجعلَها في عَطاءِ لبيدٍ . فكتب الاغلبُ الى عمر : يا اميرَ المؤمنين ، أتَنقُص عَطائي أنَ أطعتُك ؟ فردَّ عليه خمسَمئةٍ وأقرَّ عطاءَ لبيدٍ على الفين وخمسِمئة .

قال الاغلبُ العِجليُّ في سَجاحٍ لما تزوَّجت مُسَيلَمةَ الكذَّابَ :

(١) اصلها المراجل ، جمع مِرجَل : المُوقِد . فزاد الياء فيها ضرورة . (٢) جرد : اي خيل . مسومة : لها علامة تعرف بها . أعرافهن : جمع عرف . وهو شعر الرقبة من الخيل .

لقــــد لَقِيت سَجاحِ من بعدِ العَمى   مُلَوَّحا في العينِ مَجلُوزَ القَــرا [١]
قالت متى كنتَ ابـــا الخيرِ متـــى   قال حـــديثا لم يُغَيِّرني البِلى
(وهي طويلة مفحشة)

مسيلمة وسجاح

قيل : إن سَجاحِ التميميَّة ادَّعت النُبَّوةَ بعد وفاةِ الرسولِ واجتمعت عليها بنو تميم. فكان فيما ادعت أنه أُنزِل عليها : « يا ايُّها المؤمنون المُتَّقون ، لنا نِصفُ الارضِ ، ولقريشٍ نصفُها . ولكنَّ قريشا قومٌ يَبغُون » . واجتمعت بنو تميمٍ كلُّها اليها لتَنصُرَها . وكان فيهم الاحنفُ بنُ قيسٍ وحارِثةُ بنُ بدرٍ، وكان مؤذِّنَها شبتُ بنُ رِبعيٍّ الرياحيَّ . فعمدت في جيشها الى مُسَيلَمةَ الكذابِ وهو باليمامة ، وقالت : يا معشرَ تميمٍ ، اقصُدوا اليمامةَ ، فاضربوا فيها كلَّ هامةٍ ، وأضرِموا فيها نارًا مِلهامةً . ان اللهَ لم يجعل هذا الامرَ في ربيعةَ وانما جعله في مُضَرَ . فاقصدوا هذا الجمعَ. فاذا فضضتموه، كررتم على قريشٍ. فسارت في قومها. فبلغ مُسيلَمةَ[٢] خبرُها فضاق بها ذَرعا ، وتحصَّن في حَجْرِ حِصنِ اليمامة . وجاءت في جيوشها فأحاطت به . فارسل الى وجوه قومه قال : ما تَرَون ؟ قالوا : نرى ان نُسلِّمَ الامرَ اليها وتَدَعَنا ، فإن لم نفعل فهو البَوارُ . وكان مُسَيلمَةُ ذا دَهاءٍ فقال : سأنظُر في هذا الامر . ثم بعث اليها : ان اللهَ أنزلَ عليك وَحياً ، وانزل علي . فهَلُمِّي نَجتمعُ فنَتدارسُ ما أنزل اللهُ علينا . فمَن عرف الحقَّ تَبِعه ، واجتمَعنا فأكلنا العربَ أكلا بقومي وقومك . فبعثت اليه : أفعلُ . فأمر بقُبَّةِ أَدَمٍ ، فضُربت . وأمر بالعودِ ، فسُجِرَ فيها . وقال : أكثروا من الطيب والمِجمَر . فانَّ المرأةَ اذا شمَّت رائحةَ الطيب ذكرت الباهَ[٣] . ففعلوا ذلك . وجاءها رسولُه يُخبِرُها بأمر القُبَّةِ المضروبة لِلاجتماع . فأتته ، فقالت ، هاتِ ما أُنزِلَ عليك . فقال : « ألم تَرَ كيفَ فعل ربُّك بالحُبلى ، اخرج منها نُطفةً تَسعى ، من بين ذَكرٍ وأُنثى ، واموات وأحياء ، ثم إلى ربهم يكون المُنتهى . » قالت : وماذا ؟ قال : « ألم تَرَ أن اللهَ خَلَقَنا أفواجاً ، وجَعَل النِساءَ لنا ازواجا » . قالت : فبأي شيءٍ أمَرَك ؟ قال :

ألا قـــومي إلـــى النكــــحِ   فقـــد هُيِّ لَـــكِ المَضجَـــعْ
فان شئـــتِ ففـــي البيــــتِ   وإن شئتِ فَفـــي المُخـــدَعْ

(١) مجلوز : معصوب . القرا : الظهر . (٢) نبي بني حنيفة . (٣) الباه : الرغبة الجنسية .

وقال : كذا أوصى اللهُ إلي . فواقعَها . ثم قالت : إن مثلي لا يجري امرُها هكذا ، فيكون وصمةً على قومي وعلي . ولكني مسلّمةٌ النبوّةَ اليك ، فاخطبْني إلى أوليائي يزوّجوك ، ثم اقودُ تميما معك . فخرج وخرجت معه . فاجتمع الحيّانِ من حنيفةَ وتميمٍ . فقالت لهم سَجاحِ : إنه قرأ علي ما أُنزِل عليه فوجدتُه حقًّا فاتّبعتُه . ثم خَطَبَها فزوّجوه اياها . وسألوه عن المَهر فقال : قد وضعتُ عنكم صَلاةَ العصرِ . فبنو تميمٍ إلى الانَ ، بالرمل ، لا يُصلّونها ، ويقولون : هذا حقٌّ لنا ، ومَهرُ كريمةٍ منا لا نَرُدُّه .

وقال شاعرٌ من بني تَميمٍ يَذكُر امرَ سَجاحِ : — وهو قيس بن عاصم المنقريّ —

اضحت نبيّتُنا أُنثى نُطيفُ بها وأصبحت انبياءُ اللهِ ذُكرانا !

وأسلمت سَجاحِ بعد قتل مُسَيلمةَ .

البحتري

هو الوليد بن عُبيدِ ابنِ بُحتُرِ ابن طيٍّء . ويُكنّى ابا عبادة . شاعر فاضل ، فصيح ، حسنُ المذهب ، نقيُّ الكلام ، مطبوع . له تصرّفٌ حسن في ضُروب الشعر ، سوى الهِجاء . فان بِضاعتَه فيه نَزرةٌ . وكان ابنُه يَزعم أن اباه لما حَضَره الموتُ دعا به وقال له : إجمَع كلَّ شيء قلتُه في الهجاء . ففعل . فأمره بإحراقه . ثم قال له : يا بُني ، هذا شيءٌ قلتُه في وقتٍ فشَفَيتُ به غَيظي ، وكافأتُ به قبيحا فُعِلَ بي ، وقد انقضى أَربي في ذلك . وإن بَقِيَ رُوِيَ ، وللناس اعقابٌ يُورِثونها العَداوةَ والمَودّةَ . وأخشى أن يعودَ عليك من هذا شرٌّ في نفسك وفي مَعاشِك ، لا فائدةَ لك ولا لي فيه .

كان البحتريُّ يتَشبّه بأبي تمّامٍ في شعره ، ويَحذو مذهبَه ، ويَنحو نحوَه في البديع الذي كان ابو تمامٍ يستعمله ، ويراه صاحبا وإماما ويقدّمُه على نفسه ويقول : إن جيّدَ ابي تمامٍ خيرٌ من جيدي ، ورديئي خيرٌ من رديئه .

قال البحتري :

اولَ ما رأيتُ ابا تمامٍ أني دخلتُ على ابي سعيدِ محمدِ بنِ يوسفَ وقد مدحتُه بقصيدتي :

أأفاقَ صَبٌّ مِن هَوىً فأُفيقا أو خانَ عهداً أو أطاع شفيقا

فسُرَّ بها ابو سعيد وقال : احسنتَ يا فتىً واجدتَ . وكان في مجلسه رجلٌ نبيلٌ رفيعُ المجلس منه ، فوقَ كلِّ مَن حضر عنده ، تكاد تَمَسُّ رُكبتَيه رُكبتُه ، فأقبل علي ثم قال : يا فتى ، اما تستحي مني . هذا شعرٌ لي تَنتحلُه وتُنشده بحضرتي . فقال له ابو سعيد : أحقًّا تقول ؟ فقال : نعم . وإنما عَلِقَه مني فسبقني به اليك وزاد فيه . ثم اندفع فانشدَ اكثرَ هذه القصيدة ، حتى شككني في نفسي وبقيتُ متحيرا . فأقبل علي ابو سعيد فقال لي : يا فتى ، قد كان في قرابتك منا وودِّك لنا ما يُغنيك عن هذا . فجعلتُ أحلفُ له بكل مُحرجة من الايمان أن الشعر لي ما سَبَقني اليه احد ، ولا سمعتُه منه ، ولا انتحلتُه . فلم ينفع ذلك شيئا . وأطرق ابو سعيد ، وقُطِع بي حتى تمنَّيتُ أني سيخَ بي في الارض . فقُمتُ منكسفَ البالِ ، أجرُّ رجلي ، فخرجتُ . فما هو الا أن بلغتُ بابَ الدارِ حتى خرج الغلمانُ فردُّوني . فأقبل علي الرجلُ فقال : الشعرُ لك يا بُني ، واللهِ ما قُلتُه قطُّ ، ولا سمعتُه الا منك . ولكنني ظننت انك تهاونت بموضعي فأقدمتَ على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا ، تُريدُ بذلك مُضاهاتي ، حتى عرَّفني الاميرُ نسبَك ، ولَوَددتُ أن لا تَلِدَ ابداً طائيةٌ الا مثلَك . وجعل ابو سعيد يَضحكُ . ودعاني ابو تمام وضَمَّني اليه وعانقني ، واقبل يُقرِّظُني . وقال لابي سعيد : قد جعلتُ له جائزتي . فأمر بها ، فضُمَّت الى مثلها ودُفعت الي ، وأعطى ابا تمامٍ مثلَها .

كان البُحتريُّ من اوسخِ خلقِ اللهِ ثوبا وآلةً وأبخلهم على كلِّ شيء . قال احدُهم : دخلت على البحتريِّ وعندَه شيخ شاميٌّ لا اعرفه ، فدعاه الى الطعام فأكل أكلا عنيفا ، فغاظَه ذلك . ثم التفت الي فقال لي : أتعرف هذا الشيخَ ؟ فقلت : لا . قال : هذا شيخ من بني الهُجَيمِ الذين يقولُ فيهم الشاعر :

وبنو الهُجيمِ قبيلةٌ ملعونةٌ حُصٌّ[1] اللحى متشابهو الألوانِ

لو يَسمعون بأكلةٍ أو شُربةٍ بعُمانَ أصبحَ جمعُهم بعُمانِ

فجعل الشيخ يَشتُمه ، ونحن نَضحك .

مدح البحتريُّ احمدَ بنَ عليٍ الإسكافيَّ فلم يُثِبه ثوابا يَرضاه . فهجاه . وبلغَه ذلك فبعثَ اليه ألفَ درهمٍ وثيابا ودابّةً[2] بسَرجه ولجامه . فَردَّه اليه وقال : قد اسلفتُكم إساءةً لا يَجوزُ معَها قَبولُ رِفْدكم . فكتب اليه . أما الإساءةُ فمغفورةٌ ، وأما المَعذرةُ فمشكورةٌ ، والحسناتُ يُذهبنَ السيئاتِ ، وما يأسو جِراحَك مثلُ يدِك ، فان تَلافيتَ ما فرَط منك أثبنا وشكرنا ، وان لم تَفعل احتملنا وصبرنا . فقَبِل ما بعث به وكتب اليه : كلامُك ، واللهِ ، احسنُ من شعري ، وقد اسلفتَني ما أخجلَني ، حمَّلتَني ما أثقلني ، وسيأتيك ثَنائي . ثم غدا عليه بقصيدة اولُها :

ضلالٌ لها ماذا ارادت الى الصدّ

قال البحتري : انشدَني ابو تمامٍ لنفسه يوماً :

وسابِحٍ هَطِلِ التَعدادِ هتّانِ على الجِراء امينٍ غيرِ خوّانِ

(١) جمع أحص . القليل شعر اللحية . (٢) تطلق على الذكر والانثى .

فلو تَـــراه مُشيحـــا والحَصى زِيَـمٌ(١) بينَ السنابكِ من مَثْنى ووِحـــدانِ
أيقنتَ إن لم تَثَبَّـــتْ أنَّ حافِـــرَه من صَخرٍ تَدمُرَ أَو من وجهِ عُثمانِ

ثم قال لي : ما هذا الشعرُ ؟ قلت : لا أدري . قال : هذا هو المُستطرَد ، او الاستطراد . يُريك أنه يُريدُ وصفَ الفرس ، ، وهو يُريد هِجاءَ عثمان . .

فقال البحتري مثلَ ذلك في صفة الفرس :

ما أن يَعَــافُ قَــذًى ولو أورَدتَــه يوما خَلائقَ حَمدَويــهِ الأحــولِ

قال البُحتري : انشدتُ ابا تمامٍ يوما شيئا من شعري فتمثَّلَ ببيتِ أوسِ بنِ حَجَر :

إذا مُقرَمٌ منّـــا ذَرا حدُّ نابِـــه تَخَمَّط منا نابُ آخَرَ مُقرَمِ(٢)

ثم قال لي : نَعَيتَ ، والله ، إليَّ نفسي . فقلت : أُعيذُك بالله من هذا القولِ . فقال : إن عُمري لن يطولَ وقد نشأ في طيءٍ مثلُك . أما علِمتَ أن خالدَ بنَ صفوانَ رأى شبيبَ بنَ شيبةَ ، وهو من رَهطِه ، يتَكلمُ فقال : يا بُنَي ، لقد نَعى إلي نفسي إحسانُك في كلامك. لأنّا اهلُ بيتٍ ما نشأ منا خطيبٌ الإ مات مَن قبلَه . وماتُ ابو تمامٍ بعد سنة.

انشد البحتري شعرا لنفسه ، قد كان ابو تمامٍ قال في مثلِه ، في دارِ عبدِ الله بنِ الحَسَن بالخُلدِ وعندَه المُبَرِّدُ ، فقال له عبد الله : انت ، والله ، اشعرُ من ابي تمام في هذا الشعرِ . فقال : كلا ، إن ابا تمامٍ لَلرئيسُ والأستاذُ . واللهِ ما اكلتُ الخُبزَ إلا به . فقال له المبرِّد : لله درُّك يا ابا عَبادة، فإنك تأبى إلا شَرَفا من جميع جوانبك .

وقال الحسين بن اسحاق : قلت للبحتري : ان الناسَ يزعمون انك اشعرُ من ابي تمام ، فقال : واللهِ ما يَنفعني هذا القولُ ، ولا يَضرُّ ابا تمام . واللهِ لَوَدِدتُ أن الأمرَ كما قالوا ، ولكني تابع له ، آخِذٌ منه ، لائذٌ به ، نَسيمي يَركُدُ عند هَوائه ، وأَرضي تَنخَفِضُ عند سَمائه .

كان البحتري من ابغض الناسِ إنشاداً ، يَتشادَقُ ويَتزاورُ في مَشيِه ، مرةً القَهقرى ، ويَهُزُّ رأسَه مرة ، ومَنكِبَيه أُخرى ، ويُشير بكُمِّه ويَقِف عندَ كلِ بيتٍ ويقول : احسنتُ واللهِ . ثم يُقبِل على المستمعين فيقول : مالَكم لا تقولون لي: أَحسنتَ ؟

انشدَ البحتريُ المتوكلَ قصيدتَه :

عَــن ايِّ ثغــرٍ تبتسِـــمْ وبِـــأيِّ طَــرفٍ تَحتكِمْ

فَضجِرَ المتوكلُ من إنشاده فغَمَزَ ابا العَنبَسِ الصَيمَريَّ أن يُولِعَ به فقال له:

في اي سَلــــحٍ تَــرتَطِمْ وبِـــأي كفٍّ تَلتطِـــمْ

(١) زيم: جمع زيمة وهي القطعة. (٢) المقرم: الكريم من الابل، والمقصود به السيد. ذرا: القى. تخمط: هدر وغلب .

ادخلــــت رأسَكَ في الــــرَّحِـمْ وعَلِمتَ أنـــك تنهَـــزِمْ

فولى البحتري مُغضَباً ، فضحك المتوكل حتى غُلب.

مختارات من ديوانه

لمـــا مَشَين بذي الأراكِ تشابهت أعطـــافُ قُضبانٍ بـــه وقُدودِ
في حُلَّتَي حِبَـــرٍ وروضٍ فالتقى وَشيـــانِ : وشيُ رُبىً ووشيُ بُرودِ
وسفـــرنَ فامتلأت عيـونٌ راقَها وَردانِ : وَردُ جَنىً وورد خدودِ
وضحِكن فاغترف الأقـــاحي من ندى غُصنٍ وسَلسالِ الـــرُّضابِ بَرودِ

وقال يمدح المتوكل :

بيضاءُ يُعطيــــك القضيبُ قَـوامَها ويُريك عينيهـــا الغزالُ الأحورُ
تمشي فتحكـــم في القلـــوب بدَلِّها وتَميس في ظِـــلِّ الشبابِ وتَخطُرُ
ذكروا بطلعتك النبـــيَّ فهللـــوا لمـــا طلعتَ من الصفوفِ وكبَّروا
حتى انتهيـــتَ الى المُصلّى لابساً نـورَ الهُـدى يبدو عليك ويَظهرُ
ومشَيتَ مِشيةَ خـــاشعٍ متواضعٍ لله ، لا يُزهى ولا يتَـكبَّـــرُ
فلوَ انّ مشتاقـــا تكلَّف غيـرَ ما في وِسعِه لمشى إليــــك المِنبرُ

في وصف بركة المتوكل :

تنصَبُّ فيهــا وفــودُ المـاءِ مُعجِلَةً كالخيــلِ خارجةً من حبلِ مُجريها
كأنمـــا الفِضةَ البيضاءَ سائلـــةً مـنَ السبائك تجـري في مجاريها
اذا علَتها الصبَـــا أبدت لها حُبُكاً مثلَ الجواشنِ مصقولا حـواشيها
فحاجبُ الشمسِ أحيانـــا يُضـاحِكها وريِّقُ الغيثِ أحيـانـا يباكيها
اذا النجـــومُ تراءت في جـوانبها ليلا حَسِبتَ سماءً رُكِّبت فيها
لا يَبلُغُ السمكُ المحصـــورُ غايتَها لبُعدِ مـــا بينَ قاصيها ودانيها
كأنهـــا حين لجَّت في تـــدافُقِها يدُ الخليفـةِ لمـــا سالَ واديها

وفي ايوان كسرى :

فاذا مـــا رأيـتُ صورةَ انــــطا كيةَ ارتعتُ بين رُومٍ وفُــرسِ

والمنايا مَواثلٌ وأنوشِر وان يُزجي الصفوفَ تحت الدِرَفسِ
وعِراكُ الرجالِ بين يديه في خُفُوتٍ منهم وإغماضِ جَرسِ
من مُشيحٍ يُهوي بعامل رُمحٍ ومُليحٍ من السِنانِ بتِرسِ
تَصِفُ العينُ أنهم جِدُّ أحياءٍ لهم بينهم إشارةُ خُرسِ
يَغتلي فيهمُ ارتيابي حتى تَتَقرّاهمُ يداي بِلَمسِ
حُلُمٌ مُطبِقٌ على الشكِ عيني أم أمانٍ غيّرنَ ظَنّي وحَدسي

وقال يصف ذئبا لَقِيَه:

وليلٍ كأن الصُبحَ في أُخرياتِه حُشاشةُ نصلٍ ضمّ إفرِندَه غِمدُ
تسربلتُه والذِئبُ وَسنانُ هاجعٌ بعَينِ ابنِ ليلٍ ماله بالكرى عَهدُ
له ذَنَبٌ مثلُ الرِشاءِ يَجُرُّه ومتنٌ كمتنِ القوسِ أعوجُ مُنأدُّ
طواه الطَوى حتى استمر مَريرُه فما فيه إلا العظمُ والروحُ والجِلدُ
يُقَضقِضُ عُصلاً في أسِرَّتها الردى كقضقضةِ المَقرورِ أرعدَه البَردُ
سما لي وبي من شِدّةِ الجوعِ ما به ببيداءَ لم تُعرَف بها عِيشةٌ رَغدُ
كِلانا بها ذِئبٌ يحدِّثُ نفسَه بصاحبه والجَدُّ يُتعِسُه الجَدُّ
عَوى ثم أقعى ، فارتجزتُ فهِجتُه فأقبلَ مثلَ البرقِ يَتبعُه الرَعدُ
فأوجرتُه خرقاءَ تحسَب ريشَها على كوكبٍ ينقضُّ والليلُ مُسودُّ
فما ازداد إلا جُرأةً وصرامةً وأيقنتُ أن الامرَ منه هو الجِدُّ
فأتبعتُها أُخرى فأضللتُ نصلها بحيث يكون اللبُّ والرُعبُ والحِقدُ

وقال في ابراهيم بن المدبر :

ففِعلُك ، إن سُئِلتَ ، لنا مطيعٌ وقولُك ، إن سَألتَ ، لنا مُطاعُ
دَنَوتَ تواضُعا وبَعُدتَ قدراً فشأناك انحدارٌ وارتفاعُ

وقال في وصف امرأة :

اذا خطرت تأرّج جانباها كما خطرت على الروض القَبولُ
ويَحسُن دَلُّها والموتُ فيه وقد يُستحسَنُ السيفُ الصقيلُ
اقولُ أَزِيدَ من سَقَمٍ فؤادي وهل يزداد من قتلٍ قتيلُ
وما طَرَفا زمانِ المرءِ الا مُقامٌ يَرتضيه او رحيلُ

وقال في قصر المعتزّ :

ذُعِرَ الحَمَامُ وقد ترنَّم فوقَه   من منظرٍ خَطِرِ المزلَّةِ هائلِ
رُفِعت لمُختَرَقِ الرياحِ سُموكُه   وزهتِ عجائبُ حسنِه المتخايلِ
وكأن حيطانَ الزُجاجِ بجوِّه   لُججٌ يَمُجْن على جُنوب سواحلِ
وكأن تفويفَ الرُخامِ اذا التقى   تأليفُه بالمنظرِ المتقابلِ
حُبُكُ الغَمامِ رُصِفنَ بين منمَّرٍ   ومسيَّرٍ ومُقاربٍ ومُشاكِلِ
لبِست من الذهب الصقيل سقوفُه   نوراً يُضيءُ على الظلام الحافلِ
فترى العيونَ يجُلن في ذي رونقٍ   متلهِّبِ العالي أنيقِ السافلِ
وتنفَّست فيه الصَبا فتعطَّفت   اشجارُه من حُوَّلٍ وحَوامِلِ
مشيَ العذارى الغيدِ رُحن عشيَّةً   من بين حاليةِ اليدين وعاطلِ

ومن أجود الشعر :

ذاكَ وادي الأراكِ فاحبِس قليلا   مُقصِراً من صَبابةٍ او مُطيلا
قِف مَشوقاً او مُسعِداً او حزيناً   او مُعيناً او عاذراً او عَذولا
انَّ بين الكثيبِ فالجِزعِ فالآ   رامِ رَبعاً لآلِ هندٍ مُحيلا
أبلتِ الريحُ والروائحُ والأيا   مُ منه مَعالماً وطُلولا
وخِلافُ الجميلِ قولُك للذا   كرِ عهدَ الاحبابِ : صبراً جميلا
لا تلُمه على مُواصلة الدمـ   ـعِ ، ولُؤمٌ لَومُ الخليلِ الخليلا
عَلَّ ماءَ الدموع يُخمِد ناراً   من جَوى الحب ، او يَبُلُّ غَليلا

ومعنى هذه الأبيات ان الشاعر امام وادي الآراك انتفض ووقف مذعوراً كأنه غفل حيالَ مكان مقدَّس هو مَهبِط وحيِ الصبابات. وامتعض من استمرار سير الركب الذي لا يشاركه احساسَه. فصرخ يحبس النفسَ ويستوقف الركبَ غيرَ مبالٍ أأقصر الركبُ في ملامته ام اطال ولا يُبالي أيضاً أوَقف الركب كما وقف هو مشوقاً او وقف عاذراً او عذولاً امام طلول محتها الريح والأعاصير . ثم يلوم مَن يلومه او يطلب منه الصبر الجميل بل يغضب ويقول : ولؤمٌ لومُ الخليل الخليلا .

وبهذا المعنى البديع يقول ايضاً :

رأى البرقَ مجتازاً فبات بلا لُبِّ   وأصباهُ من ذِكر البخيلةِ ما يُصبي
وقد عاج في أطلالها غيرَ مُمسِكٍ   لدمع ولا مُصغٍ إلى عُذَّلِ الرَّكبِ

وكنتُ جديـراً حين اعرف منـــزلاً لآل سليمى ان يُعنِّفني صَحبي
عدتنا عوادي البعد عنهـا وزادنـا بها كلفاً أنَّ الوداعَ على عتـب
وبي ظَمَأٌ لا يملِكُ الماءُ دَفعَـه إلى نَهلة من ريقها الخَصِر العَذبِ
تزوَّدتُ منهـا نظرةً لم تَجُد بهـا وقد يُؤخَذ العِلقُ المُمَنَّعُ بالغَصبِ
وما كان حظُّ العين في ذاك مذهبي ولكن رأيتُ العينَ باباً إلى القلب

عريب

كانت مغنِّيةً محسنةً، شاعرةً، مليحةَ الخَطِّ والمَذهبِ في الكلام، ونهايةً في الحُسن والجَمال والظَرف وجودةِ الضَرب والمعرفة بالنَغَم والأوتار والروايةِ للشعر والأدب .

كانت عَريبُ لعبدِ الله بنِ اسماعيلَ صاحبِ مراكب الرشيد، وهو الذي ربَّاها وأدَّبها وعلَّمها الغناء . وقيل : إنها بنتُ جعفرِ بنِ يَحيَ ، وإن البرامكةَ لما انتُهبوا سُرِقت وهي صغيرة . وإن أمَّ عريبَ كانت تُسمَى فاطمةَ ، وكانت قَيِّمَةً لام عبدِ الله بنِ يَحيى بنِ خالد ، وكانت صبيةً نظيفة ، فرآها جعفرُ بنُ يحيى فهَوِيَها وسأل امَّ عبدِ الله ان تُزَوِّجَه اياها ، ففعلَت . وبلغ الخبرُ يحيى بنَ خالد فأنكره وقال له : أَتتزوجُ مَن لا يُعرَف لها امٌ ولا أبٌ ؟ فأخرجَها واسكنها دارا في ناحية سِرًّا من ابيه ، وكان يتردد اليها ، فوَلَدت عريبَ . وماتت ام عريب في حياة جعفرٍ فدفعها إلى امرأةٍ نصرانية وجعلها دايةً[1] لها. فلما حدثت الحادثةُ بالبرامكة باعتها . ثم اشتراها المأمونُ بخمسين الفَ درهمٍ . فذَهبت به كلَّ مَذهبٍ مَيلاً اليها ومحبةً لها .

وفي عريب يقول المراكبي حين تسوَّرت من الحائط ليلاً الى حاتمِ بنِ عديٍّ :

قاتــلَ اللـــهُ عريبـــا فعلـــت فعـــلا عجيبـــا
ركبـــت والليـــلُ داجٍ مَـركَبـا صعبـــا مَهيبـــا
فتدلَّـــت لمحـــبٍّ فتلقَّاهـــا حبيبـــا
ايُّهـــا الظبـــيُ الـــذي تَسحَـــرُ عينـــاه القلوبـــا

(١) مرضعة ومربية .

والـــذي يأكُـــل بعضـــاً بعضُـــه حُسنـــا وطيبـــا
كنـــتَ نهبـــاً لذئـــابٍ فلقد أُطعمـــتَ ذيبـــا
وكـــذا الشـــاةُ اذا لـــم يـــكُ راعيهـــا لبيبـــا

قال ابن المعتز: إن المأمون قبّل في بعض الايام رجلَها. فلما مات المأمونُ بيعت في ميراثه فاشتراها المعتصمُ بمئة الفِ درهمٍ وأعتقَها فهي مولاتُه.

قال يعقوب الرُخامي: كنت مع العبّاس بن المأمون بالرَقّة، فقال لي: يا ابا يوسف، ألقي عليك سرّاً لثقتي بك، وهو عندَك امانةٌ. قلت: هاته. قال كنت واقفا على رأس الامير وبي حرٌّ شديد، فخرجت عريبُ فوقفت معي، فما ملَكتُ نفسي ان أومأتُ اليها بقُبلةٍ، فقالت: كحاشيةِ البُردِ. فوالله ما ادري ما ارادت. فقلت: قالت لك: طعنةٌ. قال: وكيف ذاك؟ قلت: ارادت قولَ الشاعر:

رمى ضَرعَ نابٍ فاستمـــرَّ بطعنـــةٍ كحاشيةِ البُردِ اليَماني المُسَهَّمِ (١)

كانت عريب تُكايد الواثقَ فيما يَصوغُه من الألحان وتَصوغُ في ذلك الشعرَ بعينه لحناً. فيكون اجودَ من لحنه.

تمارى ابو علي مع المأمون في صوت. فقال المأمون: اين عريب؟ فجاءت وهي محمومةٌ، فسألها عن الصوت، فقالت فيه بعلمها. فقال لها: غَنّيه. فولّت لتجيء بعود. فقال لها: غنيه بغير عود. فاعتمدت، للحُمّى، على الحائط، وغنّت. فأقبلت عقربٌ فلسعت يدَها مرتين وثلاثا فما نَحّت يدها ولا سكتت حتى فرغت من الصوت، ثم سقطت وقد غُشي عليها.

غنى بنانٌ في مجلس الخليفة:

تَجافـــى ثـــم تَنطبـــقُ جُفـــونٌ حشـــوُها الأرقُ
به قَلَـــقٌ يُململُـــهُ وكان ومـــا به قَلَـــقُ
جوانِحُـــهُ عـــلى خطـــرٍ بنـــارِ الشـــوقِ تَحتَـــرِقُ

فوجّهت عريب الى بنان، فحضر من وقته وقد بَلّته السماء، وقالت:

أجاب الوابِـــلُ الغَـــدِقُ وصاح النَرجِـــسُ الغَـــرِقُ
وقد غنى بَنـــانُ لنـــا: جُفـــونٌ حَشوُهـــا الأرقُ
فهاتِ الكـــأسَ مُترَعـــةً كأن حَبَابَهـــا حَـــدَقُ

---

(١) ناب: الناقة المسنة. المسهم: المخطط.

قال الفضل بن العباس بن المأمون : زارتني عريب يوما ، ومعها عِدَّةٌ من جَواريها ، فوافتنا ونحن على شرابنا ، فتحادثنا ساعةً وسألتُها ان تُقيمَ عندي ، فأبت وقالت : قد دعاني جماعة من أخواني من اهلِ الادب والظرف ، وهم مجتمعون في جزيرة المُؤيَّدِ ، فيهم ابراهيمُ بن المدبِّر ، وسعيدُ بنُ حُمَيْد، ويَحيى بنُ عيسى ، وقد عَزَمت على المصير اليهم. فحلفتُ عليها فأقامت عندنا ، ودعت بدواةٍ وقِرطاسٍ فكتبت :

بسم الله الرحمن الرحيم . وكتبت بعد ذلك في سطرٍ واحد ثلاثةَ كلماتٍ متفرِّقةٍ ولم تَزِد عليها ، وهي :

اردتُ ولولا ولَعلّي

ووجَّهتِ بها اليهم. فلما وصلت الرُقعةُ عَيُوا بجوابها. فأخذ ابراهيمُ بنُ المدبِّرِ الرُقعةَ فكتب تحتَ الكلمات ثلاثَ كلماتٍ وهي :

اردتُ ولولا ولعلّي
ليتَ ماذا أرجو

ووجَّهوا بالرُقعة. فصفَّقت ونَعَرت وشَرِبت رِطلاً وقالت: انا أترُكُ هؤلاء واقعُدُ عندَكم؟ وخلَّفت عندنا بعضَ جواريها وانصرفت .

قال حمدون :

كنت حاضرا مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العِشاء الآخِرة ، في ليلة ظلماء، ذاتِ رُعودٍ وبروق . فقال لي المأمون: إركَب الساعةَ فرَس النَّوبةِ وسِر الى عسكرِ المعتصِمِ فأدِّ اليه رسالتي في كَيتَ وكَيتَ . فركبتُ ، ولم تَثبُت معي شمعةٌ . وسمِعت وقعَ حافرِ دابَّةٍ . فرَهِبت ذلك ، وجعلت اتوقَّاه حتى صَكَّ رِكابي رِكابَ تلك الدابَّةِ ، وبرقَت بارقةٌ فأضاءت وجهَ الراكب، فاذا عريبُ. فقلت : عريبُ؟ قالت : نعم . حَمدونُ؟ قلت : نعم . ثم قلت : من اينَ في هذا الوقت؟ قالت : من عند محمدِ بنِ حامد . قلت : وما صنعتِ عندَه؟ قالت : يا نَكْشُ(١) ، عريبُ تَجيءُ في مثل هذا الوقتَ من عند محمد بنِ حامد ، خارجةً من مَضرِب الخليفة وراجعةً اليه، تقول لها : ايَّ شيءٍ عَملت عندَه. ؟ صليَّتُ معه التَراويحَ . . . وقرأتُ عليه أجزاءً منَ القُرآنِ . . . ودارستُه شيئا من الفِقهِ . . . يا أحمق ! قال : فأخجلَتني .

(١) نكش الاخبار : نقب عنها .

تأبّط شرًّا

هو ثابتُ بنُ جابرٍ وامُّه أُمَيمةُ . وتأبط شرا لقبٌ لُقّب به .

قالت له امُّه : كلُّ اخوتك يأتيني بشيء . فقال لها : سآتيك الليلةَ بشيء . ومضى فصاد افاعيَ كثيرةً واتى بهن في جرابٍ متأبّطا به ، فألقاه بين يديها وفتحه ، فتساعَيْن في بيتها ، فوثبت وخرجت ، فقال لها نساءُ الحي : ماذا اتاك به ثابت ؟ فقالت : افاعي في جرابٍ . قلن : كيف حملها ؟ قالت : تأبّط شرًّا . فلَزِمَه .

قال الشيباني : نَزَلتُ على حيٍّ من فَهمٍ فسألتهم عن خبر تأبّطَ شرًّا ، فقال لي بعضُهم : وما سؤالُك عنه ؟ اتُريد ان تكونَ لِصًّا ؟ قلت : لا ، ولكن اريد ان اعرفَ أخبارَ هؤلاءِ العَدّائين فأتحدّثَ بها . فقالوا : إن تأبط شرا كان أعدى ذي رِجلين ، وذي ساقين وذي عينين . كان اذا جاع ، فكان ينظُر الى الظباء فينتقي على نظرة اسمَنَها ، ثم يَجري خلفَه فلا يَفوتُه حتى يأخذَه فيذبحُه بسيفه ثم يَشويه فيأكلُه . وانما سُمّيَ تأبط شرا: لَقِيَ الغولَ في ليلة ظلماء في موضِع يقال له : رَحى بِطان ، فأخذت عليه الطريقَ فلم يَزل بها حتى قتلها وبات عليها . فلما اصبح حَملها تحتَ إبطه وجاء بها الى اصحابه فقالوا : لقد تأبطت شرا . فقال في ذلك :

ألا مَن مُبلِغٌ فِتيانَ فَهمٍ ... بما لاقيتُ عند رَحى بِطانِ
واني قد لَقيتُ الغولَ تَهوي ... بسَهبٍ (١) كالصحيفةِ صَحصَحانِ (٢)
فقلتُ لها كِلانا نِضوُ أينٍ (٣) ... اخو سَفَرٍ فخلّي لي مكاني
فشدّت شَدّةً نحوي فأهوى ... لها كفي بمصقولٍ يَماني
فأضرِبُها بلا دَهَشٍ فخرّت ... صريعا لليدَينِ وللجِرانِ (٤)
فقالت عُد ، فقلت لها رُوَيدا ... مكانَك إنني ثَبتُ الجَنانِ
فلم انفكَّ مُتّكِئا لديها ... لأنظرَ مُصبِحا ماذا أتاني
اذا عينانِ في رأسٍ قبيحٍ ... كرأس الهِرِّ مشقوقِ اللسانِ

(١) الفلاة . (٢) ارض منبسطة . (٣) النضو : المهزول . الأين : التعب والأعياء . (٤) مقدم العنق .

وساقا مُخـدّجٍ وشَواةُ كلـبٍ ‏ ‏ ‏ وثوبٌ من عَباءٍ أو شِنـان (١)

قيل له: كيف لا تَنهَشُكَ الحيّاتُ في سُراك؟ فقال: اني لا أسري البَردَين. يعني آخرَ الليل وأولَه. لانها في اول الليل تَمور (٢) خارجةً من حُجرِها، وآخرَ الليل تمور مُقبِلةً اليها.

كان تابط شرا يشتار عسلاً في غار من بلاد هُذَيل، يأتيه كلَّ عام. وان هُذَيلا ذُكِر ذلك لها فرصدوه لإبَّانِ ذلك، حتى اذا جاء هو وأصحابه تدلَّى فدخل الغار، وأغاروا عليهم فأنفروهم، فسبقوهم ووقفوا على الغار. فحرَّكوا الحبل، فأطلع تأبطَ شرًّا رأسَه، فقالوا: إصعد. فقال: لا أراكم. قالوا: بلى، قد رأيتنا. فقال: فعلامَ أصعد؟ أعلى الطلاقة ام الفداء؟ قالوا: لا شرطَ لك. قال: فتُراكم قاتِليَّ وآكلي جَنايَ. لا، والله، لا أفعل.

وكان قبل ذلك نقب في الغار نَقبا أعدَّه للهرب. فجعل يُسيل العسل من الغار ويُهريقه، ثم عمد الى الزقِّ فشده على صدره ثم لصف بالعسل، فلم يبرح يتزلق حتى خرج سليما وفاتهم. وبين موضعه الذي وقع فيه وبين القومِ مسيرةُ ثلاث. فقال في ذلك:

اقول للحيانِ وقد صفـرتْ لهـم ‏ ‏ ‏ وِطابي ويومي ضيّقُ الجُحرِ مُعوِرُ
لكم خصلةٌ إما فِـداءٌ ومِنّـةٌ ‏ ‏ ‏ واما دم والقتلُ بالحُرِّ أجـدرُ
وأخرى أُصادي (٣) النفس عنها وإنها ‏ ‏ ‏ لَمُفرصةُ حَزمٍ إن ظفِرتُ ومصدرُ
فرشتُ لهم صدري فزلَّ عنِ الصَّفا ‏ ‏ ‏ به جُؤجُؤٌ عَبلٌ ومَتنٌ مُخصَّـرُ (٤)
فخالطَ سهلَ الارض لم يَكدحِ الصفا ‏ ‏ ‏ به كدحةً والموت خَزيانُ يَنظُـرُ
اذا المرءُ لم يحتل وقد جدَّ جَـدُّه ‏ ‏ ‏ أضاع وقاسى امرَه وهو مُدبِـرُ
فذاك قريعُ الدهرِ ما كان حُـوَّلٌ (٥) ‏ ‏ ‏ اذا سُدَّ منه مِنخَرٌ جاش مِنخَـرُ

لقي تابط شرا رجلا من ثقيف يقال له ابو وَهب، وكان جبانا أهوجَ، وعليه حُلَّةٌ جيدة. فقال له أبو وهب: بِمَ تَغلب الرجالَ يا ثابت، وانت كما ارى دميمٌ ضَئيلٌ. قال: باسمي. انما اقول ساعةَ ألقى الرجلَ: انا تأبطَ شرًّا، فينخلعُ قلبُه، حتى انالَ منه ما اردتُ. فقال له: ابهذا فقط؟ قال: فقط. قال: فهل لك ان تَبيعَني اسمَك؟ قال: نعم. قال: فبِمَ تبتاعُه؟ قال: بهذه الحُلَّةِ. ففعلا. ثم انصرف وقال في ذلك يُخاطب زوجةَ الثقفي:

الا هل اتى الحسناءَ أن حليلَهـا ‏ ‏ ‏ تابَّطَ شرًّا واكتنيتُ أبا وَهـبِ
فهَبه تَسمَّى اَسمي وسَمَّانيَ اَسمَـهُ ‏ ‏ ‏ فأينَ له صبري على مُعظَمِ الخَطبِ
واينَ له بأسٌ كبأسي وثَورتـي ‏ ‏ ‏ واين له في كلِّ فادحـةٍ قلبي

(١) المخدج: الناقص الخلق، المولود قبل التمام. الشواة: اليد والرجل. الشنان: جمع شن. القربة الخلقة.
(٢) تمور: تموج وتتحرك بسرعة من جهة الى أخرى. (٣) اداري. (٤) جؤجؤ: صدر. عبل: ضخم. متن: ظهر
(٥) حول: صاحب حيلة وتدبير.

ومن اقواله بعد غزوة وفتك :

الا عَجِب الفِتيانُ من أُم ِ مالـــكٍ ... تقول اراك اليومَ أشعثَ أغبـــرا
تَبوعاً لآثارِ السريَّةِ بعدَمَـــــا ... رأيتُك بَرّاقَ المَفارقِ أيسَـــرا
فقلت لها يومانِ يـــومُ إقامـــةٍ ... أهُزُّ به غُصنا من البانِ اخضـــرا
ويومٌ أهزُّ السيفَ في جِيد أغيَـــدٍ ... له نِسوةٌ لم تَلْقَ مثلي أنكَـــرا
دَنَوتُ له حتى كـــأنَّ قميصَـــه ... تُشَرَّب من نَضحِ الأخادعِ عُصفُرا[1]

سُئل تابط شرا: ايُّ يومٍ مرَّ بك خيرٌ؟ قال : خرجت حتى كنت في بلاد بُجَيلةَ. اضاءت لي النار رجلا جالسا الى امرأة . فعمدت الى سيفي فدفنته قريبا ، ثم أقبلت حتى استأنستُ . فنبحني الكلب ، فقال : ما هذا ؟ فقلت : بائس . فقال : ادنُهْ . فدنَوت. فاذا رجل جلحابٌ[2] آدمُ، واذا اضواء[3] الناس الى جانبه، فشكَوت اليه الجوعَ والحاجةَ. فقال: اكشف تلك القصعةَ. فأتيت قصعةً الى جانب إبِله، فاذا فيها تمرٌ ولبنٌ، فأكلت منه حتى شبعت ، ثم خررتُ متناوماً ، فوالله ما شئتُ ان اضطجعَ حتى اضطجع هو ورفع رجله على رجله ، ثم اندفع يغني وهو يقول :

خيرُ الليالـــي إن سألتَ بليلـــةٍ ... ليلٌ بخيمةَ بين بيشَ وعُشَّرِ[4]
لِضجيعِ آنسةٍ كـــأن حديثَهـــا ... شَهدٌ يُشابُ[5] بمزجَةٍ من عنبرِ

ثم اغرق فنام ، ومالت فنامت . فقلت : ما رأيت كالليلة في الغرَّة . فاذا عَشرُ عُشَراوات[6] بين اثلاث[7] فيها عبدٌ واحد وامةٌ. فوثبت فاتَّحشت[8] سيفي وانتحيت للعبد فقتلته وهو نائم ، ثم انحرفت الى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى اخرجته من صُلبه، ثم ضربت فَخِذَ المرأة فجلست، فلما رأته مقتولاً جزعت . فقلت : لا تخافي ، انا خير لك منه . ثم قمت فرحلتُ بعض الابل وقامت تشدُّ معي، ثم اطردتُ الابلَ انا والأمَةُ، فما حللتُ عُقدةً حتى نَزَلتُ بصَعدة بني عوف بنِ فهمٍ وأعرستُ بالمرأة ، وأنقلت[9] عنها أتغنى وأقول:

بحليلةِ البُجَليِّ بِتُّ من ليلهـــا ... بين الإزارِ وكشحِها ثم الصَـــقِ
بأنيسةٍ طُوِيت على مَطويِّهـــا ... طيَّ الحَمالة او كطَيِّ المِنطَقِ[10]

---

(١) الاخادع جمع اخدع : والاخدعان عرقان في العنق . عصفر : صبغ أصفر . (٢) جلحاب : ضخم . آدم : مائل الى السمرة . (٣) أضواء الناس : هكذا في كل النسخ وهو تصحيف لا شك فيه وصوابه : أصوأ الناس ، أي فتاة أكمل ما تكون جمالا . (٤) خيمة ، بيش ، عشر : أمكنة . (٥) يشاب : يخلط . (٦) عشروات : جمع عُشَراء ، وهي الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر .. (٧) بين أثلاث : هكذا في النسخ وهو تصحيف وصوابه : بين أثلات أي شجرات الأثل . (٨) فاتحشت : هكذا في النسخ ولعل صوابه : فاتشحت : تدرعت بالسيف كوشاح . (٩) وانقلت : هكذا في النسخ وارجح ان أصله : وانقلبت عنها . (١٠) المنطق : ما يتزر به ويتمنطق من حزام او إزار .

كَذَبَ الكواهنُ والسواحرُ، والهُنا (١) أن لا وفاءَ لعاجزٍ لا يَتَّقي

قال: فهذا خيرُ يومٍ لقيتُه.

الشنفرى

هو ثابت بن أواس الأزدي ولُقِّب بالشنفرى لعِظَم شفتيه. وهو احد صعاليك العرب وعَدَّائيها.

قيل: سَبَت بنو سَلامانَ الشنفرى وهو غلام. فجعله الذى سباه في بَهمه يرعاها مع ابنة له. فلما خلا بها الشنفرى أهوى ليُقبِّلَها. فصكَّت وجهَه، ثم سعت الى ابيها فاخبرته. فخرج اليه ليقتله فوجده وهو يقول:

الا هل اتى فِتيانُ قومي جماعةً بما لطمت كفُّ الفتاةِ هجينَها

ولو علمت تلك الفتاةُ مَناسبي ونِسبتَها ظلَّت تُقاصِرُ دونَها

فلما سمع قوله سأله ممن هو، فقال: انا الشنفرى اخو بني الحارث بن ربيعة. فقال له: لولا اني اخاف ان يَقتُلَني بنو سَلامان لأنكحتُك ابنتي. فقال علي إن قتلوك أن اقتلَ بك مئةَ رجلٍ منهم. فانكحه ابنته، وخلَّى سبيله، فسار بها الى قومه. فشدَّت بنو سَلامان على الرجل فقتلوه. فلما بلغه ذلك سكت ولم يُظهِر جزَعا عليه، وطَفِق يَصنع النبلَ ويجعل افواقَها من القُرون والعِظام. ثم غزاهم، فجعلَ يقتلهم، ويَعرِفون نبلَه بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعةً وتسعين رجلا. ثم غزاهم غزوةً فنَذِروا به (٢). فخرج هاربا وخرجوا في أثَرِه فأمسكوه فقتلوه وصلبوه، فلبث عاما مصلوبا. فجاء رجل منهم كان غائبا فمر به، وقد سقط، فرَكَض رأسَه برجله، فدخل فيها عظمٌ من رأسه. فبَغَت (٣) عليه فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمامُ المئة. وذُرِعَ (٤) خَطوُ الشنفرى ليلةَ قُتِل فوجدوه اولَ نَزوةٍ نزاها احدى وعشرين خُطوةً، والثانيةَ سبعَ عَشْرةَ خُطوةً.

قال الشنفرى في قتله قاتلَ ابيه قصيدة طويلة، منها ما يصف بها امرأته:

ارى أمَّ عمرٍو أجمعت فاستقلَّتِ (٥) وما وَدَّعت جيرانَها اذ تولَّتِ

(١) والهنا: هكذا جاء في النسخ واظنه: النهى: أي العقل وعليه تكون الواو ليست للعطف بل للحال، والمعنى: دع الكواذب من الكهانة والسحر، والحال ان العقل يقتضيك الحذر فلا وفاء لعاجز غافل عن تدبير أمره. (٢) علموا به.
(٣) بغ الدم: هاج والتهب. (٤) قيس بالذراع. (٥) استقلت: ركبت ورحلت.

أُمَيمةُ لا يَخزي نِثاها⁽¹⁾ حليلَهـا ... اذا ذُكِر النِسوانُ عَفَّت وجَلَّتِ
يَحُلُّ بمَنجاةٍ منَ اللّومِ بيتُها ... اذا ما بيوتٌ بالمَلامة حلَّتِ
فقد اعجبتني لا سَقوطٌ قِناعُها ... اذا ما مشت ولا بذاتِ تَلَفُّتِ
كأنَّ لها في الارضِ نِسياً تَقُصُّه ... اذا ما مشت أو إن تُحَدِّثْكَ تَبلِتِ⁽²⁾
فدَقَّت وجَلَّت واسبكرَّت وأُكمِلَت ... فلو جُنَّ إنسانٌ منَ الحُسنِ جُنَّتِ⁽³⁾
تبيتُ بُعيدَ النَومِ تُهدي غَبوبَها ... لجاراتِها اذا الهديةُ قَلَّتِ
وإني لَحُلوٌ إن أُريدت حَلاوتي ... ومُرٌّ اذا النفسُ الصَّدوفُ استمرَّتِ⁽⁴⁾

الغبوب : ما غَبَّ عندها من الطعام اي بات .

من ديوانه

مختارات من لامية العرب المنسوبة اليه

أقيموا بني أمي صُدورَ مَطيِّكم ... فإني الى قومٍ سِواكم لَأميَلُ
فقد حُمَّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقمِرٌ ... وشُدَّت لِطيّاتٍ مَطايا وأرحُلُ⁽⁵⁾
وفي الارضِ مَنأى للكريم عن الأذى ... وفيها لِمن خاف القِلى مُتَعَزَّلُ⁽⁶⁾
ولي دونكم أهلون سِيدٌ عَمَلَّسٌ ... وأرقَطُ زُهلولٌ وعَرفاءُ جَيأَلُ⁽⁷⁾
همُ الاهلُ لا مُستودَعُ السرِّ ذائعٌ ... لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخذَلُ⁽⁸⁾
وليلةِ قَرٍّ يصطلي القوسَ ربُّها ... وأَنبُلَه اللائي بها يَتَنبَّلُ⁽⁹⁾
دعستُ على غَطشٍ وبَغشٍ وصُحبَتي ... سُعارٌ وإرزيزٌ ووَجلُ وأَفكَلُ⁽¹⁰⁾
فايَّمتُ نِسوانا وأيتمتُ إلْدَةً ... وعُدتُ كما أبدأتُ والليلُ أَليَلُ⁽¹¹⁾

---

(١) النثا : ما أخبرت به عن الشخص من حسن او سيء . (٢) النسي : ما يسقط من الانسان دون ان يدري به فيقصه : تتبعه . يصفها بالحياء اي لا تلتفت يميناً ولا شمالا . بلت الكلام : قطعه من الحياء . (٣) دقت : صارت دقيقة في المواضع الدقيقة ، وممتلئة في المواضع الممتلئة . جلت : صارت جليلة . اسبكرت : طالت . (٤) استمرت : وجدت الشيء مرّاً . (٥) حُمَّ : قرب . طيات جمع طية : الوطر ، الجهة ، النية . أرحل جمع رحل . (٦) القِلى : البغض . متعزل : متنحى . (٧) سيد : ذئب . عملس : الشديد على السير . أرقط : صفة لجلد النمر . زهلول : أملس . عرفاء : لها عرف وهو شعر العنق . والجيأل : علم للضبع . (٨) جرّ : أتى جريرة أي ذنباً . (٩) القر : البرد . (١٠) الغطش : الظلمة . البغش : المطر الخفيف . السعار : حر الجوف لشدة الجوع . الارزيز : البَرَد الصغير . الوجل : الخوف . الأفكل : الرعدة . (١١) أيم المرأة جعلها أرملة . إلدة : جمع ولد .

علقمة الفحل

هو علقمةُ بنُ عَبَدَةَ التَّيميُّ ويقال له علقمةُ الفحلُ لانه خلَفَ على امرأةِ امرِىءِ القيس لما حكمَت له على امرِىءِ القيس بأنه اشعرُ منه في صِفة فرسِه . فطلَّقها فخالَفه عليها . قال الفرزدق .

والفحلُ علقمةُ الذي كانت له ... حُلَلُ الملوكِ كلامُه يُتَنَحَّلُ

– ج ٨ ص ١٩٤ – قالت جميلة : نازعَ امرُؤُ القيس علقمةَ الشعرَ فقال له : قد حكَّمتُ بيني وبينَك امرأتَك أمَّ جُندُبٍ . قال : قد رَضيتُ . فقالت لهما : قولا شعرا على رَوِيٍّ واحدٍ وقافيةٍ واحدة ، صِفا فيه الخيلَ . فقال امرؤ القيس :

خليلَيَّ مُرَّا بي على امِّ جُندُبِ ... أُقَضِّ لُبَاناتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ

ثم قال يصف الفرس :

فَلِلسَّوطِ أُلهوبٌ وللِسَّاقِ دِرَّةٌ ... وللزَّجرِ منه وَقعُ أَخرَجَ مِنعَبِ (١)

وقال علقمة :

ذهبتُ من الهجران في غير مَذهبِ ... ولم يكُ حَقًّا كلُّ هذا التجنُّبِ

وقال يصف الفرس :

فأدركَهُنَّ ثانيا من عِنانِه ... يَمُرُّ كَمَرِّ الرائحِ المُتَحَلِّبِ (٢)

فغلَبَت علقمةَ . فقال لها زوجُها : بأيِ شيءٍ غَلَّبتِه ؟ قالت : لانك جَهدتَ فرسَك بسَوطِك وَمَريتَه(٣) بساقِك وزَجرِك وأتعبتَه بِجَهدِك . وعلقمةُ لم يَضرِب فرسَه بسوطٍ ولم يَمرِه بساقٍ ولم يُتعبه بزَجرٍ . قال : ليس كَما قلتِ ولكنَّكِ هَوِيتِه . فطلَّقها . فتزوجَها علقمةُ ، وبهذا لُقِّب علقمةُ الفحلَ .

وكان امرؤ القيسِ تزوّج امَّ جُندُبٍ حين هرَب من المنذرِ بنِ ماءِ السماءِ . فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ اذ قالت له : قُم يا خيرَ الفِتيان فقد اصبحتَ . فلم يَقُم .

فكررت عليه ، فقام فوجد الفجرَ لم يَطلُع ، فقال لها : ما حملَكِ على ما صنعتِ ؟ فأمسكت .

---

(١) الدرة : السوط . أخرج : الابيض البطن والجنبين . منعب : المتعب الذي يمد عنقه في العدو . ويروى : مهذب : المسرع . (٢) الرائح : الغمام . المتحلب : المتساقط تباعاً . (٣) مرى الفرس : استحث جريه .

وألحَّ عليها ، فقالت : حمَلَني أنك ثقيلُ الصدرِ ، خفيفُ العجيزةِ ، بَطيءُ الإفاقةِ ، سريعُ الإراقةِ . فسكت .

تحاكم علقمةُ بنُ عَبَدَةَ والزبرقانُ بنُ بَدرٍ والمخَبَّلُ وعمرُو بنُ الأهتَمِ إلى ربيعةَ بنِ حُذارٍ الأسَدي . قال : اما انت يا زبرقانُ فان شعرَك كلَحمٍ لا أُنضِجَ فيُؤكَلَ ، ولا تُرِك نَيئاً فيُنتَفَعَ به . واما انت يا عمرو فان شعرَك كبُرْدِ حَبَرةٍ يَتلألأُ في البَصر . فكلَّما اعدتَه فيه نَقَص . واما انت يا مخبَّلُ فانك قَصَّرتَ عن الجاهلية ولم تُدرِك الإسلامَ . واما انت يا علقمةُ فان شعرَك كمَزادةٍ قد أُحكِم خَرزُها فليس يَقطُر منها شيء.

ومن أقواله :

فإن تسألوني بالنساء فانني ... خبيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ
اذا شاب رأسُ المرءِ او قلَّ مالُه ... فليس له من وُدِّهن نَصيبُ
يُردنَ ثَراءَ المالِ حيثُ عَلِمنَه ... وشرخُ الشبابِ عندَهن عجيبُ

ابو خراش

هو خُويلدُ بنُ مرَّةَ ، شاعرٌ فحل من شعراء هُذَيلٍ المذكورين الفُصَحاءِ ، مُخضرَمٌ . مات في خلافة عمر . وكان ممن يَعدو فيَسبِقُ الخيلَ .

خرج ابو خَراشٍ من ارض هُذيل يريد مكة فقال لزوجته أمِّ خراش . ويحَك ، اني اريد مكةَ لبعضِ الحاجة ، وإنكِ من أنَكِ[1] النساء وإن بَني الدَّيل يطلبونني بتِرات[2]، فاياك وأن تَذكُريني لاحدٍ من اهل مكةَ حتى تَصدُرَ منها. فقالت: معاذَ الله أن أذكرَك لاحد. فخرج ابو خَراشٍ وخرجت إلى السوق لتشتريَ عطرا ، فجلست إلى عطَّار ، فمر بها فتيانٌ من بني الدَّيل . فقال احدُهما لصاحبه : امُّ خَراشٍ ، وربِّ الكعبة . فوقفا عليها ، فسلَّما وأَحفيا[3] المسألةَ والسلامَ . فقالت : مَن انتما ، بأبي انتما ؟ فقالا : من أهلك . من هُذيل . قالت : بابي انتما . فإن ابا خراشٍ معي ولا تَذكُراه لاحد ، ونحنُ رائحون العشيَّةَ . فخرجا فجمعا جماعةً من فتيانهم واخذوا مولى لهم يُقال له مَخلَدٌ ، وكانَ من اجودِ الرجال عَدْواً . فكمنوا على طريقه . فلما رآهم ابو خَراش قال لها : قتلتِني ، وربِّ

(١) من فيها حمق وضعف في الرأي . (٢) جمع ترة : ثار . (٣) بالغا .

الكعبة ، لِمَن ذكرتِني ؟ فقالت : والله ما ذكرتُك ، ورب الكعبة ، إلا لَفَتَيَين من هُذَيل . فقال لها : والله ما هما من هذيل ، ولكنهما من بني الدَيل ، وقد جلسا لي وجمعا علي جمعا . فاذهبي انت ، فاذا جُزتِ عليهم فإنهم لن يَعرِضوا لك لئلا استوحِشَ فأفوتَهم . فأركِضي بعيرَك، وضعي عليه العصا ، والنجاءَ النجاءَ (١) .

وكانت على قَعود عُقَيلي يسابق الريح . فلما دنا منهم ، وقد تَلَثَّموا ووضعوا تَمرا على طريقه على كِساءٍ ، فوقف قليلا كأنه يُصلِح شيئا ، حتى جازت بهم امُّ خَرَاش ، فلم يَعرضوا لها لئلا يَنفُرَ منهم ، ووضعت العصا على قَعودها . وتواثبوا اليه ، ووثب يَعدو . فزاحمه ظَبيٌ فسبَقه ابو خراش . وتصايح القومُ بمَخلد : يا مَخلَدُ ، أخذاً ، أخذاً . فقال : فات الاخذُ . فقالوا : ضربا ، ضربا . فسبقَ الضربَ . فصاحوا : رَميا ، رميا . فسبق الرميَ .

وسبقت ام خراش إلى الحي فنادت : ألا إن ابا خراش قد قُتِل . فقام الحي اليهما ، وقام ابوه وقال : ويحَكِ ، ما كانت قِصتُه ؟ فاخبرته . فصاح : يا ابا خراش ؟ فقال ابو خراش : يا لبيكَ . واذا هو قد وافاهم .

وأقفر ابو خراش من الزاد اياما ، ثم مر بامرأة من هُذَيل جَزَلةٍ شريفةٍ ، فأمرت له بشاة ، فذُبحت وشُويت . فلما وجد بطنَه ريحَ الطَعام قرقر . فضرب بيده على بطنه وقال : انك لَتَقرقرُ لرائحة الطَعام ، واللهِ لاطَعِمتَ منه شيئا . ثم قال : يا ربةَ البيت ، هل عندك شيءٌ من صبر او مُرٌّ ؟ قالت : تصنعُ به ماذا ؟ قال : اريدُه . فأتته منه بشيء . فاقتمَحَه(٢) ثم أهوى إلى بعيره فركبه . فناشدته المرأة ، فأبى . فقالت له : يا هذا ، هل رأيتَ بأسا ، او انكرتَ شيئا ؟ قال لا ، واللهِ . ثم مضى وانشد :

وإني لأَثْوي (٣) الجوعَ حتى يَملَّني ... فأحيا ولم تَدنَس ثيابي ولا جِرمي (٤)

واصطبحُ الماءَ القَراحَ فأكتفي ... اذا الزادُ أضحى للمزلَّج(٥) ذا طَعمِ

أَرُدُّ شُجاعَ البطنِ قد تعلمينه ... وأُوثِرُ غيري من عيالِك بالطُّعمِ

مخافةَ أن أحيا برَغمٍ وذِلَّةٍ ... فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ على رَغمِ

اسلم ابو خَراشٍ فحَسُن إسلامُه . ثم اتاه نفر من اهل اليمن قدِموا حُجَّاجا ، فنزلوا بأبي خراش ، والماءُ منهم غيرُ بعيد . فقال : ما أمسى عندنا ماءٌ ولكن هذه شاةٌ وقِربَةٌ . فرِدُوا الماءَ وكُلوا شاتَكم ، ثم دَعُوا قِربتَنا على الماء حتى نأخذَها . فقالوا : لا ، واللهِ ، ما نحن بسائرين في ليلتنا هذه ، وما نحن ببارحين حيث أمسَينا . فلما رأى ذلك ابو خَراشٍ اخذ قِربتَه وسعى نحوَ الماء تحتَ الليل حتى استقى ، ثم أقبلَ صادراً فنهشته حيةٌ قبل أن يَصِل اليهم . فأقبل مُسرعا حتى أعطاهم الماءَ

(١) لئلا استوحش فأفوتهم : أي : اذا تعرضوا لك جعلوني انتبه لفعلهم فاهرب . النجاء النجاء اي : النجاة النجاة .
(٢) سفه كالقمح . (٣) اطيل حبسه عندي . اي اتحمله واصبر عليه . (٤) جسدي . (٥) لا قوة له على احتمال المكروه .

وقال : اطبُخوا شاتَكم وكلوا، ولم يُعلِمهم بما أصابه . فباتوا على شاتهم يأكلون حتى اصبحوا وأصبح ابو خراش في الموت .

فبلغ خبرُه عمرَ بنَ الخطابِ ، فغضب غضبا شديدا وقال : لولا ان تكونَ سُنَّةً لأمرتُ ان لا يُضافَ يَمانٍ ابداً ، ولكتبتُ بذلك إلى الآفاق. إن الرجل ليُضيفُ احدَهم ، فيَبذُلُ مجهودَه ، فيُسخِطُه ولاً يَقبلُه منه ، ويُطالبه بما لا يَقدر عليه ، كأنه يُطالبه بدَين ، او يَتعنَّتُه ليَفضحَه . ثم كتب إلى عامله باليمن بأن يَأخذ النفَرَ الذين نزِلوا بأبي خَراشٍ فيُغرِمَهم ديتَه ويُؤدِّبَهم بعقوبةٍ جزاءً لأعمالهم .

هدبة بن خشرم

شاعرٌ فصيحٌ متقدمٌ من بادية الشام ، كان يَروي للحُطيئة ، والحُطيئةُ يَروي لكعبِ بنِ زهيرٍ ، وكعبُ بنُ زهيرٍ يَروي لأبيه زهير . وكان جميلٌ راويةَ هُدبةَ وكُثيِّرٌ راويةَ جميلٍ . لذلك قيل : آخِرُ فحلٍ اجتمعت له الرواية إلى الشعر : كُثيِّر .

اصطحب هُدبةُ وزيادةُ بنُ زيدٍ وهما مُقبلان من الشام في رَكب من قومهما . فكانا يَتعاقبان السَوقَ بالإبِلِ ، ومع هُدبةَ اختُه فاطمةُ . فنَزَل زيادةُ فارتجز فقال :

عُوجي علينا واربَعي يا فاطِما ما دونَ ما يُرى البعيرُ قائما (١)
ألا تَرَين الدمعَ مني ساجِما حَذارِ دارٍ منكِ لن تُلائما

فغَضِب هُدبةُ حين سمِع زيادةَ يرتَجز بأخته ، فنَزل فرَجَز بأُختِ زيادةَ ، وكانت تُدعى امَّ حازمٍ فقال :

لقد أراني والغُلامَ الحازما نُزجي المَطيَّ ضُمَّراً سَواهِما (٢)
يَبلُغن امَّ حازمٍ وحازما اذا هَبطنَ مُستحيرا (٣) قاتِما

فشتمه زيادةُ ، وشتمه هُدبةُ ، وتسابّا طويلا. فصاح بهما القوم : اركَبا لاحَمَلكما اللهُ . فوعظوهما

(١) عوجي : عَرِّجي وميلي . اربعي : قفي ، ما بين مناخ البعير الى قيامه . (٢) نزجي : نسوق . المطي : جمع مطية . الضمر : جمع ضامر : المهزول من كثرة السفر . سواهم جمع ساهمة : متغيرة من الاسفار . (٣) القفر الذي يحار فيه القوم .

حتى أمسك كلٌّ واحد منهما على ما في نفسه . وجعل هدبةُ وزيادةُ يتهاديان الاشعارَ ويتفاخران . فمن ذلك قولُ زيادةَ :

وإنكَ كالناسي الخليلَ اذا دنت به الدارُ والباكي اذا ما تَغيَّبا
وقد أعذَرَت صَرفُ الليالي بأهلها وشحطُ النوى بيني وبينَك مَطلَبا (١)
فما إن ترى في الناس أمًّا كأمِّنا ولا كأبينا حينَ نَنسبُه أبا
ملَكنا ولم نُملَك وقِدنا ولم نُقَد كأنَّ لنا حقًّا على الناسِ تُرتُبا

ترتب : لازم ، ثابت .

فأجابه هدبة :

رأيتُك في ليلي كذي الداءِ لم يَجِد طبيبا يُداوي ما به فتَطبَّبا
فلما اشتفى مما به كرَّ طِبَّه على نفسِه من طول ما كان جرَّبا

ولم يزل هدبةُ يطلب غِرّةَ زيادةَ حتى أصابَها فبيَّته فقتله ، وتنحَّى مخافةَ السلطانِ ، وعلى المدينة يومئذ سعيدُ بنُ العاص ، فأرسل إلى أهله فحبسهم ، فلما بلغ هُدبةَ ذلك اقبل حتى أمكنَ من نفسه ، وتخلَّص أهلَه . ومشت عُذرةُ إلى أخي زيادةَ فسألوه قبولَ الدِيَةَ فامتنع . فلما مُضي به للقتل التفت فرأى امرأتَه وكانت من أجملِ النساء فقال :

أقِلِّي عليَّ اللومَ يا امَّ بُوزَعا ولا تَجزَعي مما اصابَ فأوجَعا

فأدركه عبدُ الرحمنِ بنِ حَسَّانَ بنِ ثابتٍ فقال له : يا هُدبةُ ، أتأمرُني ان اتزوَّجَ هذه بعدَك ، يَعني زوجتَه ، وهي تَمشي خلفَه . فقال : نعم ، ان كنت من شَرطِها . قال : وما شرطُها ؟ قال : قد قلتُ ذلك :

فلا تَنكحي إن فرَّقَ الدهرُ بيننا أغَمَّ القَفا والوجهِ ليس بأنزَعا (٢)
وكوني حَبيسا او لِأروعَ ماجدٍ اذا ضَنَّ أعشاشُ الرجال تَبَرَّعا (٣)

فمالت زوجتُه إلى جزّارٍ واخذت شَفرتَه فجدعت بها انفَها وجاءته تَدمي مَجدوعةً فقالت : أتخافُ ان يكونَ بعدَ هذا نِكاحٌ ؟ فرَسفَ في قُيودِه وقال : الآنَ طاب الموتُ .

ومر هدبةُ بحُبَّى فقالت له : كنتُ أُعِدُّك في الفِتيان ، كيف تصبِرُ عن هذه ؟ — اي زوجته — فقال : اما ، واللهِ ، ان حبي لها لشديدٌ ، وأنشد :

---

(١) اعذرت مطلباً : جعلت المطلب متعذراً . (٢) اغم : كثير شعر الوجه والقفا . وذلك مكروه عند العرب . انزع : الذي انحسر شعره عن جانبي جبهته ، وذلك محبوب عندهم . (٣) الاروع : من يروعك بشجاعته . اعشاش : جمع عَش ، وهو الرجل القليل اللحم الدقيق عظام اليد والرجل .

وَجَدَتُ بها ما لم تَجِد امٌّ واحــــدٍ ولا وَجدَ حُبّى بابن أمِّ كِـــلابِ
رأتــه طويــلَ الساعديــن شَمَردَلاً كما تشتهي من قـــوّةٍ وشَبــابِ

فانقمعت حُبىَّ داخلةً إلى بيتها فأغلقت الباب دونه [١] .

ودُفع إلى أخي زيادةَ ليقتُلَه . فاستأذن في ان يُصلّيَ ركعتين ، فصلاهما وخفف ثم قال : لولا ان يُظَنَّ بي الجزَعُ لاطلتُهما . ثم انشد :

إن تقتلوني في الحــــديـــد فانـــــــني قتلت اخاكـــم مُطلَقـا لم يُقَيَّدِ

ثم قتله .

الفرزدق

الفرزدقُ لقبُ غلَب عليه وتفسيرُه الرغيفُ الضخمُ الذي يُجففّه النساءُ للفُتوت . شُبّهَ وجهُه بذلك لانه كان غليظا جَهما . واسمُه هَمّامُ بنُ غالبِ بن صَعصعةَ ابنِ دارمِ ابنِ تميمٍ ، وكنيتُه ابو فِراس . وكان يقال لصعصعةَ : محيي المَوؤودات[٢] ، وذلك انه مرَّ برجل يَحفُر بئرا وامرأته تبكي فقال لها : ما يُبكيكِ ؟ قالت : يُريدُ ان يَئِدَ ابنتي هذه . فقال له : ما حملَكَ على هذا ؟ قال : الفقرُ . قال: فاني اشتريها منك بناقتين يتبعُهما اولادُهما ، تعيشون بألبانهما . قال : قد فعلتُ . وجعل على نفسه ان لا يسمعَ بمَوؤودةٍ إلا فداها ، حتى فدى ثلاثَمئةٍ .

وقد فخر بذلك الفرزدقُ في عِدّةِ قصائدَ ، منها :

ابي احـــــدُ الغَيثَين صَعصعةُ الذي متى تُخلِفُ الجــوزاءُ والدَلوُ يُمطِرِ
أجـــــارَ بناتِ الوائِدين ومَــن يُجِر على الفَقر يُعلَم أنــه غيرُ مُخفِرِ
انــــا ابنُ الذي ردَّ المنيةَ فضلُــــه فما حَسَبٌ دافعتُ عنـــه بمُعوِرِ [٣]

تَراهنَ نفرٌ من كلبٍ ثلاثةٌ على ان يَختاروا من تميمٍ وبكرٍ نفَراً يسألونهم . فأيُّهم اعطى ولم

(١) جاء في كتاب الحيوان للجاحظ : كانت حبى امرأة مزواجاً فتزوجت على كبر سنها فتى يقال له ابن ام كلاب . فقام ابن لها كهل فمشى الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة وقال : ان امي لسفيهة ، على كبر سنها وسني . تزوجت شاباً مقتبل السن فصيرتني ونفسها حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها . فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت الى ابنها وقالت : يا برذعة الحمار ، أما رأيت ذلك الشاب المقدود العنطنط ، والله لَيَصرَعَنّ امك بين الباب والطاق فَلَيَشفِيَنّ غليلها وَلَتَخرُجَنّ نفسُها دونه . وَلَوَددتُ انه ضب واني ضُبَيبتُه وقد وَجدنا خلاءً . (٢) وأد الابنة : دفنها حية . (٣) معيب .

يَسألهم عن نسبهم مَن هم فهو أفضلُهم : فاختار كلُّ رجلٍ منهم رجلا : عُمَيرُ بنُ السُّلَيلِ الشيباني ، وطِلبةُ بنُ قيسِ بنِ عاصمٍ المنقري ، وغالبُ بنُ صعصعةَ ، أبا الفرزدق . فأتَوا عُميراً فسألوه مئةَ ناقة ، فقال : مَن انتم ؟ فانصرفوا عنه . ثم اتوا طِلبةَ ، فقال لهم مثلَ قولِ عُمَير . فأتوا غالبا فسألوه فأعطاهم مئةَ ناقةٍ وراعيَها ولم يسألهم من هم . فساروا ليلةً ثم ردُّوها . واخذ صاحبُ غالبِ الرهنَ . وفي ذلك يقولُ الفرزدقُ :

واذ ناحبَتَ(١) كلبٌ على الناسِ ايُّهم احقُّ بتـــاجِ المـاجدِ المتكرِّمِ
فلم يَجزِ عن أحسابِهم غيـــرُ غـالبٍ جرى بعِنانَي كلُّ ابيضَ خِضرِمِ (٢)

جاء غالبٌ ابو الفرزدقِ الى عليٍّ بنِ ابي طالبٍ بالفرزدقِ بعد وقعةِ الجمل بالبصرةِ فقال : ان بُنَيَّ هذا من شعراء مضر ، فاسمَع منه . فقال : عَلِّمه القُرآنَ . فكان ذلك في نفسِ الفرزدقِ ، فقيَّد نفسه وآلى أن لا يَحِلَّ قيدَه حتى يَحفَظَ القُرآن .

قال ابو عبيدةَ معمرُ بنُ المُثنَّى : كان الشعراء في الجاهلية من قيسٍ . وليس في الإسلام مثلُ حظٍّ تميمٍ في الشعر . وأشعرُ تميمٍ جريرٌ والفرزدقُ ، ومن تَغلِبَ ، الأخطلُ .

مرَّ الفرزدقُ بابن مَيَّادةَ الرَمَّاحِ والناسُ حولَه وهو يُنشد :

لـوَ آنَّ جميعَ الناسِ كـانـوا برَبوةٍ وجِئتُ بجَدَّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلَّت رِقـــابُ الناسِ خـاضعةً لنا سُجودا عـلى اقدامِنا بالجَمـاجمِ

فسمعَه الفرزدقُ فقال : يا ابنَ الفارسية ، لتَدَعَنَّه لي او لانبُشَنَّ امَّك من قبرها . فقال له ابن ميَّادة : خذه لا بارك اللهُ لك فيه . فقال الفرزدق :

لوَ آن جميعَ الناس كانـوا بـــربـوةٍ وجِئتُ بجَدَّيَّ دارمٍ وابنِ دارمِ
لظلَّت رِقـــابُ الناسِ خاضعةً لنا سُجودا عـلى اقدامنا بـالجمـاجمِ

وكان من خبر الفرزدقِ والنَّوارِ ، ابنةِ أعيَنَ ـ وكانت ابنةَ عمه ـ أنه خَطبها رجلٌ من بني دارمٍ فرضيته ، وكان الفرزدقُ وليَّها . فارسلت اليه أن زوِّجني من هذا الرجل . فقال : لا افعل . او تُشهِدي لي بأنك قد رَضيتِ بمن زوجتُك . ففعلت . فلما تَوثَّق منها جاء المسجدَ ، وجاء القومُ ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال : قد علمتم ان النوارَ قد وَلَّتني امرَها ، وأُشهِدُكم أني قد زوجتُها نفسي على مئة ناقة حمراءَ سودِ الحَدَق . فنفرت الى عبدِ الله بنِ الزبيرِ اميرِ الحجاز والعراق . وبلغ ذلك الفرزدقَ فتبعَها فأدركَها وقد قدمت مكةَ فاستجارت بخولةَ بنتِ منظور ، زوجةِ ابن الزبير . فلما قدِم الفرزدقُ مكةَ اشرأبَّ(٣) الناسُ اليه ، ونَزَل على بني عبدِ الله بن الزبير ، فاستنشدوه ثم شفَعوا له الى ابيهم . فجعل يُشفِّعُهم في الظاهر حتى اذا صار الى خولةَ قلبته عن رأيه فمال

(١) راهنت . (٢) الكثير العطاء . (٣) اشرأب : مد عنقه وارتفع لينظر .

الى النوارِ ، فقال الفرزدق :

امـــا بنـــوه فلَم تُقبَل شفـــاعتهم   وشُفِّعت بنتُ منظورِ بنِ زَبّانا
ليس الشفيعُ الـــذي يـأتيـك مؤتزرا   مثلَ الشفيعِ الذي يـــأتيك عُريانا

وسفر بينهما[١] رجالٌ من بني تميمٍ كانوا بمكةَ . فاصطلحا على ان يَرجِعا الى البصرةِ ولا يَجمعُهما ظِلٌ ولا كِنٌ حتى يَجمعَا في أمرِهما بني تميمٍ ويَصيرا على حُكمِهم . ففعلا . ورجعت اليه بحُكم عشيرتها . ولم تزل تُرفِّقُه وتَستعطِفُه حتى أجابَها الى طَلاقها ونَدِم فقال :

نَدِمت نـــدامةَ الكُسَعِيِّ[٢] لمـــا   غـــدت مني مُطلَّقةً نـــوارُ
وكـــانَت جَنتي فخرجتُ مِنهُـــا   كآدمَ حيـــنَ أخرجَـه الضِرارُ[٣]
وكنتُ كفـــاقِيءِ عَينَيـــه عَمدا   فـأصبح ما يُضيء لـــه النَهارُ

وكان الفرزدق تزوج حَدراءَ بنتَ زِيق الشَيباني . فخاصمته النوارُ واخذت بلِحيته فجاذبها ، وقال لها يُفضِّل عليها حَدراءَ :

لَعمـــري لأعرابيةٌ في مِظلَّةٍ[٤]   تَظلُّ بـأعلى بيتِها الريحُ تَخفُقُ
احبُّ اليـــنا من ضِناكٍ ضِفِنَّةٍ[٥]   اذا وُضِعت عنهـــا المَراويحُ تَعرَقُ

ودخل الفرزدق على الحجاج لما تزوج حَدراءَ يَستميحُه مَهرَها ، فلامه الحجاجُ وقال : اتزوجتَ ابنةَ نَصرانيٍّ على مئةِ ناقةٍ وجئتَنا مُتعرِّضاً أن نَسوقَها عنك . قال : وما هي في جُود الاميرِ . فأمر له بها .

وقال ابن سلاَّم : كان الفرزدقُ اكثرَهم بيتا مُقلَّدا . والمقلَّدُ البيتُ الذي يُضرَب به المثلُ . من ذلك قولُه :

فيـــا عَجباً حتى كليبٌ تَسبُّنـــي   كأن ابـــاهـــا نَهشَلٌ ومُجاشعُ
وكنـــا اذا الجَبَّارُ صَعَّرَ[٦] خدَّه   ضربنـــاه حتى تَستقيمَ الأخادعِ[٧]

° ° °

وكنتَ كذئبِ السُوءِ لمـــا رأى دَمـــاً   بصاحبِه يوماً أحـــال[٨] عـــلى الدمِ

° ° °

تعالَ فـــإن عـــاهدتَني لا تَخونُني   نَكن مثلَ مَـــن يا ذئبُ يَصطحِبانِ

° ° °

الشَيبُ يَنهَض في السَّوادِ كـــأنـــه   ليلٌ يَسير بجـــانبَيه نَهـــارُ

° ° °

أحـــلامُنا تَزِنُ الجبـــالَ رَزانةً   ويَزيدُ جـــاهلُنا على الجُهَّالِ

(١) سفر : صار سفيراً . (٢) يضرب به المثل بالندامة لانه رمى ليلا ظباء ، فكانت السهام تنفذ منها وتصدم الجبل فتوري ناراً فظن انه اخطأها . فحنق وكسر قوسه . ولما اصبح نظر فاذا الظباء مصرعة واسهمه بالدم مضرجة فندم فقطع إبهامه
(٣) الضرار : المخالفة اي العصيان . (٤) خباء . (٥) الضناك : الضخمة من النساء . الضفنة : الحمقاء .
(٦) اماله عن النظر الى الناس تهاوناً وكبراً . (٧) الاخدعان : عرقان في العنق . (٨) احال اي وثب على .

ترى كــلَّ مظلومٍ الينا فِـــرارُه ويَهـــرُب منا جُهدَه كلُّ ظالمِ

° ° °

تـــرى الناسَ ما سِرنا يَسيرون خلفَنا وإن نحنُ أومأنا الى الناسِ وَقّفوا(١)

قال الفرزدق لخالدِ القَسريِّ حين قَدِم العراقَ اميراً لهِشام :

ألا قطعَ الرحمنُ ظهرَ مَطيَّـــــةٍ اتتنـــا تَخَطّى من دمشقَ بخالدِ
وكيف يَـــؤمُّ المسلمين(٢) وامُّـــه تَـدين بـأن اللهَ ليس بواحـدِ
بنى بِيعَـــةً فيها الصليبُ لإمِّه وهَدَّم مـــن كِفـــرٍ مَنارَ المساجدِ

دخل الفرزدقُ المدينة هاربا من زيادٍ ، وعليها سعيدُ بنُ العاصِ اميرٌ من قِبَلِ معاويةَ فدخل على سعيدٍ وفي مجلس سعيدٍ الحُطَيئةُ وكعبُ بنُ جُعَيلٍ التَغلِبيُّ ، فأنشده :

اليــكَ فــررتُ منكَ ومن زيـــادٍ ولم أحسَب دمـي لكما حَلالا
فــان يَكنِ الهِجـاءُ أحـلَّ قتـــلي فقد قُلنــا لشاعرِهم وقـــالا
أرِقتُ فلم انم ليــــلا طـويـــلا أُراقِبُ هــل أرى النَسرَين زالا(٣)
تَرى الغُـــــرَّ الجَحاجِحَ من قريشٍ اذا مـــا الامرُ في الحَدَثانِ غالا(٤)
قِياماً يَنظُـــرون الى سعيـــدٍ كـــأنهمُ يَـــرَون به هِلالا

فلما قال هذا البيت قال الحطيئة لسعيد : هذا والله الشعر . ثم قال : يا غُلام ، ادركتَ مَن قَبلَك ، وسَبقت مَن بعدَك ، ولئِن طال عُمرُك لتَبرُزَنَّ . ولما خرج الفرزدق خرج مَروانُ بنُ الحَكم في أثَرِه فقال : لم ترضَ أن نكون قُعودا حتى جَعلتَنا قِياماً في قولك :

قِيـــامـــا ينظـرون الى سعيـــد كـــأنهمُ يرون بـــه هِلالا

فقال له : يا ابا عبدَ الملك ، إنك من بينهم صافِنٌ(٥) . فحقد ذلك مروانُ عليه . ولم تَطُل الايامُ حتى عُزِل سعيدٌ ووُلِّيَ مَروانُ . فلما قال الفرزدق قصيدته ، التي يقول فيها :

همـــا دَلَّتاني من ثمـــانينَ قامـــةً كما انقضَّ بازٍ اقتمُ الريش كاسِرُهُ(٦)
فلما استوت رجــلايَ في الارضِ قالتا احيٌّ يُرَجَّى ام قتيــلٌ نُحاذِرُهْ
فقلتُ ارفعـــا الاسبابَ لا يَشعروا بنا واقبلتُ في أعجــازِ ليلٍ أُبادِرُهْ

(١) هذا البيت لجميل . راجع اخبار جميل الجزء الثامن . (٢) أم الناس : صار إماماً عليهم . (٣) النسران : كوكبان . (٤) الغر : جمع اغر : الابيض . الجحاجح : جمع جحجح وهو السيد المسارع الى المكارم . الحدثان : نوائب الدهر . غال : اصابه بشر . (٥) صفن الفرس قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . وصفن الرجل : صف قدميه . (٦) كسر البازي والطير ريش الجناحين : ضم الجناحين ليسهل عليه الانقضاض . من هنا خطأ من يقول: الاسد الكاسر . لان الكاسر هي صفة للطير المنقض لا للوحش الضاري .

ابادرُ بَوّابِينَ قــد وُكِلــوا بنــا   وأحمرَ من ساجٍ تَلوح مَسامِرُه(١)

فقال له مروانُ : اتقول هذا بينَ ازواجِ الرسولِ ؟ اخرُج من المدينة . وذلك قولُ جريرٍ :

تدلَّيتَ تزني مــن ثمــانينَ قامــةً   وَقصَّرتَ عن بــاعِ النَدى والمَكارمِ

كان الفرزدق مَهيبا تَخافُه الشعراء ، فمر يوما بالشمردلِ وهو يُنشد :

ومــا بينَ مَن لم يُعطِ سمعاً وطاعةً   وبينَ تميــمٍ غيرُ حزِّ الغَلاصِمِ(٢)

قال : واللهِ لَتَترُكَنَّ هذا البيتَ أو لتتركن عِرضَك . قال : خذه على كُرهٍ مني . فهو في قصيدة الفرزدقَ التي اولها

تَحِــنُّ بزَوراءِ المــدينــةِ نــاقتي   حنينَ عَجــولٍ تَتبَعُ البَوَّ رائِمِ(٣)

وكان الفرزدق يقول : خيرُ السَرِقةمالايَجِب فيه القَطعُ ،(٤) يعني سرقة الشعر .

كان ذو الرمة يُنشد بكاظمةَ قصيدتَه التي يقول فيها :

أحينَ اعــاذت بي تميــمٌ نِساءَهــا   وجُرِّدتُ تَجريدَ اليَماني منَ الغِمدِ

فقال الفرزدق : يا عُبَيدُ — راويتَه — اضمُمهما(٥) اليك . فقال ذو الرمة : نشدتُك اللهَ يا ابا فِراس . فقال دَع ذا عنك . فانتحلَه في قصيدته :

وكنا اذا الجَبّارُ صعَّــر خــدَّه   ضربناه فوق الأُنثيَينِ على الكَرْدِ(٦)

اجتمع الفرزدق وجرير وكثيِّر وابنُ الرِقاع عند سليمانَ بنِ عبدِ الملك فقال : انشدوني من فخرِكم شيئا حسناً . فبدرهم الفرزدقُ :

وما قــومٌ اذا العُلمــاءُ عُدَّت   عُروقُ الأَكرَمين الى التُــرابِ

بمختــلفيــن إن فَضَّلتُمــونــا   عليهم في القــديمِ ولا غِصابِ

ولــو رَفَع السَحابُ اليــه قومــاً   عَلَونــا في السَماءِ مــع السَحابِ

فقال سليمان : لا تَنطُقوا ، فواللهِ ما ترك لكم مَقالا .

هجا الفرزدقُ خالداً القَسرِيَّ ، فكتب الى مالكِ ابنِ المُنذرِ أن احبِس الفَرَزدقَ . فلم يزل يَعمل فيه حتى اخذَه وأمر به الى السِجن . فقال يَمدح هِشامَ بنَ عبدِ الملك ويَعتذِر اليه :

ارى مُضَر المِصرَين قــد ذَلَّ نَصرُها   ولكن عسى ألاَّ يَذِلَّ شَآمُهــا

فمَن مُبلِغٌ بالشام قَيسا وخِنــدَفاً   احاديثَ ما يَشفى ببُرءٍ سُقامُها

(١) احمر من ساج صفة لمحذوف اي باب احمر من خشب الساج . مسامره جمع مسمار . (٢) الغلاصم : جمع غلصمة وهي صفحة غضروفية عند اصل اللسان . (٣) عجول : الناقة المتعجلة. البو : ولد الناقة يموت فيحشى جلده تبنا لتدرامه عند الحلاب . (٤) اي قطع يد السارق . (٥) اي الشطرين . (٦) الكرد : العنق .

غضبنا لكم يـا آلَ مَروانَ فاغضَبوا عسى أنَّ ارواحـاً يَسوغُ طَعامُها
قِوامُ قُوى الإسلامِ والأمـرِ كلِّه وهل طـاعةُ الا تَميمٌ قِوامُها
الى اللهِ تشكو عِزَّنَـا الارضُ فوقَها وتَعلَم أنَّـا ثِقلُهـا وغَرامُها

فاعانته القيسيةُ وقالوا : كلَّما كان ظهرَ نابٌ او شاعرٌ او سيدٌ وثب عليه خالدٌ . فكتب هشامٌ بتخليته .

قال الفرزدق : لما أطردَني [١] زيادٌ اتيت المدينةَ وعليها مَروان . فأرسل الي فقال : أتدري ما مَثَلُك ؟ حديثٌ تحدَّث به العرب : أن ضَبُعاً مرت فوجدت مِرآةً فنظرت وجهَها فيها . فلما نظرت قُبحَ وجهِها ألقتها وقالت : من شرِ ما طَرَحَكِ أهلُكِ . ومن شرِ ما طرحَكَ اميرُك . فلا تُقيمَنَّ بالمدينة .

قال : فخرجتُ اريدُ اليَمنَ ومَضَيتُ لوجهي حتى وَطِئتُ بِلادَ بني عُقَيلٍ فورَدتُ ماءً من مياههم ، فاذا بيتٌ عظيمٌ ، واذا فيه امرأةٌ سافرٌ لم أرَ كحُسنِها ، وهيئتِها قطُّ . فدنوتُ فقلت : اتأذَنين بالظِّل ؟ قالت : إنزل ، فلكَ الظِلُّ والقِرى . فأنختُ وجلستُ اليها . فدعت جاريةً فقالت: ألطِفيه شيئا واسعَي الى الراعي فرُدِّي عليه شاةً فاذبحيها له .

وأخرجت اليَّ تَمرا وزُبداً . وحادثتُها . فواللهِ ما رأيتُ مثلَها قط . وما أنشدتُها شعراً الا انشدَتني احسنَ منه . واقبل رجلٌ بين بُردين . فلما رأته اقبلت عليه بوجهها وحديثها . فدخلني من ذلك غيظٌ . فقلت للحَينِ : هل يا فتى لك في الصِراع ؟ فقال : سَوْأَةً ، إن الرجلَ لا يُصارِع ضيفَه . فألححت عليه . فقالت له : ما عليك لو لاعبتَ ابنَ عمِّك ؟ فقام وقمت . فلما رمى ببُرده اذا خَلقٌ عجيب. فقلت : هَلَكتُ وربِّ الكعبة . فقبض على يدي ، ثم اختلجَني اليه فصرتُ في صَدره ثم حملني فما اتَّقيتُ الارضَ الا بظهر كَبِدي وجلس علي صدري فما مَلَكتُ نَفسي أن ضَرطتُ ضَرطةً مُنكَرةً وثُرتُ الى جَمَلي . فقالت المرأةُ : الظِلُ والقِرى . فقلت : اخزى اللهُ ظلَّكم وقِراكم ، ومضيتُ . فبينا انا اسيرُ اذ لَحقَني على نَجيب يَجنُبُ نَجيبا برَحله وزمامه وقَدَّمه لي ، فقلت : مَن انت ومَن هذه المرأةُ فقال : انا تَوبةُ بنُ الحُمَيِّرِ وتلك ليلى الأخيَلِية .

وقال غيره بهذا الخبر ، وقال له الرجلُ وقد عرَفه : يا أبا فِراس ، واللهِ ما اردتُ بك ما جرى . فقال ويحَك ، ما بي أن صرعتَني ، ولكن كأنك بابنِ الأتانِ – يعني جريرا – وقد بلغَه خبري هذا فقال يَهجوني :

جلستَ الى ليلـى لتَحظـى بقُربها فخـانَكَ دُبرٌ لا يَزالُ يَخـونُ
فلـو كنت ذا حَزمٍ شددتَ وِكاءَها كما شَدَّ خَرتاً للدِّلاصِ قُيُونُ [٢]

---

(١) اطرده : امر بطرده وجعله طريداً . (٢) الوكاء : رباط القربة وغيرها . الخرت : الثقب . الدلاص : الدرع الملساء . القيون : جمع قين . الحداد والعبد

قال : فما مضى الا ايامٌ حتى بلغ جريرا الخبرُ فقال فيه هذين البيتين .

قال الفرزدق :

أصابنا بالبصرة مَطرٌ جَودٌ فاذا انا بأثَر دَوابٍّ قد خرجت ناحيةَ البرِّيَّة . فظننتُ أن قوما قد خرجوا لنُزهة فقلت : خليقٌ أن تكونَ معهم سُفرةٌ وشَرابٌ ، فقصصتُ(١) آثارَهم حتى وقعتُ الى بِغالٍ عَليها رحائلُ موقوفةٌ على غديرٍ . فأغذذتُ(٢) السيرَ نحو الغدير ، فاذا نِسوةٌ مستنقعاتٌ في الماء . فقلت : لم أرَ كاليوم قط ، ولا يومَ دارة جُلجُلٍ ، وانصرفت مستحييا منهن . فنادينني : باللهِ يا صاحبَ البغلة ، إرجِع نسألْك عن شيء . فانصرفتُ اليهن وهن في الماء الى حُلوقِهن ، فقلن : باللهِ إلا ما حدَّثتَنا بحديث دارةِ جُلجُلٍ .

فقلت : إن امرَأَ القيسِ كان يَهوى بنتَ عمٍّ له يُقالُ لها عُنَيزَةُ . فكان في طلب غِرَّةٍ من اهلِها ليزورَها ، فلم يُقضَ له ، حتى كان يومُ الغدير ، وهو يومُ دارةِ جُلجُلٍ ، وذلك أن الحَيَّ احتملوا فتقدَّم الرجالُ وتَخلَّف النساءُ . فلما رأى ذلك امرُؤُ القيسِ تخلَّف بعدما سار مع الرجال غَلوةً(٣) فكَمن في غَيابةٍ من الارض حتى مرَّ به النساءُ . فاذا فتياتٌ ومعَهن عُنيزةُ . فلما ورَدن الغديرَ قلن : لو نزَلنا فذهب عنا بعضُ الكَلال(٤) . فنزلن ، ونَحَّينَ العبيدَ ، ثم تَجرَّدنَ فاغتمسن في الغدير ، كهيئتِكنَّ الساعةَ ، فأتاهُن امرُؤُ القيسِ مُختالا كنحوِ ما أتيتُكن ، وهن غَوافِلُ ، فأخذ ثيابَهن فجمعها — ورمى الفرزدق بنفسه عن بغلته فأخذ بعضَ اثوابِهن فجمعها ووضعها على صدرِه — وقال لهن كما اقولُ لكن : واللهِ لا أُعطي جاريةً منكن ثوبَها ولو أقامت في الغدير يومَها حتى تَخرُجَ مجرَّدةً .

قال الفرزدق : فقالت احداهن ، وكانت أمجنَهن : امرُؤُ القيس كان عاشِقاً لابنةِ عمِّه ، أفعاشق انت لبعضنا ؟ قال : لا ، ولكن اشتهيكُن . فنَعرن وصَفَّقن وقلن : خذ في حديثك ، فلست منصرفا الا بما تُحِب .

فتابع الفرزدق : فأبَين ذلك عليه حتى تعالى النهارُ ، ثم خَشين ان يَقصُرن دونَ المنزلِ الذى اردنَه ، فخرجت إحداهن ، فوَضع لها ثوبَها وصَعد ناحيةً ، فأخذته ولبِسته ، ثم تتابعن على ذلك ، حتى بقيت عنيزةُ وحدَها ، فناشدته اللهَ أن يَطرحَ ثوبَها ، فقال : دعينا منك ، فأنا حَرامٌ إن اخذت ثوبَك إلا بيدك . فخرجت . فنظر اليها مُقبِلةً ومُدبِرةً ، فوضع لها ثوبَها وأخذته . وأقبلن عليه يَلُمنَه ويَعذُلنه ويقلن : عرَّيتنا وحبستَنا وجوَّعتنا . قال : فإن نَحرتُ لكُنَّ مطيّي أتأكُلن منها ؟ قلن : نعم . فاخترط سيفَه فعقَرها ونحرها وكَشَطها . وصاح بالخَدم فجمعوا له حطبا ، فأجَّج نارا عظيمة ، ثم جعل يَقطَع لهن من سَنامها وأطايبها وكَبِدِها فيُقلِّبها على الجمر ، فيأكُلن ويأكُل معهن ويَشرَب من زُكرةٍ(٥) كانت معه ، حتى شَبِعن .

(١) قص الاثر : تتبعه . (٢) اسرعت . (٣) مسافة رمية سهم . (٤) التعب . (٥) زق للخمر .

فلما اراد الرحيلَ قالت احداهن : انا احمل طَنفُستَه ، وقالت الاخرى : انا احمل رَحلَه . فتقاسمن مَتاعَ راحلته بينهن ، وبقيت عنيزةُ لم يُحَمِّلها شيئا . فقال لها امرُؤُ القيس : يا ابنةَ العمِّ ، لا بُدَّ لكِ أن تَحمليني معك ، فإني لا أُطيقُ المَشيَ ، فحملته على غاربِ(١) بعيرِها . فكان يُدخِل رأسَه في خِدرها فيُقَبِّلُها . فاذا امتنعت مالَ حِدجُها (٢) فتقول : « يا امرَأَ القيسِ عَقَرتَ بعيري فانزلِ » .

فلما فرغتُ من الحديث قالت تلك الماجنةُ : قاتَلَك اللهُ ، ما أحسنَ حديثَك ، يا فتى ، وأظرفَك ، فمَن انت؟ قلت : من مُضَر . قالت : ومن ايِّها ؟ قلت : من تَميم . قالت : ومن ايِّها ؟ قلت : الى ها هنا انتهى الكلام . قالت : إخالُك ، والله ، الفَرزدق . قلت : الفرزدقُ شاعرٌ ، وانا راويةٌ . قالت : دَعنا من تَوريتِك على نَسَبِك ، اسألُك بالله انت هو ؟ قلت : انا هو . قالت : فان كنت انت هو ، فلا أَحسَبُك مفارقا ثيابَنا الا عن رضا . قلت : اجل . قالت : فاصرِف وجهَك عن وجهِنا ساعةً . وهمست الى صَواحِباتِها بشيء لم افهمه . فانغطَطن في الماء وتَوارَين ، وأبدَين رؤوسَهن وخرجن ومع كلٍّ واحدةٍ منهن ملءُ كفِّها طينا ، وجعلن يَتعادَين نحوي فضربن بذلك الطينِ وجهي فملأن عينَيَّ وثيابي ووقعتُ على وجهي ، وشَدَدن على ثيابِهن فأخذنَها وركِبَت تلك الماجنةُ بغلَتي وتركَتني سطيحاً بأسوأِ حال . فما زلتُ من ذلك المكانِ حتى غسلتُ وَجهي وثيابي وجَفَّفتها ، وانصرفتُ عند مجيءِ الظَلام على قدَمَيَّ الى منزلي ، فاذا قد وجَّهن ببغلتي اليَّ مع رسولٍ لهن ، وقال : تقول لك أَخَواتُك : طلبتَ منا ما لم يُمكِنَّا ، وقد وجَّهنا اليك بزوجتِك . وهذا كَسْرُ درهمٍ لحَمَّامِك .

فكان اذا حدَّث الفرزدقُ بهذا يقول : ما مُنيتُ بمثلِهن .

— لما وَلِيَ خالدُ بنُ عبدِ الله العراقَ ، وكان من اشدِّ خلق الله عَصَبيَّةً على نزارٍ فقال لَبطَةُ بنُ الفرزدق : فلَبِس ابي من صالحِ ثيابِه وخرجَ يريد السلامَ عليه ، فقلت له : يا أبتِ ، إن هذا الرجلَ يَمانيٌّ ، وفيه من العصبيةِ ما قد علِمتَ ، فأنشده مدائحَك اهلَ اليمنِ ، لعلَّ اللهَ أن يَأتيَك منه بخير . فجعل لا يَرُدُّ عليَّ شيئا ، حتى دَفَعنا(٣) الى البَوَّاب فأذِن له ، فدخل وسلَّم . فاستجلسه ثم قال : إيهِ ، يا ابا فِراس ، أنشِدنا مما أَحدثتَ . فأنشده :

يُخالِفُ الناسُ ما لم نجتمع لَهُمُ ... ولا خِلافَ اذا ما استجمعَت مُضَرُ
اما الملوكُ فإنا لا نَلينُ لهم ... حتى يَلينَ لضِرسِ الماضغِ الحَجَرُ

ثم قام فخرجنا . قلت : أهكذا أوصيتُك ؟ قال : اسكُت ، لا أُمَّ لك . فما كنتُ قطُّ أَملأَ لقلبِه مني الساعةَ .

(١) الغارب : ما بين الظهر والعنق . وهو الكاهل . (٢) من مراكب النساء كالهودج . (٣) انتهينا .

— قال الفرزدق : ما أعياني جوابُ احد كما أعياني جوابُ دِهقان (١) قال لي مرةً : انت الفرزدقُ الشاعرُ ؟ قلت : نعم . قال : أفأموتُ إنّ هجوتَني ؟ قلت : لا . قال : افتموتُ عَيشونةُ ابنتي ؟ قلت : لا . قال : فرِجلي الى عنُقي في كذا من أمِّك . قلت : ويلَك ، لِمَ تركتَ رأسَك ؟ قال : حتى انظُرَ ما تَصنع .

— قيل للفرزدق : ما اختيارُك في شعرك للقِصار ؟ قال : لأني رأيتُها في الصدور أثبتَ وفي المحافلِ أجولَ .

قال الجَهمُ بنُ سُويدِ بنِ المُنذرِ للفرزدق : اما وجدَت امُّك اسماً لك إلا الفرزدقَ الذي تكسرُه النساءُ في سَويقِها ؟ — والعرب تُسمي خُبزَ الفَتوتِ الفرزدقَ — فقال الفرزدق : أحقُّ الناسِ أن لا يتكلمَ في هذا انتَ . لأن اسمَك اسمُ مِتاع المرأة ، واسمُ ابيك اسمُ الحِمارِ ، واسم جَدِّك اسمُ الكلب .

لقي الفرزدقُ الحسينَ بنَ عليٍّ متوجِّها الى الكوفة ، خارجا من مكةَ ، فقال له الحسين : ما وراءَك ؟ قال : يا ابنَ رسولِ اللهِ ، أنفُسُ الناسِ معَك ؟ وأيديهم عليك . قال : ويحَك ، معي وَقرُ بعيرٍ من كُتُبِهم يَدعونني ويُناشدونني اللهَ .

فلما قُتل الحسينُ قال الفرزدق : فإن غضبت العربُ لابن سيِّدها فاعلَموا أنه سيدومُ عِزُّها وتَبقى هيبتُها . وان صَبرَت عليه ولم تتغير لم يَزِدها اللهُ إلا ذُلاًّ الى أخرِ الدهر ، وانشدَ :

فـإن انتمُ لم تَثأروا لابن خيرِكم فألقُوا السِلاحَ واغزِلوا بالمَغازِلِ

— شرب الفرزدقُ شَرابا باليمامة ، وهو يُريد العراقَ ، فقال لصاحب له : ان الغُلمةَ قد آذتني ، فأكسِبني بَغيّاً ، قال : من اينَ أُصيبُ لك ها هنا بغيّاً . قال : فلا بُدَّ لك من ان تحتالَ . فمضى الرجل الى القرية فقال : هل من امرأةٍ تَقبَلُ (٢) فان معي امرأتي أخذَها الطَلقُ . فبعثوا معه امرأة . فأدخلها على الفرزدقِ ، وقد غَطّاه . فلما دنت منه واثبَها ، ثم ارتحل مبادِراً وقال : كأني بابن الخبيثة ، يعني جريراً ، قد بلغه هذا الخبرُ قد قال :

وكنتَ اذا حللتَ بـدار قـومٍ رحلتَ بخِـزيةٍ وتركتَ عارا

وبلغ جريراً الخبرُ فهجاه بهذا الشعر .

— (وله خبر مع سُكينة ، راجع اخبار سُكينة الجزء السادس عشر ، واخبار جرير الجزء الثامن)

— حجَّ الفرزدقُ بعد ما كَبِر وقد اتت له سبعون سنةً ، وكان هشامُ بنُ عبدِ الملكِ قد حجَّ في ذلك العام ، (في خلافة اخيه الوليد) ومعه رؤساءُ اهل الشام . فجَهَد ان يَستلِمَ الحجرَ فلم يقدِر

(١) تاجر . (٢) قبلت المرأة كانت قابلة اي تأخذ الولد عند الولادة .

من ازدحام الناس . فنُصب له منبرٌ فجلس عليه ينظُر الى الناس . فاقبل عليُّ بنُ الحسين ، وهو احسنُ الناسِ وجهاً ، وانظفُهم ثوبا ، وأطيبُهم رائحةً ، فطاف بالبيت . فلما بلغ الى الحجر ، تنحَّى الناسُ كلُّهم وخلَّوا الحجَرَ ليستلمَه ، تعظيماً وهيبةً وإجلالا له . فغاظ ذلك هشاماً وبلغ منه . فقال رجل لهشام: مَن هذا، أصلَح اللهُ الامير؟ فقال: لا أعرِفُه . وكان به عارفا ، ولكنه خاف أن يَرغَبَ فيه اهلُ الشام . فقال الفرزدقُ ، وكان حاضرا لذلك كله : انا أعرِفه ، فسَلني يا شامي . فقال : مَن ؟ فقال :

هذا الذي تَعرِفُ البَطحاءُ وطأتَه	والبيتُ يعرِفُه والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلِّهمِ	هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العَلَمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهِلَه	بجَدِّه أنبياءُ اللهِ قد خُتِموا
ما قال لا إلا في تَشَهُّدِه	لولا التشهُّدُ كانت لاءَهُ نَعَمُ
وليس قولُك مَن هذا بضائره	العُربُ تَعرِف مَن أنكرتَ والعَجمُ
اذا رأته قريشٌ قال قائلُها	الى مكارمِ هذا يَنتهي الكَرَمُ
في كفِّه خَيزُرانٌ ريحُه عَبِقٌ	من كفِّ أروَعَ في عِرنينه (١) شَمَمُ
يُغضي حَياءً ويُغضَى من مَهابته	فما يُكلَّمُ إلا حينَ يَبتسِمُ (٢)
يَكاد يُمسِكُه عِرفانَ راحتِه	رُكنُ الحطيمِ (٣) اذا ما جاء يَستلمُ
مشتقَّةٌ من رسولِ اللهِ نَبعتُه	طابت مَغارِسُه والخِيمُ (٤) والشِيَمُ
ينشقُّ ثوبُ الدُجى عن نُورِ غرَّتِه	كالشمس تَنجَابُ عن إشراقها الظُلَمُ
من مَعشَرٍ حُبُّهم دينٌ وبُغضُهمُ	كُفرٌ وقربُهمُ مَنجىً ومُعتَصَمُ
مُقدَّمٌ بعدَ ذِكر اللهِ ذِكرُهمُ	في كلِّ بِرٍّ ومختومٌ به الكَلِمُ
إن عُدَّ أهلُ التُقى كانوا أئِمَّتَهم	او قيل مَن خيرُ اهلِ الارضِ قيلَ هُمُ

فَغضِب هشامٌ فحبسه بينَ مكةَ والمدينةِ ، فقال الفرزدق :

أتَحبِسُني بينَ المدينةِ والتي	اليها قلوبُ الناسِ يَهوى مُنيبها (٥)
يُقلِّبُ رأسا لم يكن رأسَ سيِّدٍ	وعيناً له حولاءَ بادٍ عيوبُها

فبلغ شعرُه هشاماً فوجَّه فأطلقه .

(١) هذا البيت وما بعده للحزين الديلي في عبد الله بن عبد الملك . أدخلها الرواة في قصيدة الفرزدق اشتباهاً . – راجع الحزين الجزء الخامس عشر . (٢) عرنين : ما صلب من عظم الانف حيث يكون الشم . (٣) عرفان منصوب لانه مفعول لاجله اي لاجل معرفته براحته . الحطيم : بناء قبالة الميزاب من خارج الكعبة . (٤) الخيم : الطبع . (٥) اناب الى الله : تاب .

— حدَّث سَلَمةُ بنُ عيَّاشٍ مولى بني عامرِ بن لُؤَيٍّ ، شاعرٌ بصري ، قال : دخلتُ على الفرزدقِ السجنَ ، وهو محبوس ، وقد قال قصيدتَه :

إن الذي سَمَكَ السَّماءَ بنى لنــــا بيتا دعائمُه أعزُّ وأطــولُ

وقد أُفحِمَ وأَجبَلَ (١) ، فقلت له ، ألا أرفِدُك ؟ فقال : وهل ذاك عندَك ؟ فقلت : نعم . ثم قلت :

بيتٌ زُرارةُ مُحتَبٍ بفِنائِـــه ومُجاشِعٌ وابو الفوارسِ نَهشَــلُ

فاستجادَ البيتَ وأخذه فأدخله في قصيدته . .

— حج سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ ومعَه الشعراءُ ، فمر بالمدينة منصرفا فأُتي بأسرى من الروم نحوٍ من اربعمئة. فقعد سليمانُ وعنده عبدُ الله بنُ الحسن بنِ الحسن بنِ علي، فأدنَوا اليه بَطريقَهم وهو في جامعة (٢) ، فقال لعبدِ الله بنِ الحَسَن : قُم فاضرِب عُنُقَه . فقام فدفع اليه حَرَسِيٌّ سيفا كليلاً ، فضربه فأبانَ عنقَه وذراعه ، وأطَنَّ (٣) ساعدَه وبعضَ الغُل . فقال له سليمان : اجلِس ، فوالله ، ما ضربتَه بسيفِك ولكن بحَسَبِك . وجعل يَدفعُ الأسرى الى الوجوهِ والى الناس فيقتلونهم ، حتى دفع الى جريرٍ رجلاً ، فدَسَّت اليه بنو عَبسٍ سيفا قاطعا في قِرابٍ ابيضَ ، فضربه فأبان رأسَه . ودَفَع الى الفرزدق اسيرًا ، فدسَّت اليه القَيسيَّةُ سيفا كليلاً ، فضرب به الاسيرَ ضَرَبات فلم يَصنع شيئا . فضَحِك سليمانُ ، وضَحِك الناس معه ، وقال له : اما ، والله ، لقد بَقِي عليك عارُها وشَنارُها . فقال الفرزدقُ :

فهل ضربةُ الروميِّ جاعلـــةٌ لكـــم اباً عن كُليبٍ او اباً مثلَ دارمِ (٤)

كذاك سيوفُ الهندِ تنبو ظُباتُهـــــا وتَقطعُ احيانا مَناطَ التمائمِ (٥)

ولا نَقتُلُ الأسرى ولكن نَفُكُّهـــم اذا أثقلَ الاعناقَ حَملُ المَغارمِ

— عزم الفرزدقُ على الشخوص الى مكةَ ، فكتب له مروانُ الى بعضِ عمَّالِه بمئتي دينارٍ، فارتاب بكتابِ مَروانَ ، فجاء به اليه وقال :

مَروانُ إن مطيّتي معقولـــــةٌ ترجو الحِباءَ وربُّها لم يَيــأسِ

وأتيتَني بصحيفـــةٍ مختومــــةٍ يُخشى عليَّ بها حِباءُ النِقرِسِ (٦)

ألقِ الصحيفةَ يا فرزدقُ لا تكـــن نَكداءَ مثلَ صحيفةِ المتلمِّسِ (٧)

ورمى بها الى مَروانَ ، فضَحِك وقال : ويحَك إنك أُميٌّ لا تَقرأ . فاذهب بها الى من يَقرؤها عليك ورُدَّها حتى أختِمَها . فذهب بها ، فلما قُرِئت له اذا فيها جائزة . فردها الى مروان فختمها .

---

(١) صعب عليه القول . (٢) غل . يجمع اليدين الى العنق . (٣) قطع . (٤) اجداده . ظبات جمع ظبة : حد السيف . (٥) مناط : معقد . التمائم : جمع تميمة اي التعويذة. (٦) النقرس : داء المفاصل . (٧) راجع اخبار المتلمس وطرفة (الجزء الثالث والعشرون ، ص ٦٧٩)

قال الرُقاشي :

— خرجتُ في ليلة باردة ، فدخلتُ المسجدَ فسمعت نشيجا وبُكاءً ، فلم اعلم مَن صاحبُ ذلك ، الى ان أسفرَ الصُبحُ فاذا الفرزدقُ ، فقلت : يا ابا فِراس، تركتَ النَوارَ وهي لَيِّنةُ الدِثارِ ؟ قال : اني ، واللهِ ، ذكرتُ ذُنوبي فأقلقتني ، ففزِعتُ الى اللهِ عزَّ وجل .

— وأصابته ذاتُ الجَنبِ فكانت سببَ وفاته . ووُصِف له أن يشربَ النَفطَ الابيضَ . وكان يقول لابنه : يا بُنَيَّ ، إنك عجَّلتَ لابيك شَرابَ اهلِ النار .

— كان الفرزدق اوصى بعتقِ عبيدِه بعدَ موته ، وبدفع شيء من ماله . فلما احتُضِرَ جَمَعَ سائرَ اهلِ بيته وجعل يقول :

أَرُوني مَن يَقومُ لكم مَقامي ... اذا ما الامرُ جَلَّ عن الخِطابِ
الى مَن تَرجِعون اذا حَثَوتم ... بأيديكم عليَّ منَ التُرابِ

فقال بعض عبيده : الى الله ، عز وجل . فأمر ببيعه قبل وفاته ، وأبطل وصيته فيه .

مختارات من ديوانه

قال يمدح هشاماً :

اقول لناقتي لما ترامت ... بنا بِيدٌ مسربَلةٌ[1] القَتامِ[2]
أَغيثي مَن وراءَكِ مِن ربيعٍ ... امامك مُرسَلٍ بيَدي هِشامِ
اقول لها اذا عطفت وعضَّت ... بمَورِكة[3] الوِراك معَ الزِّمامِ
إلى مَ تَلفَّتين وانتِ تحتي ... وخيرُ الناسِ كلِّهمِ امامي
متى تَرِدي الرُصافةَ تَستريحي ... منَ التهجير والدَبَرِ الدَوامي[4]
تَزِفُ اذا العرى لَقِيت بُراها[5] ... زفيفَ الهادجاتِ منَ النَعامِ
كأَنَّ العنكبوتَ تبيتُ تبني ... على الخيشومِ من زَبَدِ اللُغامِ[6]

نقض جرير هذين البيتين فقال :

تَلَفَّتُ أنها تحتَ ابنِ قَينٍ[7] ... حَليفِ الكيرِ[8] والفأسِ الكَهامِ[9]

(١) مسربلة : مرتدية . (٢) القتام : الغبار الاسود . (٣) موركة الوراك : حيث يضع الراكب رجله .
(٤) الدبر : جمع دبرة ، وهي قرحة الدابة من الرحل . (٥) البرى : جمع بُرَة وهي الحلقة من الحديد توضع في انف الابل أو في فم الخيل . (٦) اللغام : زبد افواه الابل . (٧) القَين : الحداد وصانعه . (٨) منفخ الحداد
(٩) الكهام : الضعيف والكليل .

متى تأتِ الرصافةَ تخزَ فيهـا   كخزيك في المواسم كلَّ عـامِ

وقال يهجو جريرًا :

ان الذي سمك السماء بنى لنـا   بيتا دعائمُه اعـزُّ واطـولُ
بيتا زرارةُ محتبٍ بفنائـه   ومُجاشعٌ وابو الفوارس نَهشَـلُ
لا يحتبي بفِناء بيتك مثلُهـم   ابدًا اذا عُدَّ الفَعالُ(١) الأفضلُ
ضربت عليك العنكبوتُ بنسجهـا   وقضى عليك به الكتابُ المُنـزَلُ
حُلَلُ الملوكِ لِباسُنا في أهلنـا   والسابغاتِ الى الوغى نتسربـلُ
احلامُنا تَزِن الجبالَ رزانـةً   وتَخالنا جِنًّا اذا ما نَجهَـلُ
يا ابنَ المراغةِ اين خـالُك انني   خالي حُبَيْشٌ ذو الفَعالِ الافضـلُ
إنا لَنضرِب رأسَ كلِّ قبيلـةٍ   وابوك خلفَ اتانه يتقمَّـلُ
ليس الكرام بناحليك اباهـمُ   حتى تُرَدَّ الى عطيَّةَ تُعتَـلُ (٢)

وقال في الضيافة :

ومستنبحٍ والليـلُ بيني وبينـه   يُراعي بعينيه النجومَ التواليـا
سرى اذ تفشَّى الليلُ تحمِل صوتَـه   الي الصَبا قد ظلَّ بالامس طاويـا
حلفتُ لهم إن لم تُجبه كلابُنـا   لأستوقِدَنْ نارًا تُجيب المناديـا
وقلت لعبديَّ اسعَراهـا فانـه   كفى بسناها لابن إنسك داعيـا
فما خمدت حتى اضاءَ وُقودُهـا   اخا قَفرةٍ يُزجي المطيَّةَ حافيـا
فقُمتُ الى البَركِ الهَجودِ ولم يكـن   سِلاحي يُوَقّي المربِعاتِ المَتاليـا
فما قعد العبدانِ حتى قريتُـه   حليبا وشحما من ذُرى الشَوكِ واريا

وقال في ذئب اتاه ليلا وهو يشتوي شاة :

وأطلسَ عسَّالٍ ، وما كان صاحبـا   دعوت بناري مَوهِناً فأتانـي
فلما دنا قلت ادنُ دونك انني   واياك في زادي لمشتَركـانِ
فبِتُّ اسوِّي الزادَ بيني وبينـه   على ضوءِ نارٍ مرةً ودخـانِ
فقلت له لما تكشَّر ضاحكـا   وقائمُ سيفي من يدي بمكـانِ

---

(١) الفعال ، بفتح الفاء ، الفعل الحميد .   (٢) عطية ، ابو جرير . عتله : جره بعنف .

تعشْ فإن واثقتـــني لا تخونُنـــي نكن مثلَ مَن يا ذئبُ يصطحبـــانِ
ولو غيرَنا نبَّهتَ تلتمس القِـــرى اتاكَ بسهمٍ او شَباةِ سِنـــانِ .

وقال يصف الريح :

وركبٍ كأن الريحَ تطلُبُ عندَهـــم لها تِرَةً من جذبها بالعصائـــبِ
سَرَوا يخبِطون الليلَ وهي تَلِفُّهـــم على شُعَبِ الاكوارِ من كلِّ جانبِ
اذا ما رأَوا نـــارًا يقولون ليتهـــا – وقد خَصِرَتْ ايديهمُ – نارُ غالبِ

وقال يهجو ابليس – وقد تاب عن الموبقات :

أطعتُكَ يا ابليسُ سبعين حِجَّـــــةً فلما انتهى شيبي وتَمَّ تِمامـــي
فررتُ الى ربي وأيقنـــتُ أننـــي مُلاقٍ لايامِ المَنونِ حِمامـــي

خالد بن عبدالله القسري

نشأ بالمدينة وكان في حداثته يتخنث ويتتبع المغنين والمخنثين ، ويمشي مع عمر بن ابي ربيعة وبين النساء في رسائله اليهن . وكان يقال له : خالدٌ الخِرِّيتُ – الماهر بالدلالة –

وكان بن ابي ربيعة يقول : ارسلت الخِرِّيتَ او الجَرِيَّ – اي الرسولَ – يعني خالد القسري .

بينما عمر بن ابي ربيعة ذاتَ يومٍ يمشي ، ومعه خالدٌ ، اذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمرُ يُشبِّبُ بهما ، وهما يتماشيان ، فقصداهما ، وجلسا معهما مليًّا . فاخذتهم السماءُ ومُطِروا . فقام خالدٌ وجاريتان للمرأتين فظلَّلوا عليهم بمِطرَفِ عُمرَ وبُردَيه .

كان ابوه عبدُ الله كاتبا مُفَوَّهاً ، وكان يُقال له خطيبُ الشيطان ، فمضى الى حبيبِ بنِ مَسلَمةَ الفِهري وكتب له ، وعظُم امره. ونشأ ابنه خالد في مرتبته ثم وَلِيَ مكَّةَ والعراقَ .

كانت امٌّ خالدٍ روميةٌ نصرانيةٌ فبنى لها كنيسةً في ظَهر قِبلة المسجدِ الجامع بالكوفة. فكان اذا اراد المؤذِّنُ في المَسجِدِ أن يؤذِّنَ ضَرَبَ لها بالناقوس، واذا قام الخطيبُ على المِنبر رَفع النصارى أصواتَهم بقراءتهم .

فكان اعشى هَمدانَ يُعيِّره بأمِه ، فقال :

لَعَمرُكِ ما أدري وإني لَسائـــــلٌ أبَظراءُ[1] أم مَختونةٌ امُّ خالـــدِ

وقال فيه يَرميه باللواط :

ألم ترَ خالداً يَختـــارُ ميمـــاً ويتركُ في النكاح مَشَقَّ صـــادِ
ويُبغِض كلَّ آنســـةٍ لَعـــوبٍ وينكِحُ كلَّ عبدٍ مُستقـــادِ

وكان خالد يقول :

لو امرني امير المؤمنين نقضتُ الكعبة حجرا حجرا ونقلتُها الى الشام.

كان خالدٌ اميرا على مكة فأمر رأسَ الحَجَبَةِ أن يَفتحَ له البابَ فأبى . فضربه مئةَ سوط . فشكاه الى سليمانَ بنِ عبدِ الملك فأمر بقَطع يدِه . وكان يزيدُ بنُ المُهلَّبِ عنده فما زال يُفدِّيه ويُقبِّل يدَه حتى امر بضربه مئةَ سوطٍ .

وكان ، اذا ذُكر هشامٌ ، قال خالدٌ : ابنُ الحَمقاء . فسمعَها رجلٌ من اهل الشام فقال لهشام : ان هذا البَطِرَ الأشِرَ الكافرَ لنعمتك ونعمةِ ابيك وأُخوتِك يَذكُرك بأسوأ الذِكر . فقال : لعلَّه يقول : الأحولُ ؟ قال : لا . ولكن لا تَلتقي به الشفتان. قال : فلعلَّه يقول ابنُ الحمقاء . بلَغني ذلك عنه .

كان خالدٌ شديدَ العصبيةِ على مُضَر. وبلغ هشاما أنه قال : ما ابني يزيدُ بنُ خالدٍ بدون مَسلَمةَ بنِ هشامٍ . فكان ذلك سببَ عزلِه اياه عن العراق .

ذُكرَ اسماعيلُ بنُ خالدٍ القسريَّ بني أمية َ، عند ابي العبَّاسِ السفَّاحِ في دولة بني هاشمٍ ، فذمَّهم وسبَّهم . فقال جَمَّاسُ الشاعر ، مولى عثمان : يا اميرَ المؤمنين ، أيَسُبُّ بني عمِّك وعمَّاتك رجلٌ اجتمع هو والخِرِّيتُ في نسب ؟ إن بني امية َلحمُك ودمُك . فكُلهم ولا تُؤكِلهم . فقال له : صدقتَ. وامسكَ اسماعيلُ ولم يُحِر جواباً .

كان خالدٌ يَخطُب على المنبر ، وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدِّبٌ يقال له: الحسينُ الكلبي ، وكان يَجلِس بإزائه . فاذا شك في شيء أومأ اليه . وكان لخالدٍ صديقٌ من تَغلِبَ يقال له : زَمزمٌ . فلما قام يَخطُب على المنبر ، قام اليه التَغلِبيُّ في وَسْطِ خطبته وقال له : قد حَضَرتني مسألةٌ . قال : ويحَك ، أما ترى الشيطانَ عينهُ في عيني ؟ – يَعني مؤدِّبَه – قال : لا بُدَّ ، واللهِ ، منها . قال : هاتِها . قال : أخبِرني عن الحِمارِ اذا ساف ثم رفع رأسَه وكَرَفَ[2] ايَّ شيءٍ يقول ؟ قال : أراه يقول : يا ربَّاه ، ما أطيبَه . قال : صدقت .

قال خالدُ بنُ صَفوانَ :

لم تزل افعالُ خالدٍ بهِ حتى عَزلَه هشامٌ وعذَّبه وقتل ابنَه يزيدَ. فدخلت الى هشامٍ فحدَّثتُه

---

(١) لم تختن (٢) ساف : شم . كرف الحمار : شم بول الاتان ثم رفع رأسه وقلب شفته .

وأطلت ، فتنفّس ثم قال : يا خالدُ ، رُبَّ خالد — اي القسري — كان أحبَّ اليّ قُربا وألذَّ عندي حديثا منكَ . فقلت : يا اميرَ المؤمنين ، فما يَمنعُكَ من استئناف الصنيعة عنده ؟ فقد أدَّبتَه بما فرّط منك . فقال : هيهات ، إن خالدا قد أوجَفَ فأعجفَ (١) ، وأدلَّ فأملَّ (٢) وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة . فحلِمَ الاديمُ (٣) ونَغَلَ الجُرحُ (٤) ، وبلغ السيلُ الزُبى (٥) ، والحِزامُ الطِبيَينِ (٦) . فلم يَبقَ فيه مُستصلَحٌ .

ابو حفص الشطرنجي

هو عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العباس . نشأ في دار المهدي ومع اولاد مواليه وتأدَّب ، وكان لاعبا بالشطرنج ، مشغوفا به ، فلُقِّب به لغَلَبته عليه . فلما مات المهديُّ انقطع إلى عُلَيَّةَ ، وخرج معها لما زُوِّجت . وكان يقول لها الاشعارَ في ما تريده من الامور ، فتنتحلُ بعضَه . وممّا يُنسب اليها من شعره :

تَحَبَّبْ فإن الحُبَّ داعيةُ الحبِ ..

قال احدهم : رأيتُ ابا حفصٍ الشاعرَ ، فرأيتُ منه انسانا يُلهيكَ حضورُه عن كل غائب ، وتُسلّيك مجالستُه عن هجوم المصائب . قربُه عرسٌ وحديثُه أنسٌ ، جِدُّه لَعِبٌ ، ولَعِبُه جِدٌ ، إن لَبِستَه على ظاهره لَبِستَ مَوموقا (٧) لا تَمَلُّه ، وان تتبعتَه لتستبطنَ خبرتَه ، وقفتَ على مُروءةٍ لا تَطُور (٨) الفواحشُ بجَنَباتها. وكان، في ما علمتُه ، اقلَّ ما فيه الشعرُ . وهو الذي يقول :

تَحَبَّبْ فإنَّ الحُبَّ داعيـــةُ الحـــبِّ	وكم من بعيدِ الدارِ مستوجِبُ القُربِ
اذا لم يكن في الحُبِّ عَتْبٌ ولا رضاً	فأينَ حلاواتُ الرسائـــلِ والكُتْبِ
تَفَكَّر فإن حُدِّثـــتَ أن أخـــا هوًى	نجا سالما ، فارجُ النجاةَ من الحُبِّ
وأطيبُ ايامِ الهوى يومُـــــك الـــذي	تُرَوَّعُ بالتحـــريش فيـــه وبالعَتْبِ

(١) أوجف الفرس: حثه على العدو السريع . أعجف : أهزل . (٢) ادل : أظهر الدلال وأفرط عليه . (٣) فسد الجلد ووقع فيه الدود . (٤) برىء وفيه فساد . (٥) جمع زُبية : الرابية . (٦) الثديين . (٧) ومقه : أحبه . (٨) طار يطور به : قرب منه .

وله ايضا :

عَرِّض للـــذي تُحِـــبُّ بحُـــبٍّ ثم دَعــه يَروضُـه إبليـــسُ
فلعـــلَّ الــزمانَ يُدنيــكَ منـــه ان هذا الهوى جَليـلٌ نفيسُ
صابرِ الحبَّ لا يَغُرَّنْـــكَ فيـــه من حبيب تَجَهُّـمٌ وعُبـــوسُ
وأقِلَّ اللَجــاجَ واصبِر عـلى الجَهــدِ فإن الهَوى نعيمٌ وبُـــوسُ

كان ابو حفص ينادم ابا عيسى بنَ الرشيدِ ويقول له الشعرَ فيَنتحِلُه ، ويفعل مثلَ ذلك بأخيه صالحٍ وأُختِه ، وكذلك بعُلَيَّةَ عمتِهم . وكان بنو الرشيدِ جميعا يزورونه ويَأنسون به . فمَرِض فعادُوه جميعا سوى ابي عيسى ، فكتب اليه :

إخــاءُ ابي عيسى إخــاءُ ابــنِ ضُــرَّةٍ ووُدِّي له وُدُّ ابنِ امٍ ووالـــدِ
ألم يَأتِـه أن التأدُّبَ نِسبَـــــةٌ تُلاصِــقُ أهــواءَ الرجالِ الأباعـدِ
فما بالُــه مستعذِباً مــن جَفائنـــا مَوارِدَ لم تَعذُب لنـــا من مَــوارِدِ

قال ابو حفص : قال لي الرشيد يوما : يا حبيبي ، لقد أحسنتَ ما شئتَ في بيتين قُلتَهما . قلت: ما هما يا سيدي ، فمن شرَفِهما استحسانُك لهما . فقال : قولُك :

لم ألقَ ذا شَجَنٍ يبوح بحِبِّـــــه إلا حسبتُكَ ذلك المَحبوبـــــا
حذراً عليــكَ وإنني بــكَ واثِـــقٌ ألا ينالَ سوايَ منــكَ نصيبـــا

فقلت: يا اميرَ المؤمنين ، ليسا لي ، هما للعباس بنِ الاحنف . فقال صدقْتَ ، والله ، اعجبُ الي ، وأحسن منهما .

قال ابن الفضل بن الربيع : دخلت على ابي حفص في عِلَّته التي مات فيها ، فأنشدني :

نعى لــكَ ظِــلَّ الشبــابِ المَشيــبُ ونادتك باسمٍ سِـواكَ الخُطـوبُ
فكُـــن مستعــدًّا لــداعي الفنـــاءِ فإن الذي هــوآتٍ قريــــبُ
ألسنـــا نــرى شَهَـــواتِ النفـــوسِ تَفنى وتَبقى عليهـــا الذُنوبُ
وقبلَكَ داوى الطبيـــبُ المريـــضَ فعاشَ المريضُ ومات الطبيـــبُ
يَخــافُ على نفسهِ مَـــن يتـــوبُ فكيف ترى حــالَ مَن لا يتوبُ

ربيعة الضبي

شاعرٌ اسلاميٌّ مُخَضرَمٌ .

قال حمّادُ الراوية: دخلت على الوليد بن يزيد وهو مصطبح ، وبين يديه مَعبدٌ ومالكٌ وابنُ عائشةَ وحَكَمُ الوادي يُغنُّونه وعلى رأسه وصيفةٌ تَسقيه لم أرَ مثلها تماما وكمالا وجمالا ، فقال لي : يا حمادُ ، أمرتُ هؤلاءِ ان يغنوا صوتا يوافق هذه الوصيفةَ ، وجعلتُها لمن وافقَ صِفتَها نِحلَةً[١] ، فما اتى احدٌ منهم بشيء . فأنشِدني انتَ ما يوافقُ صِفتَها وهي لك . فأنشدتُه قولَ ربيعةَ بنِ مَقرومٍ الضبّي :

شَمّاءُ واضِحَــةُ العَوارِضِ طَفلَــةٌ[٢] كالبَدرِ من خَلَلِ السَّحابِ المُنجلي
وكأنما ريحُ القَرنفُــلِ نَشرُهــا[٣] او حنوَةٌ[٤] خُلِطت خزُامى حَوملِ[٥]
وكأن فاها بعدما طَــرقَ الكَــرى كأسٌ يُصَفّقُ بالرحيــقِ السلســلِ
لو أنها عَرَضــت لأشمَــطَ راهــبٍ في رأسِ مُشرِفــةِ الذُرى متبتّــلِ
لصبا لِبهجتها وحُسْــنِ حديثِهــا ولَهَمَّ من ناموســهِ بتنزُّلِ

فقال الوليد : اصبتَ وصفَها ، فاختَرها او الفَ دينارٍ فاختَرت الالفَ الدينارَ . وامرها فدخلت في حُرَمه . ومن مختار هذه القصيدة :

ودَلفــتُ من كِبَــرٍ كأني خاتِــلٌ قَنَصا ومن يَدبُــب لصيــدٍ يَختِــلِ
فلقد أُرى حُسنَ القنــاةِ قويمَهــا كالنصلِ أخلَصَه جَــلاءُ الصيقــلِ[٦]
أزمــانَ اذ أنا والجــديدُ إلى بِلــىً تُصبي الغوانيَ مَيعَتي وتنقُّــلي
ولقــد جمعتُ المالَ من جمــعِ امرئٍ ورفعتُ نفسي عن لئيــمِ المأكَــلِ
ودخلت أبنيةَ المُلــوكِ عليهِــمُ ولَشَرُّ قولِ المرءِ ما لم يَفعَــلِ

---

(١) هبة . (٢) طفلة : الناعمة الرقيقة . (٣) نشر : عبق ، فوح . (٤) نبات طيب الرائحة .
(٥) خزامى : عشبة صغيرة الورق حمراء الزهر طيبة الريح . حومل : مكان ورد في مطلع معلقة امرىء القيس .
(٦) الصيقل : صاقل النصال والسيوف .

أوس ونسب اليهود

أوسُ بنُ ذُبى اليهودي من قُريظةَ. وبنو قريظة وبنو النَضير يقال بم: الكاهنان. وهم من ولد الكاهن ابن هارونَ اخي موسى وكانوا نُزولا بنواحي يَثْرِبَ بعد وفاة موسى وقبلَ تفرُّقِ الأزدِ عندَ انفجار سَيلِ العَرِم.

كان ساكنو المدينةِ في أول الدهر قبل بني اسرائيلَ قوماً من الأمم يُقال لهم: عَماليقُ، وكانوا قد تفرقوا في البلاد وكانوا اهلَ عزٍ وبَغيٍ شديد. فكان منهم بنو هفٍّ وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق. وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يُقال له: الأرقمُ ينزل ما بين تَيماءَ إلى فَدَكٍ. وكان موسى قد بعث جيشاً من بني اسرائيل إلى العماليقِ وأمرَهم أن يقتلوهم جميعا ولا يستبقوا منهم احدا. فَقدِم الجيشُ الحجازَ فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم، فانه كان وضيئا جميلا فضنُّوا به على القتل، وقالوا: نذهب به إلى موسى فيرى فيه رأيَه. فرجَعوا إلى الشام فوجدوا موسى قد تُوفِّيَ، فقالت بنو اسرائيل: ما صنعتم؟ فقالوا: أظهرَنا اللهُ عليهم فقتلناهم، فلم يبقَ منهم احدٌ غيرُ غُلامٍ كان شابا جميلا فنَفِسنا به على القتل، وقلنا: نَأتي به موسى فيرى فيه رأيَه. فقالوا لهم: هذه مَعصيةٌ، وقد أُمِرتم ألا تستبقوا منهم احدا. واللهِ لا تدخلون علينا الشام ابدا. فلما مُنِعوا ذلك قالوا: ما كان خيراً لنا من منازلِ القوم الذين قتلناهم بالحجاز. نرجِع اليهم فنُقيمُ بها. فرجعوا على حاميتهم حتى قَدِموا المدينةَ فنزلوها. وكان ذلك الجيشُ اولَ سُكنى اليهودِ المدينةَ.

فانتشروا في نواحي المدينة كلِها إلى العالية.

ثم ظهرت الرومُ على بني اسرائيلَ بالشامِ فوطِئوهم وقتلوهم ونكحوا نِساءهم. فخرج بنو النَضير وبنو قُريظةَ وبنو هَدل هاربين منهم إلى مَن بالحجاز من بني اسرائيل. وبعث ملكُ الرومِ ليَرُدَّهم فأعجزوه. فلما بلغ طلَبُ الرومِ الثَمَدَ انقطعت اعناقُهم عَطَشا فماتوا، وسُمِّي الموضِعُ ثَمَدَ الرومِ إلى اليوم.

فلما ارسل اللهُ سيلَ العَرِمِ على اهلِ مَأربٍ، وهم الأزدُ، قام رائِدُهم فقال: من كان ذا جَمَلٍ مفَنٍّ(١)، ووَطبٍ مدَنٍّ(٢)، وقِربَةٍ وشَنٍّ، فلينقلب عن بَقَراتِ النِعمِ، فهذا اليومُ يومُ هَمٍّ، وليَلحق بالثَنِّي من شَنٍّ. فكان الذين نزَلوه أزدُ شَنُوءَةَ. ثم قال لهم: ومَن

(١) يأتي بالعجائب. (٢) كأنه الدن.

كان ذا فاقة وفقر ، وصبر على أزمات الدهر ، فليلحق ببطن مرٍّ . فكان الذين سكنوه خزاعة . ثم قال لهم : من كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمير ، والديباج والحرير ، فليلحق ببصرى والحفير ، وهي من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسان . ثم قال لهم : ومن كان منكم ذا همّ بعيد ، وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بقصر عمان الحديد . فكان الذين نزلوه أزد عمان . ثم قال : ومن كان يريد الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل ، فليلحق بيثرب ذات النحل . فكان الذين نزلوها الأوس والخزرج . فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صرار[1] ، ثم تفرقوا . وكان منهم من لجأ إلى عفاء من الأرض لا ساكن فيه ، فنزلوا به . ومنهم من لجأ إلى قرية من قراها ، فكانوا مع اهلها . فأقامت الاوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاء ، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع ، وكانت الاموال لليهود.

ثم ان مالك بن العجلان وفد إلى أبي جبيلة الغساني ، وهو يومئذ ملك غسان ، فسأله عن قومه وعن منزلهم ، فأخبره بحالهم وضيق معاشهم .

فقال ابو جبيلة : والله ما نزل قوم منا بلداً قطّ الا غلبوا اهله عليه . فما بالكم ؟ ثم امره بالمضيّ إلى قومه وقال له : أعلمهم أني سائر اليهم . فرجع مالك فأخبرهم بأمر ابي جبيلة ، ثم قال لليهود: ان الملك يريد زيارتكم ، فأعدوا نزلاً . فأعدوه. واقبل ابو جبيلة من الشام في جمع كثيف حتى قدم المدينة فنزل بذي حرض . ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذي قدم له . وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسهم وأشرافهم . وخشي إن لم يمكر بهم ، ان يتحصنوا في آطامهم[2] فيمتنعوا منه حتى يطول حصاره اياهم . فأمر ببناء حائر[3] واسع فبني . ثم أرسل إلى اليهود أن أبا جبيلة الملك قد احب ان تأتوه . فلم يبق وجه من وجوههم الا اتاه . وجعل الرجل يأتي معه بخاصته وحشمه رجاء أن يحبوهم . فلما اجتمعوا ببابه امر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر ، ثم يقتلوا كل من يدخل عليهم من اليهود . ثم امر حجابه ان يأذنوا لهم في الحائر ، ويدخلوهم رجلا رجلا . فلم يزل الحجاب يأذنون لهم كذلك ويقتلهم الجند حتى أتوا على آخرهم .

فقالت سارة القرظية ترثي من قتل منهم ابو جبيلة :

بنفسي أمّة لم تغن شيئاً بذي حرض تعفيها الرياحُ
كهول من قريظة أتلفتهم سيوف الخزرجيّة والرماحُ
رزئنا والرزيّة ذات ثقل يمر[4] لأهلها الماء القراحُ

(١) موضع قريب من المدينة . (٢) جمع اطم : بناء من حجر يشبه القلعة . (٣) ارض منبسطة حولها سور .
(٤) يمر : يغدو مراً .

وقال الرَمَقُ الخَزرجِيُّ يمدح ابا جُبيلةَ :

لم يُقضَ دَيْنُـك في الحِسا ن وقد غَنيتَ وقد غَنينا
الراشقات المُرشِقا ت الجازيات بما جُزينا
أمثالُ غِزلانِ الصرا ئم يأتزرن ويرتدينا
الرَّيطَ والديباجَ والـ زَرَدَ المُضاعَفَ والبُرينا (١)
وابو جُبيلةَ خيرُ مَن يمشي وأوفاهم يمينا
أبقت لنا الايامُ، والحَر بُ المُهِمَّةُ تعترينا
كَبشاً لنا ذكرا يَفِلُّ حسامُه الذكرَ السَنينا (٢)
ومَعاقِلا شُمّا وأسيا فا يَقُمْن وينحنينا

فلما انشدوا ابا جُبيلةَ ما قال الرمقُ ارسل اليه فجيءَ به ، وكان رجلا ضئيلا غيرَ وضيء . فلما رآه قال : عسلٌ طيِّبٌ ووعاءُ سُوءٍ . فذهب مثلا ، ثم رحل عنهم فرجَع الى الشام .

ثم ان مالكَ بنَ العَجلانِ قال لقومه : واللهِ ما أثخَنّا يهودَ غلبةً كما نُريد فهل لكم أن اصنعَ لكم طعاما ، ثم أُرسِلُ الى مئة من اشرافِ مَن بقي من اليهود ، فاذا جاؤوني فاقتلوهم جميعا ؟ فقالوا : نفعل . فدعاهم فأجابوه . فقتل منهم بِضعةً وثمانين رجلا .

السَموءَل

هو ابن عادِيا، وامُّه من غَسّانَ . كان صاحبَ الحِصنِ المعروفِ بالأبلقِ بتَيماءَ، المشهورَ بالوفاء ، وقيل إنه من ولد الكاهن ابنِ هارون .

لما سار امرُؤُ القيسِ الى الشام يريد قيصر ، نزَل على السَموءَلِ بحِصنه الابلق بعدَ إيقاعه ببني كِنانةَ على انهم بنو أسَدٍ ، قاتلي ابيه ، وبعدَ كَراهةِ اصحابه لفعله وتفرُّقِهم عنه حتى بقي وحدَه واحتاج الى الهرب ، فطلبه المنذرُ بنُ ماءِ السماء ، ووجَّه في طلبه جيوشا من إيادٍ وبهراءَ وتنوخَ ، وجيشا من الأساورة ، أمدَّه بهم انو شروانُ ، لجأ الى السموءَلِ ومعه أدرُعٌ كانت لأبيه خمسةٌ ،

---

(١) البرين : جمع برة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال . (٢) الذكر : السيف . السنين : المسنون .

كانت الملوكُ من بني آكلِ المُرارِ يتوارثونها مَلِكا عن ملك ، ومعه بنتُه هندٌ ، وابنُ عمِّه يَزيدُ بنُ الحارث ، وسِلاحٌ ومالٌ كان بقي معه. وسأله ان يَكتُبَ له الى الحارث بن ابي شَمِرٍ الغَسَّاني أن يوصِله الى قيصرَ. ففعل واستصحب معه رجلا يدُلُّه على الطريق واودعَ ابنتَه ومالَه وادراعَه السموءلَ ورحل الى الشام .

وكان المنذرُ وجَّهَ بالحارثِ بنِ ظالمٍ في خيل وامره ان يأخُذَ مالَ امرىءِ القيس من السَموءل . فلما نَزَل به تحصَّن منه . وكان له ابنٌ قد يَفَع وخرج الى قَنصٍ لَه . فلما رجَع اخذَه الحارثُ بنُ ظالم ثم قال للسموءل : أتعرفُ هذا ؟ قال : نعم . هذا ابني . قال: أفتُسَلِّمُ ما قِبَلَك ام أقتُلُه ؟ قال : شأنَك به فلستُ اخفِرُ ذِمَّتي ولا أُسلِّم مالَ جاري . فضرب الحارث وَسْطَ الغُلام فقطعه قطعتين . وانصرف عنه . فقال السموءلُ :

وَفَيتُ بأدرُعِ الكِنديِّ إني ... اذا ما خان اقوامٌ وفَيتُ
وأوصى عاديا يوما بألا ... تُهدِّمَ يا سموءلُ ما بنَيتُ
بَنى لي عاديا حِصناً حصينا ... وماءً كلَّما شِئتُ استقَيتُ

وفي هذه القصيدة يقول :

أعاذِلَتي ألا لا تَعذِليني ... فكم مِن أمرِ عاذلةٍ عَصَيتُ
دعيني وارشُدي إن كنتُ أغوى ... ولا تَغوَي – زعمتِ – كما غوَيتُ
أعاذِلَ قد طلبتِ اللومَ حتى ... لَوَ آني مُنتهٍ لقد انتهيتُ
وصفراءِ المعاصمِ قد دعتني ... الى وصلٍ فقلتُ لها أبَيتُ
وزِقٌ قد جررتُ الى النَّدامى ... وزِقٌ قد شربتُ وقد سقَيتُ
وحتى لو يكون فتى أُناسٍ ... بكى من عذلِ عاذلةٍ بكَيتُ

– وللاعشى خبرٌ مع ابنِ السموءل – راجع الاعشى الجزء التاسع ص ٢٩٥ –

ومن جيد شعره : – عن بلوغ الارب – الجزء الاول –

اذا المرءُ لم يَدنَس من اللُؤمِ عِرضُه ... فكلُّ رِداءٍ يرتَديه جَميلُ
وإن هو لم يَحمِل على النفسِ ضَيمَها ... فليس الى حُسنِ الثَناء سبيلُ
تُعَيِّرُنا أنَّا قليلٌ عَديدُنا ... فقلتُ لها إن الكِرامَ قليلُ
وما قَلَّ مَن كانت بقاياه مثلَنا ... شبابٌ تسامى في العُلى وكُهول(١)

(١) تسامى : تتسامى . الكهول : جمع كهل . الرجل اذا بلغ الاربعين .

وما ضَرَّنا أنا قليلٌ وجارُنا عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذَليلُ
لنا جَبَلٌ يَحتلُّه مَن نُجيره منيعٌ يَرُدُّ الطَرفَ وهو كَليلُ
وإنا لَقومٌ لا نرى القَتلَ سُبَّةً اذا ما رأته عامرٌ وسَلولُ
يُقَرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا وتكرَهُه آجالُهم فتطولُ
وما مات منا سيدٌ حَتفَ أنفه ولا طُلَّ منا حيثُ كان قتيلُ (١)
تَسيل على حَدِّ الظُبُاتِ نفوسُنا وليست على غيرِ الظُبُاتِ تَسيلُ (٢)
ونُنكِرُ إن شِئنا على الناس قولَهم ولا يُنكِرون القولَ حين نقولُ
وما أُخمِدت نارٌ لنا دونَ طارقٍ ولا ذَمَّنا في النازلين نَزيلُ
اذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ قَؤولٌ لما قال الكِرامُ فَعولُ
سَلي ، ان جهلتِ، الناسَ عنا وعنهمُ فليس سَواءً عالِمٌ وجَهولُ

ابراهيم بن المدبر

شاعرٌ كاتبٌ متقدِّمٌ من وجوه كُتَّاب اهل العراق ومتقدميهم، وذوي الجاه والمتصرفين في كبارِ الاعمال ومَذكور الوِلايات . كان المتوكِّلُ يقدمه ويُؤثره ويفضِّله . وكانت بينه وبين عَريبِ حالٌ مشهورة .

قال ابراهيم بن المدبر : مَرِض المتوكل مَرضةً خيف عليه منها ، ثم عُوفي وأُذِن للناس فدخلوا في طبقاتهم ودخلت معهم. فلما رآني استدناني حتى قُمت وراءَ الفتحِ (ابن خاقان). ونظر اليَّ مستنطِقا فأنشدتُه :

يومٌ أتانا بالسرورِ فالحمدُ لله الكبيرِ
لما عتللتَ تصدَّعت شُعَبُ القلوبِ مع الصدورِ
لله انت فما نُشاهِدُ منك من كَرَمٍ وخِيرِ (٣)

(١) مات حتف انفه اي بدون قتل او ضرب . وطل القتيل أودمه : ذهب هدرا اي بدون ثأر . (٢) ظبات جمع ظبة ، وهي حد السيف . (٣) خير : شرف الأصل ، منقبة .

حتى نقـــولَ ومَــــن بقُـــر بـــكَ مِن وَلِيٍّ او نصيـــرِ
البـــدرُ يَنطُـــق بيننـــا ام جعفـــرٌ(١) فوقَ السريـــرِ
فاذا تـــواتـــرت العَظـــا ئِمُ كنتَ منقطِـــعَ النظيـــرِ
واذا تعـــذَّرتِ العطـــا يـــا كنتَ فَيّاضَ البحـــورِ
تُمضي الصـــوابَ بـــلا وزيـــرٍ او ظَهيـــرٍ او مُشيـــرِ

فقال المتوكل للفتح : إن ابراهيمَ ما قَضَينا حقَّه . فتقدَّمْ بان يُحمَلَ اليه الساعةَ خمسون الفَ درهم ، ويُوَلَّى عَمَلا سَرِيًّا(٢) .

وكان عبيدُ الله بنُ يحيى بنِ خاقانَ شديدَ النَفاسةِ على ابراهيم . فادَّعى عليه مالا جليلا وأوغر صدرَ المتوكل عليه حتى أذِن له في حَبسه . فقال وهو محبوس :

تَسَلَّ فليس طـــولُ الحبسِ عارٌ وفيـــه لنـــا من الله اختبـــارُ
فلولا الحبسُ مـــا بُلِيَ اصطبـــارٌ ولـــولا الليـــلُ ما عُرِف النهارُ
ومـــا الايـــامُ إلا مُعقِبـــاتٌ ولا السُلطـــانُ الا مُستعارُ

وقال ايضا :

لا تـــؤيِسَنَّـــك من كريمٍ نَبوةٌ فالسيفُ يَنبـــو وهو عَضبٌ(٣) باتِرُ
إن طـــالَ ليلي في الإسار فطـــالما أفنيتُ دهـــرا ليلُهُ مُتقاصِرُ
والحبسُ يَحجُبُني وفـــي أكنافِـــه مِني عـــلى الضَرّاء ليثٌ خادرُ(٤)
عجبـــا له كيفَ التقت ابـــوابُه والجُودُ فيـــه والغَمـــامُ الباكرُ

وقال ايضا :

ألستِ تَـــرينَ الخمرَ يَظهَرُ حُسنُها وبَهجتُها بالحَبسِ في الطين والقارِ
ومـــا انا إلا كالجَوادِ يَصونُـــه مُقَوِّمُه للسَبق في طَيِّ مِضمارِ

(وله خبر مع عريب راجع عريب الجزء الحادى والعشرين) .

وكتب الى عريب يقول :

الى الله أشكو وَحشتي وتفجُّعـــي وبُعدَ المدى بيني وبين عَريـــبِ
فكنتُ غريبا بين اهلي وجيرتـــي ولستُ اذا ابصرتُها بغريـــبِ
وإن حبيبا لم يَرَ الناسُ مثلَـــه حقيقٌ بان يُفدى بكل حبيـــبِ

(١) المتوكل . (٢) سري : شريف . (٣) عضب وبتر : قطع . (٤) الذي هو في خدره اي عرينه .

وكتبت اليه :

فداؤك السمعُ والبصر ، والابُ والامُ ، كيف نفسُك؟ أعمى اللهُ شانئَك ومقّه (١) الله . وقد وافاني كتابُك ، وذكرتُ حاملَه ، فوجهت رسولي اليه ليُدخلَه ، فأسألُه عن خبرك، فوجدتُه منصرفا، ولو رأيتُه لفرشت خدّي له ، وكان لذلك أهلاً.

محبوبة

كانت محبوبةُ مولّدةً من مولّدات البصرة ، مغنيةً شاعرة ، سريعةَ الخاطر ، مطبوعةً لا تكاد فضلُ الشاعرةُ اليماميةُ ان تتقدّمَها ، وكانت محبوبةُ اجملَ من فضلٍ واعفَّ . ملَكها المتوكّلُ وهي بكر . اهداها له عبدُ الله بنُ طاهرٍ في جُملةِ اربعمئة وصيفةٍ .

كان عليُّ بنُ الجهم يَقرُب من أنس المتوكلِ جدا ولا يَكتُمه شيئا من سره مع حُرَمه وأحاديثِ خلَواته . فقال له يوما : اني دخلت على قبيحةَ فوجدتُها قد كتبت اسمي على خدها بغالية ، فلا ، والله ، ما رأيت احسنَ من سوادِ تلك الغاليةِ على بياض ذلك الخدّ. فقل في هذا شيئا . وكانت محبوبةُ حاضرةً الكلامَ من وراء السِتر ، فدعا عليُّ بنُ الجَهم بدواة . فالى أن أتوَه بها وابتدأ يفكر ، قالت محبوبةُ على البديهة :

وكاتبةٍ بالمِسك في الخدّ جعفــــرا ... بنفسي مَخَطُّ المِسك من حيث أثّرا
لئن كَتَبت في الخد سطرا بكفهـــا ... لقد أودعت قلبي من الحبِّ أسطُرا
فيا مَن لِمَملوكٍ لمُلكِ يمينـــه ... مُطيعٌ له في ما أسَرَّ وأظهـــرا
ويا من مُناها في السريرة جعفـــرٌ ... سقى اللهُ مِن سُقيا ثَناياكِ جعفرا

وبقي عليُّ بن الجهم واجماً لا يَنطُق بحرف . وأمر المتوكلُ بالابيات فبَعث بها الى عَريبَ وامرَها ان تغني فيها .

قال علي بن الجهم: حَظِيَت محبوبةُ عند المتوكل حتى انه كان يُجلِسها خلفَ ستارةٍ وراءَ ظهرهِ اذا جلس للشُرب، فيُدخل رأسَه اليها ويحدثها. فغاضبها يوما وهجرها، ثم نازعته نفسُه إليها واراد

(١) مق العين : قلعها . الشانيء : المبغض .

ذلك ثم منعته العزةُ منها، وامتنعت من ابتدائه ، ادلالاً عليه بمحلّها منه . فبكرتُ اليه يوماً فقال لي : يا علي ، اني رأيتُ البارحةَ محبوبةَ في نومي ، كأني قد صالحتُها . فقلتُ : أقرَّ الله عينك ، يا امير المؤمنين ، وأنامك على خير ، وأيقظك على سرور ، وارجو ان يكون هذا الصلحُ في اليقظة . فبينا هو يحدثني وأجيبه اذا هو بوصيفة قد جاءته ، فأسرَّت اليه شيئاً ، فقال لي : أتدري ما أسرَّت اليَّ هذه ؟ قلت : لا . قال : حدثتني انها اجتازت بمحبوبةَ الساعةَ وهي في حُجرتها تغني . أفلا تَعجَبُ الى هذا ؟ إني مغاضبها وهي متهاونة بذلك لا تبدَؤني بصلح ، ثم لا تَرضى حتى تغنيَ في حُجرتها ؟ قم بنا حتى نسمع ما تغني . ثم قام وتبعته حتى انتهى الى حجرتها ، فاذا هي تغني :

أدورُ في القصر لا أرى أحـــــداً   أشكو اليه ولا يُكلِّمُنــــــي
حتى كأني ركبـــتُ مَعصيــــــةً   ليست لها توبةٌ تُخلِّصُنــــي
فهل لنا شافـــعٌ الى ملِــــــكٍ   قد زارني في الكرى فصالحنـي
حتى اذا ما الصبــاحُ لاحَ لنـــا   عاد الى هجره فصارَمَنــــي

فطرب المتوكل ، وأحسَّت بمكانه ، فأمرت خدَمها فخرجوا اليه ، وتنحَّينا ، وخرجت اليه فحدثَّته وحدَّثها واصطلحا .

بعد قتل المتوكلِ تفرقت جواريه ، فصار الى وصيفٍ عدةٌ منهن ، واخذ محبوبةَ في مَن أخذ . فاصطبح يوما وامر بإحضار جواري المتوكل ، فأحضرنَ عليهن الثيابُ الملوَّنةُ والمذهَّبةُ والحلِي ، وقد تَزيّنَّ وتَعطَّرن إلا محبوبةَ فانها جاءت مَرهاءَ متسلِّبةً[1] عليها ثيابٌ غيرُ فاخرةٍ حُزناً على المتوكل . فغنى الجواري جميعا وشرِبنَ وطرِبنَ ، وطرِب وصيفٌ وشرب . ثم قال لها : يا محبوبةُ غني . فأخذت العودَ وغنت وهي تبكي :

ايُ عيشٍ يطيـــبُ لــــــي   لا أرى فيـــه جعفـــــرا
مَلِكـــا قــد رأتـــه عينـــ   ـــي قتيـــلا مُعَفَّـــرا
ان موتَ الكئيـــبِ اصلـــحُ   مـــن أن يُعَـــمَّـــرا

فاشتد ذلك على وصيفٍ وهمَّ بقتلها ، وكان بَغا حاضرا ، فاستوهبها منه فوهبها له . فأعتقها وامر بإخراجها ، وان تكونَ بحيثُ تختارُ من البلاد . فخرجت من سُرَّ مَن رأى الى بغدادَ ، هاجرةً لكل لذةٍ حتى ماتت.

(١) مرهاء : غير مكتحلة . تسلبت : أحدت على زوجها .

احمد بن صَدَقة

كان ابوه حجازيًّا مغنّيا، وكان هو طَنبوريًّا مُحسِنا مقدَّما حاذقا، حسنَ الغِناء مُحكَمَ الصَّنعة .

قال احمدُ بنُ صَدَقة : اجتزتُ بخالدِ بنِ يزيدَ الكاتبِ ، فقلت له : أنشدني بيتين من شعرك حتى أُغنيَ فيهما . قال : وايُّ حظٍ في ذلك ؟ تأخذُ انتَ الجائزةَ وأُحَصِّلُ انا الإثمَ . فحلفتُ له اني إن أفدتُ بشعره فائدةً جَعلتُ له منها حظا أو أذكرتُ به الخليفةَ وسألتُه فيه . فقال: أما الحظُّ من جهتك فانت أنذَلُ من ذلك . ولكن عسى ان تُفلِحَ في مسألةِ الخليفة . ثم أنشدَني :

تقول سَلا فمَن المُدنَفُ ومَن عينُه ابداً تَذرِفُ

ومَن قلبُه قَلِقٌ خافقٌ عليكَ وأحشاؤه تَرجُفُ

فلما جلس المأمونُ للشُرب دعاني ، وقد كان غَضِب على حَظيَّةٍ له . فحَضرتُ مع المغنين . فلما طابت نفسه وجَّهت الحظيةُ اليه بتُفاحةِ عنبرٍ عليها مكتوبٌ بالذهب : « يا سيدي سَلَوتُ » . وعَلِم اللهُ أني ما عرَفت شيئا من الخبر .

وانتهى الدورُ الي فغنيتُ البيتين . فاحمرَّ وجهُ المأمون، وانقلبت عيناه، وقال لي: يا ابنَ الفاعلة ، ألك علي وعلى حُرَمي صاحبُ خبَرَ [١] ؟ فوثبتُ وقلت : يا سيدي ما السببُ؟ فقال لي : من أينَ عرفتَ قِصَّتي مع جاريتي حتى غنَّيتَ في معنى ما بيننا ؟ فحلفتُ له أني لا أعرف شيئا من ذلك، وحَدَّثتُه حديثي مع خالد . فلما انتهيت الى قوله . . « انت انذلُ من ذلك » ، ضَحِك وقال : صَدَق . وقال : ان هذا لاتِّفاقٌ ظريفٌ . ثم امر لي بخمسةِ آلافِ درهمٍ ولخالدٍ بمثلها .

وحدث ابن صدقة قال : دخلت على المأمون في يوم السعانين وبين يديه عشرون وصيفةً جَلَبا روميَّاتٍ مزَنَّراتٍ ، قد تَزيَّنَّ بالديباجِ الروميِّ ، وعَلَّقن في اعناقهن صُلبانَ الذَهب ، وفي ايديهن الخوصُ [٢] والزيتونُ . فقال لي : ويلَك ، يا احمدُ ، قد قُلتُ في هؤلاء ابياتا ، فغَنِّ بها . ثم أنشدَني :

ظِباءٌ كالدَنانيرِ مِلاحٌ في المقاصيرِ

(١) مخبر . (٢) سعف النخل .

جَلاهُنَّ السعانينُ[1] علينا في الزّنانيرِ
وقد زرّفنَ[2] أصداغاً كأذنابِ الزرازيرِ
وأقبلنَ بأوساطٍ كأوساطِ الزنابيرِ

فحفظتُها وغنيتُه فيها . فلم يزل يَشربُ وتَرقُص الوصائفُ بين انواع الرقص حتى سكِر . فأمر لي بألف دينارٍ وامر بان يُنثَر على الجواري ثلاثةُ الافِ دينارٍ ، فانتهبتُها معهن .

عبدالله بن العجلان

شاعر جاهلي احدُ المتيّمين ومَن قتله العشقُ .

كان عبدُ الله سيداً في قومه وكان ابوه اكثرَ بني نَهد مالا . وكانت هندٌ ، امرأةُ عبدِ الله من قومه بني نهد ، وكانت احبَّ الناسِ اليه واحظاهم عنده . فمكثت معه سنين سبعاً او ثمانياً لم تَلِد ، فقال له ابوه : إنه لا ولدَ لي غيرُك ، ولا وَلدَ لك . وهذه المرأةُ عاقر ، فطلّقها وتزوج غيرها . فابى ذلك . فآلى ألاّ يُكلّمَه حتى يُطلّقها . فأقام على امره .

وشرب عبدُ الله الخمرَ حتى سكِر وهو جالس مع هندٍ ، فأرسل اليه أن صِر الي . فقالت له هند : لا تَمضِ اليه ، فوالله ما يريدُك لخير ، وانما يريدك لانه بلغَه أنك سَكرانُ ، فطَمِع فيك ان يُقسِم عليك فتطلّقَني . فنَم مكانَك ولا تَمضِ . فأبى وعصاها ومضى الى ابيه . فعاوده في امرها وانّبه وضعّفه وجمع عليه مَشيَخةَ الحيِ وفِتيانَهم . فتناولوه بألسنتهم وعيّروه بشغفه وضُعفِ حزمه . ولم يزالوا به حتى طلّقها . فلما اصبح خُبِّر بذلك ، وقد علِمت به هندٌ ، فاحتجبت عنه وعادت الى ابيها . فأَسِف عليها اسفا شديدا . فخطبها رجل من بني عامر ، فزوّجها ابوها منه . فلم يزل عبدُ الله دَنِفا سقيما يقول فيها الشعرَ ويَبكيها ، وكانت بين بني نهدٍ وبني عامرٍ مغاوراتٌ .

وإن بني عامرٍ جَمعوا لبني نهد . فقالت هندٌ امرأةُ عبدِ الله بنِ العَجلانِ ، التي كانت ناكحا فيهم ، لغُلامٍ منهم يتيمٍ فقيرٍ من بني عامر : هل لك في خَمسَ عَشْرةَ ناقةً على ان تأتي قومي

(١) عيد السعانين او الشعانين عند النصارى ، الاحد الذي يسبق العيد الكبير اي عيد الفصح والقيامة . والكلمة عبرية من « هوشعنا » كان يرددها الاطفال امام السيد المسيح وهو داخل الى اورشليم حاملين سعف النخل ويقولون : هوشعنا أو اوسانا ، اي خلص . ثم صارت للتحية ككلمة : يعيش . (٢) جعلنها حلقات .

فتُنذِرَهم قبلَ أن يأتيَهم بنو عامر ؟ فقال : أفعلُ . فحمّلته على ناقة لزوجها ناجية ، وزوّدته تمرا ووَطبا من لبن . فركِب فجدَّ في السير ، وفَني اللبنُ ، فأتاهم فنزَل بهم وقد يَبِس لسانُه . فلما كلّموه لم يَقدِر ان يُجيبهم ، وأومأ لهم الى لسانه . فأمروا له بلبن وسمنٍ فأُسخِنَ وسَقَوه اياه فابتلّ لسانُه وتكلم ، وقال لهم : أُتيتُم ، انا رسولُ هندٍ اليكم تُنذِرُكم ، فاجتمعت بنو نَهد واستعدّت . ووافتهم بنو عامر ، فاقتتلوا وانهزمت عامر .

ولما اشتد ما بعبد الله بن العجلان من السُقمِ خرج سرًّا من ابيه ، مُخاطِرا بنفسه ، حتى اتى ارضَ بني عامر ، وقصد خِباءَ هند . فلما قارب دارها رآها وهي جالسةٌ على الحَوض فلما نظر اليها ونظرت اليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتد اليها ، واقبلت تشتد اليه . فاعتنق كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه وجعلا يبكيان ويَنشَجان ويَشهَقان حتى سقطا على وجوههما ، واقبل زوج هند لينظرَ ما حالُهما فوجد هما ميّتين .

من مختار ما قاله في هند :

الا أبلِغا هندًا سلامي وإن نأت ... فقلبي بها مذ شطّتِ الدارُ مُدنَفُ
اتت بينَ أتراب تَمايَلُ اذ مشت ... دبيبَ القَطا أو هُنَّ منهن أقطَفُ (١)
يُباكرن مِرآةً جليًّا وفارةً (٢) ... ذكيًّا وبالأيدي مَداكٌ ومِسوَفُ (٣)
أشارت الينا في حَياءٍ وراعَها ... سَراةَ (٤) الضُحى مني على الحي مَوقِفُ
وقالت تباعد يا ابنَ عمي فإنني ... مُنيتُ بذي صَولٍ يَغارُ ويَعنُفُ

وقال ايضا :

خليليَّ زُورًا قبلَ شَحطِ النوى هندا ... ولا تأمَنا من دارِ ذي لَطَفٍ بُعدا
ومُرًّا عليها باركَ اللهُ فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجهيكما قَصدا
وقولا لها ليسَ الضَلالُ أجازَنا ... ولكننا جُزنا لنلقاكُمُ عَمدا

---

(١) القطف : الاسرع بين المشي والتوثب . (٢) فارة : المسك (٣) مداك : حجر يسحق عليه الطيب . مسوف : الشحم . (٤) سير .

المؤمَّل بن أُمَيل

شاعر كوفي مخضرَم. كانت شُهرتُه في الدولة العباسية اكثرَ. انقطع الى المهدي في حياة ابيه وبعدَ وفاته . في شعره لِينٌ ، وله طبعٌ صالح .

قال المؤمل : قَدِمت على المهدي وهو بالرَّيّ ، وهو اذ ذاك وليُّ عهد . فامتدحته بأبيات . فأمر لي بعشرينَ الفَ درهمٍ . فكتب بذلك صاحبُ البريد الى ابي جعفرٍ المنصورِ وهو بمدينة السلام ، يُخبره أن الاميرَ المهديَّ أمر لشاعر بعشرين الفَ درهم . فكتب اليه يَلومه . وكتب الى كاتب المهدي أن يوجهَ اليه بالشاعر . فقُبض علي وأُدخلت اليه فسلَّمتُ تسليمَ مَذعورٍ مُرَوَّعٍ . فرد السلام وقال : ليس لك ها هنا إلا خيرٌ . انت المؤمَّل بنُ أُمَيل ؟ قلت : نعم يا امير المؤمنين . قال : اتيتَ غُلاما غِرًّا فخدعتَه . قلت : نعم . اصلح الله امير المؤمنين . اتيت غُلاما غِرًّا كريماً فخدعتهُ فانخدع . قال : فكأن ذلك اعجبه فقال : أنشِدْني ما قلتَ فيه . فأنشدتُه :

هو المَهديُّ إلا أن فيه ... مَشابِهُ صورةِ القَمرِ المُنيرِ
تشابهَ ذا وذا فهما اذا ما ... أنارا مُشكِلانِ على البصيرِ
فهذا في الظلام سِراجُ ليلٍ ... وهذا في النهار ضياءُ نُورِ
ولكن فَضَّلَ الرحمنُ هذا ... على ذا بالمنابرِ والسريرِ
وبالمُلك العزيز فذا اميرٌ ... وما ذا بالأمير ولا الوزيرِ
وبعضُ الشهرِ يَنقُص ذا وهذا ... مُنيرٌ عندَ نُقصانِ الشهورِ
فيا ابنَ خليفةِ اللهِ المُصفَّى ... به تَعلو مُفاخَرَةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد تَوافَوا ... اليك من السُهولةِ (١) والوُعورِ
لقد سبق الملوكَ ابوك حتى ... بَقُوا من بينِ كابٍ (٢) او حَسيرِ (٣)
وجِئتَ مُصَلِّيا تجري حَثيثا ... وما بك حينَ تَجري من فُتورِ
لئن سَبَقَ الكبيرُ فأهلُ سَبقٍ ... له فضلُ الكبير على الصغيرِ

---

(١) جمع سهل . (٢) كاب : عاثر . (٣) حسير : كليل .

وان بلغَ الصغيرُ مدى كبيـــــرٍ فقد خُلِقَ الصغيرُ من الكبيـــرِ

فقال : والله ، لقد احسنت . ولكن هذا لا يُساوي عِشرينَ الفَ درهم . فأين المالُ ؟ قلت: ها هوذا . قال : يا ربيعُ ، امضِ معه ، فأعطِه اربعةَ الافِ درهم وخذ منه الباقي .

ولما وَلِيَ المهديُّ دخلتُ اليه في المتظلمين ، فلما رآني ضحك وقال : مَظلَمَةٌ اعرِفُها . ولا أحتاجُ الى بيِّنةٍ عليها وكِفلٍ . وجعل يضحك . وامر بالمال فرُدَّ اليَّ بعينه ، وزادني فيه عشرةَ آلاف.

من مختار شعره :

حلَمتُ بكم في نومتــي فغضبتُـــمُ ولا ذنبَ لي أن كنتُ في النوم أحلُمُ
سأطرُدُ عني النومَ كيــلا اراكـــمُ اذا ما اتاني النومُ والناسُ نُـــوَّمُ
تُصارِمُني واللهُ يَعلـــم أننـــي أبَرُّ بها من والدَيها وأرحَـــمُ
وقد زَعموا لي أنها نَذَرت دمـــي ومالي بحمد الله لحمٌ ولا دَمٌ
برى حبُّها لحمي ولم يُبقِ لي دَمـــاً وإن زعموا أني صحيحٌ مُسَلَّـــمُ
ستَقتُلُ جِلداً باليـــاً فوقَ أعظُـــمٍ وليس يُبالي القتلَ جلدٌ وأعظُـــمُ

أنشِدَ المهديُّ قولَ المؤمل :

قتلتِ شاعرَ هذا الحيِّ من مُضَـــرِ واللهُ يَعلم ما تَرضى بذا مُضَرُ

فضحك وقال : ولو علمنا انها فعلت لما رضينا ولقضَينا له وأنكرنا .

عبد بني الحسحاس

اسمه سُحَيمٌ ، وكان عبداً اسودَ نُوبِيا مطبوعا في الشعر ، فاشتراه بنو الحسحاس ، وهم بطنٌ من بني أسَد .

كان عبدُ الله بنُ ابي ربيعة عاملا لعثمانَ بنِ عَفّانَ على الجَنَد ، فكتب الى عثمان : اني قد اشتريت غلاما حبشيا يقول الشعر . فكتب اليه عثمان : لا حاجةَ بي اليه ، فارددُه ، فانما حَظُّ اهلِ العبد الشاعرِ منه إن شَبِعَ شَبَّبَ بنِسائهم ، وإن جاع هَجاهم . وقيل : قال: ان جاع هَرَّ ، وإن شبع فرَّ . فردَّه ، فاشتراه احدُ بني الحسحاس .

كان قبيحَ الوجه ، وفي قُبحه يقول :

اتيتُ نِساءَ الحــــارثيين غُـــدوةً بــوجهٍ بـــراه اللهُ غيرَ جميلِ
فشبَّهنَني كلبـــاً ولستُ بفــوقِه ولا دونَــه إن كان غيرَ قليلِ

وفي سَواده يقول :

أشعارُ عبــدِ بني الحَسحاسِ قُمنَ له عندَ الفَخارِ مقامَ الأصلِ والوَرِقِ (١)
ان كنتُ عبــداً فنفسي حُرَّةٌ كَرَماً او اسودَ اللونِ إني ابيضُ الخُلُقِ

قال ابو عبيدة : تناهى الينا من حديثِ سُحيمٍ أنه جالَسَ نِسوةً من بني صُبَيرٍ وكان من شأنهم اذا جلسوا للتغزُّلِ أن يَتعابَثوا بشَقِّ الثياب وشِدَّةِ المُغالبةِ على إبداء المحاسنِ ، فقال سحيم :

كأن الصُبيريــاتِ يــومَ لقِينَنا ظِباءٌ حنت اعناقَها في المَكانِسِ (٢)
فكم قــد شققنا مــن رِداءٍ ومِئزَرٍ ومن بُرقُعٍ عن ناظرٍ غيرِ ناعسِ
اذا شُقَّ بُردٌ شُقَّ بالبُردِ بُــرقُــعٌ على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

وقيل : وكانت لسيده بنتٌ بكرٌ فأعجبَها فأمرته أن يَتمارضَ . ففعل وعَصَب رأسَه فقالت للشيخ : اسرَح ايها الشيخُ إبلَك ولا تَكِلها الى هذا العبد . فكان فيها اياما. ثم قال له : كيف تَجِدُك؟ قال : صالحا . قال: فرُح في ابلِك العشيةَ . فراح فيها . فقالت الجارية لابيها : ما أَحسَبُك إلا قد ضيَّعتَ ابلَك العشيةَ اذ وكَلتَها الى العبد. فخرج في آثار ابلِه فوجده مستلقيا في ظل شَجَرةٍ وهو يقول :

يا رُبَّ شَجوٍ لكَ في الحــاضرِ (٣) تَــذكرُها وانتَ في الصــادرِ
مـن كـل حمراءَ جُماليَّــةٍ (٤) طيِّبــةِ القــادمِ والآخِــرِ

فقال الشيخ : إن لهذين لَشأناً . وانصرف ولم يُرِهِ وجهَه . واتى اهل الماء وقال لهم : إن هذا العبدَ قد فضحَنا . واخبرهم الخبرَ وانشدهم الشعرَ . فقالوا : اقتله ، فنحن طَوعُك . فلما جاءهم وثبوا عليه وقالوا له : قلت وفعلت . فنادى : يا اهلَ الماء ما فيكم امرأةٌ الا قد أصبتُها إلا فلانةَ فاني على موعد منها . فأخذوه فقتلوه . ولما قُدِّم ليُقتَل قال :

شُدُّوا وِثــاقَ العبدِ لا يُفلِتكُمُ إن الحياةَ من الممــاتِ قــريبُ
فلقــد تحــدَّرَ مــن جبين فَتاتِكم عَــرَقٌ على مَتنِ الفِراشِ وطيبُ

ومن اقوالِه :

وهَبَّت شَمــالا آخِــرَ الليــلِ قَرَّةً ولا ثــوبَ الا بُردُهــا ورِدائيا

(١) الدراهم المسكوكة . (٢) جمع مكنس: بيت الغزال . ومثلها الكناس. (٣) الحي . (٤) تامة الاوصال .

تَجمَّعنَ من شتى ثلاثاً وأربَعاً ... وواحدةً حتى كَمَلْنَ ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يَعُدنَني ... بَقيَّةَ ما أبقينَ نَصلا يَمانيا
يَعُدن مريضا هنَّ قد هِجنَ داءه ... ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيا

العُدَيل

شاعرٌ مُقِلٌ من شعراء الدولة الاموية .

خرج العُدَيل يريد الحجَّاجَ ، فلما صار ببابه حَجَبه الحاجبُ ، فوثب عليه العُديل وقال : إنه لن يَدخُلَ على الامير بعدَ رجالات قريشٍ اكبرُ مني ولا أولى بهذا الباب . فنازعه الحاجبُ الكلامَ فأحفظه(١) . وانصرف العُدَيل الى يزيدَ بنِ المُهلَّب . فلما دخل انشأ يقول :

لئن أرتَجَ الحجَّاجُ بالبُخلِ بابَه ... فبابُ الفتى الأزديِّ بالعُرفِ يُفتَحُ
يداه يدٌ بالعُرف تُنهِبُ ما حَوت ... وأخرى على الأعداءِ تَسطو وتَجرَحُ
اقام على العافينَ(٢) حُرَّاسَ بابِه ... يُنادونهم والحُرُّ بالحرِ يَفرحُ
هَلُموا الى سيفِ الامير وعُرفِه ... فإنَّ عطاياه على الناس تَنفَحُ
وليس كعِلجٍ من ثَمودٍ بكفِّه ... من الجود والمعروف حِرمٌ مُطوَّحُ(٣)

فقال له يزيد : عرَّضتَ بنا وخاطرت بدمك ، وتاللهِ لا يَصِلُ اليك وانتَ في حَيِّزي . فأمر له بخمسينَ الفَ درهمٍ وأفراسٍ وقال له : إلحَق بعُليا نَجدٍ واحذَر أن تَعلَقَكَ حبائلُ الحجَّاجِ او تَحتَجِنَكَ مَحاجِنُه(٤) ، وابعث الي في كل عام ، فلك علي مثلُ هذا . فارتحلَ . وبلغ الحجَّاجَ خبرُه ، وطلب العُدَيل ففاتَه . وقال لما نجا :

ودونَ يدِ الحجاجِ من أن تَنالَني ... بِساطٌ لأيدي الناعجات(٥) عريضُ

ولما لجَّ الحجاجُ في طلب العُدَيل لفظته الارضُ ، ونبا به كلُّ مكان هرب اليه . فأتى بَكرَ بنَ وائلٍ وهم بادُونَ(٦) فشكا اليهم امرَه ، وقال لهم : انا مقتول ، أفتُسلِمونني هكذا وانتم

(١) فأغضبه . (٢) طالبي المعروف . (٣) حرم : منع . مطوح : مضيع . (٤) احتجن الشيء : جذبه بالمحجن وهي العصا المنعطفة الرأس . (٥) السريعات ، أي الابل . (٦) في البادية .

اعزُّ العرب . قالوا : لا ، والله ، ولكنَّ الحجاجَ لا يُراغَم ، ونحن نَستوهِبُك منه . واجتمعت وجوهُ بكرِ بنِ وائلٍ الى الحَجاج فقالوا له : ايها الاميرُ إنا قد جَنَينا عليك جِنايةً لا يُغفَرُ مثلُها ، وها نحن قد استسلمنا وألقينا بايدينا اليك . فإما أن وهبتَ فأهلُ ذلك انت ، واما أن تُعاقِبَ فكنتَ المُسلَّطَ المَلِكَ العادلَ . فتبسَّم وقال : عفَوتُ عن كل جُرمٍ الا جُرمَ الفاسقِ العُدَيلِ . فقاموا على أرجلهم فقالوا : مثلُك ايها الاميرُ لا يَستثني على اهل طاعته وأوليائه في شيء . فان رأيت ألا تُكدِّر باستثناءٍ ، وأن تَهَبَ لنا العُدَيل في اول ما تَهَبُ . قال : قد فعلتُ ، فهاتُوه ، قبَّحه الله . فأتَوه به . فلما مَثَل بين يديه انشأ يقول :

فلـو كنتُ في سَلمى أجاً وشِعابِها لكان لحجّاجٍ علي دليلُ
بني قُبَّةَ الإسلامِ حتى كأنما هدى الناسَ من بعد الضَلال رسولُ
خليلُ اميرِ المؤمنين وسيفُه لكل إمامٍ مصطفىً وخليلُ
بـه نصرَ اللهُ الإمامَ عليهمِ وثبَّتَ مُلكاً كاد عنه يزولُ
ترى الثقلينِ الجِنَّ والإنسَ أصبحا على طاعةِ الحجاجِ حينَ يَصولُ

فقال الحجاج : اولى لك ، قد نجوت . وفرض له وأعطاه عَطاءه .

وقال يمدح قبائلَ وائل :

صَرَمَ الغـواني واستراح عـواذلي وصَحَوتُ بعـد صبابـةٍ وتمايُلِ
يـأخُذنَ زينتهن أحسنَ مـا ترى واذا عَطَلن فهن غيرُ عواطلٍ (١)
يَلبَسن أرديـةَ الشبابِ لأهلهـا ويَجُر باطِلُهن حبلَ الباطلِ
واذا تطاولتِ الجبـالُ رأيتَنـا بفروع أرعَـنَ فوقَهـا مُتطاوِلِ
حَدِبت بنـو بكـرٍ علـيَّ وفيهمُ كلُّ المكـارمِ والعديـدِ الكاملِ
قـومٌ اذا شَهَروا السيوفَ رأَوا لها حقّـاً ولم يَكُ سَلُّهـا للباطلِ
واذا فَخرتَ بتغلبَ ابنـةِ وائلٍ فاذكُـر مكارمَ من نَدًى وشمائلِ
قـومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً وقَنا الـرماحِ تَذودُ وِردَ الناهلِ

قال ابو النجم للعُدَيل : أكنتَ شاكاً في نسبك حين قلتَ :

فان تَكُ مـن شيبانَ أمـي فـأنني لأبيضُ عِجليٌّ عـريضُ المَفارقِ

فقال له العديل : افشككت في نفسك او شعرك حين قلتَ :

انـا ابـو النجمِ وشِعري شعري للهِ دَري مـا يُجِنُّ صَدري

(١) معناه أنهن من جمالهن الطبيعي وان عطلن من الحلي والزينة يظهرن حاليات مزدانات .

فأمسك ابو النجم واستحيا .

سأل احدُهم الفرزدقَ : يا ابا فِراس ، مَن شاعرُ بكرِ بنِ وائلٍ ؟ قال : العُدَيل ، على أنه ضائعُ الشعر .

لما قَدِمَ الحجاجُ العِراقَ قال العُديل :

دَعُوا الجُبنَ يـا اهلَ العراقِ فانما يُهـان ويُسبى كلُّ مَن لا يقاتلُ
لقد جَـرَّد الحجاجُ للحق سيفَـه ألا فاستقيموا لا يَميلَنَّ مـائِلُ
وأَصبحَ كالبـازي يُقلِّبُ طَـرفَـه على مَرقَبٍ والطيرُ منـه دَواحِلُ[1]

فقال الحجاج ، وقد بلغته ، لأصحابه ، ما تقولون ؟ قالوا : إنه مَدَحك . فقال : كلا . ولكنه حَرَّض علي اهلَ العِراق . فطلبه فهرب .

قال الاصمعي : دخلت على الرشيد يوما وهو محموم فقال : انشِدني ، يا أصمعي ، شعرا مليحا ارتضيه . فقلت : أرَصينا فَحلا ام شَجِياً سهلا ؟ فقال : بل غَزَلا بين الفَحل والسهل . فانشدتُه للعديل :

صحا عن طِلابِ البيضِ قبـلَ مشيبهِ وراجع غَضَّ الطَرفِ فهو خَفيضُ
كَأنيَ لم أرعَ الصبا ويـروقنـي منَ الحي أحوى[2] المقلتين غَضيضُ
دعـاني لـه يوما هـوىً فاجابه فؤادٌ اذا يَلقى المِراضَ مريضُ
لِمُستأنِساتٍ بـالحـديثِ كأنـه تَهَلُّلُ غُـرٌّ بَرقُهن وَميـضُ

فقال لي : أَعِدها . فما زلت أُكَرِّرها حتى حَفِظَها .

الفرزدق يرثي العديل :

ومـا ولدت مثلَ العُديلِ حليلـةٌ قديما ولا مُستحدَثاتُ الحـلائـلِ
ومـا زال ، مـذ شدَّت يداه إزارَه به تَفتحُ الابوابَ بَكرُ بنُ وائـلِ

(١) دحل : فر واستتر . (٢) من فيه سواد الى خضرة .

نُصيب الاصغر

مولى المهدي . نشأ باليمامة . اشتُري للمهدي في حياة ابيه المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نُصَيبٍ مولى بني مروان . فأعتقه وزوّجه أمةً وكَنّاه ابا الحجناء ، وأقطعه ضيعةً بالسَواد . وكان هَجّاءً .

قال يمدح هارون الرشيد :

جـــرى الدمعُ من عينيكَ حتى كأنه   تَحدُّرُ دُرٌّ او جُمانٌ مفصَّـــلُ
فيا ايها الـــزنجيُّ مالكَ والصبــــا   أفِق عن طِلابِ البيضِ ان كنتَ تَعقِلُ
الى ملـــكٍ صَلتِ الجبيـــنِ كأنـــه   صفيحةُ مسنونٍ جلا عنه صَيقَــلُ
اذا انبلج البـــابـــان والستـــرُ دونَـــه   بـــدا مثلَ ما يبدو الاغرُّ المُحجَّلُ
شريكان فينـــا منـــه عينٌ بصيـــرةٌ   كَلُـــؤٌ وقلبٌ حـــافظٌ ليسَ يَغفُلُ
فمـــا فـــات عينيـــه وعـــاه بقلبـــه   فآخرُ مـــا يَرعى سَواءٌ وأولُ

اتى نُصَيبٌ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ الاشعثِ وهو يتقلد صنعاءَ للمهدي ، فمدحه فلم يُثِبه ، واستكساه بُردا فلم يُكسه . فقال يهجوه :

سأكسوك مـــن صَنعاءَ ما قد كسوتَني   مُقطَّعَةً[١] تبقى على قِدَمِ الدهرِ
اذا طُـــوِيَت كانت فُضوحُك طَيَّها   وان نُشِرت زادتك خزياً على النَشرِ

وقال يمدح الفضلَ بن يحيى بن خالد :

طـــرقتك مَيَّـــةُ والمَـــزارُ شطيبُ   وتُثيبُك الهجرانَ وهـــي قريبُ
وكـــأن ميَّةَ حين أتلعَ[٢] جيدُها   رَشَأٌ أغنُّ من الظباء ربيـــبُ
طـــرِب الفؤادُ ولاتَ حين تَطَرُّبِ   إن المـــوكَّلَ بالصبـــا لَطـــروبُ
وتقـــول ميةُ مـــا لمثلِك والصبـــا   واللونُ اسودُ حـــالكٌ غِـــربيبُ
شابَ الغُـــــرابُ ومـــا أراكَ تَشيبُ   وطِلابُك البيضَ الحسانَ غَـــريبُ

(١) مقطعة : المقطوعة من الشعر . (٢) اتلع : طال ، امتد .

لا تَهــزَئي مني فرُبَّتَ(١) عائــبٍ ما لا يَعيبُ الناسَ ، وهو مَعيــبُ
ولقد يُصاحبني الكِــرامُ وطالمـا يَسمو اليَّ السيِّدُ المحجــوبُ
وأجُــرُّ مــن حُلَلِ الملوكِ طرائفا منها عــليَّ عصائبٌ وسَبيبُ(٢)
والبَــرمَــكــيُّ وإن تَقــارَب سِنُّه او باعدته السِنُّ فهو نجيــبُ
قــاد الجيادَ الى العِــدى وكأنهـا رِجــلُ الجَرادِ تَسوقُهن جَنوبُ(٣)
من كل مضطَّــربِ العِنانِ كــأنه ذِئبٌ يُبــادره الفريسةَ ذيبُ

فأمر له الفضل بثلاثين الف درهم .

لما حجَّت امُ جعفر ، زبيدة ، لقيَها النُصَيبُ فترجَّل عن فرسه وأنشأ يقول :

بنو هــاشمٍ زيــنُ البرية كلِّها وامٌ ولي العهدِ زيــنٌ لهــاشمِ
فــواللهِ مـا ندري أفضلُ حديثِها عليهم بــه تَسمو ام المُتقادمِ(٤)
يَظُــنُّ الــذي اعطته منهـا رَغيبةً يَقُصُّ عليه الناسُ أحلامَ نائمِ

فأمرت له بعشرة الاف درهم وفرس ، فأعطيَه بلا سَرجٍ . فتلقَّاها لما رحلت وقال :

اذا نَــزَلَت منازِلَهـا قــريشٌ نَــزَلتِ الانفَ منها والسَّناما
بلغتِ مــنَ المفــاخر كلَّ فخــرٍ وجــاوزتِ الكلام فلا كلاما
وأعطيتِ اللُّهــا لكنَّ طِرفــي(٥) يُريد السَرجَ منكم واللِجــامـا

فأمرت له بسرج ولجام .

دخلت الحجناءُ بنتُ النُصَيبِ على العباسيَّةِ بنتِ المَهدي فأنشدتها :

اتينــاك يـــا عبَّاسةَ الخيــرِ والحَيا وقد عَجِفت أُدمُ المَهارى وكَلَّتِ(٦)
وما تركت منـــا السنــونَ بقيَّةً سوى رُمَّةٍ منا من الجَهد رَمَّتِ
فقال لنا مَــن يَنصح الــرأيَ نفسَه : وقد ولَّتِ الاموالُ عنا فقَلَّتِ
عليكِ ابنـــةَ المهديَّ عُوذي ببابها فإنَّ محلَّ الخيرِ من حيثُ حَلَّتِ

فأمرت لها بثلاثةِ آلاف درهم .

---

(١) ربت : حرف خافض شبه زائد وحكمها حكم رب . (٢) سبيب : جمع سبيبة وهي شقة الكتان الرقيقة .
(٣) رجل الجراد : القطعة العظيمة منه . جنوب : الريح التي تهب من الجهة الجنوبية . (٤) اي : أم فضل المتقادم .
(٥) اللها : جمع لُهوة ، وهي العطية . الطرف : الفرس الكريم . (٦) عجف : هزل . أدم : جمع أديم وهو الجلد . كل : اعيا واستبد به التعب . مهارى : جمع مَهْرِيَّة وهي نجائب تسبق الخيل .

قال ابو محمد : انشدت الفضلَ بن يحيى قول ابي الحَجناء نُصَيب :

عنـــدَ الملـوكِ مضرّةٌ ومنـافـعُ وأرى البرامكَ لا تَضُرُّ وتَنفعُ
ان العـــروقَ اذا استسرَّ بهـا الثرى أشِرَ(١) النباتُ بها وطاب المَزرعُ
فـــاذا نَكِرتَ مـن امرىءٍ أعراقَه وقديمَـه فانظُر الى ما يَصنَـعُ

فقال : كأني ، والله ، لم اسمع هذا القولَ الا الساعةَ . فقلت : وكيف ذلك وقد وهبتَ له ثلاثين الفَ درهمٍ ؟ فقال : ما ثلاثون الفَ دينارٍ بمكافأةٍ له ، فكيف ثلاثون الفَ درهمٍ ؟ وفيه يقول :

ما لَقِينا من جُودِ فضلِ بـنِ يحيى تَركَ الناسَ كلَّهم شُعَـــراء

فقيل فيه : ما في الدنيا احسنُ من هذا المعنى .

محمد بن عبد الملك الزيّات

يُكنّى ابا جعفر. كان ابوه تاجرا من تجّار الكَرخِ المَياسير. فكان يَحثُّه على التجارة وملازمتها فيأبى إلا الكتابةَ وطَلَبها ، وقصد المعالي حتى بلغ منها أن وَزَر ثلاثَ دفعات .

كان محمدُ بنُ عبدِ الملك شاعرا مُجيدا لا يُقاس به احدٌ من الكُتّاب ، وإن كان ابراهيمُ بنُ العبّاس مثلَه في ذلك ، فإن ابراهيمَ مُقِلٌ وصاحبُ قِصارٍ . وكان محمدٌ شاعرا يُطيل فيُجيد ، ويأتي بالقِصار فيُجيد . وكان بليغا حسنَ اللفظ .

لما مدح محمدُ بنُ عبد الملك الحسنَ بنَ سهلٍ ووصلَه بعشرة آلافِ درهمٍ . مَثَل بين يديه وقال له :

لم امتدِحك رَجـــاءَ المـالِ أطلبُه لكن لتُلبِسَني التَحجيلَ والغُرَرا
وليس ذلك إلا أننـــي رجـــلٌ لا أطلُب الوِردَ حتى أعرِفَ الصَدَرا

قال هارون بن محمد بن عبد الملك :

(١) أشر النبات : ترعرع . استسر : هي هنا بمعنى ذهب في سر التربة وعمقها .

جلس ابي يوما للمظالم ، فلما انقضى المجلس رأى رجلا جالسا ، فقال له : ألَكَ حاجةٌ ؟ قال : نعم . تُدنيني اليك فإني مظلوم . فأدناه فقال : اني مظلوم وقد أعوزني الإنصافُ . قال : ومَن ظَلَمَك ؟ قال : انتَ ، ولستُ أصلُ اليك فاذكرُ حاجتي . فقال : ومَن يَحجبُك عني ، وقد ترى مجلسي مبذولا ؟ قال : يَحجبُني عنك هيبتي لك، وطولُ لسانِك ، وفصاحتُك ، واطِّرادُ حُجَّتِك . قال : ففيمَ ظَلَمتُك ؟ قال : ضيعتي الفلانيةُ اخذَها وكيلُك غَصبا بغير ثمن . فاذا وجب عليها خَراجٌ ادَّيتُه باسمي لئلا يَثبُتَ لك اسمٌ في مُلكها فيَبطُلَ مُلكي . فوكيلُك يأخذ غلَّتَها وانا أؤدي خَراجها ، وهذا مما لم يُسمع بمثله في الظُلم . فقال له : هذا قولٌ تحتاج فيه الى بيِّنة وشهود وأشياءَ . فقال له الرجل : أيؤمِنني الوزيرُ من غضبه حتى أجيبَ ؟ قال : قد أمَّنتك . قال : البيِّنةُ هم الشهودُ . واذا شَهِدوا فليس يُحتاجُ معهم الى شيء . فما معنى قولك : بَيِّنةٌ وشُهودٌ وأشياءُ ؟ أيْش هذه الاشياءُ إلا العِيُّ والتغطرسُ ؟ فضحك وقال : صدقتَ ، والبلاءُ مُوكَّلٌ بالمنطقِ ، وإني لأرى فيك مُصطنَعا . ثم وقع له بردِّ ضيعته، وصيَّره من اصحابه واصطنعه [1] .

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الملك : لما وثب ابراهيم بنُ المهدي على الخلافة اقترض من مياسيرِ التُجار مالا . فأخذ من جَدي عبدِ الملك عَشرةَ الاف دينارٍ ، فقال له : انا أرُدُّها اذا جاءني مالٌ . ولم يتِمَّ امرُه . فاستخفى ثم ظهر ، ورضي عنه المأمون . فطالبه الناسُ باموالهم فقال : انما اخذتُها للمسلمين ، واردتُ قَضاءَها من فَيئهم ، والامرُ فيها الانَ الى غيري .

فعمل ابي محمدٌ قصيدةً يُخاطب فيها المأمونَ ، ومضى بها الى ابراهيمَ بنِ المهدي فأقرأه اياها ثم قال : والله لئِن لم تُعطِني المالَ الذي اقترضتَه من ابي لأُوصلنَّ هذه القصيدةَ الى المأمون . فخاف أن يَقرأها المأمونُ فيُوقِعَ به ، فقال له : خذ مني بعضَ المال ونَجِّم [2] عليَّ بعضَه . ففعل ابي ذلك ، بعد ان أحلفه ابراهيمُ بأوكدِ الأيمان ألا يُظهِرَ القصيدةَ في حياة المأمون . فوفى له ابي بذلك ووفى ابراهيمُ بإداء المالِ كلِّه . والقصيدةُ طَويلةٌ منها :

ألم تَــرَ أن الشيءَ للشيء عِلَّــةٌ تكون له كالنار تُقدَحُ بالزَّنــدِ
وظَنِّي بــابراهيمَ أنَّ مكانَــه سيُبعَثُ يــوما مثلَ ايامه النُكدِ
اذا هــزَّ أعوادَ المنابرِ بــاستــه تغنَّى بليلى او بميَّةَ او هنــدِ
فوالله مــا مِن توبةٍ نَزَعت بــه اليكَ ولا مَيلٍ اليك ولا وُدِ
فمولاك مــولاه وجنــدُك جندُه وهل يَجمعُ القينُ [3] الحُسامَين في غِمدِ

سُئِل محمدٌ رأيَه في يَحيى بنِ خاقانَ قال : هو مهزولُ الالفاظِ ، عليلُ المعاني ، سخيفُ العقلِ ، ضعيفُ العُقدةِ ، واهي العَزمِ ، مأفونُ الرأي .

---

(١) اختاره لنفسه واصطفاه . (٢) اجعله نجوماً اي اقساطاً . (٣) الحداد وكل صانع .

ومما يُغنى فيه من اشعاره :

اذا احببـتُ لـم أسـلُ وإن واصلتُ لـم أقطـعْ
وان عاتبَنـي النـاسُ تصامَمـتُ فلم أسمَـعْ
وقد جرَّبـتُ ما ضـرَّ وقد جرَّبـتُ مـا ينفـعْ
وإن أوجَعَنـي العـذلُ فنيرانُ الهـوى أوجَـعْ
ولا ، واللـهِ ، مـا عنـدي لِما قد حلَّ بي مَدفَـعْ

كان الواثقُ قد اصلح بينَ محمدِ بنِ عبدِ الملك وزيرِه وبينَ أحمدَ بنِ ابي دُوادَ . وكان المتوكلُ يَدخُل على محمدِ بنِ عبد الملك في حياة الواثقِ يَشكو اليه جَفاءه له فيَتجهَّمُه محمدٌ ويُغلظُ له الردَّ ، الى ان قال يوما بحضرته : الا تَعجبون الى هذا العاصي يعادي اميرَ المؤمنين ثم يَسألُني أن أُصلِحَ له قلبَه ؟ إذهب ، ويلَك ، واصلُح له حتى يَصلُحَ لك قلبُه . فدخل اليه يوما وقد كان قال للواثقِ : إن جعفرًا يَدخُل الي وله شعرُ قفاً وطُرَّةٌ مثلُ النساء فقد فَضَحك . فأمره بان يَحلِقَهما ويُضربَ بشَعرهما وجهُه . فلما دخل اليه المتوكلُ فعل ذلك به .

فلما وَلِيَ المتوكلُ خَشِيَ ، إن نَكَبَ محمدَ بنَ عبدِ الملك عاجلا ، أن يَستتِرَ أسبابُه فتفوتَه بُغيتُه فيه . فاستوزره وخلع عليه . وجعل ابنُ ابي دُوادَ يُغريه حتى قبض عليه وقتله . فلم يجد له من املاكه كلِّها من عَيَنٍ ووَرِقٍ واثاثٍ وضيعةٍ إلا ما كانت قيمتُه مئةَ الفِ دينار ، فندِم على ذلك ، ولم يجِد منه عِوَضا . وكان يقولُ لابنِ ابي دُوادَ : أطمعتَني في باطل .

فلما قَبَض عليه المتوكلُ استعمل له تَنورَ حديدٍ وجَعل فيه مساميرَ لا يَقدِر معها ان يتحركَ إلا دخلت في جسده . ثم أحماهُ وجعله فيه . فكان يَصيح : ارحموني . فيقال له : كنت تقول : ما رحِمتُ احدًا قط . والرحمة ضُعفٌ في الطبيعة ، وخَوَرٌ في المُنَّة [1] فاصبر على حُكمِك .

وقال الحسنُ بنُ وَهبٍ يَرثي محمدَ بنَ عبدِ الملك بنِ الزيات ، وكان يَكتُب له وهو وزيرُ الواثق :

يَكادُ القلبُ من جَـزعٍ يطيـرُ اذا ما قيل قد قُتِل الوزيـرُ
اميرَ المؤمنين هَدمـتَ رُكنـا عليه رحاكُمُ كانت تَـدورُ
فمهلا يا بني العبّـاسِ مهـلا فقد كُويت بفعلِكمُ الصُـدورُ
الى كم تَنكُبون النـاسَ ظُلمـا لكم في كل مَلحمةٍ عقيـرُ [2]
كأنَّ اللهَ صيَّـركم ملوكـا لئلا تَعدِلوا ولأَنْ تَجـوروا

(١) القوة . (٢) عقر : نحر .

عَنان (١)

مولَّدة من مولَّدات اليمامة ، بها نشأت وتأدَّبت فاشتراها الناطفيُّ وربَّاها . كانت جميلةَ الوجهِ ، شَكِلَةً (٢) ، مليحةَ الادبِ والشعر ، سريعةَ البديهةِ ، وكان فحولُ الشعراء يساجلونها ويعارضونها فتنتصف منهم .

قال مَروان بن ابي حفصة : لقيني الناطفيُّ فدعاني الى عَنانَ . فدخل اليها قبلي فقال لها : قد جئتُك باشعرِ الناس . فوجدها عليلةً . فقالت : اني عن مروانَ لفي شُغل . فأهوى اليها بسَوطه فضربها وقال لي : ادخُل . فدخلت وهي تبكي . فرأيت الدموع تنحدر من عينيها فقلت :

بكت عَنانُ فجرى دمعُها كالدُرِّ اذ يَستَنُّ (٣) من خيطِهِ

فقالت وهي تبكي :

فليت مَن يضربُها ظالماً تَيبَسُ يُمناه على سَوطِهِ

فقلت له : عتَقَ مَروانُ ما يَملِكُه إن كان في الجنِ والإنس أشعرُ منها .

قال احدهم : تصفحتُ كتبا فوجدت فيها بيتا، فجَهدت جَهدي ان اجد من يُجيزه فلم أجد . فقال لي صديق : عليك بعنان . فجئتُها فانشدتها :

وما زال يشكو الحبَّ حتى رأيتُه تنفَّسَ في احشائه وتكلَّما

فقالت :

ويبكي فأبكي رحمةً لبُكائِهِ اذا ما بكى دمعاً بَكَيتُ له دَما

دخل ابو نواس على الناطفي وعنانُ جالسة تبكي وخدُّها على رزَّةٍ من مِصراعِ الباب، وقد كان الناطفيُّ ضربها . فأومأ الى ابي نُواسٍ أن يُحرِّكها بشيء ، فقال :

عَلِقتُ مَن لو أتى على أنفُسِ الماضين والغابرين ما نَدِما

فردَّت عليه :

لو نَظرَت عينُها الى حجرٍ وَلَّد فيه فتورُها سَقَما

---

(١) هذه الترجمة خلت منها نسخ الاغاني المطبوعة وقد نقل صاحب نهاية الارب في الجزء الخامس ترجمة لها عن ابي الفرج ص ٧٨ (عن طبعة الاغاني لدار الثقافة — بيروت) (٢) ذات دلال وغنج . (٣) ينصب .

قال الاصمعي : بعثت اليَّ امُ جعفر : إن اميرَ المؤمنين قد لَهَج بهذه الجارية عَنانَ . فإن صرفته عنها فلك حكمُك . فكنت أريغُ (١) لأجِدَ للقول فيها موضعا ، فلا أجده ، ولا اقدِرُ عليه هيبةً ، اذ دخلتُ يوما فرأيتُ في وجهه اثرَ الغضب ، فانخزلتُ . فقال : مالك يا اصمعي ؟ قلت : رأيتُ في وجه امير المؤمنين اثرَ غضب ، فلعنَ اللهُ مَن أغضبَه . فقال : هذا الناطفي ، والله ، لولا أني لم أجُر في حُكم قطُ متعمِّدا ، لجعلتُ على كل جَبَلٍ منه قِطعةً . مالي في جاريته اربٌ غيرُ الشعر . فذكرتُ رسالةَ امِ جعفرٍ فقلت له : والله ما فيها غيرُ الشعر ، فَيَسُرُّ اميرَ المؤمنين ان يُجامِعَ الفرزدقَ ؟ فضحِكَ حتى استلقى . واتصل قولي بأم جعفرٍ فاجزلت لي الجائزةَ . وقيل : ان الرشيدَ طلب من الناطفي جاريتَه عَنانَ ، فأبى ان يَبيعَها بأقلَّ من مئةِ الفِ دينارٍ ، على ان يأخذَ الدينارَ بسبعةِ دراهمٍ ، فامتنع عليه .

الحسن بن وهب

شاعرٌ كاتبٌ مترسِّلٌ فصيح اديب . ويُكنَّى ابا علي وهوعريق في الكتابة ، ولأولاده نَجابة مشهورةٌ ، وأهلُهم نصارى ، واخوه سليمان بن وهب بمحلٍ من الكتاب . وكان البحتري مَدَّاحا لهم . وله فيه بعد وفاته :

نَزَلنا منزِلَ الحسنِ بنِ وهبٍ وقد دَرَست معالمَه القِفارُ
أقمنا اكلُنا اكلُ استلابٍ هناك وشُربُنا شُربٌ يُدارُ
وما أن ذاك من سُخفٍ ولكن رأيتُ الشَرْبَ (١) سَخَفُهُمُ الوَقارُ

لما حبَسَ محمدُ بنُ عبدِ الملك الزياتُ سليمانَ بنَ وهبٍ وطالبَه بالاموال ، قال الحسنُ :

أُسائلُ عندَ الحارسينَ لحبَسِه اذا ما أتَوني كيفَ امسى وأصبحا
وقُولا لهم صبرًا عليه وأصبِحوا فما أقربَ الليلَ البهيمَ منَ الضُحى

وقيل له ، وسليمانُ محبوسٌ : كيف اصبحتَ ؟ فقال : اصبحتُ عليلَ النشاط ، كالَّ القريحة ، صَدِيءَ الذِهنِ ، مَيِّتَ الخاطرِ من سوء فعلِ الزمان ، وتَوَرُّدِ الاحزان ، وتغيُّرِ الإخوان . وآلى ألاَّ يذوقَ طَعاما طيبا ، ولا يشربَ ماءً باردا ، ما دام اخوه محبوسا . فوفى بذلك . قال احدهم : كنت اكتب في حداثتي بين يدي الحسن بن وهب ، وكان شديدَ الشغف ببنات ، جاريةِ محمدِ بنِ حَمّاد. فكنا يوما عنده ، وهي تغني بين ايدينا ، وعندنا كانونُ فحم ، فتأذت به ، فأمرت ان يُباعَدَ. فقال الحسن :

(١) اتوقع واطلب . (٢) جمع شارب . (٣) انخزل : تثاقل في سيره ، انقطع عن الكلام .

بأبي كَرِهتِ النـــارَ حتى أُبعِـــدَت فعلِمتُ ما مَعناكِ في إبعادِهـــا
هي ضَرَّةٌ لك بالتماعِ ضيائهـــا وبحُسنِ صورتِها لدى إيقادِهـــا

وعاتبه اخوه سليمانُ في حبه لبناتَ فقال حسن :

اذا امرتكَ العاذلاتُ بهجرهـــا أبت كَبِدٌ عمّا يقُلن صَديـــعُ
وكيف أُطيعُ العاذلاتِ وحبُّهـــا يُؤرِّقني والعاذلاتُ هُجـــوعُ

وعلمت بناتُ بما جرى فأخذت العودَ وغنَّت :

يَلومُكَ في مودتِهـــا رجـــالٌ لوَ آنهمُ بدائكَ لم يلومـــوا

وكتب اليها يوما :

انكرتِ معرفتي جُعلتُ لكِ الفِـــدا إنكارَ سيدةٍ تُلاعِبُ سيـــدا
انا ذو[1] منَعتِ جفونَه أن تَرقُـــدا وتركتِه ليلَ التَمامِ مُسهَّـــدا
وبرَيتِ لحمَ عِظـــامِه فتجـــرَّدا وأَزَرتِ[2] مضجعَه النِساءَ العُوَّدا

وكان الحسن بن وهب يشرب عند عبد الله بن طاهر ، فعرضت سحابة ، فبرقت ، ورعدت وقطرت . فقال الحسن :

هطلَتنا السمـــاءُ هطلاً دِراكـــا عارضَ المرزَمانِ فيها السِماكا[3]
قلتُ للبرقِ اذ تألَّقَ فيهـــا : يا زنادَ السماءِ من أوراكا[4]
احبيـــبٌ نأيتَـــه فبكاكـــا فهو العارضُ الذي استبكاكـــا
ام تشبهتَ بالاميـــرِ ابي العبّـــاسِ في جودِه فكنتَ كذاكـــا

كتب الحسن الى ابي تمام وقد قَدِم من سفر :

جُعِلت فِداكَ ، ووقاكَ ، واسعدَني اللهُ بما أوفى عليَّ من مَقدمِك ، وبلغ الوطرُ كلَّ الوطر من انضمامِ اليدِ عليك ، وإحاطة المُلك بك ، واهلا وسهلا ، فقرَّبَ اللهُ دارًا قرَّبتَك ، وأحيا رِكابا أدَّتك ، وسَقى بلدةً ليلُها ونهارُها عليك ، وجعلَك اللهُ في أحسنِ مَعاقله ، وأيقظِ محارسه .

(١) الذي في لغة بني طيء . (٢) أزرت : حملتهن على زيارته . (٣) المرزمان والسماك : نجوم .
(٤) أورى : قدح واوقد أوار النار ولسانها .

العطوي

هو محمدُ بنُ عبد الرحمن، مولى بني لَيث. بَصريٌّ المولِد والمَنشأ. كان شاعرا كاتبا من شعراء الدولة العباسية ، اتصل باحمدَ بنِ ابي دُواد وتقرَّب اليه ، فلما تُوفّي احمدُ نقصت حالُه.
وله فيه مراثٍ كثيرةٌ ، منها :

أَحنَطتَهَ يــا نصرُ بالكافــورِ ورفعتَه للمنــزل المَهجــورِ
هلا ببعض خِصــاله حَنَّطتَــه فيضوعَ أُفقُ مَنازلٍ وقبــورِ
واللــهِ ما ابتُنتُــه لأزيــدَه شرفا ولكن نَفثَــةُ المصــدورِ

وله فيه ايضا :

وليس صريرَ النعــشِ ما تَسمعونــه ولكنَّه أصلابُ قومٍ تَقَصَّــفُ
وليس نسيمَ المِسكِ رَيَّــا حَنوطِــه ولكنَّه ذاك الثَّناءُ المُخلَّــفُ

سمع العَطويُّ رجلا يُحدِّث أن رجلا قال لعمرَ بنِ الخطاب : إن فلانا قد جمع مالا . فقال عمر : فهل جمع له أياما ؟ فأخذ العطوي هذا المعنى فقال :

جمعتَ مالا ففكِّــر هل جمعتَ لــه يا جامعَ المالِ اياماً تُفرِّقــهُ
المــالُ عندَك مخزونٌ لوارثِــه ما المالُ مالُك إلا حينَ تُنفِقــهُ

ومن قوله في النُدمان والنبيذ :

فكم قالوا تَمــنَّ فقلتُ كأســا يَطوف بها قضيبٌ في كَثيــبِ
ونُدماناً تُساقِطُنــي حديثــا كلحظِ الحِبِّ او غَمَضٌ الرقيــبِ

وقال ايضا :

أَدِرِ الكأسَ قد تعــالى النهــارُ ما يُميتُ الهُمومَ الا العُقــارُ
صــاحِ هذا الشِتاءُ فاغدُ عليهــا إن ايامَه لِذاذٌ قِصــارُ
وقِيــانٌ كأنهــنَّ ظِبــاءٌ فاذا قُلــنَ قالتِ الأوتــارُ

قال اسحاق الموصلي : كان يألفني بعض الاعراب ، وكان طيبا ، فجاءني يوما فقلت له : لم أرَك امسِ ، فقال : دعاني صديقٌ لي . فقلت : صِف لي ما كنتم فيه . فقال لي : كنا في مجلسٍ نِظامُه

سرورٌ بين قُدورٍ تَفورُ، وكأسٍ تدورُ، وغِناءٍ يَصُورُ (١)، وحديثٍ لا يَجورُ، ونُدامى كأنَّهم البدورُ.

وقال اسحاق: وقلتُ لأعرابيٍّ كان يَألَفُني: اينَ كنتَ بالامس؟ قال: كنتُ عند بعض ملوك سُرَّ مَن رأى، فأدخلني الى قُبَّةٍ كإيوانِ كِسرى، وأطعمني في قِصاعٍ تَترى، وغنتني جاريةٌ سَكرى، تلعب بالمِضراب كأنه مِدرى، فيا ليتَني لقيتُها مرةً أخرى.

وقال اسحاق: قلت لبعض الأعراب: طلبتُك أمسِ فلم اجدك، فأين كنت؟ قال: كنت عند صديقٍ لي، فأطعمني بناتِ التنانيرِ، وامهاتِ الابازيرِ، وحُلواءَ الطناجير، وسقاني زُعافَ (٢) القَواريرِ، وأسمعني غِناءَ الشادنِ الغَريرِ، على العيدان والطَنابير، قد مُلِكَت بأوقارِ الدراهم والدنانير.

فأخذ العطوي كلامَ اسحاق وقال:

يومٌ مَطيـــرٌ وعيشٌ نَضيـــــرُ ... وكأسٌ تدورُ وقِـــدرٌ تَفُـــورُ
وعَثعثُ (٣) تأتيـــك لو جئتَنـــا ... فتَسمعَ منها غِناءً يَصُـــورُ

ماني الموسوس

هو محمد بن القاسم من اهل مِصرَ يُكنّى ابا الحَسن، وماني لقبٌ غَلَبَ عليه. قَدِمَ مدينةَ السلام. شاعرٌ ليِّنُ الشعر رقيقُه لم يقل شيئا الا في الغزل. فكان يُنشد الشيء ثم يُخالِط فيَقطعُه.

من غزله:

سئِمتُ وردَ الصبـــا فقد يَئِسـت ... مني بناتُ الخدورِ والخَـــزَفِ (٤)
سلَوتُ عن نُهَّدٍ نُسِبـــن الـــى ... حُسن قَوامٍ واللحظُ في وَطَفِ (٥)
ومُدنَفٍ عاد في النُحـــول من الوجد ... الى مثـــلِ رقَّـــةِ الألِـــفِ
يُشارِكُ الطيرَ في النحيـــب ولا ... يَشرُكنَه في النحول والقَضَفِ (٦)

---

(١) صاره يصوره: اماله. (٢) زعف: قتل، ويقال: سم زعاف: يقتل فوراً. اي سقاني خمراً صرفاً تقتل لشدتها. (٣) مغنية. (٤) بنات الخزف: كناية جميلة عن الخمر ابنة الدنان. (٥) الوطف: كثرة شعر الحاجبين والهدبين، فقيل: امرأة وطفاء. (٦) الدقة.

سمع جارية تغني

حَجَبوهــا عن الريــاحِ لأني ... قلت : يا ريحُ بلّغيها السلاما
لو رَضُوا بالحجــابِ هان ولكــن ... منعوها يومَ الرياحِ الكلامـا

فأضاف اليهما هذين البيتين :

فتنفستُ ثم قلــت لطيفــي ... وَيْكَ إن زُرتَ طيفَها إلماما
حيِّها بالســلام ســرًّا وإلا ... منعوها لشَقوتــي أن تناما

ومن شعره :

وعاذلٍ باصطبــار القلبِ يَأمُرُنــي ... فقلت من اينَ لي قلبٌ أُصَبِّــرُهُ
نفسي ، على بُخله ، تَفديه من قمــرٍ ... وإن رماني بذنبٍ ليس يَغفِــرُهُ
وما جرحتُ بلحظ العين بهجتَــه ... الا ومن كَبِدِي يَقتصُّ مَحجِرُه[1]

عبد الله بن يحيي وابو حمزة

كان عبد الله بن يحيى الكِندي من حَضرَ مَوتَ وكان مجتهدا عابدا. فرأى باليمن جَورا ظاهرا وعَسفا شديدا وسيرةً في الناس قبيحةً فقال لاصحابه: ما يَحِلُّ لنا المُقامُ على ما نرى، ولا يَسعُنا الصبرُ عليه . وكتب الى الإباضيَّةِ[2] بالبصرة يشاورهم في الخروج ،، فكتبوا اليه : ان استطعتَ ألاّ تُقيمَ يوما واحدا فافعل ، فانَّ المبادرةَ بالعمل الصالحِ افضلُ ، ولستَ تدري متى يأتي عليك أجلُك ، ولله خِيرةٌ من عِباده يَبعثُهم اذا شاء لنُصرة دينه ، ويختصُّ بالشِهادة منهم مَن يشاء .

وشَخَص اليه ابو حمزةَ المختارُ بنُ عَوفٍ الأزديُّ وبَلجُ بنُ عُقبةَ السقوري[3] في رجال من الإباضيَّة، فقَدِموا عليه فحَثُّوه على الخروج ، وأتَوه بكتبِ أصحابه : اذا خرجتم فلا تَغلُوا

---

(١) محجر : مستقر العين . (٢) الاباضية : فرقة في عداد الخوارج او المحكمة تنسب الى عبد الله بن إباض تقول في الالهيات بمبدأ الخلق . وفي حرية الاختيار : بان الفعل مخلوق لله ومكتسب للعبد. وفي الكونيات : بانها مهيأة لغاية هي الانسان فاذا في كان ضرورياً للعالم ان يفنى ايضاً والا بات فاقد الغاية . وفي الاحكام : فرقت بين الكفر والشرك ، فالراضي بالجور كافر لا مشرك. كما فرقت بين التوحيد والايمان، فمرتكب الكبيرة موحد لا مؤمن ، وبنت عليه تفرقة اخرى بين كفر النعمة وكفر الملة ، ولم تزل موجودة حتى اليوم في شمال افريقية وعمان وزنجبار . (٣) في شرح نهج البلاغة : وبلج بن عقبة المسعودي .

ولا تَغدُروا، واقتدُوا بسَلفكم الصالحين وسيروا سيرتَهم. فدعا اصحابه ، فبايعوه ، وقصدوا دارَ الإمارة ، وعلى حضرَ مَوتَ ابراهيمُ بنُ جبلةَ الكِندي. فأخذوه فحبسوه ثم أطلقوه ، فأتى صنعاء .

واقام عبدُ الله بحضر مَوتَ وكثُر جمعُهُ وسمُّوه : طالبَ الحق . فكتب الى مَن كان من اصحابه بصنعاء : إني قادم عليكم . وتوجَّه الى صنعاء وبلغَ القاسمَ بنَ عُمر ، اخا يوسفَ بنِ عمر ، وهو عاملُ مَروانَ بنِ محمد على صنعاء ، مَسيرُ عبدِ الله، فخرج يريدُ الإباضيَّةَ في سِلاحٍ وجمعٍ كثير . فلَقِيَه عبدُ الله بلَحجٍ ، قريبا من الليل . فقال الناس للقاسم : ايُها الامير ، لا تُقاتِل الخوارج ليلا . فأبى وقاتلهم . فقَتلوا من اصحابه بشرا كثيرا وانهزموا ليلا . ثم انهزم اهلُ صنعاء . ودخل عبدُ الله صنعاء وجمعَ الخزائنَ والاموالَ فأحرزَها .

فلما استولى عبدُ الله على اليمن خطب الناسَ وقال :

إنا ندعوكم الى كتاب الله وسُنَّةِ نبيِّه . الإسلامُ دينُنا ، ومحمدٌ نبيُّنا ، والكعبةُ قِبلتُنا ، والقُرآنُ إمامُنا . رضينا بالحَلال حلالاً وحَرَمنا الحرامَ ونبذناه وراء ظهورِنا . من زنى فهو كافر . ومن سَرق فهو كافر . ومن شرب فهو كافر . ومن شكَّ في أنه كافرٌ فهو كافر . ندعوكم الى توحيد الرب ، وإداء الفرائض ، والامرِ بالمعروف ، والنهي عن المنُكَر .

أُوصيكم بتقوى الله وحُسنِ القيام على ما وَكَلكم اللهُ بالقيام به . اقول هذا واستغفر الله لي ولكم .

واقام عبدُ الله بصنعاء بحُسن السيرة ، فكثُر جمعُهُ . فلما كان وقتُ الحج وجَّه ابا حمزةَ المختارَ وبَلجاً وأبرَهةَ الى مكةَ في تسعِمئةٍ ، وامره ان يُقيمَ بمكةَ اذا صَدرَ الناسُ ، ويوجِّهَ بلجاً الى الشام .

واقبل المختارُ الى مكةَ فقَدمها يومَ التَرويَةِ وعليها عبدُ الواحدِ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملك ، فكَرِه قِتالَهم ، وخلَّى مكةَ لابي حمزةَ فدخلها بغير قتال . ومضى عبدُ الواحد حتى دخل المدينة . وكتب الى مَروانَ يعتذر من إخراجه عن مكةَ . فكتب مروانُ الى عبدِ العزيز بنِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز ، عامله في المدينة ، يأمرُه بتوجيه الجيشِ الى مكةَ. فوجَّه ثمانيةَ آلافِ رجلٍ من قريشٍ والانصارُ والتُجَّارُ ، أغمارٌ[1] لا عِلمَ لهم بالحرب . فخرجوا في المُصبَّغات والثيابِ الناعمة واللهو ، لا يظنون أن للخوارج شوكةً ولا يَشكُّون أنهم في ايديهم . فانهزموا في قُدَيدٍ هزيمةً لم تُبقِ منهم باقيةً ، وبلغت قتلى قُديدِ الفين ومئتين وثلاثين رجلا ، ورجَع ابو حمزةَ الى مكةَ ومضى عبدُ الواحدِ الى الشامِ . ثم دخل ابو حمزةَ المدينةَ سنة ثلاثين ومئةٍ ، فرَقى المِنبر وحمدَ اللهَ وأثنى وقال :

تَعلَّموا – اي اعلموا – يا أهلَ المدينة أنَّا لم نخرج من ديارنا أشَرًا ولا بَطَرا . ولا لدولةٍ

(١) أغمار : جمع غمر اي الساذج والغر .

مُلك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأرٍ قديمٍ نِيلَ منا . ولكنا لما رأينا مصابيحَ الحق قد عُطِّلت ، وعُنِّفَ القائلُ بالحق ، وقُتِل القائمُ بالقِسط (١) ، ضاقت علينا الارضُ بما رَحُبت ، وسمعنا داعيا يدعو الى طاعة الرحمن ، وحُكمِ القرآنِ ، فأجبنا داعيَ الله ، فأقبلنا من قبائلَ شتى ، النَّفَرُ منا على بعيرٍ واحد ، عليه زادُهم وأنفسُهم ، يتعاورون لِحافاً واحدا ، قليلون ، مُستضعَفون في الارض ، فآوانا اللهُ وايَّدَنا بنَصره ، ثم لَقِينا رجالَكم بقُدَيد ، فدعَوناهم الى طاعة الرحمن وحُكمِ القرآنِ ، ودَعَونا الى طاعةِ الشيطانِ وحُكمِ مَروانَ وآلِ مَروانَ ، شتَّانَ ، لَعَمرُ الله ، ما بين الغَيِّ والرُشد . فدارت رَحانا واستدارت رَحاهم بضربٍ يرتاب منه المُبطِلون . وانتم يا اهلَ المدينة إن أولَكم خيرُ اول ، وآخرَكم شرُّ آخرٍ . يا اهلَ المدينة ، بَلَغني أنكم تَنتقصون أصحابي . قلتم : هم شبابٌ احداثٌ ، وأعرابٌ جُفاةٌ . ويَحكم ، وهل كان اصحابُ رسولِ الله إلا شباباً أحداثاً ، شبابٌ مكتهلون في شبابهم ، غضيضةٌ عن الشر أعيُنُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أقدامُهم ، قد باعوا أنفُساً تموت غداً بأنفسٍ لا تموت ابدا ، قد خلَطوا كَلالهم بكَلالِهم ، وقيامَ ليلِهم بصيامِ نَهارهم ، منحنيةٌ اصلابُهم (٢) على أجزاءِ القرآن ، كلَّما مرُّوا بآيةِ خوفٍ شَهقوا خوفا من النار . واذا مرُّوا بآيةِ شوقٍ شَهقوا شوقا الى الجنة . فلما نظروا الى السيوف قد انتُضِيت ، والى الرماح قد أُشرِعت ، والى السِهام قد فُوِّقَت ، وأُرعِدت الكتيبةُ بصواعقِ الموت ، استخفُّوا وعيدَ الكتيبةِ عندَ وعيدِ الله ، فطوبى لهم وحُسنُ مَآبٍ .

وانتخب مروانُ من عسكره من اهل الشام ووجوهِهم اربعةَ آلافٍ استعمل عليهم عبدَ الملك بنَ عطيَّةَ السعديَّ ، وشرَطوا على مروانَ أنهم اذا قتلوا عبدَ الله بنَ يحيى واصحابَه رجَعوا الى الجزيرة ولم يُقيموا بالحجاز ، فأجابَهم على ذلك .

وبعث ابو حمزةَ بَلجَ بنَ عُقبةَ في ستمئةِ رجلٍ ليقاتِلَ عبدَ الملك بنَ عطيةَ ، فلقيَه بوادي القُرى ، فقُتِل بلجٌ واكثرُ اصحابِه ، ونجا ثلاثون . فرجَعوا الى ابي حمزةَ .

وخرج ابو حمزةَ من المدينة الى مكةَ . لما التقى ابو حمزةَ وابنُ عطيةَ قال ابو حمزة : لا تقاتلوهم حتى نَختبِرَهم . فصاح بهم : ما تقولون في القرآنِ والعملِ به ؟ فصاح ابن عطيةَ : نضعُه في جوفِ الجوالق . قال : فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال : نأكلُ مالَه ونفجُر بأمه . فلما سمعوا كلامَهم قاتلوهم حتى أمسَوا . فصاحت الشُراةُ : ويحَك يا ابنَ عطيةَ إن اللهَ قد جعل الليلَ سَكَناً ، فاسكُن ونَسكُنُ . فأبى وقاتلَهم حتى قتلَهم جميعا . وصلب ابا حمزةَ وأبرَهةَ بنَ الصبَّاحِ ورجلَين على فم الشِعب ، شِعب الخيف . ولم يزالوا مُصلَّبين حتى أفضى الامرُ الى بني العباس . وحجَّ مهلهلٌ الهُجيمي في خِلافة ابي العباس فأنزل ابا حمزةَ ليلا فدفنه ودفن خشبتَه .

واتى فَلٌّ ابي حمزةَ الى عبدِ الله بنِ يَحيى بصنعاءَ فأقبل يُريد قِتالَ ابنِ عطيةَ . فالتقَوا بكَثَّةَ .

(١) بالعدل . (٢) ظهورهم .

فأكثر اهلُ الشام ِ القتلَ فيهم ، فترجّلَ عبدُ الله ِ بنُ يَحيى في الف فارس ِ ، فقاتلوا حتى قُتلوا جميعا عن آخرِهم . وبعثَ ابنُ عطيةَ رأسَ عبدِ الله ِ بن ِ يَحيى الى مروان .

وكتب مروانُ الى ابن عطيةَ يامرُه بالمسير الى صنعاء ليُقاتلَ مَن بها من الخوارج . فلما قَرُب من صنعاء هرب عاملُ عبد ِ الله بن ِ يَحيى عنها ، وتتبع اصحابَ عبد الله بن ِ يَحيى في كل موضع يقتُلهم . ثم ورد عليه كتابُ مروانَ بن ِ محمد يامرُه بالتعجُّل الى مكةَ ليَحُجَّ بالناس . فَشخَص الى مكةَ متعجِّلا مُخفًّا في بُضعةَ عَشَرَ رجلا . فلما كان بارض ِ مُراد ِ تلفَّفت عليه جماعةٌ فقالوا : ما ننتظر بهذا أن نُدرك ثأرَ أخوانِنا فيه . فقتلوه .

القُطامي

اسمه عُمَير ، وكان نصرانيا ، وهو شاعر اسلامي مُقلٌّ ، مُجيد . والقُطاميُّ لقبٌ غَلَب عليه .

قال الشعبي : قال عبدُ الملك بنُ مروان ، وانا حاضر ، للاخطل : يا اخطلُ ، تُحبُّ أن لك بشعرك شعرَ شاعر ٍ منَ العرب ؟ قال : اللهم ، لا ، إلا شاعرًا منا مُغدَفُ[1] القِناع ِ ، خاملُ الذِكر ، حديثُ السن ، ولوَددتُ أني سبقتُه الى قوله :

يَقتُلنَنا بحديث ٍ ليس يَعلمُه ... مَن يَتَّقين ولا مكنونُه بادي

وهي من قصيدة اولُها :

ما اعتادَ حبُّ سليمى حينَ مُعتاد ِ ... ولا تَقضَّى بَواقي دَينها الطادي [2]
بيضاءُ مَحطوطةُ المتنَين بَهنَكةٌ ... رَيّا الروادف ِ لم تُمغِل بأولاد ِ [3]
ما للكواعب ودَّعنَ الحياةَ كما ... ودَّعنَني واتخذن الشيبَ ميعادي
ابصارُهن الى الشُبَّان ِ مائلةٌ ... وقد أراهُن عني غيرَ صُدّاد ِ
يَقتُلنَنا بحديث ٍ ليس يعلَمُه ... مَن يتَّقين ولا مكنونُه بادي
فهن يَنبُذنَ مِن قول ٍ يُصبن به ... مواقعَ الماء من ذي الغُلَّة ِ الصادي [4]

(١) اغدف القناع ارسله على وجهه . يريد انه ليس مشهوراً . (٢) الثابت القديم . (٣) محطوطة : لطيفة . بهنكة : غضة ، شابة . المغل من النساء التي تلد كل سنة ، وتحبل قبل فطام رضيعها . اي لم يكثر ولدها فيرهل لحمها .
(٤) الصادي : الظامىء . الغلة : شدة العطش وحرقته .

وقيل : فانشده قول القطامي :

إنا مُحيُّوكَ فاسلم ايها الطللُ وإن بَليتَ وإن طالت بك الطيَلُ

فقال الشعبي : قد قال القطامي افضل من هذا . قال : وما قال ؟ قلت : قال :

وجَثت (١) على رُكَبٍ تَهُدُّ بها الصفا وعلى كلاكِلَ كالنقيل المُطرَقِ (٢)
واذا سمِعنَ الى هماهمِ رُفقةٍ ومن النجوم غوابرٌ لم تَلحَقِ
جَعلت تُميلُ خدودَها آذانُها طَرَباً بهن الى حُداء السُوَّقِ
كالمنصتاتِ الى الزميرِ سمِعنَه من رائعٍ لقلوبهن مُشَوَّقِ
فاذا نظرن الى الطريق رأينه لَهَقاً كشاكلة الحصان الأبلَقِ

فقال عبد الملك : ثكلت القطاميَّ امُّه ، هذا والله الشعر .

قال النطّاح : القطاميُّ اولُ مَن لُقِّب صريعَ الغواني بقوله :

صريعُ غوانٍ راقَهن ورُقنَه لَدُن شبَّ حتى شابَ سودُ الذَّوائِبِ (٣)

اولُ ما حرَّك من القطامي ورفع من ذكره أنه قَدِمَ في خلافة عمرَ بنِ عبد العزيزِ دمشقَ ليمدحَه ، فقيل له : إن الشعرَ لا يَنفُقُ عندَ هذا ، وهذا عبدُ الرحمنِ بنُ سليمانَ بنِ عبدِ الملك فامدحه . فمدحه بقصيدة اولُها :

إنا مُحَيُّوكُ فاسلم ايها الطلَلُ وإن بَليتَ وإن طالت بك الطيَلُ (٤)
ليس الجديدُ به تَبقى بَشاشتُه الا قليلا ولا ذو خُلَّةٍ يَصِلُ

ومنها في وصف النوق :

يَمشين رَهواً (٥) فلا الأعجازُ خاذِلةٌ ولا الصدورُ على الأعجازِ تَتَّكِلُ
إن ترجِعي من ابي عثمانَ مُنجِحَةً فقد يهون على المستنجِحِ العَمَلُ
قد يُدرِكُ المتأني بعضَ حاجتِه وقد يكون مع المستعجِلِ الزَلَلُ
والعيشُ لا عيشَ إلا ما تَقَرُّ به عينٌ ولا حالَ الا سوف تَنتقِلُ

فقال له : كم أمَّلتَ مِن امير المؤمنين ؟ قال : امَّلتُ أن يعطيَني ثلاثينَ ناقةً . فقال : قد امرتُ لك بخمسينَ ناقةً مُوقَرَةً بُرًّا وتَمرا وثيابا .

قال الشيباني : لو قال القطامي بيته :

يَمشين رَهوا فلا الاعجازُ خاذلة . (اي النوق)

في صفة النساء لكان أشعرَ الناس .

(١) اي النوق . (٢) كلاكل : صدور الابل . النقيل : هنا الحجارة المدحرجة بالقوائم . المطرق : المطبق بعضه على بعض . (٣) الذوائب : جمع ذؤابة أي شعر مقدم الرأس . (٤) الدهور . (٥) رهو : رفيق ، سير سهل ، رفيق على هينة .

ابو صخر الهذلي

هو عبد الله بن سَلْم السَهميُّ. وهو شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية. كان مواليا لبني مروان، متعصبا لهم.

لما ظهر عبدُ الله بنُ الزبير بالحجاز وغلب عليها، بعدَ موتِ يزيدَ بنِ معاويةَ، وتشاغل بنو اميةَ بالحرب بينهم في مَرجِ راهطٍ وغيرِه، دخل عليه ابو صخرٍ الهُذَلي في هُذَيلٍ، وقد جاؤوه ليَقبضوا عَطاءَهم، وكان عارفا بهواه في بني اميةَ، فمنعه عَطاءَه. فقال: على مَ تَمنَعُني حقًّا لي، وانا امرُؤٌ مسلم، ما أَحدثتُ في الإسلام حَدَثا، ولا أخرجتُ من طاعة يدًا؟ قال: عليك بني اميةَ فاطلُب عندهم عَطاءَك. قال: اذًا أَجِدُهم سِباطاً[1] أكُفُّهم، سَمحةً انفسُهم، بُذَلاءَ لأموالهم، وهَّابين لمُجتديهم، كريمةً اعراقُهم، شريفةً أصولُهم، زاكيةً فروعُهم، قريباً من رسول الله نسبُهم وسببُهم، ليسوا، اذا نُسبوا، بأذنابٍ، ولا وشائظَ[2]، ولا أتباعَ، ولا هم في قريشٍ كفَقعة[3] القاعِ، لهم السؤدَدُ في الجاهلية، لا كمَن لا يُعَدُّ في عيرِها ولا نَفيرِها، وكيف تُقابَلُ الرؤوسُ بالاذناب، واين النصلُ من الجَفنِ[4]؟ والسِنانُ من الزُجِّ[5]؟ والذُنابى من القُدامى، وكيف يُفضَّلُ الشحيحُ على الجَوادِ، والسُوقةُ على المَلِك.

فغضب ابنُ الزبيرِ حتى ارتعدت فرائصُه، وعرق جبينُه، واهتز من قَرنه الى قَدَمه، وامتقع لونُه ثم قال له: يا ابنَ البوَّالة على عَقِبَيها، ويا جِلفُ، يا جاهلُ، اما، واللهِ، لولا الحُرُماتُ الثلاثُ: حرمةُ الإسلامِ، وحرمةُ الحَرَم، وحُرمةُ الشَهر الحَرام، لأخذتُ الذي فيه عيناك.

ثم أمر به الى سِجنِ عارفٍ، فحُبِس به مدةً، ثم استوهبَته هُذَيلٌ فأطلقَه بعدَ سنة.

من مختار شعره قولُه:

وإني لتَعرُوني لذِكراكِ هِــــزَّةٌ ... كما انتفض العُصفورُ بلَّلهُ القَطرُ
هجرتُكِ حتى قيل لا يَعرِفُ الهــوى ... وزُرتُكِ حتى قيل ليس له صبرُ
اما والذي أبكى وأضحك والــذي ... أمات وأحيا .والذي امرُه الامرُ
لقد تَرَكَتني أحسِدُ الوحشَ أن ارى ... أليفَينِ منها لم يُروِّعهما الزَجرُ

(١) سباط: جمع سبط أي سخي. (٢) دخلاء. (٣) كمأة رخوة. (٤) غمد السيف. (٥) حديدة في أسفل الرمح.

تَكاد يدي تَندَى اذا ما لمستُهــــــا ويَنبُتُ في أطرافِها الورَق الخُضرُ
ويا حبَّها زِدني جوًى كلَّ ليلـــةٍ ويا سَلوةَ الايامِ مَوعِدُكِ الحَشرُ
عجِبتُ لسَعي الدهر بيني وبينَهــــا فلما انقضى ما بينَنا سَكَنَ الدهرُ
واني لآتيها وفي النَفس هَجرُهــــا بتاتا لاخرى الدهرِ ما وضح الفجرُ
فما هو إلا أن اراها فُجــــاءةً فأُبهتَ لا عُرفٌ لديَّ ولا نُكرُ

عروة بن حِزام

شاعر اسلامي من بني عُذرةَ احدُ المتيَّمين الذين قتلهم الهوى ، لا يُعرَف له شعر الا في عَفراءَ بنتِ عمه وتشبيبِه بها .

كان من حديث عُروةَ بن حِزام وعفراءَ بنتِ عِقالٍ أن حِزاما هَلَك وترك ابنَه عُروةَ صغيرًا في حِجر عمِّه عقال . وكانت عفراءُ تِربًا[1] لعروةَ ، يلعبان جميعا ويكونان معا ، حتى ألِف كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه إلفا شديدا . وكان عِقالٌ يقول لعروةَ – لِما يرى من إلفِهما – أبشِر فان عفراءَ امرأتُك ، ان شاء الله . فكانا كذلك حتى لحِقت عفراءُ بالنساء ، ولحِق عروةُ بالرجال . فأتى عروةُ عمَّةً له يقال لها هندٌ فشكا اليها ما به من حب عفراءَ ، وقال لها ، في بعض ما يقول لها : يا عمةُ ، اني لأُكلِّمكِ وانا منك مستَحي . ولكن لم افعل هذا حتى ضِقتُ ذَرعا بما انا فيه . فذهبت عمتُه الى اخيها فقالت له : يا اخي ، قد اتيتُك في حاجة أُحِب انْ تُحسِنَ فيها الردَّ ، فان اللهَ يأجُرُك بصِلة رحمِك في ما اسألك . فقال لها : قولي ، فلن تسألي حاجةً الا رددتُك بها . قالت : تُزَوِّجُ عُروةَ ابنَ اخيك بابنتك عفراءَ . فقال : ما عنه مذهبٌ ، ولا بنا عنه رغبةٌ ، ولكنه ليس بذي مالٍ ، وليست عليه عَجَلةٌ . فطابت نفسُ عروةَ وسَكَن بعضَ السكون .

وكانت امُّها سيِّئةَ الرأي فيه ، تُريد لابنتها ذا مالٍ ووَفر . وعرف عروةُ أن رجلا من قومه ذا يَسارٍ ومالٍ كثيرٍ يَخطُبُها . فأتى عمَّه فقال : يا عمِّ ، قد عرفتَ حَقي وقرابتي ، واني ولدُك وربيتُ في حِجرك ، وقد بلغني أن رجلا يَخطُبُ عفراءَ . فان أسعفتَه بطلبته قتلتَني وسفكتَ دمي . فأنشِدُكَ اللهَ ورَحمي وحَقي . فرقَّ له وقال : يا بني ، انت مُعدِمٌ ، وحالُنا قريبةٌ من

(١) على سنه .

حالك، ولستُ مُخرِجَها الى سواك ، وامُها قد أبت ان تزوجَها إلا بمَهرٍ غال . فاغترب واسترزق اللهَ . فعمل على قصد ابنِ عمٍ له مُوسرٍ كان مقيما باليمن . فجاء الى عمه وامرأته فأخبرهما بعزمه ، فصَوَّباه ، ووعداه ألاّ يُحدِثا حَدَثا حتى يعودَ . فقدِم على ابن عمه ، فلقيَه وعَرَّفه حالَه ، فوَصَله وكساه وأعطاه مئةً من الابل ، فانصرف بها .

وكان رجل من الشام نَزَل في حي عفراء وكان ذا مال ، فرأى عفراء فأعجبته وخطبها الى ابيها وأرغبَه في المَهر ، فأجابه وزوَّجه وساق اليه المَهر وحُوِّلت اليه عفراءُ ، وارتحل بها الى الشام . وعمد ابوها الى قبرٍ عتيقٍ فجدَّده وسوَّاه وسأل الحيَّ كِتمانَ امرِها .

وقَدِم عروةُ بعدَ ايام فنعاها ابوها اليه ، وذهب به الى ذلك القبرِ . فمكثَ يَختلِفُ اليه اياماً وهو مُضنىً هالكٌ ، حتى جاءته جاريةٌ من الحي فأخبرته فتركهم وركب واخذ معه زادا ونفقة ورحل الى الشام ، فقَدِمها وسأل عن الرجل فأُخبر به ودُلَّ عليه ، فقصده وانتسب له الى عَدنانَ فأكرمَه وأحسن ضيافته . فمكث اياما حتى أنِسوا به . ثم قال لجاريةٍ لهم : هل لكِ في يدٍ تُولينيها ؟ قالت : نعم . قال : تَدفعين خاتَمي هذا الى مولاتك . فقالت : اما تستحي لهذا القولِ ؟ فقال : ويحَكِ ، هي ، والله ، بنتُ عمي . فاطرَحي هذا الخاتَم في صَبوحها ، فإن أنكرت عليك ، فقولي لها : اصطَبَحَ ضيفُكِ قبلَكِ ، ولعلَّه سقط منه . ففعلت . فلما شربت عفراءُ اللبنَ رأت الخاتم فعرفته ، فشهقت ثم قالت : إصدِقيني عن الخبر . فصَدَقتها . فلما جاء زوجُها قالت له : أتدري مَن ضيفُكَ هذا ؟ قال : نعم ، فلان ابن فلان . فقالت : كلا . بل هذا عروةُ بنُ حِزامٍ ابنُ عمي ، وقد كتمك نفسَه حياءً منك . فبعث اليه فدعاه وعاتبه على كِتمانه نفسَه اياه وقال له : بالرحب والسعة . وخرج وتركه مع عفراءَ يتحدثان ، واوصى خادما (١) له بالاستماع عليهما ، وإعادةِ ما تَسمعُه منهما عليه .

فلما خَلَوَا تشاكَيا ما وَجَدَا بعدَ الفراق ، وهو يبكي أحرَّ بكاءٍ. ثم اتته بشَراب وسألته ان يشربَه. فقال : والله ما دخل جوفي حرامٌ ولا ارتكبته منذ كنتُ . ولو استحللتُ حراما لكنت قد استحللتُه منك. فانت حظّي من الدنيا ، وقد ذهبتِ مني وذهبتُ بعدَكِ فما اعيش ، وقد أجملَ هذا الرجل الكريمُ وأحسنَ ، وانا أستحي منه ، ووالله لا أُقيم بعدَ عِلمه مكاني ، وإني عالم أني أرحَلُ الى مَنيَّتي . فبكت وبكى وانصرف . فلما جاء زوجُها اخبرته الخادمُ بما دار بينهما . فقال : يا عفراءُ ، امنعي ابنَ عمِكِ من الخروج . فقالت : لا يَمتنع . هو ، واللهِ ، أكرمُ واشدُّ حياءً أن يُقيمَ بعد ما جرى بينكما . فدعاه وقال له : يا اخي ، اتقِ اللهَ في نفسك . فقد عرفت خبرك ، وإنك إن رحلتَ تَلفتَ . ووالله لا أمنعُكَ من الاجتماع معها ابدا . ولئن شئتَ لأُفارِقَنَّها ولأَنزِلَنَّ عنها لك . فأثنى عليه وقال : انما كان الطمعُ فيها آفتي ، والانَ قد يَئِستُ ، وقد حَمَلتُ نفسي على الصبر ، فانَّ اليأسَ يُسلي ، ولي امورٌ ، ولا بدَّ لي من رجوعي اليها . فان وجدتُ من نفسي قوةً على ذلك والا

(١) للمذكر والمؤنث .

رجَعتُ اليكم وزُرتكم حتى يقضيَ اللهُ من أمري ما يشاء . فزوَّدوه وأكرموه وشيَّعوه ، فانصرف . فلما رحل عنهم نكَس بعد صلاحه وتماسُكه وأصابه غَشيٌ وخفَقانٌ . فكان كلَّما أُغمي عليه أُلقي على وجهه خِمارٌ لعفراء زوَّدته اياه فيُفيق .

ولَقيَه في الطريق ابنُ مكحول عرَّافُ اليمامة ، فرآه وجلس عنده وسأله عما به ، وهل هو خَبَلٌ او جُنونٌ ؟ فقال له عروة : ألكَ عِلمٌ بالأوجاع ؟ قال : نعم . فأنشأ يقول :

وما بيَ من خَبْلٍ ولا بيَ جِنَّـــةٌ ... ولكنَّ عمي يا أُخَيَّ كَـذوبُ
اقول لعرَّافِ اليمـامةِ داوِنـي ... فإنك إن داويتَني لَطبيـبُ
فَـوَا كَبِداً امست رُفاتـاً كأنما ... يُلذِّعُهـا بالمُـوقِدات لهيبُ
عشيَّةَ لا عفـراءُ منـكَ بعيدةٌ ... فتَسلو ولا عفـراءُ منك قريبُ
وإني لتَغشانـي لِذكـراكِ هِزَّةٌ ... لها بين جِلـدي والعِظامِ دَبيبُ

وقال ايضا :

يكلِّفـني عمـي ثمانـين ناقـةً ... وما ليَ يا عفراءُ غيرُ ثمانِ (١)
جعلتُ لعـرَّاف اليمامـةِ حُكمَـه ... وعـرَّافِ حَجرٍ إن هما شَفَياني
فمـا تـركا مـن حيلة يَعرِفـانها ... ولا شُربةٍ إلا وقـد سَقَياني
ورَشَّا عـلى وجهي من الماء ساعةً ... وقاما مع العُـوَّادِ يَبتـدرانِ
وقالا شَفـاكَ اللهُ ، واللهِ مالَنـا ... بمـا ضُمِّنَت منك الضلـوعُ يدانِ
فويلي عـلى عفـراءَ ويـلا كأنـه ... على الصدر والأحشاء حَـدٌّ سِنانِ
تحمَّلتُ مـن عفـراءَ ما ليس لي به ... ولا للجبال الـراسياتِ يدانِ
كـأن قَطاةً عُلِّقت بجَناحهـا ... على كَبِـدي مـن شدَّةِ الخفَقانِ

فلم يزَل في طريقه حتى مات قبلَ أن يصِلَ الى حيِّه بثلاثِ ليَالٍ . وبلغ عفراءَ خبرُ وفاته فجزِعت جزَعا شديدا ، فقامت لزوجها فقالت : يا هَناه ، قد كانَ من خَبَرِ ابنِ عمي ما كان بلغَك . وواللهِ ما عرفتَ منه قطُّ الا الحَسَنَ الجميلَ ، وقد مات فيَّ وبسببي . ولا بُدَّ لي من أن أندُبَه وأُقيمَ مأتما عليه . قال : افعلي . فقالت ترثيه :

ألا ايُّهـا الرَكبُ المُخِبُّـون ويحَكم ... بحقٍ نَعَيتم عُـروةَ بنَ حِزامِ
فلا تَهنَـأ الفِتيـانَ بعدَك لَذَّةٌ ... ولا رَجعـوا من غيبة بسلامِ
وقُـل للحبالى لا تُرَجِّين غائبـا ... ولا فَرِحاتٍ بعـدَه بغُـلامِ

فما زالت تَندُبه حتى تُوفِّيت في اليومِ الرابِع . وبلغ معاويةَ بنَ ابي سُفيانَ خبرُهما ، فقال : لو علِمتُ بحالِ هذين الحُرين الكريمين لَجمعتُ بينهما .

(١) البيت الاول لم يرد في الاغاني فأضفناه من ديوانه

الراعي

هو عُبَيدُ بنُ حُصين ويُكنَّى ابا جَندل ، والراعي لقب غلب عليه لكثرة وصفِه الإبلَ ، وجودة نعتِه اياها . وهو شاعر فحل من شعراء الاسلام ، وكان مُقدَّما مفضَّلا حتى اعترض بين جرير والفرزدق . فاستكَّفه جريرٌ فأبى ان يَكُفَّ ، فهجاه ففضحه . – راجع خبره مع جرير – الجزء الثامن . ص ٢٣٠ –

قال يمدح سعيدَ بنَ عبدِ الرحمن :

خليــــلٌ تَعزُبُ العِلاَّتُ عنــــه ... اذا ما حان يوما أن يُزارا
متــــى ما تــأتِــه ترجــو نَــداه ... فلا بُخــلاً تَخافُ ولا اعتــذارا
هــو الــرجل الــذي نسبَت قــريشٌ ... فصار المجــدُ فيها حيثُ صارا

كان الراعي من وجوهِ قومه وكان يقالُ له في شعره: كأنه يَعتسف الفَلاةَ بغيرِ دليل ، أي انه لا يَحتذي شعرَ شاعر ولا يُعارضه . وكان مع ذلك بَذِيًّا هَجَّاءً لعشيرته .

قَدِم جَندلُ بنُ الراعي على بِلالِ بنِ ابي بُردةَ ، وقد مدحه ، وكان يُكثِر ذكرَ ابيه ، فقال له بِلال : أليس ابوك الذي يقول في بنتِ عَمِّه وامُها من قومه :

فلمــا قضت من ذي الأراكِ لُبــانةً ... ارادت إلينا حاجةً لا نُــريدُها

فقال : فاين انت عن قوله في عَدِيِّ بنِ الرِقاعِ العاملي :

لــو كنتَ مــن أحدٍ يُهجى هجوتُكمُ ... يا ابنَ الرقاعِ ولكن لستَ من أحدِ
تأبى قَضاعــةُ لم تَعرِف لكم نَسَبــا ... وابنا نِــــزارٍ وانتم بيضةُ البلدِ (١)

فضحك بِلال وقال له : أمَّا في هذا فقد صَدقت .

لما أنشد الراعي عبدَ الملكِ بنَ مروانَ قولَه :

فــإن رفعتَ بهم رأسا نَعشتَهــــمُ ... وان لَقُوا مثلَها من قــابلٍ فَسَدوا

فقال له عبدُ الملك : فتريد ماذا ؟ قال : تَرُدُّ عليهم صَدَقاتِهم فتَنعَشُهم . فقال عبدُ الملك :

(١) بيضة البلد : عزيزها وحاميها .

هذا كثير . قال : انت أكثرُ منه . قال : قد فعلتُ . فسَلني حاجةً تخصُّك . قال : قد قضيتَ حاجتي . قال : سَل حاجتَك لنفسك . قال : ما كنتُ لأفسدَ هذه المكرُمةَ .

عَبيد بن الابرص

شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية . كان شاعرَ بني أسَد غيرَ مُدافَعٍ . قال ابو عبيدة : اجتمعت بنو اسدٍ بعدَ قتلِهم حُجرَ بنَ عمروٍ ، والدَ امرئِ القيس ، الى امرىء القيس ، ابنِه ، على ان يُعطوه الفَ بعيرٍ ديةَ ابيه ، أو يُقيدوه من أيِّ رجل شاعر من بني اسد ، او يُمهلهم حولا . فقال : أما الديةُ فما ظننتُ انكم تعرضونها على مثلي . واما القَوَدُ فلو قيد الي الفُ رجل من بني اسد ما رضيتُهم ولا رأيتُهم كُفُواً لحُجر . واما النَظرةُ فلكم . ثم إنكم ستعرفونني في فرسان قحطانَ أحكّمُ فيكم ظُبى[1] السيوفِ وشَبا[2] الأسنَّةِ ، حتى أشفيَ نفسي وأنالَ ثأري . فقال عَبيدُ بنُ الابرصِ في ذلك :

يـــاذا المخـــوِّفَنا بقتـــل أبيـــه إذلالاً وحَينـــا
أزَعمـــتَ أنـــك قد قتلـــتَ سَراتَنـــا كَذِباً ومَينا[3]
إنّـــا إذا عَضَّ الثِقـــافُ برأسِ صَعـدتِنا لَوَينـــا[4]
نَحمـــي حقيقتنـــا وبعـــضُ النـاسِ يَسقطُ بينَ بينا
هـــلاّ سألتَ جمـــوعَ كِنـــدةَ يـــومَ وَلّوا أينَ أينا ؟
أيـــامَ نضرب هـــامَهـــم ببـــواترٍ حتـى انحنَينـــا
نحـــنُ الألى فـــاجمَع جُمـــوعَك ثم وجِّـهـهم الينـــا
ولقـــد أبَحنـــا مـــا حَمَيـــتَ ولا مُبيحَ لمـــا حَمَينـــا
نُغـــلي السبـــاءَ[5] بكل عـــاتقةٍ شَمـــولٍ مـــا صَحَونـــا

---

(١) جمع ظبة : حد السيف . (٢) جمع شباة : حد السنان . (٣) مان يمين مَينا : كذب . (٤) الثقاف : آلة تقوم بها الرماح . (٥) السباء : نقل الخمر من بلد الى بلد بقصد شربها لا بيعها .

ونُهيــــــنُ في لَــذّاتنــــا عُظمَ التِــلادِ[١] اذا انتشَينا
لا يَبلُــــغُ البــانــي ولــو رَفَعَ الــدعــائمَ مــا بنَينـا
كم مــــن رئيسٍ قــد قتلــنــاه وضَيمٍ قــد أبيَنـا
ولــــرُبَّ سيِّــدِ مَعشـــرٍ ضخمِ الــدّسيعةِ[٢] قد رمَينا
وأوانسٍ مثــــلِ الــدُمــى حُــورِ العيونِ قد استَبينـا
إنــا لَعمرُكَ مــا يُضــامُ حليفُنـا أبــدا لــدَينـا

المنذر والغَرِيّان

كان المنذرُ بنُ ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسَد ، احدُهما خالدُ بنُ المُضلِّلِ والآخَرُ عمرُو بنُ مسعودِ بنِ كَلدةَ ، فأغضباه في بعض المَنطِق ، فأمر بأن يُحفَرَ لكلٍّ واحدٍ منهما حفيرةٌ بظَهر الحيرة ، ثم يُجعَلا في تابوتين ويُدفنا في الحُفرتين . ففُعِل ذلك بهما ، حتّى اذا اصبح سأل عنهما فأُخبر بهَلاكهما ، فنَدِم على ذلك وغَمَّه . ثم ركب المنذرُ حتى نظر اليهما ، فأمر ببناء الغريَّين[٣] عليهما ، فبُنيا . وجعل لنفسه يومين في السنة يَجلس فيهما عند الغريين ، يسمي أحدَهما يومَ نعيمٍ ، والآخرَ يومَ بؤسٍ . فأولُ مَن يَطلُعُ عليه يومَ نعيمِه يُعطيه مئةً من الابل سوداً واولُ مَن يَطلُع عليه يومَ بؤسِه يَأمر به فيُذبَحُ ويُغرى بدمه الغريّان . فلبث بذلك بُرهةً من دهره .

ثم إن عَبيدَ بنَ الابرصِ كان اولَ من أشرف عليه في يوم بُؤسِه ، فقال له : هلاّ كان الذبحُ لغيرك يا عَبيد ؟ فقال : اتتكَ بحائنٍ[٤] رجلاه . فأرسلَها مثلاً . فقال له المنذر : أنشِدني ، فقد كان شعرُك يُعجبني . فقال عَبيد : حالَ الجريضُ[٥] دونَ القريضِ ، وبلغ الحزامُ الطبيَين.[٦] فارسلَهما مثلا . فقال له النعمان[٧] : أسمِعني . فقال : المنايا على الحَوايا.[٨] فأرسلها مثلا . فقال له آخر : ما أشدَّ جَزَعَك من الموت . فقال : لا يَرحَلُ رَحلَكَ مَن ليس معك . فأرسلها مثلا . فقال له المنذر[٩] : قد أمللتَني فأرِحني قبل أن آمُرَ بك . فقال عَبيد. : من عَزَّ بَزَّ[١٠]. فارسلها مثلا . فقال المنذر : أنشِدني قولَك : أقفرَ من أهلِه مَحلوبُ .

(١) التلاد : المال الموروث . (٢) الدسيعة : الجفنة ، والحسب والشرف . (٣) الغريان : قبران سميا الغريين لكثرة ما غراهما بالدم . (٤) الحائن الذي بلغ حينه اي موته . (٥) الريق يغص به (٦) الطبي ، اطباء ، وهو حلمة الضرع التي من ذوات خف وظلف وحافر ، والسباع . يقول : ان الحزام بلغ الثديين اي ضيق عليه التنفس . (٧) انتقل ابو الفرج بالحديث عن المنذر الى النعمان ابنه .وفي روايات ان الحادثة جرت مع النعمان لا مع المنذر . (٨) الحوية : كساء محشو على سنام البعير . اي تأتي المنية الرجل وهو على سرجه . (٩) ثم يعود الى ذكر المنذر لا النعمان . (١٠) اي صاحب العز يغلب .

فقال عَبيد :

اقفــر من اهلـــه عَبيـــدُ فليس يُبْـدي ولا يُعيـــدُ

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحَك ، أنشِدني قبلَ أن أذبحَك . فقال عبيد :

واللـــه ان مُـتّ لَمـا ضَـرّني وان أعِـش ما عِشـتُ في واحدَهْ

فقال المنذر : انه لا بدَّ من الموت . فاختر ، إن شئت الأكحَلَ ، وإن شئتَ الأبجَلَ ، وان شئت الوريدَ[١] . فقال عبيد : ثلاثُ خِصال كسَحابات عاد ، واردُها شرُّ وُرّاد ، وحاديها شرُّ حاد ، ومَعادُها شَرُّ مَعاد ، ولا خير فيها لمُرتاد . فان كنتَ ، لا محالةَ ، قاتلي فاسقِني الخمرَ ، حتى اذا ماتت مفاصلي ، وذهلَت لها ذواهلي ، فشأنَك وما تريد . فأمر له المنذرُ بحاجته من الخمر ، حتى اذا أخذت منه وطابت نفسه ، دعا به ففَصَد . فلما مات غرّى به الغريين . فلم يزل كذلك حتى مر به رجلٌ من طيءٍ يقال له حنظلةُ بنُ ابي عَفراء . فقال له : ابيتَ اللعنَ ، اني والله اتيتُك زائرا ولأهلي مائرا[٢] ، فلا تكن ميرتُهم قتلي . فقال : لا بدَّ من ذلك . فسَلْني حاجةً قبلَها أقضِها لك . فقال : تؤجِّلني سنةً ارجِع فيها إلى أهلي وأُحكِمُ من امرهم ما أُريد ، ثم أصيرُ اليك ، فأَنفِذ فيَّ حُكمَكَ . فقال : ومَن يَكفُل بك حتى تعودَ ؟ فنظر في وجوه جُلسائه ، فعرف منهم شَريكَ بنَ عمرو ابا الحَوفزان ، فأنشد يقولُ :

يـا شريـكٌ يا ابنَ عمـرو ما مِـنَ المـوتِ مَحالَـهْ

يـا شريـكٌ يا ابنَ عمـرو يا اخا مَـن لا أخـالَـهْ

يا أخـا كـلِّ مُضـاف وَحيا مَـن لا حَيـالَـهْ

إن شيبـانَ قَبيـلٌ أكـرمَ اللـهُ رجالَـهْ

وابـوك الخيـرُ عمـروٌ وشَراحيـلُ الحَمـالَـةْ

رَقّيـاك اليـومَ في المجـد وفي حُسـنِ المَقالَـهْ

فوثب شريكٌ وقال : ابيتَ اللعنَ ، يدي بيده ودَمي بدمه ، إن لم يَعُد إلى أجله . فأَطلقَه المنذرُ . فلما كان من القابِلِ جلس في مجلِسه ينتظر حنظلةَ أن يأتيَه فأبطأ عليه . فأمر بشريك فقُرِّبَ ليقتُلَه . فلم يشعُر الا براكبٍ قد طلع عليهم فتأملوه فاذا هو حنظلةُ قد اقبلَ متكفِّنا متحنِّطا ، معه نادبتُه تَندُبه ، وقد قامت نادبةُ شريكٍ تَندُبه . فلما رآه المنذرُ عَجِب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما وابطل تلك السُنّةَ .

(١) الاكحل عرق في الذراع يفصد . الابجل : عرق غليظ في الرجل او في اليد . والوريد عرق في العنق وهما وريدان .
(٢) مار وامتار الطعام : جمعه .

ذيل

(روايتان تختلفان عن رواية الاصفهاني)

الاولى :

ـ جاء في « كتاب معجم البلدن » لياقوت الحموي البغدادي في لفظة « غريّان » ما جاء في رواية الاصفهاني إلا الخاتمةَ حيث ورد :

... فلما رأى المنذر ذلك عَجِب من وفائه وقال : ما حملَك على قتل نفسِك ؟ فقال : ايُّها الملك ، إن لي دينا يَمنَعُني من الغدر . قال : وما دينُك ؟ قال : النَصرانيةُ . فاستحسن ذلك منه واطلقهما معا وابطل تلك السُنَّةَ وكان سببَ تنصُّرِه وتنصُّرِ اهلِ الحيرة .

الثانية :

ـ وجاء في كتاب « بلوغ الارب » للالوسي البغدادي ، نقلا عن كتاب « مجمع الامثال » للميداني ، في مَثَل : « إن غدًا لِناظرِه قريب » انه ينسب قصة الغريين إلى النُعمانِ لا إلى أبيه المنذر وهذا هو النص :

ان اولَ مَن قال ذلك قِرادُ بنُ أَجدَعَ ، وذلك أن النعمانَ بنَ المنذرِ خرج يتصيد على فرسه اليحمومِ . فأجرَاه على اثر عَيرٍ ، فذهب به الفرس في الأرض ولم يَقدِر عليه وانفرد عن اصحابه واخذته السماءُ (١) فطلب ملجأ ، فدَفَع إلى بِناءٍ فاذا فيه رجلٌ من طيٍّءٍ يقال له حنظلةُ ومعه امرأةٌ له ، فقال لهما : هل من مأوى ؟ قال حنظلة : نعم . فخرج اليه فأنزله . ولم يكن للطائي غيرُ شاةٍ ، وهو لا يَعرِف النعمانَ فقال لإمرأته : ارى رجلا ذا هيئةٍ ، وما أَخلقَه ان يكون شريفا خطيراً . فما الحيلة ؟ قالت : عندي شيْ من طحين كنت ادَّخرتُه ، فاذبحِ الشاةَ لأتخِذَ من الطحين مَلَّةَ . فأخرجت المرأةُ الدقيقَ فخبزت منه ملة وقام الطائي إلى شاته فاحتلبها ثم ذبحها فاتخذ من لحمها مرقةً مَضيرةً(٢) وأطعمه من لحمها وسقاه من لبنها واحتال له شرابا فسقاه وجعل يُحدِّثه بقيةَ ليلته . فلما اصبح النعمانُ لبِس ثيابه وركِب فرسه ، ثم قال : يا اخا طيٍّءٍ ، اطلُب ثَوابَك ، انا النعمانُ . قال : أفعلُ إن شاء الله . ثم لَحِقته الخيلُ فمضى نحوَ الحيرة . ومكث الطائيُّ بعدَ ذلك زمانا حتى اصابته نكبةٌ وجَهِد وساءت حالُه ، فقالت له امرأته : لو أتيتَ المَلِكَ لأحسنَ اليك . فأقبل حتى انتهى

(١) امطرت . (٢) مرقة تطبخ باللبن المضير اي الحامض .

إلى الحيرة ، فوافق يومَ بؤسِ النعمان ، فاذا هو واقف في خيله في السلاح . فلما نظر اليه النعمان عرفه وساءه مكانُه ، فقال : الطائيُّ المنزولُ به ؟ قال : نعم. قال : أفلا جئتَ في غيرِ هذا اليومِ ؟ قال : ابيتَ اللعن ، وما كان علمي بهذا اليوم . قال : والله لو سنح لي في هذا اليوم قابوسُ ابني لم اجد بُدًّا من قتله . فاطلُب حاجتَك من الدنيا وسَل ما بدا لك فإنك مقتولٌ . قال : ابيتَ اللعن ، وما أصنعُ بالدُنيا بعدَ نفسي ، قال النعمان : انه لا سبيلَ اليها . قال : فان كان لا بدَّ ، فأجّلني حتى أُلِمَّ بأهلي فأوصي اليهم وأُهيِّءُ حالَهم ثم انصرفُ اليك . قال النعمان : فأقِم لي كفيلاً بمُوافاتك . فالتفت الطائيُّ إلى شريك بنِ عمروٍ من بني شيبان ، وهو واقف بجنب النعمان ، فقال له :

ـ الأبيات المذكورة في رواية الاصفهاني ـ فأبى شريكٌ أن يتكفَّلَ به . فوثب اليه رجل من كَلبٍ ، يقال له قِرادُ بنُ أجدَعَ ، فقال للنعمان : ابيتَ اللعن ، هو علي . قال النعمان : أفعلتَ . قال : نعم . فضمَّنه اياه . ثم امر للطائي بخمسمئة ناقة . فمشى الطائي إلى أهله وجعل الاجلَ حولاً من يومه ذلك إلى مثلِ ذلك اليومِ من قابلٍ . فلما جاء عليه الحولُ وبقي من الاجل يوم ، قال النعمان لقِرادٍ : ما أُراك الا هالكا غداً . فقال قِراد :

فان يــكُ صدرُ هذا اليــومِ ولّى ... فان غــداً لناظــره قريـــبُ

فلما اصبح النعمان ركب في خيله ورَجِله متسلِّحا كما كان يفعل حتى اتى الغريين فوقف بينهما وأخرج معه قرادا وامر بقتله . فقال له وزراؤهُ : ليس لك قتلُه حتى يَستوفيَ يومَه . فتركه . وكان النعمانُ يشتهي ان يقتلَ قِرادا ليفلتَ الطائيُّ من القتل. فلما كادت الشمسُ تَجِبُ [1] وقرادٌ مُجرَّدٌ قائمٌ في إزارٍ على النَطعِ والسيَّافُ إلى جنبه ، اذ رُفِع لهم شخصٌ من بعيد ، وقد امر النعمانُ بقتلِ قراد . فقيل له : ليس لك ان تقتلَه حتى يأتيَك الشخصُ فتعلمَ مَن هو. فكفَّ حتى انتهى اليهم الرجل فاذا هو الطائي . فلما نظر اليه النعمان شَقَّ عليه مجيئُه ، فقال له : ما حملَك على الرجوع بعد إفلاتك من القتل ؟ قال : الوفاءُ . قال : وما دعاك إلى الوفاء ؟ قال : ديني . قال النعمان : وما دينُك ؟ قال : النصرانية . قال النعمان : فاعرِضها علي . فعرضها عليه ، فتنصَّر النعمانُ واهلُ الحيرةِ اجمعون ، وكان قبل ذلك على دين العَرب . فترك القتلَ منذُ ذلك اليومِ وابطل تلك السُنَّةَ ، وامر بهدم الغريين ، وعفا عن قراد والطائي ، وقال : والله ما أدري أيَّهما اوفى واكرم . اهذا الذي نجا من القتل فعاد ، ام هذا الذي ضَمِنه ؟ والله لا أكون ألأمَ الثلاثةِ .

(١) تغيب .

حارثة بن بدر

كان من فُرسان بني تميم ووجوهها وساداتها وجُوّدائها، وهو من لِداتِ الاحنفِ بنِ قيسٍ (١) وليس بمعدود في فحول الشعراء ولكنه كان يعارض نُظراءه الشعر.

عاتب الاحنفُ بنُ قيسٍ حارثةَ بنَ بدرٍ على معاقرة الشراب وقال له: قد فضحتَ نفسك، واسقطت قَدرَك، وأوجعه عتابا. فقال له: إني سأُعتبُك فأمسك. فانصرف الاحنفُ طامعا في صَلاحه. فلما امسى راح اليه فقال له: اسمع يا ابا بحر ما قلتُ. فأنشدَه:

يَذُمُّ ابو بحرٍ امورا يُريدها ... ويَكرهُها للأريَحيِّ المُسوَّدِ
فان كنتَ عَيَّاباً فقل ما تريده ... ودع عنك شُربي لستُ فيه بأوحدِ
سأشربُها صَهباءَ كالمِسك ريحُها ... واشربُها في كل نادٍ ومَشهدِ
فنفسَك أصلِح يا ابنَ قيسٍ وخلِّني ... ورأيي فما رأيي برأيٍ مُفنَّدِ
ولا عيبَ لي الا اصطباحيَ قهوةً ... متى يَمتزجها الماءُ في الكأس تَزبِدِ

فقال له الاحنف: حسبُك، فاني اراك غيرَ مُقلعٍ عن غَيِّك، ولن أُعاتبَك بعدَها.

وقال ايضا:

وكم لائمٍ لي في الشَّرابِ زجرتُه ... وقلتُ له دعني وما أنا شاربُ
انا الليثُ معدُوًّا عليه وعادياً ... اذا سُلَّتِ البيضُ الرِقاقُ القواضبُ
فاني امرؤٌ عودتُ نفسيَ عادةً ... وكلُّ امرىءٍ ما اعتاد لا شكَّ طالبُ (٢)

استعمل زيادُ بنُ ابيه حارثةَ بنَ بدرٍ على كوار، وهو اذ ذاك عاملُ عليٍّ بن ابي طالب على فارسَ.

كان حارثةُ بن بدر فصيحا بليغا، عارفا بأخبار الناس وايامهم، حُلواً، شاعرا، ذا فُكاهة. فكان زيادٌ يأنس به طولَ حياته.

(١) حليم العرب. (٢) اخذ المتنبي هذا المعنى فقال وأجاد: لكل امرىءٍ من دهره ما تعودا.

كان حارثةُ يصيب من الشراب ، وكان حظياً عند زياد . فعُوتب زيادٌ على رأيه فيه ، فقال : اتلومونني على حارثةَ ؟ فوالله ما تَفَلَ في مجلسي قط ، ولا حَكَّ رِكابُه ركابي ، ولا سار معي في عَلاوة[١] الريح فغبَّر علي ، ولا دعوتُه قط فاحتجت إلى تجشُّم الإلتفات اليه حتى يوازيني ، ولا شاورتُه في شيء الا نصحني ، ولا سألته عن شيء من أمر العرب واخبارها الا وجدتُه به بصيرا .

قال زياد يوما لحارثة : من أخطبُ الناس ، انا أو انت؟ فقال: الاميرُ أخطبُ مني اذا توعَّد ووعد، واعطى ومنع ، وبرق ورعد . وانا أخطبُ منه في الوفادة وفي الثَّناء والتحبير[٢] وأنا اكذَبُ اذا خطبت ، فأحشو كلامي بزيادةٍ مليحة شهيَّة ، والاميرُ يَقصُد إلى الحق وميزانِ العدل ، ولا يَزيد فيه شُعيرةً ولا يُنقص منهُ . فقال له زياد : قاتلَك الله ، لقد أجدتَ تخليص صفتك وصفتي من حيث اعطيتَ نفسَك الخطابة كلَّها ، وأرضيتَني وتخلَّصت . ثم التفت إلى أولاده فقال : هذا لعمرُكم البيانُ الصريح .

لما مات زيادٌ ووُلِّيَ عبيدُ الله ابنُه كان يجفو حارثةَ ، فدخل اليه في جُمهور الناس ، فجلس متواريا منه حتى خفَّ الناس ، ثم قام فأذكره بحقوقه على زياد وأنسه به . فقال له : ما أعرَفَني بما قلتَ ، غيرَ أن ابي قد عرفه الناسُ وعرفوا سيرتَه ، فلم يكُن يُلصَق به من أهلِ الريبة مثلُ ما يَلحَقُني مع الشباب وقُرب العهد بالإمارة . ان ابي كان لا يَخافُ من القالةِ في تقريبك ما اخافُ . وان اللسانَ إليَّ فيك لأسرعُ منه إلى أبي . فان شئتَ فاختَر مُجالستي ليلاً . فكان يدعوه ليلا ليُسامرَه . فلما عرفه استحلاه فغلَب عليه ليلَه ونهارَه ، حتى كان يَغيب فيَبعثُ من يُحضره .

قال الشعبي : كنت عند عبد الله بن جعفر بن ابي طالب فانشدته لحارثةَ بنِ بدر :

وإنا لَتَستحلي المنايا نفوسَنا ... وتَترُك أخرى مُرَّةً ما تَذوقُها
رأيتُ المنايا بادئاتٍ وعُوَّداً ... إلى دارنا سَهلا اليها طريقُها
فقد قُسِمتْ نفسي فريقين : منهما ... فريقٌ مع الموتَى وعندي فريقُها

فقال لي ابنِ جعفر : نحن كنا احقَّ بهذا الشعر .

دخل أنَس بنُ زُنيم الدؤَليُّ على عبيد الله بن زياد وعنده حارثةُ بن بدر ، وكان بينهما تَعارُضٌ ومُقارضةٌ . فلما خرج انسٌ قال عبيد الله لحارثة : ايُّ رجلٍ هو انس عندَك ؟ قال : هو عندي كما قلت فيه :

يَبيتُ بَطينا[٣] من لحوم صديقه ... خميصاً[٤] من التقوى ومن طلب الحمدِ
يَنام اذا ما الليلُ جُنَّ ظلامُه ... ليسري إلى حاجاته نَومةَ الفَهدِ

---

(١) علاوة نقيض سفالة . وهنا ، ان تكون من جهة هبوب الريح . (٢) حبر الكلام : حسنه وزينه .
(٣) متخم البطن . (٤) جائعاً .

يُراعي عذارى قومِه كلّما دجى له الليلُ والسَّوآتِ كالاسدِ الوَردِ
جريئا على أكلِ الحَرام وفعلِه جَبانا على الأقران مُعتَرِمَ الكَردِ[١]

لما ولي حارثةُ بنُ بدر سُرَّقَ خرج معه المشيِّعون من البصرة وفيهم ابو الاسود الدؤلي . فدنا منه ابو الاسود فقال :

احارِ بنَ بدرٍ قد وُلِّيتَ إمارةً فكن جُرَذاً فيها تَخونُ وتَسرِقُ
وكابِر تميما بالغِنى إن للغنى لساناً به يَسطو الغنيُّ ويَنطُقُ

كانت في تميم حَمالتان[٢] فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان . فقال لهم الاحنف بن قيس : لا تعجَلوا حتى يَحضُرَ سيِّدُكم. فقالوا : ومَن سيِّدُنا غيرُك ؟ قال: حارثة . وكان حارثة قَدِم من الاهواز بمال كثير ، فبلغه ما قال الاحنف فقال : أغرَمنيها ، والله ، ابنُ الزافريَّة. ثم اتاهم فقال : لا تَلقوا فيهما احداً، فانهما علي . ثم اتى منزله فقال :

خلَتِ الديارُ فسُدتُ غيرَ مُسوَّدٍ ومِنَ الشقاء . تفرُّدي بالسؤدَدِ

لما نُدِب حارثةُ بنُ بدرٍ لقتال الازارقةِ بدُولابَ ، لقيهم وصاح : مَن جاءنا من المَوالي فله فريضةُ العرب . ومن جاءنا من الأعراب فله فريضةُ المهاجر .

ولما رأى ما يلقى اصحابُه من الأزارقةِ قال :

كَرنِبُوا ودَولِبوا وشَرِّقوا وغَرِّبوا
وحيثُ شئتم فاذهبوا

يعني بقوله : كرنبوا ، اي خذُوا طريقُ كَرنبى . ودَولِبوا : خذوا طريقَ دولاب .

ومن جيد شعره في الخمر :

يَعيبُ عليَّ الراحَ مَن لو يذوقُها لَجُنَّ بها حتى يُغَيَّبَ في القبرِ
علامَ تَذُمُّ الراحَ والراحُ كاسمها تُريحُ الفتى من همِّه آخرَ الدهرِ
فلُمني فإن اللومَ فيها يزيدُني غراما بها إن الملامةَ قد تُغري[٣]

---

(١) العنق . (٢) الحمالة : ما يفرض على القبيلة من دية . (٣) هذا المعنى اخذه ابو نواس فقال :
دع عنك لومي فان اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

المتلمِّس

اسمه جرير بنُ عبد المسيح والمتلمِّس لقبٌ غلَب عليه ببيت قاله :

فهذا أوانُ العِرضِ جُنَّ ذُبابُهُ زنابيرُه والأزرقُ المتلمِّسُ

(تكملة المتلمس وهي لغير ابي الفرج)

كان المتلمس في اخواله بني يَشكُرَ ، وُلِد فيهم ، ومكث فيهم حتى كادوا يَغلِبون على نسبه . وسأل الملكُ عمرُو بنُ هندٍ يوما الحارثَ اليشكريَّ ، وهو عندَه ، عن المتلمِّس وعن نسبه ، فاراد ان يَدَّعِيَه ، فقال المتلمسُ :

يُعيِّرني امي رجالٌ ولن ترى أخا كرمٍ إلا بأن يتكرَّما
ومَن كان ذا عِرضٍ كريمٍ ولم يَصُن له حَسَبا كان اللئيمَ المُذمَّما
أحارِثُ إنا لو تُساط[١] دماؤنا تَزايَلْنَ حتى لا يَمَسَّ دمٌ دَما
وإن نِصابي إن سألتَ وأسرتي من الناس قومٌ يقتنون المُزَنَّما[٢]
لذي الحُلمِ قبل اليومِ ما تُقرَعُ العصا[٣] وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعلَما
فلو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي جَعلتُ لهم فوقَ العَرانينِ مِيسَما
وهل ليَ امٌ غيرُها إن ذكرتُها أبى اللهُ إلا أن اكونَ لها ابنَما[٤]

والمتلمس هو خالُ طَرَفة بنِ العبد . وهو من شعراء الجاهلية المقلِّين المُفلِقين .

قال المتلمس يعاتب بني ذهل :

ألم ترَ أن المرءَ رهنُ منيَّةٍ صريعٌ لعافي الطَّير او سوف يُرمَسُ
فلا تَقبلَنْ ضيماً مخافةَ ميتةٍ ومُوتَن بها حُرًّا وجِلدُك أملَسُ
فإن تُقبِلوا بالوُدِّ نُقبِلْ بمثلِه وإلا فإنا نحنُ آبى وأشمَسُ[٥]

قدم المتلمسُ وطَرَفَةُ بنُ العبدِ على عمروِ بنِ هندٍ وكانا هَجَواه بعدة قصائدَ ، فلما قَدِما عليه كتب لهما إلى المُكعبرِ ، عامله على البحرين ، وقال لهما : انطلقا فاقبَضا جوائزَكما . فخرجا . فزعموا انهما لما هبطا النَّجَفَ قال المتلمس : يا طرفةُ إنك غلامٌ حديثُ السن ، والملكُ

(١) تخلط . (٢) الدعي الذي يستعبدونه . (٣) راجع عامر بن الظرب العدواني في ترجمة « ذو الاصبع العدواني » الجزء الثالث ص ٧٩ . (٤) ما الزائدة . (٥) شديد العداوة .

مَن عرفتَ حقدَه ، وكِلانا قد هجاه ، . فلستُ آمناً أن يكون قد أمر بشرٍّ . فهلم لننظُرَ في كتبنا هذه . فان يكن قد امر لنا بخير مضينا فيه ، وان تكن الأخرى لم نُهلِك انفسَنا . فأبى طرفةُ ان يَفُكَّ خاتَمَ المَلِك . وحرَّض المتلمسُ طرفةَ فأبى . وعَدَل المتلمسُ إلى غلام من غلمان الحيرة ، عباديٍّ ، فأعطاه الصحيفةَ ، ولا يَدري مِمن هو ، فقرأها فقال : ثَكِلت المتلمسَ امُّه . فانتزع المتلمسُ الصحيفةَ من الغلام واكتفى بذلك من قوله ، واتَّبع طرفةَ فلم يَلحَقه ، وألقى الصحيفةَ في نهر الحيرة ، ثم خرج هاربا إلى الشام ، فقال في ذلك :

مَــن مُبلِـغُ الشعراء عن أخوَيهِــم ... نبأً فتَتَصدُقَهم بذاك الانفسُ
أودى الذي عَلِقَ الصحيفـةَ منهما ... ونجا حِذارَ حِبائِــه المتلمسُ

وقيل :

قال المتلمس : فخرجنا حتى اذا هبطنا بذي الركاب من النجف اذ انا بشيخ على يساري يتبرَّز ، ومعه كِسرةٌ يأكلها ، وهو يَقصَعُ القملَ ، فقلت : تَاللهِ ما رأيت شيخا أحمقَ وأضعفَ واقلَّ عقلا منك . قال : وما تُنكِرُ ؟ قلت: تتبرَّز وتأكل وتقصع . قال : أُدخِل طيِّبا ، وأُخرِج خبيثا ، واقتل عدوًّا . واحمقُ مني الذي يَحمِل حتفَه بيمينه لا يَدري ما فيه . قال : فنبَّهني ، وكأني كنت نائما . فاذا غلام من اهل الحيرة . فقلت : يا غلام ، تَقرأ ؟ قال : نعم . قلت : اقرأه . فاذا فيه : من عمرِو بنِ هند الى المكعبِر . اذا جاءك كتابي هذا مع المتلمس فأقطع يديه ورجليه وادفنه حيا . فألقيتُ الصحيفةَ في النهر وقلت . يا طرفةُ ، معك مثلُها . قال : كلا . ما كان ليفعلَ ذلك في عقر داري . فأتى المكعبِرَ فقطع يديه ورجليه ودفنه حيًّا .

قال ابو عبيدة : لم يُسبَق المتلمسُ إلى قوله :

ومــا كنتُ إلا مثــلَ قاطــعِ كفِّه ... بكفٍّ له أُخرى فأصبحَ أجذَمــا
يــداه أصابت هذهِ حتفَ هـــذهِ ... فلم تَجِدِ الأخرى عليها تَقَدُّمـا
فلما استقاد الكفُّ بالكفِّ لــم يَجِد ... له دَرَكا في ان تَبينَ فأحجمــا
فأطرقَ إطراقَ الشُجاعِ ولو يــرى ... مَساغا لنابَيـهِ الشجاعُ لصمَّمــا

ويُتَمَثَّلُ من شعر المتلمس بقوله :

وأعلَمُ علــمَ حقٍّ غيرَ ظــنٍ ... وتقوى اللهِ من خير العتــادِ
لَحِفظُ المــالِ أيسرُ مِــن بُغاه ... وضربٍ في البــلاد بغير زادِ
قليــلُ المــالِ تُصلحــه فيَبقى ... ولا يَبقـى الكثيرُ عــلى الفَسـادِ

كان المتلمسُ شاعرَ ربيعةَ في زمانه ، وانه وقف على مجلس لبني ضُبيعةَ بنِ قيس ، فاستنشدوه فأنشدهم شعراً فقال :

وقد اتناسى الهمَّ عندَ احتضاره　　بناجٍ عليه الصَّيعَريَّةُ مُكدَمِ (١)

والصيعريةُ سِمةٌ تكون للإناث خاصة ، فقال له طَرَفَةُ ، وهو غلامٌ : استنوق الجملَ. اي وصفتَ الجمل بوصف الناقة . فذهبت مثلاً . فضحك القوم . فغضب المتلمس ونظر إلى لسان طرفة وقال: ويل لهذا من هذا ، يعني رأسَه من لسانه .

طَرَفة

من معلقة طَرَفة :

لخولةَ اطلالٌ ببُرقةِ ثَهمَدِ　　تلوح كباقي الوَشمِ في ظاهر اليدِ
وقوفا بها صحبي علي مطيَّهم　　يقولون : لا تَهلِك اسىً وتجلَّدِ
ووجهٍ كأن الشمسَ ألقت رداءها　　عليه نقيِّ اللونِ لم يتخددِ

ويصف ناقته :

لها فَخِذان أُكمِل النَّحضُ فيهما　　كأنهما بابا مُنيفٍ ممرَّدِ (٢)
كقنطرة الروميِّ اقسمَ ربُّها　　لَتُكتَنَفنْ حتى تُشادَ بقَرمَدِ (٣)
اذا القوم قالوا: مَن فتىً خِلت أنني　　عُنيت فلم اكسَل ولم اتبلَّدِ
فان تَبغِني في حلقة القوم تَلقَني　　وان تقتنصني في الحوانيتِ تَصطَدِ
وان يلتقي الحيُّ الجميعُ تُلاقني　　الى ذُروة البيت الرفيع المصمَّدِ (٤)
وما زال تَشرابي الخمورَ وَلذتي　　وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتلَدي (٥)
الى ان تحامتني العشيرةُ كلُها　　وأُفردتُ إفرادَ البعير المعبَّدِ (٦)
الا ايهذا اللائمي أحضُرَ (٧) الوغى　　وأن اشهَدَ اللذاتِ هل انت مُخلِدي

---

(١) ناج : جمل ينجو به . مكدم : شديد . الحبل المكدم : شديد الفتل . (٢) النحض : اللحم . المنيف اي قصر منيف عال . ممرد : مملس : منها وجه امرد . (٣) ربها : اي بانيها . لتكتنفن اي : والله ليحاطن بها حتى ترفع بالقرميد . (٤) الى ذروة : اي انتسب الى أعلى البيت الرفيع . المصمد : المقصود . (٥) الطريف : المال الحديث : التليد والتلاد والمتلد : المال الموروث . (٦) المطلي بالقطران . (٧) أي أن أحضرَ .

فــــان كنتَ لا تسطيع دفعَ منيتــي ... فدعني أبادرْها بما ملَكت يــدي
ولــولا ثلاثٌ هــــن مــن عِيشة الفتى ... وجَدِّك لم احفَل متى قام عوَّدي [١]
فمِنهن سَبقـــي العـــاذلات بشَربةٍ ... كُميتٍ متى ما تُعلَ بالماء تُزبِدِ [٢]
وكَـــرِّي اذا نادى المُضافُ مُجَنَّبا ... كَسِيد الغَضى، نبَّهتَه، المتــورِّدِ [٣]
وتقصيرُ يومِ الدَّجنِ والدجنُ مُعجِبٌ ... بَبهكنَةٍ تحتَ الطِراف المُعَمَّدِ [٤]
ارى قبـــرَ نَحَّــامٍ بخيلٍ بمـالـه ... كقبرِ غَوِيٍّ في البَطالـة مُفسِدِ [٥]
فمـــالي أرانــي وابـــنَ عمــي مالِكا ... متى أدنُ منه يَنأ عنــي ويَبعُدِ
وظلمُ ذوي القـــربى أشدُّ مَضاضـةً ... على المــرءِ من وقع الحُسامِ المهنَّدِ
فلو شاء ربُّك كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ ... ولو شاء ربِّي كنتُ عمروَ بنَ مَرثَدِ [٦]
ستُبدي لك الايــــامُ مـــا كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تــزوِّدِ

تمَّ الكتابُ والحمدُ للهِ الحميدُ

---

(١) الجد : الحظ . وهو قسم . عودي : جمع عائد ، الذي يعود المريض المدنف. (٢) كميت : اي خمر كميت اللون. (٣) المضاف : الملتجيء الخائف. كري مجنباً : اي فرسا في يده اعوجاج. والمجنب : في رجله انحناء واعوجاج. سيد الغضى : الذئب الذي يرد الماء . (٤) الدجن المعجب : سواد الليل الذي يعجب الانسان . بهكنة : المرأة الناعمة . الطراف المعمد : البيت المرفوع بالعمد . (٥) النحام : الحريص على جمع المال . الغوي : الغاوي الضال .
(٦) سيدان من سادات العرب مشهوران بالغنى ونجابة الاولاد وشرف النسب .

وردت في «الاغاني» ولم يتسع لها مكان في كتابنا نوردها هنا خدمة للمطالع وللطلاب خصيصاً .

- قال : أفَعجزوا ان يقاتلوا ساعة من نهار ؟ قال : كَثَرهم الناس ، فأجلت الحربُ عن قتله .
- اخذتهم السماء ومُطروا ، وغلبتهم عينهم فناموا .
- فرَعهم طولا ، وجهَرهم جمالاً ، وبهرهم شارةً وعارضةً وبياناً. (١)
- طلعت علينا عجوز عوراء متكئة على عصاً يُصفِّق احد لحييها على الآخر .
- كان يكتب ويده تُرعَد من الفرح . وكان عفيفا يَصِفُ ولا يَقِفُ يحوم ولا يَرِدُ .
- قال له : إئتني الليلةَ اذا هَدأت الرجلُ . وكان رجلاً حَدِثاً. (٢)
- وإنَّا لَنَنْزُلُ على ماءٍ لنا فاذا راكب يَسير على جمل والسماء تَغسله حتى أناخ وبات يُقطّع عنا الليلَ بنشيده . فلما أقلعت عنه السماء قام .
- جاء وعليه غِلالة رقيقة ومُلاءة تقوم قياماً من شدَّة الصِقال .
- توجه نحو داره فتبعته ، فلما طعن في الدار قال : أُدخل .
- كانت تحدثني وكنت اتفرج بها . (٣)
- ابعثوا اليها عن رسالتي لتأتي فان أبت صرنا إليها .
- قصُّوا اثره وكان لا يَخفى لعِظَم قدَمه ، وضربوا في الوادي حتى امعنوا ، فلم يجدوه .
- سقاني ثلاث أكؤسٍ خدَّرت ما بين الذؤابة والنعل . فهوَّمتُ رأسي سُكراً ونعاساً .
- كانوا اذلَّ من يدٍ في رَحِم . وكان يَعشِرُهم فيأتونه بالإتاوة .(٤)
- دفعه فاستلقى لحلاوة القفا . (٥) .
- اجهض بنوه القومَ عنه وانتزعوه منهم .
- تعرّى ولم يخجل والبيوت بين يديه .
- قوم يُقبلون بوجوه الظباء ويُدبرون بأعجاز النساء .
- كان اذا اقبل اشرفَ القومُ عليه ، واذا نطق أنصتوا . فهو خير قومه بين حافٍ وناعل .
- قال : قوموا . فقمنا نستبق البابَ .
- اعتذروا اليه واستكفُّوه ، فكفَّ .
- قال له : اني اريد ان امتدَّ الى الشام ، فأكتبني من مُلَحِك . فأكتَبَه .

---

(١) فرعهم: علاهم . جهرهم : راعهم . الشارة : الهيئة والمنظر. العارضة : قوة الحجة . (٢) الحدث : الحسن الحديث . (٣) القى الفرج بحديثها . (٤) يعشر : يأخذ العشر . الاتاوة : الضريبة والجزية . (٥) حلاوة القفا : وسطه .

- وكان مستهزئاً بالغناء حتّى تعاطى ان يغني .
- كان الامر في قتلهم جِداً إلا من هرب وطار على وجهه .
- لقد كشفتَ عني قِطعة من هَمّي .
- يخبط خبطَ عشواء ، ويجمع جمعَ حاطب الليل .
- كانوا اذا ذكروه طوّلوا رقابهم وفخروا به .
- قال له : هَب لي جُبتك هذه . فأهوى عليها ليخلعها. فلما وقعت في رأسه وثب عليه فأسره . فنشبت بينهم وبينه حال.
- فركضه برجله وصاح به . فقام وسقاه حتّى والى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد .
- عرفوه فانطوَوا عليه وأكرموه . ولما جنّهم الليل انتبذوا ناحية، فغنّاهم فاستخفّهم فصفّقوا بايديهم ،وفحصوا بأرجلهم، وحركوا رؤوسهم .
- ان الحديث طَرَفٌ من القِرى .
- يجتلد الصحن وما يكاد يشبع .
- دخل عليه شيخ يترجح في مشيته وقال : لا يحملك ما ترى على أن تَحيفَ علي في الحُكم.
- جاءني ليلةً وهو مُهرِب. (١)
- قال له : أُسكت ، هذا حديث يأكل الاحاديث .
- كنا نعرض بزّاً للبيع فخرجت الينا تقاولنا في ثمن المَتاع .
- قاتلوهم حتّى فضُّوا جمعهم .
- وهبّت الجَنوب فتلطخت السماء بغيم .
- كان ولداً ضعيفا ضئيلاً .
- رأى رجلا قليلا دميما فازدراه واقتحمته عينه .
- خرجَت وعليها قميصُ أفوافٍ .(٢)
- بعد سنة انتقضت الطعنة عليه فمات .
- فلما تطاول العهد استَوبَأ بئره التي احتفرها .(٣)
- استعدى عليهم وعلى الذي اخذ ماله خصوصيّةً .
- كان تَيّاها شديدَ الذهاب بنفسه .
- هرب واختفى وكأن الارض أضمرته .
- كان معاوية لا يُخدَع ولكن يتخادع.
- سهم عائر وفرس عائرة . (٤)
- قصدتُه فاعتاص الوصولُ علي اليه .

---

(١) أهرب : جد في السير مذعوراً . (٢) رقيق ، وتأتي بصورة المضاف اليه. (٣) استوبأها : وجدها وَبِئة اي في مائها وباء . (٤) ضالة .

ـ كان امرُهما متعالَماً عند العامّةِ .
ـ أطلَقوا عليه ألْسنةً كانت خرُساً .
ـ ولما حَفَل المجلِس أقبل الامير .
ـ فاستعارَه حِماره ، وكان يغتسل في مستَحَمٍّ له .
ـ ذكر لهم الصيد فطارت اليه أنفسهم . وكنت اكون معهم .
ـ ترامت بهم الاسفار .
ـ كانت له وظيفة راتبة كل يوم .
ـ ما أريد ان أبقى بعدك فَواقاً . (١)
ـ سار حتى متَع النهار ، وكان رجلاً رَبعة . (٢)
ـ جاء رجل الى النبي يستأذنه في الجهاد ، فقال : أحَيٌّ والداك ؟ قال : نعم . قال : فيهما فجاهد .
ـ انت تشجُّ بيد وتأسو بأخرى . (٣)
ـ كفر بالله كفرةً صلعاء .
ـ وتراجعا شيئاً من كلام ثم تفرّقا .
ـ أوعدته فلم يزدجر . ثم حال عن جميع ما كان عليه .
ـ طعن عليه وبسط لسانه فيه .
ـ كان في المسجد يجتمع العلماء وكان ينتابهم الناس .
ـ لقد امتَّ عيني وأحييتَ نفسي .
ـ كان له صديقا حَفِيّاً . وكان يتضرَّم ويتوقَّد ذكاءً وكان مادَّ القامة عبلاً فخماً .
ـ بلغها شِعرُه فيها من وراءِ وراءِ ولم تَرَه .
ـ من هناك نَهضَ هذا الشعر .
ـ كان ينادمه ويقارضه اذا أعسر .
ـ فارقته امرأته فجزع عليها فقيل له : ان في نساء العرب مندوحةً ومُتَّسعاً .
ـ أعطني خبرك من النعلِ الى النعلِ .
ـ ما زلت امتطي النهار اليك ، واستدل بفضلك عليك ، حتى اذا جنَّني الليل ، اقام بدني وسافر املي .
ـ كلنا حاطب في حبلك .
ـ ان المصدورَ اذا نفث بَرَأ .

• • •

---

(١) الفواق : الوقت بين الحلبتين او الفصلين من المسرح ، أي الوقت القصير . (٢) لا طويل ولا قصير
(٣) أسا الجرح : داواه .

لو جُذَّ بالسيف رأسي في مودتها   لمــرَّ يَهــوي سريعا نحوها راسي – جُنادة العذري

كما اشتهت خُلِقت حتى اذا اعتدلت   تمّت قواماً فلا طولٌ ولا قِصَرُ – عكاشة

• • •

نصحتُ ابــا ربيعةَ فيه جهــدي   وبعضُ النصح احيــانـا ثقيلُ – اسحاق

• • •

خبطتُ الصبا خبطَ البعيرِ خِطامَهُ   فلم انتبهْ للشيب حتى عــلانيا – مسافر بن امية

• • •

فلم أرَ مثلَ الفقر ضاجعه الفتــى   ولا كسواد الليل أخفق طالبُهْ – الأفوه الأودي

• • •

انا ابن جلا وطلاَّعُ الثنــايــا(١)   متــى أضعِ العِمامةَ تعــرفوني

وماذا تبتغــي الشعــراءُ منــي   وقد جاوزتُ حــدَّ الاربعيــنِ – سُحيم الرياحي

• • •

تُسائِل عــن أخيها كلَّ رَكبٍ   وعند جُهينةَ الخبرُ اليقيــنُ – غُصين بن حيّ

• • •

لا خيرَ في العيدان إلا صــلابُها   ولا نــاهضات الطيرِ إلا صقورُها – شبيب بن الابرص

• • •

نَصِلُ السيوفَ اذا قَصُرنـا بخطونا   قِدماً ونُلحِقُها اذا لم تَلحَقِ – كعب بن مالك

• • •

ومارستُ الــرجالَ ومــارسوني   فمُعوجٌ عــلي ومستقيــمُ

اظن الحلمَ دلَّ عــلي قومــي   وقد يُستجهَلُ الرجلُ الحليــمُ – قيس بن زهير

• • •

لا تَحقِرَنَّ الفقيــرَ علَّكَ أن   تركعَ يومــا والدهرُ قــد رفعَهْ

قد يجمعُ المالَ غيرُ آكلــهِ   ويأكلُ المــالَ غيرُ مَن جمعَهْ – الأضبط بن قُريع

• • •

تَنأون عنه وينأى قلبــه معكــم   فقلبُه ابداً منه على سفــرِ – سعيد بن حُمَيد

• • •

ارى الخُلاَّنَ لمــا قلَّ مالــي   وأجحفتِ النــوائبُ ودَّعوني

فلما أن غنيتُ وعــاد مالــي   اراهم ، لا ابــا لك ، عاودوني – سَعية بن عُريض

• • •

التاركُ القِرنَ مُصفَرّاً انامِلُــه   كأنــه من نقيع الجَوف مخضوبُ – من رثاء رَيطة اخاها

تمشي النسورُ اليــه وهــي لاهيةٌ   مشيَ العذارى عليهــن الجلابيبُ   عمراً ذا الكلاب

والمخرجُ العاتِقَ العذراء مُذعِنةً   في السبيِ يَنفَحُ من اردانها الطيبُ

• • •

---

(١) جمع ثنية وهي الطريق او العقبة الوعرة في الجبل .

القــــولُ منــــك فعــال والظـــــــنُّ منـــك يقيــنُ
مــــا من يــديك شمــالٌ كلتــــا يــديك يميـــن – ابن البواب

• • •

ضربت عليـــــه المكرماتُ قبابها فعلا العمـــــود وطالت الاطنابُ – ابن البواب

• • •

قل للتي بكرت تريد رحيــلا للحج اذ وجـــدت اليه سبيلا
ما تصنعين بحجـــةٍ او عمرةٍ لا تقبـــلانِ وقد قتلتِ قتيلا
أحيي قتيلك ثم حجي وانسكي فيكون حجُّـــك طــاهراً مقبولا – توبت

• • •

سلامُ اللهِ يــا مطرٌ عليهـــــا وليس عليــك يــا مطــرُ السلامُ – الاحوص

• • •

والمستجيــرُ بعمــرو يومَ كربته كالمستجير مـــنَ الرمضاء باللهبِ – أبو نجدة

• • •

أتـــوعدني لتقتلنـــــي نميـــرٌ متى قتلت نميــرٌ مـــن هجاها – العكلي

• • •

مالي مرضتُ فلم يعدني عائــدٌ منكم ويمــرض كلبكم فــأعودُ – عبد الله بن مصعب

• • •

مَـــــن لا يجــودُ ولا يســو دُ ولا يُجير عـــلى الهـــزالِ
وتــــراه حينَ يجيئُـــه السؤّ الُ يُـــولِعُ بالسعــــالِ – ابو حزابة

• • •

وأدليتُ دلـــوي في دِلاء كثيرةٍ فجئنَ مِلاءً غيرَ دلوي كما هيا – ابو حزابة

• • •

سريعٌ اذا يــدعى ليــوم وليمةٍ بطيءٌ اذا ما كان حملُ الجنائزِ – مساور

• • •

هذا اوانُ الشدِّ فــاشتــدّي زيمْ قد لفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَــمْ – رُشَيد بن رُمَيض

• • •

وما تدري ، وإن ازمعتَ امراً بأيِّ الارض يُدرِكك المَقيلُ – علي بن ابي طالب

سلسلة الخلفاء

من أبو بكر ٦٣٢ الى المتوكل ٨٦١
حسب كتاب التوفيقات الالهامية ، لمؤلفه محمد مختار باشا ، طبعة مصر

الراشدون :

ابو بكر الصديق	٦٣٢ – ٦٣٤ م	١١ – ١٣ ﻫ
عمر بن الخطاب	٦٣٤ – ٦٤٤ م	١٣ – ٢٤ ﻫ
عثمان بن عفان	٦٤٤ – ٦٥٥ م	٢٤ – ٣٥ ﻫ
علي بن ابي طالب	٦٥٦ – ٦٦١ م	٣٥ – ٤٠ ﻫ

الامويون :

معاوية بن ابي سفيان	٦٦١ – ٦٨٠ م	٤١ – ٦٠ ﻫ
يزيد بن معاوية	٦٨٠ – ٦٨٣ م	٦٠ – ٦٤ ﻫ
مروان بن الحكم	٦٨٤ م	٦٥ ﻫ
عبد الملك بن مروان	٦٨٤ – ٧٠٥ م	٦٥ – ٨٦ ﻫ
الوليد بن عبد الملك	٧٠٥ – ٧١٥ م	٨٦ – ٩٧ ﻫ
سليمان بن عبد الملك	٧١٥ – ٧١٧ م	٩٧ – ٩٩ ﻫ
عمر بن عبد العزيز	٧١٧ – ٧٢٠ م	٩٩ – ١٠٢ ﻫ
يزيد بن عبد الملك	٧٢٠ – ٧٢٤ م	١٠٢ – ١٠٦ ﻫ
هشام بن عبد الملك	٧٢٤ – ٧٤٣ م	١٠٦ – ١٢٦ ﻫ
الوليد بن يزيد	٧٤٣ – ٧٤٤ م	١٢٦ – ١٢٧ ﻫ
يزيد بن الوليد بن عبد الملك	٧٤٤ م	١٢٧ ﻫ
ابراهيم » » » »	٧٤٥ م	١٢٨ ﻫ
مروان الثاني	٧٤٦ م	١٢٩ ﻫ

العباسيون :

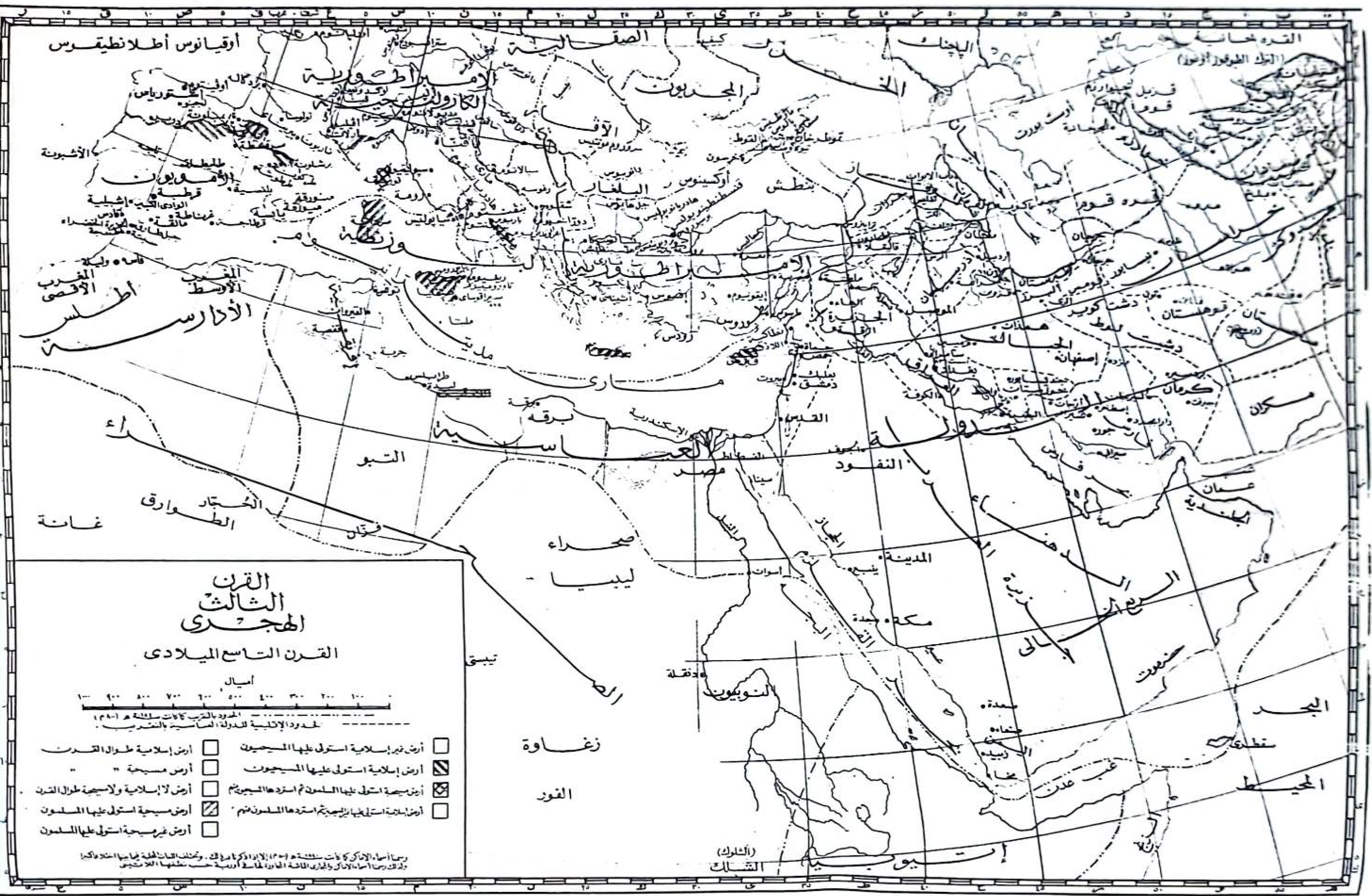
ابو العباس السفاح	٧٥٠ – ٧٥٤ م	١٣٣ – ١٣٧ ﻫ
ابو جعفر المنصو	٧٥٤ – ٧٧٤ م	١٣٧ – ١٥٨ ﻫ
محمد المهدي	٧٧٤ – ٧٨٥ م	١٥٨ – ١٦٩ ﻫ
موسى الهادي	٧٨٥ – ٧٨٦ م	١٦٩ – ١٧٠ ﻫ
هارون الرشيد	٧٨٦ – ٨٠٨ م	١٧٠ – ١٩٣ ﻫ
الامين	٨٠٨ – ٨١٣ م	١٩٣ – ١٩٨ ﻫ
المأمون	٨١٣ – ٨٣٣ م	١٩٨ – ٢١٨ ﻫ
المعتصم	٨٣٣ – ٨٤١ م	٢١٨ – ٢٢٧ ﻫ
الواثق	٨٤١ – ٨٤٦ م	٢٢٧ – ٢٣٢ ﻫ
المتوكل	٨٤٦ – ٨٦١ م	٢٣٢ – ٢٤٧ ﻫ

تم طبع هذا الكتاب سنة ١٩٧٥
على مطابع ا. بدران وشركاه - بيروت - لبنان


PAPIER FABRIQUÉ PAR :
Torras Hostench, s.a.



دمشق
بيروت
بنو غسان
بادية الشام
القدس
عمان
معان
ايلات
العقبة
تبوك
تيماء
الوجه
عذرة
الحجر
خيبر
ينبع
وادي القرى
المدينة
يثرب
الاوس
هلال
ذات عرق
خزاز
مهد الذهب
وجره
عفيفي
قحطان
كندة
سليم
عدوان
هوازن
وادي العقيق
الجحفه
قريش
مكة
الطائف
ثقيف
كنانه
خزاعه
هذيل
عامر بن صعصعة
بيشة
تباله
مذحج
أبها
نجران
جيزان
مارب سبأ اليمني
بنو حمدان
اليمن
حمير
عدن
حضرموت
ظفار
الربع الخالي
كعب بن ربيعه
قرن المنازل
حنيفه
الحوطه
فلج
اليمامة
الرياض
الوقيط
الكلاب
الدهناء
المشقر (حصن)
الصفا (حصن)
عبد القيس
البحرين
القطيف
جبيل
قطر
خليج فارس
بلاد فارس
الكويت
كاظمة
الحفير
القيصومه
بنو تميم
بنو طلوح
فيد
الرمادة
بريدة
عنيزة
غطفان
قبايل بني غطفان
حائل
قيس عيلان
ذبيان
دومة الجندل
الجوف
سكاكا
عرعر
بدانة
كلب
شيبان
الحيرة
لخم
النمر
النجف
كربلاء
عين التمر
بادية الجزيرة
الفرات
دجلة
بغداد
تغلب
العراق
اياد
بادية العراق
بنو أسد
الأبله
الأهواز



القرن
الثالث
الهجرى
القرن التاسع الميلادى
أميال
١٠٠٠ ٩٠٠ ٨٠٠ ٧٠٠ ٦٠٠ ٥٠٠ ٤٠٠ ٣٠٠ ٢٠٠ ١٠٠ ٠
أرض غير إسلامية استولى عليها المسيحيون
أرض إسلامية استولى عليها المسيحيون
أرض مسيحية استولى عليها المسلمون ثم استردها المسيحيون
أرض إسلامية طوال القرن
أرض مسيحية "
أرض لا إسلامية ولا مسيحية طوال القرن
أرض مسيحية استولى عليها المسلمون
أرض غير مسيحية استولى عليها المسلمون
أوقيانوس أطلانطيقوس
الصقالبة
البلغار
البجناك
الخزر
الجديون
الآفار
الأمبراطورية الكارولنجية
بنطش
الأدارسة
أطلس
المغرب الأقصى
المغرب الأوسط
الأشبونة
قرطبة
القيروان
برقة
التبو
غانة
الطوارق
فزان
صحراء
ليبيا
زغاوة
الفور
تيبستى
النوبيون
دنقلة
مصر
الإسكندرية
القدس
دمشق
النفود
المدينة
مكة
جدة
الربع الخالى
حضرموت
عمان
فارس
كرمان
مكران
أصفهان
همذان
الموصل
الكوفة
الجبال
دشت لوط
دشت كوير
قوهستان
سجستان
خراسان
بحر عدن
المحيط
الهند
إثيوبيا
الشلك
بحر الروم
قسطنطينية

أوقيانوس أطلانطيقوس

الصقالبة

الخزر

المجريون

اللان

الغز

الترك

قزل قوم

قره قوم

دشت كوير

دشت لوط

البيزنطية

الإمبراطورية البيزنطية

البلغار

الأفرنج

البحر المتوسط

البربر

صحراء ليبيا

النفود

الربع الخالي

البحر المحيط

النوبيون

زغاوة

الفور

الطوارق

فزان

عمان

حضرموت

المدينة

مكة

جدة

الكوفة

بغداد

دمشق

القدس

الإسكندرية

القيروان

برقة

أصفهان

همذان

الموصل

القرن الثاني الهجري

القرن الثامن الميلادي

أميال

٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠ ٧٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠ ١٠٠٠

الحدود بالتقريب

- أرض غير إسلامية استولى عليها المسيحيون
- أرض مسيحية استولى عليها غير المسلمين
- أرض مسيحية استولى عليها المسلمون ثم استردها المسيحيون
- أرض إسلامية استولى عليها المسيحيون ثم استردها المسلمون
- أرض إسلامية طوال القرن
- أرض مسيحية " "
- أرض لا إسلامية ولا مسيحية طوال القرن
- أرض مسيحية استولى عليها المسلمون
- أرض غير مسيحية استولى عليها المسلمون

رسمنا أسماء الأماكن كما كانت سنة ... إلا إذا ذكرنا غير ذلك.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]



توزيع:  الدار العربية للموسوعات
للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب: 511 - الحازمية - مفرق جسر الباشا - سنتر عكاوي - ط١
هاتف: 952594 5 961+ - فاكس: 459982 5 961+ - خليوي: 525066 3 961+
بريد إلكتروني: info@arabenchouse.com الموقع إلكتروني: www.arabenchouse.com
بيروت - لبنان